



مختصر تفسير الطبري
النجدي الصريح للأقوال والآثار
على جامع البيان عن تأويل آي القرآن



مختصر تفسير الطبري

لابن أبي كرات

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى: ١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

رقم الإيداع: ٢٦٩٦٤

الترقيم الدولي: ٩-١٦-٦٧٢٠-٩٧٧-٩٧٨

الناشر

مكتبة العلوم والحكم

٠١٠٠١٦٢٢٦٦١

مختصر تفسير الطبري

النجديّك الصّريح

للأقوال والآسانك

عليّ جامع البيان عن تأويلك أي القرآن

للعامة محمد بن جرير الطبري

المجلد الثالث

مختصره

فضيلة الشيخ / محمد بن إبراهيم أبو كرات

مكتبة العلوم والحكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة سعادة الشيخ المفتي الفقيه العالم المؤدب أبي بكر بن محمد بن الحنبلي حفظه الله على طاعته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ مَا كَثُرَتْ فِيهِ أَبَدًا ۖ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۚ﴾ [الكهف].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل في كتابه الكريم ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۚ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۚ﴾ وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ القائل فيما رواه الحاكم بإسناد صحيح «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبدا كتاب الله وسنتي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» وقال أيضا ﷺ فيما رواه أبو داود بإسناد صحيح «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد: اعلم رحمة الله تعالى وإياك أن معتقد أهل السنة والجماعة الذي كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو ما ذكره الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في عقيدته [ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]. وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين، وأعتقد أن آيات القرآن في معنى الكلام كلها مستوية في الفضيلة، إلا أن لبعضها فضيلة الذكر وفضيلة الأجر كأم القرآن وقل هو الله أحد وآية الكرسي [هذا هو كلام المأربي رَحِمَهُ اللَّهُ].

هذا الكتاب فصل الله فيه أحكام كل شيء مما يصلح أمر العباد في دنياهم وأخراهم ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [النحل]

- ولا خلاف بين جزئياته بأي وجه من الوجوه، وآياته في المعنى الواحد لا يؤخذ الحكم في شيء منها منفردا بل يضم بعضها إلى بعض.
- ولأنه لا يفهم القرآن إلا وفق معناه وبيان الرسول ﷺ وعمل سلف الأمة.
- والقرآن لا يخالف ظاهرة باطنه ولا باطنه ظاهرة، ومن آتاه الله فهما في القرآن وعلمه التأويل يأتي بما يوافق القرآن لا بما يناقضه.
- وقد حفظ الله كتابه من التغيير والتبديل والزيادة أو النقصان إلى آخر الدنيا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]
- والنسخ واقع في القرآن للحكم دون التلاوة والتلاوة دون الحكم، وللحكم والتلاوة معا.

- والقرآن ينسخ السنة متواترة وآحاد، والسنة كذلك تنسخ القرآن متواترة وآحادا.
- وكل واقع وكل من عند الله. [الكتاب: القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف]

❖ حكم الإيمان والعمل بالقرآن الكريم:

القرآن الكريم الذي أنزله الله عزَّ وجلَّ على خاتم الأنبياء وأفضلهم محمد ﷺ هو آخر الكتب السماوية، وأعظمها، وأكملها، وأحكمها، أنزله الله تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة للعالمين.

فهو أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة وهو جبريل، على أفضل الخلق وهو محمد ﷺ، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها وهو اللسان العربي المبين، فيجب على كل أحد الإيمان به، والعمل بأحكامه، والتأدب بآدابه، ولا يقبل الله العمل بغيره بعد نزوله، تكفل الله بحفظه، فسلم من التحريف والتبديل، ومن الزيادة والنقصان.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

- وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]. ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

❖ دلالة آيات القرآن:

آيات القرآن فيها تبيان كل شيء، وهي إما خبر أو طلب:

❖ والخبر قسمان:

١ - إما خبر عن الخالق وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

٢ - وإما خبر عن المخلوق كالسما والأرض، والعرش والكرسي، والإنسان والحيوان، والجماد والنبات، والجنة والنار، وأخبار الأنبياء والرسل وأتباعهم وأعدائهم، وجزاء كل فريق ونحو ذلك.

❖ والطلب قسمان:

١ - إما أمر بعبادة الله وحده، وطاعة الله ورسوله، وفعل ما أمر الله به كالصلاة والصيام وغير ذلك من أوامر الله.

٢ - وإما نهي عن الشرك بالله، وتحذير مما حرم الله كالربا والفواحش وغير ذلك مما نهى الله عنه.

- فله الحمد والشكر، وله المنة والفضل، حيث أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أفضل كتبه، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

- وقال الله تعالى: ﴿شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ رَيْثُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

❖ حكم من استهان بالقرآن أو سبه:

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما أو جحدهما أو حرفاً منه أو آية أو كذب به أو بشيء منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أو خبر أو أثبت ما نفاه فهو كافر عند أهل العلم بإجماع، قال تعالى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت]

فاحذر: من إلقاء المصحف أو بعضه ولو كلمة وكذا حرقة استخفافاً لا صوتاً ومثل إلقائه أو تركه بمكان قدر ولو كان طاهراً كبصاق أو تلطيخه به ومثل المصحف (الحديث - وأسماء الله تعالى - وكتب الحديث وكذا كتب الفقه) إن كان ذلك على وجه الاستخفاف بالشرعية [الشرح الصغير وحاشية الكبير]

إن تفسير بن جرير الطبري هو عمدة التفاسير، وإن أعظم ما تنفق فيه الأعمار هو تدبر القرآن الكريم وإتباع نوره وهداه وهو من أعظم أسباب إلانة القلب واستدرار الدمع وإحضار الخشية وأبعث على التوبة ومعلوم أن تدبره مفتاح للعلوم والمعارف وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم وبه يزداد الإيمان بالقلب وترسخ شجرته من و خلال تدبره يتعرف على صفات الرابحين فيجتهد على تحصيلها ويجاهد في الدعوة إليها فضلاً عن تعرفه على صفات الخاسرين عبودية الله تعالى ويحذر الآخرين منها على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ثم إن شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ تعالى قال (ومن أصغى إلى كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعقله وتدبره بقلبه وجد فيه من الفهم والحلاوة وشفاء القلب والبركة والمنفعة ما لم يجده في شيء من الكلام لا نظاماً ولا نثراً وقد قال الإمام مقاتل بن سليمان في مقدمة تفسيره من قرأ القرآن فلم يعلم تأويله فهو اامي وقال العلامة محمد رشيد رضا في تفسيره المنار لو أن المسلمين استقاموا على تدبر القرآن والاهتداء به في كل زمان لما فسدت أخلاقهم وآدابهم ولما زال ملكهم وسلطانهم ولما صاروا عالة في معاشهم وأسبابها على سواهم.

وأحكام الإسلام موجودة في القرآن ولكن منها ما يظهر بأدنى نظر لجلاء النص فيه، ومنها ما يحتاج لجلاء نظر لخفاء النص فيه.

وتلك موازنة عكسية إذا برز الحكم قلت الحاجة للبصيرة، وإذا خفي الحكم زادت الحاجة إليها، وإلا فالحكم موجود بالنص أو بالاستنباط، وهذا من المراد بقوله جل ثناؤه ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل]

وإذا عميت البصائر عن الحجج كان حالها كحال البصر الأعمى عن الطريق، وإذا أخذ الإنسان العاقل العارف بلغة القرآن بأمرين فهم منه ما لا يفهمه غيره وفتح الله عليه ما لم يفتحه على غيره.

الأمر الأول: حسن القصد في طلب الحق. الأمر الثاني: إدامة البصر وإطالة التأمل في القرآن.

❁ وختاماً..

قلت: ولما وقف أخي الحبيب في الله فضيلة الداعية المبارك الشيخ: محمد بن إبراهيم أبو كرات على حقيقة ما سلفت الإشارة إليه.

شمر عن ساعد الجد والاجتهاد ليأخذ بيد نفسه والمسلمين عامة وطلبة العلم خاصة إلى العودة إلى الوحيين بفهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فاستعان بالله عَزَّوَجَلَّ منطلقاً من قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وعكف على تفسير الإمام بن جرير الطبري ليقربه لعموم الأمة وذلك بتجريده للأقوال والأسانيد ولم يزد فيه حرفاً على ما خط وربما أورد بعض الرواية لما فيها من الدراية بمراد المفسرين من تأويل الآية معلقة دون إيراد الأسانيد كما نزع ما ورد من الأسرار اللغوية لتحقيق المراد من الاختصار ولم يتعرض للحكم على الأحاديث.

فجزى الله الشيخ خيراً فإني أحسبه والله حسيبه ولا ازكي على الله أحداً أنه من المخلصين الذين تحروا الصدق وتحلوا بالعمل وحين الخلق وقد من المنان عليه بصحة الاعتقاد والبعد عن التحريف والتجرد عن الهوى.

وآمل في الطبعة الجديدة تزداد الهمة فينبه على القراءة الشاذة حيثما وجدت، والحكم على الأحاديث مرفوعة كانت أو موقوفة على حسب قواعد أهل الصنعة في الحديث مع الإنباه لتفادي التصحيفات الموجودة.

أسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يثقل ميزان حسنات الإمام بن جرير الطبري والشيخ محمد بن إبراهيم أبو كرات على ما بذل من جهد مشكور وصلّ اللهم وسلم وبارك على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه الراجي عفو مولاه

أبي بكر بن محمد بن الحنبلي

في غرة رجب الحرام للعام الحادي والأربعين بعد المائة الرابعة والألف

من هجرة الرسول ﷺ

مقدمة المصنف

الحمد لله منزل الكتاب الذي أجرى بقدرته السحاب و أخضع لعظمته الرقاب وزلل بلطفه الشدائد الصعاب وأنعم بعلمه وتفضل على أولي الألباب، والصلاة والسلام على خير الأحاب نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الحساب

وبعد: فقد من العلي القدير على عبده الفقير بخدمة كتابه الجليل بتجريد (سيد التفاسير) من الأقوال والأسانيد والحشو المزيد على ما يبغيه طالب العلم والمريد لزبدة تفسير الكتاب المجيد، والوقوف على ما رامه مصنف التأويل أبي جعفر الطبري بعد بحث وعناء شديد فجزاه الله عنا وعن الإسلام خير ما يجازي العبيد.

فلم أزد فيه حرفاً على ما خط ولا خالفت فيه الخط، وربما أوردت بعض الرواية لما فيها من الدراية بمراد المفسرين من تأويل الآية معلقة دون ذكر الأسانيد، ونزعت ما ورد من الأسرار اللغوية، لتحقيق المراد من الاختصار والله هو العزيز الغفار، راجياً بذلك، حفظ المراد من التأويل بدون إفراط أو تقصير، سائلاً العلي القدير القبول واليسير وأن ينفع بهذا الجهد اليسير كل من رام علوم التفسير، إنه بالإجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتبه الفقير لعفوري

محمود بن إبراهيم أبو كرات

القاهرة ٢٠١٧: ١٢: ٢

ترجمة ابن جرير الطبري

✽ اسمه ونسبه وكنيته:

هو العالم المجتهد المحدث الفقيه المقرئ المؤرخ علامة وقته محمد جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، أبو جعفر ثم الأُملي، وقيل يزيد بن خالد الطبري من أهل آمل طبرستان، وإليها نسبته، ولد رَحِمَهُ اللهُ في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين.

✽ ثناء العلماء عليه:

قال عنه الحافظ أبو بكر البغدادي رَحِمَهُ اللهُ (كان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان حافظاً للكتاب عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام عارفاً بأيام الناس وأخبارهم وله كتاب (المشهور في تاريخ الأمم والملوك) وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله وكتاب سماه (تهذيب الآثار) لم أر سواه في معناه إلا أنه لم يتمه وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه.

وقال ابن خزيمة بعد استعارته كتاب (جامع البيان) من أبي بكر بن بالويه ورده بعد سنين: قد نظرت فيه من أوله إلى آخره وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير.

وقال الحسين بن علي التميمي لما رجعت من بغداد إلى نيسبور سألني ابن خزيمة فقال لي: ممن سمعت ببغداد؟ فذكرت له جماعة ممن سمعت منهم فقال: هل سمعت من بن جرير شيئاً؟ فقلت له لا فقال: لو سمعت منه لكان خيراً لك من جميع من سمعت منه وقال أبو حامد الإسفراييني: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير بن جرير لم يكن ذلك كثير

وقال شيخ الإسلام بن تيمية: وأما التفاسير التي في أيدي الناس فاصحها (تفسير محمد ابن جرير الطبري) فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن

المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي.

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي عن تفسير الطبري: وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والإعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك

وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في (طبقات الفقهاء) في جملة المجتهدين وقال عنه الذهبي: كان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله كان ثقة صادقاً حافظاً رأساً في التفسير إماماً في الفقه والإجماع والاختلاف علامة في التاريخ وأيام الناس عارفاً بالقراءات باللغة وغير ذلك

✽ أما شيوخه:

فأكثر من ستين شيخاً من كبار العلماء في الفقه والتفسير والسير وغير ذلك وله تلامذة أصبحوا من كبار أهل العلم

✽ أما مصنفاته:

فقد جاوزت الأربعين مصنف في شتى العلوم الشرعية

✽ وفاته:

توفي رَحِمَهُ اللهُ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْأَحَدِ لِيَوْمَيْنِ بَقِيََا مِنْ شَوَالِ سَنَةِ عَشْرِ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَقَدْ جَاوَزَ الثَّمَانِينَ سَنَةً بِخَمْسٍ أَوْ سِتِّ سِنِينَ، وَدُفِنَ فِي رَحْبَةِ يَعْقُوبَ بِبَغْدَادَ وَقَدْ رَثَاهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالْأَدَبِ

رحم الله شيخنا ورضي عنه وارضاه وقدس روحه وطيب ثراه وجمعنا في الجنة وأياه

اخـنـص التـرجـة
محمـد بن إبراهـيم أبـوكـرات
مختـص تـفـسـير الطـبـري

تفسير سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الرَّكَابُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿الرَّكَابُ﴾، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا بِشَوَاهِدِهِ، بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَتَابُ أَحْكَمَتِ آيَاتِهِ﴾، يَعْنِي: هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ الْقُرْآنُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ﴾، فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلٌ مِنْ قَالَ: مَعْنَاهُ: أَحْكَمَ اللَّهُ آيَاتِهِ مِنَ الدَّخْلِ وَالْخَلَلِ وَالْبَاطِلِ، ثُمَّ فَصَّلَهَا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ. وَذَلِكَ أَنَّ "إِحْكَامَ الشَّيْءِ" إِصْلَاحُهُ وَإِتْقَانُهُ وَ"إِحْكَامُ آيَاتِ الْقُرْآنِ"، إِحْكَامُهَا مِنْ خَلَلٍ يَكُونُ فِيهَا، أَوْ بَاطِلٍ يَقْدِرُ ذُو زَيْغٍ أَنْ يَطْعَنَ فِيهَا مِنْ قِيلِهِ. وَأَمَّا "تَفْصِيلُ آيَاتِهِ" فَإِنَّهُ تَمَيِّيزُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، بِالْبَيَانِ عَمَّا فِيهَا مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَأَمْرٍ وَنَهْيٍ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾، فَإِنَّ مَعْنَاهُ: ﴿حَكِيمٍ﴾ بِتَدْيِيرِ الْأَشْيَاءِ وَتَقْدِيرِهَا، خَبِيرٌ بِمَا تَوَوَّلَ إِلَيْهِ عَوَاقِبُهَا. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ثُمَّ فَصَّلَتْ بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعُوا الْأَلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: قُلْ، يَا مُحَمَّدُ، لِلنَّاسِ ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾، مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿نَذِيرٌ﴾ يَنْذِرُكُمْ عِقَابَهُ عَلَى مَعَاصِيهِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ﴿وَبَشِيرٌ﴾، يَبْشِرُكُمْ بِالْجَزِيلِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى طَاعَتِهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ لَهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ثُمَّ فَصَّلَتْ آيَاتِهِ، بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ، وَبَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، وَأَنْ أَعْمَلُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يَرْضَى رَبُّكُمْ عَنْكُمْ، فَيَسْتَرْ عَلَيْكُمْ عَظِيمَ ذُنُوبِكُمْ الَّتِي رَكَبْتُمُوهَا بِعِبَادَتِكُمُ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ، وَإِشْرَاكِكُمُ الْأَلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ فِي عِبَادَتِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ﴾، يَقُولُ: ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى رَبِّكُمْ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ بَعْدَ خَلْعِكُمُ الْأَنْدَادَ وَبِرَاءَتِكُمْ مِنْ عِبَادَتِهَا. وَلِذَلِكَ قِيلَ: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: "وَتَوَبُوا إِلَيْهِ"، لِأَنَّ "التَّوْبَةَ" مَعْنَاهَا الرُّجُوعُ إِلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَالِاسْتِغْفَارُ: اسْتِغْفَارُ مَنْ الشَّرْكَ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، وَالْعَمَلُ لِلَّهِ لَا يَكُونُ عَمَلًا لَهُ إِلَّا بَعْدَ تَرْكِ الشَّرْكَ بِهِ، فَأَمَّا الشَّرْكَ فَإِنَّ عَمَلَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلشَّيْطَانِ، فَلِذَلِكَ أَمَرَهُمْ تَعَالَى ذَكَرَهُ بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الْإِسْتِغْفَارِ مِنَ الشَّرْكَ، لِأَنَّ أَهْلَ الشَّرْكَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَ اللَّهَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَهُمْ عَلَى شَرِكِهِمْ مُقِيمُونَ. وَقَوْلُهُ: ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ:

استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط عليكم من الدنيا ورزقكم من زيتها، وأنساً لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إلى أجل مسمى﴾، يعني الموت. كما جاء عن مجاهد وقتادة وقوله: ﴿وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾، يقول تعالى ذكره: وإن أعرضوا عما دعوتهم إليه، من إخلاص العباد لله، وترك عبادة الآلهة، وامتنعوا من الاستغفار لله والتوبة إليه، فأدبروا مؤلّين عن ذلك، ﴿فإني﴾، أيها القوم، ﴿أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾، شأنه عظيم هو، وذلك يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون. وقال جل ثناؤه: ﴿وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾، ولكنه مما قد تقدّمه قول، والعرب إذا قدّمت قبل الكلام قولاً خاطبت، ثم عادت إلى الخبر عن الغائب، ثم رجعت بعد إلى الخطاب، وقد بينا ذلك في غير موضع، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿إلى الله﴾، أيها القوم، مآبكم ومصيركم، فاحذروا عقابه إن توليتم عما أدعوكم إليه من التوبة إليه من عبادتكم الآلهة والأصنام، فإنه مخلصكم نار جهنم إن هلكتم على شرككم قبل التوبة إليه ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، يقول: وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشرாகكم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم وبغيركم قادرٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ ۖ سُدُورُهُمْ لَيَسْتَخِفُّونَ مِنْهُ ۖ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ قال أبو جعفر وتأويل الآية: إنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله أنه يخفى عليه ما تضره نفوسهم، أو تناجوه بينهم. فقال: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾، يعني: يتغشون ثيابهم، يتغطونها ويلبسون. وقوله ﴿يعلم ما يسرون﴾، يقول جل ثناؤه: يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم، الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها، وثنوها، وما تناجوه بينهم فأخفوه ﴿وما يعلنون﴾، سواء عنده سرائر عبادته وعلايتهم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾، يقول تعالى ذكره: إن الله ذو علم بكل ما أخفته صدور خلقه، من إيمان وكفر، وحق وباطل، وخير وشر، وما تستجته مما لم تجنه بعد كما جاء عن ابن عباس قال أبو جعفر، فاحذروا أن يطلع عليكم ربكم وأنتم مضمرون في صدوركم الشك في شيء من توحيده أو أمره أو نهيهِ، أو فيما ألزمكم الإيمان به والتصديق، فتهلكوا باعتقادكم ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وما تدب دابة في الأرض. و"الدابة" "الفاعلة"، من دب فهو يدب، وهو داب، وهي دابة. ﴿إلا على الله رزقها﴾، يقول: إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها، هو به متكفل، وذلك قوتها وغذاؤها وما به عيشها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة وقوله: ﴿ويعلم مستقرها﴾، حيث تستقر فيه، وذلك مأواها الذي تأوي إليه ليلاً أو نهاراً ﴿ومستودعها﴾ الموضع الذي يودعها، إما بموتها، فيه، أو دفنها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ويعني بقوله: ﴿كل في كتاب﴾، [مبين]، عدد كل

دابة، ومبلغ أرزاقها، وقدر قرارها في مستقرها، ومدة لبثها في مستودعها. كل ذلك في كتاب عند الله مثبت مكتوب ﴿مبين﴾، يبين لمن قرأه أن ذلك مثبت مكتوب قبل أن يخلقها ويوجدتها. وهذا إخبار من الله جل ثناؤه الذين كانوا يثنون صدورهم ليستخفوا منه، أنه قد علم الأشياء كلها، وأثبتها في كتاب عنده قبل أن يخلقها ويوجدتها، يقول لهم تعالى ذكره: فمن كان قد علم ذلك منهم قبل أن يوجد لهم، فكيف يخفى عليه ما تنطوي عليه نفوسهم إذا ثنوا به صدورهم، واستغشوا عليه ثيابهم؟

النقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الله الذي إليه مرجعكم أيها الناس جميعاً، وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام، يقول: أفيعجز من خلق ذلك من غير شيء أن يعيدكم أحياء بعد أن يميتكم؟ وقيل: إن الله تعالى ذكره خلق السموات والأرض وما فيها في الأيام الستة، فاجتزى في هذا الموضع بذكر خلق السموات والأرض، من ذكر خلق ما فيها. كما جاء عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر فيها يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها من كل دابة يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل. وقوله: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾، يقول تعالى ذكره: وهو الذي خلق السموات والأرض أيها الناس، وخلقكم في ستة أيام ﴿ليبلوكم﴾، يقول: ليختبركم أيكم أحسن عملاً، يقول: أيكم أحسن له طاعة كما جاء عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ: أنه تلا هذه الآية: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾، قال: أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله؟ وقوله: ﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾، يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن قلت لهؤلاء المشركين من قومك: إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم! فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحىي ﴿ليقولن إن هذا إلا سحر مبين﴾، أي: ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول، إلا سحر لسامعه، مبين لسامعه عن حقيقته أنه سحر.

النقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجِبُ إِلَّا يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولئن أخرنا عن هؤلاء المشركين من قومك، يا محمد، العذاب فلم نعجله لهم، وأنساناً في آجالهم إلى أمة معدودة، ووقت محدود وسنين معلومة. وأصل "الأمة" ما قد بينا فيما مضى من كتابنا هذا، أنها الجماعة من الناس تجتمع على مذهب ودين، ثم تستعمل في معان كثيرة ترجع إلى معنى الأصل الذي ذكرت. وإنما قيل للسنين "المعدودة" والحين، في هذا الموضع ونحوه: أمة، لأن فيها تكون الأمة. وإنما معنى الكلام: ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مجيء أمة وانقراض أخرى قبلها. وبنحو الذي قلنا من أن معنى "الأمة" في هذا الموضع، الأجل والحين، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن عباس وقوله: ﴿ليقولن ما يجبس﴾، يقول: "ليقولن" هؤلاء المشركون "ما يجبس"؟ أي شيء يمنعه من تعجيل العذاب الذي يتوعدنا به؟ تكذيباً منهم به، وظناً منهم أن ذلك إنما أخر عنهم لكذب المتوعد كما جاء عن بن جريج وقوله: ﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾، يقول

تعالى ذكره تحقيقاً لوعيده وتصحيحاً لخبره: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي يَكْذِبُونَ بِهِ﴾ ليس مصروفاً عنهم، يقول: ليس يصرفه عنهم صارف، ولا يدفعه عنهم دافع، ولكنه يحل بهم فيهلكهم ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، يقول: ونزل بهم وأصابهم الذي كانوا به يسخرون من عذاب الله. وكان استهزؤهم به الذي ذكره الله، قيلهم قبل نزوله ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾، و"هلا تأتينا"؟. وينحو الذي قلنا في ذلك كان بعض أهل التأويل يقول. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافُورًا﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولئن أذقنا الإنسان منا رخاء وسعة في الرزق والعيش، فبسطنا عليه من الدنيا وهي "الرحمة" التي ذكرها تعالى ذكره في هذا الموضع ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾، يقول: ثم سلبناه ذلك، فأصابته مصائب أجاته فذهبت به ﴿إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا كَافُورًا﴾، يقول: يظل قنطاً من رحمة الله، آيساً من الخير. وقوله: "يثوس"، "فعول"، من قول القائل: "يثس فلان من كذا، فهو يثوس"، إذا كان ذلك صفة له.. وقوله: "كفور"، يقول: هو كفور لمن أنعم عليه، قليل الشكر لربه المتفضل عليه، بما كان وهب له من نعمته. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ أَذَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا﴾ إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولئن نحن بسطنا للإنسان في دنياه، ورزقناه رخاءً في عيشه، ووسعنا عليه في رزقه، وذلك هي النعم التي قال الله جل ثناؤه: ﴿وَلَيْنُ أَذَقْنَا نِعْمَاءَ﴾ وقوله: ﴿بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ﴾، يقول: بعد ضيق من العيش كان فيه، وعسرة كان يعالجها ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾، يقول تعالى ذكره: ليقولن عند ذلك: ذهب الضيق والعسرة عني، وزالت الشدائد والمكاره ﴿إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا﴾، يقول تعالى ذكره: إن الإنسان لفرح بالنعم التي يعطاها مسرور بها ﴿فَخُورًا﴾، يقول: ذو فخر بما نال من السعة في الدنيا، وما بسط له فيها من العيش، وينسى صُروفها، ونكد العَوَاصِصِ فيها، ويدع طلب النعيم الذي يبقى، والسرور الذي يدوم فلا يزول. كما جاء ابن جريج ثم استثنى جل ثناؤه من الإنسان الذي وصفه بهاتين الصفتين: "الذين صبروا وعملوا الصالحات". وإنما جاز استثنائهم منه لأن "الإنسان" بمعنى الجنس ومعنى الجمع. وهو كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، [العصر: ١-٣]، فقال تعالى ذكره: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فإنهم إن تأتهم شدة من الدنيا وعسرة فيها، لم يثنهم ذلك عن طاعة الله، ولكنهم صبروا لأمره وقضائه. فإن نالوا فيها رخاء وسعة، شكروه وأدوا حقوقه بما آتاهم منها. يقول الله: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يغفرها لهم، ولا يفضحهم بها في معادهم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، يقول: ولهم من الله مع مغفرة ذنوبهم، ثواب على أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا، جزيل، وجزاء عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتْرٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّكَ أَنْتَ ذَا بَالٍ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلعلك يا محمد، تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائق بما يوحى إليك صدرك فلا تبلغه إياهم، مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كثر أو جاء معه ملك، له مصدق بأنه لله رسول! يقول تعالى ذكره: فبلغهم ما أوحيت إليك، فإنك إنما أنت نذير

تُنذِرُهُمْ عِقَابِي، وتحذَرُهُمْ بِأَسِي عَلَى كَفَرِهِمْ بِي، وَإِنَّمَا الْآيَاتُ الَّتِي يُسْأَلُونَكَهَا عِنْدِي وَفِي سُلْطَانِي، أَنْزَلُهَا إِذَا شِئْتُ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ، إِلَّا الْبَلَاغُ وَالْإِنْذَارُ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، يقول: وَاللَّهُ الْقَيُّمُ بِكُلِّ شَيْءٍ وَيُبْدِيهِ تَدْبِيرَهُ، فَانْفِذْ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ، وَلَا تَمْنَعُكَ مَسْأَلَتُهُمْ إِيَّاكَ الْآيَاتِ، مِنْ تَبْلِيغِهِمْ وَحْيِي وَالْفَوْذَ لِأَمْرِي. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٦﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: كفاك حجة على حقيقة ما أتيتهم به، ودلالة على صحة نبوتك، هذا القرآن، من سائر الآيات غيره، إذ كانت الآيات إنما تكون لمن أعطيها دلالة على صدقه، لعجز جميع الخلق عن أن يأتوا بمثله. وهذا القرآن، جميع الخلق عجزه عن أن يأتوا بمثله، فإن هم قالوا: "افتريته"، أي: اختلقته وتكذبت به. ودل على أن معنى الكلام ما ذكرنا، قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ إلى آخر الآية. ويعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾، أي: أيقولون افتراه؟ فقل لهم: يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن "مفتريات"، يعني مفتعلات مختلقات، إن كان ما أتيتكم به من هذا القرآن مفترى، وليس بآية معجزة كسائر ما سئلتهم من الآيات، كالكنز الذي قلت: هلا أنزل عليه؟ أو الملك الذي قلت: هلا جاء معه نذيرا له مصدقا! فإنكم قومي، وأنتم من أهل لساني، وأنا رجل منكم، ومحال أن أقدر أخلق وحدي مائة سورة وأربع عشرة سورة، ولا تقدرُوا بأجمعكم أن تفتروا وتختلقوا عشر سور مثلها، ولا سيما إذا استعنتم في ذلك بمن شئتم من الخلق. يقول جل ثناؤه: قل لهم: وادعوا من استطعتم أن تدعوهم من دون الله يعني سوى الله، لا افتراء ذلك واختلاقه من الآلهة، فإن أنتم لم تقدرُوا على أن تفتروا عشر سور مثله، فقد تبين لكم أنكم كذبة في قولكم: ﴿افتراه﴾، وصححت عندكم حقيقة ما أتيتكم به أنه من عند الله. ولم يكن لكم أن تتخيرُوا والآيات على ربكم، وقد جاءكم من الحجة على حقيقة ما تكذبون به أنه من عند الله، مثل الذي تسألون من الحجة وترغبون أنكم تصدقون بمجيئها. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، لقوله: ﴿فأتوا بعشر سور مثله﴾، وإنما هو: قل: فأتوا بعشر سور مثله مفتريات، إن كنتم صادقين أن هذا القرآن افتراه محمد وادعوا من استطعتم من دون الله على ذلك، من الآلهة والأنداد. كما جاء عن بن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: فإن لم يستجب لكم من تدعون من دون الله إلى أن يأتوا بعشر سور مثل هذا القرآن مفتريات، ولم تطبقوا أنتم وهم أن تأتوا بذلك، فاعلموا وأيقنوا أنه إنما أنزل من السماء على محمد ﷺ يعلم الله وإذنه، وأن محمداً لم يفتريه، ولا يقدر أن يفتريه ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، يقول: وأيقنوا أيضاً أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة. وقد قيل: إن قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ خطاب من الله لنبية، كأنه قال: فإن لم يستجب لك هؤلاء الكفار، يا محمد، فاعلموا، أيها المشركون، أنما أنزل بعلم الله وذلك تأويل بعيد من المفهوم. وقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، يقول: فهل أنتم مدعون لله بالطاعة، ومخلصون له العبادة، بعد ثبوت الحجة عليكم؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا، وإياها وزينتها يطلب به، نوفّ إليهم أجور أعمالهم فيها وثوابها ﴿وهم فيها﴾ يقول: وهم في الدنيا، ﴿لا يبخسون﴾ يقول: لا ينقصون أجرها، ولكنهم يوفونه فيها. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وسعيد وجاء عن الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان، أن عقبة بن مسلم حدثه، أن سُفْيَ بن مَاتِع الأصبحي حدثه: أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال من هذا؟ فقالوا أبو هريرة! فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت: أنشدك بحق، وبحق، لما حدثني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عَقَلْتَهُ وعلمته. قال: فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ! ثم نَشَعَ نشغَةً، ثم أفاق فقال: لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت، ما فيه أحدٌ غيبي وغيره! ثم نَشَعَ أبو هريرة نشغَةً شديدة، ثم مال خائراً على وجهه، واشتدَّ به طويلاً ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، نزل إلى القيامة ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعى به رجلٌ جمع القرآن، ورجل قُتِلَ في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب! قال: فماذا عملت فيما عُلمت؟ قال: كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار! فيقول الله له: كذبت! وتقول له الملائكة: كذبت! ويقول الله له: بل أردت أن يقال: "فلان قارئ" فقد قيل ذلك! ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب! قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق. فيقول الله له: كذبت! وتقول الملائكة: كذبت! ويقول الله له: بل أردت أن يقال: "فلان جواد"، فقد قيل ذلك! ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقال له: فيما ذا قُتِلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله له: كذبت! وتقول له الملائكة: كذبت! ويقول الله له: بل أردت أن يقال: "فلان جريء"، وقد قيل ذلك! ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسْعَرُ بهم النار يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين ذكرت أننا نوفيهم أجور أعمالهم في الدنيا ﴿ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾، يصلونها ﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾، يقول: وذهب ما عملوا في الدنيا، وباطل ما كانوا يعملون، لأنهم كانوا يعملون لغير الله، فأبطله الله وأحبط عامله أجره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَبِينَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَتِلْكَ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾، قد بين له دينه فتيبته ﴿وتيلوه شاهد منه﴾. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله: ﴿وتيلوه شاهد منه﴾، قول من قال: "هو جبريل"، لدلالة قوله: ﴿ومن قبله كتاب موسى إمامًا ورحمة﴾، على صحة ذلك. وذلك أن نبي الله ﷺ لم يتل قبل القرآن كتاب موسى، فيكون ذلك دليلاً على صحة قول من قال: "عني به لسان محمد ﷺ، أو: محمد نفسه، أو: عليّ" على قول من قال: "عني به علي". ولا يعلم أن أحداً كان تلا ذلك قبل القرآن، أو جاء به،

ممن ذكر أهل التأويل أنه عنى بقوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾، غير جبريل عليه السلام. وأما قوله: ﴿إِمَامًا﴾ فإنه نصب على القطع من "كتاب موسى"، وقوله ﴿وَرَحْمَةً﴾، عطف على "الإمام". كأنه قيل: ومن قبله كتاب موسى إمامًا لبني إسرائيل يأتون به، ورحمة من الله تلاه على موسى، كما جاء عن إبراهيم وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: ﴿أَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، "كمن هو في الضلالة متردد لا يهتدي لرشد، ولا يعرف حقًا من باطل، ولا يطلب بعمله إلا الحياة الدنيا وزينتها". وذلك نظير قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] والدليل على حقيقة ما قلنا في ذلك أن ذلك عقيب قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، الآية، ثم قيل: أهذا خير، أم كان على بينة من ربه؟ والعرب تفعل ذلك كثيرًا إذا كان فيما ذكرت دلالة على مرادها على ما حذف، وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، يقول: هؤلاء الذين ذكرت، يصدقون ويقرّون به، إن كفر به هؤلاء المشركون الذين يقولون: إن محمدًا افتراه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ومن يكفر بهذا القرآن، فيجحد أنه من عند الله من الأحزاب وهم المتحزبة على مللهم فالنار موعده، أنه يصير إليها في الآخرة بتكذيبه. يقول الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾، يقول: فلا تك في شك منه، من أن موعده من كفر بالقرآن من الأحزاب النار، وأن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك من عند الله. ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن القرآن فقال: إن هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، يا محمد، الحق من ربك لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأن ذلك كذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أيوب أنه قال: نبئت أن سعيد بن جبيرة قال: ما بلغني حديث عن رسول الله ﷺ، على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله تعالى، حتى قال "لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، ولا يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بما أرسلت به إلا دخل النار". قال سعيد، فقلت: أين هذا في كتاب الله؟ حتى أتيت على هذه الآية: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾، قال: من أهل الملل كلها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأي الناس أشد تعذيبًا ممن اختلق على الله كذبًا فكذب عليه؟ وأولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم. يعرضون يوم القيامة على ربهم، فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون، كما جاء عن بن جريج وقوله: ﴿ويقول الأشهاد﴾، يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون وهم جمع "شاهد" مثل "الأصحاب" الذي هو جمع "صاحب" هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، يقول: شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا، فيقولون: هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم، يقول الله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، يقول: ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربهم. وبنحو ما قلنا في قوله ﴿ويقول الأشهاد﴾، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وجاء عن قتادة، عن صفوان بن محرز

المازني قال، بينا نحن بالبيت مع عبد الله بن عمر، وهو يطوف، إذ عرض له رجل فقال: يا ابن عمر، ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت نبي الله ﷺ يقول: يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، فيقول: هل تعرف كذا؟ فيقول: رب أعرف! مرتين، حتى إذا بلغ به ما شاء الله أن يبلغ قال: إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. قال: فيعطى صحيفة حسناته أو: كتابه يمينه. وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رءوس الأشهاد: "ألا هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١٦) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون الناس، عن الإيمان به، والإقرار له بالعبودية، وإخلاص العباداة له دون الآلهة والأنداد، من مشركي قريش، وهم الذين كانوا يفتنون عن الإسلام من دخل فيه ﴿ويبغونها عوجًا﴾، يقول: ويلتمسون سبيل الله، وهو الإسلام الذي دعا الناس إليه محمد، يقول: زيغًا وميلا عن الاستقامة. ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾، يقول: وهم بالبعث بعد الممات مع صدهم عن سبيل الله وبغيهم إياها عوجًا ﴿كافرون﴾ يقول: هم جاحدون ذلك منكرون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ (٢٠) قال أبو جعفر: يعني جل ذكره بقوله: ﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾، هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه أنهم يصدون عن سبيل الله، يقول جل ثناؤه: إنهم لم يكونوا بالذي يُعجزون ربهم بهربهم منه في الأرض إذا أراد عقابهم والانتقام منهم، ولكنهم في قبضته وملكه، لا يمتنعون منه إذا أرادهم ولا يفوتونه هربًا إذا طلبهم ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾، يقول: ولم يكن لهؤلاء المشركين إذا أراد عقابهم من دون الله أنصارًا ينصرونهم من الله، ويحولون بينهم وبينه إذا هو عذبهم، وقد كانت لهم في الدنيا منعة يمتنعون بها ممن أرادهم من الناس بسوء وقوله: ﴿يضاعف لهم العذاب﴾، يقول تعالى ذكره: يزداد في عذابهم، فيجعل لهم مكان الواحد اثنان. وقوله: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾، فإنه اختلف في تأويله. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، ما قاله ابن عباس وقتادة، من أن الله وصفهم تعالى ذكره بأنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع متففع، ولا يبصرونه إبصار مهتد، لاشتغالهم بالكفر الذي كانوا عليه مقيمين، عن استعمال جوارحهم في طاعة الله، وقد كانت لهم أسمع وأبصار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢١) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾، وبطل كذبهم وإفكهم وفريتهم على الله، بادعائهم له شركاء، فسلك ما كانوا يدعونه إلهاً من دون الله غير مسلكتهم، وأخذ طريقًا غير طريقهم، فضل عنهم، لأنه سلك بهم إلى جهنم، وصارت آلتهم عدمًا لا شيء، لأنها كانت في الدنيا حجارة أو خشبًا أو نحاسًا أو كان لله وليًا، فسلك به إلى الجنة، وذلك أيضًا غير مسلكتهم، وذلك أيضًا ضلال عنهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: حقا أن هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم في الدنيا وفي الآخرة هم الأخسرون الذين قد باعوا منازلهم من الجنان بمنازل أهل الجنة من النار؛ وذلك هو الخسران المبين. وقد بينا فيما مضى أن معنى قولهم: "جرمتُ"، كسبت الذنب و"جرمته"،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا في الدنيا بطاعة الله و"أخبتوا إلى ربهم". واختلف أهل التأويل في معنى "الإخبات". فقال بعضهم: معنى ذلك: وأنابوا إلى ربهم. كما جاء عن ابن عباس وقتادة وقال آخرون: معنى ذلك: وخافوا. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: معناه: اطمأنوا. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: معنى ذلك: خشعوا. كما جاء عن قتادة وقال: «إلى ربهم»، ومعناه: وأخبتوا لربهم. وذلك أن العرب تضع "اللام" موضع "إلى" و"إلى" موضع "اللام" كثيرا، كما قال تعالى: ﴿بِأَن رَّبِّكَ أَوْحَىٰ لَهُمَا﴾ [الزلزلة: ٥] بمعنى: أوحى إليهما. وقد يجوز أن يكون قيل ذلك كذلك، لأنهم وصفوا بأنهم عمدوا بإخباتهم إلى الله. وقوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم، هم سكان الجنة الذين لا يخرجون عنها ولا يموتون فيها، ولكنهم فيها لا بثون إلى غير نهاية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئا، والأصم الذي لا يسمع شيئا، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به، لشغله بكفره بالله، وغلبة خذلان الله عليه، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد، فيجيبه إلى الهدى فيهندي به، فهو مقيم في ضلالته، يتردد في حيرته. والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان، أبصر حجج الله، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، ونبوة الأنبياء عليهم السلام، وسمع داعي الله فأجابته وعمل بطاعة الله كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يقول تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾، يقول: هل يستوي هذان الفريقان على اختلاف حالتهما في أنفسهما عندكم أيها الناس؟ فإنهما لا يستويان عندكم، فكذلك حال الكافر والمؤمن لا يستويان عند الله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، يقول جل ثناؤه: أفلا تعتبرون أيها الناس وتفكرون، فتعلموا حقيقة اختلاف أمريهما، فتزجروا عما أنتم عليه من الضلال إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان؟ فالأعمى والأصم، والبصير والسميع، في اللفظ أربعة، وفي المعنى اثنان. ولذلك قيل: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾. وقيل: ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى﴾، والمعنى: كالأعمى الأصم، وكذلك قيل ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾، والمعنى: البصير السميع، كقول القائل: "قام الظريف والعاقل"، وهو ينعت بذلك شخصا واحدا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴿١٦﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه: إني لكم، أيها القوم، نذير من الله، أنذركم بأسه على كفركم به، فآمنوا به وأطيعوا أمره. ويعني بقوله: ﴿مُبِينٌ﴾، يبين لكم عما أرسل به إليكم من أمر الله ونبيه. وقوله: ﴿أَن لا تعبدوا إلا الله﴾ فمن كسر الألف في قوله: ﴿إِنِّي﴾ جعل قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ عاملا في "أَنْ" التي في قوله: ﴿أَن لا تعبدوا إلا

الله، ويصير المعنى حيثئذ: ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، أن لا تعبدوا إلا الله، وقل لهم: إني لكم نذير مبين ومن فتحها رد "أن" في قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ عليها. فيكون المعنى حيثئذ: لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه بأني لكم نذير مبين، بأن لا تعبدوا إلا الله. ويعني بقوله: [بأن لا تعبدوا إلا الله أيها الناس]، عبادة الآلهة والأوثان، وإشراكها في عبادته، وأفردوا الله بالتوحيد، وأخلصوا له العبادة، فإنه لا شريك له في خلقه. وقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْآلِيمِ﴾، يقول: إني أيها القوم، إن لم تخصصوا الله بالعبادة، وتفردوه بالتوحيد، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذَّب فيه. وجعل "الآليم" من صفة "اليوم" وهو من صفة "العذاب"، إذ كان العذاب فيه، كما قيل: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾، [الأنعام: ٩٦]، وإنما "السكن" من صفة ما سكن فيه دون الليل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فقال الكبراء من قوم نوح وأشرافهم وهم "الملاء"، الذين كفروا بالله وجحدوا نبوة نبيه نوح عليه السلام: ﴿ما تراك﴾، يا نوح، ﴿إلا بشرًا مثلنا﴾، يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس، كأنهم كانوا منكبين أن يكون الله يرسل من البشر رسولاً إلى خلقه. وقوله: ﴿وما تراك أتبعك إلا الذين هم أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ﴾، يقول: وما تراك أتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس، دون الكبراء والأشراف، فيما نرى ويظهر لنا. وقوله: ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾، يقول: وما نتبين لكم علينا من فضل نلتموه بمخالفتكم إيانا في عبادة الأوثان إلى عبادة الله وإخلاص العبادة له، فتبعمكم طلب ذلك الفضل، وابتغاء ما أصبتموه بخلافكم إيانا ﴿بل نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾. وهذا خطاب منهم لنوح عليه السلام، وذلك أنهم إنما كذبوا نوحًا دون أتباعه، لأن أتباعه لم يكونوا رُسلًا. وأخرج الخطاب وهو واحد مخرج خطاب الجميع، كما قيل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾، [الطلاق: ١]. قال أبو جعفر: وتأويل الكلام: بل نَظُنُّكُمْ، يا نوح، في دعواك أن الله ابتعثك إلينا رسولاً كاذبًا. وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ﴿بادِّى الرَّأْيِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه إذ كذبوه، وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من النصيحة: ﴿يا قوم أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّي﴾، على علم ومعرفة وبيان من الله لي ما يلزمني له، ويجب علي من إخلاص العبادة له وترك إشراك الأوثان معه فيها ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾، يقول: ورزقني منه التوفيق والنبوة والحكمة، فأمنت به وأطعته فيما أمرني ونهاني ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾. وقوله: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾، يقول: أنا أخذكم بالدخول في الإسلام، وقد عماء الله عليكم ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾، يقول: وأنتم لإلزامناكموها "كارهون"، يقول: لا نفعل ذلك، ولكن نكل أمركم إلى الله، حتى يكون هو الذي يقضي في أمركم ما يرى ويشاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن بن جريج وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۝٢١﴾ قال أبو جعفر: وهذا أيضًا خبر من الله عن قيل نوح لقومه، أنه قال لهم: يا قوم لا أسألكم على نصيحتي لكم، ودعايتكم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، مالا أجرا على ذلك، فتتهموني في نصيحتي، وتظنون أن فعلي ذلك طلب عرض من أعراض الدنيا ﴿إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾، يقول: ما ثواب نصيحتي لكم، ودعايتكم إلى ما أدعوكم إليه، إلا على الله، فانه هو الذي يجازيني، ويشيني عليه ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾، وما أنا بمقص من آمن بالله، وأقر بوحديته، وخلع الأوثان وتبرأ منها، بأن لم يكونوا من عليتكم وأشرافكم ﴿إنهم ملاقو ربهم﴾، يقول: إن هؤلاء الذين تسألوني طردهم، صاثرون إلى الله، والله سائلهم عما كانوا في الدنيا يعملون، لا عن شرفهم وحسبهم. وكان قيل نوح ذلك لقومه، لأن قومه قالوا له، كما جاء عن ابن جريج، قوله: ﴿وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم﴾، قال: قالوا له: يا نوح، إن أحببت أن تتبعك فاطردهم، وإلا فلن نرضى أن نكون نحن وهم في الأمر سواء. فقال: ﴿ما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم﴾، فيسألهم عن أعمالهم وقوله: ﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾، يقول: ولكني، أيها القوم، أراكم قوماً تجهلون الواجب عليكم من حق الله، واللازم لكم من فرائضه. ولذلك من جهلكم سألتهموني أن أطرد الذين آمنوا بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٢﴾ قال أبو جعفر: يقول: ﴿ويا قوم من ينصرني﴾، فيمنعني من الله إن هو عاقبني على طردي المؤمنين الموحدين الله إن طردهم؟ ﴿أفلا تذكرون﴾، يقول: أفلا تتفكرون فيما تقولون: فتعلمون خطأه، فتنتهوا عنه؟.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝٢٣﴾ قال أبو جعفر: وقوله: ﴿ولا أقول لكم عندى خزائن الله﴾، عطف على قوله: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه أجراً﴾. ومعنى الكلام: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه أجراً﴾، ﴿ولا أقول لكم عندى خزائن الله﴾، التي لا يفنيها شيء، فأدعوكم إلى اتباعي عليها. ولا أعلم أيضًا الغيب يعني: ما خفي من سرائر العباد، فإن ذلك لا يعلمه إلا الله فأدعي الربوبية وأدعوكم إلى عبادتي. ولا أقول أيضًا: إني ملك من الملائكة، أرسلت إليكم، فأكون كاذبًا في دعواي ذلك، بل أنا بشر مثلكم كما تقولون، أمرت بدعائكم إلى الله، وقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرًا﴾ يقول: ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحدوه، الذين تستحقهم أعينكم، وقلتم: إنهم أراذلكم ﴿لن يؤتيهم الله خيرًا﴾، وذلك الإيمان بالله ﴿الله أعلم بما في أنفسهم﴾، يقول: الله أعلم بضمائر صدورهم، واعتقاد قلوبهم، وهو ولي أمرهم في ذلك، وإنما لي منهم ما ظهر وبدا، وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوني، فلا أطردهم ولا أستحل ذلك ﴿إني إذا لمن الظالمين﴾، يقول: إني إن قلت لهؤلاء الذين أظهروا الإيمان بالله وتصديقي: ﴿لن يؤتيهم الله خيرًا﴾، وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم لي على غير علم مني بما في نفوسهم، وطردهم فعلي ذلك، لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله، المعتدين ما أمرهم الله به، وذلك هو "الظلم". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح لنوح عليه السلام: قد خاصمتنا فأكثر خصومتنا، فأتنا بما تعدنا من العذاب، إن كنت من الصادقين في عداتك ودعواك أنك لله رسول. يعني: بذلك أنه لن يقدر على شيء من ذلك. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ولا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه حين استعجلوه العذاب: يا قوم، ليس الذي تستعجلون من العذاب إليّ، إنما ذلك إلى الله لا إلى غيره، هو الذي يأتيكم به إن شاء ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ يقول: ولستم إذا أراد تعذيبكم بمعجزيه، أي بفائتيه هرباً منه، لأنكم حيث كنتم في ملكه وسلطانه وقدرته، حكمه عليكم جارٍ ﴿ولا ينفعكم نصحي﴾، يقول: ولا ينفعكم تحذيري عقوبته، ونزول سطوته بكم على كفركم به ﴿إن أردت أن أنصح لكم﴾، في تحذيري إياكم ذلك، لأن نصحي لا ينفعكم، لأنكم لا تقبلونه. ﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾، يقول: إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه ﴿هو ربكم وإليه ترجعون﴾، يقول: وإليه تردون بعد الهلاك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: أيقول يا محمد هؤلاء المشركون من قومك: افترى محمد هذا القرآن؟ وهذا الخبر عن نوح؟ قل لهم: إن افتريته فخرصته واختلقته ﴿فعلیٰ إجرامی﴾ يقول: فعليّ إثمي في افترائي ما افتريت على ربي دونكم، لا تؤاخذون بذنبي ولا إثمي، ولا أؤاخذ بذنبكم. ﴿وأنا بریء مما تجرمون﴾، يقول: وأنا بريء مما تدنّبون وتأتّمون بربكم، من افترائكم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأوحى الله إلى نوح، لما حق على قومه القول، وأظلم أمر الله، أنه لن يؤمن، يا نوح، بالله فيوحدّه، ويتبعك على ما تدعوه إليه ﴿من قومك﴾ إلا من قد آمن، فصدق بذلك واتبعك. ﴿فلا تبتئس﴾، يقول: فلا تستكن ولا تحزن ﴿بما كانوا يفعلون﴾، فإني مهلكهم، ومنقذك منهم ومن اتبعك. وأوحى الله ذلك إليه، بعد ما دعا عليهم نوح بالهلاك فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِيَارًا﴾، [نوح: ٢٦]. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأحي إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، وأن اصنع الفلك، وهو السفينة، كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿بأعيننا﴾، يقول: بعين الله ووحيه كما يأمرك، كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾، وذلك أنه لم يعلم كيف صنعة الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جوج الطائر. وقوله: ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾، يقول تعالى ذكره: ولا تسألني في العفو عن هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم من قومك، فأكسبوا تعدياً منهم عليها بكفرهم بالله الهلاك بالغرق، إنهم مغرقون بالطوفان،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْ عَلَىهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ٣٨﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ويصنع نوح السفينة، وكلما مَرَّ عليه جماعة من كبراء قومه «سَخَرُوا مِنْهُ»، يقول: هزئوا من نوح، ويقولون له: أتحولت نجاراً بعد النبوة، وتعمل السفينة في البر؟ فيقول لهم نوح: «إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا»، إِنْ تَهْزَؤُوا مِنَّا اليوم، فَإِنَّا نَهْزَأُ مِنْكُمْ في الآخرة، كما تهزءون منا في الدنيا «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»، إِذَا عَايَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ، مَنْ الَّذِي كَانَ إِلَى نَفْسِهِ مُسِيئاً مَنّاً. وكانت صنعة نوح السفينة، كما جاء أن رسول الله ﷺ قال: لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبي! قال رسول الله ﷺ: كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة، فعظمت وذهبت كل مذهب، ثم قطعها، ثم جعل يعمل سفينة، ويمرُّون فيسألونه، فيقول: أعملها سفينة! فيسخرّون منه ويقولون: تعمل سفينة في البر فكيف تجري! فيقول: سوف تعلمون. فلما فرغ منها، وفار التَّنُورَ، وكثر الماء في السكك، خشيت أم الصبي عليه، وكانت تحبه حباً شديداً، فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه. فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل. فلما بلغها الماء خرجت، حتى استوت على الجبل، فلما بلغ الماء رقبتهارفعته بين يديها، حتى ذهب بها الماء. فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ٤٠﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نوح لقومه: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»، أيها القوم، إِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، مَنْ هَالِكٌ، «مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ»، يقول: الذي يَأْتِيهِ عَذَابُ اللَّهِ منا ومنكم يهينه ويذله «ويحل عليه عذاب مقيم»، يقول: وينزل به في الآخرة، مع ذلك، عَذَابٌ دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ، مَقِيمٌ عَلَيْهِ أَبَداً. وقوله: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا»، يقول: «ويصنع نوح الفلك» «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا» الذي وعدناه أن يجيء قومه من الطوفان الذي يغرقهم. وقوله: «وفار التَّنُورُ» اختلف أهل التأويل في معنى ذلك. قال أبو جعفر: و"فوران الماء" سورة دفعته، يقال منه: "فار الماء يَفُورُ فَوْراً وَفَوْوراً وَفُورَاناً"، وذلك إِذَا سَارَتْ دفعته. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: «التَّنُورُ»، قول من قال: "هو التَّنُورُ الذي يخبز فيه"، «قُلْنَا»، لنوح حين جاء عذابنا قومه الذي وعدنا نوحاً أن نعذبهم به، وفار التَّنُورُ الذي جعلنا فورانه بالماء آيةً مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه «احمل فيها»، يعني في الفلك «من كل زوجين اثنين»، يقول: من كل ذكر وأنثى، وقوله: «وأهلك إلا من سبق عليه القول»، يقول: واحمل أهلك أيضاً في الفلك، يعني ب"الأهل"، ولده ونساءه وأزواجه «إلا من سبق عليه القول»، يقول: إلا من قلت فيهم إني مهلكه مع مَنْ أَهْلُكَ من قومك. ثم اختلفوا في الذي استثناءه الله من أهله. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ يصفهم بأنهم كانوا قليلاً ولم يُحَدِّدْ عددهم بمقدار، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح، فلا ينبغي أن يتجاوز في ذلك حد الله، إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله، أو أثر عن رسول الله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وقال نوح: اركبوا في الفلك، "بسم الله مجراها ومرساها". وفي الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ذكر من الخبر عليه عنه، وهو قوله: ﴿قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ فحملهم نوح فيها "وقال" لهم، "اركبوا فيها". فاستغني بدلالة قوله: ﴿وقال اركبوا فيها﴾، عن حملة إياهم فيها، فترك ذكره أما قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ فمعنى قوله ﴿مجرأها﴾، مسيرها ﴿ومرسأها﴾، وقفها، من وقفها الله وأرسأها. وقوله: ﴿إن ربي لغفور رحيم﴾، يقول: إن ربي لسائر ذنوب من تاب وأناب إليه، رحيم بهم أن يعذبهم بعد التوبة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وهي تجري بهم﴾، والفلك تجري بنوح ومن معه فيها ﴿في موج كالجبال ونادى نوح ابنه﴾، يام ﴿وكان في معزل﴾، عنه، لم يركب معه الفلك: ﴿يا بني اركب معنا﴾، الفلك ﴿ولا تكن مع الكافرين﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَى جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال ابن نوح لما دعاه نوح إلى أن يركب معه السفينة خوفاً عليه من الغرق: ﴿ساوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ يقول: سأصير إلى جبل أنحصن به من الماء، فيمنعني منه أن يغرقني. ويعني بقوله: ﴿يعصمني﴾ يمنعني، مثل "عصام القربة"، الذي يشد به رأسها، فيمنع الماء أن يسيل منها. وقوله: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم﴾، يقول: لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك، إلا من رحمتنا فأنقذنا منه، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم. ف "من" في موضع رفع، لأن معنى الكلام: لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله. وقوله: ﴿وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾، يقول: وحال بين نوح وابنه موج الماء فغرق، فكان ممن أهلكه بالغرق من قوم نوح ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول الله تعالى ذكره: وقال الله للأرض بعد ما تنأهى أمره في هلاك قوم نوح بما أهلكهم به من الغرق: ﴿يا أرض ابلى ماءك﴾، أي: تشربي. ﴿ويا سماء أقلى﴾، يقول: أقلى عن المطر، أمسكي ﴿وغىض الماء﴾، ذهبت به الأرض ونشفت، ﴿وقضى الأمر﴾، يقول: قضى أمر الله، فمضى بهلاك قوم نوح ﴿واستوت على الجودي﴾، يعني الفلك "استوت": أرست "على الجودي"، وهو جبل، فيما ذكر بناحية الموصل أو الجزيرة، ﴿وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾، يقول: قال الله: أبعد الله القوم الظالمين الذين كفروا بالله من قوم نوح. كما جاء عن ابن جريج قال: كانت السفينة أعلاها للطير، ووسطها للناس، وفي أسفلها السباع، وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعاً، ودفعت من عين ورده يوم الجمعة لعشر ليالٍ مضين من رجب، وأرست على الجودي يوم عاشوراء، ومرت بالبيت فطافت به سبعاً، وقد رفعه الله من الغرق، ثم جاءت اليمن، ثم رجعت. وبنحو ما قلنا في تأويل قوله: ﴿وغىض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي﴾،

قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد: ﴿وغيض السماء﴾، قال: نقص ﴿وقضى الأمر﴾، قال: هلاك قوم نوح وجاء، عن ابن إسحاق قال: لما أراد الله أن يكف ذلك يعني الطوفان أرسل ريحاً على وجه الأرض، فسكن الماء، واستدّت ينابيع الأرض الغمر الأكبر، وأبواب السماء. يقول الله تعالى: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي﴾، إلى: ﴿بعداً للقوم الظالمين﴾، فجعل ينقص ويغيض ويُدبر. وكان استواء الفلك على الجودي، فيما يزعم أهل التوراة، في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، في أول يوم من الشهر العاشر، رئي رءوس الجبال. فلما مضى بعد ذلك أربعون يوماً، فتح نوح كوة الفلك التي صنع فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء، فلم يرجع إليه. فأرسل الحمامة، فرجعت إليه، ولم يجد لرجليها موضعاً، فبسط يده للحمامة، فأخذها. ثم مكث سبعة أيام، ثم أرسلها لتنظر له، فرجعت حين أمست، وفي فيها ورق زيتونة، فعلم نوح أن الماء قد قلّ عن وجه الأرض. ثم مكث سبعة أيام، ثم أرسلها فلم ترجع، فعلم نوح أن الأرض قد برزت، فلما كملت السنة فيما بين أن أرسل الله الطوفان إلى أن أرسل نوح الحمامة، ودخل يوم واحد من الشهر الأول من سنة اثنتين، برز وجه الأرض، فظهر اليبس، وكشف نوح غطاء الفلك، ورأى وجه الأرض. وفي الشهر الثاني من سنة اثنتين في سبع وعشرين ليلة منه قبل لنوح: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٩) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ونادى نوح ربه فقال: ربّ إنك وعدتني أن تنجيني من الغرق والهلاك وأهلي، وقد هلك ابني، وابني من أهلي ﴿وإن وعدك الحق﴾، الذي لا خلف له ﴿وأنت أحكم الحاكم﴾، بالحق، فاحكم لي بأن تفي بما وعدتني، من أن تنجي لي أهلي، وترجع إليّ ابني، كما جاء عن بن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢٠) قال أبو جعفر: يقول الله تعالى ذكره: قال الله يا نوح إن الذي غرقته فأهلكته الذي تذكر أنه من أهلك ليس من أهلك. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿ليس من أهلك﴾. قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدت أن أنجيهم، لأنه كان لديك مخالفاً، وبني كافراً وكان ابنه لأن الله تعالى ذكره قد أخبر نبيه محمداً ﷺ أنه ابنه فقال: ﴿ونادى نوح ابنه﴾، وغير جائز أن يخبر أنه ابنه فيكون بخلاف ما أخبر. وليس في قوله: ﴿إنه ليس من أهلك﴾، دلالة على أنه ليس بابنه، إذ كان قوله: ﴿ليس من أهلك﴾، محتملاً من المعنى ما ذكرنا، ومحتملاً أنه ليس من أهل دينك، ثم يحذف "الدين" فيقال: ﴿إنه ليس من أهلك﴾، كما قيل: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها﴾، [يوسف: ٨٢]. كما جاء عن ابن عباس المعنى: إن سؤالك إياي ما تسألني في أهلك من أهلك، الموالى أهل الشرك بي من النجاة من الهلاك، وقد مضت إجابتي إياك في دعائك: ﴿لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾، ما قد مضى من غير استثناء أحد منهم عمل غير صالح، لأنه مسألة منك إليّ أن لا أفعل ما قد تقدم مني القول بأني أفعله، في إجابتي مسألتك إياي فعله. فذلك هو العمل غير الصالح. وقوله: ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾، نهي من الله تعالى ذكره نبيه نوحاً أن يسأله أسباب أفعاله التي قد

طوى علمها عنه وعن غيره من البشر. يقول له تعالى ذكره: إني يا نوح قد أخبرتك عن سؤالك سبب إهلاك ابنك الذي أهلكته، فلا تسأل بعدها عما قد طويت علمه عنك من أسباب أفعالي، وليس لك به علم "إني أعظك أن تكون من الجاهلين" في مسألتك إياي عن ذلك. وكان ابن زيد يقول في قوله: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾، أن تبلغ الجهالة بك أن لا أفي لك بوعده وعدتك، حتى تسألني ما ليس لك به علم ﴿ولا تغفري وترحمي أكن من الخاسرين﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٧) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً نبيه محمداً ﷺ، عن إنابة نوح عليه السلام بالتوبة إليه من زلته، في مسأله التي سألها ربّه في ابنه: ﴿قال ربّ إني أعوذ بك﴾، أي: أستجير بك أن أتكلف مسألتك ما ليس لي به علم، مما قد استأثرت بعلمه، وطويت علمه عن خلقك، فاغفر لي زلتي في مسألتني إياك ما سألتك في ابني، وإن أنت لم تغفرها لي وترحمني فتقذني من غضبك ﴿أكن من الخاسرين﴾، يقول: من الذين غبنوا أنفسهم حظوظها وهلكوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمَّمْ سَمِيعَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٨) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا نوح، اهبط من الفلك إلى الأرض ﴿بسلا منّا﴾، يقول: بأمن منا أنت ومن معك من إهلاكنا ﴿وبركات عليك﴾، يقول: وبركات عليك ﴿وعلى أمة ممن معك﴾، يقول: وعلى قرون تجيء من ذرية من معك من ولدك. فهؤلاء المؤمنون من ذرية نوح الذين سبقت لهم من الله السعادة، وبارك عليهم قبل أن يخلقهم في بطون أمهاتهم وأصلاّب آبائهم. ثم أخبر تعالى ذكره نوحاً عما هو فاعل بأهل الشقاء من ذريته، فقال له: ﴿وأمة﴾، يقول: وقرون وجماعة ﴿سنمتهم﴾ في الحياة في الدنيا، يقول: نرزقهم فيها ما يتمتعون به إلى أن يبلغوا آجالهم ﴿ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾، يقول: ثم نذيقهم إذا وردوا علينا عذاباً مؤلماً موجعاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد والضحاك والحسن

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٩) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمداً ﷺ: هذه القصة التي أنبأتك بها من قصة نوح وخبره وخبر قومه ﴿من أنباء الغيب﴾، يقول: هي من أخبار الغيب التي لم تشهدها فتعلمها ﴿نوحياً إليك﴾، يقول: نوحياً إليك نحن، فنعرفكها ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾، الوحي الذي نوحيه إليك، ﴿فاصبر﴾، على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته، وما تلقى من مشركي قومك، كما صبر نوح ﴿إن العاقبة للمتقين﴾، يقول: إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله، فأدّى فرائضه، واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم في الآخرة، والظفر في الدنيا بالطلبة، كما كانت عاقبة نوح إذ صبر لأمر الله، أن نجّاه من الهلكة مع من آمن به، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة، وغرّق المكذبين به فأهلكهم جميعهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ (٣٠) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى قوم عاد أخاهم هوداً، فقال لهم: "يا قوم اعبدوا الله" وحده لا شريك له، دون ما تعبدون من دونه من الآلهة والأوثان. ﴿ما لكم إله

غيره، يقول: ليس لكم معبود يستحق العبادة عليكم غيره، فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالآلوهة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾، يقول: ما أنتم في إشراككم معه الآلهة والأوثان إلا أهل فرية مكذبون، تختلقون الباطل، لأنه لا إله سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٥١) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه: يا قوم لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من إخلاص العبادة لله وخلع الأوثان والبراءة منها، جزاءً وثواباً ﴿إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾، يقول: إن ثوابي وجزائي على نصيحتي لكم، ودعائكم إلى الله، إلا على الذي خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يقول: أفلا تعقلون أي لو كنت ابتغي بدعايتكم إلى الله غير النصيحة لكم، وطلب الحظ لكم في الدنيا والآخرة، لالتمست منكم على ذلك بعض أعراض الدنيا، وطلبت منكم الأجر والثواب؟ كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ (٥٢) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾، يقول: آمنوا به حتى يغفر لكم ذنوبكم. والاستغفار: هو الإيمان بالله في هذا الموضع، لأن هوداً عليه السلام إنما دعا قومه إلى توحيد الله ليغفر لهم ذنوبهم، كما قال نوح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [نوح: ٣: ٤] وقوله: ﴿ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ﴾، يقول: ثم توبوا إلى الله من سالف ذنوبكم وعبادتكم غيره بعد الإيمان به ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾، يقول: فإنكم إن آمنتم بالله وتبتم من كفركم به، أرسل قطر السماء عليكم يدر لكم الغيث في وقت حاجتكم إليه، وتحياً بلادكم من الجذب والقحط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وابن زيد وأما قوله: ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾، فإن مجاهدًا كان يقول في ذلك: ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾، قال: شدة إلى شدتكم و، قال ابن زيد في قوله: ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾، قال: جعل لهم قوة، فلو أنهم أطاعوه زادهم قوة إلى قوتهم. وذكر لنا أنه إنما قيل لهم: ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾، قال: إنه قد كان انقطع النسل عنهم سنين، فقال هود لهم: إن آمنتم بالله أحيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد، لأن ذلك من القوة. وقوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾، يقول: ولا تدبروا عما أدعوكم إليه من توحيد الله، والبراءة من الأوثان والأصنام مجرمين، يعني: كافرين بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال قوم هود لهود، يا هود ما أتيتنا ببيان ولا برهان على ما تقول، فنسلم لك، ونقر بأنك صادق فيما تدعونا إليه من توحيد الله والإقرار بنبوتك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾، يقول: وما نحن بتاركي آلِهَتِنَا، يعني: لقولك: أو من أجل قولك. ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾، يقول: قالوا: وما نحن لك بما تدعي من النبوة والرسالة من الله إلينا بمصدقين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِي (٥٥) قال أبو جعفر: وهذا خبر من الله تعالى ذكره، عن قول قوم هود: أنهم قالوا له، إذ نصح لهم ودعاهم إلى توحيد الله وتصديقه، وخلع

الأوثان والبراءة منها: لا نترك عبادة آلهتنا، وما نقول إلا أن الذي حملك على ذمها والنهي عن عبادتها، أنه أصابك منها خبَلٌ من جنون. فقال هود لهم: إني أشهد الله على نفسي وأشهدكم أيضًا أيها القوم، أني بريء مما تشركون في عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم من دونه ﴿فكيدوني جميعاً﴾، يقول: فاحتملوا أنتم جميعاً وآلهتكم في ضري ومكروهي ﴿ثم لا تنظرون﴾، يقول: ثم لا تؤخرون ذلك، فانظروا هل تنالوني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقنادة وغيرهما

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ قال أبو جعفر: يقول: إني على الله الذي هو مالكي ومالككم، والقيّم على جميع خلقه، توكلت من أن تصيبوني، أنتم وغيركم من الخلق بسوء، فإنه ليس من شيء يدب على الأرض، إلا والله مالكة، وهو في قبضته وسلطانه. ذليلٌ له خاضعٌ. وقوله: ﴿إِن رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، يقول: إن ربي على طريق الحق، يجازي المحسن من خلقه بإحسانه والمسيء بإساءته، لا يظلم أحداً منهم شيئاً ولا يقبل منهم إلا الإسلام والإيمان به، كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ ﴿٥٧﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هود لقومه: ﴿فإن تولوا﴾، يقول: فإن أدبروا معرضين عما أدعوهم إليه من توحيد الله وترك عبادة الأوثان ﴿فقد أبلغتكم﴾ أيها القوم ﴿ما أرسلت به إليكم﴾، وما على الرسول إلا البلاغ ﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾، يهلككم ربي، ثم يستبدل ربي منكم قوماً غيركم، يوحدونه ويخلصون له العبادة ﴿ولا تضرونه شيئاً﴾، يقول: ولا تقدرّون له على ضررٍ إذا أراد إهلاككم أو أهلككم. ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾، يقول: إن ربي على جميع خلقه ذو حفظ وعلم. يقول: هو الذي يحفظني من أن تنالوني بسوء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْنُ حُجُوتًا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَحْنُ أَنفُكُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما جاء قوم هود عذابنا، نجينا منه هوداً والذين آمنوا بالله معه ﴿برحمة منا﴾، يعني: بفضل منه عليهم ونعمة ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾، يقول: نجيناهم أيضًا من عذاب غليظ يوم القيامة، كما نجيناهم في الدنيا من السخطة التي أنزلتها بعادٍ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٥٩﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وهؤلاء الذين أحللنا بهم نقمنا وعذابنا، عادٌ، جحدوا بأدلة الله وحججه، وعصوا رسله الذين أرسلهم إليهم للدعاء إلى توحيدهم واتباع أمره ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾، يعني: كل مستكبر على الله، حائد عن الحق، لا يُدعن له ولا يقبله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدُ لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾ ﴿٦٠﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأتبع عاد قوم هود في هذه الدنيا غضباً من الله وسخطة يوم القيامة، مثلها، لعنة إلى اللعنة التي سلفت لهم من الله في الدنيا ﴿ألا إن عادًا كفروا ربهم ألا بَعْدُ لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾، يقول: أبعدهم الله من الخير. وقيل إن معنى: ﴿كفروا ربهم﴾، كفروا نعمة

رهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْيَاقُوتُ أَخَاهُمُ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا، فقال لهم: يا قوم، اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة، ولا تجوز الآلهة إلا له ﴿هو أنشأكم من الأرض﴾، يقول: هو ابتداء خلقكم من الأرض. وإنما قال ذلك لأنه خلق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم، إذ كان ذلك فعله بمن هم منه. ﴿واستعمركم فيها﴾، يقول: وجعلكم عمارة فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فاستغفروه﴾، يقول: اعملوا عملا يكون سببًا لستر الله عليكم ذنوبكم، وذلك الإيمان به، وإخلاص العبادة له دون ما سواه، واتباع رسوله صالح ﴿ثم توبوا إليه﴾، يقول: ثم اتركوا من الأعمال ما يكرهه ربكم، إلى ما يرضاه ويحبه ﴿إن ربِّي قريب مجيب﴾، يقول: إن ربِّي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لصالح نبيهم: ﴿يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا﴾، أي كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا قبل هذا القول الذي قلته لنا، من أنه مالنا من إله غير الله ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آبائنا﴾، يقول: أتنهانا أن نعبد الآلهة التي كانت آبائنا تعبدونها ﴿وإننا لفي شك مما تدعوننا إليه﴾، يعنون أنهم لا يعلمون صحة ما يدعوههم إليه من توحيد الله، وأن الآلهة لا تكون إلا له خالصًا. وقوله: ﴿مرِيبٌ﴾، أي يوجب التهمة، من "أرْبته فأنا أريبه إرابة"، إذا فعلت به فعلا يوجب له الريبة،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه من ثمود: ﴿يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربِّي﴾، يقول: إن كنت على برهان وبيان من الله قد علمته وأيقنته ﴿وآتاني منه رحمة﴾، يقول: وآتاني منه النبوة والحكمة والإسلام ﴿فمن ينصرني من الله إن عصيته﴾، يقول: فمن الذي يدفع عني عقابه إذا عاقبني إن أنا عصيته، فيخلصني منه ﴿فما تزدونني﴾، بعذرهم الذي تعتذرون به، من أنكم تعبدون ما كان يعبد آبائكم، ﴿غير تخسير﴾، لكم يخسرهم حظوظكم من رحمة الله، كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل صالح لقومه من ثمود، إذ قالوا له: ﴿وإننا لفي شك مما تدعوننا إليه﴾، وسألوه الآية على ما دعاهم إليه: ﴿يا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾، يقول: حجة وعلامة، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه ﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾، فليس عليكم رزقها ولا مئوتتها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾، يقول: لا تقتلوه ولا تتالوها بعقر ﴿فياخذكم عذاب قريب﴾، يقول: فإنكم إن تمسوها بسوء يأخذكم عذاب من الله غير بعيد فيهلككم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فعقرت ثمود ناقة الله وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره، استغناءً بدلالة الظاهر عليه، وهو: "فكذبوه" "فعقروها" فقال لهم صالح: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾، يقول: استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾، يقول: هذا الأجل الذي أجلتكم، وعد من الله، وعدكم بانقضائه الهلاك ونزول العذاب بكم ﴿غير مكذوب﴾، يقول: لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾، وذكر لنا أن صالحاً حين أخبرهم أن العذاب أتاهم لبسوا الأنطاع والأكسية، وقيل لهم: إن آية ذلك أن تصفر ألوانكم أول يوم، ثم تحمر في اليوم الثاني، ثم تسود في اليوم الثالث. وذكر لنا أنهم لما عقروا الناقة ندموا، وقالوا: "عليكم الفصيل"؟ فصعد الفصيل القارة والقارة الجبل حتى إذا كان اليوم الثالث، استقبل القبلة، وقال: "يا رب أمي، يا رب أمي"، ثلاثاً. قال: فأرسلت الصيحة عند ذلك. وكان ابن عباس يقول: لو صعدتم القارة لرأيتم عظام الفصيل. وكانت منازل ثمود بحجر بين الشام والمدينة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَحْيَيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما جاء ثمود عذابنا نجينا صالحاً والذين آمنوا به معه برحمة منا، يقول: بنعمة وفضل من الله ﴿ومن خزي يومئذ﴾، يقول: ونجيناهم من هوان ذلك اليوم، وذلك بذلك العذاب ﴿إن ربك هو القوي﴾، في بطشه إذا بطش بشيء أهلكه، كما أهلك ثمود حين بطش بها "العزیز"، فلا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، بل يغلب كل شيء ويقهره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال ابن جريج: لما قال لهم صالح: "إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه"، قالوا: فكيف تأمرنا؟ قال: أمركم بقتلهم! فقتلوهم إلا واحداً. قال: فلما بلغ ذلك المولود، قالوا: لو كنا لم نقتل أولادنا، لكان لكل رجل منا مثل هذا، هذا عمل صالح! فأتَمروا بينهم بقتله، وقالوا: نخرج مسافرين والناس يروننا علانية، ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا، فنرصده عند مصلاه فنقتله، فلا يحسب الناس إلا أننا مسافرون، كما نحن! فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه، فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم، فأصبحوا رَضَخًا. فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم، فإذا هم رَضَخٌ، فرجعوا يصيحون في القرية: أي عباد الله، أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم؟! فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون، وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر. ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله ﷺ قال: وأرادوا أن يمكروا بصالح، فمشوا حتى أتوا على سَرَبٍ على طريق صالح، فاختبأ فيه ثمانية، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه وأتيناهم! فأمَرَ الله الأرض فاستوت عنهم. قال: فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهي على حَوْضِها قائمة، فقال الشقي لأحدهم: اتتها فاعقروها! فأتاها، فتعاطم ذلك، فأضرب عن ذلك، فبعث آخر فأعظم ذلك. فجعل لا يبعث رجلاً إلا تعاطمه أمرها، حتى مشوا إليها، وتناول فضرب عرقوبيها، فوقعت تركض، وأتى رجل منهم صالحاً فقال: "أدرك الناقة فقد عمرت!" فأقبل، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه: "يا نبي الله، إنما عقرها فلان، إنه لا ذنب لنا!" قال: فانظروا هل تدركون فصيلها؟، فإن أدركتموه، فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب!

فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصل أمه تضطرب، أتى جبلا يقال له "القارة" قصيرا، فصعد وذهبوا ليأخذوه، فأوحى الله إلى الجبل، فطال في السماء حتى ما تناله الطير. قال: ودخل صالح القرية، فلما رآه الفصل بكى حتى سألت دموعه، ثم استقبل صالحا فرغا رغوّة، ثم رغا أخرى، ثم رغا أخرى، فقال صالح لقومه: لكل رغوّة أجل يوم، «تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب»، ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة! فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق، صغيروهم وكببرهم، ذكرهم وأنثاهم. فلما أمسوا أصبحوا بأجمعهم: "ألا قد مضى يوم من الأجل، وحضركم العذاب"! فلما أصبحوا اليوم. الثاني إذا وجوههم محمرة، كأنها خضبت بالدماء، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا آية العذاب، فلما أمسوا أصبحوا بأجمعهم: "ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب"! فلما أصبحوا اليوم الثالث، فإذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار، فصاحوا جميعا: "ألا قد حضركم العذاب"! فتكفّنوا وتحنطوا، وكان حنوطهم الصبر والمقر، وكانت أكفانهم الأنطاع، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم، فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة، فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض، جشعا وفرقا. فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء له صوت في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم، فأصبحوا في دارهم جاثمين. قال ابن جريج، وأخبرني موسى بن عقبة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر: أن النبي ﷺ حين أتى على قرية ثمود قال: لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم ما أصابهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۖ كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لَثَمُودَ ۖ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأصاب الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله من عقر ناقه الله وكفرهم به «الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين»، قد جثمتهم المنايا، وتركتهم خمودا بأفئيتهم، كما جاء عن قتادة «كان لم يغنوا فيها»، يقول: كأن لم يعيشوا فيها، ولم يعمرها بها، كما جاء عن ابن عباس وقتادة وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهد فأغنى ذلك عن إعادته. وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾، يقول: ألا إن ثمود كفروا بآيات ربهم فجحدها ﴿أَلَا بُعْدًا لَثَمُودَ﴾، يقول: ألا أبعد الله ثمود! لنزول العذاب بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۚ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: «ولقد جاءت رسلنا، من الملائكة وهم فيما ذكر، كانوا جبريل وملكين آخرين. وقيل: إن الملكين الآخرين كان ميكائيل وإسرافيل معه إبراهيم»، يعني: إبراهيم خليل الله «بالبشرى»، يعني: بالبشارة. واختلفوا في تلك البشارة التي أتوه بها. فقال بعضهم: هي البشارة بإسحاق. وقال بعضهم: هي البشارة بهلاك قوم لوط. «قالوا سلاما»، يقول: فسلموا عليه سلاما. وقوله: ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾. فإن أهل التأويل، فإنهم قالوا في معناه ما جاء ابن عباس قوله: «بعجل حنيد»، يقول: نصيح وجاء ذلك عن الضحاك وقتادة وغيرهم

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ۖ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به، والطعام الذي قدم إليهم، نكرهم، وذلك أنه لما قدم طعامه ﷺ إليهم، فيما ذكر، كفوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله. وكان إمساكهم عن أكله، عند إبراهيم، وهم ضيقانهم مستنكرًا. ولم تكن بينهم معرفة، وراعه أمرهم، وأوجس في نفسه منهم خيفة. وكان قتادة يقول: ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة﴾، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدث نفسه بشر. وجاء عن جندب بن سفيان قال: لما دخل ضيف إبراهيم ﷺ، قرب إليهم العجل، فجعلوا يكتئون بقдах في أيديهم من نبل، ولا تصل أيديهم إليه، نكرهم عند ذلك. وقوله: ﴿وأوجس منهم خيفة﴾، يقول: احس في نفسه منهم خيفة وأضمرها. ﴿قالوا لا تخف﴾، يقول: قالت الملائكة، لما رأت ما بإبراهيم من الخوف منهم: لا تخف منا وكن آمنًا، فإننا ملائكة ربك ﴿أرسلنا إلى قوم لوط﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وأمراؤه﴾، سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن راعو بن فالغ، وهي ابنة عم إبراهيم ﴿قائمة﴾، قيل: كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام إبراهيم ﷺ. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل، وإبراهيم جالس مع الرسل. وقوله: ﴿فضحكت﴾، اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿فضحكت﴾، وفي السبب الذي من أجله ضحكت. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قول من قال: معنى قوله: "فضحكت" فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۖ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فبشرنا سارة امرأة إبراهيم ثوابًا منا لها على نكيرها وعجبها من فعل قوم لوط ﴿يسحاق﴾، ولدًا لها ﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾، يقول: ومن خلف إسحاق يعقوب، من ابنها إسحاق. و"الوراء" في كلام العرب، ولد الولد، وكذلك تأوله أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وابن اسحاق وغيرهما

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۖ﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۖ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق أنها تلد تعجبًا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء وقيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة. وقد ذكرت الرواية فيما روي في ذلك عن مجاهد قبل. وأما ابن إسحاق، فإنه قال: كانت سارة يوم بُشِّرَتْ بإسحاق، فيما ذكر لي بعض أهل العلم، ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومائة سنة. ﴿يا ويلتا﴾ وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء والاستنكار للشيء، فيقولون عند التعجب: "ويل أمه رجلا ما أرجله"! وقوله: ﴿ألد وأنا عجوز﴾، تقول: أنى يكون لي ولد ﴿وأنا عجوز وهذا بعلي شيخًا﴾، والبعل في هذا الموضع: الزوج، وسمي بذلك لأنه قيم أمرها، كما سموا مالك الشيء "بعله"، وكما قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء

الأنهار والعيون "البعل"، لأن مالك الشيء القيم به، والنخل البعل، بماء السماء حياته. وقوله ﴿إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾، يقول: إن كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشيء عجيب ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، يقول الله تعالى ذكره: قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر الله به أن يكون، وقضاء قضاه الله فيك وفي بعلك. وقوله: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ الْبَيْتُ﴾، يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم وجعلت الألف واللام خلفاً من الإضافة وقوله: ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ﴾، يقول: إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه ﴿مُجِيدٌ﴾، يقول: ذو مجد ومدح وثناء كريم. يقال في "فعل" منه: "مجد الرجل يمجده مجادة" إذا صار كذلك، وإذا أردت أنك مدحته قلت: "مجدته تمجيداً".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (٧١) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٢﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما ذهب عن إبراهيم الخوف الذي أوجسه في نفسه من رسلنا، حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامه، وأمن أن يكون قصد في نفسه وأهله بسوء ﴿وجاءته البشرى﴾، بإسحاق، ظل ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن اسحاق وقد قيل معنى ذلك: وجاءته البشرى أنهم ليسوا إياه يريدون. وأما "الروع" فهو الخوف، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة وقوله: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾، يقول: يخاصمنا. كما جاء عن مجاهد وكان جداله إِيَّاهُمْ، كما جاء عن سعيد: ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾، قال: لما جاء جبريل ومن معه قالوا لإبراهيم: إِنَّا مهلكو أهل هذه القرية إِن أهلها كانوا ظالمين: قال لهم إبراهيم: أتهلكون قرية فيها أربع مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها ثلاث مائة مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا! قال: أفتهلكون قرية فيها أربع مائة مؤمن؟ قالوا: لا! وكان إبراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط، فسكت عنهم واطمأنت نفسه. وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾، يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم لبطيء الغضب، متذلل لربه خاشع له، منقاد لأمره ﴿منيب﴾، رجَّاع إلى طاعته، كما جاء عن مجاهد وقد بينا معنى "الأواه" فيما مضى، باختلاف المختلفين، والشواهد على الصحيح منه عندنا من القول، بما أغنى عن إعادته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (٧٣) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول رسله لإبراهيم: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، وذلك قيلهم له حين جادلهم في قوم لوط، فقالوا: دع عنك الجدال في أمرهم والخصومة فيه فإنه ﴿قد جاء أمر ربك﴾ يقول: قد جاء أمر ربك بعدابهم. وحقَّ عليهم كلمة العذاب، ومضى فيهم بهلاكهم القضاء ﴿وإنهم آتِيهم عذاب غير مردود﴾، يقول: وإن قوم لوط، نازل بهم عذابٌ من الله غير مدفوع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٧٤) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما جاءت ملائكتنا لوطاً، ساءه مجيئهم وهو "فعل" من "السوء" ﴿وضاق بهم﴾، بمجيئهم ﴿ذَرْعًا﴾، يقول: وضاق نفسه غما بمجيئهم. وذلك أنه لم يكن يعلم أنهم رسل الله في حال ما ساءه مجيئهم، وعلم من قومه ما هم عليه من إتيانهم الفاحشة، وخاف

عليهم، فضاق من أجل ذلك بمجيئهم ذرعاً، وعلم أنه سيحتاج إلى المدفعة عن أضيافه، ولذلك قال: ﴿هذا يوم عصيب﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل عن قتادة، عن حذيفة أنه قال: لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها، وقد قيل لهم، والله أعلم: لا تهلكوهم حتى يشهد لوط. قال: فأتوه فقالوا: إنا مُضَيِّقُونَكَ الليلة، فانطلق بهم، فلما مضى ساعة التفت فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أناساً أخبث منهم! قال: فمضى معهم. ثم قال الثانية مثل ما قال، فانطلق بهم. فلما بصرت بهم عجزوا السوء امرأته، انطلقت فأنذرتهم وأما قوله: ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾، فإنه يقول: وقال لوط: هذا اليوم يوم شديد شره، عظيم بلاؤه، يقال منه: عصب يومنا هذا يعصب عصباً، ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وجاء لوطاً قومه يستحثون إليه، يُرْعِدُونَ مع سرعة المشي، مما بهم من طلب الفاحشة. يقال: "أهرع الرجل"، من برد أو غضب أو حمى، إذا أرعد، "وهو مُهرع"، إذا كان مُعجلاً حريصاً، كما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد والسدي وقوله: ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾، يقول: من قبل مجيئهم إلى لوط، كانوا يأتون الرجال في أدبارهم كما جاء عن بن جريج وقوله: ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي﴾، يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه لما جاؤوه يراودونه عن ضيفه: هؤلاء يا قوم بناتي يعني نساء أمته فانكحوهن فهن أطهر لكم كما جاء عن قتادة ومجاهد وقوله: ﴿فاتقوا الله ولا تحزروا في ضيفي﴾، يقول: فاحشوا الله، أيها الناس، واحذروا عقابه، في إتيانكم الفاحشة التي تأتونها وتطلبونها ﴿ولا تحزروا في ضيفي﴾، يقول: ولا تذلفوني بأن تركبوا مني في ضيفي ما يكرهون أن تركبوه منهم. وقوله: ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾، يقول: أليس منكم رجل ذو رُشد، ينهى من أراد ركوب الفاحشة من ضيفي، فيحول بينهم وبين ذلك؟ كما جاء عن ابن اسحاق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط لوط: ﴿لقد علمت﴾، يا لوط ﴿ما لنا في بناتك من حق﴾، لأنهن كسُنَّ لنا أزواجاً، كما جاء عن ابن اسحاق وقوله: ﴿وإنك لتعلم ما نريد﴾، يقول: قالوا: وإنك يا لوط لتعلم أن حاجتنا في غير بناتك، وأن الذي نريد هو ما تنهانا عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كـ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه حين أبوا إلا المضي لما قد جاؤوا له من طلب الفاحشة، وأيس من أن يستجيبوا له إلى شيء مما عرض عليهم: ﴿لو أن لي بكم قوة﴾، بأنصار تنصرنى عليكم وأعوان تعينني ﴿أو آوى إلى ركن شديد﴾، يقول: أو أنضم إلى عشيرة مانعة تمنعني منكم، لحلت بينكم وبين ما جئتم تريدونه مني في أضيافي وحذف جواب "لو" لدلالة الكلام عليه، وأن معناه مفهوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقاتدة وغيرهما وجاء عن

أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: رحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد. يقال: من آوى إلى ركن شديد، "أويت إليك"، فأنا آوي إليك أويتاً، بمعنى: صرت إليك وانضممت، وقيل: إن لوطاً لما قال هذه المقالة، وجدّ الرسل عليه لذلك. كما جاء عن وهب بن منبه: قال لوط: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد﴾، فوجد عليه الرسل وقالوا: إن ركنك لشديد!

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (١١) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة للوط، لما قال لوط لقومه ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد﴾، ورأوا ما لقي من الكرب بسببهم منهم: ﴿يا لوط إنا رسل ربك﴾، أرسلنا لإهلاكهم، وإنهم لن يصلوا إليك وإلى ضيفك بمكرهه، فهو عليك الأمر ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾، يقول: فاخرج من بين أظهرهم أنت وأهلك ببقية من الليل. وأما قوله: ﴿إلا أمرأتك﴾، فإن عامة القراء من الحجاز والكوفة، وبعض أهل البصرة، قرأوا بالنصب ﴿إلا أَمْرَاتَكَ﴾، بتأويل: فأسر بأهلك إلا أَمْرَاتَكَ، وعلى أن لوطاً أمر أن يسري بأهله سوى زوجته، فإنه نهي أن يسري بها، وأمر بتخليفها مع قومها. وقوله: ﴿إنه مصيبها ما أصابهم﴾، يقول: إنه مصيب أَمْرَاتَكَ ما أصاب قومك من العذاب ﴿إن موعدهم الصبح﴾، يقول: إن موعد قومك الهلاك الصبح. فاستبطأ ذلك منهم لوط وقال لهم: بلى عجّلوا لهم الهلاك! فقالوا: ﴿أليس الصبح بقريب﴾ أي عند الصبح نزول العذاب بهم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد، قال: فمضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط، فلما أتوا لوطاً، وكان من أمرهم ما ذكر الله، قال جبريل للوط: يا لوط، إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين، فقال لهم لوط: أهلكوهم الساعة! فقال له جبريل ﷺ: ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾؟ فأنزلت على لوط: ﴿أليس الصبح بقريب﴾، قال: فأمره أن يسري بأهله بقطع من الليل، ولا يلتفت منهم أحد إلا أَمْرَاتَهُ، قال: فسار، فلما كانت الساعة التي أهلكوا فيها، أدخل جبريل جناحه فرفعها، حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، فجعل عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل. قال: وسمعت امرأة لوط الهدة، فقالت: واقوما! فأدركها حجر فقتلها. وجاء عن قتادة، عن حذيفة قال: لما بصرت بهم يعني بالرسول عجزو السوء أمراته، انطلقت فأنذرتهم، فقالت: قد تضيّف لوطاً قوم، ما رأيت قومًا أحسن وجوهاً! قال: ولا أعلمه إلا قالت: ولا أشد بياضاً وأطيب ريحاً! قال: فأتوه يهرعون إليه، كما قال الله، فأصفق لوط الباب. قال: فجعلوا يعالجونه. قال: فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم، فأذن له، فصفقهم بجناحه، فتركهم عمياناً يترددون في أخبث ليلة أتت عليهم قط. فأخبروه: ﴿إنا رسل ربك فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾، قال: ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته، ثم سمعت الصوت، فالتفت، وأرسل الله عليها حجراً فأهلكها. وقوله: ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾، فأراد نبي الله ما هو أعجل من ذلك، فقالوا: ﴿أليس الصبح بقريب﴾؟ وجاء عن قتادة، عن حذيفة، دخل حديث بعضهم في بعض قال: كان إبراهيم ﷺ يأتيهم فيقول: ويحكم أنهاركم عن الله أن تعرّضوا لعقوبته! فلم يطيعوا، حتى إذا بلغ الكتاب أجله، لمحل عذابهم وسطوات الربّ بهم. قال: فانتهت الملائكة إلى لوط وهو يعمل في أرض له، فدعاهم إلى الضيافة، فقالوا: إنا مُضَيِّقوك الليلة! وكان الله تعالى عهد

إلى جبريل عليه السلام أن لا يُعَذِّبَهُمْ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ لَوْطُ ثَلَاثَ شَهَادَاتٍ. فَلَمَّا تَوَجَّهَ بِهِمْ لَوْطُ إِلَى الضِّيَافَةِ، ذَكَرَ مَا يَعْمَلُ قَوْمُهُ مِنَ الشَّرِّ وَالِدَوَاهِي الْعِظَامِ، فَمَشَى مَعَهُمْ سَاعَةً، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ مَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَرًّا مِنْهُمْ! أَيْنَ أَذْهَبَ بِكُمْ؟ إِلَى قَوْمِي وَهُمْ شَرُّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ! فَالْتَفَتَ جَبْرِيلُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ: احْفَظُوا هَذِهِ وَاحِدَةً! ثُمَّ مَشَى سَاعَةً، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْقَرْيَةَ وَأَشْفَقَ عَلَيْهِمْ وَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ، قَالَ: أَمَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ وَمَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَرًّا مِنْهُمْ، إِنْ قَوْمِي شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ! فَالْتَفَتَ جَبْرِيلُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ: احْفَظُوا، هَاتَانِ ثَنَتَانِ! فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَابِ الدَّارِ بِكَى حَيَاءً مِنْهُمْ وَشَفَقَةً عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: إِنْ قَوْمِي شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ، أَمَا تَعْلَمُونَ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ؟ مَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَهْلَ قَرْيَةٍ شَرًّا مِنْهُمْ! فَقَالَ جَبْرِيلُ لِلْمَلَائِكَةِ: احْفَظُوا هَذِهِ ثَلَاثًا، قَدْ حَقَّ الْعَذَابُ! فَلَمَّا دَخَلُوا ذَهَبَتْ عَجُوزُهُ، عَجُوزُ السَّوْءِ، فَصَعِدَتْ فَلَوْحَتْ بِثَوْبِهَا، فَأَتَاهَا الْفَسَاقُ يَهْرَعُونَ سَرْعًا، قَالُوا: مَا عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: ضَيْفٌ لَوْطًا اللَّيْلَةَ قَوْمٌ مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ وَجُوهًا مِنْهُمْ وَلَا أَطْيَبَ رِيحًا مِنْهُمْ! فَهَرَّعُوا يَسَارِعُونَ إِلَى الْبَابِ، فَعَاجَلَهُمْ لَوْطُ عَلَى الْبَابِ، فَدَافَعُوهُ طَوِيلًا هُوَ دَاخِلٌ وَهُمْ خَارِجٌ، يَنَاشِدُهُمُ اللَّهُ وَيَقُولُ: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾، فَقَامَ الْمَلِكُ فَلَزَّ الْبَابَ يَقُولُ: فَسَدَّهْ وَاسْتَأْذِنْ جَبْرِيلُ فِي عَقُوبَتِهِمْ، فَأَذَّنَ اللَّهُ لَهُ، فَقَامَ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا فِي السَّمَاءِ، فَنَشَرَ جَنَاحَهُ، وَلَجَبْرِيلُ جَنَاحَانِ، وَعَلَيْهِ وَشَاحٌ مِنْ دَرِّ مَنْظُومٍ، وَهُوَ بَرَقَ الثَّنَائِيَا أَجْلَى الْجَبِينِ، وَرَأْسُهُ حُبْكٌ، مِثْلُ الْمَرْجَانِ، وَهُوَ اللَّوْلُؤُ، كَأَنَّهُ الثَّلْجُ، وَقَدَمَاهُ إِلَى الْخَضِرَةِ فَقَالَ: يَا لَوْطُ، ﴿إِنَّا رَسَلْنَا رِبْكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾، أَمِطْ، يَا لَوْطُ، مِنَ الْبَابِ وَدَعْنِي وَإِيَاهُمْ. فَتَنَحَّى لَوْطُ عَنِ الْبَابِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَنَشَرَ جَنَاحَهُ، فَضْرَبَ بِهِ وَجُوهَهُمْ ضَرْبَةً شَدَخَ أَعْيُنَهُمْ، فَصَارُوا عَمِيًّا لَا يَعْرِفُونَ الطَّرِيقَ وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى بَيْتِهِمْ. ثُمَّ أَمَرَ لَوْطًا فَاحْتَمَلَ بِأَهْلِهِ مِنْ لَيْلَتِهِ، قَالَ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾. ﴿وَاتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ﴾، يَقُولُ: وَاتَّبِعْ أَذْبَارَ أَهْلِكَ ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [الحجر: ٦٥]. وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾، قَالَ: لَا يَنْظُرُ وَرَاءَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ [٣٤] مَسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ [٣٥] قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بِالْعَذَابِ وَقَضَاؤُنَا فِيهِمْ بِالْهَلَاكِ، ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ يَعْنِي عَلَيَّ قَرِيَّتِهِمْ ﴿سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾، يَقُولُ: وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهَا ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى "سِجِّيلٍ". قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا قَالَهُ الْمَفْسُورُونَ، وَهُوَ أَنَّهَا حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ، وَبِذَلِكَ وَصَفَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي مَوْضِعٍ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مَسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٣، ٣٤] وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَنْضُودٍ﴾: الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ مَا قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَنْضُودٍ﴾ مِنْ نَعْتِ "سِجِّيلٍ"، لَا مِنْ نَعْتِ "الْحِجَارَةِ"، وَإِنَّمَا أَمَطَرَ الْقَوْمَ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ، صِفَةُ ذَلِكَ الطِّينِ أَنَّهُ نُضِدَ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، فَصُبِّرَ حِجَارَةً، وَلَمْ يُمَطَّرُوا الطِّينَ، فَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِأَنَّهُ تَتَابَعَ عَلَى الْقَوْمِ بِمَجِيئِهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَسُومَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾، فَإِنَّهُ يَقُولُ: مَعْلَمَةٌ عِنْدَ اللَّهِ، أَعْلَمَهَا اللَّهُ، وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ﴾، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ مُتَهَدِّدًا مُشْرِكِي قَرِيشٍ: وَمَا هَذِهِ الْحِجَارَةُ الَّتِي أَمَطَرْتَهَا عَلَى

قوم لوط، من مشركي قومك، يا محمد، بعيد أن يمطروها، إن لم يتوبوا من شركهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وجاء عن قتادة قال، بلغنا أن جبريل عليه السلام لما أصبح نشر جناحه، فانتسف به أرضهم بما فيها من قصورها ودوابها وحجارتها وشجرها، وجميع ما فيها، فضمها في جناحه، فحواها وطواها في جوف جناحه، ثم صعد بها إلى السماء الدنيا، حتى سمع سكان السماء أصوات الناس والكلاب، وكانوا أربعة آلاف ألف، ثم قلبها فأرسلها إلى الأرض منكوسة، دمدَم بعضها على بعض، فجعل عاليها سافلها، ثم أتبعها حجارة من سجيل

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ولد مدين أخاهم شعيبًا، فلما أتاهم قال: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، يقول: أطيعوه، وتذلوا له بالطاعة لما أمركم به ونهاكم عنه ﴿ما لكم من إله غيره﴾، يقول: ما لكم من معبود سواه يستحق عليكم العبادة غيره ﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وميزانكم ﴿إني أراكم بخير﴾. واختلف أهل التأويل في "الخير" الذي أخبر الله عن شعيب أنه قال لمدين إنه يراهم به. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما أخبر الله عن شعيب أنه قال لقومه، وذلك قوله: ﴿إني أراكم بخير﴾، يعني بخير الدنيا. وقد يدخل في خير الدنيا، المال وزينة الحياة الدنيا، ورخص السعر ولا دلالة على أنه عنى بقبيله ذلك بعض خيرات الدنيا دون بعض، فذلك على كل معاني خيرات الدنيا التي ذكر أهل العلم أنهم كانوا أوتوها. وإنما قال ذلك شعيب، لأن قومه كانوا في سعة من عيشهم ورخص من أسعارهم، كثيرة أموالهم، فقال لهم: لا تنقصوا الناس حقوقهم في مكيالكم وموازينكم، فقد وسَّع الله عليكم رزقكم، ﴿وإني أخاف عليكم﴾، بمخالفتكم أمر الله، وبخسكم الناس أموالهم في مكيالكم وموازينكم ﴿عذاب يوم محيط﴾، يقول: أن ينزل بكم عذاب يوم محيط بكم عذابه. فجعل "المحيط" نعتًا لليوم، وهو من نعت "العذاب"، إذ كان مفهومًا معناه، وكان العذاب في اليوم، فصار كقولهم: "بعض جُبَّتْك محرقة".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل شعيب لقومه: أوفوا الناس الكيل والميزان "بالقسط"، يقول: بالعدل، وذلك بأن توفوا أهل الحقوق التي هي مما يكال أو يوزن حقوقهم، على ما وجب لهم من التمام، بغير بخس ولا نقص. وقوله: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾، يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم التي يجب عليكم أن توفوهم كيلا أو وزنًا أو غير ذلك، وقوله: ﴿ولا تعتوا في الأرض مفسدين﴾، يقول: ولا تسيروا في الأرض تعملون فيها بمعاصي الله، كما جاء عن قتادة والضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿بقية الله خير لكم﴾، ما أبقاها الله لكم، بعد أن توفوا الناس حقوقهم بالمكيال والميزان بالقسط، فأحلَّه لكم، خير لكم من الذي يبقى لكم ببخسكم الناس من حقوقهم بالمكيال والميزان ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، يقول: إن كنتم مصدِّقين بوعد الله ووعيده، وحلاله

وحرامه. وهذا قولٌ روي عن ابن عباس بإسنادٍ غير مرتضى عند أهل النقل. وقد اختلف أهل التأويل في ذلك. قال أبو جعفر: وإنما اخترت في تأويل ذلك القول الذي اخترته، لأن الله تعالى ذكره إنما تقدم إليهم بالنهي عن بَخْسِ الناس أشياءهم في المكيال والميزان، وإلى ترك التطفيف في الكيل والبخس في الميزان دعاهم شعيب، فتعقيب ذلك بالخبر عما لهم من الحظ في الوفاء في الدنيا والآخرة، أولى مع أن قوله: ﴿بَقِيَّةٌ﴾، إنما هي مصدر من قول القائل "بقيت بقية من كذا"، فلا وجه لتوجيه معنى ذلك إلا إلى: بقية الله التي أبقاها لكم مما لكم بعد وفائكم الناس حقوقهم خير لكم من بقيتكم من الحرام الذي يبقى لكم من ظلمكم الناس ببخسهم إياهم في الكيل والوزن. وقوله: ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾، يقول: وما أنا عليكم، أيها الناس، بريقب أرقبكم عند كيلكم ووزنكم، هل توفون الناس حقوقهم أم تظلمونهم؟ وإنما عليّ أن أبلغكم رسالة ربّي، فقد أبلغتكموها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ ^(٧٧) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب: يا شعيب، أصلواتك تأمرُك أن تترك عبادة ما يعبد آباؤنا من الأوثان والأصنام (أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء)، من كسر الدراهم وقطعها، وبخس الناس في الكيل والوزن (إنك لأنت الحليم)، وهو الذي لا يحمل الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرضى، (الرشيد)، يعني: رشيد الأمر في أمره إياهم أن يتركوا عبادة الأوثان، كما جاء عن زيد بن اسلم وابن زيد وقوله: ﴿أصلواتك﴾، كان الأعمش يقول في تأويلها: ﴿أصلواتك﴾ قال: قراءتك. وأما قوله لشعيب: ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ فإنهم أعداء الله، قالوا ذلك له استهزاءً به، وإنما سفّهوه وجّهلوه بهذا الكلام. وبما قلنا من ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ^(٧٨) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم أرايتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام، وفيما أناهاكم عنه من إفساد المال (ورزقني منه رزقًا حسنًا)، يعني حلالًا طيبًا. ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾، يقول: وما أريد أن أناهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه، بل لا أفعل إلا ما أمركم به، ولا أنتهي إلا عما أناهاكم عنه. كما جاء عن قتادة ﴿إن أريد إلا الإصلاح﴾، يقول: ما أريد فيما أمركم به وأناهاكم عنه، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم ﴿ما استطعت﴾، يقول: ما قدرت على إصلاحه، لئلا ينالكم من الله عقوبة منكرة، بخلافكم أمره، ومعصيتكم رسوله ﴿وما توفيقي إلا بالله﴾ يقول: وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إلا يعني عليه لم أصب الحق فيه. وقوله: ﴿عليه توكلت﴾، يقول: إلى الله أفوض أمري، فإنه ثقتي، وعليه اعتمادي في أموري. وقوله: ﴿واليه أُنِيبُ﴾، واليه أقبل بالطاعة، وأرجع بالتوبة، كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ ^(٨١) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل شعيب لقومه: ﴿وما قوم لا يخبر منكم شقاق﴾، يقول: لا يحملنكم عداوتي وبغضي، وفراق الدين

الذي أنا عليه، على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، ويخس الناس في المكيال والميزان، وترك الإنابة والتوبة، فيصيبكم ﴿مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾، من الغرق ﴿أَوْ قَوْمِ هُودٍ﴾، من العذاب ﴿أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ﴾، من الرَّجْفَةِ ﴿وَمَا قَوْمَ لُوطٍ﴾ الذين اتفكت بهم الأرض ﴿مِنْكُمْ بَعِيدٌ﴾، هلاكهم، أفلا تتعظون به، وتعتبرون؟ يقول: فاعتبروا بهؤلاء، واحذروا أن يصيبكم بشقاقي مثل الذي أصابهم. كما جاء عن قتادة وابن جريج قال أبو جعفر: وقد يحتمل أن يقال: معناه: وما دار قوم لوط منكم ببعيد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ ﴿٤١﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل شعيب لقومه: ﴿استغفروا ربكم﴾، أيها القوم من ذنوبكم بينكم وبين ربكم التي أنتم عليها مقيمون، من عبادة الآلهة والأصنام، وبخس الناس حقوقهم في المكيال والموازين ﴿ثُمَّ توبوا إليه﴾، يقول: ثم ارجعوا إلى طاعته والانتهاه إلى أمره ونهيه ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾، يقول: هو رحيم بمن تاب وأناب إليه أن يعذبه بعد التوبة. ﴿ودود﴾، يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يودّه ويحبّه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ ﴿٤٢﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال قوم شعيب لشعيب: ﴿يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾، أي: ما نعلم حقيقة كثير مما تقول وتخبرنا به ﴿وإنا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾. ذكر أنه كان ضريراً، فلذلك قالوا له: ﴿إنا لنراك فِينَا ضَعِيفًا﴾. كما جاء عن سعيد وقوله: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾، يقول: يقولون: ولولا أنك في عشيرتك وقومك ﴿لرجمناك﴾، يعنون: لسبناك. وقال بعضهم: معناه لقتلناك. وقوله: ﴿وما أنت علينا بعزیز﴾، يعنون: ما أنت ممن يكرم علينا، فيعظم علينا إزاله وهوانه، بل ذلك علينا هين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيَّ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ فَحِيطٌ﴾ ﴿٤٣﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: يا قوم، أعزّتم قومكم، فكانوا أعزّ عليكم من الله، واستخففتهم بربكم، فجعلتموه خلف ظهوركم، لا تأتمرون لأمره ولا تخافون عقابه، ولا تعظمونه حق عظمتهم؟ يقال للرجل إذا لم يقض حاجة الرجل: "نبذ حاجته وراء ظهره"، أي: تركها لا يلتفت إليها. وإذا قضاها قيل: "جعلها أمامه، ونُصِبَ عينه"، ويقال: "ظَهَرَتْ بِحَاجَتِي" و"جعلتها ظَهْرِيَّةً"، أي: خلف ظهرك، كما جاء عن ابن عباس و قتادة وقال آخرون: معنى ذلك: واتخذتم ما جاء به شعيب وراءكم ظهرياً فالهاء في قوله: ﴿واتخذتموه﴾، على هذا من ذكر ما جاء به شعيب. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ فَحِيطٌ﴾، يقول: إن ربي محيط علمه بعملكم، فلا يخفى عليه منه شيء، وهو مجازيكم على جميعه عاجلاً وآجلاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل شعيب لقومه: ﴿ويا قوم اعملوا على مكانتكم﴾، يقول: على تمكنكم. يقال منه: "الرجل يعمل على مكنته، ومكنته"، أي: على اثتاده، "ومكن الرجل يمكن مَكَناً ومكانةً ومكاناً". وكان بعض أهل التأويل يقول في معنى قوله: ﴿على مكانتكم﴾، على منازلكم. قال أبو جعفر: فمعنى الكلام إذا: ويا قوم اعملوا على تمكنكم من العمل الذي تعملونه،

إِنِّي عامل على تَوْدَةٍ من العمل الذي أعمله ﴿سوف تعلمون﴾، أينا الجاني على نفسه، والمخطئ عليها، والمصيب في فعله المحسن إلى نفسه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل نبيه شعيب لقومه: الذي يأتيه منا ومنكم، أيها القوم عذاب يخزيه، يقول: يذله ويهينه ﴿ومن هو كاذب﴾، يقول: ويخزي أيضاً الذي هو كاذب في قلبه وخبره منا ومنكم ﴿وارتقبوا﴾، أي: انتظروا وتفقدوا من الرقبة. وقوله: ﴿إني معكم رقيب﴾، يقول: إني أيضاً ذورقة لذلك العذاب معكم، وناظر إليه بمن هو نازل منا ومنكم

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما جاء قضاؤنا في قوم شعيب، بعذابنا "نجينا شعيباً" رسولنا، والذين آمنوا به فصدقوه على ما جاءهم به من عند ربهم مع شعيب، من عذابنا الذي بعثنا على قومه ﴿برحمة منا﴾، له ولمن آمن به وأتبعه على ما جاءهم به من عند ربهم وأخذت الذين ظلموا صيحة من السماء أخدمتهم، فأهلكتهم بكفرهم برهم. وقيل: إن جبريل عليه السلام، صاح بهم صيحةً أخرجت أرواحهم من أجسامهم ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين﴾، على ركبهم، وصرعى بأفئتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْتَوْا فِيهَا إِلَّا بُعْدًا لِمَدَيْنَ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: كأن لم يغتوا فيها ألا بُعداً لمدنين كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ، حين أصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك. ولم يغتوا. من قولهم: "غنيت بمكان كذا"، إذا أقمت به وقوله: ﴿إلا بُعداً لمدنين كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾، يقول تعالى ذكره: ألا أبعد الله مدنين من رحمته، بإحلال نعمته بهم "كما بعدت ثمود"، يقول: "كما بعدت من قبلهم ثمود من رحمته، بإزالة سخطه بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٦٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٦٧﴾﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا موسى بأياتنا وأمر فِرْعَوْنَ وَمَلِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿١٦٧﴾، يعني إلى أشرف جنده وتبأعه ﴿فاتبعوا أمر فرعون﴾، يقول: فكذب فرعون وملاه موسى، وجحدوا وحدانية الله، وأبوا قبول ما أتاهم به موسى من عند الله، واتبع ملاً فرعون أمر فرعون دون أمر الله، وأطاعوه في تكذيب موسى، ورد ما جاءهم به من عند الله عليه يقول تعالى ذكره: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ يعني: أنه لا يرشد أمر فرعون من قبله منه، في تكذيب موسى، إلى خير، ولا يهديه إلا صلاح، بل بورده نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿يقدم﴾، فرعون ﴿قومه يوم القيامة﴾، يقودهم، فيمضي بهم إلى النار، حتى يوردهموها، ويصلبهم سعيها، ﴿وبئس الورد﴾، يقول: وبئس الورد الذي يردونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة و كان ابن عباس يقول: "الورد" في القرآن أربعة أورد:

في هود قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْوَرْدَ الْمُرُودَ﴾ وفي مريم: ﴿وَأَنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، وورد في "الأنبياء": ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾، [الأنبياء: ٩٨]، وورد في "مريم" أيضًا: ﴿وَتَسْقُوتُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا﴾ [مريم: ٧٢] كان ابن عباس يقول: كل هذا الدخول، والله ليردن جهنم كل بر وفاجر: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾، [مريم: ٨٦].

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ قال أبو جعفر: يقول الله تعالى ذكره: وأتبعهم الله في هذه يعني في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر، لعنته ﴿ويوم القيامة﴾، يقول: وفي يوم القيامة أيضًا يلعنون لعنة أخرى كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿يَشْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾، يقول: يَشْسُ الْعَوْنُ الْمُعَانِ، اللعنة المزیدة فيها أخرى مثلها. وأصل "الرّفْد"، العون، يقال منه: "رَفَدَ فُلَانٌ فُلَانًا عِنْدَ الْأَمِيرِ يَرْفِدُهُ رَفْدًا" بكسر الراء وإذا فتحت، فهو السَّقْيُ في القدح العظيم، و"الرّفْد": القدح الضخم، ويقال: "رَفَدَ فُلَانٌ حَائِطَهُ"، وذلك إذا أسنده بخشبة، لئلا يسقط. و"الرّفْد"، بفتح الراء المصدر. يقال منه: "رَفَدَهُ يَرْفِدُهُ رَفْدًا"، و"الرّفْد"، اسم الشيء الذي يعطاه الإنسان، وهو "الرّفْدُ". وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾، يقول: ترادفت عليهم اللعنتان من الله، لعنة في الدنيا، ولعنة في الآخرة. كما جاء عن الضحاک

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبی محمد ﷺ: هذا القصص الذي ذكرناه لك في هذه السورة، والنبأ الذي أنبأناكه فيها، من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسله ﴿نقصه عليك﴾ فنخبرك به ﴿منها قائم﴾، يقول: منها قائم بنيانه، بائد أهله هالك، ومنها قائم بنيانه عامر، ومنها حصيدٌ بنيانه، خرابٌ متداعٍ، قد تعفَى أثره دارسٌ. من قولهم: "زَرَعَ حَصِيدًا"، إذا كان قد استؤصل قطعه، وإنما هو محصود، ولكنه صرف إلى "فعل" كما قد بينا في نظائره. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة والأعمش

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما عاقبنا أهل هذه القرى التي اقتصصنا نبأها عليك، يا محمد، بغير استحقاق منهم عقوبتنا، فنكون بذلك قد وضعنا عقوبتنا لهم في غير موضعها ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾، يقول: ولكنهم أوجبوا لأنفسهم بمعصيتهم الله وكفرهم به، عقوبته وعذابه، فأحلوا بها ما لم يكن لهم أن يحلوه بها، وأوجبوا لها ما لم يكن لهم أن يوجبوه لها ﴿فما أغنت عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾، يقول: فما دفعت عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، ويدعونها أربابًا من عقاب الله وعذابه إذا أحله بهم ربه من شيء، ولا ردت عنهم شيئًا منه ﴿لما جاء أمر ربك﴾، يا محمد، يقول: لما جاء قضاء ربك بعذابهم، فحق عليهم عقابه، ونزل بهم سخطه ﴿وما زادهم غير تتيبٍ﴾، يقول: وما زادتهم آلِهَتُهُمْ عِنْدَ مَجِيءِ أَمْرِ رَبِّكَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ بِعِقَابِ اللَّهِ غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَتَدْمِيرٍ وَإِهْلَاكِ. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن بن عمر وقتادة قال أبو جعفر: وهذا الخبر من الله تعالى ذكره، وإن كان خبراً عَمَّنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ قَبْلُنَا، فإنه وعيدٌ من الله جل ثناؤه لنا أيها

الأمة، أنا إن سلكتنا سبيل الأمم قبلنا في الخلاف عليه وعلى رسوله، سلك بنا سبيلهم في العقوبة وإعلام منه لما أنه لا يظلم أحداً من خلقه، وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم، كما جاء عن ابن زيد قال، اعتذر يعني ربنا جل ثناؤه إلى خلقه فقال: ﴿وما ظلمناهم﴾، مما ذكرنا لك من عذاب من عذبنا من الأمم، ﴿ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم﴾، حتى بلغ: ﴿وما زادهم غير تنبيذ﴾، قال: ما زادهم الذين كانوا يعبدونهم غير تنبيذ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وكما أخذت، أيها الناس، أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتهم به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي، وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم بالله، وإشراكهم به غيره، وتكذيبهم رسله ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ﴾، يقول: إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه ﴿أَلِيمٌ﴾، يقول: موجع ﴿شديد﴾ الإيذاء. وهذا من الله تحذير لهذه الأمة، أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حل بهم من المثلثات، كما جاء عن أبي موسى قال، قال رسول الله ﷺ: إن الله يُملي ورُبما، قال: يمهل الظالم، حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْهُ. ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إن في أخذنا من أخذنا من أهل القرى التي اقتصصنا خبرها عليكم أيها الناس لآية، يقول: لعبرة وعظة لمن خاف عقاب الله وعذابه في الآخرة من عباده، وحجة عليه لربه، وزاجراً يزره عن أن يعصي الله ويخالفه فيما أمره ونهاه. وقيل: بل معنى ذلك: إن فيه عبرة لمن خاف عذاب الآخرة، بأن الله سيفي له بوعدِهِ. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾، يقول تعالى ذكره: هذا اليوم يعني يوم القيامة ﴿يوم مجموع له الناس﴾، يقول: يحشر الله له الناس من قبورهم، فيجمعهم فيه للجزاء والثواب والعقاب ﴿وذلك يوم مشهود﴾، يقول: وهو يوم تشهد به الخلائق، لا يتخلف منهم أحد، فينتقم حينئذ ممن عصى الله وخالف أمره وكذب رُسُلَهُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا تُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما تؤخر يوم القيامة عنكم أن نجئكم به إلا لأن يُقضى، فقصي له أجلا فعده وأحصاه، فلا يأتي إلا لأجله ذلك، لا يتقدم مجيئه قبل ذلك ولا يتأخر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ فأما الذين شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٣٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٣٧﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يوم يأتي يوم القيامة، أيها الناس، وتقوم الساعة، لا تكلم نفس إلا بإذن ربها. وقيل: ﴿لا تكلم﴾، وإنما هي "لا تتكلم"، فحذف إحدى التائين اجتزاء بدلالة الباقية منهما عليها. وقوله: ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾، يقول: فمن هذه النفوس التي لا تكلم يوم القيامة إلا بإذن ربها، شقي وسعيد وعاد على "النفس"، وهي في اللفظ واحدة، بذكر

الجميع في قوله: ﴿فمنهم شقى وسعيد﴾. يقول تعالى ذكره: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير﴾ وهو أول نُهاق الحمار وشبهه ﴿وشهيق﴾، وهو آخر نهيقه إذا رددته في الجوف عند فراغه من نُهاقه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وجاء عن ابن عمر عن عمر قال، لما نزلت هذه الآية: ﴿فمنهم شقى وسعيد﴾، سألت النبي ﷺ فقلت: يا نبي الله، فعلام عملنا؟ على شيء قد فرغ منه، أم على شيء لم يفرغ منه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: على شيء قد فرغ منه، يا عمر، وجرت به الأقلام، ولكن كل ميسر لما خلق له اللفظ لحديث ابن معمر. وقوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾، يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿خالدين فيها﴾، لا يبين فيها ويعني بقوله: ﴿ما دامت السموات والأرض﴾، أبداً. قال ابن زيد في قوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾، قال: ما دامت الأرض أرضاً، والسماء سماءً. ثم قال: ﴿إلا ما شاء ربك﴾، واختلف أهل العلم والتأويل في معنى ذلك قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في تأويل هذه الآية بالصواب، القول الذي ذكرنا عن قتادة والضحاك: من أن ذلك استثناء في أهل التوحيد من أهل الكبائر أنه يدخلهم النار، خالدين فيها أبداً إلا ما شاء من تركهم فيها أقل من ذلك، ثم يخرجهم فيدخلهم الجنة، كما قد بينا في غير هذا الموضع، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصحة في ذلك، لأن الله جل ثناؤه أوعد أهل الشرك به الخلود في النار، وتظاهرت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ، فغير جائز أن يكون استثناء في أهل الشرك وأن الأخبار قد تواترت عن رسول الله ﷺ أن الله يدخل قومًا من أهل الإيمان به بذنوب أصابوها النار، ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة، فغير جائز أن يكون ذلك استثناء في أهل التوحيد قبل دخولها، مع صحة الأخبار عن رسول الله ﷺ بما ذكرنا وأنا إن جعلناه استثناء في ذلك، كنا قد دخلنا في قول من يقول: "لا يدخل الجنة فاسق، ولا النار مؤمن"، وذلك خلاف مذاهب أهل العلم، وما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. فإذا فسد هذان الوجهان، فلا قول قال به القدوة من أهل العلم إلا الثالث. وقوله: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾، يقول تعالى ذكره: إن ربك، يا محمد، لا يمنعه مانع من فعل ما أراد فعله بمن عصاه وخالف أمره، من الانتقام منه، ولكنه يفعل ما يشاء فعله، فيمضي فيهم وفيمن شاء من خلقه فعله وقضاؤه

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ وتأويل ذلك: وأما الذين سعدوا برحمة الله، فهم في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض، يقول: أبداً إلا ما شاء ربك. فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، القول الذي ذكرته عن الضحاك، وهو ﴿وَأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾، من قدر مكثهم في النار، من لدن دخلوها إلى أن ادخلوا الجنة، وتكون الآية معناها الخصوص، لأن الأشهر من كلام العرب في "إلا" توجيهها إلى معنى الاستثناء، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها، إلا أن يكون معها دلالة تدل على خلاف ذلك. ولا دلالة في الكلام أعني في قوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ تدل على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيوجه إليه. وأما قوله: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾، فإنه يعني: عطاء من الله غير مقطوع عنهم. من قولهم: "جذذت الشيء أجذّه جذاً"، إذا

قطعته، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فلا تك في شك، يا محمد، مما يعبد هؤلاء المشركون من قومك من الآلهة والأصنام، أنه ضلالٌ وباطلٌ، وأنه بالله شركٌ ﴿مَا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾، يقول: إلا كعبادة آبائهم، من قبل عبادتهم لها. يُخبر تعالى ذكره أنهم لم يعبدوا ما عبدوا من الأوثان إلا اتباعاً منهم منهاج آبائهم، واقتفاءً منهم آثارهم في عبادتهموها، لا عن أمر الله إياهم بذلك، ولا بحجة تبيّنوها توجب عليهم عبادتها. ثم أخبر جل ثناؤه نبياً ما هو فاعل بهم لعبادتهم ذلك، فقال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّا لَمُوقِفُهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾، يعني: حظهم مما وعدتهم أن أوفّيهموه من خير أو شر ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾، يقول: لا أنقصهم مما وعدتهم، بل أتمم ذلك لهم على التمام والكمال، كما جاء عن ابن عباس وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مسلماً نبياً في تكذيب مشركي قومه إياه فيما أتاهم به من عند الله، بفعل بني إسرائيل بموسى فيما أتاهم به من عند الله. يقول له تعالى ذكره: ولا يحزنك، يا محمد، تكذيب هؤلاء المشركين لك، وامض لما أمرك به ربك من تبليغ رسالته، فإن الذي يفعل بك هؤلاء من ردٍّ ما جئتهم به عليك من النصيحة من فعل ضربائهم من الأمم قبلهم وسنة من سنتهم. ثم أخبره جل ثناؤه بما فعل قوم موسى به فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾، يعني: التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في ذلك الكتاب قوم موسى، فكذب به بعضهم وصدق به بعضهم، كما قد فعل قومك بالفرقان من تصديق بعض به، وتكذيب بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾، يقول تعالى ذكره: ولولا كلمة سبقت، يا محمد، من ربك بأنه لا يعجل على خلقه العذاب، ولكن يتأنى حتى يبلغ الكتاب أجله ﴿لَفُضِّي بَيْنَهُمْ﴾، يقول: لقضي بين المكذب منهم به والمصدق، بإهلاك الله المكذب به منهم، وإنجائه المصدق به ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مِرْيَبٍ﴾، يقول: وإن المكذبين به منهم لفي شك من حقيقته أنه من عند الله ﴿مِرْيَبٍ﴾، يقول: يريهم، فلا يدرون أحق هو أم باطل؟ ولكنهم فيه ممترون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لُيُؤْفِقِيَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ قال أبو جعفر: وإن كل هؤلاء الذين قصصنا عليك، يا محمد، قصصهم في هذه السورة، لمن ليو فينهم ربك أعمالهم، بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطالح منها بالشديد من العقاب فتكون "ما" بمعنى "من" واللام التي فيها جواباً لـ "إن"، واللام في قوله: ﴿لُيُؤْفِقِيَهُمْ﴾، لام قسم. وقوله: ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، يقول تعالى ذكره: إن ربك بما يعمل هؤلاء المشركون بالله من قومك، يا محمد، "خبير"، لا يخفى عليه شيء من عملهم، بل يخبر ذلك كله ويعلمه ويحيط به، حتى يجازيهم على جميع ذلك جزاءهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فاستقم أنت، يا محمد، على أمر ربك، والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه، كما أمرك ربك ﴿ومن تاب معك﴾، يقول: ومن رجع معك إلى طاعة الله والعمل بما أمره به ربه من بعد كفره ﴿ولا تطغوا﴾، يقول: ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه. ﴿إنه بما تعملون بصير﴾، يقول: إن ربكم، أيها الناس، بما تعملون من الأعمال كلها، طاعتها ومعصيتها "بصير"، ذو علم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو لجميعها مبصر. يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله، أيها الناس، أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره، فإنه ذو علم بما تعلمون، وهو لكم بالمرصاد. وكان ابن عيينة يقول في معنى قوله: ﴿فاستقم كما أمرت﴾، استقم على القرآن.

القول في تأويل قوله: ﴿وَلَا تَرْكُؤُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولا تميلوا، أيها الناس، إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم ﴿فتمسكم النار﴾، بفعلكم ذلك وما لكم من دون الله من ناصر ينصركم وولي يليككم ﴿ثم لا تنصرون﴾، يقول: فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخليكم من نصرته ويسلط عليكم عدوكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وإبي العالية

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿وأقم الصلاة﴾، يا محمد، يعني: صلّ ﴿طرفي النهار﴾، يعني الغداة والعشي. واختلف أهل التأويل في التي عُنيت بهذه الآية من صلوات العشي، بعد إجماع جميعهم على أن التي عُنيت من صلاة الغداة، الفجر. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: "هي صلاة المغرب"، كما ذكرنا عن ابن عباس. وأما قوله: ﴿وزلفاً من الليل﴾، فإنه يعني: ساعات من الليل. وهي جمع "زُلْفَة"، و"الزلفة"، الساعة، والمنزلة، والقربة، وقيل: إنما سميت "المزدلفة" و"جمع" من ذلك، لأنها منزل بعد عرفة وقيل سميت بذلك، لازدلاف آدم من عرفة إلى حواء وهي بها، وقوله: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾، يقول تعالى ذكره: إن الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يرضيه، يذهب آثام معصية الله، ويكفر الذنوب. ثم اختلف أهل التأويل في الحسنات التي عني الله في هذا الموضع، اللاتي يذهبن السيئات، قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، قول من قال في ذلك: "هن الصلوات الخمس"، لصحة الأخبار عن رسول الله ﷺ وتواترها عنه أنه قال: "مثل الصلوات الخمس مثل نهر جارٍ على باب أحدكم، ينغمس فيه كل يوم خمس مرات، فماذا يُيقين من دَرَنه؟"، وأن ذلك في سياق أمر الله بإقامة الصلوات، والوعد على إقامتها الجزيل من الثواب عقبيها، أولى من الوعد على ما لم يجر له ذكر من صالحات سائر الأعمال، إذا خُصَّ بالقصد بذلك بعض دون بعض. كما جاء الحارث مولى عثمان بن عفان رحمة الله عليه يقول: جلس عثمان يوماً وجلسنا معه، فجاء المؤذن، فدعا عثمان بماءٍ في إناء، أظنه سيكون فيه قدر مُدٍّ، فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول

الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: من توضأ وضوئي هذا ثم قام فصلَّى صلاة الظهر، غفر له ما كان بينه وبين صلاة الصبح، ثم صَلَّى العصر، غفر له ما بينه وبين صلاة الظهر، ثم صَلَّى المغرب، غفر له ما بينه وبين صلاة العصر، ثم صَلَّى العشاء، غفر له ما بينه وبين صلاة المغرب، ثم لعله يبيت ليلته يَتَمَرَّغُ، ثم إن قام فتوضأ وصَلَّى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهُنَّ الحسنات يذهبن السيئات. وقوله: ﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾، يقول تعالى ذكره: هذا الذي أوعدت عليه من الركون إلى الظلم، وتهددت فيه، والذي وعدت فيه من إقامة الصلوات اللواتي يذهبن السيئات، تذكرة ذكَّرت بها قومًا يذكرون وعد الله، فيرجون ثوابه ووعدته، فيخافون عقابه، لا من قد طبع على قلبه، فلا يجيب داعيًا، ولا يسمع زاجرًا. وذكر أن هذه الآية نزلت بسبب رجل نال من غير زوجته ولا ملك يمينه بعض ما يحرم عليه، فتأب من ذنبه ذلك. عبد الله بن مسعود: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجت امرأة في بعض أقطار المدينة، فأصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا، فاقض فيَّ ما شئت! فقال عمر: لقد سترك الله لو سترت على نفسك! قال: ولم يردَّ النبي ﷺ شيئًا. فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي ﷺ رجلا فدعاه، فلما أتاه قرأ عليه: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾، فقال رجل من القوم: هذا له يا رسول الله خاصة؟ قال: بل للناس كافة. فقال ابن جريج، وقال عبد الله بن كثير: هي المكتوبات.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ١١٥ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: واصبر، يا محمد، على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه، رجاء جزيل ثواب الله على ذلك، فإن الله لا يضيع ثوابَ عمل من أحسن فإطاع الله واتباع أمره، فيذهب به، بل يؤقره أحوج ما يكون إليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ١١٦ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة، الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياي، وكفرهم برسلي من قبلكم. ﴿أولو بقية﴾، يقول: ذو بقية من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظ الله ويتدبرون حججه، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله، وعليهم في الكفر به ينهون عن الفساد في الأرض، يقول: ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به، في أرضه ﴿إلا قليلا ممن أنجينا منهم﴾، يقول: لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض، إلا سيرا، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، فنجاهم الله من عذابه، حين أخذ من كان مقيما على الكفر بالله عذابه وهم اتباع الأنبياء والرسل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن بن زيد وابن جريج وقوله: ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾، يقول تعالى ذكره: واتباع الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله ما أترفوا فيه. كما جاء عن ابن عباس وبعد: فإن الله أخبر تعالى ذكره: أن الذين ظلموا أنفسهم من كل أمة سلفت فكفروا بالله، اتبعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا وكفروا بالله، واتباعوا ما أنظروا فيه من لذات الدنيا، فاستكبروا عن أمر الله

وتجبروا وصدوا عن سبيله. وذلك أن المترف في كلام العرب: هو المنعم الذي قد غُذِيَ باللذات، وقوله: ﴿وكانوا مجرمين﴾، يقول: وكانوا مكتسبي الكفر بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما كان ربك، يا محمد، ليهلك القرى، التي أهلكها، التي قصص عليك نبأها، ظلمًا وأهلها مصلحون في أعمالهم، غير مستئين، فيكون إهلاكه إياهم مع إصلاحهم في أعمالهم وطاعتهم ربهم، ظلمًا، ولكنه أهلكها بكفر أهلها بالله وتماديهم في غيهم، وتكذيبهم رُسُلهم، وركوبهم السيئات.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إلا من رَجِمَ رَبُّكَ وَلَئِنَّكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربك، يا محمد، لجعل الناس كلها جماعة واحدة على ملة واحدة، ودين واحد، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ولا يزالون مختلفين﴾، يقول تعالى ذكره: ولا يزال الناس مختلفين إلا من رحم ربك. ثم اختلف أهل التأويل في "الاختلاف" الذي وصف الله الناس أنهم لا يزالون به. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك، بالصواب قول من قال: معنى ذلك: "ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى، إلا من رحم ربك، فأمن بالله وصدق رسله، فإنهم لا يختلفون في توحيد الله، وتصديق رسله، وما جاءهم من عند الله". وأما قوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله: قال أبو جعفر: وأولى ذلك بالصواب، قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم، لأن الله جل ذكره ذكر صنفين من خلقه: أحدهما أهل اختلاف وباطل، والآخر أهل حق، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾، فعم بقوله: ﴿ولذلك خلقهم﴾، صفة الصنفين، فأخبر عن كل فريق منهما أنه ميسر لما خلق له. وأما قوله: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾، لعلمه السابق فيهم أنهم يستوجبون صليها بكفرهم بالله، وخلافهم أمره. وقوله: ﴿وتمت كلمة ربك﴾، قسم كقول القائل: حلقي لأزورك، وبدًا لي لا تينك، ولذلك تَلَقَّيْتُ بلام اليمين. وقوله: ﴿من الجنة﴾، وهي ما اجتنَّ عن أبصار بني آدم والناس، يعني: وبني آدم. وقيل: إنهم سموا "الجنة"، لأنهم كانوا على الجنان. كما جاء عن أبي مالك قال: "الجنة": الملائكة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وكلا نقص عليك﴾، يا محمد ﴿من أنباء الرسل﴾، الذين كانوا قبلك ﴿ما نثبت به فؤادك﴾، فلا تجزع من تكذيب من كذبك من قومك، ورد عليك ما جنتهم به، ولا يضق صدرك، فتترك بعض ما أنزلت إليك من أجل أن قالوا: ﴿لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾؟ إذا علمت ما لقي من قبلك من رسلي من أممها، كما جاء عن بن جريج وأما قوله: ﴿وجاءك في هذه الحق﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله: قال أبو جعفر:

وأولى التأويلين بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: وجاءك في هذه السورة الحق، لإجماع الحجة من أهل التأويل، على أن ذلك تأويله. وقوله: ﴿وموعظة﴾ يقول: وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله، وتبين لهم عبره ممن كفر به وكذب رسله ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ يقول: وتذكرة تذكر المؤمنين بالله ورسله، كي لا يغفلوا عن الواجب لله عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۖ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۚ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل، يا محمد، للذين لا يصدقونك ولا يقرّون بوحدانية الله ﴿اعملوا على مكانتكم﴾، يقول: على هيتكم وتمكنكم ما أنتم عاملوه فإننا عاملون ما نحن عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله بها وانتظروا ما وعدكم الشيطان، فإننا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم ونصرتنا عليكم، كما جاء عن بن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۚ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: والله، يا محمد، ملك كل ما غاب عنك في السموات والأرض فلم تطلع ولم تعلمه، ولم تعلمه، كل ذلك بيده وبعلمه، لا يخفى عليه منه شيء، وهو عالم بما يعمله مشركو قومك، وما إليه مصير أمرهم، من إقامة على الشرك، أو إقلاعه عنه وتوبه ﴿واليه يرجع الأمر كله﴾، يقول: وإلى الله معاد كل عامل وعمله، وهو مجاز جميعهم بأعمالهم، كما جاء عن بن جريج ﴿فاعبده﴾، يقول: فاعبد ربك يا محمد ﴿وتوكل عليه﴾، يقول: وفوض أمرك إليه، وثق به وبكفايته، فإنه كافي من توكل عليه. وقوله: ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾، يقول تعالى ذكره: وما ربك، يا محمد، بساه عما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، بل هو محيط به، لا يعزب عنه شيء منه، وهو لهم بالمرصاد، فلا يحزنك إعراضهم عنك، ولا تكذيبهم بما جئتهم به من الحق، وامض لأمر ربك، فإنك بأعيننا. وكما جاء عن عبد الله بن رباح، عن كعب، قال: خاتمة "التوراة"، خاتمة "هود".

آخر تفسير سورة هود، والحمد لله وحده



تفسير سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ يَسَّرَ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير: قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، والقول الذي نختاره في تأويل ذلك فيما مضى، بما أغنى عن إعادته ههنا. وأما قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معناه: هذه آيات الكتاب المبين، لمن تلاه وتدبر ما فيه من حلاله وحرامه ونبيه وسائر ما حواه من صنوف معانيه؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه "مبين"، ولم يخص إبانته عن بعض ما فيه دون جميعه، فذلك على جميعه، إذ كان جميعه مبيناً عمماً فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إنا أنزلنا هذا الكتاب المبين، قرآنًا عربيًّا على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه، وذلك قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: "نحن نقص عليك" يا محمد، "أحسن القصص" بوحينا إليك هذا القرآن، فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية، وأنباء الأمم السالفة والكتب التي أنزلناها في العصور الخالية. وإن كنت من قبله لمن الغافلين، يقول تعالى ذكره: وإن كنت يا محمد من قبل أن نوحيه إليك لمن الغافلين عن ذلك، لا تعلمه ولا شيئاً منه، كما جاء عن قتادة وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ لمسألة أصحابه إياه أن يقص عليهم. كما جاء عن عون بن عبد الله، قال: ملأ أصحاب رسول الله ﷺ ملءً، فقالوا: يا رسول الله حدثنا! فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. ثم ملوا ملءً أخرى فقالوا: يا رسول الله حدثنا فوق الحديث ودون القرآن! يعنون القصص، فأنزل الله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾، فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص. والحديث مرسل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن كنت يا محمد، لمن الغافلين عن نبأ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم إذ قال لأبيه يعقوب بن إسحاق: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾؛ يقول: إني رأيت في منامي أحد عشر كوكبًا. وقيل: إن رؤيا الأنبياء كانت

وحياً. كما جاء عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾، قال: كانت رؤيا الأنبياء وحياً. وذكر أن الأحد العشر الكواكب التي رآها في منامه ساجدة مع الشمس والقمر، كما جاء عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر، قال: أتى النبي ﷺ رجلٌ من يهود يقال له "بستانة اليهودي"، فقال له: يا محمد، أخبرني عن الكواكب التي رآها يوسف ساجدة له، ما أسماؤها؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ، فلم يجبه بشيء، ونزل عليه جبرئيل وأخبره بأسمائها. قال: فبعث رسول الله ﷺ إليه، فقال: هل أنت مؤمن إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: نعم! فقال: جربان والطارق، والذيل، وذو الكنفات، وقابس، ووثاب وعمودان، والفليق، والمصبح، والضروح، وذو الفرغ، والضياء، والنور". فقال اليهودي: والله إنها لأسماؤها! وقوله: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ يقول: والشمس والقمر رأيتهم في منامي سجوداً. وقال "ساجدين" والكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها ب"فاعلة" و"فاعلات" لا بالواو والنون، [لأن الواو والنون] إنما هي علامة جمع أسماء ذكور بني آدم، أو الجن، أو الملائكة. وإنما قيل ذلك كذلك، لأن "السجود" من أفعال من يجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون، أو الواو والنون، فأخرج جمع أسمائها مخرج جمع أسماء من يفعل ذلك، كما قيل: ﴿يَا أَيُّهَا التَّمْلُ اذْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾، [النمل: ١٨]. وقال: "رأيتهم" وقد قيل: "إني رأيت أحد عشر كوكباً"، فكرر الفعل، وذلك على لغة من قال: "كلمت أخاك كلمته"، توكيداً للفعل بالتكرير. وقد قيل: إن الكواكب الأحد عشر كانت إخوته، والشمس والقمر أبويه. كما جاء عن قتادة والسدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ذكره قال: يعقوب لابنه يوسف: "يا بني لا تقصص رؤياك"، هذه، "على إخوانك"، فيحسدوك "فيكيدوا لك كيداً"، يقول: فيغوك الغوائل، ويناصوك العداوة، ويطيعوا فيك الشيطان. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾، يقول: إن الشيطان لآدم وبنيه عدو، قد أبان لهم عداوته وأظهرها. يقول: فاحذر الشيطان أن يغري إخوانك بك بالحسد منهم لك، إن أنت قصصت عليهم رؤياك. وإنما قال يعقوب ذلك، لأنه قد كان تبين له من أخوته قبل ذلك حسداً، كما جاء عن السدي، قال: نزل يعقوب الشام، فكان همُّه يوسف وأخاه، فحسده إخوانه لما رأوا حبَّ أبيه له. ورأى يوسف في المنام كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأهم له ساجدين، فحدث بها أباه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾، الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل يعقوب لابنه يوسف، لما قصَّ عليه رؤياه: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ وهكذا يجتبيك ربك. يقول: كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجوداً، فكذلك يصطفيك ربك، كما جاء عن عكرمة وقاتدة وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يقول: ويعلمك ربك من علم ما يؤول إليه أحاديث الناس، عما يروونه في منامهم. وذلك تعبير الرؤيا. كما جاء عن مجاهد وابن زيد وكان يوسف أعبر الناس، وقرأ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حِكْمًا وَعِلْمًا﴾. [يوسف: ٢٢]. وقوله: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ باجتماعه إياك، واختياره، وتعليمه إياك تأويل الأحاديث ﴿وَعَلَى آلِ

يعقوب ﴿١﴾ يقول: وعلى أهل دين يعقوب، وملته من ذريته وغيرهم ﴿٢﴾ كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ﴿٣﴾، باتخاذ هذا خليلاً وتنجيته من النار، وفدية هذا بذبح عظيم، كما جاء عن عكرمة وقوله: ﴿٤﴾ إن ربك عليم حكيم ﴿٥﴾ يقول: ﴿٦﴾ إن ربك عليم ﴿٧﴾ بمواضع الفضل، ومن هو أهل للاجتباء والنعمة "حكيم" في تدبيره خلقه

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ﴾ ٧ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ الأحد عشر ﴿آيات﴾ يعني عبر وذكر ﴿للسائلين﴾ يعني السائلين عن أخبارهم وقصصهم. وإنما أراد جل ثناؤه بذلك نبه محمداً ﷺ. وذلك أنه يقال: إن الله تبارك وتعالى إنما أنزل هذه السورة على نبيه، يعلمه فيها ما لقي يوسف من أدانيه وإخوته من الحسد، مع تكرمه الله إليّاه، تسلياً له بذلك مما يلقي من أدانيه وأقاربه من مشركي قريش

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ٨ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: لقد كان في يوسف وإخوته آيات لمن سأل عن شأنهم حين قال إخوة يوسف ﴿ليوسف وأخوه﴾ من أمه ﴿أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾، يقولون: ونحن جماعة ذوو عدد، أحد عشر رجلاً. و"العصبة" من الناس، هم عشرة فصاعداً، قيل: إلى خمسة عشر، ليس لها واحد من لفظها، كالتفر والرهط. ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾، يعنون: إن أبانا يعقوب لفي خطأ من فعله، في إثارة يوسف وأخاه من أمه علينا بالمحبة ويعني ب"المبين": أنه خطأ يبين عن نفسه أنه خطأ لمن تأمله ونظر إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ ٩ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: قال إخوة يوسف بعضهم لبعض: اقتلوا يوسف أو اطرحوه في أرض من الأرض، يعنون مكاناً من الأرض ﴿يخل لكم وجه أبيكم﴾ يعنون: يخل لكم وجه أبيكم من شغله بيوسف، فإنه قد شغله عنا، وصرف وجهه عنا إليه ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾، يعنون أنهم يتوبون من قتلهم يوسف، وذنبهم الذي يركبونه فيه، فيكونون بتوبتهم من قتله من بعد هلاك يوسف قوماً صالحين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ١٠ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال قائل من إخوة يوسف: ﴿لا تقتلوا يوسف﴾. وقيل: إن قائل ذلك "روبيّل"، كان ابن خالة يوسف. كما جاء عن ابن إسحاق وقتادة وقيل: كان قائل ذلك منهم "شمعون". كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿والقوه في غيابة الجب﴾ يقول وألقوه في قعر الجب، حيث يغيب خبره. و"الجب": بئر. وقيل: إنه اسم بئر بيت المقدس. كما جاء عن قتادة والغياطة: كل شيء غيب شيئاً فهو "غياطة" و"الجب"، البئر غير المطوية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن عباس وقوله: ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ يقول: يأخذه بعض مارة الطريق من المسافرين ﴿إن كنتم فاعلين﴾، يقول: إن كنتم فاعلين ما أقول لكم. فذكر أنه التقطه بعض الأعراب. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف، إذ تأمروا بينهم، وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب، لو ألدهم يعقوب: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ ففتركه معنا إذا نحن خرجنا خارج المدينة إلى الصحراء ﴿وإنا له ناصحون﴾، نحوطه ونكلؤه

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْنَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قال أبو جعفر: واختلفت القراء في قراءة ذلك. قال أبو جعفر: وأولى القراءة في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه في الحرفين كليهما بالياء، وبجزم العين في "يزنع"، لأن القوم إنما سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخبر عن مسألتهم إياه ذلك، عما ليوسف في إرساله معهم من الفرح والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هنالك، لا بالخبر عن أنفسهم. وبذلك أيضا جاء تأويل أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة قال أبو جعفر: فتأويل الكلام: أرسله معنا غدا نلهو ونلعب وننعم، وننشط في الصحراء، ونحن حافظوه من أن يناله شيء يكرهه أو يؤذيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لهم: إني ليحزنني أن تذهبوا به معكم إلى الصحراء، مخافة عليه من الذئب أن يأكله، وأنتم عنه غافلون لا تشعرون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف لو ألدهم يعقوب: لئن أكل يوسف الذئب في الصحراء، ونحن أحد عشر رجلا معه نحفظه وهم العصبة ﴿إنا إذا لخاسرون﴾، يقول: إنا إذا لعجزه هالكون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال أبو جعفر: وفي الكلام متروك حذف ذكره، اكفاء بما ظهر عما ترك، وهو: "فأرسله معهم"، ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾، يقول: وأجمع رأيهم، وعزموا على أن يجعلوه في "غيابة الجب" كما جاء عن السدي قوله: ﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾، الآية، قال، قال: لن أرسله معكم، إني أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾، فأرسله معهم، فأخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة، وجعل أخوه يضربه، فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيمًا، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح ويقول: يا أبته! يا يعقوب! لو تعلم ما صنع بابنك بنو الإمام! فلما كادوا يقتلونه، قال يهوذا أليس قد أعطيتموني موثقًا أن لا تقتلوه؟ فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه، فجعلوا يدلونه في البئر فيتعلق بشفير البئر. فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوانه! ردوا علي قميصي أتواري به في الجب! فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبًا تؤنسك! قال: إني لم أر شيئًا، فدلوه في البئر، حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت. وكان في البئر ماءً فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها فقام عليها. قال: فلما ألقوه في البئر، جعل يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم، فلما لم يردوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه، فقام يهوذا فمنعهم، وقال: قد أعطيتموني موثقًا أن لا تقتلوه! وكان يهوذا يأتيه بالطعام. وقوله: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا﴾ فأدخلت "الواو" في الجواب

وقوله: ﴿وَأَوْحِينَا إِلَيْهِ لَتَتَّبِعَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ﴾، يقول: وأوحينا إلى يوسف لتخبرن إخوتك ﴿بأمرهم هذا﴾ يقول: بفعلهم هذا الذي فعلوه بك ﴿وهم لا يشعرون﴾ يقول: وهم لا يعلمون ولا يدرون ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾. فقال بعضهم: عنى بذلك: أن الله أوحى إلى يوسف أن يوسف سينبئ إخوته بفعلهم به ما فعلوه: من إلقاءه في الحب، وبيعهم إياه، وسائر ما صنعوا به من صنيعهم، وإخوته لا يشعرون بوحي الله إليه بذلك. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: معنى ذلك: وأوحينا إلى يوسف بما إخوته صانعون به، وإخوته لا يشعرون بإعلام الله إياه بذلك. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن يوسف سينبئهم بصنيعهم به، وهم لا يشعرون أنه يوسف. كما جاء عن بن جريج وجاء عن صدقة بن عباد الأسدي، عن أبيه، قال: سمعت ابن عباس يقول: لما دخل إخوة يوسف فعرفهم وهم له منكرون، قال: جيء بالصُّواع، فوضعه على يده، ثم نقره فطن، فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف، يدينه دونكم، وإنكم انطلقتم به فالتقيتموه في غيابة الجب! قال: ثم نقره فطن فأتيتم أباكم فقلتم: إن الذئب أكله، وجئتم على قميصه بدم كذب! قال: فقال بعضهم لبعض: إن هذا الجام ليخبره بخبركم! قال ابن عباس: فلا نرى هذه الآية نزلت إلا فيهم: ﴿لَتَنبَيْئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ١٦ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ١٧﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: وجاء إخوة يوسف أباهم، بعد ما ألقوا يوسف في غيابة الجب عشاء ييكون. وقيل: إن معنى قوله: ﴿نستبق﴾ نتضل من "السباق" كما جاء عن السدي، قال: أقبلوا على أبيهم عشاء ييكون، فلما سمع أصواتهم فرع وقال: ما لكم يا بني؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا! قال: فما فعل يوسف؟ قالوا: ﴿يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب!﴾ فبكى الشيخ وصاح بأعلى صوته، وقال: أين القميص؟ فجاءوه بالقميص عليه دم كذب، فأخذ القميص فطرحه على وجهه، ثم بكى حتى تخضب وجهه من دم القميص. وقوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾، يقولون: وما أنت بمصدقنا على قيلنا: إن يوسف أكله الذئب، ولو كنا صادقين! كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ١٨ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ١٩﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾، وسماه الله "كذباً" لأن الذين جاؤوا بالقميص وهو فيه، كذبوا، فقالوا ليعقوب: "هو دم يوسف"، ولم يكن دمه، وإنما كان دم سحلة، فيما قيل. كما جاء عن مجاهد وكما جاء عن الشعبي قال: ذبحوا جدياً ولطخوه من دمه. فلما نظر يعقوب إلى القميص صحيحاً، عرف أن القوم كذبوه. فقال لهم: إن كان هذا الذئب لحليماً، حيث رحم القميص ولم يرحم ابني! فعرف أنهم قد كذبوه. وقوله: ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذباً لهم في خبرهم ذلك: ما الأمر كما تقولون، ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ يقول: بل زينت لكم أنفسكم أمراً في يوسف وحسنته، ففعلتموه كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فصبر جميل﴾ يقول: فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف صبر جميل أو فهو صبر جميل.

وقوله ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ يقول: والله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب وقيل: "إن الصبر الجميل"، هو الصبر الذي لا جزع فيه. كما جاء عن مجاهد وجاء عن حبان بن أبي جبلة، قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾ قال: صبر لا شكوى فيه. قال: من بث فلم يصبر. وجاء عن عبد الرزاق قال، أخبرنا الثوري، عن بعض أصحابه قال: يقال: ثلاث من الصبر: أن لا تحدث بوجعك، ولا بمصيبتك، ولا تركي نفسك قال أخبرنا الثوري، عن حبيب بن أبي ثابت: أن يعقوب النبي ﷺ كان قد سقط حاجباه، فكان يرفعهما بخرقه، فقيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان، وكثرة الأحزان! فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا يعقوب، أشكوني؟ قال: يا رب خطيئة أخطأتها، فاغفرها لي. وقوله: ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾. كما جاء عن قتادة: ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي على ما تكذبون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوه بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وجاءت مارة الطريق من المسافرين ﴿فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يرد المنهل والمنزل، و"وروده إياه"، مصيره إليه ودخوله. ﴿فأدلى دلوه﴾ يقول: أرسل دلوه في البئر. يقال: "أدليت الدلو في البئر" إذا أرسلتها فيه، فإذا استقيت فيها قلت: "دلوت أدلو دلوا". وفي الكلام محذوف، استغنى بدلالة ما ذكر عليه، فترك، وذلك: ﴿فأدلى دلوه﴾ فتعلق به يوسف، فخرج، فقال المدلي: ﴿يا بشري هذا غلام﴾. وبالذي قلنا في ذلك، جاءت الأخبار عن أهل التأويل. كما جاء عن قتادة واختلفوا في معنى قوله: ﴿يا بشري هذا غلام﴾. فقال بعضهم: ذلك تبشير من المدلي دلوه أصحابه، في إصابته يوسف بأنه أصاب عبداً كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل ذلك اسم رجل من السيارة بعينه، ناداه المدلي لما خرج يوسف من البئر متعلّقاً بالجل. وأما قوله: ﴿وأسرّوه بضاعة﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب: قول من قال: "وأسرّ وارد القوم المدلي دلوه ومن معه من أصحابه، من رفقته السيارة، أمر يوسف أنهم اشتروه، خيفة منهم أن يستشركوهم، وقالوا لهم: هو بضاعة أبضعها معنا أهل الماء وذلك أنه عقيب الخبر عنه، فلأن يكون ما وليه من الخبر خبراً عنه، أشبه من أن يكون خبراً عمّن هو بالخبر عنه غير متّصل وقوله: ﴿والله عليم بما يعملون﴾ يقول تعالى ذكره: والله ذو علم بما يعمل به باعه يوسف ومشتروه في أمره، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولكنه ترك تغيير ذلك ليمضي فيه وفيهم حكمه السابق في علمه، وليري إخوة يوسف ويوسف وأباه قدرته فيه. وهذا، وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن يوسف نبيّه ﷺ، فإنه تذكير من الله نبيّه محمداً ﷺ، وتسليّة منه له عما كان يلقي من أقربائه وأنسابه المشركين من الأذى فيه، يقول: فاصبر، يا محمد، على ما نالك في الله، فإنّي قادرٌ على تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون، كما كنت قادراً على تغيير ما لقي يوسف من إخوته في حال ما كانوا يفعلون به ما فعلوا، ولم يكن تركي ذلك لهوان يوسف عليّ، ولكن لماضي علمي فيه وفي إخوته، فكذا تركي تغيير ما ينالك به هؤلاء المشركون لغير هوان بك عليّ، ولكن لسابق علمي فيك وفيهم، ثم يصير أمرُك وأمرهم إلى علوك عليهم، وإذعانهم لك، كما صار أمر إخوة يوسف إلى الإذعان ليوسف بالسؤدد عليهم، وعلو يوسف عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوه بِمَنْ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ قال أبو

جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وشروه﴾ به: وباع إخوة يوسف يوسف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: بل عني بقوله: ﴿وشروه بثمان بخس﴾ السيارة أنهم باعوا يوسف بثمان بخس. كما جاء عن قتادة قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: تأويل ذلك: وشري إخوة يوسف يوسف بثمان بخس وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسروا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركوهم، بادعائهم أنه بضاعة. ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلص لهم دونهم، واسترخاصاً لثمنه الذي ابتاعوه به، لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه ﴿بثمان بخس﴾. ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين، لم يكن لقليلهم لرفقائهم: "هو بضاعة"، معنى ولا كان لشرائهم إياه، وهم فيه من الزاهدين وجه، إلا أن يكونوا كانوا مغلوباً على عقولهم؛ لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهد من غير إكراه مكره له عليه، ثم يكذب في أمره الناس بأن يقول: "هو بضاعة لم أشتريه"، مع زهده فيه. بل هذا القول من قول من هو بسلخته ضنين لنفاستها عنده، ولما يرجو من نفيس الثمن لها وفضل الربح. وأما قوله: ﴿بخس﴾ فإنه يعني: نقص. وإنما أريد: بثمان مبخوس منقوص، وأما قوله ﴿معدودة﴾، فإنه يعني عز وجل أنهم باعوه بدرهم غير موزونة، ناقصة غير وافية، لزهدهم كان فيه. وقيل: إنما قيل "معدودة" ليعلم بذلك أنها كانت أقل من الأربعين، لأنهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أربعين درهماً، لأن أقل أوزانهم وأصغرها كان الأوقية، وكان وزن الأوقية أربعين درهماً. قالوا: إنما دل بقوله: ﴿معدودة﴾ على قلة الدراهم التي باعوه بها. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدرهم معدودة غير موزونة، ولم يحد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول ﷺ. وقد يحتمل أن يكون كان عشرين ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر، وأي ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة؛ وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضرر فيه. والإيمان بظاهر التنزيل فرض، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه. وقوله: ﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يقول تعالى ذكره: وكان إخوة يوسف في يوسف من الزاهدين، لا يعلمون كرامته على الله، ولا يعرفون منزلته عنده، فهم مع ذلك يحبون أن يحولوا بينه وبين والده، ليخلو لهم وجهه منه، ويقطعوه عن القرب منه، لتكون المنافع التي كانت مصروفة إلى يوسف دونهم، مصروفة إليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك، في قوله: ﴿وجاءت سيارة﴾ فنزلت على الجب، فأرسلوا واردهم ﴿فاستقى من الماء فاستخرج يوسف، فاستبشروا بأنهم أصابوا غلاماً لا يعلمون علمه ولا منزلته من ربه، فزهدوا فيه، فباعوه. وكان بيعه حراماً، وباعوه بدرهم معدودة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: وقال الذي اشتري يوسف من بائعه بمصر. وذكر أن اسمه: "قطفير". كما جاء عن ابن عباس وقيل: إن اسمه إطفير بن روحيب، وهو العزيز، وكان على خزائن مصر، وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد، رجل من العماليق، كما جاء

عن بن اسحاق وقيل: إن الذي باعه بمصر كان مالك بن ذعر بن بويب بن عققان بن مديان بن إبراهيم، كما جاء عن ابن عباس ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته﴾، واسمها فيما ذكر ابن إسحاق: راعيل بنت رعايل. ﴿أكرمي مثواه﴾، يقول: أكرمي موضع مقامه، وذلك حيث يثوي ويُقيم فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا﴾ ذكر أن مشطري يوسف قال هذا القول لامرأته، حين دفعه إليها، لأنه لم يكن له ولد، ولم يأت النساء، فقال لها: أكرمي عسى أن يكفيننا بعض ما نعاني من أمورنا إذا فهم الأمور التي يكلفها وعرفها ﴿أو نتخذه ولذا﴾، يقول: أو تتبناه. كما جاء عن عبد الله، قال: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: ﴿أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا﴾ وأبو بكر حين تفرس في عمر والتي قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. وقوله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يقول عز وجل: وكما أنقذنا يوسف من أيدي إخوته وقد هموا بقتله، وأخرجناه من الحب بعد أن ألقى فيه، فصيرناه إلى الكرامة والمنزلة الرفيعة عند عزيز مصر، كذلك مكنا له في الأرض، فجعلناه على خزائنها. وقوله: ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ يقول تعالى ذكره: وكما نعلم يوسف من عبارة الرؤيا، مكنا له في الأرض، كما جاء عن مجاهد والسدي وقوله: ﴿والله غالب على أمره﴾ يقول تعالى ذكره: والله مستول على أمر يوسف، يسوسه ويدبره ويحوطه. و"الهاء" في قوله: ﴿على أمره﴾ عائدة على يوسف. وروي عن سعيد بن جبير في معنى "غالب"، والله غالب على أمره ﴿قال: فعال. وقوله﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿يقول: ولكن أكثر الناس الذين زهدوا في يوسف، فباعوه بثمان خيس، والذين صار بين أظهرهم من أهل مصر حين بيع فيهم، لا يعلمون ما الله بيوسف صانع، وإليه يوسف من أمره صائر.﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: لما بلغ يوسف أشده، يقول: ولما بلغ منتهى شدته وقوته في شبابه وحده، وذلك فيما بين ثماني عشرة إلى ستين سنة، وقيل إلى أربعين سنة. يقال منه: "مضت أشد الرجل": أي شدته، وقد اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله به في هذا الموضع من "بلغ الأشد". قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أتى يوسف لما بلغ أشده حكمةً وعلماً و"الأشد": هو انتهاء قوته وشبابه وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول ﷺ، ولا في إجماع الأمة، على أي ذلك كان. وإذا لم يكن ذلك موجوداً من الوجه الذي ذكرت، فالصواب أن يقال فيه كما قال عز وجل، حتى تثبت حجة بصفة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حينئذ. وقوله: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: أعطينا حينئذ الفهم والعلم، كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وكذلك نجزي المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره: وكما جزيت يوسف فآتيته بطاعته إيتاي الحكم والعلم، ومكنته في الأرض، واستنقذته من أيدي إخوته الذين أرادوا قتله، كذلك نجزي من أحسن في عمله، فأطاعني في أمري، وانتهى عما نهيت عنه من معاصي. وهذا، وإن كان مخرج ظاهره على كل محسن، فإن المراد به محمد نبي الله ﷺ. يقول له عز وجل: كما فعلت هذا بيوسف من بعد ما لقي من إخوته ما لقي، وقاسى

من البلاء ما قاسى، فمكنته في الأرض، ووطأت له في البلاد، فكذلك أفعَل بك فأنجيك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكن لك في الأرض، وأوتيك الحكم والعلم، لأن ذلك جزائي أهل الإحسان في أمري ونهيي. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٢) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وراودت امرأة العزيز، وهي التي كان يوسف في بيتها [يوسف] عن نفسه، أن يواقعها، كما جاء عن بن اسحاق وقوله: ﴿وغلقت الأبواب﴾، يقول: وغلقت المرأة أبواب البيوت عليها وعلى يوسف، لما أرادت منه وراودته عليه، باباً بعد باب. وقوله: ﴿وقالت هيت لك﴾، اختلفت القراءة في قراءة ذلك. فقرأته عامة قراءة الكوفة والبصرة: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ بفتح، الهاء والتاء، بمعنى: هلم لك، وادن وتقرّب، يعني: تعال واقرب. كما جاء عن ابن عباس والحسن وقوله: ﴿قال معاذ الله﴾ يقول جل ثناؤه: قال يوسف إذ دعتة المرأة إلى نفسها، وقالت له: "هلم إلي": أعتصم بالله من الذي تدعوني إليه، واستجير به منه. وقوله: ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ يقول: إن صاحبك وزوجك سيدي كما جاء عن السدي ومجاهد وقوله: ﴿أحسن مثواي﴾ يقول: أحسن منزلي، وأكرمني واتممني، فلا أخونه، كما جاء عن مجاهد وابن اسحاق وقوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ يقول: إنه لا يدرك البقاء، ولا ينجح من ظلم، ففعل ما ليس له فعله. وهذا الذي تدعوني إليه من الفجور، ظلم وخيانة لسيدي الذي أتممني على منزله، كما جاء عن بن اسحاق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٣) قال أبو جعفر: ذكر أن امرأة العزيز لما همت بيوسف وأرادت مُراودته، جعلت تذكر له محاسن نفسه، وتشوّقه إلى نفسها، كما جاء عن السدي ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: قالت له: يا يوسف، ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتشر من جسدي. قالت: يا يوسف، ما أحسن وجهك! قال: هو للتراب يأكله. فلم تزل حتى أطمعت، فهمت به وهم بها، فدخل البيت، وغلقت الأبواب، وذهب ليحلّ سراويله، فإذا هو بصورة يعقوب قائماً في البيت، قد عصّ على إصبعه، يقول: "يا يوسف لا تواقعها فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق، ومثلك إذا واقعته مثله إذا مات ووقع إلى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يعمل عليه، ومثلك إن واقعته مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه"، فربط سراويله، وذهب ليخرج يشد، فأدركته، فأخذت بمؤخر قميصه من خلفه فخرقته، حتى أخرجته منه وسقط، وطرحه يوسف واشتد نحو الباب. ومعنى "الهم بالشيء"، في كلام العرب: حديث المرء نفسه بمواقفته، ما لم يواقع فأما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به، فإن أهل العلم قالوا في ذلك ما أنا ذاكره، وجاء عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، قال: سألت ابن عباس ما بلغ من هم يوسف؟ قال: استلقت على قفاها، وقعد بين رجلها لينزع ثيابه. كما جاء عن عبد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس سئل: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: حلّ الهميان، وجلس منها مجلس الخاتن. وكما جاء، عن مجاهد: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ قال: جلس منها مجلس الرجل من امرأته. ، وجاء عن سعيد بن جبیر: ﴿ولقد همت به وهم

بها قال: أطلق تَكَّةَ سراويله. فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يوصف يوسف بمثل هذا، وهو لله نبي؟ قيل: إن أهل العلم اختلفوا في ذلك. فقال بعضهم: كان من ابتلي من الأنبياء بخطيئة، فإنما ابتلاه الله بها، ليكون من الله عَزَّجَلَّ على وَجَلٍ إذا ذكرها، فيجد في طاعته إشفاقاً منها، ولا يتكل على سعة عفو الله ورحمته. وقال آخرون: بل ابتلاه الله بذلك، ليعرفهم موضع نعمته عليهم، بصفحة عنهم، وتركه عقوبته عليه في الآخرة. وقال آخرون: بل ابتلاههم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله، وترك الإيأس من عفوهم إذا تابوا. وأما آخرون ممن خالف أقوال السلف وتأولوا القرآن بآرائهم، فإنهم قالوا في ذلك أقوالاً مختلفة. فقال بعضهم: معناه: ولقد همت المرأة بيوسف، وهم بها يوسف أن يضربها أو ينالها بمكروه لهما به مما أرادت من المكروه، لولا أن يوسف رأى برهان ربه، وكفَّ ذلك عما هم به من أذاها لا أنها ارتدعت من قبل نفسها. قالوا: والشاهد على صحة ذلك قوله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ قالوا: فالسوء هو ما كان هم به من أذاها، وهو غير "الفحشاء". وقال آخرون منهم: معنى الكلام: ولقد همت به، فتناهى الخبر عنها. ثم ابتدئ الخبر عن يوسف، فقيل: "وهم بها يوسف لولا أن رأى برهان ربه". كأنهم وجَّهوا معنى الكلام إلى أن يوسف لم يهَمَّ بها، وأن الله إنما أخبر أن يوسف لولا رؤيته برهان ربه لَهَمَّ بها، ولكنه رأى برهان ربه فلم يهَمَّ بها، كما قيل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، [النساء: ٨٣]. وأما "البرهان" الذي رآه يوسف، فترك من أجله مواجهة الخطيئة، فإن أهل العلم مختلفون فيه. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أخبر عن هم يوسف وامرأة العزيز كل واحد منهما بصاحبه، لولا أن رأى يوسف برهان ربه، وذلك آية من الله، زجرته عن ركوب ما هم به يوسف من الفاحشة وجائز أن تكون تلك الآية صورة يعقوب وجائز أن تكون صورة الملك - وجائز أن يكون الوعيد في الآيات التي ذكرها الله في القرآن على الزنا ولا حجة للعذر قاطعة بأي ذلك [كان] من أي. والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تبارك وتعالى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالمه. وقوله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾، يقول تعالى ذكره: كما أرينا يوسف برهاننا على الزجر عما هم به من الفاحشة، كذلك نسب له في كل ما عرض له من هم يهَمُّ به فيما لا يرضاه، ما يزجره ويدفعه عنه؛ كي نصرف عنه ركوب ما حرَّمنا عليه، وإتيان الزنا، لنظيره من دنس ذلك. وقوله: ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ اختلفت القراءة في قراءة ذلك. فقرأته عامة قراءة المدينة والكوفة: ﴿إنه من عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ بفتح اللام من "المخلصين"، بتأويل: إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا، واخترناهم لنبوتنا ورسالتنا. وقرأ بعض قراءة البصرة: ﴿إنه من عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ بكسر اللام بمعنى: إن يوسف من عبادنا الذين أخلصوا توحيدنا وعبادتنا، فلم يشركوا بنا شيئاً، ولم يعبدوا شيئاً غيرنا. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القراءة، وهما متفقتا المعنى. وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيد والعبادة، ومن أخلص توحيد الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئاً، فهو ممن أخلصه الله، فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيبٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: واستبق يوسف وامرأة العزيز باب البيت، أما يوسف ففرازًا من ركوب الفاحشة لما رأى برهان ربه فزجره عنها، وأما المرأة فطلبها ليوسف لتقضي حاجتها منه التي راودته عليها، فأدركته فتعلقت بقميصه، فجذبتة إليها مانعةً له من الخروج من الباب، ففقدته من دبر يعني: شقته من خلف لا من قدام، لأن يوسف كان هو الهارب، وكانت هي الطالبة، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾، يقول جل ثناؤه: وصادفها سيدها وهو زوج المرأة "لدى الباب"، يعني: عند الباب كما جاء عن السدي: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾، قال: جالسًا عند الباب وابن عمّها معه، فلما رآته قالت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا؟ إنه راودني عن نفسي، فدفعته عن نفسي، فشقت قميصه. قال يوسف: بل هي راودتني عن نفسي، وفرت منها فأدركتني، فشقت قميصي. فقال ابن عمها: تبيان هذا في القميص، فإن كان القميص، قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين. فأتي بالقميص، فوجده قد من دبر قال: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم. يوسف أعرض عن هذا واستغفر لي ذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾. وقوله: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ يقول تعالى ذكره: قالت امرأة العزيز لزوجها لما أَلْفَيَا عند الباب، فخافت أن يتهمها بالفجور: ما ثواب رجل أراد بامرأتك الزنا إلا أن يسجن في السجن، أو إلا عذاب أليم يقول: موجه. قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يوسف لما قذفته امرأة العزيز بما قذفته من إرادته الفاحشة منها، مكذبًا لها فيما قذفته به ودفعًا لما نسب إليه: ما أنا راودتها عن نفسها، بل هي راودتني عن نفسي. وقد قيل: إن يوسف لم يرد ذكر ذلك، لو لم تقذفه عند سيدها بما قذفته به. كما جاء عن نوف الشامي وأما قوله: ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ فإن أهل العلم اختلفوا في صفة الشاهد. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: كان صبيًا في المهد للخبر الذي ذكره عن رسول الله ﷺ. أنه ذكر من تكلم في المهد. فذكر أن أحدهم صاحب يوسف. كما جاء عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "تكلم أربعة وهم صغار"، فذكر فيهم شاهد يوسف وقوله: ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾، لأن المطلوب إذا كان هاربًا فإنما يؤتى من قبل دبره، فكان معلومًا أن الشق لو كان من قبل لم يكن هاربًا مطلوبًا. ولكن كان يكون طالبًا مدفوعًا، وكان يكون ذلك شهادة على كذبه. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: قال: أشهد إن كان قميصه قد من قبل لقد صدقت وهو من الكاذبين. وذلك أن الرجل إنما يريد المرأة مقبلاً ﴿وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ وذلك أن الرجل لا يأتي المرأة من دبر. وقال: إنه لا ينبغي أن يكون في الحق إلا ذاك. فلما رأى إظفير قميصه قد من دبر عرف أنه من كيدها، فقال: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾. قال أبو جعفر: وإنما حذف "أن" التي تتلقى بها "الشهادة" لأنه ذهب بالشهادة إلى معنى "القول"، كأنه قال: وقال قائل من أهلها: إن كان قميصه كما قيل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، لأنه ذهب بالوصية إلى "القول". وقوله: ﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾، خبر عن زوج المرأة، وهو القائل لها: إن هذا الفعل من كيدكن أي: صنعكن، يعني من صنع النساء ﴿إن كيدكن عظيم﴾. وقيل: إنه خبر عن الشاهد أنه القائل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ قال أبو جعفر: وهذا فيما ذكر عن ابن عباس، خبر من الله تعالى ذكره عن قيل الشاهد أنه قال للمرأة وليوسف. يعني بقوله: ﴿يوسف﴾ أعرض عن هذا، يقول: أعرض عن ذكر ما كان منها إليك فيما راودتك عليه، فلا تذكره لأحد، كما جاء عن بن زيد: ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾، يقول: إنك كنت من المذنبين في مراودة يوسف عن نفسه. وقيل: ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾، لم يقل: من الخاطئات، لأنه لم يقصد بذلك قصد الخبر عن النساء، وإنما قصد به الخبر عمن يفعل ذلك فيخطأ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز في مدينة مصر، وشاع من أمرهما فيها ما كان، فلم ينكتم، وقلن: ﴿امرأة العزيز تراود فتاها﴾، عبدها ﴿عن نفسه﴾، كما جاء عن بن اسحاق وأما "العزيز" فإنه: "الملك" في كلام العرب، يعني بالعزيز، الملك، وهو من "العزة". وقوله: ﴿قد شغفها حبًّا﴾، يقول قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته، حتى غلب على قلبها. و"شغاف القلب": حجابها وغلافه الذي هو فيه، وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وجاهد وقوله: ﴿إننا لنراها في ضلال مبين﴾، قلن: إننا لنرى امرأة العزيز في مراودتها فتاها عن نفسه، وغلبة حبه عليها، لفي خطأ من الفعل، وجور عن قصد السبيل "مبين"، لمن تأمله وعلمه أنه ضلال، وخطأ غير صواب ولا سداد. وإنما كان قيلهن ما قلن من ذلك، وتحديثهن بما تحدثن به من شأنها وشأن يوسف، مكرًا منهن، فيما ذكر، لتهيئ يوسف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًّا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتِ اخْرِجِي عَنْ هُنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما سمعت امرأة العزيز بمكر النسوة اللاتي قلن في المدينة ما ذكره الله عز وجل عنهن وكان مكرهن ما جاء عن ابن إسحاق، قال: لما أظهر النساء ذلك، من قولهن: "تراود عبدها! " مكرًا بها لتهيئ يوسف، وكان يوصف لهن بحسنه وجماله؛ ﴿فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعدت لهن متكًا﴾. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس والحسن قال أبو جعفر: قال الله تعالى ذكره، مخبرًا عن امرأة العزيز والنسوة اللاتي تحدثن بشأنها في المدينة: ﴿وآتت كل واحدة منهن سكينًا﴾، يعني بذلك جل ثناؤه. وأعطت كل واحدة من النسوة اللاتي حضرنها، سكينًا لتقطع به من الطعام ما تقطع به. وذلك ما ذكرت أنها آتتهن إما من الأترج، وإما من البزماورد، أو غير ذلك مما يقطع بالسكين، كما جاء عن ابن عباس والسدي قال أبو جعفر: وفي هذه الكلمة بيان صحة ما قلنا واخترنا في قوله ﴿واعتدت لهن متكًا﴾. وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن إتياء امرأة العزيز النسوة السكاكين، وترك ما له آتتهن السكاكين، إذ كان معلومًا أن السكاكين لا تدفع إلى من دعي إلى مجلس إلا لقطع ما يؤكل إذا قطع بها. فاستغني بفهم السامع بذكر إتيائها صواحباتها السكاكين، عن ذكر ما له آتتهن ذلك. فكذلك استغني بذكر اعتدادها لهن المتكًا، عن ذكر ما يعتد له المتكًا مما يحضر المجالس من الأطعمة

والأشربة والفواكه وصنوف الالتهاة ؛ لفهم السامعين بالمراد من ذلك، ودلالة قوله: ﴿وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَتَكًا﴾، عليه. فأما نفس "المتكأ" فهو ما وصفنا خاصةً دون غيره. وقوله: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾، يقول تعالى ذكره: وقالت امرأة العزيز ليوسف: ﴿أَخْرِجْ عَلَيَّهِنَّ﴾، فخرج عليهن يوسف ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾، يقول جل ثناؤه: فلما رأين يوسف أعظمته وأجللته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن عباس وجاء عبد الصمد بن علي الهاشمي، عن أبيه، عن جده، في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾، قال: حِضْن. قال أبو جعفر: وهذا القول أعني القول الذي روي عن عبد الصمد، عن أبيه، عن جده، في معنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾، أنه حِضْن إن لم يكن عَنَى به أنهم حِضْن من إجلالهن يوسف وإعظامهن لما كان الله قسم له من البهاء والجمال، ولما يجد من مثل ذلك النساء عند معايتتهن إياه فقولاً لا معنى له. لأن تأويل ذلك: فلما رأين يوسف أكبرنه، فالهاء التي في "أكبرنه"، من ذكر يوسف، ولا شك أن من المحال أن يحِضْنَ يوسف. ولكن الخبر، إن كان صحيحاً عن ابن عباس على ما روي، فخليق أن يكون كان معناه في ذلك أنهم حِضْن لِمَا أَكْبَرْنَ من حسن يوسف وجماله في أنفسهن، ووجدن ما يجد النساء من مثل ذلك. وقوله: ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾، اختلف أهل التأويل في معنى ذلك. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عنهن أنهم قطعن أيديهن وهن لا يشعرن لإعظام يوسف، وجائز أن يكون ذلك قطعاً بإبانة وجائز أن يكون كان قطع حَزْ وخدش ولا قول في ذلك أصوب من التسليم لظاهر التزيل. وجاء عن عبد الله، قال: أعطي يوسف وأمه ثلث الحسن. ومعنى قوله: ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾، معاذ الله كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾، يقول: قلن ما هذا بشراً، لأنهن لم يرين في حسن صورته من البشر أحداً، فقلن: لو كان من البشر، لكان كبعض ما رأينا من صورة البشر، ولكنه من الملائكة لا من البشر، كما جاء عن بن زيد وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، يقول: قلن ما هذا إلا ملك من الملائكة كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قالت امرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن، فهذا الذي أصابكن في رؤيتكن إياه، وفي نظرة منكن نظرتن إليه ما أصابكن من ذهاب العقل وعُزوب الفهم وَلَهَا، أَلَهَتْهُنَّ حتى قطعتن أيديكن، هو الذي لمتني في حبي إياه، وشغف فؤادي به، فقلتن: قد شغف امرأة العزيز فتاها حباً، إنا لنراها في ضلال مبين! ثم أقرت لهن بأنها قد راودته عن نفسه، وأن الذي تحدثن به عنها في أمره حق فقالت: ﴿وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾، مما راودته عليه من ذلك كما جاء عن ابن عباس وقاتدة وقوله: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾، تقول: ولئن لم يطاوعني على ما أدعوه إليه من حاجتي إليه ﴿لَيُسْجَنَنَّ﴾، تقول: ليحبسن وليكوناً من أهل الصغار والذلة بالحبس والسجن، ولا هيئته

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ قال أبو جعفر: وهذا الخبر من الله يدل على أن امرأة العزيز قد عاودت يوسف في المرادة عن نفسه، وتوعدته بالسجن والحبس إن لم يفعل ما دعت إليه، فاختر السجن على ما دعت إليه من ذلك ؛ لأنها لو لم تكن عاودته وتوعدته بذلك، كان محالاً أن يقول:

﴿رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، وهو لا يدعى إلى شيء، ولا يخوف بحبس. و"السجن" هو الحبس نفسه، وهو بيت الحبس. قال أبو جعفر: وتأويل الكلام: قال يوسف: يا رب، الحبس في السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه من معصيتك، ويرادوني عليه من الفاحشة، كما جاء عن السدي وابن اسحاق وقوله: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾، يقول: وإن لم تدفع عني، يا رب، فعلهن الذي يفعلن بي، في مراودتهن إياي على أنفسهن "أصب إليهن"، يقول: أمل إليهن، وأتابعهن على ما يردن مني ويهوئن. كما جاء عن قتادة وابن اسحاق وقوله: ﴿وأكن من الجاهلين﴾، يقول: وأكن بصوتي إليهن، من الذين جهلوا حقك، وخالفوا أمرك ونهيك كما جاء عن ابن اسحاق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ قال أبو جعفر: إن قال قائل: وما وجه قوله: ﴿فاستجاب له ربه﴾، ولا مسألة تقدمت من يوسف لربه، ولا دعا بصرف كيدهن عنه، وإنما أخبر ربه أن السجن أحب إليه من معصيته؟ قيل: إن في إخباره بذلك شكاية منه إلى ربه مما لقي منهن، وفي قوله: ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن﴾، معنى دعاء ومسألة منه ربه صرف كيدهن، ولذلك قال الله تعالى ذكره: ﴿فاستجاب له ربه﴾، وذلك كقول القائل لآخر: "إن لا ترزني أهلك"، فيجيبه الآخر: "إذن أزورك"، لأن في قوله: "إن لا ترزني أهلك"، معنى الأمر بالزيارة. قال أبو جعفر: وتأويل الكلام: فاستجاب الله ليوسف دعاءه، فصرف عنه ما أرادت منه امرأة العزيز وصواحباتها من معصية الله كما جاء عن ابن اسحاق وقوله: ﴿إنه هو السميع﴾، دعاء يوسف حين دعاه بصرف كيد النسوة عنه، ودعاء كل داع من خلقه ﴿العليم﴾، بمطلبه وحاجته، وما يصلحه، وبحاجة جميع خلقه وما يصلحهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ثم بدا للعزیز، زوج المرأة التي راودت يوسف عن نفسه. وقيل: معنى قوله: ﴿ثم بدا لهم﴾ في الرأي الذي كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقاً، ورأوا أن يسجنوه ﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾ ببراءته مما قذفته به امرأة العزيز. وتلك "الآيات"، كانت قد القميص من دُبر، وخمشاً في الوجه، وقطع أيديهن، كما جاء عن السدي ومجاهد وقاتدة وقوله: ﴿ليسجننه حتى حين﴾، يقول: ليسجننه إلى الوقت الذي يرون فيه رأيهم. وجعل الله ذلك الحبس ليوسف، فيما ذكر، عقوبة له من همّه بالمرأة، وكفارة لخطيئته. كما جاء عن ابن عباس: ﴿ليسجننه حتى حين﴾، عشر يوسف ﷺ ثلاث عثرات: حين همّ بها فسجن. وحين قال: ﴿اذكرني عند ربك﴾، فلبث في السجن بضع سنين، وأنساه الشيطان ذكر ربه. وقال لهم: ﴿إنكم لسارقون﴾، فقالوا: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾. وذكر أن سبب حبسه في السجن، كان شكوى امرأة العزيز إلى زوجها أمره وأمرها، كما جاء عن السدي: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾، قال: قالت المرأة لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس، يعتذر إليهم، ويخبرهم أي راودته عن نفسه، ولست أطيق أن أعتمر بعذري، فإما أن تأذن لي فأخرج فأعتذر، وإما أن تحبسه كما حبستني. فذلك قول الله تعالى: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال أبو جعفر:

يقول تعالى ذكره: ودخل مع يوسف السجن فتيان فدل بذلك على متروكه قد ترك من الكلام، وهو: ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾، فسجنوه وأدخلوه السجن ودخل معه فتیان، فاستغنى بدليل قوله: ﴿ودخل معه السجن فتیان﴾، على إدخالهم يوسف السجن، من ذكره. وكان الفتیان، فيما ذكر، غلامين من غلمان ملك مصر الأكبر، أحدهما صاحب شرابه، والآخر صاحب طعامه، كما جاء عن ابن إسحاق، قال: فطرح في السجن يعني يوسف ﴿ودخل معه السجن فتیان﴾، غلامان كانا للملك الأكبر الريان بن الوليد، كان أحدهما على شرابه، والآخر على بعض أمره، في سَخَطَةٍ سَخَطَهَا عليهما، اسم أحدهما "مجلث" والآخر "نبو"، و"نبو" الذي كان على الشراب. وكان سبب حبس الملك الفتیین فيما ذكر، عن السدي، قال: إن الملك غضب على خبّازّه، بلغه أنه يريد أن يسمّه، فحبسه وحبس صاحب شرابه، ظنّ أنه مالأه على ذلك. فحبسهما جميعاً؛ فذلك قول الله: ﴿ودخل معه السجن فتیان﴾. وقوله: ﴿قال أحدهما إني أراي أعصر خمراً﴾، ذكر أن يوسف صلوات الله عليه لما أدخل السجن، قال لمن فيه من المحبسين، وسألوه عن عمله: إني أعبر الرؤيا: فقال أحد الفتیین اللذين أدخلوا معه السجن لصاحبه: تعال فلنجر به، كما جاء عن السدي، قال: لما دخل يوسف السجن قال: أنا أعبر الأحلام. فقال أحد الفتیین لصاحبه: هلّم نجرّب هذا العبد العبراني فترأيّا له! فسألاه، من غير أن يكونا رأيا شيئاً. فقال الخباز: إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه؟ وقال الآخر: إني أراي أعصر خمراً؟ وقال قوم: إنما سأله الفتیان عن رؤيا كانا رأياها على صحةٍ وحقيقةٍ، وعلى تصديق منهما ليوسف لعلمه بتعبيرها. كما جاء عن مجاهد: أن يوسف قال لهم حين قالوا له ذلك: أنشدكما الله أن لا تحباني، فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحببني عمتي فدخل علي من حبه بلاء، ثم لقد أحبني أبي فدخل عليّ بحبه بلاء، ثم لقد أحببني زوجة صاحبي هذا فدخل عليّ بحبها إياي بلاء، فلا تحباني بارك الله فيكما! قال: فأبيا إلا حبه وإلفه حيث كان، وجعلا يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله. وقد كانا رأيا حين أدخلوا السجن رؤيا، فرأى "مجلث" أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه، ورأى "نبو" أنه يعصر خمراً، فاستفتياه فيها، وقالوا له: ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾، إن فعلت. وعني بقوله: ﴿أعصر خمراً﴾، أي: إني أرى في نومي أني أعصر عنباً. وكذلك ذلك في قراءة ابن مسعود فيما ذكر عنه. عن محمد بن الحنفية قال في قراءة ابن مسعود: "إني أراي أعصر عنباً. وذكر أن ذلك من لغة أهل عمان، وأنهم يسمون العنب خمراً. كما جاء عن عكرمة وابن عباس وقوله: ﴿وقال الآخر إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله﴾، يقول تعالى ذكره: وقال الآخر من الفتیین: إني أراي في منامي أحمل فوق رأسي خبزاً؛ يقول: أحمل على رأسي فوضعت "فوق" مكان "على" ﴿تأكل الطير منه﴾، يعني: من الخبز. وقوله: ﴿نبئنا بتأويله﴾، يقول: أخبرنا بما يؤول إليه ما أخبرناك أنّا رأيناه في منامنا، ويرجع إليه، كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾. اختلف أهل التأويل في معنى "الإحسان" الذي وصف به الفتیان يوسف. فقال بعضهم: هو أنه كان يعود مريضهم، ويعزي حزينهم، وإذا احتاج منهم إنسان جمّع له. كما جاء عن الضحاك بن مزاحم، قال: كنت جالساً معه ببلخ، فسئل عن قوله: ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾، قال: قيل له: ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا مرض إنسان قام عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق أوسع له. وقال

آخرون: معناه: ﴿إنا نراك من المحسنين﴾، إذا نبأنا بتأويل رؤيانا هذه. كما جاء عن ابن اسحاق قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب، القول الذي ذكر عن الضحاك أنه قال: كنت جالساً معه ببلخ، فسئل عن قوله: ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾، قال: قيل له: ما كان إحسان يوسف؟ قال: كان إذا مرض إنسان قام عليه، وإذا احتاج جمع له، وإذا ضاق أوسع له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿قال﴾ يوسف للفتيين اللذين استعبراه الرؤيا: ﴿لا يأتیکما﴾، أيها الفتیان فی منامكما ﴿طعام ترزقانه﴾ إلا نبأتكما بتأويله، ﴿في يقظتكما﴾ قبل أن يأتیکما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وابن اسحاق ويعني بقوله ﴿بتأويله﴾: ما يؤول إليه ويصير ما رأيا في منامهما من الطعام الذي رأيا أنه آتاهما فيه. وقوله: ﴿ذلكما مما علمني ربِّي﴾، يقول: هذا الذي أذكر أني أعلمه من تعبير الرؤيا، مما علمني ربِّي فعلمته ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله﴾ وجاء الخبر مبتدأ، أي: تركت ملة قوم، والمعنى: ما ملت، وإنما ابتدأ بذلك، لأن في الابتداء الدليل على معناه. وقوله: ﴿إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله﴾، يقول: إني برئت من ملة من لا يصدق بالله، ويقرّ بوحدايته ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾، يقول: وهم مع تركهم الإيمان بوحداية الله، لا يقرّون بالمعاد والبعث، ولا بثواب ولا عقاب. وبنحو ذلك قال أهل العلم. كما جاء عن ابن جريج، في قوله: ﴿إني أراني أعصر خمرا﴾ وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله. قال: فكره العبارة لهما، وأخبرهما بشيء لم يسألاه عنه ليريحهما أن عنده علما. وكان الملك إذا أراد قتل إنسان، صنع له طعاما معلوما، فأرسل به إليه، فقال يوسف: ﴿لا يأتیکما طعام ترزقانه﴾، إلى قوله: ﴿تشكرون﴾. فلم يدعاه، فعدل بهما، وكره العبارة لهما. فلم يدعاه حتى يعبر لهما، فعدل بهما وقال: ﴿يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾، إلى قوله: ﴿يعلمون﴾، فلم يدعاه حتى عبر لهما، فقال: ﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقى ربه خمرا وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾. قالوا ما رأينا شيئا، إنما كنا نلعب! قال: ﴿قضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾. قال أبو جعفر: وعلى هذا التأويل الذي تأوله ابن جريج، فقوله: ﴿لا يأتیکما طعام ترزقانه﴾، في اليقظة لا في النوم. وإنما أعلمهما على هذا القول أن عنده علم ما يؤول إليه أمر الطعام الذي يأتيهما من عند الملك ومن عند غيره، لأنه قد علم النوع الذي إذا آتاهما كان علامة لقتل من آتاه ذلك منهما، والنوع الذي إذا آتاه كان علامة لغير ذلك، فأخبرهما أنه عنده علم ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يعني بقوله: ﴿واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾، واتبعت دينهم لا دين أهل الشرك ﴿ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء﴾، يقول: ما جاز لنا أن نجعل لله شريكا في عبادته وطاعته، بل الذي علينا إفراده بالألوهية والعبادة ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾، يقول: اتباعي ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب على الإسلام، وتركى ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون، من فضل الله الذي تفضل به علينا، فأنعم إذ أكرمنا به ﴿وعلى الناس﴾، يقول: وذلك أيضا من فضل الله على الناس،

إذ أرسلنا إليهم دعاءً إلى توحيدهِ وطاعته ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾، يقول: ولكن من يكفر بالله لا يشكر ذلك من فضله عليه، لأنه لا يعلم من أنعم به عليه ولا يعرف المتفضل به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ قال أبو جعفر: ذكر أن يوسف صلوات الله عليه قال هذا القول للفتيين اللذين دخلا معه السجن، لأن أحدهما كان مشركاً، فدعاه بهذا القول إلى الإسلام وترك عبادة الآلهة والأوثان، فقال: ﴿يا صاحبي السجن﴾، يعني: يا من هو في السجن، وجعلهما "صاحبيه" لكونهما فيه، كما قال الله تعالى لسكان الجنة: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وكذلك قال لأهل النار، وسماهم "أصحابها" لكونهم فيها. وقوله: ﴿أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، يقول: أعبادة أرباب شتى متفرقين وآلهة لا تنفع ولا تضر، خيرٌ أم عبادة المعبود الواحد الذي لا ثاني له في قدرته وسلطانه، الذي قهر كل شيء فذلله وسخره، فأطاعه طوعاً وكرهاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال أبو جعفر: يعني بقوله: ﴿ما تعبدون من دونه﴾، ما تعبدون من دون الله. وقال: ﴿ما تعبدون﴾ وقد ابتدأ الخطاب بخطاب اثنين فقال: ﴿يا صاحبي السجن﴾ لأنه قصد المخاطب به، ومن هو على الشرك بالله مقيمٌ من أهل مصر، فقال للمخاطب بذلك: ما تعبد أنت ومن هو على مثل ما أنت عليه من عبادة الأوثان ﴿إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم﴾، وذلك تسميتهم أوثانهم آلهة أرباباً، شركاً منهم، وتشبيهاً لها في أسمائها التي سموها بها بالله، تعالى عن أن يكون له مثل أو شبيه ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾، يقول: سموها بأسماء لم يأذن لهم بتسميتها، ولا وضع لهم على أن تلك الأسماء أسماءها، دلالة ولا حجة، ولكنها اختلاق منهم لها وافتراء. وقوله: ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، يقول: وهو الذي أمر ألا تعبدوا أنتم وجميع خلقه، إلا الله الذي له الألوهة والعبادة خالصة دون كل ما سواه من الأشياء، كما جاء عن أبي العالية وقوله: ﴿ذلك الدين القيم﴾، يقول: هذا الذي دعوتكم إليه من البراءة من عبادة ما سوى الله من الأوثان، وأن تخلصوا العبادة لله الواحد القهار، هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، والحق الذي لا شك فيه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، يقول: ولكن أهل الشرك بالله يجهلون ذلك، فلا يعلمون حقيقته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه، مخبراً عن قيل يوسف للذين دخلا معه السجن: ﴿يا صاحبي السجن أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾، هو الذي رأى أنه يعصر خمراً، فيسقي ربّه يعني سيده، وهو ملكهم "خمراً"، يقول: يكون صاحب شرابه. كما جاء عن ابن زيد وأما الآخر، وهو الذي رأى أن على رأسه خبزاً تأكل الطير منه "فيصلب فتأكل الطير من رأسه"، فذكر أنه لما عبر ما أخبر به أنهم رأياه في منامهما، قال له: ما رأينا شيئاً فقال لهما: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يقول: فرغ من الأمر الذي فيه استفتيتما، ووجب حكم الله

عليكما بالذي أخبرتكما به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل العلم. كما جاء عن عبد الله وابن اسحاق ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا: ﴿اذكرني عند ربك﴾ يقول: اذكرني عند سيدك، وأخبره بمظلمتي، وأنا محبوس بغير جرم، كما جاء عن ابن اسحاق وقتادة ومجاهد وقوله: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن غفلة عرّضت ليوسف من قبل الشيطان، نسي لها ذكر ربه الذي لو به استغاث لأسرع بما هو فيه خلاصه، ولكنه زل بها فأطال من أجلها في السجن حبسه، وأوجع لها عقوبته، كما جاء عن مالك بن دينار قال: لما قال يوسف للساقى: ﴿اذكرني عند ربك﴾ قال: قيل: يا يوسف، اتخذت من دوني وكيلًا؟ لأطيلن حبسك! فبكى يوسف وقال: يا رب، أنسى قلبي كثرة البلوى، فقلت كلمة، فويل لأخوتي. وكما جاء عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: لو لم يقل يوسف يعني الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث يعني حيث يبتغي الفرج من عند غير الله. ﴿وهذا خبر ضعيف الاسناد﴾ وكان محمد بن إسحاق يقول: إنما أنسى الشيطان الساقى ذكر أمر يوسف لملكهم. كما قال: لما خرج يعني الذي ظن أنه ناج منهما ردّ على ما كان عليه، ورضي عنه صاحبه، فأنساه الشيطان ذكر ذلك للملك الذي أمره يوسف أن يذكره، فلبث يوسف بعد ذلك في السجن بضع سنين. يقول جل ثناؤه: فلبث يوسف في السجن، لقليله للناجي من صاحبي السجن من القيل: "اذكرني عند سيدك"، بضع سنين، عقوبة له من الله بذلك. واختلف أهل التأويل في قدر "البضع" الذي لبث يوسف في السجن. قال أبو جعفر: -والصواب في "البضع" من الثلاث إلى التسع، إلى العشر، ولا يكون دون الثلاث. وكذلك ما زاد على العقد إلى المئة، وما زاد على المئة فلا يكون فيه "بضع".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يعني جل ذكره بقوله: وقال ملك مصر: إني أرى في المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف من البقر عجاف. وقال: "إني أرى"، ولم يذكر أنه رأى في منامه ولا في غيره، لتعارف العرب بينها في كلامها إذا قال القائل منهم: "أرى أي أفعل كذا وكذا"، أنه خبر عن رؤيته ذلك في منامه، وإن لم يذكر النوم. وأخرج الخبر جل ثناؤه على ما قد جرى به استعمال العرب ذلك بينهم. ﴿وسبع سنبلات خضر﴾، يقول: وأرى سبع سنبلات خضر في منامي ﴿وأخر﴾ يقول: وسبعًا آخر من السنبل ﴿يابسات﴾ يا أيها الملأ، يقول: يا أيها الأشراف من رجالي وأصحابي ﴿أفتوني في رؤياي﴾، فاعبروها، ﴿إن كنتم للرؤيا عبرة﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال الملأ الذين سألهم ملك مصر عن تعبير رؤياه: رؤياك هذه "أضغاث أحلام"، يعنون أنها أخلاط، رؤيا كاذبة لا حقيقة لها. وهي جمع "ضغث"، و"الضغث" أصله الحزمة من الحشيش، يشبه بها الأحلام المختلطة التي لا تأويل لها و"الأحلام"، جمع حلم، وهو

ما لم يصدق من الرؤيا، كما جاء عن ابن عباس وقتادة وقوله: ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾، يقول: وما نحن بما تتول إليه الأحلام الكاذبة بعالمين. معنى الكلام: ليس هذه الرؤيا بشيء، إنما هي أضغاث أحلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِي﴾^(١٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ^(١٦) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وقال الذي نجا من القتل من صاحبي السجن اللذين استعبرا يوسف الرؤيا ﴿وادكر﴾، يقول: وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف، وذكر حاجته للملك التي كان سألها عند تعبيره رؤياه أن يذكرها له بقوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾ بعد أمة، يعني بعد حين، كما جاء عن ابن عباس وابن أبي رزین وقوله: ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ يقول: أنا أخبركم بتأويله ﴿فأرسلون﴾، يقول: فأطلقوني، أمضي لأتيكم بتأويله من عند العالم به. وفي الكلام محذوف قد ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك، وذلك: "فأرسلوه، فأتى يوسف، فقال له": يا يوسف، يا أيها الصديق، كما جاء عن ابن إسحاق قال: قال الملك للملأ حوله: ﴿إني أرى سبع بقرات سمان﴾، الآية، وقالوا له ما قال، وسمع نبي من ذلك ما سمع ومسألته عن تأويلها، ذكر يوسف وما كان عبر له ولصاحبه، وما جاء من ذلك على ما قال من قوله، قال: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾، يقول الله: ﴿وادكر بعد أمة﴾، أي حقبة من الدهر، فاتاه فقال: يا يوسف، إن الملك قد رأى كذا وكذا، فقص عليه الرؤيا، فقال فيها يوسف ما ذكر الله لنا في الكتاب، فجاءهم مثل فلق الصبح تأويلها، فخرج نبوا من عند يوسف بما أفاتهم به من تأويل رؤيا الملك، وأخبره بما قال. وقيل: إن الذي نجا منهما إنما قال: "أرسلوني"، لأن السجن لم يكن في المدينة. كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾، فإن معناه: أفتنا في سبع بقرات سمان رئيين في المنام، يأكلهن سبع منها عجاف وفي سبع سنبلات خضر رئيين أيضًا، وسبع آخر منهن يابسات. فأما "السمان من البقر"، فإنها السنون المخصصة، كما جاء عن قتادة قوله: ﴿وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾، أما ﴿الخضر﴾ فهن السنون المخاصيب وأما ﴿اليابسات﴾ فهن الجدوب المحول. و"العجاف" جمع "عجف" وهي المهازيل. وقوله: ﴿لعلِّي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون﴾، يقول: كي أرجع إلى الناس فأخبرهم ﴿لعلهم يعلمون﴾ يقول: ليعلموا تأويل ما سألتك عنه من الرؤيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾^(١٧) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يوسف لسائله عن رؤيا الملك: ﴿تزرعون سبع سنين دأبًا﴾ يقول: تزرعون هذه السبع السنين، كما كنتم تزرعون سائر السنين قبلها على عادتكم فيما مضى. و"الدأب"، العادة، وقوله: ﴿فما حصدم فذرؤه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون﴾، وهذا مشورة أشار بها نبي الله ﷺ على القوم، ورأي رآه لهم صلاحًا، يأمرهم باستبقاء طعامهم، كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾^(١٨) قال أبو جعفر: يقول: ثم يجيء من بعد السنين السبع التي تزرعون فيها دأبًا، سنون

سبع شداد، يقول: جدوب قحطة ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾، يقول: يُوْكَل فِيهِنَّ مَا قَدَّمْتُمْ فِي إِعْدَادِ مَا أَعْدَدْتُمْ لَهُنَّ فِي السَّنِينَ السَّبْعَةِ الْخَصْبَةِ مِنَ الطَّعَامِ وَالْأَقْوَاتِ. وَقَالَ جَلْ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَأْكُلْنَ﴾، فوصف السنين بأهن ﴿يَأْكُلْنَ﴾، وإنما المعنى: أن أهل تلك الناحية يأكلون فيهن، ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾، يقول: إلا يسيرًا مما تحرزونه. والإحصان: التصيير في الحصن، وإنما المراد منه الإحراز. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة والسدي وابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعِصْرُونَ﴾ قال أبو جعفر: وهذا خبر من يوسف عليه السلام للقوم عما لم يكن في رؤيا ملكهم، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله دلالة على نبوته وحجة على صدقة، كما جاء عن قتادة ويعني بقوله: ﴿فيه يغاث الناس﴾، بالمطر والغيث. وبنحو ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وأما قوله: ﴿وفيه يعصرون﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله. فقال بعضهم: معناه: وفيه يعصرون العنب والسَّمْسَمَ وما أشبه ذلك. كما جاء عن قتادة وابن عباس وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وفيه يعصرون﴾، وفيه يَحْلِبُونَ. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْتَ أِيدَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما رجع الرسول الذي أرسلوه إلى يوسف، الذي قال: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فارسلون﴾ فأخبرهم بتأويل رؤيا الملك عن يوسف علم الملك حقيقة ما أفتاه به من تأويل رؤياه وصحة ذلك، وقال الملك: اتنوني بالذي عبر رؤياي هذه. كما جاء عن بن اسحاق والسدي وقوله: ﴿فلما جاءه الرسول﴾، يقول: فلما جاءه رسول الملك يدعوه إلى الملك ﴿قال ارجع إلى ربك﴾، يقول: قال يوسف للرسول: ارجع إلى سيدك ﴿فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾؟ وأبى أن يخرج مع الرسول وإجابة الملك، حتى يعرف صحة أمره عندهم مما كانوا قرفوه به من شأن النساء، فقال للرسول: سل الملك ما شأن النسوة اللاتي قطعن أيديهن، والمرأة التي سجن بسببها؟ كما جاء عن السدي قال: لما أتى الملك رسوله فأخبره، قال: ﴿اتنوني به﴾، فلما آتاه الرسول ودعاه إلى الملك، أبى يوسف الخروج معه ﴿وقال ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ الآية. قال السدي، قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه، ما زالت في نفس العزيز منه حاجة! يقول: هذا الذي راود امرأته. وكما جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يرحم الله يوسف إن كان ذا أناة! لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً، إن كان لحليماً ذا أناة! وكما جاء عن ابن جريج، قوله: ﴿ارجع إلى ربك فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾، قال: أراد يوسف العذر قبل أن يخرج من السجن. وقوله: ﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾، يقول: إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنيعهن وأفعالهن التي فعلن، بي ويفعلن بغيري من الناس، لا يخفى عليه ذلك كله، وهو من وراء جزائهن على ذلك. وقيل: إن معنى ذلك: إن سيدي إطفير العزيز، زوج المرأة التي راودتني عن نفسي، ذو علم ببراءتي مما قرفتني به من السوء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال أبو

جعفر: وفي هذا الكلام متروك، قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو: "فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته، فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز" فقال لهن: ﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ كما جاء عن بن اسحاق ويعني بقوله: ﴿ما خطبكن﴾، ما كان أمركن، وما كان شأنكن ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ فأجبنه قتلن: ﴿حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾، تقول: الآن تبين الحق وانكشف فظهر، أنا راودته عن نفسه وإن يوسف لمن الصادقين في قوله: ﴿هي راودتن عن نفسي﴾ وبمثل ما قلنا في معنى: ﴿الآن حصحص الحق﴾، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ قال أبو جعفر: يعني بقوله: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾، هذا الفعل الذي فعلته، من ردي رسول الملك إليه، وتركه إجابته والخروج إليه، ومسألتي إياه أن يسأل النسوة اللاتي قطعن أيديهن عن شأنهن إذ قطعن أيديهن، إنما فعلته ليعلم أني لم أخنه في زوجته "بالغيب"، يقول: لم أركب منها فاحشة في حال غيبته عني. وإذا لم يركب ذلك بمغيبه، فهو في حال مشهده إياه أخرى أن يكون بعيداً من ركوبه كما جاء عن الضحاك ومجاهد وقتادة وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، يقول: فعلت ذلك ليعلم سيدي أني لم أخنه بالغيب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، يقول: وأن الله لا يسدّد صنيع من خان الأمانات، ولا يرشد فعالهم في خيانتهموها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول يوسف صلوات الله عليه: وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل فأزكيها ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾، يقول: إن النفوس نفوس العباد، تأمرهم بما تنهوا، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ يقول: إلا أن يرحم ربي من شاء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء ﴿إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ويعني بقوله: ﴿إِنْ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أن الله ذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه، بتركه عقوبته عليها وفضيحتها بها "رحيم"، به بعد توبته، أن يعذبه عليها. وذكر أن يوسف قال هذا القول، من أجل أن يوسف لما قال: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾، قال ملك من الملائكة: ولا يوم هممت بها! فقال يوسف حيثئذ: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾. وقد قيل: إن القائل ليوسف: "ولا يوم هممت بها، فحللت سراويلك!" هو امرأة العزيز، فأجابها يوسف بهذا الجواب. وقيل: إن يوسف قال ذلك ابتداءً من قبل نفسه. كالذي جاء عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ قلن حاش لله، ما علمنا عليه من سوء! قالت امرأة العزيز: ﴿الآن حصحص الحق﴾ الآية. قال يوسف: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾، قال فقال له جبريل: ولا يوم هممت بما هممت! فقال: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾ وهناك من قال: قائل ذلك له المرأة. كما جاء عن السدي: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾، قال: قاله يوسف حين جيء به، ليعلم العزيز أنه لم يخنه بالغيب في أهله، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. فقالت امرأة العزيز: يا يوسف، ولا يوم حللت سراويلك؟ فقال يوسف: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾. ذكر من قال: قائل ذلك يوسف لنفسه، من غير تذكير مذكّر ذكره ولكنه تذكّر ما كان سلف منه في ذلك. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه

بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين»، هو قول يوسف لمليكه، حين أراه الله عذره، فذكر أنه قد همَّ بها وهمت به، فقال يوسف: ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء﴾، الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: "وقال الملك"، يعني ملك مصر الأكبر، وهو فيما ذكر ابن إسحاق: الوليد بن الرِّيان. حين تبين عذر يوسف، وعرف أمانته وعلمه، قال لأصحابه: ﴿ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾، يقول: أجعلهُ من خلصائي دون غيري. وقوله: ﴿فلما كلمه﴾، يقول: فلما كلم الملك يوسف، وعرف براءته وعظم أمانته قال له: إنك يا يوسف، "لدينا مكيّن أمين"، أي: متمكن مما أردت، وعرض لك من حاجة قبلنا، لرفعة مكانك ومنزلتك، لدينا أمين على ما أوّمتنت عليه من شيء. كما جاء عن ابن إسحاق، عن أبي مسرة قال: لما رأى العزيز لبّ يوسف وكيسه وظرفه، دعاه فكان يتغدى ويتعشى معه دون غلمانه. فلما كان بينه وبين المرأة ما كان، قالت له: تُدْنِي هذا! مرّه فليتغدّد مع الغلمان. قال له: اذهب فتغدّد مع الغلمان. فقال له يوسف في وجهه: ترغب أن تأكل معي أو تنكّف أنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله، ابن إسحاق ذبيح الله، ابن إبراهيم خليل الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: قال يوسف للملك: اجعلني على خزائن أرضك. وهي جمع "خزّانة". وهذا من يوسف صلوات الله عليه، مسألة منه للملك أن يوليه أمر طعام بلده وخراجها، والقيام بأسباب بلده، ففعل ذلك الملك به، فيما بلغني، كما قال ابن زيد في قوله: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾، قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام قال: فأسلم سلطانه كلّهُ إليه، وجعل القضاء إليه، أمره وقضاؤه نافذ. وقوله: ﴿إني حفيظ عليم﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله. قال أبو جعفر: والأولى عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: "إني حافظ لما استودعني، عالم بما أوليتني"، لأن ذلك عقيب قوله: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾، ومسألته الملك استكفاء خزائن الأرض، فكان إعلامه بأن عنده خبرة في ذلك وكفايته إياه، أشبه من إعلامه حفظه الحساب، ومعرفته بالألسن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وهكذا وطّأنا ليوسف في الأرض يعني أرض مصر ﴿يتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾، يقول: يتخذ من أرض مصر منزلاً حيث يشاء، بعد الحبس والضيق ﴿نصيب برحمتنا من نشاء﴾، من خلقنا، كما أصبنا يوسف بها، فمكنا له في الأرض بعد العبودة والإسار، وبعد الإلقاء في الحبّ ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾، يقول: ولا نبطل جزاء عمل من أحسن فإطاع ربه، وعمل بما أمره، وانتهى عما نهاه عنه، كما لم نبطل جزاء عمل يوسف إذ أحسن فإطاع الله. وكان تمكين الله ليوسف في الأرض كما جاء عن ابن إسحاق قال: لما قال يوسف للملك: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ إني حفيظ عليم قال الملك: قد فعلت! فولاه فيما يذكرون عمل إطفير وعزل إطفير عما كان عليه، يقول الله: ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾، الآية. قال: فذكر لي، والله أعلم أن إطفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك الرِّيان بن الوليد، زوج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال: أليس هذا خيراً مما كنت

تريدين؟ قال: فيزعمون أنها قالت: أيُّها الصديق، لا تلمني، فإني كنت امرأة كما ترى حسناً وجمالاً ناعمةً في ملكٍ ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت. فيزعمون أنه وجدها عذراء، فأصابها، فولدت له رجلين: أفرائيم بن يوسف، وميشا بن يوسف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا جُرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٥٧ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولثواب الله في الآخرة ﴿خير للذين آمنوا﴾ يقول: للذين صدقوا الله ورسوله، مما أعطى يوسف في الدنيا من تمكنه له في أرض مصر ﴿وكانوا يتقون﴾، يقول: وكانوا يتقون الله، فيخافون عقابه في خلاف أمره واستحلال محارمه، فيطيعونه في أمره ونهيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ ٥٨ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم﴾، يوسف، ﴿وهم﴾ ليوسف ﴿منكرون﴾ لا يعرفونه. وكان سبب مجيئهم يوسف، فيما ذكر لي، كما جاء عن ابن إسحاق، قال: لما اطمأن يوسف في ملكه، وخرج من البلاء الذي كان فيه، وخلت السنين المخضبة التي كان أمرهم بالإعداد فيها للسنين التي أخبرهم بها أنها كائنة، جهد الناس في كل وجه، وضربوا إلى مصر يلتمسون بها الميرة من كل بلدة. وكان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد، قد آسى بينهم، وكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً، ولا يحمل للرجل الواحد بعيرين، تقسيطاً بين الناس، وتوسيعاً عليهم، فقدم إخوته فيمن قدم عليه من الناس، يلتمسون الميرة من مصر، فعرفهم وهم له منكرون، لما أراد الله أن يبلغ ليوسف ﴿عليه السلام﴾ فيما أراد. وكما جاء عن السدي، قال: أصاب الناس الجوع، حتى أصاب بلاداً يعقوب التي هو بها، فبعث بنيه إلى مصر، وأمسك أخا يوسف بنيامين؛ فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون؛ فلما نظر إليهم، قال: أخبروني ما أمركم، فإني أنكر شأنكم! قالوا: نحن قوم من أرض الشام. قال: فما جاء بكم قالوا: جئنا نمتار طعاماً. قال: كذبتكم، أنتم عيون، كم أنتم؟ قالوا: عشرة. قال: أنتم عشرة آلاف، كل رجل منكم أمير ألف، فأخبروني خبركم. قالوا: إنا إخوة بنو رجل صديق، وإنا كنا اثني عشر، وكان أبونا يحبّ أخاً لنا، وإنه ذهب معنا البرية فهلك منا فيها، وكان أحبنا إلى أبينا. قال: فإلى من سكن أبوك بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه. قال: فكيف تخبروني أن أباكم صديق، وهو يحب الصغير منكم دون الكبير؟ اتنوني بأخيكم هذا حتى أنظر إليه ﴿فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سزاود عنه أباه وإنا لفاعلون﴾، قال: فضموا بعضهم رهينة حتى ترجعوا. فوضعوا شمعون

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتُّنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْبِكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ ٥٩ قال أبو جعفر: يقول: ولما حمل يوسف لإخوته أبا عرهم من الطعام، فأوقر لكل رجل منهم بعيره، قال لهم: ﴿اتنوني بأخ لكم من أيبكم﴾ كيما أحمل لكم بعيراً آخر، فتزادوا به حمل بعير آخر، ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾، فلا أبخسه أحداً ﴿وأنا خير المنزلين﴾، وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة، فأنا أضيفكم. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: لما جهز يوسف فيمن جهّز من الناس، حمل لكل رجل منهم بعيراً بعدتهم، ثم قال لهم: ﴿اتنوني بأخ لكم من أيبكم﴾، أجعل لكم بعيراً آخر، أو كما قال ﴿ألا ترون أني أوفي الكيل﴾، أي: لا

أبخس الناس شيئاً ﴿وَأَنَا خَيْرَ الْمَنْزِلِينَ﴾: أي خير لكم من غيري، فإنكم إن أتيتم به أكرمت منزلتكم وأحسنتم إليكم، وازددتم به بعيداً مع عدتكم، فإني لا أعطي كل رجل منكم إلا بعيداً ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾، لا تقربوا بلدي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل يوسف لإخوته: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ﴾، بأخيك من أبيكم ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾، يقول: فليس لكم عندي طعام أكيله لكم ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾، يقول: ولا تقربوا بلادي. وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُون﴾، في موضع جزم بالنهي، و"النون" في موضع نصب، وكسرت لما حذف ياءها، والكلام: ولا تقربوني.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُرَّادُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف ليوسف إذ قال لهم: ﴿اتَّبُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾: ﴿قَالُوا سُرَّادُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾، ونسأله أن يخليه معنا حتى نجيء به إليك ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ يعنون بذلك: وإننا لفاعلون ما قلنا لك إنا نفعله من مراودة أبينا عن أخينا منه ولنجهتهدن كما جاء عن ابن اسحاق وقوله: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾، يقول تعالى ذكره: وقال يوسف "لفتيانه"، وهم غلمانهم، كما جاء عن قتادة ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ﴾، يقول: اجعلوا أثمان الطعام التي أخذتموها منهم "في رحالهم". و"الرحال"، جمع "رَحْل"، وذلك جمع الكثير، فأما القليل من الجمع منه فهو: "أَرْحُل"، وذلك جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة. وبنحو الذي قلنا في معنى "البضاعة"، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن اسحاق وقاتدة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنًا نَكْتُلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما رجع إخوة يوسف إلى أبيهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنًا نَكْتُلْ﴾، يقول: منع منا الكيل فوق الكيل الذي كَيْلَ لَنَا، ولم يكل لكل رجل منّا إلا كيل بعير - ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَنًا﴾، بنيامين يكتل لنفسه كيل بعير آخر زيادة على كيل أباعرنا ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، من أن يناله مكروه في سفره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن السدي: فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا إن ملك مصر أكرمنا كرامة ما لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته، وإنه ارتهن شمعون، وقال: اتبوني بأخيك هذا الذي عكف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك، فإن لم تأتوني به فلا تقربوا بلادي. قال يعقوب: ﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؟ قال: فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملك مصر فاقروه مني السلام، وقولوا: إن أبانا يصلي عليك، ويدعو لك بما أوليتنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال أبوه يعقوب: هل آمنكم على أخيك من أبيكم الذي تسألوني أن أرسله معكم إلا كما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل؟ يقول: من قبله. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، يقول: والله أرحم راحمٍ بخلقه، يرحم ضعفي على كبر سني،

ووحدي بفقد ولدي، فلا يضيعه، ولكنه يحفظه حتى يرده عليّ لرحمته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما فتح إخوة يوسف متاعهم الذي حملوه من مصر من عند يوسف ﴿وجدوا بضاعتهم﴾، وذلك ثمن الطعام الذي اكتالوه منه رُدَّتْ إليهم، ﴿قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ يعني أنهم قالوا لأبيهم: ماذا نبغي؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا! تطيباً منهم لنفسه بما صنَّع بهم في ردِّ بضاعتهم إليهم. وقوله: ﴿ونمير أهلنا﴾، يقول: ونطلب لأهلنا طعاماً فنشتره لهم. ﴿ونحفظ أخانا﴾، الذي ترسله معنا ﴿ونزداد كيل بعير﴾، يقول: ونزداد على أحمالنا [من] الطعام حمل بعير يكال لنا ما حمل بعير آخر من إبلنا ﴿ذلك كيل يسير﴾، يقول: هذا حمل يسير. كما جاء عن ابن جريج: ﴿ونزداد كيل بعير﴾ قال: كان لكل رجل منهم حمل بعير، فقالوا: أرسل معنا أخانا نزداد حمل بعير وقال ابن جريج: قال مجاهد: ﴿كيل بعير﴾ حمل حمار. قال: وهي لغة قال القاسم: يعني مجاهد: أن "الحمار" يقال له في بعض اللغات: "بعير".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبنيه: لن أرسل أحاكم معكم إلى ملك مصر ﴿حتى تؤتون موثقاً من الله﴾، يقول: حتى تعطون موثقاً من الله بمعنى "الميثاق"، وهو ما يوثق به من يمين وعهد ﴿لتأتني به﴾ يقول لتأتني بأخيكم ﴿إلا أن يحاط بكم﴾، يقول: إلا أن يحيط بجميعكم ما لا تقدرون معه على أن تأتوني به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن اسحاق وقوله: ﴿فلما آتوه موثقهم﴾، يقول: فلما أعطوه عهدهم "قال"، يعقوب: ﴿الله على ما نقول﴾، أنا وأنتم ﴿وكيل﴾، يقول: هو شهيد علينا بالوفاء بما نقول جميعاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنِّي بَابَ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب لبنيه لما أرادوا الخروج من عنده إلى مصر ليمتاروا الطعام: يا بني لا تدخلوا مصر من طريق واحد، وادخلوا من أبواب متفرقة. وذكر أنه قال ذلك لهم، لأنهم كانوا رجالاً لهم جمال وهياة، فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد، وهم ولد رجل واحد، فأمرهم أن يفترقوا في الدخول إليها. كما جاء عن الضحاك وقتادة وقوله: ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾، يقول: وما أقدر أن أدفع عنكم من قضاء الله الذي قد قضاه عليكم من شيء صغير ولا كبير، لأن قضاءه نافذ في خلقه ﴿إن الحكم إلا لله﴾، يقول: ما القضاء والحكم إلا لله دون ما سواه من الأشياء، فإنه يحكم في خلقه بما يشاء، فينفذ فيهم حكمه، ويقضي فيهم، ولا يردّ قضاؤه ﴿عليه توكلت﴾، يقول: على الله توكلت فوثقت به فيكم وفي حفظكم عليّ، حتى يردكم إليّ وأنتم سالمون معافون، لا على دخولكم مصر إذا دخلتموها من أبواب متفرقة ﴿وعليه فليتكول المتوكلون﴾، يقول: وإلى الله فليفوض أموره المفوضون

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما دخل ولد يعقوب من حيث أمرهم أبوهم، وذلك دخولهم مصر من أبواب متفرقة ﴿مَا كَانَ يُغْنِي﴾، دخولهم إياها كذلك ﴿عَنْهُمْ﴾ من قضاء الله الذي قضاه فيهم فحتمه، ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾، إلا أنهم قضوا وطراً ليعقوب بدخولهم لا من طريق واحد خوفاً من العين عليهم، فاطمأنت نفسه أن يكونوا أوتوا من قبل ذلك أو نالهم من أجله مكروه. وقيل: معناه وإنه لذو حفظ لما استودعنا صدره من العلم. واختلف عن قتادة في ذلك: فجاء عنه، قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾: أي: مما علمناه. وجاء عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾، قال: إنه لعامل بما علم. ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، يقول جل ثناؤه: ولكن كثيراً من الناس غير يعقوب، لا يعلمون ما يعلمه، لأننا حرّمناه ذلك فلم يعلمه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما دخل ولد يعقوب على يوسف ﴿آوَى إِلَيْهِ﴾، يقول: ضم إليه أخاه لأبيه وأمه. وكان إيواءه إياه، كما جاء عن السدي: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾، قال: عرف أخاه، فأنزلهم منزلاً وأجرى عليهم الطعام والشراب. فلما كان الليل جاءهم بمثل، فقال: لينم كل أخوين منكم على مثال. فلما بقي الغلام وحده، قال يوسف: هذا ينام معي على فراشي. فبات معه، فجعل يوسف يشم ريحه، ويضمه إليه حتى أصبح، وجعل روبيل يقول: ما رأينا مثل هذا! أريحونا منه! وقوله: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، يقول: فلا تستكين ولا تحزن. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ووهب بن منبه والسدي قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذا: فلا تحزن ولا تستكن لشيء سلف من إحتوتك إليك في نفسك، وفي أخيك من أمك، وما كانوا يفعلون قبل اليوم بك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَزَّهُمْ بَجَاهِزَهُمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْهَا الْعَيْرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول: ولما حمل يوسف إبل إحتوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، يقول: جعل الإناء الذي يكيل به الطعام في رَحْلِ أَخِيهِ. و"السقاية": هي المشربة، وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة والحسن وغيرهم قوله: ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، فإنه يعني: في متاع أخيه ابن أمه وأبيه وهو بنيامين. وكذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾، يقول: ثم نادى منادٍ. وقيل: أعلم معلم. ﴿أَتَيْهَا الْعَيْرَ﴾، وهي القافلة فيها الأحمال ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ،كالذي جاء عن ابن إسحاق قال، ثم جهزهم بجهازهم، وأكرمهم وأعطاهم وأوفاهم، وحمل لهم بعيراً بعيراً، وحمل لأخيه بعيراً باسمه كما حمل لهم. ثم أمر بسقاية الملك وهو "الصواع"، وزعموا أنها كانت من فضة فجعلت في رَحْلِ أَخِيهِ بنيامين. ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا وأمعنوا من القرية، أمر بهم فأدركوا، فاحتبسوا، ثم نادى مناد: ﴿أَتَيْهَا الْعَيْرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، قفوا. وانتهى إليهم رسوله فقال لهم فيما يذكرون: ألم نكرم ضيافتكم، ونوفكم كيلكم، ونحسن

منزلتكم، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ومنازلنا؟ أو كما قال لهم قالوا: بلى، وما ذاك؟ قال: سقاية الملك فقذناها، ولا ننتهم عليها غيركم. ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾. وقوله: ﴿أَيُّهَا الْعِيرُ﴾، قد بينا فيما مضى معنى "العير"، وهو جمع لا واحد له من لفظه. وحكي عن مجاهد أن عير بني يعقوب كانت حميراً

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ (٧٦) ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ (٧٧) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال بنو يعقوب لما نودوا: ﴿أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾، وأقبلوا على المنادي ومن بحضرتهم يقولون لهم: ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾، ما الذي تفقدون؟ ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾، يقول: فقال لهم القوم: نفقد مشربة الملك. و"الصواع"، هو الإناء الذي كان يوسف يكيل به الطعام. وكذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقوله: ﴿وَلَمَن جَاءَهُ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾، يقول: ولمن جاء بالصواع حمل بعير من الطعام، كما جاء عن قتادة ومجاهد وقوله، ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، يقول: وأنا بأن أوفيه حمل بعير من الطعام إذا جاءني بصواع الملك كفيلاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٧) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف: ﴿تَاللَّهِ﴾ يعني: والله. وقوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾، يقول: لقد علمتم ما جئنا لنعصى الله في أرضكم. كذلك كان يقول جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن الربيع بن انس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٦) ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧٧) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال أصحاب يوسف لإخوته: فما ثواب السرقة إن كنتم كاذبين في قولكم ﴿مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾؟ ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾.، يقول جل ثناؤه: وقال إخوة يوسف: ثواب السرقة من وجد في متاعه السرقة ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾، يقول: فالذي وجد ذلك في رحله ثوابه بأن يسلم بسرقة إلى من سرق منه حتى يسترقه ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾، يقول: كذلك نفعل بمن ظلم ففعل ما ليس له فعله من أخذه مال غيره سرقةً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن اسحاق ومعمر والسدي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ دَشَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ففتش يوسف بأوعيتههم ورحالهم، طالباً بذلك صواع الملك، فبدأ في تفتيشه بأوعية إخوته من أبيه، فجعل يفتشها وعاء وعاء قبل وعاء أخيه من أبيه وأمه، فإنه آخر تفتيشه، ثم فتش آخرها وعاء أخيه، فاستخرج الصواع من وعاء أخيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن، عن قتادة قوله: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾، ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثماً مما قذفهم به، حتى بقي أخوه، وكان أصغر القوم، قال: ما أرى هذا أخذ شيئاً! قالوا: بلى فاستبره! ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾

كما جاء عن ابن إسحاق قال: لما قال الرسول لهم: ﴿وَلَمَن جَاءَهُ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾، قالوا: ما نعلمه فينا ولا معنا. قال: لستم ببارحين حتى أفتش أمتعتكم، وأعذر في طلبها منكم! فبدأ بأوعيتههم

وعاء وعاء يفتشها وينظر ما فيها، حتى مرَّ على وعاء أخيه ففتشه، فاستخرجها منه، فأخذ بربقته، فانصرف به إلى يوسف. يقول الله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾. وكما جاء عن قتادة والسدي وقوله: ﴿كذلك كدنا ليوسف﴾، يقول: هكذا صنعنا ليوسف، حتى يخلص أخاه لأبيه وأمه من إخوته لأبيه، بإقرار منهم أن له أن يأخذهم ويحتبسهم في يديه، ويحول بينه وبينهم. وذلك أنهم قالوا، إذ قيل لهم: ﴿ما جزاؤه إن كنتم كاذبين﴾: جزاء من سرق الصُّوع أن من وجد ذلك في رحله فهو مسترقُّ به، وذلك كان حكمهم في دينهم. فكاد الله ليوسف كما وصف لنا حتى أخذ أخاه منهم، فصار عنده بحكمهم وصنَّع الله له. وقوله: ﴿ما كان ليأخذ أخا في دين الملك إلا أن يشاء الله﴾، يقول: ما كان يوسف ليأخذ أخاه في حكم ملك مصر وقضائه وطاعته منهم، لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يسترقَّ أحد بالسرِّق، فلم يكن ليوسف أخذ أخيه في حكم ملك أرضه، إلا أن يشاء الله بكيده الذي كاده له، حتى أسلم من وجد في وعائه الصُّوع إخوته ورفقاؤه بحكمهم عليه، وطابت أنفسهم بالتسليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقوله: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾. وأصل "الدين"، الطاعة. وقد بينت ذلك في غير هذا الموضع بشواهد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ كما جاء عن مجاهد: ﴿إلا أن يشاء الله﴾ إلا بعله كادها الله، فاعتلَّ بها يوسف وقوله: ﴿نرفع درجات من نشاء﴾، بمعنى: نرفع من نشاء مراتب ودرجات في العلم على غيره، كما رفعنا يوسف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾، يقول تعالى ذكره: وفوق كل عالم من هو أعلم منه، حتى ينتهي ذلك إلى الله. وإنما عني بذلك أن يوسف أعلم إخوته، وأن فوق يوسف من هو أعلم من يوسف، حتى ينتهي ذلك إلى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة وابن جببر وغيرهم قال أبو جعفر: إن قال لنا قائل: وكيف جاز ليوسف أن يجعل السقاية في رحل أخيه، ثم يسرق قوماً أبرياء من السرِّق ويقول: ﴿آيتها العير إنكم لسارقون﴾؟ قيل: إن قوله: ﴿آيتها العير إنكم لسارقون﴾، إنما هو خبرٌ من الله عن مؤذن أذن به، لا خبر عن يوسف. وجائر أن يكون المؤذن أذن بذلك إذ فقد الصُّوع ولا يعلم بصنيع يوسف. وجائر أن يكون كان أذن المؤذن بذلك عن أمر يوسف، واستجاز الأمر بالنداء بذلك، لعلمه بهم أنهم قد كانوا سرقوا سرقةً في بعض الأحوال، فأمر المؤذن أن يناديهم بوصفهم بالسرِّق، ويوسف يعني ذلك السرِّق لا سرقهم الصُّوع. وقد قال بعض أهل التأويل: إن ذلك كان خطأ من فعل يوسف، فعاقبه الله بإجابة القوم إياه: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾، وقد ذكرنا الرواية فيما مضى بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبَيِّدْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾، يعنون أخاه لأبيه وأمه، وهو يوسف، وقد اختلف أهل التأويل في "السرِّق" الذي وصفوا به يوسف. فقال بعضهم: كان صنماً لجده أبي أمه، كسره وألقاه على الطريق. كما جاء عن سعيد بن جببر: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾، قال: سرق يوسف صنماً لجده أبي أمه، كسره وألقاه في الطريق، فكان إخوته يعيبونه بذلك. وقال آخرون في ذلك ما جاء عن ابن إدريس قال، سمعت أبي قال: كان بنو يعقوب على طعام، إذ نظر يوسف إلى عرق فخبأه،

فغيروه بذلك ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾. وقال آخرون في ذلك بما جاء عن مجاهد أبي الحجاج قال: كان أول ما دخل على يوسف من البلاء، فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق، وكانت إليها [صارت] منطقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من اختانها ممن ولها كان له سلمًا لا ينازع فيه، يصنع فيه ما شاء. وكان يعقوب حين وُلِدَ له يوسف، كان قد حصّنه عمته فكان معها وإليها، فلم يحبّ أحدٌ شيئًا من الأشياء حبّها إياه. حتى إذا ترعرع وبلغ سنواتٍ، ووقعت نفس يعقوب عليه، أتاها فقال، يا أختي سلّمي إليّ يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة! قالت: فوالله ما أنا بتاركته، والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة! قال: فوالله ما أنا بتاركة! قالت: فدعه عندي أيامًا أنظرُ إليه وأسكن عنه، لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت. فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها ومن أصابها؟ فالتُمست، ثم قالت: كشّفوا أهل البيت! فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه لي لسلم، أصنع فيه ما شئت. قال: وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك إن كان فعل ذلك، فهو سلم لك، ما أستطيع غير ذلك. فأمسكته فما قدر عليه حتى ماتت. قال: فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾. قال ابن حميد. قال ابن إسحاق: لما رأى بنو يعقوب ما صنع إخوة يوسف، ولم يشكوا أنه سرق، قالوا أسفًا عليه، لما دخل عليهم في أنفسهم تأنيبًا له: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾. فلما سمعها يوسف قال: ﴿أنتم شرّ مكانًا﴾، سرًّا في نفسه ﴿ولم يبدها لهم﴾ ﴿والله أعلم بما تصفون﴾. وقوله: ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم﴾ قال أنتم شرّ مكانًا والله أعلم بما تصفون، يعني بقوله: ﴿فأسرها﴾، فأضمرها. وكنى عن "الكلمة". ولم يجر لها ذكر متقدّم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة وابن عباس وقوله: ﴿والله أعلم بما تصفون﴾، يقول: والله أعلم بما تكذبون فيما تصفون به أخاه بنيامين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء مجاهد وقاتدة، قال أبو جعفر: فمعنى الكلام إذا: فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم، قال: أنتم شرّ عند الله منزلا ممن وصفتموه بأنه سرق، وأخبت مكانًا بما سلف من أفعالكم، والله عالم بكذبكم، وإن جهله كثيرٌ ممن حضر من الناس. وذكر أن الصّواع لما وُجد في رحل أخي يوسف تلاوَمَ القوم بينهم، كما عن السدي قال: لما استخرجت السرقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم، وقالوا: يا بني راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء! متى أخذت هذا الصّوع؟ فقال بنيامين: بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية! وضع هذا الصّوع في رحلي، الذي وضع الدراهم في رحالكم! فقالوا: لا تذكر الدراهم فنؤخذ بها! فلما دخلوا على يوسف دعا بالصّوع فنقر فيه، ثم أدناه من أذنه، ثم قال، إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلا وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه. فلما سمعها بنيامين، قام فسجد ليوسف، ثم قال، أيها الملك، سل صواعك هذا عن أخي، أخي هو؟ فنقره، ثم قال، هو حيّ، وسوف تراه. قال، فاصنع بي ما شئت، فإنه إن علم بي فسوف يستقذني. قال، فدخل يوسف فبكى، ثم توضأ، ثم خرج فقال بنيامين: أيها الملك إني أريد أن تضرب صّواعك هذا فيخبرك بالحق، فسله من سرقة فجعله في رحلي؟ فنقره فقال: إن صواعي هذا غضبان، وهو يقول: كيف تسألني من صاحبي، وقد

رَأَيْتَ مَعَ مَنْ كُنْتَ؟ قَالَ: وَكَانَ بَنُو يَعْقُوبَ إِذَا غَضِبُوا لَمْ يَطَافُوا، فَغَضِبَ رُوَيْلٌ، وَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، وَاللَّهِ لَتَتَرَكُنَا أَوْ لِأَصْبَحَنَّ صَيْحَةً لَا يَبْقَى بِمِصْرَ امْرَأَةٌ حَامِلٌ إِلَّا أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا! وَقَامَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِ رُوَيْلٍ، فَخَرَجَتْ مِنْ ثِيَابِهِ، فَقَالَ يَوْسُفُ لَابْنِهِ: قُمْ إِلَى جَنْبِ رُوَيْلٍ فَمَسَّهُ. وَكَانَ بَنُو يَعْقُوبَ إِذَا غَضِبَ أَحَدُهُمْ فَمَسَّهُ الْآخَرُ ذَهَبَ غَضِبُهُ، فَمَرَّ الْغَلَامُ إِلَى جَنْبِهِ فَمَسَّهُ، فَذَهَبَ غَضِبُهُ، فَقَالَ رُوَيْلٌ: مَنْ هَذَا؟ إِنَّ فِي هَذَا الْبَلَدِ لَبَزْرًا مِنْ بَزْرِ يَعْقُوبَ! فَقَالَ يَوْسُفُ: مَنْ يَعْقُوبُ؟ فَغَضِبَ رُوَيْلٌ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ لَا تَذْكُرْ يَعْقُوبَ، فَإِنَّهُ سَرِيٌّ لِلَّهِ، ابْنُ ذُبَيْحٍ لِلَّهِ، ابْنُ خَلِيلٍ لِلَّهِ. قَالَ يَوْسُفُ: أَنْتَ إِذَا كُنْتَ صَادِقًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قالت إخوة يوسف ليوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾، يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾، كَلَفًا بِحَبِهِ، يَعْنُونَ يَعْقُوبَ ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾، يَعْنُونَ فَخُذْ أَحَدًا مِنَّا بدلًا مِنْ بَنِيَامِينَ، وَخَلَّ عَنْهُ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، يَقُولُ: إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فِي أَعْمَالِكَ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِي ذَلِكَ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، إِنَّا نَرَى ذَلِكَ مِنْكَ إِحْسَانًا إِنْ فَعَلْتَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَالُمُونَ﴾ (٧٩) قال أبو جعفر: - يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، أَعُوذُ بِاللَّهِ. ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ يقول: أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ نَأْخُذَ بَرِيئًا بِسَقِيمٍ، كَمَا جَاءَ عَنِ السَّيِّدِ: ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مِنْ وَجْدِنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَالُمُونَ﴾، قَالَ يَوْسُفُ: إِذَا أَتَيْتُمْ أَبَاكُمْ فَأَقْرِئُوهُ السَّلَامَ، وَقُولُوا لَهُ: إِنَّ مَلِكَ مِصْرَ يَدْعُو لَكَ أَنْ لَا تَمُوتَ حَتَّى تَرَى ابْنَكَ يَوْسُفَ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ فِي أَرْضِ مِصْرَ صَدِيقَيْنِ مِثْلَهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا قَرَّرْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨٠) قال أبو جعفر يعني تعالى ذكره: ﴿فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ﴾ فلما استئأسوا منه ﴿فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ﴾ فلما استئأسوا منه من أن يخلَى يوسف عن بنيامين، ويأخذ منهم واحدًا مكانه، وأن يجيبهم إلى ما سألوه من ذلك. وقوله ﴿اسْتِئْأَسُوا﴾، "استفعلوا"، من: "يئس الرجل من كذا يئأس"، كما جاء، عن ابن إسحاق: ﴿فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ﴾ يئسوا منه، ورأوا شدته في أمره. وقوله: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾، يقول بعضهم لبعض يتناجون، لا يختلط بهم غيرهم. و"النجي"، جماعة القوم المستجيبين، يسمى به الواحد والجماعة، كما يقال: "رجل عدل، ورجال عدل" وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقناة وغيرهما وقوله: ﴿قال كبيرهم﴾ اختلف أهل العلم في المعنى بذلك. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: عنى بقوله: ﴿قال كبيرهم﴾ رُوَيْلٌ، لِاجْتِمَاعِ جَمِيعِهِمْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًا. وَلَا تَفْهَمُ الْعَرَبُ فِي الْمَخَاطَبَةِ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: "فُلَانٌ كَبِيرُ الْقَوْمِ"، مُطْلَقًا بِغَيْرِ وَصْلٍ، إِلَّا أَحَدٌ مَعْنِينَ: إِمَّا فِي الرِّيَاسَةِ عَلَيْهِمْ وَالسُّودُّ، وَإِمَّا فِي السِّنِّ. فَأَمَّا فِي الْعَقْلِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا ذَلِكَ وَصَلَوْهُ، فَقَالُوا: "هُوَ كَبِيرُهُمْ فِي الْعَقْلِ". فَأَمَّا إِذَا أُطْلِقَ بِغَيْرِ صِلَتِهِ بِذَلِكَ، فَلَا يَفْهَمُ إِلَّا مَا ذَكَرْتُ. وَقَدْ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ: لَمْ يَكُنْ لَشَمْعُونُ وَإِنْ كَانَ قَدْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ بِالْمَكَانِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ بِهِ عَلَى إِخْوَتِهِ رِيَاسَةً وَسُودُّ، فَيَعْلَمُ بِذَلِكَ أَنَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قال كبيرهم﴾

فإذا كان ذلك كذلك فلم يبق إلا الوجه الآخر، وهو الكبر كما جاء عن السدي: ﴿قال كبيرهم﴾ في العلم ﴿إن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض﴾، الآية، فأقام روبيل بمصر، وأقبل التسعة إلى يعقوب، فأخبروه الخبر، فبكى وقال: يا بني ما تذهبون مرة إلا نقصتم واحداً! ذهبتم مرة فنقصتم يوسف، وذهبتم الثانية فنقصتم شمعون، وذهبتم الآن فنقصتم روبيل! وقوله: ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ يقول: ألم تعلموا، أيها القوم؛ أن أباكم يعقوب قد أخذ عليكم عهداً الله وموآثيقه: لنأتيه به جميعاً، إلا أن يحاط بكم ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾، ومن قبل فعلتكم هذه، تفريطكم في يوسف. يقول: أو لم تعلموا من قبل هذا تفريطكم في يوسف؟ وإذا صرف تأويل الكلام إلى هذا الذي قلناه، كانت "ما" حينئذ في موضع نصب. وقد يجوز أن يكون قوله: ﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾ خبراً مبتدأ، ويكون قوله: ﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾ خبراً متناهيّاً فتكون "ما" حينئذ في موضع رفع، كأنه قيل: "ومن قبل هذا تفريطكم في يوسف" فتكون "ما" مرفوعة بـ "من" قبل. هذا ويجوز أن تكون "ما" التي هي صلة في الكلام، فيكون تأويل الكلام: ومن قبل هذا فرطتم في يوسف. وقوله: ﴿فلن أبرح الأرض﴾ التي أنا بها، وهي مصر فأفارقها ﴿حتى يأذن لي أبي﴾ بالخروج منها، كما جاء عن بن اسحاق وقوله: ﴿أو يحكم الله لي﴾، أو يقضي لي ربي بالخروج منها وترك أخي بنيامين، وإلا فإني غير خارج ﴿وهو خير الحاكمين﴾، يقول: والله خير من حكم، وأعدل من فصل بين الناس.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل روبيل لإخوته، حين أخذ يوسف أخاه بالصواع الذي استخرج من وعائه: ارجعوا، إخوتي، إلى أبيكم يعقوب فقولوا له يا أبانا إن ابنك بنيامين سرق. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. قال أبو جعفر: وأولى ذلك بالصواب عندنا في قوله: ﴿وما شهدنا إلا بما علمنا﴾ قول من قال: وما شهدنا بأن ابنك سرق إلا بما علمنا من رؤيتنا للصواع في وعائه لأنه عقيب قوله: ﴿إن ابنك سرق﴾؛ فهو بأن يكون خبراً عن شهادتهم بذلك، أولى من أن يكون خبراً عما هو منفصل. كما جاء عن قتادة وذكر أن "الغيب"، في لغة حمير، هو الليل بعينه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٨٢) قال أبو جعفر: يقول: وإن كنت متهما لنا، لا تصدقنا على ما نقول من أن ابنك سرق: ﴿فاسأل القرية التي كنا فيها﴾، وهي مصر، يقول: سل من فيها من أهلها ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾، وهي القافلة التي كنا فيها، التي أقبلنا منها معها، عن خبر ابنك وحقيقة ما أخبرناك عنه من سرقة، فإنك تخبر مصداق ذلك ﴿وإننا لصادقون﴾ فيما أخبرناك من خبره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلَىٰ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣) قال أبو جعفر: في الكلام متروك، وهو: فرجع إخوة بنيامين إلى أبيهم، وتخلف روبيل، فأخبروه خبره، فلما أخبروه أنه سرق قال ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾، يقول: بل زينت لكم أنفسكم أمراً هممتم به وأردتموه ﴿فصبر جميل﴾، يقول: فصبري على ما نالني

من فقد ولدي، صبرٌ جميل لا جزع فيه ولا شكاية عسى الله أن يأتيني بأولادي جميعاً فيردّهم عليّ ﴿إنه هو العليم﴾، بوحدتي، وبفقدهم وحزني عليهم، وصِدْق ما يقولون من كذبه ﴿الحكيم﴾، في تدبيره خلقه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن إسحاق قال: لما جاءوا بذلك إلى يعقوب، يعني بقول روبيل لهم، اتهمهم وظن أن ذلك كفعلتهم بيوسف، ثم قال: ﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً﴾ أي: بيوسف وأخيه وروبييل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٢) قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره، بقوله: ﴿وتولى عنهم﴾، وأعرض عنهم يعقوب ﴿وقال يا أسفا على يوسف﴾، يعني: يا حزننا عليه يقال: إن "الأسف" هو أشد الحزن والتندم. يقال منه: "أسفتُ على كذا أسفاً عليه أسفاً". يقول الله جل ثناؤه: وابيضت عينا يعقوب من الحزن ﴿فهو كظيم﴾، يقول: فهو مكظوم على الحزن، يعني أنه مملوء منه، مُمَسِك عليه لا يُبينه. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن إسحاق: ﴿وتولى عنهم﴾، أعرض عنهم، وتتام حزنه، وبلغ مجهوده، حين لحق بيوسف أخوه، وهيج عليه حزنه على يوسف، فقال: ﴿يا أسفاً على يوسف وابيضت عينا من الحزن فهو كظيم﴾. وكما جاء عن مجاهد وقتادة وغيرهم

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٣) قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره: قال ولد يعقوب الذين انصرفوا إليه من مصر له، حين قال: ﴿يا أسفاً على يوسف﴾: تالله لا تزال تذكر يوسف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿حتى تكون حرَضًا﴾ يقول: حتى تكون ذنب الجسم مخبول العقل. وأصل الحرَض: الفساد في الجسم والعقل من الحزن أو العشق، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقوله: ﴿أو تكون من الهالكين﴾، يقول: أو تكون ممن هلك بالموت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك ومجاهد وغيرهما

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يعقوب للقائلين له من ولده: ﴿تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرَضًا أو تكون من الهالكين﴾: لست إليكم أشكو بثي وحزني، وإنما أشكو ذلك إلى الله. ويعني بقوله: ﴿إنما أشكو بثي﴾، ما أشكو هممي وحزني إلا إلى الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس والحسن وجاء أيضاً، عن ابن إسحاق أنه قال: قال يعقوب عن علم بالله: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾، لما رأى من فظاظتهم وغلظتهم وسوء لفظهم له: لم أشك ذلك إليكم ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾. وقيل: إن "البث"، أشد الحزن، وهو عندي من: "بث الحديث"، وإنما يراد منه: إنما أشكو خبري الذي أنا فيه من الهم، وأبث حديثي وحزني إلى الله. كما جاء عن الحسن وأما قوله ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ فإن ابن عباس كان يقول في قوله: ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ يقول: أعلم أن رؤيا يوسف صادقة، وأني سأسجد له. وجاء عن الحسن قال، قيل: ما بلغ وجد يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين ثكلى!. قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيد. قال: وما ساء ظنه بالله ساعة من ليل ولا نهار. وجاء

عن المبارك بن مجاهد، عن رجل من الأزد، عن طلحة بن مصرف الإيامي قال، ثلاثة لا تذكُرهنَّ واجتنب ذكرهنَّ: لا تشك مَرَضَك، ولا تشك مصيبتك، ولا ترك نفسك. قال: وأنبت أن يعقوب بن إسحاق دخل عليه جار له، فقال له: يا يعقوب ما لي أراك قد انهشمت وفنيت، ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال: هَشَمَني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف وذكره! فأوحى الله إليه: يا يعقوب أشكوني إلى خلقي؟ فقال: يا رب خطيئة أخطأتها، فاعفها لي! قال: فإني قد غفرت لك. وكان بعد ذلك إذا سئل قال، ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَنْبِئُكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٤٧) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: حين طمع يعقوب في يوسف، قال لبنيه: ﴿يا بني اذهبوا﴾ إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به ﴿فتحسسوا﴾ من يوسف، يقول: التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره. ﴿وأخيه﴾ يعني بنيامين ﴿ولا تياسوا﴾ من روح الله، يقول: ولا تقنطوا من أن يروِّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفرج من عنده، فيرينهما ﴿إنه لا يياس من روح الله﴾ يقول: لا يقنط من فرجه ورحمته ويقطع رجاءه منه ﴿إلا القوم الكافرون﴾، يعني: القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقادة والضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفَ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ (٤٨) قال أبو جعفر: وفي الكلام مترك قد استغني بذكر ما ظهر عما حذف، وذلك: فخرجوا راجعين إلى مصر حتى صاروا إليها، فدخلوا على يوسف ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر﴾، أي الشدة من الجذب والقحط ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾. كما جاء عن ابن إسحاق قال، وخرجوا إلى مصر راجعين إليها ببضاعة مزجاة: أي قليلة، لا تبلغ ما كانوا يتبايعون به، إلا أن يتجاوز لهم فيها، وقد رأوا ما نزل بأيهم، وتتابع البلاء عليه في ولده وبصره، حتى قدموا على يوسف. فلما دخلوا عليه قالوا: ﴿يا أيها العزيز، رجاء أن يرحمهم في شأن أخيه﴾ مسنا وأهلنا الضر. وعن بقوله: ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ بدراهم أو ثمن لا يجوز في ثمن الطعام إلا لمن يتجاوز فيها. وأصل "الإزجاء": السوق بالدفع، والمعنى: الرديئة التي لا تنفق حتى يوضع منها وقوله: ﴿فأوف لنا الكيل﴾..... بها وأعطينا بها ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد والدراهم الجائزة الوافية التي لا ترد كما جاء عن ابن إسحاق والسدي وقوله: ﴿وتصدق علينا﴾ يقول تعالى ذكره: قالوا: وتفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديئة، فلا تنقصنا من سعر طعامك لرديء بضاعتنا ﴿إن الله يجزي المتصدقين﴾، يقول: إن الله يثيب المتفضلين على أهل الحاجة بأموالهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وابن جبير واختلفوا في الصدقة، هل كانت حلالا للأنبياء قبل نبينا محمد ﷺ، أو كانت حراما؟ فقال بعضهم: لم تكن حلالا لأحد من الأنبياء عليهم السلام. كما جاء عن سعيد بن جبير قال، ما سأل نبي قط الصدقة، ولكنهم قالوا: ﴿جئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾، لا تنقصنا من السعر. ويحكى عن سفيان بن عيينة أنه سئل: هل حرمت الصدقة على أحد من الأنبياء قبل النبي ﷺ؟ فقال: ألم تسمع قوله: ﴿فأوف لنا الكيل وتصدق علينا﴾ إن الله يجزي المتصدقين. قال الحارث: قال

القاسم: يذهب ابن عيينة إلى أنهم لم يقولوا ذلك إلا والصدقة لهم حلال، وهم أنبياء، فإن الصدقة إنما حُرِّمت على محمد ﷺ، وعليهم. وقال آخرون: إنما عني بقوله: ﴿وتصدق علينا﴾ وتصدق علينا برّد أخينا إلينا. كما جاء عن بن جريج قال أبو جعفر: وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن جريج، وإن كان قولاً له وجه، فليس بالقول المختار في تأويل قوله: ﴿وتصدق علينا﴾ لأن "الصدقة" في متعارف [العرب]، إنما هي إعطاء الرجل ذا حاجة بعض أملاكه ابتغاء ثواب الله كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ (٨١) قال أبو جعفر: ذكر أن يوسف صلوات الله عليه لما قال له إخوته: ﴿يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾، أدرسته الرقة وباح لهم بما كان يكتهم من شأنه، كما جاء عن ابن إسحاق قال، ذكر لي أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه، فرفض دمه باكيًا، ثم باح لهم بالذي يكتهم منهم، فقال: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون؟﴾ ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه، ولكن للتفريق بينه وبين أخيه، إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا. قال أبو جعفر: فتأويل الكلام: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف وأخيه، إذ فرقتم بينهما وصنعتما ما صنعتما إذ أنتم جاهلون؟ يعني في حال جهلكم بعاقبة ما تفعلون بيوسف، وما إليه صائر أمره وأمركم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَيَّتُكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٢) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال إخوة يوسف له حين قال لهم ذلك يوسف: ﴿إنك لأنت يوسف؟﴾، فقال: نعم أنا يوسف ﴿وهذا أخي قد مَنَّ الله علينا﴾ بأن جمع بيننا بعد ما فرقتم بيننا ﴿إنه من يتق ويصبر﴾، يقول أنه من يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿ويصبر﴾، يقول: ويكف نفسه، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله ﴿فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾، يقول: فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ (٨٣) قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: قال إخوة يوسف له: تالله لقد فضلك الله علينا، وأثرك بالعلم والحلم والفضل ﴿وإن كنا لخاطئين﴾، يقول: وما كنا في فعلنا الذي فعلنا بك، في تفريقنا بينك وبين أبيك وأخيك وغير ذلك من صنعنا الذي صنعنا بك، إلا خاطئين يعنون: مخطئين. يقال منه: "خطئ فلان يخطئ خطأً وخطأً، وأخطأ يخطئ إخطاءً"، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي قال: لما قال لهم يوسف: ﴿أنا يوسف وهذا أخي﴾ اعتذروا إليه وقالوا: ﴿تالله لقد أثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين﴾ فيما كنا صنعنا بك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٤) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته: ﴿لا تثريب﴾ يقول: لا تعيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحق الأخوة، ولكن لكم عندي الصفح والعفو. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن الزبير وقوله: ﴿يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾،

وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه وركبوا منه من الظلم، يقول: عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم، فستره عليكم ﴿وهو أرحم الراحمين﴾، يقول: والله أرحم الراحمين لمن تاب من ذنبه، وأناب إلى طاعته بالتوبة من معصيته. كما جاء عن بن اسحاق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال أبو جعفر: ذكر أن يوسف ﷺ لما عَرَفَ نفسه إخوته، سألهم عن أبيهم، فقالوا: ذهب بصره من الحزن! فعند ذلك أعطاهم قميصه وقال لهم: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾. كما جاء عن السدي قال: قال لهم يوسف: ما فعل أبي بعدي؟ قالوا: لما فاته بنيامين عمي من الحزن. قال: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوا عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. وقوله: ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يقول: يَعُدُّ بَصِيرًا ﴿وأأتوني بأهلكم أجمعين﴾، يقول: وجيئوني بجميع أهلكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَ الْغَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولما فصلت غير بني يعقوب من عند يوسف متوجهة إلى يعقوب، قال أبوهم يعقوب: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾. ذكر أن الريح استأذنت ربهما في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير، فأذن لها، فأنته بها. كما جاء عن ابن عباس، وأما قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾، فإنه يعني: لولا أن تعنفوني، وتعجزوني، وتلوموني، وتكذبوني.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال الذين قال لهم يعقوب من ولده: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون﴾: تالله، أيها الرجل، إنك من حب يوسف وذكره لفي خطئك وزلللك القديم لا تنساه، ولا تتسلى عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقناة وغيرهما

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فلما أن جاء يعقوب البشير من عند ابنه يوسف، وهو المبشر برسالة يوسف، وذلك بريد، فيما ذكر، كان يوسف أبرده إليه. وكان البريد فيما ذكر، والبشير: يهوذا بن يعقوب، أخا يوسف لأبيه. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وقوله: ﴿أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾، يقول: ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب، كما جاء عن بن اسحاق وقوله: ﴿فارتد بصيرًا﴾، يقول: رجع وعاد مبصرًا بعينه، بعد ما قد عمي ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾، يقول جل وعزَّجَلَّ: قال يعقوب لمن كان بحضرته حيث من ولده: ألم أقل لكم يا بني إني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف، ويجمع بيني وبينه، وكنت لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه، لأن رؤيا يوسف كانت صادقة، وكان الله قد قضى أن أخيرًا أنا وأنتم له سجدًا، فكنت موقنًا بقضائه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ قال سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال ولد يعقوب الذين كانوا فرَّقوا بينه وبين يوسف: يا أبانا سل لنا ربك يعفُ عنا، ويستر علينا ذنوبنا التي أذنبناها فيك وفي يوسف، فلا يعاقبنا بها في القيامة﴾ إنا كنا خاطئين﴾، فيما فعلنا به، فقد اعترفنا بذنوبنا ﴿قال سوف استغفر لكم ربِّي﴾، يقول جل ثناؤه: قال يعقوب: سوف أسأل ربي أن يعفو عنكم ذنوبكم التي

أَذْنَبْتُمُوهَا فِي وَفَى يَوْسُفَ. ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي أُخِّرَ الدَّعَاءُ إِلَيْهِ يَعْقُوبُ لَوْلَدِهِ بِالْأَسْتَغْفَارِ لَهُمْ مِنْ ذَنْبِهِمْ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَى السَّحَرِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، قَالَ: كَانَ عَمُّ لِي يَأْتِي الْمَسْجِدَ، فَيَسْمَعُ إِنْسَانًا يَقُولُ: "اللَّهُمَّ دَعَوْتَنِي فَأَجَبْتَ وَأَمَرْتَنِي فَأَطَعْتُ، وَهَذَا سَحَرٌ، فَاغْفِرْ لِي" قَالَ: فَاسْتَمَعَ الصَّوْتُ فَإِذَا هُوَ مِنْ دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. فَسَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ يَعْقُوبَ أَخَّرَ بَنِيهِ إِلَى السَّحَرِ بِقَوْلِهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾. وَقَالَ آخَرُونَ: أَخَّرَ ذَلِكَ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ. كَالَّذِي جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، يَقُولُ: حَتَّى تَأْتِيَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ. وَهُوَ قَوْلُ، أَخِي يَعْقُوبَ لَبْنِيهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، يَقُولُ: إِنَّ رَبِّي هُوَ السَّاتِرُ عَلَى ذُنُوبِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ "الرَّحِيمُ"، بِهِمْ أَنْ يَعْذِبَهُمْ بَعْدَ تَوْبَتِهِمْ مِنْهَا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٥﴾ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ جَلْ ثَنَاءُهُ: فَلَمَّا دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلَدَهُ وَأَهْلَهُمْ عَلَى يَوْسُفَ ﴿آوَى إِلَيْهِ أَبْوِيهِ﴾، يَقُولُ: ضَمَّ إِلَيْهِ أَبْوِيَهُ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ قَالَ لَهُمْ يَوْسُفَ: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، بَعْدَ مَا دَخَلُوهَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا دَخَلُوهَا عَلَى يَوْسُفَ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَبْوِيَهُ، قَالَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ؟ قِيلَ: قَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي ذَلِكَ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا مَا قَالَهُ السِّدِّيُّ، وَهُوَ أَنَّ يَوْسُفَ قَالَ ذَلِكَ لِأَبْوِيهِ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَوْلَادِهِمَا وَأَهْلِيهِمْ قَبْلَ دُخُولِهِمْ مِصْرَ حِينَ تَلَقَّاهُمْ، لِأَنَّ ذَلِكَ فِي ظَاهِرِ التَّنْزِيلِ كَذَلِكَ، فَلَا دَلَالَةَ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَلَا وَجْهَ لَتَقْدِيمِ شَيْءٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَنْ مَوْضِعِهِ أَوْ تَأْخِيرِهِ عَنْ مَكَانِهِ إِلَّا بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، مِمَّا كُنْتُمْ فِيهِ فِي بَادِيَتِكُمْ مِنَ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ﴾، يَعْنِي: عَلَى السَّرِيرِ، كَمَا جَاءَ عَنْ بَنِي زَيْدٍ وَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِمَا وَقَوْلُهُ: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾، يَقُولُ: وَخَرَّ يَعْقُوبُ وَوَلَدُهُ وَأُمُّهُ لِيَوْسُفَ سُجَّدًا. كَمَا جَاءَ عَنْ بَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي عَبَّاسٍ وَالضُّحَّاكِ وَغَيْرِهِمْ وَإِنَّمَا عَنِ مَنْ ذَكَرَ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ السُّجُودَ كَانَ تَحِيَّةً بَيْنَهُمْ"، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى الْخُلُقِ، لَا عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ. وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزَلْ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ قَدِيمًا قَبْلَ الْإِسْلَامِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْعِبَادَةِ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، يَقُولُ جَلْ ثَنَاءُهُ: قَالَ يَوْسُفَ لِأَبِيهِ: يَا أَبَتِ، هَذَا السُّجُودُ الَّذِي سَجَدْتَ أَنْتَ وَأُمِّي وَإِخْوَتِي لِي ﴿تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾، يَقُولُ: مَا أَلْتِ إِلَيْهِ رُؤْيَايَ الَّتِي كُنْتَ رَأَيْتَهَا، وَهِيَ رُؤْيَاةُ الَّتِي كَانَ رَأَاهَا قَبْلَ صَنِيعِ إِخْوَتِهِ بِهِ مَا صَنَعُوا: أَنَّ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَهُ سَاجِدُونَ ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، يَقُولُ: قَدْ حَقَّقَهَا رَبِّي، لِمَجِيئِ تَأْوِيلِهَا عَلَى الصَّحَّةِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَدْرِ الْمَدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رُؤْيَا يَوْسُفَ وَبَيْنَ تَأْوِيلِهَا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ مَدَّةُ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. كَمَا جَاءَ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَابِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ مَدَّةُ ذَلِكَ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً. كَمَا جَاءَ عَنْ الْحَسَنِ وَالْفُضَيْلِ وَقَالَ آخَرُونَ: كَانَتْ مَدَّةُ ذَلِكَ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾، يَقُولُ جَلْ ثَنَاءُهُ، مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ يَوْسُفَ: وَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ بِي فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّايَ مِنَ السِّجْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ مَحْبُوسًا، وَفِي مَجِيئِهِ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ.

وذلك أن مسكن يعقوب وولده، فيما ذكر، كان ببادية فلسطين، كذلك جاء عن ابن إسحاق، قال: كان منزل يعقوب وولده، فيما ذكر لي بعض أهل العلم، بالعربات من أرض فلسطين، ثغور الشام. وبعض يقول بالأولاج من ناحية الشعب، وكان صاحب بادية، له إبل وشاء. وجاء ذلك عن غيره وذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم يوم دخلوها، وهم أقل من مائة. وخرجوا منها يوم خرجوا منها وهم زيادة على ست مائة ألف. كما جاء عن بن مسعود وابن إسحاق وغيرهما وقوله: ﴿من بعد أن نزح الشيطان بيني وبين إخوتي﴾، يعني: من بعد أن أفسد ما بيني وبينهم، وجعل بعضنا على بعض. وقوله: ﴿إن ربي لطيف لما يشاء﴾، يقول: إن ربي ذو لطف وصنع لما يشاء، ومن لطفه وصنعه أنه أخرجني من السجن، وجاء بأهلي من البدو بعد الذي كان بيني وبينهم من بُعد الدار، وبعد ما كنت فيه من العبودة والرق والإسار كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إنه هو العليم﴾، بمصالح خلقه وغير ذلك، لا يخفى عليه مبادي الأمور وعواقبها ﴿الحكيم﴾، في تدبيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يوسف بعد ما جمع الله له أبويه وإخوته، وبسط عليه من الدنيا ما بسط من الكرامة، ومكنه في الأرض، متشوقاً إلى لقاء آبائه الصالحين: ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾، يعني: من ملك مصر ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾، يعني من عبارة الرؤيا، تعديداً لنعم الله عليه، وشكراً له عليها ﴿فاطر السموات والأرض﴾، يقول: يا فاطر السموات والأرض، يا خالقها وبارئها ﴿أنت ولي في الدنيا والآخرة﴾، يقول: أنت ولي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك، وتغذوني فيها بنعمتك، وتليني في الآخرة بفضلك ورحمتك. ﴿توفني مسلماً﴾، يقول: اقبضني إليك مسلماً. ﴿وألحقني بالصالحين﴾، يقول: وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومن قبلهم من أنبيائك ورسلك. وقيل: إنه لم يتم أحد من الأنبياء الموت قبل يوسف. كما جاء عن مجاهد: أن يوسف النبي ﷺ، لما جمع بينه وبين أبيه وإخوته، وهو يومئذ ملك مصر، اشتاق إلى الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق، فقال: ﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾. وجاء الخبر عن عباس وغيرهما بذلك وذكر أن بني يعقوب الذين فعلوا بيوسف ما فعلوا، استغفر لهم أبوهم، فتاب الله عليهم وعفا عنهم وغفر لهم ذنبهم كما جاء عن أنس بن مالك، قال: إن الله تبارك وتعالى لما جمع ليعقوب شمله، وأقر عينه، خلا ولده نجياً، فقال بعضهم لبعض: ألسنتم قد علمتم ما صنعتم، وما لقي منكم الشيخ، وما لقي منكم يوسف؟ قالوا: بلى! قال: فيغركم عفوهما عنكم، فكيف لكم بربكم؟ فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فجلسوا بين يديه، ويوسف إلى جنب أبيه قاعد، قالوا: يا أبانا، أتيناك في أمر لم نأتك في أمر مثله قط، ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله! حتى حرّكه، والأنبياء أرحم البرية، فقال: مالكم يا بني؟ قالوا: ألسنتم قد علمت ما كان منا إليك، وما كان منا إلى أخينا يوسف؟ قال: بلى! قالوا: أفلسنتم قد عفوتما؟ قالوا: بلى! قالوا: فإن عفوكما لا يغني عنا شيئاً إن كان الله لم يعف عنا! قال: فما تريدون يا بني؟ قالوا: نريد أن تدعو الله لنا، فإذا جاءك الوحي من عند الله بأنه قد عفا عما صنعنا، قرّت أعيننا، واطمأنت قلوبنا، وإلا فلا قرة عين في الدنيا لنا أبداً. قال: فقام الشيخ واستقبل القبلة،

وقام يوسف خلف أبيه، وقاموا خلفهما أذلةً خاشعين. قال: فدعا وأمن يوسف، فلم يُجَبَّ فيهم عشرين سنة قال صالح المرِّي: يخيفهم. قال: حتى إذا كان رأس العشرين، نزل جبريل ﷺ على يعقوب عليه السلام، فقال: إن الله تبارك وتعالى بعثني إليك أبشرك بأنه قد أجاب دعوتك في ولدك، وأنه قد عفا عما صنعوا، وأنه قد اعتقد موافقهم من بعدك على النبوة. وذكر أن يعقوب توفي قبل يوسف، وأوصى إلى يوسف وأمره أن يدفنه عند قبر أبيه إسحاق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هذا الخبر الذي أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب وإخوته وسائر ما في هذه السورة ﴿من أنباء الغيب﴾، يقول: من أخبار الغيب الذي لم تشاهده، ولم تعينه، ولكننا نوحيه إليك ونعرفك، لنثبت به فؤادك، ونشجع به قلبك، وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك في ذات الله، وتعلم أن من قبلك من رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه، وأخذوا بالعفو، وأمروا بالعرف، وأعرضوا عن الجاهلين فازوا بالظفر، وأبدوا بالنصر، ومكنوا في البلاد، وغلبوا من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله. يقول الله تبارك وتعالى لنبية محمد ﷺ: يا محمد، فتأس، وآثارهم فقصص ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾، يقول: وما كنت حاضرًا عند إخوة يوسف، إذ أجمعوا واتفقت آراؤهم، وصحت عزائمهم، على أن يلقوا يوسف في غيابة الحب. وذلك كان مكرهم الذي قال الله عز وجل: ﴿وهم يمكرون﴾ كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: وما أكثر مشركي قومك، يا محمد، ولو حرصت على أن يؤمنوا بك فيصدّقوك، ويتبعوا ما جئتهم به من عند ربك، بمصدقك ولا متبعك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: وما تسأل، يا محمد، هؤلاء الذين ينكرون نبوتك، ويمتنعون من تصديقك والإقرار بما جئتهم به من عند ربك، على ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لربك، وهجر عبادة الأوثان وطاعة الرحمن ﴿من أجر﴾، يعني: من ثواب وجزاء منهم، بل إنما ثوابك وأجر عملك على الله. يقول: ما تسألهم على ذلك ثوابًا، فيقولوا لك: إنما تريد بدعائك إيانا إلى اتباعك لننزل لك عن أموالنا إذا سألنا ذلك. وإذ كنت لا تسألهم ذلك، فقد كان حقًا عليهم أن يعلموا أنك إنما تدعوهم إلى ما تدعوهم إليه، اتباعًا منك لأمر ربك، ونصيحةً منك لهم، وأن لا يستغشوك. وقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، يقول تعالى ذكره: ما هذا الذي أرسلك به ربك، يا محمد، من النبوة والرسالة ﴿إلا ذكر﴾، يقول: إلا عظة وتذكير للعالمين، ليتعظوا ويتذكروا به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل وعز: وكم من آية في السموات والأرض، وعبرة وحجة، وذلك كالشمس والقمر والنجوم ونحو ذلك من آيات السموات، وكالجبال والبحار والنبات والأشجار وغير ذلك من آيات الأرض ﴿يمرون عليها﴾، يقول: يعاينونها فيمرّون بها معرضين عنها، لا يعتبرون بها، ولا يفكرون فيها وفيما دلت عليه من توحيد ربّها، وأن الألوهة لا تنبغي إلا للواحد القهار الذي خلقها وخلق كل شيء، فدبرها. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما يُقرُّ أكثر هؤلاء الذين وصفَ عَزَّجَلَّ صفتهم بقوله: ﴿وكأن من آية في السموات والأرض يمرُّون عليها وهم عنها معرضون﴾ بالله أنه خالقه ورازقه وخالق كل شيء ﴿إلا وهم مشركون﴾، في عبادتهم الأوثان والأصنام، واتخاذهم من دونه أرباباً، وزعمهم أن له ولداً، تعالى الله عما يقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وعكرمة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: أفأمن هؤلاء الذين لا يقرُّون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره ﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾، تغشاهم من عقوبة الله وعذابه، على شركهم بالله أو تأتيهم القيامة فجأة وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم فيخلدهم الله عَزَّجَلَّ في ناره، وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل، يا محمد، هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العباد له دون الآلهة والأوثان، والانتها إلى طاعته، وترك معصيته ﴿سبيلي﴾، وطريقتي ودعوتي، ﴿أدعو إلى الله وحده لا شريك له﴾ على بصيرة، بذلك، ويقين عليم مني به أنا، ويدعو إليه على بصيرة أيضاً من اتبعني وصدقني وآمن بي ﴿وسبحان الله﴾، يقول له تعالى ذكره: وقل، تنزيهاً لله، وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه: ﴿وما أنا من المشركين﴾، يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الربيع بن أنس وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما أرسَلنا، يا محمد، من قبلك إلا رجلاً لا نساء ولا ملائكة ﴿نوحى إليهم﴾ آياتنا، بالدعاء إلى طاعتنا وإفراد العباد لنا ﴿من أهل القرى﴾، يعني: من أهل الأمصار، دون أهل البوادي، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾، يقول تعالى ذكره: أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك، يا محمد، ويجحدون نبوتك، وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله وإخلاص الطاعة والعبادة له ﴿في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾، إذ كذبوا رسلنا؟ ألم نُحلِّ بهم عقوبتنا، فهلكهم بها، وننج منها رسلنا وأتباعنا، فاتفكروا في ذلك ويعتبروا؟ كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿ولدار الآخرة خير﴾، يقول تعالى ذكره: هذا فعُنا في الدنيا بأهل ولايتنا وطاعتنا، أن عقوبتنا إذا نزلت بأهل معاصينا والشرك بنا، أنجيناهم منها، وما في الدار الآخرة لهم خير. وترك ذكر ما ذكرنا، اكتفاء بدلالة قوله: ﴿ولدار الآخرة خير للذين اتقوا﴾، عليه، وأضيفت "الدار" إلى "الآخرة"، وهي "الآخرة"، لا اختلاف لفظهما، كما قيل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾، [الواقعة: ٩٥] قال أبو جعفر: فتأويل الكلام: وللدار الآخرة خير للذين اتقوا الله، بأداء فرائضه واجتناب

معاصيه. وقوله: ﴿أفلا تعقلون﴾، يقول: أفلا يعقل هؤلاء المشركون بالله حقيقة ما نقول لهم

ونخبرهم به، من سوء عاقبة الكفر، وَغِبَّ ما يصير إليه حال أهله، مع ما قد عاينوا ورأوا وسمعوا مما حلَّ بمن قبلهم من الأمم الكافرة المكذبة رسل ربها؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى﴾، فدعوا من أرسلنا إليهم، فكذبوهم، وردوا ما أتوا به من عند الله ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾، الذين أرسلناهم إليهم منهم أن يؤمنوا بالله، ويصدقوهم فيما أتوهم به من عند الله وظن الذين أرسلناهم إليهم من الأمم المكذبة أن الرسل الذين أرسلناهم قد كذبوهم فيما كانوا أخبروهم عن الله، من وعده إياهم نصرهم عليهم ﴿جاءهم نصرنا﴾. وذلك قول جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره قال أبو جعفر: وتأويل الكلام: فننجي الرسل ومن نشاء من عبادنا المؤمنين إذا جاء نصرنا، كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾، يقول: ولا ترد عقوبتنا وبطشنا بمن بطشنا به من أهل الكفر بنا وعن القوم الذين أجرموا، فكفروا بالله، وخالفوا رسله وما أتوهم به من عنده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: لقد كان في قصص يوسف وإخوته عبرة لأهل الحجا والعقول يعتبرون بها، وموعظة يتعظون بها. وذلك أن الله جل ثناؤه بعد أن ألقى يوسف في الحب ليهلك، ثم بيع بيع العبيد بالخييس من الثمن، وبعد الإِسار والحبس الطويل، ملكه مصر، ومكَّن له في الأرض، وأعلاه على من بغاه سوءاً من إخوته، وجمع بينه وبين والديه وإخوته بقدرته، بعد المدة الطويلة، وجاء بهم إليه من الشقة النائية البعيدة، فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش من قوم نبيه محمد ﷺ: لقد كان لكم، أيها القوم، في قصصهم عبرة لو اعتبرتم به، أن الذي فعل ذلك بيوسف وإخوته، لا يتعدَّر عليه فعل مثله بمحمد ﷺ، فيخرجه من بين أظهركم، ثم يظهره عليكم، ويمكن له في البلاد، ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع والأصحاب، وإن مرَّت به شدائد، وأتت دونه الأيام والليالي والدهور والأزمان. وقوله: ﴿ما كان حديثاً يفترى﴾، يقول تعالى ذكره: ما كان هذا القول حديثاً يختلق ويتكذب ويتخرَّص، كما جاء عن قتادة ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾، يقول: ولكنه تصديق الذي بين يديه من كتب الله التي أنزلها قبله على أنبيائه، كالتوراة والإنجيل والزبور، يصدق ذلك كله ويشهد عليه أن جميعه حق من عند الله، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وتفصيل كل شيء﴾، يقول تعالى ذكره: وهو أيضاً تفصيل كل ما بالعباد إليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وطاعته ومعصيته. وقوله: ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾، يقول تعالى ذكره: وهو بيان أمره، ورشاده لمن جهل سبيل الحق فعمي عنه، إذا اتبعه فاهتدى به من ضلالته "ورحمة" لمن آمن به وعمل بما فيه، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه، ويورثه في الآخرة جنانه، والخلود في النعيم المقيم ﴿لقوم يؤمنون﴾، يقول: لقوم يصدقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده، وأمره ونهيه، فيعملون بما فيه من أمره، ويتتهون عما فيه من نهيه.

آخر تفسير سورة يوسف ﷻ

تفسير سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّر

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ قال أبو جعفر: قد بينا القول في تأويل قوله ﴿الر﴾ و ﴿الم﴾، ونظائرهما من حروف المعجم التي افتتح بها أوائل بعض سور القرآن، فيما مضى، بما فيه الكفاية من إعادتها غير أنا نذكر من الرواية ما جاء خاصاً به كل سورة افتتح أولها بشيء منها. فما جاء من الرواية في ذلك في هذه السورة عن ابن عباس من نقل أبي الضحى مسلم بن صبيح وسعيد بن جبير عنه، التفريق بين معنى ما ابتدئ به أولها، مع زيادة الميم التي فيها على سائر السور ذوات ﴿الر﴾ ومعنى ما ابتدئ به أخواتها مع نقصان ذلك منها عنها. ذكر الرواية بذلك عنه: عن ابن عباس: ﴿الم﴾ قال: أنا الله أرى. وقوله: ﴿تلك آيات الكتاب﴾ يقول تعالى ذكره: تلك التي قصصت عليك خبرها، آيات الكتاب الذي أنزلته قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك إلى من أنزلته إليه من رسلي قبلك. وقيل: عنى بذلك: التوراة والإنجيل. كما جاء عن قتادة وجاهد وقوله: ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ [القرآن]، فاعمل بما فيه واعتصم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة وقوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ ولكن أكثر الناس من مشركي قومك لا يصدقون بالحق الذي أنزل إليك من ربك، ولا يقرّون بهذا القرآن وما فيه من محكم آية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم يلقاء ربكم توثقون﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الله، يا محمد، هو الذي رفع السموات السبع بغير عمد ترونها، فجعلها للأرض سقفاً مسموكة. و"العمد" جمع "عمود"، وهي السواري، وما يعمد به البناء، وجمع "العمود": "عمد"، كما جمع الأديم: "أدم"، ولو جمع بالضم فقليل: "عمد" جاز، كما يجمع "الرسول" "رسل"، و"الشكور" "شكر". واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿رفع السموات بغير عمد ترونها﴾. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال الله تعالى: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ فهي مرفوعة بغير عمد نراها، كما قال ربنا جل ثناؤه. ولا خبر بغير ذلك، ولا حجة يجب التسليم لها بقول سواه. كما جاء عن قتادة وإياس بن معاوية وأما قوله: ﴿ثم استوى على العرش﴾ فإنه يعني: علا عليه. وقد بينا معنى الاستواء واختلاف المختلفين فيه، والصحيح من القول فيما قالوا فيه، بشواهد فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ يقول: وأجرى الشمس والقمر في السماء، فسخرهما فيها لمصالح خلقه، وذلك لهما لمنافعهم، ليعلموا بجريهما فيها عدد السنين والحساب، ويفصلوا به بين الليل والنهار. وقوله: ﴿كل يجري لأجل مسمى﴾ يقول جل ثناؤه: كل ذلك يجري في السماء لأجل

مسمى: أي: لوقت معلوم، وذلك إلى فناء الدنيا وقيام القيامة التي عندها تكوّر الشمس، ويخسف القمر، وتتكدر النجوم. وحذف ذلك من الكلام، لفهم السامعين من أهل لسان من نزل بلسانه القرآن معناه، وأن ﴿كل﴾ "لا بدّ لها من إضافة إلى ما تحيط به. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿لأجل مسمى﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿يدبر الأمر﴾ يقول تعالى ذكره: يقضي الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها أمور الدنيا والآخرة كلها، ويدبر ذلك كله وحده، بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿يفصل الآيات﴾ يقول: يفصل لكم ربكم آيات كتابه، فيبينها لكم احتجاجاً بها عليكم، أيها الناس ﴿لعلكم بقاء ربكم توقنون﴾ يقول: لتوقنوا بقاء الله، والمعاد إليه، فتصدقوا بوعده ووعيده، وتزجروا عن عبادة الآلهة والأوثان، وتخلصوا له العبادة إذا أيقنتم ذلك. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: والله الذي مَدَّ الأرض، فبسطها طولاً وعرضاً. وقوله: ﴿وجعل فيها رواسي﴾ يقول جل ثناؤه: وجعل في الأرض جبلاً ثابتة. و"الرواسي": جمع "راسية"، وهي الثابتة، يقال منه: "أرسيته الوتد في الأرض": إذا أثبتته، وقوله: ﴿وأنهاراً﴾ يقول: وجعل في الأرض أنهاراً من ماء. وقوله: ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ في قوله ﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾ من صلة ﴿جعل﴾ الثاني لا الأول. ومعنى الكلام: وجعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات. وعنى بـ ﴿زوجين اثنين﴾: من كل ذكر اثنان، ومن كل أنثى اثنان، فذلك أربعة، من الذكور اثنان، ومن الإناث اثنان في قول بعضهم. وقد بينا فيما مضى أن العرب تسمي الاثنين: ﴿زوجين﴾، والواحد من الذكور "زوجاً" لأنثاه، وكذلك الأنثى الواحدة "زوجاً" و"زوجة" لذكرها، بما أغمى عن إعادته في هذا الموضع. ويزيد ذلك إيضاحاً قول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥] فسمى الاثنين الذكر والأنثى ﴿زوجين﴾. وإنما عنى بقوله: ﴿زوجين اثنين﴾، نوعين وضرين. وقوله: ﴿يغشى الليل النهار﴾، يقول: يجلل الليل النهار فيلبسه ظلمته، والنهار الليل بضيائه، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾، يقول تعالى ذكره: أن فيما وصفت وذكرت من عجائب خلق الله وعظيم قدرته التي خلق بها هذه الأشياء، كدلالات وحجج وعظات، لقوم يتفكرون فيها، فيستدلون ويعتبرون بها، فيعلمون أن العبادة لا تصلح ولا تجوز إلا لمن خلقها ودبرها دون غيره من الآلهة والأصنام التي لا تقدر على ضر ولا نفع ولا شيء غيرها، إلا لمن أنشأ ذلك فأحدثه من غير شيء تبارك وتعالى وأن القدرة التي أبدع بها ذلك، هي القدرة التي لا يتعذر عليه إحياء من هلك من خلقه، وإعادة ما فني منه وابتداع ما شاء ابتداعه بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾، وفي الأرض قطع منها متقاربات متدانيات، يقرب بعضها من بعض بالجوار، وتختلف بالتفاضل مع تجاورها وقرب بعضها من

بعض، فمنها قطعة سَبَخَةٌ لا تنبت شيئاً في جوار قطعة طيبة تنبت وتنتفع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن مجاهد وابن عباس وقتادة وغيرهم وقوله: ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ يقول تعالى ذكره: وفي الأرض مع القطع المختلفة المعاني منها، بالملوحة والعدوية، والخبث والطيب، مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض، بساتين من أعناب وزرع ونخيل أيضاً، متقاربة في الخلقة مختلفة في الطعوم والألوان، مع اجتماع جميعها على شرب واحد. فمن طيب طعمه منها حسن منظره طيبة رائحته، ومن حامض طعمه ولا رائحة له. وأما قوله: ﴿ونخيل صنوان وغير صنوان﴾. فإن "الصنوان": جمع "صنو"، وهي النخلات يجمعهن أصل واحد، لا يفرق فيه بين جميعه وأثنيه إلا بالإعراب في النون، وذلك أن تكون نونه في أثنيه مكسورة بكل حال، وفي جميعه متصرفة في وجوه الإعراب، ونظيره "القنوان": واحدها "قنو". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن البراء: ﴿صنوان﴾ قال: المجتمع ﴿وغير صنوان﴾: المتفرق. وجاء، عن الحسن قال: هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم. كانت الأرض في يد الرحمن طينة واحدة، فسطحها وبطحها، فصارت الأرض قطعاً متجاورة، فينزل عليها الماء من السماء، فتخرج هذه زهرتها وثمرها وشجرها. وتخرج نباتها وتحيي مواتها، وتخرج هذه سبخها وملحها وخبثها، وكلتاها تسقى بماء واحد. فلو كان الماء مالحة، قيل: إنما استسبخت هذه من قبل الماء! كذلك الناس خلقوا من آدم، فتنزل عليهم من السماء تذكرة، فترق قلوب فتخشع وتخضع، وتقسو قلوب فتلهو وتسهو وتجفو. قال الحسن: والله من جالس القرآن أحدٌ إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] وقوله: ﴿تسقى بماء واحد﴾ أي جميع ذلك يسقى بماء واحد عذب دون المالح. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد والضحاك وغيرهما وقوله: ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ ومعنى الكلام: إن الجنات من الأعناب والزرع والنخيل الصنوان وغير الصنوان، تسقى بماء واحد عذب لا ملح، وبخالف الله بين طعوم ذلك، فيفضل بعضها على بعض في الطعم، فهذا حلو وهذا حامض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وسعيد وجاء عن عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، في قوله: ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ قال: الدقل والفارسي والحلو والحامض. وقوله: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره: إن في مخالفة الله عز وجل بين هذا القطع [من] الأرض المتجاورات وثمار جناتها وزروعها على ما وصفنا وبيننا، لدليلاً واضحاً وعبرة لقوم يعقلون اختلاف ذلك، أن الذي خالف بينه على هذا النحو الذي خالف بينه، هو المخالف بين خلقه فيما قسم لهم من هداية وضلال وتوفيق وخذلان، فوق هذا وخذل هذا، وهدي ذا وأضل ذا، ولو شاء لسوى بين جميعهم، كما لو شاء سوى بين جميع أكل ثمار الجنة التي تشرب شرباً واحداً، وتسقى سقياً [واحداً]، وهي متفاضلة في الأكل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَيُّدَا كُنَّا تَرَابًا أَيْنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وإن تعجب فاعجب﴾ يا محمد، من هؤلاء المشركين المتخذين ما لا يضر ولا

ينفع آلهة يعبدونها من دوني فعجب قولهم ﴿أثنا كنا ترابا﴾ وبليتنا فعدمنا ﴿أثنا لفي خلق جديد﴾ إنا لمجددٌ إنشاؤنا وإعادتنا خلقاً جديداً كما كنا قبل وفاتنا!! تكذيباً منهم بقدره الله، وجحوداً للثواب والعقاب والبعث بعد الممات كما جاء عن قتادة وابن زيد وقوله: ﴿أولئك الذين كفروا بربهم﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين أنكروا البعث وجحدوا الثواب والعقاب، وقالوا: ﴿أبداً كنا تراباً أبناً لفي خلق جديد﴾ هم الذين جحدوا قدرة ربهم وكذبوا رسوله، وهم الذين في أعناقهم الأغلال يوم القيامة في نار جهنم، فأولئك أصحاب النار، يقول: هم سكان النار يوم القيامة ﴿هم فيها خالدون﴾ يقول: هم فيها ماكنون أبداً، لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ويستعجلونك﴾ يا محمد، مشركو قومك بالبلاء والعقوبة قبل الرخاء والعافية، فيقولون: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢] وهم يعلمون ما حل بمن خلا قبلهم من الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها من عقوبات الله وعظيم بلائه، فمن بين أمة مسخت قرده وأخرى خنازير، ومن بين أمة أهلك بالرجفة، وأخرى بالخسف، وذلك هو المثلث التي قال الله جل ثناؤه. ﴿وقد خلت من قبلهم المثلثات﴾. و المثلثات، العقوبات المنكلات، والواحدة منها: "مثلة" بفتح الميم وضم الثاء، ثم تجمع "مثلثات"، كما واحدة "الصدقات" "صدقة"، ثم تجمع "صدقات". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقوله: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾، يقول تعالى ذكره: وإن ربك يا محمد لذو ستر على ذنوب من تاب من ذنوبه من الناس، فتارك فضيحتهم بها في موقف القيامة، وصافح له عن عقابه عليها عاجلاً وأجلاً ﴿على ظلمهم﴾، يقول: على فعلهم ما فعلوا من ذلك بغير إذني لهم بفعله ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾، لمن هلك مُصِراً على معاصيه في القيامة، إن لم يعجل له ذلك في الدنيا، أو يجمعهما له في الدنيا والآخرة. قال أبو جعفر: وهذا الكلام، وإن كان ظاهره ظاهر خبر، فإنه وعيد من الله وتهديد للمشركين من قوم رسول الله ﷺ، إن هم لم ينيبوا ويتوبوا من كفرهم قبل حلول نعمة الله بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ويقول الذين كفروا﴾ يا محمد، من قومك ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ هلا أنزل على محمد آية من ربه؟ يعنون علامة وحجة له على نبوته وذلك قولهم: ﴿لولا أنزل عليه كثر أو جاء معه ملك﴾ [هود: ١٢] يقول الله له: يا محمد ﴿إنما أنت منذر﴾ لهم، تنذرهم بأس الله أن يحل بهم على شركهم. ﴿ولكل قوم هاد﴾. يقول ولكل قوم إمام ياتمون به وهاد يتقدمهم، فيهديهم إما إلى خير وإما إلى شر. وأصله من "هادي الفرس"، وهو عنقه الذي يهدي سائر جسده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في المعنى بالهادي في هذا الموضع. وقد بينت معنى "الهداية"، وأنه الإمام المتبع الذي يقدم القوم. فإذا كان ذلك كذلك، فجائز أن يكون ذلك هو الله الذي يهدي خلقه ويتبع خلقه هداة ويأتون بأمره ونهيه. وجائز أن يكون نبي الله الذي تأتم به أمته. وجائز أن يكون إماماً من الأئمة يؤتم به، ويتبع منهاجَه

وطريقته أصحابه. وجائز أن يكون داعياً من الدعاة إلى خير أو شر. وإذا كان ذلك كذلك، فلا قول أولى في ذلك بالصواب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: إن محمداً هو المنذر من أرسل إليه بالإنذار، وإن لكل قوم هادياً يهديهم فيتبعونه ويأتون به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد﴾ منكرين قدرة الله على إعادتهم خلقاً جديداً بعد فناءهم وبلائهم، ولا ينكرون قدرته على ابتدائهم وتصويرهم في الأرحام، وتديبرهم وتصريفهم فيها حالاً بعد حال فابتدأ الخبر عن ذلك ابتداءً، والمعنى فيه ما وصفت، فقال جل ثناؤه: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾، يقول: وما تنقص الأرحام من حملها في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض ﴿وما تزداد﴾ في حملها على الأشهر التسعة لتمام ما نقص من الحمل في الأشهر التسعة بإرسالها دم الحيض ﴿وكل شئ عنده بمقدار﴾ لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره، ولا يقصر أمره فدبره عن تديبره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل، ولا يقصر عما حُدَّ له من القدر. و"المقدار"، مفعول من "القدر". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وغيرهم وقوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾. قال قتادة قوله: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ إي والله، لقد حفظ عليهم رزقهم وأجالهم، وجعل لهم أجلاً معلوماً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه، فعائيتهم بأبصاركم، لا يخفى عليه شيء، لأنهم خلقه وتديبره "الكبير الذي كل شيء دونه"، "المتعال" المستعلي على كل شيء بقدرته. وهو "المتفاعل" من "العلو" مثل "المتقارب" من القرب و"المتداني" من الدنو.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: معتدل عند الله منكم، أيها الناس، الذي أسر القول، والذي جهر به، والذي هو مستخف بالليل في ظلمته بمعصية الله "وسارب بالنهار"، يقول: وظاهر بالنهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك. سواء عنده سرُّ خلقه وعلايتهم، لأنه لا يستسر عنده شيء ولا يخفى. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾، يقول: هو صاحب ريبة مستخف بالليل. وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه بريء من الإثم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، قول من قال: "الهاء"، في قوله: ﴿له معقبات﴾ من ذكر "من" التي في قوله: ﴿ومن خلفه﴾ هو مستخف بالليل. وأن المعقبات من بين يديه ومن خلفه، هي حرسه وجلاوزته، كما قال ذلك من ذكرنا قوله.

واختلفوا أيضاً في معنى قوله: ﴿من أمر الله﴾. قال أبو جعفر والصواب بتأويل الكلام: سواء منكم، أيها الناس من أسر القول ومن جهر به عند ربكم، ومن هو مستخف بفسقه وريبته في ظلمة الليل،

وسارِبٌ يذهب ويجيء في ضوء النهار ممتنعاً بجنده وحرسه الذين يتعقبونه من أهل طاعة الله أن يحولوا بينه وبين ما يأتي من ذلك، وأن يقيموا حدَّ الله عليه، وذلك قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَ حَتَّى يَغْيِرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَ مِنْ عَافِيَةٍ وَنِعْمَةٍ، فَيَزِيلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَيُهْلِكُهُمْ﴾ حتى يغيروا ما بأنفسهم من ذلك بظلم بعضهم بعضاً، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره. وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ يقول: وإذا أراد الله هؤلاء الذين يستخفون بالليل ويسربون بالنهار، لهم جند ومنعة من بين أيديهم ومن خلفهم، يحفظونهم من أمر الله هلاكاً وخزياً في عاجل الدنيا، ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ يقول: فلا يقدر على ردِّ ذلك عنهم أحدٌ غير الله. يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنَ الْهَاءِ وَالْمِيمِ﴾ في "لهم" من ذكر القوم الذين في قوله: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾. من دون الله ﴿مِنْ وَالٍ﴾ يعني: من والٍ يليهم ويلي أمرهم وعقوبتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۖ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۝٣٦﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾، يعني أن الرب هو الذي يري عباده البرق وقوله: ﴿هُوَ﴾ كناية اسمه جل ثناؤه. وقد بينا معنى "البرق"، فيما مضى، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿خَوْفًا﴾ يقول: خوفاً للمسافر من أذاه. وذلك أن "البرق"، الماء، في هذا الموضع وقوله ﴿وَطَمَعًا﴾ يقول: وطمعاً للمقيم أن يمطر فينتفع. وقوله: ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾: ويشير السحاب الثقال بالمطر ويبدؤه. يقال منه: أنشأ الله السحاب: إذا أبدأه، ونشأ السحاب: إذا بدأ ينشأ نشأاً. و"السحاب" في هذا الموضع، وإن كان في لفظ واحد، فإنها جمعٌ، واحدها "سحابة"، ولذلك قال: "الثقال"، فنعته بنعت الجمع، ولو كان جاء: "السحاب" الثقيل كان جائزاً، وكان توحيداً للفظ السحاب، كما قيل: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠]. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾. قال أبو جعفر: وقد بينا معنى الرعد فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وذكر أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد قال "اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك". ومعنى قوله: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾، ويعظم الله الرعد ويمجده، فيثنى عليه بصفاته، وينزهه مما أضاف إليه أهل الشرك به ومما وصفوه به من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى ربنا وتقدس. وقوله: ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾ يقول: وتسبح الملائكة من خيفة الله ورهبته. وأما قوله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾. فقد بينا معنى الصاعقة، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته، بما فيه الكفاية من الشواهد، وذكرنا ما فيها من الرواية. وقد اختلف فيمن أنزلت هذه الآية فقال بعضهم: نزلت في كافر من الكفار ذكر الله تعالى وتقدس بغير ما ينبغي ذكره به، فأرسل عليه صاعقة أهلكته. كالذي جاء عن مجاهد قال: جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾. وقال آخرون: نزلت في رجل من الكفار أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ. كالذي جاء عن قتادة قال: ذكر لنا أن رجلاً أنكر القرآن

وكَذَّبَ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَهْلَكَتَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِيهِ: ﴿وَهُمْ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾. وقال آخرون: نزلت في أربد أخي لبيد بن ربيعة، وكان همّ بقتل رسول الله ﷺ هو وعامر بن الطفيل وقوله: ﴿وَهُمْ يَجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾، يقول: وهؤلاء الذين أصابهم الله بالصواعق أصابهم في حال خصومتهم في الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله ﷺ. وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ يقول تعالى ذكره: والله شديدة مماحلته في عقوبة من طغى عليه وعَتَا وتمادى في كفره. و"المحال": مصدر من قول القائل: ما حلت فلاناً فأنا أماحله مماحلهً ومِحالاً و"فعلت" منه: "مَحَلْتُ أَمَحُلُ مَحَلًّا إِذَا عَرَّضَ رَجُلٌ رَجُلًا لِمَا يَهْلِكُهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: "وَمَا جِلُّ مُصَدِّقٍ"، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن علي ومجاهد وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: لله من خلقه الدعوة الحق، و"الدعوة" هي "الحق" كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقد بينا ذلك فيما مضى. وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله. وبنحو الذي قلنا تأوله أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وعلي وغيرهما وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: والآلهة التي يدعونها المشركون أرباباً وآلهة. وقوله ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ يقول: من دون الله. وإنما عنى بقوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ الآلهة أنها مقصورة عنه، وأنها لا تكون إلهاً، ولا يجوز أن يكون إلهاً إلا الله الواحد القهار، وقوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ يقول: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعونها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر ﴿إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ﴾، يقول: لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها إلا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء، ولكن ليرتفع إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقضه عليه. والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض على الماء، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن علي ومجاهد وغيرهما وقوله: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ يقول: وما دعاء من كفر بالله ما يدعو من الأوثان والآلهة ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، يقول: إلا في غير استقامة ولا هدى، لأنه يشرك بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فإن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله الأوثان والأصنام لله شركاء من أفراد الطاعة والإخلاص بالعبادة له فله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ومن في الأرض من المؤمنين به طوعاً، فأما الكافرون به فإنهم يسجدون له كرهاً حين يُكْرَهُونَ عَلَى السُّجُودِ. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ يقول: ويسجد أيضاً ظلال كل من سجد طوعاً وكرهاً بالغدوات والعشاياء. وذلك أن ظل كل شخص فإنه يفيء بالعشي، كما قال جل ثناؤه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾، [النحل: ٤٨] وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد و"الآصال": جمع أصل، و"الأصل": جمع "أصيل"، و"الأصيل": هو العشي، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَدْبَرُهَا، فَإِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ اللَّهُ. وأمر الله نبيه ﷺ أن يقول: "الله"، فقال له: قل، يا محمد: رَبُّهَا، الذي خلقها وأنشأها، هو الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله. ثم قال: فإذا أجابوك بذلك فقل لهم: أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَوْلِيَاءَ لَا تَمْلِكُ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا تَجْلِبُهُ إِلَى نَفْسِهَا، وَلَا ضَرًّا تَدْفَعُهُ عَنْهَا، وَهِيَ إِذْ لَمْ تَمْلِكْ ذَلِكَ لِأَنْفُسِهَا، فَمِنْ مَلِكَةٍ لغيرها أَبْعَدُ فَعْبَدْتُمُوهَا، وَتَرَكْتُمْ عِبَادَةَ مَنْ بِيَدِهِ النِّفْعُ وَالضَّرَرُ وَالْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ وَتَدْبِيرُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا. ثم ضرب لهم جُل ثَنَاءً مِثْلًا فَقَالَ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عَبَدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ الذي بيده نفعهم وضرهم ما لا ينفع ولا يضر: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى الذي لا يُبْصِرُ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدِي لِمَحْجَةِ يَسْلُكُهَا إِلَّا بِأَنْ يَهْدَى و"البصير" الذي يهدي الأعمى لِمَحْجَةِ الطَّرِيقِ الذي لا يُبْصِرُ؟ إِنَّهُمَا لَا شَكَّ لغير مستويين. يقول: فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يُبْصِرُ الْحَقَّ فَيَتَّبِعُهُ وَيَعْرِفُ الْهُدَى فَيَسْلُكُهُ، وَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ لَا تَعْرِفُونَ حَقًّا وَلَا تَبْصُرُونَ رَشَدًا. وقوله: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾، يقول تعالى ذكره: وهل تستوي الظلمات التي لَا تُرَى فِيهَا الْمَحْجَةُ فَتُسَلَّكُ وَلَا يَرَى فِيهَا السَّبِيلُ فَيُرْكَبُ وَالنُّورُ الذي تبصر به الأشياء ويجلو ضوءه الظلام؟ يقول: إن هذين لَا شَكَّ لغير مستويين، فكذلك الكفر بالله، إِنَّمَا صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي حَيْرَةٍ يُضْرَبُ أَبَدًا فِي غَمْرَةٍ لَا يَرْجِعُ مِنْهُ إِلَى حَقِيقَةٍ، وَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ صَاحِبُهُ مِنْهُ فِي ضِيَاءٍ يَعْمَلُ عَلَى عِلْمِ رَبِّهِ، وَمَعْرِفَةٍ مِنْهُ بِأَنْ لَهُ شَيْئًا يَشْبَهُ عَلَى إِحْسَانِهِ وَمَعَاقِبًا يَعَاقِبُهُ عَلَى إِسَاءَتِهِ وَرَازِقًا يَرْزُقُهُ وَنَافِعًا يَنْفَعُهُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: أَخْلَقْتُ أَوْثَانَكُمْ الَّتِي اتَّخَذْتُمُوهَا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ خَلَقًا كَخَلْقِ اللَّهِ، فَاسْتَبَهَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهَا فِيمَا خَلَقْتَ وَخَلَقَ اللَّهُ فَجَعَلْتُمُوهَا لَهُ شُرَكَاءَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، أَمْ إِنَّمَا بِكُمْ الْجَهْلُ وَالذَّهَابُ عَنِ الصُّوَابِ؟ فَإِنَّهُ لَا يَشْكُلُ عَلَى ذِي عَقْلٍ أَنْ عِبَادَةَ مَا لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ مِنَ الْفِعْلِ جَهْلٌ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ إِنَّمَا تَصْلُحُ لِلَّذِي يُرْجَى نَفْعُهُ وَيُخْشَى ضَرَرُهُ، كَمَا أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُشْكِلٍ خَطْوُهُ وَجَهْلُ فَاعِلِهِ، كَذَلِكَ لَا يَشْكُلُ جَهْلٌ مِنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ مَنْ يَرْزُقُهُ وَيَكْفُلُهُ وَيَمُوتُهُ، مَنْ لَا يَقْدِرُ لَهُ عَلَى ضَرَرٍ وَلَا نَفْعٍ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين إذا أَقْرَأُوا لَكَ أَنَّ أَوْثَانَهُمُ الَّتِي أَشْرَكُوهَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ لَا تَخْلُقُ شَيْئًا، فَاللَّهُ خَالِقُكُمْ وَخَالِقُ أَوْثَانِكُمْ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، فَمَا وَجْهُ إِشْرَاكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ وَلَا يَضُرُّ؟ وقوله: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، يقول: وهو الفرد الذي لَا ثَانِي لَهُ ﴿الْقَهَّارُ﴾، الذي يستحق الألوهة والعبادة، لَا الْأَصْنَامُ وَالْأَوْثَانُ الَّتِي لَا تَنْفَعُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝٧﴾ قال أبو جعفر: وهذا مثل ضربه الله للحق والباطل، والإيمان به والكفر. يقول تعالى ذكره: مثل الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله، مثل ماء أنزله الله من السماء إلى الأرض ﴿فسالت أوديةً بقدرها﴾، يقول: فاحتملت الأودية بمثلها، الكبير بكمبره، والصغير بصغره ﴿فاحتمل السيل زبدًا رابيًا﴾، يقول: فاحتمل السيل الذي حدث عن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء، زبدًا عاليًا فوق السيل. فهذا أحد مثلي الحق والباطل، فالحق هو الماء الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا يتنفع به هو الباطل. والمثل الآخر: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ يقول جل ثناؤه: ومثل آخر للحق والباطل، مثل فضة أو ذهب يوقد عليها الناس في النار طلب حلية يتخذونها أو متاع، وذلك من النحاس والرصاص والحديد، يوقد عليه ليتخذ منه متاع ينتفع به، ﴿زبد مثله﴾، يقول تعالى ذكره: ومما يوقدون عليه من هذه الأشياء زبد مثله، يعني: مثل زبد السيل لا ينتفع به ويذهب باطلا كما لا ينتفع بزبد السيل ويذهب باطلا. ومعنى الكلام: ومما يوقدون عليه في النار زبدٌ مثل زبد السيل في بطول زبده، وبقاء خالص الذهب والفضة. يقول الله تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾، يقول: كما مثل الله مثل الإيمان والكفر، في تطول الكفر وخيبة صاحبه عند مجازاة الله، بالباقي النافع من ماء السيل وخالص الذهب والفضة، كذلك يمثل الله الحق والباطل ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ يقول: فأما الزبد الذي علا السيل والذهب والفضة والنحاس والرصاص عند الوقود عليها، فيذهب بدفع الرياح وقذف الماء به، وتعلقه بالأشجار وجوانب الوادي ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ من الماء والذهب والفضة والرصاص والنحاس، فالماء يمشك في الأرض فتشربه، والذهب والفضة تمكث للناس ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ يقول: كما مثل هذا المثل للإيمان والكفر، كذلك يمثل الأمثال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وعنى بقوله: ﴿رأبياً﴾، عاليًا منتفخًا، وقيل للنحاس والرصاص والحديد في هذا الموضع "المتاع"، لأنه يستمتع به، وكل ما يتمتع به الناس فهو "متاع"،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَ مَعَهُ لَأَفْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝٨﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: أما الذين استجابوا لله فأمنوا به حين دعاهم إلى الإيمان به، وأطاعوه فاتبعوا رسوله وصدّقه فيما جاءهم به من عند الله، فإن لهم الحسنَى، وهي الجنة، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به﴾، يقول تعالى ذكره: وأما الذين لم يستجيبوا لله حين دعاهم إلى توحيده والإقرار بربوبيته، ولم يطيعوه فيما أمرهم به، ولم يتبعوا رسوله فيصدّقه فيما جاءهم به من عند ربهم، فلو أن لهم ما في الأرض جميعًا من شيء ومثله معه ملكًا لهم، ثم قبل مثل ذلك منهم، وقبل منهم بدلا من العذاب الذي أعدّه الله لهم في نار جهنم وعوضًا، لافتدوا به أنفسهم منه، يقول الله: ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾، يقول: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب. يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر

لهم منها شيئاً، ولكن يعذبهم على جميعها. كما جاء عن النخعي وقوله: ﴿وماؤاهم جهنم﴾ يقول: ومسكنهم الذي يسكنونه يوم القيامة جهنم ﴿وبئس المهاد﴾، يقول: وبئس الفراش والوطاء جهنم التي هي ماؤاهم يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: أهذا الذي يعلم أن الذي أنزله الله عليك، يا محمد، حق فيؤمن به ويصدق ويعمل بما فيه، كالذي هو أعمى فلا يعرف موقع حُجَّة الله عليه به ولا يعلم ما ألزمه الله من فرائضه؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ يقول: إنما يتعظ بآيات الله ويعتبر بها ذوو العقول، وهي "الألباب" واحدها "لُبٌّ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ والَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: إنما يتعظ ويعتبر بآيات الله أولوا الألباب، الذين يوفون بوصية الله التي أوصاهم بها ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾، ولا يخالفون العهد الذي عاهدوا الله عليه إلى خلافه، فيعملوا بغير ما أمرهم به، ويخالفوا إلى ما نهي عنه. وقد بينا معنى "العهد" و"الميثاق" فيما مضى بشواهد، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾، يقول تعالى ذكره: والذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها ﴿ويخشون ربهم﴾، يقول: ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها، فيعاقبهم على قطعها وعلى خلافهم أمره فيها. وقوله: ﴿ويخافون سوء الحساب﴾، يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم ذلك جادُّون في طاعته، محافظون على حدوده. كما جاء عن أبي الجوزاء

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: والذين صبروا على الوفاء بعهد الله، وترك نقض الميثاق وصلة الرحم ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾، ويعني بقوله: ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾، طلب تعظيم الله، وتزيتها له أن يخالف في أمره أو يأتي أمراً كره إتيانه فيعصيه به ﴿وأقاموا الصلاة﴾، يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ يقول: وأدوا من أموالهم زكاتها المفروضة وأنفقوا منها في السبل التي أمرهم الله بالنفقة فيها ﴿سراً﴾ في خفاء "وعلانية" في الظاهر. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾، يقول: ويدفعون إساءة من أساء إليهم من الناس، بالإحسان إليهم. كما جاء عن بن زيد وقوله: ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، هم الذين ﴿لهم عقبى الدار﴾، يقول: هم الذين أعقبهم الله دار الجنان، من دارهم التي لو لم يكونوا مؤمنين كانت لهم في النار، فأعقبهم الله من تلك هذه. وقد قيل: معنى ذلك: أولئك الذين لهم عقب عقيب طاعتهم ربهم في الدنيا، دار الجنان.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝١٢﴾ قال أبو جعفر: يقول ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾، ترجمة عن ﴿عقبى الدار﴾ كما يقال: "نعم الرجل عبد الله"، فعبد الله هو الرجل المقول له: "نعم الرجل"، وتأويل الكلام: أولئك لهم عَقِيبٌ طاعتهم ربهم الدار التي هي جَنَّاتُ عَدْنٍ. وقد بينا معنى قوله: ﴿عَدْنٍ﴾، وأنه بمعنى الإقامة التي لا طَعْنَ معها. وقوله: ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾، يقول تعالى ذكره: جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُهَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ وَهُمْ الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَفَعَلُوا الْأَفْعَالَ الَّتِي ذَكَرَهَا جَل ثَنَاؤُهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ ﴿ومن صلح من آبائهم وأزواجهم﴾، وهي نساؤهم وأهلهم و﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.. و"صلاحهم" إيمانهم بالله واتباعهم أمره وأمر رسوله ﷺ. وقوله: ﴿والملائكة يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾، يقول تعالى ذكره: وتدخل الملائكة على هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ جَل ثَنَاؤُهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا، يَقُولُونَ لَهُمْ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ على طاعة ربكم فِي الدُّنْيَا ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾. وجاء عن عبد الله بن عمرو قال: إِنْ فِي الْجَنَّةِ قَصْرًا يُقَالُ لَهُ "عَدْنٌ"، حَوْلَهُ الْبُرُوجُ وَالْمَرْوَجُ، فِيهِ خَمْسَةُ آلَافٍ بَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ خَمْسَةُ آلَافٍ حَبْرَةٍ، لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ. وجاء عن الضحَّاك، فِي قَوْلِهِ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ قال: مدينة الجنة، فِيهَا الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ وَأُمَمَةُ الْهُدَى، وَالنَّاسُ حَوْلَهُمْ بَعْدُ الْجَنَّاتِ حَوْلَهَا. وحذف من قوله: ﴿والملائكة يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾، "يقولون"، اكتفاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ، كَمَا حَذَفَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا. [السجدة: ١٢]﴾ عَنْ بَقِيَّةِ بْنِ الْوَلِيدِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَرْطَاةُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ مَشِيخَةِ الْجَنْدِ يُقَالُ لَهُ "أَبُو الْحِجَّاجِ"، يَقُولُ: جَلَسْتُ إِلَى أَبِي أَمَامَةٍ فَقَالَ: إِنْ الْمُؤْمِنُ لِيَكُونَ مِتْكَئًا عَلَى أَرِيكْتِهِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَعِنْدَهُ سِمَاطَانِ مِنْ خَدَمٍ، وَعِنْدَ طَرَفِ السِّمَاطَيْنِ بَابٌ مَبُوبٌ، فَيَقْبَلُ الْمَلَكُ يَسْتَأْذِنُ؛ فَيَقُولُ أَقْصَى الْخَدَمِ لِلَّذِي يَلِيهِ: "مَلِكٌ يَسْتَأْذِنُ"، وَيَقُولُ الَّذِي يَلِيهِ لِلَّذِي يَلِيهِ: مَلِكٌ يَسْتَأْذِنُ حَتَّى يَبْلُغَ الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: ائْذِنُوا. فَيَقُولُ: أَقْرَبُهُمْ إِلَى الْمُؤْمِنِ ائْذِنُوا. وَيَقُولُ الَّذِي يَلِيهِ لِلَّذِي يَلِيهِ: ائْذِنُوا. فَكَذَلِكَ حَتَّى يَبْلُغَ أَقْصَاهُمْ الَّذِي عِنْدَ الْبَابِ، فَيَفْتَحُ لَهُ، فَيَدْخُلُ فَيَسَلِّمُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ قَالُوا فِي ذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِنَا فِيهِ. أَيُّ عَلَى دِينِكُمْ كَمَا جَاءَ عَنْ بَنِي زَيْدٍ وَغَيْرِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فَإِنَّ مَعْنَاهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَا: - جَاءَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ فِي قَوْلِهِمْ ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ قَالَ: الْجَنَّةُ مِنَ النَّارِ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝١٣﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره وأما الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ، وَنَقُضُهُمْ ذَلِكَ، خِلَافُهُمْ أَمَرَ اللَّهِ، وَعَمَلُهُمْ بِمَعْصِيَتِهِ ﴿من بعد ميثاقه﴾، يقول: من بعد ما وثقوا على أنفسهم لله أَنْ يَعْمَلُوا بِمَا عَهْدَ إِلَيْهِمْ ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾، يقول: ويقطعون الرحم التي أمرهم الله بوصلها ﴿ويفسدون في الأرض﴾، فسادهم فيها: عملهم بمعاصي الله ﴿أولئك لهم اللعنة﴾، يقول: فهؤلاء لهم اللعنة، وهي البعد من رحمته، والإقصاء من

جَنَانَهُ ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَارِ﴾ يقول: ولهم ما يسوءهم في الدار الآخرة. كما جاء عن ابن عباس وسعد بن أبي وقاص وغيرهما

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الله يوسع على من يشاء من خلقه في رزقه، فيبسط له منه لأن منهم من لا يصلحه إلا ذلك ﴿ويقدر﴾ يقول: ويقتّر على من يشاء منهم في رزقه وعيشه، فيضيّقه عليه، لأنه لا يصلحه إلا الإقتار ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾، يقول تعالى ذكره: وفرح هؤلاء الذين بسط لهم في الدنيا من الرزق على كفرهم بالله ومعصيتهم إياه بما بسط لهم فيها، وجهلوا ما عند الله لأهل طاعته والإيمان به في الآخرة من الكرامة والنعيم. ثم أخبر جل ثناؤه عن قدر ذلك في الدنيا فيما لأهل الإيمان به عنده في الآخرة وأعلم عباده قلته، فقال: ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾، يقول: وما جميع ما أعطى هؤلاء في الدنيا من السعة وبسط لهم فيها من الرزق ورغد العيش، فيما عند الله لأهل طاعته في الآخرة ﴿إلا متاع﴾ قليل، وشيء حقير ذاهب. كما جاء عن عبد الرحمن بن باسط وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ويقول لك يا محمد، مشركو قومك: هلا أنزل عليك آية من ربك، إمّا ملك يكون معك نذيراً، أو يُلقَى إليك كنز؟ فقل: إن الله يضل منكم من يشاء أيها القوم، فيخذله عن تصديقي والإيمان بما جئت به من عند ربي ﴿ويهدي إليه من أناب﴾، فرجع إلى التوبة من كفره والإيمان به، فيوفقه لاتباعي وتصديقي على ما جئت به من عند ربه، وليس ضلال من يضل منكم بأن لم ينزل علي آية من ربي ولا هداية من يهتدي منكم بأنّها أنزلت علي، وإنما ذلك بيد الله، يوفق من يشاء منكم للإيمان ويخذل من يشاء منكم فلا يؤمن. وقد بينت معنى "الإنباء"، في غير موضع من كتابنا هذا بشواهد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ **القول في تأويل قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ بالتوبة الذين آمنوا. و ﴿الذين آمنوا﴾ في موضع نصب، ردّ على "من"، لأن "الذين آمنوا"، هم "من أناب"، ترجم بها عنها. وقوله: ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾، يقول: وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله، كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، يقول: ألا بذكر الله تسكن وتستأنس قلوب المؤمنين. وقيل: إنه عنى بذلك قلوب المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ. كما جاء عن بن عيينة ومجاهد قال أبو جعفر: وإنما أوتر الرفع في ﴿طوبى﴾ لحسن الإضافة فيه بغير "لام"، وذلك أنه يقال فيه "طوباك"، كما يقال: "ويلك"، و"ويلك"، ولولا حسن الإضافة فيه بغير "لام"، لكان النصب فيه أحسن وأصح، كما النصب في قولهم: "نعسا لزيد، وبعداً له وسُحُقا" أحسن، إذ كانت الإضافة فيها بغير "لام" لا تحسن. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿طوبى لهم﴾. وقال بعضهم قال أبو جعفر: فعلى هذا التأويل الذي ذكرنا عن رسول الله ﷺ، بما جاء عن عتبة بن عبد السلمي يقول: جاء أعرابي إلى رسول الله

ﷺ، فقال: يا رسول الله، في الجنة فاكهة؟ قال: نعم، فيها شجرة تدعى "طوبى"، هي تطابق الفردوس. قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك، ولكن أتيت الشام؟ فقال: لا يا رسول الله. فقال: فإنها تشبه شجرة تدعى الجَوْزَة، تنبت على ساق واحدة، ثم ينتشر أعلاها. قال: ما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك، ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترْقُوتَاهَا هَرَمًا. وعليه، يجب أن يكون القول في رفع قوله: ﴿طوبى لهم﴾ خلاف القول الذي حكيناه عن أهل العربية فيه. وذلك أن الخبر عن رسول الله ﷺ أن "طوبى" اسم شجرة في الجنة، فإذا كان كذلك، فهو اسم لمعرفة كزيد وعمرو. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن في قوله: ﴿وحسن مآب﴾ إلا الرفع، عطفًا به على "طوبى". وأما قوله: ﴿وحسن مآب﴾، فإنه يقول: وحسن منقلب؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ۝٢٠﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: هكذا أرسلناك يا محمد في جماعة من الناس يعني إلى جماعة قد خلت من قبلها جماعات على مثل الذي هم عليه، فمضت ﴿لنتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾، يقول: لتبلغهم ما أرسلتك به إليهم من وحي الذي أوحيت إليك ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾، يقول: وهم يجحدون وحدانية الله، ويكذبون بها ﴿قل هو ربي﴾، يقول: إن كفر هؤلاء الذين أرسلتك إليهم، يا محمد بالرحمن، فقل أنت: الله ربي ﴿لا إله إلا هو عليه توكلت والله متاب﴾، يقول: وإليه مرجعي وأوتي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لَئِنَّ الْأَمْرَ لَجَمِيعٌ ۝٢١﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك. فقال بعضهم: معناه: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾، ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال، أي: يكفرون بالله ولو سير لهم الجبال بهذا القرآن. وقالوا: هو من المؤخر الذي معناه التقديم. وجعلوا جواب "لو" مقدمًا قبلها، وذلك أن الكلام على معنى قبليهم: ولو أن هذا القرآن سُيرت به الجبال أو قطعت به الأرض، لكفروا بالرحمن. كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿ولو أن قرآنًا سُيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ قال: هم المشركون من قريش، قالوا لرسول الله ﷺ: لو وسعت لنا أودية مكة، وسُيرت جبالها، فاحترثناها، وأحييت من مات منّا، وقُطِع به الأرض، أو كلم به الموتى! فقال الله تعالى: ﴿ولو أن قرآنًا سُيرت به الجبال أو قُطِعَتْ به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً﴾. وقال آخرون: بل معناه: ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال﴾ كلامٌ مبتدأ منقطع عن قوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾. قال: وجواب "لو" محذوف استغني بمعرفة السامعين المراد من الكلام عن ذكر جوابها. قالوا: والعرب تفعل ذلك كثيرًا، كما جاء عن قتادة قوله: ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾، ذكر لنا أن قريشًا قالوا: إن سرّك يا محمد، اتباعك أو: أن تتبعك فسير لنا جبال تهامة، أو زد لنا في حرمنا حتى نتخذ قطائع نخترف فيها، أو أحي لنا فلانًا وفلانًا! ناسًا ماتوا في الجاهلية. فأنزل الله: ﴿ولو أن قرآنًا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾، يقول: لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنبَأْ أَلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى قوله ﴿أَفَلَمْ يَنبَأْ﴾. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قاله أهل التأويل: إن تأويل ذلك: "أفلم يتبين ويعلم"، لإجماع أهل التأويل على ذلك، والأبيات التي أنشدناها فيه. قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذا: ولو أن قرآنًا سوى هذا القرآن كان سُيِّرَ به الجبال، لُسِّيرَ بهذا القرآن، أو قُطِعَتْ به الأرض لُقِطَعَتْ بهذا، أو كُلِّمَ به الموتى، لَكُلِّمَ بهذا، ولكن لم يُفْعَلْ ذلك بقرآن قبل هذا القرآن فيُفْعَلْ بهذا ﴿بل لله الأمر جميعًا﴾، يقول ذلك: كله إليه وبيده، يهدي من يشاء إلى الإيمان فيوفِّقه له، ويُضِلُّ من يشاء فيخذله، أفلم يتبين الذين آمنوا بالله ورسوله إذ طمِعوا في إجابتي من سأل نبيهم ما سأله من تسيير الجبال عنهم، وتقريب أرض الشام عليهم، وإحياء موتاهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا إلى الإيمان به من غير إيجاد آية، ولا إحداث شيء مما سألوا إحداثه؟ يقول تعالى ذكره: فما معنى محبتهم ذلك، مع علمهم بأن الهداية والإهلاك إليَّ وبيدي، أنزلت آية أو لم أنزلها؛ أهدي من أشاء بغير إنزال آية، وأضل من أردت مع إنزالها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ولا يزال﴾ يا محمد ﴿الذين كفروا﴾، من قومك ﴿تصيبهم بما صنعوا﴾ من كفرهم بالله، وتكذيبهم إياك، وإخراجهم لك من بين أظهرهم ﴿قارعة﴾، وهي ما يقرعهم من البلاء والعذاب والنقم، بالقتل أحيانًا، وبالحراب أحيانًا، والقحط أحيانًا ﴿أو تحل﴾، أنت يا محمد، يقول: أو تنزل أنت ﴿قريبًا من دارهم﴾ بجيشك وأصحابك ﴿حتى يأتى وعد الله﴾ الذي وعدك فيهم، وذلك ظهورك عليهم وفتحك أرضهم، وقهرك إياهم بالسيف ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾، يقول: إن الله منجزك، يا محمد ما وعدك من الظهور عليهم، لأنه لا يخلف وعده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيبيًا منهم ما جئتهم به، فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في إنذارهم، والإعذار إليهم، فلقد استهزأت أممٌ من قبلك قد خلت فمضت برُسُلِي، فأطلت لهم في المهل، ومددت لهم في الأجل، ثم أحللت بهم عذابي ونقمتي حين تبادوا في غيهم وضلالهم، فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم، ألم أدقهم أليم العذاب، وأجعلهم عبرة لأولي الألباب؟ و"الإملاء" في كلام العرب، الإطالة،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَابِئٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَرَجَعُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: أفألم يَكُنْ الذي هو دائمٌ لا يسيد ولا يهلك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق، متضمنٌ لها، عالمٌ بهم وبما يكسبونه من الأعمال، رقيبٌ عليهم، لا يغُزُبُ عنه شيء أينما كانوا، كمن هو هالك بائدٌ لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئًا، ولا

يدفع عن نفسه ولا عَمَّنْ يعبدَه ضُرًّا، ولا يَجْلِبُ إليهما نفعًا؟ كلاهما سَوَاءٌ؟ وحذف الجواب في ذلك فلم يَقُلْ، وقد قيل ﴿أفمن هو قاشم على كل نفس بما كسبت﴾: كذا وكذا، اكتفاءً بعلم السامع بما ذَكَرَ عما ترك ذِكْرَه. وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾، عَلِمَ أَنَّ معنى الكلام: كشرائهم التي اتخذوها آلهةً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن عباس وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمَوْهُمْ أَمْ تَنْبِتُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾، يقول تعالى ذكره: أنا القائم بأرزاق هؤلاء المشركين، والمدبرُ أمورهم، والحافظُ عليهم أعمالهم، وجعلوا لي شركاء من خلقي يعبدونها دوني، قل لهم يا محمد: سموا هؤلاء الذين أشركتموهم في عبادة الله، فإنهم إن قالوا: آلهة فقد كذبوا، لأنه لا إله إلا الواحد القهار لا شريك له ﴿أَمْ تَنْبِتُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾، يقول: أتخبرونه بأن في الأرض إلهًا، ولا إله غيره في الأرض ولا في السماء؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس والضحاك وقوله: ﴿أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾، مسموع، وهو في الحقيقة باطل لا صحة له. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم قالوا: ﴿أَمْ بَظَاهِرٍ﴾، معناه: أم باطل، فأتوا بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة دون البيان عن حقيقة تأويلها. كما جاء عن مجاهد وقاتدة وقوله: ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾، يقول تعالى ذكره: ما لله من شريك في السموات ولا في الأرض، ولكن زَيْنَ للمشركين الذي يدعون من دونه إلهًا، مَكْرَهُمْ، وذلك افتراؤهم وكذبهم على الله. وكان مجاهد يقول: معنى "المكر"، ههنا: القول، كأنه قال: يعني قَوْلُهُم بالشرك بالله. وأما قوله: ﴿وَصَدُوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي أن المشركين بالله كانوا مصدودين عن الإيمان به، وهم مع ذلك كانوا يعبدون غيرهم، كما وصفهم الله به بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. [الأنفال: ٣٦] وقوله ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، يقول تعالى ذكره: ومن أضله الله عن إصابة الحق والهدى بخذله إياه، فما له أحدٌ يهديه لإصابتها، لأن ذلك لا يُنَالُ إلا بتوفيق الله ومعونته، وذلك بيد الله وإليه دُونُ كل أحد سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٣١) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، لهؤلاء الكفار الذين وَصَفَ صِفَتَهُمْ في هذه السورة، عَذَابٌ في الحياة الدنيا بالقتل والإسار والآفات التي يُصِيبُهُمُ الله بها ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾، يقول: ولتعذيب الله إياهم في الدار الآخرة أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا. وقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾، يقول تعالى ذكره: وما لهؤلاء الكفار من أحدٍ يقيهم من عذاب الله إذا عَذَّبَهُمْ، لا حَومِيٍّ ولا وَلِيٍّ ولا نصيرٍ، لأنه جل جلاله لا يعاذه أحدٌ فيقهره، فيتخلصه من عذابه بالقهر، ولا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، وليس يأذن لأحدٍ في الشفاعة لمن كفر به فمات على كفره قبل التوبة منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٢) قال أبو جعفر: اختلف أهل العلم بكلام العرب في مُرَافِعِ "المثل"، قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال ذَكَرَ المَثَلُ، فقال ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾، والمراد الجنة، ثم وَصِفَتِ الجنة بصفتها، وذلك أن مَثَلَهَا إنما هو صِفَتُهَا وليسَتْ صِفَتُهَا شيئًا غيرها. وإذا كان ذلك كذلك، ثم ذكر "المثل"، فقيل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾، ومثلها صِفَتُهَا وصفة الجنة، فكان وصفها كوصف "المَثَلِ"، وكان كأن الكلام جرى بذكر الجنة، فقيل: الجنة تجري من تحتها

الأنهار، وقوله: ﴿أَكَلَهَا دَائِمٌ وظلها﴾، يعني: ما يؤكل فيها، يقول: هو دائم لأهلها، لا ينقطع عنهم، ولا يزول ولا يبيد، ولكنه ثابت إلى غير نهاية ﴿وظلها﴾، يقول: وظلها أيضًا دائم، لأنه لا شمس فيها. ﴿تلك عقي الذين اتقوا﴾، يقول: هذه الجنة التي وصف جل ثناؤه، عاقبة الذين اتقوا الله، فاجتنبوا معاصيه وأدّوا فرائضه. وقوله: ﴿وعُقِيَ الكافرين النار﴾، يقول: وعاقبة الكافرين بالله النار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْبَرُ عَلَى كُلِّ سَوَاءٍ لِّمَا أَنزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ لِيَذَّبَ بِهِ تِلْكَ الْأَعْزَابَ وَمِنَ الْأَعْزَابِ مَن يَنْكَرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ ۝٢٦﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: والذين آمنوا إليهم الكتاب ممن آمن بك واتبعك، يا محمد، ﴿يفرحون بما أنزل إليك﴾ منه ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾، يقول: ومن أهل الملل المتحزبين عليك، وهم أهل أديان شتى، من ينكر بعض ما أنزل إليك. فقل لهم: ﴿إنما أمرت﴾، أيها القوم ﴿أن أعبد الله﴾ وحده دون ما سواه ﴿ولا أشرك به﴾، فأجعل له شريكًا في عبادتي، فأعبد معه الآلهة والأصنام، بل أخلص له الدين حنيفًا مسلمًا ﴿إليه أَدْعُو﴾، يقول: إلى طاعته وإخلاص العباد له أَدْعُو الناس ﴿وإليه مَآبٌ﴾، يقول: وإليه مصيري وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾، يعني اليهود والنصارى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرِيبًا وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۝٢٧﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وكما أنزلنا عليك الكتاب، يا محمد، فأنكره بعض الأحزاب، كذلك أيضًا أنزلنا الحكم والدين حُكْمًا عَرِيبًا وجعل ذلك ﴿عَرِيبًا﴾، ووصفه به لأنه أنزل على محمد ﷺ وهو عَرِيبٌ، فنسب الدين إليه، إذ كان عليه أنزل، فكذب به الأحزاب. ثم نهاه جل ثناؤه عن ترك ما أنزل إليه واتباع الأحزاب، وتهدده على ذلك إن فعله فقال: ﴿ولئن اتبعت﴾ يا محمد ﴿أهواءهم﴾، أهواء هؤلاء الأحزاب ورضاهم ومحبتهم وانتقلت من دينك إلى دينهم، ما لك من يقيك من عذاب الله إن عذبتك على اتباعك أهواءهم، وما لك من ناصر ينصرك فيستنقذك من الله إن هو عاقبك، يقول: فاحذر أن تتبع أهواءهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٢٨﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ﴿ولقد أرسلنا﴾ يا محمد ﴿رسلًا من قبلك﴾ إلى أمم قد خلت من قبل أمتك، فجعلناهم بشرًا مثلك، لهم أزواج ينكحون، وذرية أنسلوهم، ولم نجعلهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، فنجعل الرسول إلى قومك من الملائكة مثلهم، ولكن أرسلنا إليهم بشرًا مثلهم، كما أرسلنا إلى من قبلهم من سائر الأمم بشرًا مثلهم ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ يقول تعالى ذكره: وما يقدر رسول أرسله الله إلى خلقه أن يأتي أمته بآية وعلامة، من تسيير الجبال، ونقل بلدة من مكان إلى مكان آخر، وإحياء الموتى ونحوها من الآيات ﴿إلا بإذن الله﴾، يقول: إلا بأمر الله الجبال بالسير، والأرض بالانتقال، والميت بأن يحيا ﴿لكل أجل كتاب﴾، يقول: لكل أجل أمر قضاء الله، كتاب قد كتبه فهو عنده. وقد قيل: معناه: لكل كتاب أنزله الله من السماء أجل. كما جاء عن الضحاك قال أبو جعفر: وهذا على هذا القول نظير قول الله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، وكان أبو بكر رَحِمَهُ اللَّهُ يقرؤه ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ﴾، وذلك أن سكرة الموت تأتي بالحق والحق يأتي بها،

فكذلك الأجل له كتاب وللكتاب أجل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بتأويل الآية وأشبهها بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن ومجاهد، وذلك أن الله تعالى ذكره توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات بالعقوبة، وتهددهم بها، وقال لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلا مثبتا في كتاب، هم مؤخرون إلى وقت مجيء ذلك الأجل. ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل، يجيء الله بما شاء ممن قد دنا أجله وانقطع رزقه، أو حان هلاكه أو اتضاعه من رفعة أو هلاك مال، فيقضي ذلك في خلقه، فذلك محو، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه وأكله، فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: "وعنده أصل الكتاب وجملته، وذلك أنه تعالى ذكره أخبر أنه يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم عقب ذلك بقوله: ﴿وعنده أم الكتاب﴾، فكان بينا أن معناه. وعنده أصل المثبت منه والممحو، وجملته في كتاب لديه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُزِّلَتْكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما نرينك، يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم أو نتوفيتك قبل أن نرينك ذلك، فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته، لا طلب صلاحهم ولا فسادهم، وعلينا محاسبتهم، فمجازاتهم بأعمالهم، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: ﴿أولم يروا أنَّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾، بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ عليها وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون بذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم؟ وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾، ثم وبَّخهم تعالى ذكره بسوء اعتبارهم ما يعاينون من فعل الله بضربائهم من الكفار، وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: ﴿أولم يروا أنَّا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ بقر أهلها، والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها، وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك. وأما قوله: ﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾، يقول: والله هو الذي يحكم فينقض حكمه، ويقضي فيمضي قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حكم الله وقضاؤه لم يستطيعوا رده. ويعني بقوله: ﴿لا معقب لحكمه﴾: لا راد لحكمه، "والمعقب"، في كلام العرب، هو الذي يكر على الشيء. وقوله: ﴿وهو سريع الحساب﴾، يقول: والله سريع الحساب يخصي أعمال هؤلاء المشركين، لا يخفى عليه شيء، وهو من وراء جزائهم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمَ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٦) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم التي سلفت بأنبياء الله ورُسُلِهِ ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾، يقول: فلله أسباب المكر جميعاً، ويده وإليه، لا يضرُّ مكرٌ من مكرٍ منهم أحداً إلا من أراد ضرَّه به، يقول: فلم يضرَّ الماكرون بمكرهم إلا من شاء الله أن يضرَّه ذلك، وإنما ضرُّوا به أنفسهم لأنهم أسخطوا ربَّهم بذلك على أنفسهم حتى أهلكهم، ونجَّى رُسُلُهُ: يقول: فكذلك هؤلاء المشركون من قريش يَمَكُرُونَ بك، يا محمد، والله منجِّيك من مكرهم، ومُلْحِقٌ ضرَّ مكرهم بهم دونك. وقوله: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾، يقول: يعلم ربك، يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، وما يسعون فيه من المكر بك، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم، لا يخفى عليه شيء منها ﴿وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار﴾، يقول: وسيعلمون إذا قَدَمُوا على ربهم يوم القيامة لمن عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار، ويدخل المؤمنون بالله ورُسُله الجنَّة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٢٦) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره ويقول الذين كفروا بالله من قومك يا محمد لست مرسلًا! تكذِّبنا منهم لك، وجحوداً لنبوَّتكَ، فقل لهم إذا قالوا ذلك: ﴿كفى بالله﴾، يقول: قل حسبي الله ﴿شَهِيداً﴾، يعني شاهداً ﴿بيني وبينكم﴾، عليّ وعليكم، بصدقي وكذبكم ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ فـ"مَنْ" إذا قرئ كذلك في موضع خفض عطفاً به على اسم الله، وكذلك قرأته قرأة الأُمصار بمعنى: والذين عندهم علم الكتاب أي الكتب التي نزلت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل. وعلى هذه القراءة فسر ذلك المفسِّرون. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾، فالذين عندهم علم الكتاب: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى. عن مجاهد: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ قال: هو عبد الله بن سلام

آخر تفسير سورة الرعد



تفسير سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿الرَّحْمَنُ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ قال أبو جعفر الطبري: قد تقدم منا البيان عن معنى قوله: "الر"، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وأما قوله: ﴿كتاب أنزلناه إليك﴾ فإن معناه: هذا كتاب أنزلناه إليك، يا محمد، يعني القرآن ﴿لنخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ يقول: لتهديهم به من ظلمات الضلالة والكفر، إلى نور الإيمان وضياؤه، وتبصر به أهل الجهل والعمى سبيل الرشاد والهدى. وقوله: ﴿بإذن ربهم﴾ يعني: بتوفيق ربهم لهم بذلك ولطفه بهم ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ يعني: إلى طريق الله المستقيم، وهو دينه الذي ارتضاه، وشرعه لخلق الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد و﴿الحميد﴾، "فعل"، صُرف من "مفعول" إلى "فعل"، ومعناه: المحمود بالآل. وأضاف تعالى ذكره إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم لهم بذلك، إلى نبيه ﷺ، وهو الهادي خلقه، والموفق من أحب منهم للإيمان، إذ كان منه دعاؤهم إليه، وتعريفهم ما لهم فيه وعليهم. فبين بذلك صحة قول أهل الإثبات الذين أضافوا أفعال العباد إليهم كسباً، وإلى الله جل ثناؤه إنشاءً وتديراً، وفساد قول أهل القدر الذين أنكروا أن يكون لله في ذلك صنع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ ومعنى قوله: ﴿الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ الله الذي يملك جميع ما في السماوات وما في الأرض. يقول لنيه محمد ﷺ: أنزلنا إليك هذا الكتاب لتدعو عبادي إلى عبادة من هذه صفته، ويدعوا عبادة من لا يملك لهم ولا لنفسه ضراً ولا نفعاً من الآلهة والأوثان. ثم توعد جل ثناؤه من كفر به، ولم يستجب لدعاء رسوله إلى ما دعاه إليه من إخلاص التوحيد له فقال: ﴿وويلٌ للكافرين من عذاب شديد﴾ يقول: الوادي الذي يسيل من صديد أهل جهنم، لمن جحد وحدانيته، وعبد معه غيره، من عذاب الله الشديد.

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٣﴾ قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾، الذين يختارون الحياة الدنيا ومتاعها ومعاصي الله فيها، على طاعة الله وما يقر بهم إلى رضاه من الأعمال النافعة في الآخرة ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يقول: ويمنعون من أراد الإيمان بالله وأتباع رسوله على ما جاء به من عند الله، من الإيمان به واتباعه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يقول: ويلتمسون سبيل الله وهي دينه الذي ابتعث به رسوله ﴿عِوَجًا﴾: تحريفاً وتبديلاً بالكذب والزور.

"والعوج" بكسر العين وفتح الواو، في الدين والأرض وكل ما لم يكن قائماً، فأما في كل ما كان قائماً، كالحائط والرمح والسن، فإنه يقال بفتح العين والواو جميعاً "عوج". يقول الله عز ذكره: ﴿أولئك في ضلالٍ بعيدٍ﴾ يعني هؤلاء الكافرين الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة. يقول: هم في ذهابٍ عن الحق بعيد، وأخذ على غير هدى، وجور عن قصد السبيل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا إلى أمة من الأمم، يا محمد، من قبلك ومن قبل قومك، رسولا إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم ليبيّن لهم، يقول: ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونهيهِ، ليثبت حجة الله عليهم، ثم التوفيق والخذلان بيد الله، فيخذل عن قبول ما أتاه به رسوله من عنده من شاء منهم، ويوفق لقبوله من شاء ولذلك رفع "فُضِّل"، لأنه أريد به الابتداء لا العطف على ما قبله، كما قيل: ﴿لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ [الحج: ٥] ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يمتنع مما أَرَادَهُ من ضلال أو هداية من أَرَادَ ذلك به ﴿الحكيم﴾، في توفيقه للإيمان من وفقه له، وهدايته له من هداية إليه، وفي إضلاله من أضل عنه، وفي غير ذلك من تدبيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ولقد أرسلنا موسى بأدلتنا وحججنا من قبلك، يا محمد، كما أرسلناك إلى قومك بمثلها من الأدلة والحجج، كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾، كما أنزلنا إليك، يا محمد، هذا الكتاب لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم. ويعني بقوله: ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾، أن ادعهم، من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ يقول عز وجل: وَعِظْهُمْ بما سلف من نعمة عليهم في الأيام التي خلت فاجترأ بذكر "الأيام" من ذكر النعم التي عاناها، لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلة، أنقذهم فيها من آل فرعون بعد ما كانوا فيما كانوا [فيه] من العذاب المهيّن، وعزّق عدوهم فرعون وقومه، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم. كما جاء عن بن زيد وقاتدة ومجاهد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، يقول: إن في الأيام التي سلفت بنعمي عليهم يعني على قوم موسى ﴿آيات﴾، يعني: لعبراً ومواعظ ﴿لكل صبار شكور﴾، يقول: لكل ذي صبر على طاعة الله، وشكر له على ما أنعم عليه من نعمة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَذُبُّونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر، يا محمد، إذ قال موسى بن عمران لقومه من بني إسرائيل: ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾، التي أنعم بها عليكم ﴿إذ أنجاكم من آل فرعون﴾، يقول: حين أنجاكم من أهل دين فرعون وطاعته ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾، أي يذيقونكم شديد العذاب ﴿ويذبحون أبناءكم﴾، مع إذاقتهم إياكم شديد العذاب [يذبحون] أبناءكم. وأدخلت الواو في هذا الموضع، لأنه أريد بقوله: ﴿ويذبحون أبناءكم﴾، الخبر عن أن آل فرعون

كانوا يعذبون بني إسرائيل بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح. وأما في موضع آخر من القرآن، فإنه جاء بغير الواو: ﴿يُسْؤِمُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، في موضع، وفي موضع ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، ولم تدخل الواو في المواضع التي لم تدخل فيها لأنه أريد بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وبقوله: ﴿يُقْتَلُونَ﴾، تبينه صفات العذاب الذي كانوا يسومونهم. وكذلك العمل في كل جملة أريد تفصيلها، فبغير الواو تفصيلها، وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو. كما جاء عن بن عيينة وقوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾، يقول: ويُبْقُونَ نساءكم فيتركون قتلهم، وذلك استحياؤهم كان إياهم وقد بينا ذلك فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ومعناه: يتركونهم والحياة، ومنه الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرهم"، بمعنى: استبقوهم فلا تقتلوهم. ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾، يقول تعالى: وفيما يصنع بكم آل فرعون من أنواع العذاب، بلاء لكم من ربكم عظيم، أي ابتلاء واختبار لكم، من ربكم عظيم. وقد يكون "البلاء"، في هذا الموضع نعاء، ويكون: من البلاء الذي يصيب الناس من الشدائد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: واذكروا أيضًا حين آذنتكم ربكم. وقوله: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾، يقول: لئن شكرتم ربكم، بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، لأزيدنكم في أياديه عندكم ونعمه عليكم، على ما قد أعطاكم من النجاة من آل فرعون والخلاص من عذابهم. وقوله: ﴿ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾، يقول: ولئن كفرتم، أيها القوم، نعمة الله، فجددتموها بترك شكره عليها وخلافه في أمره ونهيه، وركوبكم معاصيه ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، أعذبكم كما أعذب من كفر بي من خلقي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وقال موسى لقومه: إن تكفروا، أيها القوم، فتجددوا نعمة الله التي أنعمها عليكم، أنتم ويفعل في ذلك مثل فعلكم من في الأرض جميعًا ﴿فإن الله لغني﴾ عنكم وعنهم من جميع خلقه، لا حاجة به إلى شكركم إياه على نعمه عند جميعكم ﴿حميد﴾، ذو حمد إلى خلقه بما أنعم به عليهم، كما جاء عن علي رضي الله عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبرًا عن قيل موسى لقومه: يا قوم ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم﴾، يقول: خبر الذين من قبلكم من الأمم التي مضت قبلكم ﴿قوم نوح وعاد وثمود﴾، وقوم نوح مبين بهم عن "الذين"، و"عاد" معطوف بها على "قوم نوح"، ﴿والذين من بعدهم﴾، يعني من بعد قوم نوح وعاد وثمود ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾، يقول: لا يحصي عددهم ولا يعلم مبلغهم إلا الله، وقوله: ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾، يقول: جاءت هؤلاء الأمم رسلهم الذين أرسلهم الله إليهم بدعائهم إلى إخلاص العبادة له "بالبينات"، يعني بحجج ودلائل على حقيقة ما دعوهم إليه من معجزات. وقوله: ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾، اختلف أهل

التأويل في تأويل ذلك. قال أبو جعفر: -وأشبه الأقوال عندي بالصواب في تأويل هذه الآية، القول الذي ذكرناه عن عبد الله بن مسعود: أنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، فعَضُوا عليها، غِيظًا على الرسل، كما وصف الله جل وعز به إخوانهم من المنافقين، فقال: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمُ الْأَتَائِلَ مِنَ الْغِيظِ﴾ [آل عمران: ١١٩]. فهذا هو الكلام المعروف والمعنى المفهوم من "ردَّ اليد إلى الفم". وقوله: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾، يقول عَزَّجَلَّ: وقالوا لرسلكم: إنا كفرنا بما أُرسلكم به مِن أُرسلكم، من الدعاء إلى ترك عبادة الأوثان والأصنام ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ من حقيقة ما تدعوننا إليه من توحيد الله ﴿مُريبٍ﴾، يقول: يربينا ذلك الشك، أي يوجب لنا الريبة والنَّهْمَةَ فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قالت رُسُلُ الأمم التي أتتها رُسُلها: ﴿أَفِ اللَّهِ﴾، أنه المستحق عليكم، أيها الناس، الألوهة والعبادة دون جميع خلقه ﴿شَكٌّ﴾ وقوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، يقول: خالق السماوات والأرض ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، يقول: يدعوكم إلى توحيدة وطاعته ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، يقول: فيستر عليكم بعض ذنوبكم بالعفو عنها، فلا يعاقبكم عليها، ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾، يقول: وينسى في آجالكم، فلا يعاقبكم في العاجل فيهلككم، ولكن يؤخركم إلى الوقت الذي كتب في أم الكتاب أنه يقبضكم فيه، وهو الأجل الذي سَمَّى لكم. فقالت الأمم لهم: ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾، أيها القوم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾، في الصورة والهيئة، ولستم ملائكة، وإنما تريدون بقولكم هذا الذي تقولون لنا ﴿أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، يقول: إنما تريدون أن تصرفونا بقولكم عن عبادة ما كان يعبدُه من الأوثان آبَاؤُنَا ﴿فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾، يقول: فأتونا بحجة على ما تقولون تبين لنا حقيقته وصحته، فنعلم أنكم فيما تقولون محقون.

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قالت الأمم التي أتتهن الرسل رُسُلهم: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، صدقتم في قولكم، إن أنتم إلا بشر مثلنا، فما نحن إلا بشر من بني آدم، إنسٌ مثلكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، يقول: ولكن الله يتفضل على من يشاء من خلقه، فيهديه ويوفقه للحق، ويفضله على كثير من خلقه ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ﴾، يقول: وما كان لنا أن نأتيكم بحجة وبرهان على ما ندعوكم إليه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، يقول: إلا بأمر الله لنا بذلك ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، يقول: وبالله فليثق به من آمن به وأطاعه، فإنما به ثق، وعليه تتوكل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنَاكُمْ وَوَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، مخبراً عن قيل الرسل لأممها: ﴿وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾، فثقت به وبكفايته ودفاعه إياكم عنَّا ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾، يقول: وقد بَصَّرْنَا طريقَ النجاة من عذابه، فبين لنا ﴿وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنَاكُمْ﴾، في الله وعلى ما نلقى منكم من المكروه فيه بسبب دُعائنا لكم إلى ما ندعوكم إليه، من البراءة من الأوثان والأصنام، وإخلاص العبادة له ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾، يقول: وعلى الله فليتوكل من كان به وثقاً من خلقه، فأما من كان به

كافراً فإن وليه الشيطان.

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۖ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤﴾ قال أبو جعفر: يقول عز ذكره: وقال الذين كفروا بالله لرسولهم الذين أرسلوا إليهم، حين دعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العباد له، وفراق عبادة الآلهة والأوثان ﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾، يعنون: من بلادنا فطر دكم عنها ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾، يعنون: إلا أن تعودوا في ديننا الذي نحن عليه من عبادة الأصنام. وأدخلت في قوله: ﴿لَتَعُوذُنَّ﴾ "لام"، وهو في معنى شرط، كأنه جواب للمؤمنين، وإنما معنى الكلام: لنخرجنكم من أرضنا، أو تعودون في ملتنا. ومعنى "أو" ههنا معنى "إلا" أو معنى "حتى" كما يقال في الكلام: "لا ضربنك أو تقر لي"، وقوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾، الذين ظلموا أنفسهم، فأوجبوا لها عقاب الله بكفرهم. وقد يجوز أن يكون قيل لهم: "الظالمون" لعبادتهم من لا تجوز عبادته من الأوثان والآلهة، فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها، إذ كان ظلماً، سُمُوا بذلك. وقوله: ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، هذا وعد من الله مَنْ وَعَدَ مِنْ أَنْبِيَائِهِ النَّصْرَ عَلَى الْكُفْرَةِ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ. يقول: لما تمادت أمم الرسل في الكفر، وتوعدوا رسولهم بالوقوع بهم، أوحى الله إليهم بإهلاك من كفر بهم من أممهم ووعدهم النصر. وكل ذلك كان من الله وعيداً وتهديداً لمشري قوم نبينا محمد ﷺ على كفرهم به، وجُرأتهم على نبيه، وتثبناً لمحمد ﷺ، وأمرأ له بالصبر على ما لقي من المكروه فيه من مشركي قومه، كما صبر من كان قبله من أولي العزم من رسله ومعرفة أن عاقبة أمر من كفر به الهلاك، وعاقبته النصر عليهم، سُنَّه الله في الذين خلوا من قبل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِي﴾، يقول جل ثناؤه: هكذا فعلي لمن خاف مقامه بين يدي، وخاف وعيدي فاتقاني بطاعته، وتجنب سُخْطِي، أَنْصُرْهُ عَلَى مَا أَرَادَ بِهِ سُوءًا وَبَغَاةً مَكْرُوهًا مِنْ أَعْدَائِي، أَهْلَكَ عَدُوَّهُ وَأَخْزِيَهُ، وَأَوْرَثَهُ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ. وقال: ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾، ومعناه ما قلت من أنه لمن خاف مقامه بين يدي بحيث أقيمه هُنَاكَ للحساب، كما قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]، معناه: وتجعلون رزقي إياكم أنكم تكذبون. وذلك أن العرب تضيف أفعالها إلى أنفسها، وإلى ما وقعت عليه، فتقول: "قد سُرِرْتُ برؤيتك، وبرؤيتي إياك"، فكَذَلِكَ ذَلِكَ.

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: واستفتحت الرسل على قومها: أي استنصرت الله عليها ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾، يقول: هلك كل متكبر جائر حائد عن الإقرار بتوحيد الله وإخلاص العباد له. ومن "الجبار"، تقول: هو جَبَّارٌ بَيْنُ الْجَبَرِيَّةِ، وَالْجَبَرِيَّةِ، وَالْجَبَرُوتِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿مَنْ وَرَايَهُ جَهَنَّمَ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۝١٦﴾ يَنْجَرُّهُ وَلَا يَكَادُ يُسْبِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمَنْ وَرَايَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾ قال أبو جعفر: يقول عز ذكره: ﴿مَنْ وَرَايَهُ﴾، من أمام كل جبار ﴿جَهَنَّمَ﴾، يردونها. ذو "وراء" في هذا الموضع، يعني أمام، كما يقال: "إن الموت من وراءك"، أي قدامك، وقوله: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾، يقول: ويسقى من ماء، ثم

بَيَّنَ ذَلِكَ الْمَاءُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَمَا هُوَ، فَقَالَ: هُوَ "صَدِيدٌ"، وَلِذَلِكَ رَدَّ "الصَّدِيدُ" فِي إِعْرَابِهِ عَلَى "الْمَاءِ"، لِأَنَّهُ بَيَّانٌ عَنْهُ. وَ"الصَّدِيدُ"، هُوَ الْقَيْحُ وَالدَّمُ. وَكَذَلِكَ تَأَوَّلَهُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾، يَتَحَسَّاهُ ﴿وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ﴾، يَقُولُ: وَلَا يَكَادُ يَزْدَرِدُهُ مِنْ شِدَّةِ كَرَاهَتِهِ، وَهُوَ مُسِيغُهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ. وَبَنَحُوا مَا قَلْنَا مِنْ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ﴾، وَهُوَ يُسِيغُهُ، كَالَّذِي جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾، "فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ دُبُرِهِ"، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١٥]، وَيَقُولُ: ﴿وَإِنْ يَسْتَعْيِثُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الْكَهْف: ٢٩]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، فَإِنَّهُ يَقُولُ: وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، وَمِنْ كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ أَعْضَاءِ جَسَدِهِ ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾، لِأَنَّهُ لَا تَخْرُجُ نَفْسُهُ فَيَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحِجُّ لَتَتَعَلَّقَ نَفْسُهُ بِالْحَنَاجِرِ، فَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا، كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ وَرَاثَهُ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾، يَقُولُ: وَمَنْ وَرَاءَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ يَعْنِي أَمَامَهُ وَقَدَامَهُ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٨) قَالَ: وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِأَعْمَالِ الْكَافِرِ فَقَالَ: مَثَلُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ اللَّهَ بِهَا، مَثَلُ رَمَادٍ عَصِفَتْ الرِّيحُ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ رِيحٍ عَاصِفٍ، فَنَسَفَتْهُ وَذَهَبَتْ بِهِ، فَكَذَلِكَ أَعْمَالُ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَجِدُونَ مِنْهَا شَيْئًا يَنْفَعُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ فَيَنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْمَلُونَهَا لِلَّهِ خَالصًا، بَلْ كَانُوا يَشْرِكُونَ فِيهَا الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ. يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾، يَعْنِي أَعْمَالُهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَهَا فِي الدُّنْيَا، الَّتِي يَشْرِكُونَ فِيهَا مَعَ اللَّهِ شُرَكَاءَ، هِيَ أَعْمَالٌ عُمِلَتْ عَلَى غَيْرِ هُدًى وَاسْتِقَامَةٍ، بَلْ عَلَى جَوْرِ عَنِ الْهُدَى بَعِيدٍ، وَأَخِذَ عَلَى غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ شَدِيدٍ. وَقِيلَ: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾، فَوُصِفَ بِالْعُصُوفِ الْيَوْمُ، وَهُوَ مِنْ صِفَةِ الرِّيحِ، لِأَنَّ الرِّيحَ تَكُونُ فِيهِ، كَمَا يَقَالُ: "يَوْمٌ بَارِدٌ، وَيَوْمٌ حَارٌّ"، لِأَنَّ الْبَرْدَ وَالْحَرَارَةَ يَكُونَانِ فِيهِ، كَمَا جَاءَ عَنْ بَنِي جَرِيحٍ وَبَنِي عَبَّاسٍ وَقَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾، أَيُّ الْخَطَأِ الْبَعِيدِ، الْبَعِيدُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٩) وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَلَمْ تَرَ، يَا مُحَمَّدُ، بَعِينَ قَلْبِكَ، فَتَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَأَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ مُنْفَرِدًا بِإِنْشَائِهَا بِغَيْرِ ظَهِيرٍ وَلَا مُعِينٍ ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، يَقُولُ: إِنْ الَّذِي تَفَرَّدَ بِخَلْقِ ذَلِكَ وَإِنْشَائِهِ مِنْ غَيْرِ مُعِينٍ وَلَا شَرِيكَ، إِنْ هُوَ شَاءَ أَنْ يُذْهِبَكُمْ فَيُفْنِيَكُمْ، أَذْهِبَكُمْ وَأَفْنَاكُمْ، وَيَأْتِ بِخَلْقٍ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ، فَيَجِدُّ خَلْقَهُمْ ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، يَقُولُ: وَمَا إِذْهَابَكُمْ وَإِفْنَاؤَكُمْ وَإِنْشَاءَ خَلْقٍ آخَرَ سِوَاكُمْ مَكَانَكُمْ، عَلَى اللَّهِ بِمُمْتَنِعٍ وَلَا مُتَعَدِّرٍ، لِأَنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ.

الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ نَحِيصٍ﴾ (٢١) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، وَظَهَرَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ قُبُورِهِمْ، فَصَارُوا بِالْبَرَّازِ مِنَ الْأَرْضِ ﴿جَمِيعًا﴾، يَعْنِي كُلَّهُمُ ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾

للذين استكبروا، يقول: فقال التَّبَاعُ منهم للمتبعين، وهم الذين كانوا يستكبرون في الدنيا عن إخلاص العبادَةِ لله واتباع الرسل الذين أرسلوا إليهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، في الدنيا. وإنما عنوا بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، أنهم كانوا أتباعهم في الدنيا يأتَمرون لما يأمرُونهم به من عبادة الأوثان والكفر بالله، ويتنهون عما نهوهم عنه من اتِّباع رسل الله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مَغْنُونُونَ﴾ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ، يعنون: فهل أنتم دافعون عَنَّا اليوم من عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ. وكان ابن جريج يقول نحو ذلك: فعن ابن جريج، قوله: ﴿وَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾، قال: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾، قال: للقادة. قوله: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ﴾، يقول عز ذكره: قالت القادةُ على الكفر بالله لَتَبَاعُهَا: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، يعنون: لو بيَّنَّ الله لنا شيئاً ندفع به عَذَابَهُ عَنَّا اليوم ﴿لَهْدَيْنَاكُمْ﴾، لبيَّنَّا ذلك لكم حتى تدفعوا العذابَ عن أنفسكم، ولكننا قد جزعنا من العذاب، فلم ينفَعنا جزعنا منه وَصَبْرُنَا عليه ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾، يعنون: ما لهم من مَرَاغٍ يُرَوِّغُونَ عنه. يقال منه: "حاص عن كذا"، إذا راغ عنه، "يَحِيصُ حَيْصًا، وَحِيوصًا وَحَيْصَانًا. كَمَا جَاءَ عَنْ بَنِي زَيْدٍ وَغَيْرِهِ"

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وقال إبليس، ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾، يعني لما أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، واستقرَّ بكل فريق منهم قرارهم، أن الله وعدكم، أيها الأتباع، النار، ووعدتكم النُّصْرَةَ، فأخلفتكم وعدي، ووفى الله لكم بوعده ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾، يقول: وما كان لي عليكم، فيما وعدتكم من النُّصْرَةِ، من حجة تثبت لي عليكم بصدق قلبي ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾. وهذا من الاستثناء المنقطع عن الأول، كما تقول: "ما ضربته إلا أنه أحق"، ومعناه: ولكن دعوتكم فاستجبت لي. يقول: إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله، فاستجبت لدعائي ﴿فَلَا تُلْهُمُونِي﴾، على إجابتكم إياي ﴿وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ﴾، عليها ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾، يقول: ما أنا بمُغِيثِكُمْ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾، ولا أنتم بمُغِيثِي من عذاب الله فمُنْجِي منه ﴿إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ﴾، يقول: إني جَحَدْتُ أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، يقول: إن الكافرين بالله لهم عذاب "أليم"، من الله موجه. يقال: "أَصْرَخْتُ الرَّجُلُ"، إذا أغثته "إصراخًا"، و "قد صَرَخَ الصَّارِخُ، يَصْرُخُ، وَيَصْرُخُ، قَلِيلَةً، وَهُوَ الصَّارِخُ وَالصُّرَاخُ". وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء ذلك عن عامر والشعبي وغيرهما

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿١٦﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تُؤْتَى أَكْثَلَهَا كُلِّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ قال أبو جعفر: يقول عز ذكره: وأدخل الذين صدقوا الله ورسوله، فأقروا بوحداية الله وبرسالته رُسُلِهِ. وأن ما جاءت به من عند الله حق ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، يقول: وعملوا بطاعة الله. فانتهوا إلى أمر الله ونهيه ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، بساتين تجري من تحتها الأنهار ﴿خَالِدِينَ

فيها»، يقول ماكثين فيها أبدًا ﴿يَاذَن رَّبِّهِمْ﴾، يقول: أَدْخَلُوهَا بِأَمْرِ اللَّهِ لَهُمْ بِالْدُخُولِ ﴿تَحْتِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، وذلك إِنْ شَاءَ اللَّهُ كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ، قَالَ، قَوْلُهُ: ﴿تَحْتِهِمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، قَالَ: الْمَلَائِكَةُ يَسْلَمُونَ عَلَيْهِمْ فِي الْجَنَّةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أَلَمْ تَرَ، يَا مُحَمَّدُ، بَعَيْنَ قَلْبِكَ، فَتَعَلَّمَ كَيْفَ مَثَلُ اللَّهِ مَثَلًا وَشَبَّهَ شَبَّهًا كَلِمَةً طَيِّبَةً، وَيَعْنِي بِالطَّيِّبَةِ: الْإِيمَانَ بِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةِ الثَّمَرَةِ، وَتَرَكَ ذَكَرَ "الثَّمَرَةِ" اسْتِغْنَاءً بِمَعْرِفَةِ السَّامِعِينَ عَنْ ذِكْرِهَا بِذِكْرِ "الشَّجَرَةِ". وَقَوْلُهُ: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، يَقُولُ عَزَّ ذِكْرُهُ: أَصْلُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَابِتٌ فِي الْأَرْضِ "وَفَرْعُهَا"، وَهُوَ أَعْلَاهَا فِي "السَّمَاءِ"، يَقُولُ: مُرْتَفِعٌ عُلُوًّا نَحْوَ السَّمَاءِ. وَقَوْلُهُ: ﴿تَوْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا﴾، يَقُولُ: تَطْعَمُ مَا يُوْكَلُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهَا كُلَّ حِينٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ، يَقُولُ: وَيُمَثِّلُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ، وَيَشَبِّهُ لَهُمُ الْأَشْبَاهَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، يَقُولُ: لِيَتَذَكَّرُوا حُجَّةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَيَعْتَبِرُوا بِهَا وَيَتَعَطَّوْا، فَيَنْزَجِرُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِهِ إِلَى الْإِيمَانِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَعْنَى بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عُنِيَ بِهَا إِيمَانُ الْمُؤْمِنِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، وَهُوَ الْمُؤْمِنُ ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثَابِتٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، يَقُولُ: يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ عُنِيَ بِهَا الْمُؤْمِنُ نَفْسُهُ. كَمَا جَاءَ ذَلِكَ عَنْ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، قَالَ: ذَلِكَ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ لَا يَزَالُ يَخْرُجُ مِنْهُ كَلَامٌ طَيِّبٌ وَعَمَلٌ صَالِحٌ يَصْعَدُ إِلَيْهِ. وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ "الشَّجَرَةِ" الَّتِي جَعَلَتْ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ مَثَلًا. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هِيَ النَّخْلَةُ. كَمَا جَاءَ ذَلِكَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي هَذَا الْحَرْفِ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هِيَ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تَوْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا﴾، قَالَ: هِيَ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوَّلَى الْقَوْلِينَ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هِيَ "النَّخْلَةُ"، لِصَحَّةِ الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا: - جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ، صَحَبْتُ ابْنَ عُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا قَالَ، كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَى بِجُمَارٍ فَقَالَ: مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ مَثَلُهَا مَثَلُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ. فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ "هِيَ النَّخْلَةُ"، فَإِذَا أَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، فَسَكَتُ، [فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ]. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى "الْحِينِ" الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ: ﴿تَوْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا﴾. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِالْحِينِ، فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، غَدْوَةٌ وَعَشِيَّةٌ، وَكُلُّ سَاعَةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ ضَرَبَ مَا تَوْتَى هَذِهِ الشَّجَرَةُ كُلَّ حِينٍ مِنَ الْأَكْلِ لِعَمَلِ الْمُؤْمِنِ وَكَلَامِهِ مَثَلًا وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُرْفَعُ لَهُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَالِحٌ مِنَ الْعَمَلِ وَالْقَوْلِ، لَا فِي كُلِّ سَنَةٍ، أَوْ فِي كُلِّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، أَوْ فِي كُلِّ شَهْرَيْنِ. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَثَلَ لَا يَكُونُ خِلَافًا لِلْمُمَثَّلِ بِهِ فِي الْمَعْنَى. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، كَانَ بَيِّنًا صَحَّةً مَا قُلْنَا. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَأَيُّ نَخْلَةٍ تَوْتَى فِي كُلِّ وَقْتٍ أَكَلَا صَيْفًا وَشِتَاءً؟ قِيلَ: أَمَا فِي الشِّتَاءِ، فَإِنَّ الطَّلْعَ مِنْ أَكْلِهَا، وَأَمَا فِي الصَّيْفِ فَالْبَلَحُ وَالْبُسْرُ وَالرُّطَبُ وَالتَّمْرُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ أَكْلِهَا. كَمَا جَاءَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرَهُمَا وَقَوْلُهُ: ﴿تَوْتَى أَكْلُهَا﴾، فَإِنَّهُ كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ: ﴿تَوْتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا﴾، قَالَ: يُوْكَلُ ثَمَرُهَا فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ومثل الشَّرك بالله، وهي "الكلمة الخبيثة"، كشجرة خبيثة. اختلف أهل التأويل فيها أي شجرة هي؟ فقال أكثرهم: هي الحنظل. كما جاء عن أنس وغيره وقال آخرون: هذه الشجرة لم تُخلَق على الأرض. كما جاء عن ابن عباس وقد روي عن رسول الله ﷺ بتصحيح قول من قال: هي الحنظلة، خبرٌ. فإن صحَّ، فلا قول يجوز أن يقال غيره، وإلا فإنها شجرة بالصفة التي وصفها الله بها. ذكر الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ: عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوق الأرض ما لها من قرار﴾، قال: هي الحنظلة قال شعيب: وأخبرت بذلك أبا العالية فقال: كذلك كانوا يقولون. قال أهل العلم والموقف أصح وقوله: ﴿اجْتُثَّتْ من فوق الأرض﴾، يقول: استؤصلت. يقال منه: اجْتُثَّتْ الشيء، أُجْتُثَّ اجتثاثًا: إذا استأصلته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿ما لها من قرار﴾، يقول: ما لهذه الشجرة من قرار ولا أصل في الأرض تثبت عليه وتقوم. وإنما ضُربت هذه الشجرة التي وصفها الله بهذه الصفة لكُفر الكافر وشركه به مثلاً. يقول: ليس لكُفر الكافر وعمَله الذي هو معصية الله في الأرض ثباتٌ، ولا له في السماء مَصْعَدٌ، لأنه لا يَصْعَدُ إلى الله منه شيء. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، يحقق الله أعمالهم وإيمانهم ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، يقول: بالقول الحق، وهو فيما قيل: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. وأما قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه، قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك، وهو أن معناه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ بمثل الذي ثبَّتَهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ. كما جاء عن أبي هريرة قال، إن الميت ليسمع خفق نعالهم حين يُولَّون عنه مديرين. فإذا كان مؤمناً، كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه، وكان الصيام عن يساره، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجله، فيؤتى من عند رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. فيؤتى عن يساره فيقول الصيام: ما قبلي مدخل. فيؤتى من عند رجله فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل. فيقال له: اجلس. فيجلس، قد تمثلت له الشمس قد دنت للغروب، فيقال له: أخبرنا عما نسألك. فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقال: إنك ستفعل، فأخبرنا عما نسألك عنه! فيقول: وعمّ تسألون؟ فيقال: أرايت هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أمحمد؟ فيقال له: نعم. فيقول أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالبينات من عند الله، فصدّقناه. فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك، مت، وعلى ذلك تُبعث إن شاء الله. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويُنور له فيه، ثم يُفتح له باب إلى الجنة فيقال له: انظر إلى ما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطةً وسروراً، ثم يفتح

له باب إلى النار فيقال له: انظر ما صَرَفَ الله عنك لو عصيته! فيزداد غبطةً وسرورًا. ثم يجعل نَسْمَهُ في النَسَمِ الطَّيِّبِ، وهي طَيْرٌ خَضِرٌ تَعْلَقُ بشجر الجنة، ويعاد جسده إلى ما بُدئ منه من التراب، وذلك قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾. وأما قوله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾، فإنه يعني، أن الله لا يوفق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المُسَاءَلَةِ في القبر، لما هدي له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله ﷺ كما جاء عن البراء قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر الكافر حين تُقبَضُ روحه، قال: فتعاد روحه في جسده. قال، فيأتيه ملكان شديدًا الانتহার، فيجلسانه فيستهرانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: لا أدري؟ قال فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: لا أدري، قال فيقولان له: ما هذا النبي الذي بُعث فيكم؟ قال: فيقول: سمعت الناس يقولون ذلك، لا أدري. قال، فيقولان: لا دريت. قال: وذلك قول الله: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾. وقوله: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾، يعني تعالى ذكره بذلك: ويبيد الله الهداية والإضلال، فلا تنكروا، أيها الناس، قدرته، ولا اهتداء من كان منكم ضالا ولا ضلال من كان منكم مهتديا، فإنَّ بيده تصريف خلقه وتقليب قلوبهم، يفعل فيهم ما يشاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم تنظر يا محمد ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ يقول: غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمه، فجعلوها كُفْرًا به، وكان تبدلهم نعمة الله كُفْرًا في نبي الله محمد ﷺ، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم، وابتعثه فيهم رسولا رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به، وكذبوه، فبدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِهِ كُفْرًا. وقوله: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ يقول: وأنزلوا قومهم من مُشْرِكِي قريش دار البوار، وهي دار الهلاك، يقال منه: بار الشيء يبور بورا: إذا هلك وبطل؛ ثم ترجم عن دار البوار، وما هي؟ فقيل ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ يقول: وبئس المستقر هي جهنم لمن صلاها. وقيل: إن الذين بدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا: بنو أمية، وبنو مخزوم. كما جاء عن عمر بن الخطاب، في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ﴾ قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة، وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر؛ وأما بنو أمية فمتَّعوا إلى حين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل هؤلاء الذين بدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا لربهم أندادا، وهي جماع ند، وقد بَيَّنَّ معنى الند، فيما مضى بشواهد بما أغنى عن إعادته، وإنما أراد أنهم جعلوا لله شركاء. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ والأنداد: الشركاء. وقوله ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفيين ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بمعنى: كي يضلوا الناس عن سبيل الله بما فعلوا من ذلك. وقرأته عامة قراء أهل البصرة: "ليُضِلُّوا" بمعنى: كي يضل جاعلو الأنداد لله عن سبيل الله. وقوله ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم: تمتعوا في الحياة الدنيا وعيدا من الله لهم، لا إباحة لهم التمتع بها، ولا أمرا على وجه العبادة، ولكن تويخا وتهديدا ووعيدا، وقد بَيَّنَّ ذلك بقوله ﴿فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ يقول: استمتعوا في الحياة الدنيا، فإنها سريعة الزوال عنكم، وإلى النار تصيرون عن قريب، فتعلمون هنالك غبَّ تمتعكم في الدنيا بمعاصي الله وكفركم

فيها به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۚ﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره لئيبه ﷺ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بك، وصدقوا أن ما جئتهم به من عندي ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول: قل لهم: فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها، ولينفقوا مما رزقناهم، فحولناهم من فضلنا سرًّا وعلانية، فليؤدوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرًّا وإعلاناً ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعُ فِيهِ﴾ يقول: لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا، فيقبل منها الفدية، وتترك فلا تعاقب. فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضاً، إذ كان أخذ عوض من معترض منه. وقوله ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ يقول: وليس، هناك مخاللة خليل، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته، بل هنالك العدل والقسط، فالخلال مصدر من قول القائل: خاللت فلاناً فأنا أخاله مخاللة وخلالا ومنه قول امرئ القيس: صرفت الهوى عنهن من خشية الردى... ولكست بمقلي الخلال ولا قالي وجزم قوله ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بتأويل الجزاء، ومعناه: الأمر يراى قل لهم لقيموا الصلاة. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۚ﴾ (٣٢) يقول تعالى ذكره: الله الذي أنشأ السماوات والأرض من غير شيء أيها الناس، وأنزل من السماء غيثاً أحيا به الشجر والزرع، فأثمرت رزقا لكم تأكلونه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ وهي السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ لكم تركبونها وتحملون فيها أمتعتكم من بلد إلى بلد ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ماؤها شراب لكم، يقول تعالى ذكره: الذي يستحق عليكم العباداة وإخلاص الطاعة له، من هذه صفته، لا من لا يقدر على ضر ولا نفع لنفسه ولا لغيره من أوثانكم أيها المشركون وأهتكم. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وفعل الأفعال التي وصف ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ يتعاقبان عليكم أيها الناس بالليل والنهار، لصالح أنفسكم ومعاشكم ﴿دَائِبَيْنِ﴾ في اختلافهما عليكم. وقيل: معناه: أنهما دائبان في طاعة الله. وقوله ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يختلفان عليكم باعتقاب، إذا ذهب هذا جاء هذا بمنافعكم وصالح أسبابكم، فهذا لكم لتصرفكم فيه لمعاشكم، وهذا لكم للسكن تسكنون فيه، ورحمة منه بكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَاءٍ سَائِلْمَةٌ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۚ﴾ (٣٤) يقول تعالى ذكره: وأعطاكم مع إنعامه عليكم بما أنعم به عليكم من تسخير هذه الأشياء التي سخرها لكم والرزق الذي رزقكم من نبات الأرض وغرسها من كل شيء سألتموه، ورغبتم إليه شيئاً، وحذف الشيء الثاني اكتفاء بما التي أضيفت إليها كل، وإنما جاز حذفه، لأن من تبعض ما بعدها، فكفت بدالاتها على التبعض من المفعول، فلذلك جاز حذفه، ومثله قوله تعالى:

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني به: وأوتيت من كل شيء في زمانها شيئاً، وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير، نحو قول القائل: فلان يعلم كل شيء، وأتاه كل الناس، وهو يعني بعضهم، وكذلك

قوله ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾. وقيل أيضا: إنه ليس شيء إلا وقد سأله بعض الناس، فقيل ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي قد أتى بعضكم منه شيئا، وأتى آخر شيئا مما قد سأله. وهذا قول بعض نحويي أهل البصرة. وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول: معناه: وآتاكم من كل ما سألتموه لو سألتموه، كأنه قيل: وآتاكم من كل سؤالكم، وقال: ألا ترى أنك تقول للرجل، لم يسألك شيئا: والله لأعطينك سؤالك ما بلغت مسألتك، وإن لم يسأل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تعدوا أيها الناس نعمة الله التي أنعمها عليكم لا تطيقوا إحصاء عددها والقيام بشكرها إلا بعون الله لكم عليها. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ يقول: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفرا لظلوم: يقول: لشاكر غير من أنعم عليه، فهو بذلك من فعله واضع الشكر في غير موضعه، وذلك أن الله هو الذي أنعم عليه بما أنعم واستحق عليه إخلاص العبادة له، فعبد غيره وجعل له أندادا ليضل عن سبيله، وذلك هو ظلمه، وقوله ﴿كَفَّارٌ﴾ يقول: هو جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه. كما جاء عن طلق بن حبيب، قال: إن حق الله أثقل من أن تقوم به العبادة، وإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العبادة، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا﴾ يعني الحرم، بلدا آمنا أهله وسكانه ﴿واجنبنني وبني أن نعبد الأصنام﴾ يقال منه: جنبته الشر فأنأجنبه جنبا وجنبته الشر، فأنأجنبه تجنبا، وأجنبته ذلك فأنأجنبه إجنابا، ومعنى ذلك: أبعدني وبني من عبادة الأصنام، والأصنام: جمع صنم، والصنم: هو التمثال المصوّر، وكذلك كان مجاهد يقول وقوله ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ يقول: يا رب إن الأصنام أضلّلن: يقول: أزلن كثيرا من الناس عن طريق الهدى وسبيل الحق حتى عبدوهنّ، وكفروا بك. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ يقول: فمن تبعني على ما أنا عليه من الإيمان بك وإخلاص العبادة لك وفراق عبادة الأوثان، فإنه مني: يقول: فإنه مستنّ بسنّتي، وعامل بمثل عملي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول: ومن خالف أمري فلم يقبل مني ما دعوته إليه، وأشرك بك، فإنه غفور لذنوب المذنبين الخطّائين بفضلك، ورحيم بعبادك تعفو عمن تشاء منهم. وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال عيسى ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فرفع يديه ثم قال: اللهم أمتي، اللهم أمتي، وبكي، فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فأسأله ما يبيكيه؟ فأتاه جبرئيل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ ما قال، قال: فقال الله: يا جبرئيل اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقال

إبراهيم خليل الرحمن هذا القول حين أسكن إسماعيل وأمه هاجر - فيما ذكر - مكة. كما جاء عن ابن عباس، قال: إن أول من سعى بين الصفا والمروة لأُم إسماعيل، وإن أول ما أحدث نساء العرب جرّ الذبول لمن أُم إسماعيل، قال: لما فرت من سارة، أرخت من ذيلها لتعفي أثرها، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت، فوضعهما ثم رجع، فاتبعته، فقالت: إلى أي شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ فجعل لا يردّ عليها شيئاً، فقالت: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا. قال: فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء، أقبل على الوادي فدعا، فقال ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِ بَوَادِي غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ قال: ومع الإنسانية سنة فيها ماء، فنغد الماء فغطشت وانقطع لبنها، فغطش الصبي، فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض، فصعدت بالصفا، فتسمعت هل تسمع صوتاً أو ترى أنيساً؟ فلم تسمع، فانحدرت، فلما أتت على الوادي سعت وما تريد السعي، كالإنسان المجهود الذي يسعى وما يريد السعي، فنظرت أي الجبال أدنى من الأرض، فصعدت المروة فتسمعت هل تسمع صوتاً، أو ترى أنيساً، فسمعت صوتاً، فقالت كالإنسان الذي يكذب سمعه: صه، حتى استيقنت، فقالت: قد أسمعني صوتك فأعطني، فقد هلك من معي، فجاء الملك فجاء بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم، فضرب بقدمه ففارت عينها، فجعلت الإنسانية فجعلت في شئها، فقال رسول الله ﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْلَا أَنَّهَا عَجَلَتْ لَكَانَتْ رَمَزُ عَيْنَا مَعِينَا". وقال لها الملك: لا تخافي الظمأ على أهل هذا البلد، فإنما هي عين لشرب ضيفان الله، وقال: إن أبا هذا الغلام سيجيء، فيبينان الله بيتاً هذا موضعه، قال: ومرت رفقة من جرحهم تريد الشام، فأروا الطير على الجبل، فقالوا: إن هذا الطير لعائف على ماء، فهل علمتم بهذا الوادي من ماء؟ فقالوا: لا فأشرفوا فإذا هم بالإنسان، فأوثوا فطلبوا إليها أن يتزلوا معها، فأذنت لهم، قال: وأتى عليها ما يأتي على هؤلاء الناس من الموت، فماتت، وتزوج إسماعيل امرأة منهم، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتى دُل عليه، فلم يجده، ووجد امرأة له فظة غليظة، فقال لها: إذا جاء زوجك فقول لي: جاء هنا شيخ من صفته كذا وكذا، وإنه يقول لك: إني لا أرضى لك عتبة بابك فحوّلها، وانطلق، فلما جاء إسماعيل أخبرته، فقال: ذلك أبي وأنت عتبة بأبي، فطلقها وتزوج امرأة أخرى منهم، وجاء إبراهيم حتى انتهى إلى منزل إسماعيل، فلم يجده، ووجد امرأة له سهلة طليقة، فقال لها: أين انطلق زوجك؟ فقالت: انطلق إلى الصيد، قال: فما طعامكم؟ قالت: اللحم والماء، قال: اللهم بارك لهم في لحمهم ومائهم، اللهم بارك لهم في لحمهم ومائهم ثلاثاً، وقال لها: إذا جاء زوجك فأخبريه، قولي: جاء هنا شيخ من صفته كذا وكذا، وإنه يقول لك: قد رضيت لك عتبة بابك، فأثبتها، فلما جاء إسماعيل أخبرته. قال: ثم جاء الثالثة، فرفعا القواعد من البيت. قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: ربنا إني أسكنت بعض ولدي بواد غير ذي زرع. وفي قوله ﷺ دليل على أنه لم يكن هنالك يومئذ ماء، لأنه لو كان هنالك ماء لم يصفه بأنه غير ذي زرع عند بيتك الذي حرّمته على جميع خلقك أن يستحلوه. وكان تحريمه إياه فيما ذكر كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في خطبته: إن هذا البيت أول من وليه أناس من طسم، فعصوا ربهم واستحلوا

حرمته، واستخفوا بحقه، فأهلكهم الله. ثم وليهم أناس من جرهم فقصوا ربهم واستحلوا حرمته واستخفوا بحقه، فأهلكهم الله. ثم وليتموه معاشر قريش، فلا تعصوا ربه، ولا تستحلوا حرمته، ولا تستخفوا بحقه، فوالله لصلاة فيه أحب إلي من مئة صلاة بغيره، واعلموا أن المعاصي فيه على نحو من ذلك. وقال ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ ولم يأت بما وقع عليه الفعل، وذلك أن حظ الكلام أن يقال: إني أسكنت من ذريتي جماعة، أو رجلاً أو قوماً، وذلك غير جائز مع "من" لدلالته على المراد من الكلام، والعرب تفعل ذلك معها كثيراً، فتقول: قتلنا من بني فلان، وطعمنا من الكلاء وشربنا من الماء، ومنه قول الله تعالى ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾. فإن قال قائل: وكيف قال إبراهيم حين أسكن ابنه مكة ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ وقد رويت في الأخبار التي ذكرتها أن إبراهيم بنى البيت بعد ذلك بمدة. قيل: قد قيل في ذلك أقوال قد ذكرتها في سورة البقرة، منها أن معناه: عند بيتك المحرم الذي كان قبل أن ترفعه من الأرض حين رفعته أيام الطوفان، ومنها عند بيتك المحرم من استحلال حرمات الله فيه، والاستخفاف بحقه. وقوله ﴿رَبَّنَا لِيَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ يقول: فعلت ذلك يا ربنا كي تؤدى فرائضك من الصلاة التي أوجبها عليهم في بيتك المحرم. وقوله ﴿فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ يخبر بذلك تعالى ذكره عن خليله إبراهيم أنه سأله في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذي زرع عند بيته المحرم. وذلك منه دعاء لهم بأن يرزقهم حج بيته الحرام. وجاء عن سعيد بن جبيرة ﴿أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ ولو قال أفئدة الناس تهوي إليهم لحجت اليهود والنصارى والمجوس، ولكنه قال: أفئدة من الناس تهوي إليهم فهم المسلمون وقال آخرون: إنما دعا لهم أن يهتدوا السكينة بمكة. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: وارزقهم من ثمرات النبات والأشجار ما رزقت سكان الأرياف والقرى التي هي ذوات المياه والأنهار، وإن كنت أسكنتهم واديا غير ذي زرع ولا ماء. فرزقهم جل ثناؤه ذلك. وقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ يقول: ليذكروك على ما رزقتهم وتنعم به عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استشهاد خليله إبراهيم إياه على ما نوى وقصد بدعائه وقيله ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾... الآية، وأنه إنما قصد بذلك رضا الله عنه في محبته أن يكون ولده من أهل الطاعة لله، وإخلاص العبادة له على مثل الذي هو له، فقال: ربنا إنك تعلم ما نخفي قلوبنا عند مسألتنا ما نسألك، وفي غير ذلك من أحوالنا، وما نعلن من دعائنا، فنجهر به وغير ذلك من أعمالنا، وما يخفى عليك يا ربنا من شيء يكون في الأرض ولا في السماء، لأن ذلك كله ظاهر لك متجل باد، لأنك مدبره وخالفه، فكيف يخفى عليك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ يقول: الحمد لله الذي رزقني على كبر من السن ولدا إسماعيل وإسحاق ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ يقول: إن ربي لسميع دعائي الذي أدعوه به، وقولي ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ وغير ذلك من دعائي ودعاء غيري، وجميع ما نطق به ناطق لا يخفى عليه منه شيء. وجاء عن سعيد بن جبيرة، قال: بُشِّرَ إبراهيم بعد سبع عشرة ومئة سنة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ يقول: رب اجعلني مؤدياً ما ألزمتني من فريضة التي فرضتها علي من الصلاة. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ يقول: واجعل أيضاً من ذريتي مقيمي الصلاة لك. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ يقول: ربنا وتقبل عملي الذي أعمله لك وعبادتي إياك. وهذا نظير الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ" ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ وهذا دعاء من إبراهيم صلوات الله عليه لوالديه بالمغفرة، واستغفار منه لهما. وقد أخبر الله عز ذكره أنه لم يكن ﴿اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. وقد بينا وقت تبرّته منه فيما مضى، بما أغنى عن إعادته. وقوله ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وللمؤمنين بك ممن تبني علي الدين الذي أنا عليه، فأطاعك في أمرك ونهيك. وقوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ يعني: يقوم الناس للحساب، فاكتمى بذكر الحساب من ذكر الناس، إذ كان مفهوما معناه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ يا محمد ﴿غَافِلًا﴾ ساهياً ﴿عَمَّا يَعْمَلُ﴾ هؤلاء المشركون من قومك، بل هو عالم بهم وبأعمالهم محصياً عليهم، ليجزيهم جزاءهم في الحين الذي قد سبق في علمه أن يجزيهم فيه. كما جاء عن ميمون بن مهران أنه قال: هي وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يؤخر ربك يا محمد هؤلاء الظالمين الذين يكذبونك ويحسدون نبوتك، ليوم تشخص فيه الأبصار. يقول: إنما يؤخر عقابهم وإنزال العذاب بهم، إلى يوم تشخص فيه أبصار الخلق، وذلك يوم القيامة. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ شخصت فيه والله أبصارهم، فلا ترتد إليهم. وأما قوله ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: معناه: مسرعين. كما جاء عن مجاهد وابن جريج وقال آخرون: معنى ذلك: لا يرفع رأسه. كما قال ابن زيد، في قوله ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قال: المهطع الذي لا يرفع رأسه. والإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع أشهر منه: بمعنى إدامة النظر، ومن الإهطاع بمعنى الإسراع، وقوله ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ يعني رافعي رؤوسهم. وإقناع الرأس: رفعه، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ يقول: لا ترجع إليهم لشدة النظر أبصارهم. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في تأويل ذلك قول من قال: معناه: أنها خالية ليس فيها شيء من الخير، ولا تعقل شيئاً، وذلك أن العرب تسمي كل أجوف خاو: هوأ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعَوْتِكَ وَتَبَيُّعَ الرُّسُلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنذر يا محمد الناس الذين أرسلتكم إليهم داعياً إلى الإسلام ما هو نازل بهم، يوم يأتيهم عذاب الله في القيامة. ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول:

فيقول الذين كفروا برهم، فظلموا بذلك أنفسهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ أي أخر عنا عذابك، وأمهلنا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ﴾ الحق، فتؤمن بك، ولا نشرك بك شيئاً، ﴿وَتَتَّبِعِ الرَّسُلَ﴾ يقولون: ونصدق رسلك فتتبعهم على ما دعوتنا إليه من طاعتك واتباع أمرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِنْ زَوَالٍ ۚ﴾ وهذا تقرير من الله تعالى ذكره للمشركين من قريش، بعد أن دخلوا النار بإنكارهم في الدنيا البعث بعد الموت، يقول لهم: إذ سألوه رفع العذاب عنهم، وتأخيرهم لينبؤا ويتوبوا ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ في الدنيا ﴿أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِنْ زَوَالٍ﴾ يقول: ما لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة، وإنكم إنما تموتون، ثم لا تبعثون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: وسكنتم في المساكن الذين ظلموا أنفسهم، فظلموا بذلك أنفسهم من الأمم التي كانت قبلكم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يقول: وعلمتم كيف أهلكناهم حين عتوا على ربهم وتمادوا في طغيانهم وكفرهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: ومثلنا لكم فيما كنتم عليه من الشرك بالله مقيمين الأشباه، فلم تنبؤوا ولم تتوبوا من كفركم، فالآن تسألون التأخير للتوبة حين نزل بكم ما قد نزل بكم من العذاب، إن ذلك غير كائن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قد مكر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم، فسكنتم من بعدهم في مساكنهم، مكرهم. وكان مكرهم الذي مكروا ما: جاء عن عبد الرحمن بن أبان قال: سمعت علياً يقرأ: "وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ" قال: كان ملك فره أخذ فروخ النصور، فعلقها اللحم حتى شبت واستعلجت واستغلظت. فقعد هو وصاحبه في التابوت وربطوا التابوت بأرجل النصور، وعلقوا اللحم فوق التابوت، فكانت كلما نظرت إلى اللحم صعدت وصعدت، فقال لصاحبه: ما ترى؟ قال: أرى الجبال مثل الدخان، قالاً ما ترى؟ قال: ما أرى شيئاً، قال: ويحك صوب صوب، قال: فذلك قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾. وقال آخرون: كان مكرهم: شركهم بالله، وافترائهم عليه. كما جاء عن ابن عباس واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ والصواب من القراءة عندنا، قراءة من قرأه ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ بكسر اللام الأولى وفتح الثانية، بمعنى: وما كان مكرهم لتزول منه الجبال. وبنحو ما قلنا في معنى ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ قال جماعة من أهل التأويل. وكما جاء عن الحسن قال: أربع في القرآن ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ ما كان مكرهم لتزول منه الجبال، وقوله ﴿لَا تَخْذَنْهَ مِنْ لُدَّتْ إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما كنا فاعلين، وقوله ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ ما كان للرحمن ولد، وقوله ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ ما مكناكم فيه. قال هارون: وحدثني بهن عمرو بن أسباط، عن الحسن، وزاد فيهن واحدة ﴿إِنْ كُنْتُ فِي شَكٍّ﴾ ما كنت في شك ﴿مِمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ﴾. فالأولى من القول بالصواب في تأويل الآية، إذ كانت القراءة التي ذكرت هي الصواب لما بيننا من الدلالة في قوله ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾

وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَيَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿١٧﴾ وقد أشرك الذين ظلموا أنفسهم بربهم وافتروا عليه فريتهم عليه، وعند الله علم شركهم به وافترائهم عليه، وهو معاقبهم على ذلك عقوبتهم التي هم أهلها، وما كان شركهم وفريتهم على الله لتزول منه الجبال، بل ما ضرّوا بذلك إلا أنفسهم، ولا عادت بغية مكروهه إلا عليهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ﴾ الذي وعدهم من كذبهم، وجحد ما أنوهم به من عنده، وإنما قاله تعالى ذكره لنبية تثبيتا وتشديدا لعزيمته، ومعرفة أنه منزل من سخطه بمن كذبه وجحد نبوته، وردّ عليه ما أتاه به من عند الله، مثال ما أنزل بمن سلکوا سبيلهم من الأمم الذين كانوا قبلهم على مثل منهاجهم من تكذيب رسلهم وجحد نبوتهم وردّ ما جاءهم به من عند الله عليهم. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ يعني بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يمانع منه شيء أراد عقوبته، قادر على كل من طلبه، لا يفوته بالهَرَب منه. ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ ممن كفر برسله وكذبهم، وجحد نبوتهم، وأشرك به واتخذ معه إلهاً غيره. وأضيف قوله ﴿مُخْلِفاً﴾ إلى الوعد، وهو مصدر، لأنه وقع موقع الاسم، ونصب قوله ﴿رُسُلَهُ﴾ بالمعنى، وذلك أن المعنى: فلا تحسبنّ الله مخلف رسله وعده، فالوعد وإن كان مخفوضاً بإضافة "مخلف" إليه، ففي معنى النصب، وذلك أن الإخلاف يقع على منصوبين مختلفين، كقول القائل: كسوت عبد الله ثوبا، وأدخلته داراً؛ وإذا كان الفعل كذلك يقع على منصوبين مختلفين، جاز تقديم أيّهما قُدِّم، وخفض ما وَلِيَ الفعل الذي هو في صورة الأسماء، ونصب الثاني، فيقال: أنا مدخل عبد الله الدار، وأنا مدخل الدار عبد الله، إن قُدِّمَت الدار إلى المُدْخِل وأخرت عبد الله خفضت الدار، إذ أضيف مُدْخِل إليها، ونُصِب عبد الله؛ وإن قُدِّم عبد الله إليه، وأخرت الدار، خفض عبد الله بإضافة مُدْخِل إليه، ونُصِب الدار؛ وإنما فعل ذلك كذلك، لأن الفعل، أعني مدخل، يعمل في كل واحد منهما نصباً نحو عمله في الآخر؛

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَوَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله ذو انتقام ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ من مشركي قومك يا محمد من قريش، وسائر من كفر بالله وجحد نبوتك ونبوة رسله من قبلك. فيوم من صلة الانتقام. واختلف في معنى قوله ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: يوم تبدل الأرض التي نحن عليها اليوم يوم القيامة غيرها، وكذلك السماوات اليوم تبدل غيرها، كما قال جل ثناؤه، وجائر أن تكون المبدلة أرضاً أخرى من فضة، وجائر أن تكون نارا وجائر أن تكون خبزا، وجائر أن تكون غير ذلك، ولا خبر في ذلك عندنا من الوجه الذي يجب التسليم له أي ذلك يكون، فلا قول في ذلك يصحّ إلا ما دلّ عليه ظاهر التنزيل. وبنحو ما قلنا في معنى قوله ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَوَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ يقول: وظهروا لله المنفرد بالربوبية، الذي يقهر كل شيء فيغلبه ويصرفه لما يشاء كيف يشاء، فيحيي خلقه إذا شاء، ويميتهم إذا شاء، لا يغلبه شيء، ولا يقهره من قبورهم أحياء لموقف القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَوَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ ﴿١٩﴾ سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغَشَّى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٢٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره:

وتعابن الذين كفروا بالله، فاجتمعوا في الدنيا الشرك يومئذ، يعني: يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات. ﴿مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾ يقول: مقترنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد، وهي الوثاق من غلّ وسلسلة، واحدها: صَفْد، يقال منه: صَفَدْتُهُ فِي الصَّفْدِ صَفْداً وَصِفْداً، والصفاد: القيد، ومن جعل الواحد من ذلك صِفْداً جمعه: صُفْداً لا أصفادا، وأما من العطاء، فإنه يقال منه: أَصْفَدْتُهُ إِصْفَاداً، وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿مُقَرَّرَيْنِ فِي الْأَصْفَادِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾ يقول: قمصهم التي يلبسونها، واحدها: سربال، كما جاء عن ابن زيد، في قوله ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ﴾ قال: السراويل: القمُص. وقوله ﴿مِنْ قَطَرَانٍ﴾ يقول: من القطران الذي يهنا به الإبل، وفيه لغات ثلاث: يقال: قِطْرَانٌ وَقِطْرَانٌ بفتح القاف وتسكين الطاء منه. وقيل: إن عيسى بن عمر كان يقرأ "مِنْ قِطْرَانٍ" بكسر القاف وتسكين الطاء، وقال بعضهم: القطران: النحاس. كما جاء عن ابن عباس وقد رُوي عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ ذلك: "مِنْ قِطْرَانٍ" بفتح القاف وتسكين الطاء وتنوين الراء وتصيير آن من نعته، وتوجيه معنى القِطْر إلى أنه النحاس، ومعنى الآن، إلى أنه الذي قد انتهى حرّه في الشدة. كما جاء عن سعيد وغيره وقوله ﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ يقول: وتلفح وجوههم النار فتحرقها ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ يقول: فعل الله ذلك بهم جزاء لهم بما كسبوا من الآثام في الدنيا، كيما يثيب كل نفس بما كسبت من خير وشر، فيجزّي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يقول: إن الله عالم بعمل كل عامل، فلا يحتاج في إحصاء أعمالهم إلى عقد كفّ ولا معاناة، وهو سريع حسابه لأعمالهم، قد أحاط بها علما، لا يعزب عنه منها شيء، وهو مجازيهم على جميع ذلك صغيره وكبيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يقول تعالى ذكره: هذا القرآن بلاغ للناس، أبلغ الله به إليهم في الحجة عليهم، وأعذر إليهم بما أنزل فيه من مواعظه وعبره ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ يقول: ولينذروا عقاب الله، ويحذروا به نعماته، أنزله إلى نبيه ﷺ ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ يقول: وليعلموا بما احتجّ به عليهم من الحجج فيه أنما هو إله واحد، لا آلهة شتى، كما يقول المشركون بالله، وأن لا إله إلا هو الذي له ما في السموات وما في الأرض، الذي سخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لهم، وسخر لهم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لهم الأنهار. ﴿وَلِيَذْكُرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ يقول: وليتذكر فيتعظ بما احتجّ الله به عليه من حججه التي في هذا القرآن، فينجزر عن أن يجعل معه إلها غيره، ويُشرك في عبادته شيئا سواه أهل الحجي والعقول، فإنهم أهل الاعتبار والادّكار دون الذين لا عقول لهم ولا أفهام، فإنهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

آخر تفسير سورة إبراهيم ﷻ

والحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ١﴾ أما قوله جل ثناؤه: وتقدّست أسماؤه ﴿الر﴾، فقد تقدم بيانها فيما مضى قبل. وأما قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ فإنه يعني: هذه الآيات، آيات الكتب التي كانت قبل القرآن كالتوراة والإنجيل ﴿وَقُرْآنٍ﴾ يقول: وآيات قرآن ﴿مُبِينٍ﴾ يقول: يُبين من تأمله وتدبره رشده وهداه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ٢﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿رُبَّمَا﴾ فقرأت ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض الكوفيين ﴿رُبَّمَا﴾ بتخفيف الباء، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة بتشديدها. والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان بمعنى واحد، قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب. وتأويل الكلام: ربما يودّ الذين كفروا بالله فجحداً وحدانيته لو كانوا في دار الدنيا مسلمين. كما جاء عن أبي موسى، قال: بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة، واجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة، قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة: ألستم مسلمين؟ قالوا: بلى، قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فسمع الله ما قالوا، فأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فأخرجوا، فقال من في النار من الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ذر يا محمد هؤلاء المشركين يأكلوا في هذه الدنيا ما هم آكلوه، ويتمتعوا من لذاتها وشهواتهم فيها إلى أجلهم الذي أجلت لهم، ويلهمهم الأمل عن الأخذ بحظهم من طاعة الله فيها، وتزوّدهم لمعادهم منها بما يقرّبهم من ربهم، فسوف يعلمون غداً إذا وردوا عليه. وقد هلكوا على كفرهم بالله وشركهم حين يُعانون عذاب الله أنهم كانوا من تمتعهم بما كانوا يتمتعون فيها من اللذات والشهوات كانوا في خسار وتباب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ٤﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا﴾ يا محمد ﴿مِنْ﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ﴾ من أهل القرى التي أهلكنا أهلها فيما مضى ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ يقول: إلا ولها أجل مؤقّت ومدة معروفة، لا نهلكهم حتى يبلغوها، فإذا بلغوها أهلكناهم عند ذلك، فيقول لنبية محمد ﷺ، فذلك أهل قريتك التي أنت منها وهي مكة، لا نهلك مشركي أهلها إلا بعد بلوغ كتابهم أجله، لأن من قضائي أن لا أهلك أهل قرية إلا بعد بلوغ كتابهم أجله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ ١٠١ يقول تعالى ذكره: ما يتقدم هلاك أمة قبل أجلها الذي جعله الله أجلا لها، ولا يستأخر هلاكها عن أجل الذي جعل لها أجلا. كما جاء عن الزهري، في قوله ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ قال: نرى أنه إذا حضر أجله، فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم. وأما ما لم يحضر أجله، فإن الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ١٠٢ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَايِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ١٠٣ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون لك من قومك يا محمد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ وهو القرآن الذي ذكر الله فيه مواعظ خلقه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ في دعائك إيانا إلى أن نتبعك، ونذر ألهتنا ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَايِكَةِ﴾ قالوا: هلا تأتينا بالملائكة شاهدة لك على صدق ما تقول؟ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني: إن كنت صادقا في أن الله تعالى بعثك إلينا رسولا وأنزل عليك كتابا، فإن الرب الذي فعل ما تقول بك، لا يتعذر عليه إرسال ملك من ملائكته معك حجة لك علينا، وآية لك على نبوتك، وصدق مقالتك: والعرب تضع موضع لوما: لولا وموضع لولا لوما، وبنحو الذي قلنا في معنى الذكر قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَايِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾ ١٠٤ فتأويل الكلام: ما ننزل ملائكتنا إلا بالحق، يعني بالرسالة إلى رسلنا، أو بالعذاب لمن أردنا تعذيبه. ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على ما يسألون إرسالهم معك آية فكفروا لم يُنظروا فيؤخروا بالعذاب، بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين آتتهم الآيات، فعاجلناهم بالعقوبة. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿مَا نُنْزِلُ الْمَلَايِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ١٠٥ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ وهو القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مَّا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: ﴿لَهُ﴾ من ذكر الذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ١٠٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ١٠٧ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك في الأمم الأولين رسلا وترك ذكر الرسل اكتفاء بدلالة قوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ عليه، وعنى بشيعة الأولين: أمم الأولين: واحدتها شيعة، ويقال أيضا لأولياء الرجل: شيعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة وقوله ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول: وما يأتي شيعة الأولين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده، والإدعان بطاعته، إلا كانوا به يستهزئون: يقول: إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتوا منهم وتمردا على ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ١٠٨ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٠٩ يقول تعالى ذكره: كما سلطنا الكفر في قلوب شيعة الأولين بالاستهزاء بالرسول، كذلك

نفعل ذلك في قلوب مشركي قومك الذين أجمعوا بالكفر بالله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يقول: لا يصدقون بالذكر الذي أنزل إليك، والهاء في قوله ﴿نَسْلُكُهُ﴾ من ذكر الاستهزاء بالرسول والتكذيب بهم. كما قال ابن زيد في قوله ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ قال: هم كما قال الله، هو أضلهم ومنعهم الإيمان، يقال منه: سلكه يسلكه سلكا وسلوكا، وأسلكه يسلكه إسلاكا، وقوله ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّتُهُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يؤمن بهذا القرآن قومك الذين سلكت في قلوبهم التكذيب ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ أخذنا منهم سنة أسلافهم من المشركين قبلهم من قوم عاد وثمود وضربائهم من الأمم التي كذبت رسلها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حل بها سخط الله فهلكت. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله ﴿ظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ فقال بعضهم: معنى الكلام: ولو فتحنا على هؤلاء القائلين لك يا محمد ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ بابا من السماء فظلت الملائكة تعرج فيه وهم يرونهم عيانا ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾. وقال آخرون: إنما عني بذلك: بنو آدم. ومعنى الكلام عندهم: ولو فتحنا على هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بابا من السماء فظلوا هم فيه يعرجون ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾. كما جاء عن قتادة وأما قوله ﴿يَعْرُجُونَ﴾ فإن معناه: يرقون فيه ويصعدون، يقال منه: عرج يعرج عروجا إذا رقى وصعد، وواحدة المعارج: معرج ومعراج وقد حكي عرج يعرج بكسر الراء في الاستقبال. وقوله ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ يقول: لقال هؤلاء المشركون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم: ما هذا بحق إنما سكرت أبصارنا. وأختلف أهل التأويل في معنى سكرت وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: أخذت أبصارنا وسحرت، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حد أبصارها، وانطفأ نوره، كما يقال للشيء الحار إذا ذهب فورته، وسكن حد حره، قد سكر يسكر،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جعلنا في السماء الدنيا منازل للشمس والقمر، وهي كواكب ينزلها الشمس والقمر ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ يقول: وزينا السماء بالكواكب لمن نظر إليها وأبصرها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه ﴿إِلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه، إما بإخباله وإفساده، أو بإحراقه. وكان بعض نحويي أهل البصرة يقول في قوله ﴿إِلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ هو استثناء خارج، كما قال: ما أشتكي إلا خيرا، يريد: لكن أذكر خيرا. وكان ينكر ذلك من قبله بعضهم، ويقول: إذا كانت إلا بمعنى لكن عملت عمل لكن، ولا يحتاج إلى إضمار أذكر، ويقول: لو احتاج الأمر كذلك إلى إضمار أذكر احتاج قول القائل: قام زيد لا عمرو إلى إضمار أذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن

ابن عباس، قال: تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع، قال: فينفرد المارد منها فيعلو، فيرمى بالشهاب، فيصيب جبهته أو جنبه، أو حيث شاء الله منه، فيلتهب فيأتي أصحابه وهو يلهب، فيقول: إنه كان من الأمر كذا وكذا، قال: فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة، فيزيدون عليه أضغافه من الكذب، فيخبرونهم به، فإذا رأوا شيئا مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاءوهم به من الكذب. ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ قال: الرجيم: الملعون، قال: وقال القاسم عن الكسائي: إنه قال: الرجم في جميع القرآن: الشتم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ والأرض دحونها فبسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ يقول: وألقينا في ظهورها رواسي، يعني جبالا ثابتة. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾. وقال في آية أخرى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ وذكر لنا أن أم القرى مكة، منها دُحيت الأرض، قوله ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ رواسيها: جبالها. يقول: وألقينا في ظهورها رواسي، يعني جبالا ثابتة، وقد بينا معنى الرسو فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادته. وقوله ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ يقول: وأنبتنا في الأرض من كل شيء: يقول: من كل شيء مقدر، ويحد معلوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وعكرمة لقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ أيها الناس في الأرض ﴿مَعَايِشَ﴾، وهي جمع معيشة ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾. اختلف أهل التأويل في المعنى في قوله ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ وأولى ذلك بالصواب، وأحسن أن يقال: عني بقوله ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من العبيد والإماء والدواب والأنعام. فمعنى ذلك: وجعلنا لكم فيها معاش. والعبيد والإماء والدواب والأنعام، وإذا كان ذلك كذلك، حسن أن توضع حيث مكان العبيد والإماء والدواب "من"، وذلك أن العرب تفعل ذلك إذا أرادت الخبر عن البهائم معها بنو آدم. وهذا التأويل على ما قلناه وصرفنا إليه معنى الكلام إذا كانت "من" في موضع نصب عطفًا به على معاش بمعنى: جعلنا لكم فيها معاش، وجعلنا لكم فيها من لستم له برازقين. وقيل: إن "من" في موضع خفض عطفًا به على الكاف والميم في قوله ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ بمعنى: وجعلنا لكم فيها معاش ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ وأحسب أن منصورا في قوله: هو الوحش قصد هذا المعنى وإياه أراد، وذلك وإن كان له وجه في كلام العرب، فبعيد قليل، لأنها لا تكاد تظاهر على معنى في حال الخفض،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر لكل أرض معلوم عندنا حده ومبلغه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الحكم بن عتيبة، في قوله ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ قال: ما من عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل، ولكنه يمطر قوم، ويحرم آخرون، وربما كان في البحر، قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما ثبت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَافِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ اختلف أهل العربية في وجه وصف الرياح باللقح والصواب من القول في ذلك عندي:

أن الرياح لواقح كما وصفها به جل ثناؤه من صفتها، وإن كانت قد تلعق السحاب والأشجار، فهي لاقحة ملقحة، ولقحها: حملها الماء والقاحها السحاب والشجر: عملها فيه، وذلك كما قال عبد الله بن مسعود. وأما جماعة آخر من أهل التأويل، فإنهم وجهوا وصف الله تعالى ذكره إياها بأنها لواقح، إلى أنه بمعنى ملقحة، وأن اللواقح وضعت موضع ملاقح، وكان الضحاك يقول، في قوله ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ الرياح يبعثها الله على السحاب فتلقحه، فيمتلئ ماء. وقوله ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ يقول: ولستم بخازني الماء الذي أنزلنا من السماء فأسقيناكموه. فتمنعوه من أسقيه، لأن ذلك بيدي وإلي، أسقيه من أشياء وأمنعه من أشياء. كما جاء، قال سفيان: ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ قال: بمانعين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۚ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۚ﴾ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾ من كان ميتا إذا أردنا ﴿وَنُمِيتُ﴾ من كان حيا إذا شئنا ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ يقول: ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم، فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل. وقوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد، لدلالة ما قبله من الكلام، وهو قوله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وما بعده وهو قوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه، ولا جاء بعد. وجائز أن تكون نزلت في شأن المتقدمين في الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عز وجل عم بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جل ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم، وما كانوا يعملون، ومن هو حي منكم، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرها، وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم، فنجازي كلا بأعماله، إن خيرا فخييرا وإن شرا فشرا. فيكون ذلك تهديدا ووعيدا للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حد الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعدا لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها. وقوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه: وإن ربك يا محمد هو يجمع جميع الأولين والآخرين عنده يوم القيامة، أهل الطاعة منهم والمعصية، وكل أحد من خلقه، المستقدمين منهم والمستأخرين. ونحنو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وعامر

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا آدم وهو الإنسان من صلصال. واختلف أهل التأويل في معنى الصلصال، فقال بعضهم: هو الطين اليابس لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة. وقال آخرون: الصلصال: المُنْتِن. وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنه من قولهم: صل اللحم وأصل، إذا أنتن، يقال ذلك باللغتين كليهما: يَفْعَلُ وأَفْعَل. والذي هو أولى بتأويل الآية أن يكون الصلصال في هذا الموضع

الذي له صوت من الصلصلة، وذلك أن الله تعالى وصفه في موضع آخر فقال ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ فشبهه تعالى ذكره بأنه كان كالفخار في يسه. ولو كان معناه في ذلك الممتن لم يشبهه بالفخار، لأن الفخار ليس بمتن فيشبه به في التثنية غيره. وأما قوله ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ فإن الحمأ: جمع حمأة، وهو الطين المتغير إلى السواد. وقوله ﴿مَسْنُونٍ﴾ يعني: المتغير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالْجَانَّ﴾ وقد بينا فيما مضى معنى الجان ولم قيل له جان. وعني بالجان هاهنا: إبليس أبا الجن. يقول تعالى ذكره: وإبليس خلقناه من قبل الإنسان من نار السموم. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو إبليس خلق قبل آدم، وإنما خلق آدم آخر الخلق، فحسده عدو الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة، فقال: أنا ناري، وهذا طيني، فكانت السجدة لآدم، والطاعة لله تعالى ذكره، فقال ﴿اخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾. واختلف أهل التأويل في معنى ﴿نَارِ السَّمُومِ﴾ فقال بعضهم: هي السموم الحارة التي تقتل. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: يعني بذلك من لهب النار. كما كان عبد الله يقول: هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خرج منها الجان. قال: وتلا ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾. وكان بعض أهل العربية يقول: السموم بالليل والنهار. وقال بعضهم: الحرور بالنهار، والسموم بالليل، يقال: سمَّ يومنا يسمُّ سمومًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ فإذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾. يقول: فإذا صورته فعدلت صورته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فصار بشرا حيا ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجدوا تحية وتكرمة لا سجدوا عبادة. كما جاء عن ابن عباس قال: لما خلق الله الملائكة قال: إني خالق بشر من طين، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له، فقالوا: لا نفعل. فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم، وخلق ملائكة أخرى، فقال: إني خالق بشر من طين، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له، فأبوا، قال: فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم، ثم خلق ملائكة أخرى، فقال: إني خالق بشر من طين، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له، فأبوا، فأرسل عليهم نارا فأحرقتهم، ثم خلق ملائكة، فقال: إني خالق بشر من طين، فإذا أنا خلقتهم فاسجدوا له، فقالوا: سمعنا وأطعنا، إلا إبليس كان من الكافرين الأولين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ إلا إبليس أبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٣﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما خلق الله ذلك البشر، ونفخ فيه الروح بعد أن سواه، سجد الملائكة كلهم جميعا، إلا إبليس، فإنه أبى أن يكون مع الساجدين في سجودهم لآدم حين سجدوا، فلم يسجد له معهم تكبرا وحسدا وبغيا، فقال الله تعالى ذكره ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ يقول: ما منعك من أن تكون مع الساجدين، فإن في قول بعض نحوي الكوفة خفض، وفي قول بعض أهل البصرة نصب بفقد الخافض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ۖ قَالَ فَادْخُلْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۖ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿قَالَ﴾ إبليس: ﴿لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ وهو من طين وأنا من نار، والنار تأكل الطين. وقوله ﴿فَادْخُلْ مِنْهَا﴾ يقول الله تعالى ذكره لإبليس: ﴿فَادْخُلْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾. والرجيم المرجوم، صرف من مفعول إلى فاعيل وهو المشتوم، كذلك قال جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله ﴿وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ يقول: وإن غضب الله عليك بإخراجه إياك من السموات وطردك عنها إلى يوم المجازاة، وذلك يوم القيامة، وقد بينا معنى اللعنة في غير موضع بما أغنى عن إعادته هاهنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۖ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۖ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبليس: رب فإذ أخرجتني من السموات ولعنتني، فأخرنى إلى يوم تبعث خلقك من قبورهم فتحشرهم لموقف القيامة، قال الله له: فإنك ممن أخر هلاكه إلى يوم الوقت المعلوم لهلاك جميع خلقي، وذلك حين لا يبقى على الأرض من بني آدم ديار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبليس: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ بإغوائك ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وكأن قوله ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ خرج مخرج القسم، كما يقال: بالله، أو بعة الله لأغوينهم. وعنى بقوله ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ لأحسنن لهم معاصيك، ولأحببنا إليهم في الأرض ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول: ولأضلنهم عن سبيل الرشاد ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ يقول: إلا من أخلصته بتوفيقك فهديته، فإن ذلك ممن لا سلطان لي عليه ولا طاقة لي به. وقد قرئ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ فمن قرأ ذلك كذلك، فإنه يعني به: إلا من أخلص طاعتك، فإنه لا سبيل لي عليه. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۖ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۖ﴾ ومعنى الكلام: هذا طريق مرجعه إلي فأجازي كلا بأعمالهم، كما قال الله تعالى ذكره ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِمٌ رِصَادٍ﴾، وذلك نظير قول القائل لمن يتوعده ويتهدده: طريقك علي، وأنا على طريقك، فكذلك قوله: ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾ معناه: هذا طريق علي وهذا طريق إلي. وقوله ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن عبادي ليس لك عليهم حجة، إلا من اتبعك على ما دعوته إليه من الضلالة ممن غوى وهلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لإبليس: وإن جهنم لموعدهم من تبعك أجمعين ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ يقول: لجهنم سبعة أطباق، لكل طبق منهم: يعني من أتباع إبليس جزء، يعني: قسما ونصيبا مقسوما. وذكر أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ ۖ﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخوانا على سررٍ متقابلين ﴿يَقُولُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه، فتجنبوا معاصيه في جنات وعيون، يقال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾ من عقاب الله، أو أن تسلبوا

نعمة أنعمها الله عليكم، وكرامة أكرمكم بها. قوله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ يقول: وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم من حقد وضغينة بعضهم لبعض. واختلف أهل التأويل في الحال التي ينزع الله ذلك من صدورهم، فقال بعضهم: ينزل ذلك بعد دخولهم الجنة. كما جاء عن أبي أمامة، قال: يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن، حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غلٍّ، ثم قرأ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ وكان الحسن البصري يقول: قال علي: فينا والله أهل بدر نزلت الآية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ إخواناً على سررٍ مُتَقَابِلِينَ وعن ابن عينة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ قال: من عداوة. وجاء عن محمد بن إسماعيل الزبيدي، عن كثير النواء، قال سمعته يقول: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي، فقلت: وليي وليكم، وسلمي سلمكم، وعدوي عدوكم، وحربي حربكم، إني أسألك بالله، أترأ من أبي بكر وعمر، فقال: قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، تولهما يا كثير، فما أدركك فهو في رقتي، ثم تلا هذه الآية ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ يقول: إخوانا يقابل بعضهم وجه بعض، لا يستدبره فينظر في قفاه، وكذلك تأوله أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد . والسرر: جمع سرير، كما الجدد: جمع جديد، وجمع سررا، وأظهر التضعيف فيها، والراءان متحرّكتان لخفة الأسماء، ولا تفعل ذلك في الأفعال لثقل الأفعال، ولكنهم يُدغمون في الفعل ليسكن أحد الحرفين فيخفف، فإذا دخل على الفعل ما يسكن الثاني أظهروا حيثُذ التضعيف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ ٥٨ نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٦٠ يقول تعالى ذكره: لا يمسّ هؤلاء المتقين الذين وصف صفتهم في الجنات نصب، يعني تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ يقول: وما هم من الجنة ونعيمها وما أعطاهم الله فيها بمخرجين، بل ذلك دائم أبداً. وقوله ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أخبر عبادي يا محمد، أي أنا الذي أستر على ذنوبهم إذا تابوا منها وأنابوا، بترك فضيحتهم بها وعقوبتهم عليها، الرحيم بهم أن أعدّهم بعد توبتهم منها عليها ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ يقول: وأخبرهم أيضاً أن عذابي لمن أصرّ على معاصي وأقام عليها ولم يتب منها، هو العذاب الموجه الذي لا يشبهه عذاب. هذا من الله تحذير لخلقه التقدم على معاصيه، وأمر منه لهم بالإنبابة والتوبة. وجاء عن قتادة، قوله ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ قال: "لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ قَدْرَ عَفْوِ اللَّهِ لَمَا تَوَرَّعَ مِنْ حَرَامٍ، وَلَوْ يَعْلَمُ قَدْرَ عَذَابِهِ لَبَخَعَ نَفْسَهُ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦١

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ ٦٢ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ٦٣ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأخبر عبادي يا محمد عن ضيف إبراهيم: يعني الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم خليل الرحمن حين أرسلهم ربهم إلى قوم لوط ليهلكوهم ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ يقول: فقال الضيف لإبراهيم: سلاماً ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ يقول: قال إبراهيم: إنا

منكم خائفون. وقد بينا وجه النصب في قوله ﴿سَلَامًا﴾ وسبب وجل إبراهيم من ضيفه، واختلاف المختلفين ودلنا على الصحيح من القول فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وأما قوله ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ وهو يعني به الضيف، فجمع الخبر عنهم، وهم في لفظ واحد، فإن الضيف اسم للواحد والاثنين والجمع مثل الوزن والقطر والعدل، فلذلك جمع خبره، وهو لفظ واحد. وقوله ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ يقول: قال الضيف لإبراهيم: ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة الذين بشروه بغلام عليم ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ يقول: فبأي شيء تبشرون. كما جاء عن مجاهد في قوله ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾ قال: عجب من كبره، وكبر امرأته. وجاء أيضا عنه في قوله ﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ ومعناه: لأن مسني الكبر وبأن مسني الكبر، وهو نحو قوله ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ بمعنى: بأن لا أقول، ويمثله في الكلام: أتيتك أنك تعطي، فلم أجذك تعطي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ قال ومن يَفْتَنُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: قال ضيف إبراهيم له: بشرناك بحق يقين، وعلم منا بأن الله قد وهب لك غلاما عليما، فلا تكن من الذين يقنطون من فضل الله فيياسون منه، ولكن أبشر بما بشرناك به واقبل البشري. وقوله ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للضيف: ومن يياس من رحمة الله إلا القوم الذين قد أخطئوا سبيل الصواب، وتركوا قصد السبيل في تركهم رجاء الله، ولا يخيب من رجاءه، فضلوا بذلك عن دين الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجِّيهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم: ما أمركم أيها المرسلون؟ قالت الملائكة له: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين: يقول: إلى قوم قد اكتسبوا الكفر بالله، إلا آل لوط: يقول: إلا اتباع لوط على ما هو عليه من الدين، فإننا لن نهلكهم بل ننجيهم من العذاب الذي أمرنا أن نعذب به قوم لوط، سوى امرأة لوط قدردنا إنها من الغابرين: يقول: قضى الله فيها إنها لمن الباقين، ثم هي مهلكة بعد. وقد بينا الغابر فيما مضى بشواهد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ يقول تعالى ذكره: فلما أتى رسل الله آل لوط، أنكرهم لوط فلم يعرفهم، وقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾: أي نُنكركم لا نعرفكم، فقالت له الرسل: بل نحن رسل الله جئناك بما كان فيه قومك يشكون أنه نازل بهم من عذاب الله على كفرهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ يقول تعالى ذكره: قالت الرسل للوط:

وجئناك بالحق اليقين من عند الله، وذلك الحق هو العذاب الذي عذب الله به قوم لوط. وقد ذكرت خبرهم وقصصهم في سورة هود وغيرها حين بعث الله رسله ليعذبهم به. وقولهم: ﴿وَأَنَا لَصَادِقُونَ﴾ يقولون: إنا لصادقون فيما أخبرناك به يا لوط من أن الله مهلك قومك ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن رسله أنهم قالوا للوط، فأسر بأهلك ببقية من الليل، واتبع يا لوط أدبار أهلِكَ الذين تسري بهم وكن من ورائهم، وسر خلفهم وهم أمامك، ولا يلتفت منكم وراءه أحد، وامضوا حيث يأمركم الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ ٦٦ ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ٦٧ يقول تعالى ذكره: وفرغنا إلى لوط من ذلك الأمر، وأوحينا أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين: يقول: إن آخر قومك وأولهم مجذوذ مستأصل صباح ليلتهم، وأن من قوله ﴿أَنَّ دَابِرَ﴾ في موضع نصب ردًا على الأمر بوقوع القضاء عليها. وقد يجوز أن تكون في موضع نصب بفقد الخافض، ويكون معناه: وقضينا إليه ذلك الأمر بأن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: وقلنا إن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. وعني بقوله ﴿مُصْبِحِينَ﴾: إذا أصبحوا، أو حين يصبحون. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وابن زيد وقوله ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يقول: وجاء أهل مدينة سدوم وهم قوم لوط لما سمعوا أن ضيفا قد ضاف لوطا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعا منهم في ركوب الفاحشة. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُون﴾ ٦٨ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُون﴾ ٦٩ ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ٧٠ يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: إن هؤلاء الذين جئتموهم تريدون منهم الفاحشة ضيفي، وحق على الرجل إكرام ضيفه، فلا تفضحون أيها القوم في ضيفي، وأكرموني في ترككم التعرض لهم بالمكروه، وقوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يقول: وخافوا الله في وفي أنفسكم أن يحل بكم عقابه ﴿وَلَا تُخْزُون﴾ يقول: ولا تذلوني ولا تهينوني فيهم، بالتعرض لهم بالمكروه ﴿قَالُوا أَوْلَمْ نُنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال للوط قومه: أو لم نهك أن تضيف أحدا من العالمين. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٧١ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٧٢ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ ٧٣ يقول تعالى ذكره: قال لوط لقومه: تزوجوا النساء فأتوهن، ولا تفعلوا ما قد حرم الله عليكم من إتيان الرجال، إن كنتم فاعلين ما أمركم به، ومتهمين إلى أمري. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لَعَمْرُكَ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحياتك يا محمد، إن قومك من قريش ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول: لفى ضلالتهم وجهلهم يترددون. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، في قول الله ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال: ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد ﷺ، قال: وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. وقوله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأخذتهم صاعقة العذاب، وهي الصيحة مشرقين: يقول: إذ أشرقوا، ومعناه: إذ أشرقت الشمس، ونصب مشرقين

ومصباحين على الحال بمعنى: إذا أصبحوا، وإذا أشرقوا، يقال منه: صبح بهم، إذا أهلكوا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن بن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فجعلنا عالي أرضهم سافلها، وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل كما جاء عن عكرمة وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ يقول: إن في الذي فعلنا بقوم لوط من إهلاكهم، وأحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعبرين بعلامات الله، وعبره على عواقب أمور أهل معاصيه والكفر به. وإنما يعني تعالى ذكره بذلك قوم نبي الله ﷺ من قريش، يقول: فلقومك يا محمد في قوم لوط، وما حل بهم من عذاب الله حين كذبوا رسولهم، وتمادوا في غيهم، وضلالهم، معتبر. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذه المدينة، مدينة سدوم، لطريق واضح مقيم يراها المجتاز بها لا خفاء بها، ولا يبرح مكانها، فيجهل ذو لب أمرها، وغب معصية الله، والكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وابن زيد وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في صنعنا بقوم لوط ما صنعنا بهم، لعلامة ودلالة بينة لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر به، وإنقاذه من عذابه، إذا نزل بقوم أهل الإيمان به منهم. كما جاء عن ابن عباس وسعيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۖ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَايِمٌ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وقد كان أصحاب الغيضة ظالمين، يقول: كانوا بالله كافرين، والأيكه: الشجر الملتف المجتمع، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ ذكر لنا أنهم كانوا أهل غيضة. وكان عامّة شجرهم هذا الدوم. وكان رسولهم فيما بلغنا شُعَيْبٌ ﷺ، أرسل إليهم وإلى أهل مدين، أرسل إلى أمتين من الناس، وعذبنا بعداين شتى. أما أهل مدين، فأخذتهم الصيحة، وأما أصحاب الأيكه، فكانوا أهل شجر متكأوس، ذكر لنا أنه سلط عليهم الحرّ سبعة أيام، لا يظللهم منه ظل، ولا يمنعهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة، فحلوا تحتها يلتمسون الرّوح فيها، فجعلها الله عليهم عذابا، بعث عليهم نارا فاضطربت عليهم فأكلتهم، فذلك عذاب يوم الظلة، إنه كان عذاب يوم عظيم. وقوله ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَايِمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فانتقمنا من ظلمة أصحاب الأيكه. وقوله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَايِمٌ﴾ يقول: وإن مدينة أصحاب الأيكه، ومدينة قوم لوط، والهاء والميم في قوله ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ من ذكر المدينتين. ﴿لَكَايِمٌ﴾ يقول: لطريق يأتمون به في سفرهم، ويهتدون به ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: بين لمن أئتم به استقامته، وإنما جعل الطريق إماما لأنه يؤم ويُتَّبَع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ ٨٠ ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ ٨١ يقول تعالى ذكره: ولقد كذب سكان الحجر، وجعلوا لسكناهم فيها ومقامهم بها أصحابها، كما قال تعالى ذكره: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ فجعلهم أصحابها لسكناهم فيها ومقامهم بها. والحجر: مدينة ثمود. وجاء عن قتادة: أصحاب الحجر: قال: أصحاب الوادي. وجاء أيضا عن ابن شهاب، وهو يذكر الحجر مساكن ثمود قال: قال سالم بن عبد الله: إن عبد الله بن عمر قال: "مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر، فقال لنا رسول الله ﷺ: لا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ، ثم زجر فأسرع حتى خلفها". وجاء عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال وهو بالحجر: "هَؤُلَاءِ قَوْمٌ صَالِحٌ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ إِلَّا رَجُلًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ مَنَعَهُ حَرَمُ اللَّهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، قيل: يا رسول الله من هو؟ قال: أَبُو رِغَالٍ". وقوله ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ يقول: وأريناهم أدلتنا وحججنا على حقيقة ما بعثنا به إليهم رسولنا صالحا، فكانوا عن آياتنا التي آتيناهموها معرضين لا يعتبرون بها ولا يتعظون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ ٨٢ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ ٨٣ ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٤ يقول تعالى ذكره: وكان أصحاب الحجر، وهم ثمود قوم صالح، ﴿يَنْجُتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ من عذاب الله، وقيل: آمنين من الخراب أن تخرب بيوتهم التي نحتوها من الجبال. وقيل: آمنين من الموت. وقوله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ يقول: فأخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا من اليوم الرابع من اليوم الذي وعدوا العذاب، وقيل لهم: تَمَتُّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وقوله ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يقول: فما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يجتريحون من الأعمال الخبيثة قبل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ٨٥ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ٨٦ يقول تعالى ذكره: وما خلقنا الخلائق كلها، سماءها وأرضها، ما فيهما وما بينهما، يعني بقوله ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مما في أطباق ذلك ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يقول: إلا بالعدل والإنصاف، لا بالظلم والجور، وإنما يعني تعالى ذكره بذلك: أنه لم يظلم أحدا من الأمم التي اقتصص قصصها في هذه السورة، وقصص إهلاكها بما فعل به من تعجيل النعمة له على كفره به، فيعذبه ويهلكه بغير استحقاق، لأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما بالظلم والجور، ولكنه خلق ذلك بالحق والعدل. وقوله ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن الساعة، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة لجائئة، فارض بها لمشركي قومك الذين كذبوك، وردوا عليك ما جنتهم به من الحق، ﴿فَاصْصَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ يقول: فأعرض عنهم إعرضا جميلا واعف عنهم عفوا حسنا وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك هو الذي خلقهم وخلق كل شيء، وهو عالم بهم وبتدبيرهم، وما يأتون من الأفعال، وكان جماعة من أهل التأويل تقول: هذه الآية منسوخة. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿فَاصْصَحْ

الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿١٣٩﴾ ثم نسخ ذلك بعد، فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، لا يقبل منهم غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ ﴿١٣٩﴾ اختلف أهل التأويل في معنى السبع الذي أتى الله نبيه ﷺ من المثاني، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عني بالسبع المثاني: السبع اللواتي هن آيات أم الكتاب، لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "أَمَّ الْقُرْآنِ السَّبْعُ الْمَثَانِي الَّتِي أَعْطَيْتُهَا". وكما جاء عن أبي سعيد بن المعلى، أن النبي ﷺ دعاه وهو يصلي، فصلى، ثم أتاه فقال: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟ قال: إني كنت أصلي، قال: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﷻ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ؟ قال: ثم قال رسول الله ﷺ: "أَلْعَلِمْتُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فَكَأَنَّهُ بَيْنَهَا أَوْ نَسِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الَّذِي قُلْتُ: قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتُهُ". فإذا كان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلنا للذي به استشهدنا، فالواجب أن تكون المثاني مرادا بها القرآن كله، فيكون معنى الكلام: ولقد آتيناك سبع آيات مما يثني بعض آيه بعضا. وإذا كان ذلك كذلك كانت المثاني: جمع مثناة، وتكون أي القرآن موصوفة بذلك، لأن بعضها يثني بعضها، وبعضها يتلو بعضها بفصول تفصل بينها. فيعرف انقضاء الآية وابتداء التي تليها، كما وصفها به تعالى ذكره فقال ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ وقد يجوز أن يكون معناها كما قال ابن عباس والضحاك: ومن قال ذلك أن القرآن إنما قيل له مثنائي لأن القصص والأخبار كررت فيه مرة بعد أخرى. وقد ذكرنا قول الحسن البصري أنها إنما سميت مثنائي لأنها تثني في كل قراءة، وقول ابن عباس: إنها إنما سميت مثنائي، لأن الله تعالى ذكره استثنائها لمحمد ﷺ دون سائر الأنبياء غيره، فأدّخرها له. وأما القول الذي اخترناه في تأويل ذلك، فهو أحد أقوال ابن عباس، وهو قول طاوس ومجاهد وأبي مالك، وقد ذكرنا ذلك قبل. وأما قوله ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فإن القرآن معطوف على السبع، بمعنى: ولقد آتيناك سبع آيات من القرآن، وغير ذلك من سائر القرآن. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابا غليظا ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ولا تحزن على ما مَتَّعُوا به فعجل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عَجَّلْنَا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم، يقال منه: مَدَّ فلان عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراد. وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبي ﷺ: "لَيْسَ مِنْهُ مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ": أي من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعَتْ بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدا أعطي أفضل

مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيمًا. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿أَرْوَاجًا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن عباس وقوله ﴿وَإِخْفُضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وألن لمن آمن بك، واتبعك واتبع كلامك، وقربهم منك، ولا تجف بهم، ولا تغلظ عليهم، يأمره تعالى ذكره بالرفق بالمؤمنين، والجناحان من بني آدم: جنباه، والجناحان: الناحيتان، ومنه قول الله تعالى ذكره ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ قيل: معناه: إلى ناحيتك وجنبك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٩٨﴾ كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٩﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وقل يا محمد للمشركين: إني أنا النذير الذي قد أبان إنذاره لكم من البلاء والعقاب أن ينزل بكم من الله على تماديكم في غيكم، كما أنزلنا على المقتسمين: يقول: مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن، فجعلوه عِضِينَ. ثم اختلف أهل التأويل في الذين عُنُوا بقوله ﴿الْمُقْتَسِمِينَ﴾ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يعلم قومه الذين عَصَوْا القرآن ففرقوه، أنه نذير لهم من سخط الله تعالى وعقوبته، أن يحل بهم على كفرهم ربهم، وتكذيبهم نبيهم، ما حل بالمقتسمين من قبلهم ومنهم، وجائز أن يكون عني بالمقتسمين: أهل الكتابين: التوراة والإنجيل، لأنهم اقتسموا كتاب الله، فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها، وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان. وجائز أن يكون عني بذلك: المشركون من قريش، لأنهم اقتسموا القرآن، فسماه بعضهم شعرا، وبعض كهانة، وبعض أساطير الأولين. وجائز أن يكون عني به الفريقان، وممكن أن يكون عني به المقتسمون على صالح من قومه، فإذا لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عني به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ، ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملا ما وصفت، وجب أن يكون مقتضيا بأن كل من اقتسم كتابا لله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نعمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية، فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر بالله، كانوا عبرة، وللمتعطين بهم منهم عِظَةٌ. واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يعلم قوما عَصَوْهُوا القرآن أنه لهم نذير من عقوبة تنزل بهم بعضهم إياه مثل ما أنزل بالمقتسمين، وكان عَصَهُمْ إياه: قذفهم بالباطل، وقيلهم إنه شعر وسحر، وما أشبه ذلك. وإنما قلنا إن ذلك أولى التأويلات به لدلالة ما قبله من ابتداء السورة وما بعده، وذلك قوله ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ على صحة ما قلنا، وإنه إنما عني بقوله ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ مشركي قومه، وإذا كان ذلك كذلك، فمعلوم أنه لم يكن في مشركي قومه من يؤمن ببعض القرآن ويكفر ببعض، بل إنما كان قومه في أمره على أحد معنيين: إما مؤمن بجميعه، وإما كافر بجميعه. وإذا كان ذلك كذلك، فالصحيح من القول في معنى قوله ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ الذين زعموا أنهم عَصَوْهُ، فقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو كهانة، وما أشبه ذلك من القول، أو

عَصَاهُ ففروقه، بنحو ذلك من القول، وإذا كان ذلك معناه احتمال قوله عَصِينَ، أن يكون جمع: عَصَة، واحتمل أن يكون جمع عَصُو، لأن معنى التعضية: التفريق، كما تُعْضَى الجُرُور والشاة، فتفرق أعضاء. والعَصَة: البَهْت، ورميه بالباطل من القول، فهما متقاربان في المعنى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: فوربك يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عَصِينَ في الآخرة عما كانوا يعملون في الدنيا، فيما أمرناهم به، وفيما بعثناك به إليهم من آي كتابي الذي أنزلته إليهم، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان.. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أنس، عن النبي ﷺ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: "عن لا إله إلا الله". وكما جاء عن ابن عباس، قال: أنزل الله تعالى ذكره: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فإنه أمر من الله تعالى ذكره نبيه ﷺ بتبليغ رسالته قومه، وجميع من أرسل إليه، ويعني بقوله ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾: فامض وافرق، ومعنى "ما" التي في قوله ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ معنى المصدر، كما قال تعالى ذكره ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ معناه: افعل الأمر الذي تؤمر به، وأما قوله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ويقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: بلغ قومك ما أرسلت به، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم. وذلك قيل أن يفرض عليه جهادهم، ثم نسخ ذلك بقوله ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾. كما جاء، عن ابن عباس، قوله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهو من المنسوخ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: إنا كفيناك المستهزين يا محمد، الذين يستهزئون بك ويسخرون منك، فاصدع بأمر الله، ولا تخف شيئاً سوى الله، فإن الله كافيك من ناصبك وأذاك كما كفأك المستهزين. وكان رؤساء المستهزين قوماً من قريش معروفين. ذكر أسمائهم كما جاء عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه، وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم، من بني أسد بن عبد العزى بن قصي: الأسود بن المطلب أبو زمعة، وكان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه، فقال: اللهم أعم بصره، وأكله ولده، ومن بني زهرة: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، ومن بني مخزوم: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي: العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم، ومن خزاعة: الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن مَلَكَانَ، فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء، أنزل الله تعالى ذكره ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ إنا كفيناك المستهزين... إلى قوله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ قال محمد بن إسحاق: فحدثني يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء، أن جبرئيل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون

بالبیت فقام، وقام رسول الله ﷺ إلى جنبه، فمر به الأسود بن المطلب، فرمى في وجهه بورقة خضراء، فعصى، ومر به الأسود بن عبد يغوث، فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه، فمات منه حبناً، ومر

به الوليد بن المغيرة، فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بستتين، وهو يجرب سبيله، يعني إزاره، وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة يريش نبلاً له، فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء، فانتقص به فقتله، ومرّ به العاص بن وائل السهمي، فأشار إلى أخص رجله، فخرج على حمار له يريد الطائف، فوقص على شبرقة، فدخل في أخص رجله منها شوكة، فقتلته. قال أبو جعفر: الشبرقة: المعروف بالحسك، منه حبنا والحبن: الماء الأصفر، ومرّ به الحارث بن الطلائطة، فأشار إلى رأسه، فامتخط قيحاً فقتله. حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد القرشي، عن رجل، عن ابن عباس، قال: كان رأسهم الوليد بن المغيرة، وهو الذي جمعهم. وقوله ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ وعيد من الله تعالى ذكره، وتهديد للمستهزئين الذين أخبر نبيه ﷺ أنه قد كفاه أمرهم بقوله تعالى ذكره: إنا كفيناك يا محمد الساخرين منك، الجاعلين مع الله شريكاً في عبادته، فسوف يعلمون ما يلقون من عذاب الله عند مصيرهم إليه في القيامة، وما يحل بهم من البلاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به، وأن ذلك يُحرّجك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: فافزع فيما نابك من أمر تكرهه منهم إلى الشكر لله والشأن عليه والصلاة، يكفك الله من ذلك ما أهّمك، وهذا نحو الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿٧٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبه ﷺ: واعبد ربك حتى يأتيك الموت، الذي هو موقن به. وقيل: يقين، وهو موقن به، كما قيل: خمر عتيق، وهي معتقة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن شهاب "أن خارجة بن زيد بن ثابت أخبره عن أمّ العلاء امرأة من الأنصار قد بايعت رسول الله ﷺ أخبرته أنهم اقتسموا المهاجرين فُرعة قالت: وطار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي مات فيه، فلما توفّي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله ﷺ، فقلت: يا عثمان بن مظعون رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك، لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: أمّا هو فقد جاءه اليقين، والله إنني لأرجو له الخير".

تفسير سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أتى أمر الله فقترب منكم أيها الناس ودنا، فلا تستعجلوا وقوعه. ثم اختلف أهل التأويل في الأمر الذي أعلم الله عباده مجيئه وقربه منهم ما هو، وأي شيء هو؟ وأولى ذلك عندي بالصواب، قول من قال: هو تهديد من الله أهل الكفر به وبرسوله، وإعلام منه لهم قرب العذاب منهم والهلاك وذلك أنه عقب ذلك بقوله سبحانه وتعالى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فدل بذلك على تقريبه المشركين ووعيده لهم. وبعد، فإنه لم يبلغنا أن أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ استعجل فرائض قبل أن تفرض عليهم فيقال لهم من أجل ذلك: قد جاءكم فرائض الله فلا تستعجلوها. وأما مستعجلو العذاب من المشركين، فقد كانوا كثيرا. وقوله سبحانه وتعالى ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى تنزيها لله وعلوا له عن الشرك الذي كانت قريش ومن كان من العرب على مثل ما هم عليه يدين به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ قال أبو جعفر: ينزل الله ملائكته بما يحيا به الحق ويضمحل به الباطل من أمره ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني على من يشاء من رسله ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ فإن الأولى في موضع خفض، رداً على الروح، والثانية في موضع نصب بأنذروا. ومعنى الكلام: ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده، بأن أنذروا عبادي سطوتي على كفرهم بي وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة والأوثان، فإنه لا إله إلا أنا، يقول: لا تنبغي الألوهة إلا لي، ولا يصلح أن يُعبد شيء سواي، فاتقون: يقول: فاحذروني بأداء فرائضي وإفراد العبادة وإخلاص الربوبية لي، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. عن قتادة ﴿يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ قال: بالوحي والرحمة. وأما قوله ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ فقد بينا معناه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ إنما بعث الله المرسلين أن يوحد الله وحده، ويطاع أمره، ويجتنب سخطه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره معرّفا خلقه حجته عليهم في توحيده، وأنه لا تصلح الألوهة إلا له: خلق ربكم أيها الناس السموات والأرض بالعدل وهو الحق منفردا بخلقها لم يشركه في إنشائها وإحداثها شريك ولم يعنه عليه معين، فأنى يكون له شريك ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: علا ربكم أيها القوم عن

شرككم ودعواكم إليها دونه، فارتفع عن أن يكون له مثل أو شريك أو ظهير، لأنه لا يكون إلها إلا من يخلق وينشئ بقدرته مثل السموات والأرض وينتدع الأجسام فيحدثها من غير شيء، وليس ذلك في قدرة أحد سوى الله الواحد القهار الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا تصلح الألوهة لشيء سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيضا أيها الناس، أنه خلق الإنسان من نطفة، فأحدث من ماء مهين خلقا عجيبا، قلبه تارات خلقا بعد خلق في ظلمات ثلاث، ثم أخرجه إلى ضياء الدنيا بعد ما تم خلقه ونفخ فيه الروح، فغذاه ورزقه القوت ونماه، حتى إذا استوى على سوقه كفر بنعمة ربه وجحد مدبره وعبد من لا يضر ولا ينفع، وخاصم إلهه، فقال ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ونسي الذي خلقه فسواه خلقا سويا من ماء مهين، ويعني بالمبين: أنه يبين عن خصومته بمنطقه، ويبادل بلسانه، فذلك إبانته، وعنى بالإنسان: جميع الناس، أخرج بلفظ الواحد، وهو في معنى الجميع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها الناس ما خلق لكم من الأنعام، فسخرها لكم، وجعل لكم من أصوافها وأوبارها وأشعارها ملابس تدفنون بها، ومنافع من ألبانها، وظهورها تركبونها ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يقول: ومن الأنعام ما تأكلون لحمة كالإبل والبقر والغنم، وسائر ما يؤكل لحمة، وحذفت ما من الكلام لدلالة من عليها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكم في هذه الأنعام والمواشي التي خلقها لكم ﴿جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ يعني: تردونها بالعشي من مسارحها إلى مرايحها ومنازلها التي تأوي إليها ولذلك سمي المكان المراح، لأنها تراح إليه عشيا فتأوي إليه، يقال منه: أراح فلان ماشيته فهو يريحها إراحة، وقوله ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ يقول: وفي وقت إخراجكموها غدوة من مرايحها إلى مسارحها، يقال منه: سرح فلان ماشيته يسرحها تسريحا، إذا أخرجها للرعي غدوة، وسرحت الماشية: إذا خرجت للمرعى تسرح سرحا وسروحا، فالسرح بالغداة، والإراحة بالعشي، كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ يقول: وتحمل هذه الأنعام أثقالكم إلى بلد آخر لم تكونوا بالغية إلا بجهد من أنفسكم شديد، ومشقة عظيمة. كما جاء عن عكرمة ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ قال: لو تكلفونه لم تبلغوه إلا بجهد شديد. وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربكم أيها الناس ذو رافة بكم، ورحمة، من رحمته بكم، خلق لكم الأنعام لمنافعكم ومصالحكم، وخلق السموات والأرض أدلة لكم على وحدانية ربكم ومعرفة إلهكم، لتشكروهم على نعمه عليكم، فيزيدكم من فضله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١) يقول تعالى ذكره: وخلق الخيل والبغال والحمير لكم أيضا لتركبوها وزينة: يقول: وجعلها لكم زينة تزينون بها مع المنافع التي فيها لكم، للركوب وغير ذلك، ونصب الخيل والبغال عطفًا على الهاء والألف في قوله ﴿خَلَقَهَا﴾، ونصب الزينة بفعل مضمر على ما بينت، ولو لم يكن معها واو وكان الكلام: لتركبوها زينة، كانت منصوبة بالفعل الذي قبلها الذي هي به متصلة، ولكن دخول الواو أذنت بأن معها ضمير فعل، وبانقطاعها عن الفعل الذي قبلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ قال: جعلها لتركبوها، وجعلها زينة لكم، وكان بعض أهل العلم يرى أن في هذه الآية دلالة على تحريم أكل لحوم الخيل. وكان جماعة غيرهم من أهل العلم يخالفونهم في هذا التأويل، ويرون أن ذلك غير دال على تحريم شيء، وأن الله جل ثناؤه إنما عرف عباده بهذه الآية وسائر ما في أوائل هذه السورة نعمه عليهم ونهبهم به على حججه عليهم، وأدلته على وحدانيته، وخطأ فعل من يشرك به من أهل الشرك. والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله أهل القول الثاني، وذلك أنه لو كان في قوله تعالى ذكره ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ دلالة على أنها لا تصلح، إذ كانت للركوب للأكل - لكان في قوله ﴿فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ دلالة على أنها لا تصلح إذ كانت للأكل والدفع للركوب. وفي إجماع الجميع على أن ركوب ما قال تعالى ذكره ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ جائز حلال غير حرام، دليل واضح على أن أكل ما قال ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ جائز حلال غير حرام، إلا بما نص على تحريمه أو وضع على تحريمه دلالة من كتاب أو وحي إلى رسول الله ﷺ. فأما هذه الآية فلا يحرم أكل شيء. وقد وضع الدلالة على تحريم لحوم الحمر الأهلية بوحيه إلى رسول الله ﷺ، وعلى البغال بما قد بينا في كتابنا، كتاب الأطعمة بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، إذ لم يكن هذا الموضع من مواضع البيان عن تحريم ذلك، وإنما ذكرنا ما ذكرنا ليدل على أنه لا وجه لقول من استدل بهذه الآية على تحريم لحم الفرس. كالذي جاء، عن جابر، قال: كنا نأكل لحم الخيل على عهد رسول الله ﷺ. قلت: فالبغال؟ قال: أما البغال فلا. وقوله ﴿وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويخلق ربكم مع خلقه هذه الأشياء التي ذكرها لكم ما لا تعلمون مما أعد في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) يقول تعالى ذكره: وعلى الله أيها الناس بيان طريق الحق لكم، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، والسبيل: هي الطريق، والقصد من الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وقوله ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ يعني تعالى ذكره: ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج، فالقاصد من السبيل: الإسلام، والجائر منها: اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من ملل الكفر كلها جائر عن سواء السبيل وقصدها، سوى الحنيفية المسلمة، وقيل: ومنها جائر، لأن السبيل يؤنث ويذكر، فأنث في هذا الموضع، وقد كان بعضهم يقول: وإنما قيل: ومنها، لأن السبيل وإن كان لفظها لفظ واحد فمعناها الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقوله ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول: ولو شاء الله للطف بجميعكم أيها الناس بتوفيقه، فكنتم تهتدون وتلزمون

قصد السبيل، ولا تجورون عنه، فتتفرقون في سبل عن الحق جائرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذي أنعم عليكم هذه النعم، وخلق لكم الأنعام والخيول وسائر البهائم لمنافعكم ومصالحكم، هو الرب الذي أنزل من السماء ماء، يعني: مطرا لكم من ذلك الماء، شراب تشربونه، ومنه شراب أشجاركم، وحياة غروسكم ونباتها ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ يقول: في الشجر الذي ينبت من الماء الذي أنزل من السماء تسيمون، ترعون، يقال منه: أسام فلان إبله يسيماها إسامة، إذا أراعها، وسومها أيضا يسومها، وسامت هي: إذ رعت، فهي تسوم، وهي إبل سائمة ومن ذلك قيل للمواشي المطلقة في الفلاة وغيرها للرعي، سائمة. وقد وجّه بعضهم معنى السوم في البيع إلى أنه من هذا، وأنه ذهاب كل واحد من المتبايعين فيما ينبغي له من زيادة ثمن ونقصانه، كما تذهب سوائم المواشي حيث شاءت من مراعيها، كما جاء عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يُثَبِّتُ لكم ربكم بالماء الذي أنزل لكم من السماء زرعكم وزيتونكم ونخيلكم وأعنابكم، ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ يعني من كل الفواكه غير ذلك أرزاقا لكم وأقواتا وإداما وفاكهة، نعمة منه عليكم بذلك وتفضلا وحجة على من كفر به منكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول جل ثناؤه: إن في إخراج الله بما ينزل من السماء من ماء ما وصف لكم ﴿لَآيَةً﴾ يقول: لدلالة واضحة، وعلامة بينة ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول: لقوم يعتبرون مواظ الله، ويتفكرون في حججه، فيتذكرون وينبئون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن نعمه عليكم أيها الناس مع التي ذكرها قبل أن سخر لكم الليل والنهار يتعاقبان عليكم، هذا لتصرفكم في معاشكم، وهذا لسكنكم فيه، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لمعرفة أوقات أزمتكم وشهوركم وسنينكم، وصلاح معاشكم ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ لكم بأمر الله تجري في فلکها لتهدتوا بها في ظلمات البر والبحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تسخير الله ذلك على ما سخره لدلالات واضحة لقوم يعقلون حجج الله ويفهمون عنه تنبيهه إياهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ وسخر لكم ما ذرا: أي ما خلق لكم في الأرض مختلفا ألوانه من الدواب والثمار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذي فعل هذه الأفعال بكم، وأنعم عليكم، أيها الناس هذه النعم، الذي سخر لكم البحر، وهو كل نهر، ملحا ماؤه أو عذبا ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وهو السمك الذي يصطاد منه. ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ وهو اللؤلؤ والمرجان. كما جاء عن قتادة وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿مَوَاجِرَ﴾ فقال بعضهم: المواخر: المواقر. كالذي جاء عن الحسن، في قوله ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ﴾

فيه قال: المواقر. وقال آخرون في ذلك ما جاء عن عكرمة، في قوله ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ قال: ما أخذ عن يمين السفينة وعن يسارها من الماء، فهو المواقر. وقال آخرون فيه ما جاء عن أبي صالح ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ قال: تجري فيه متعرجة. وقال آخرون فيه، كالذي جاء عن مجاهد ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ قال: تمخر السفينة الرياح، ولا تمخر الرياح من السفن إلا الفلك العظام. وقال آخرون ما جاء عن الحسن ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾ قال: مقبلة ومدبرة بريح واحدة، والمخر في كلام العرب: صوت هبوب الريح، إذا اشتد هبوبها، وهو في هذا الموضع: صوت جري السفينة بالريح إذا عصفت وشققها الماء حيثئذ بصدرها، يقال منه: مخرت السفينة تمخر مخرا ومخورا، وهي ماخرة، ويقال: امتخرت الريح وتمخرتها: إذا نظرت من أين هبوبها وتسمعت صوت هبوبها، ومنه قول واصل مولى ابن عيينة. كان يقال: إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح، يريد بذلك: لينظر من أين مجراها وهبوبها ليستدبرها فلا ترجع عليه البول وترده عليه. وقوله ﴿وَلَبِثُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولتصرفوا في طلب معاشكم بالتجارة سخر لكم كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: ولشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء التي عددها في هذه الآيات.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن نعمه عليكم أيها الناس أيضا، أن ألقى في الأرض رواسي، وهي جمع راسية، وهي الثوابت في الأرض من الجبال. وقوله ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يعني: أن لا تميد بكم، وذلك كقوله ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ والمعنى: أن لا تضلوا. وذلك أنه جل ثناؤه أرسى الأرض بالجبال لئلا يمد الذي على ظهرها، بل وقد كانت مائدة قبل أن تُرْسَى بها. كما جاء عن قيس بن عباد وغيره وجاء عن علي بن أبي طالب، قال: لما خلق الله الأرض قمصت، وقالت: أي رب أتعجل علي بني آدم يعملون علي الخطايا ويجعلون علي الخبث، قال: فأرسي الله عليها من الجبال ما ترون وما لا ترون، فكان قرارها كاللحم يترجرج، والميد: هو الاضطراب والتكفؤ، يقال: مادت السفينة تميد ميذا: إذا تكفأت بأهلها ومالت، ومنه الميد الذي يعتري راكب البحر، وهو الدوار. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. وقوله ﴿وَسُبُلًا﴾ وهي جمع سبيل، كما الطرق: جمع طريق، ومعنى الكلام: وجعل لكم أيها الناس في الأرض سُبُلًا وفجاجا تسلكونها، وتسبرون فيها في حوائجكم، وطلب معاشكم رحمة بكم، ونعمة منه بذلك عليكم ولو عماها عليكم لهلكتم ضلالا وحيرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالعلامات وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره عدّد على عباده من نعمه، إنعامه عليهم بما جعل لهم من العلامات التي يهتدون بها في مسالكهم وطرقهم التي يسبونها، ولم يخص بذلك بعض العلامات دون بعض، فكل علامة استدلل بها الناس على طرقهم، وفجاج سبُلهم، فداخل في قوله ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ والطرق المسبولة: الموطوءة، علامة للناحية المقصودة، والجبال علامات يهتدي بهن إلى قصد السبيل، وكذلك النجوم بالليل. غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار، إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله ﴿وَبِالنَّجْمِ

هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾ وإذا كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس في الخبر الذي رويناه عن عطية عنه، وهو أن العلامات معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم منها نهاراً، وأن يكون النجم الذي يهتدى به ليلاً هو الجدي والفرقدان، لأن بها اهتداء السفر دون غيرها من النجوم. فتأويل الكلام إذن: وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم. ونجوماً تهتدون بها ليلاً في سبلكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام: أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عدناها عليكم وينعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئاً ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة؟ يقول: أتشركون هذا في عبادة هذا؟ يعرفهم بذلك عظم جهلهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عددها عليهم، التي لا يحصيها أحد غيره، قال لهم جل ثناؤه موبخهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أيها الناس يقول: أفلا تذكرون نعم الله عليكم، وعظيم سلطانه وقدرته على ما شاء، وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها، وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرراً، فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم عليه مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالآلوهة؟ كما جاء، عن قتادة، قوله ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ والله هو الخالق الرازق، وهذه الأوثان التي تعبد من دون الله تخلق ولا تخلق شيئاً، ولا تملك لأهلها ضرراً ولا نفعا، قال الله ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. وقيل ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ هو الوثن والصنم، و"من" لذوي التمييز خاصة، فجعل في هذا الموضع غيرهم للتمييز، إذ وقع تفصيلاً بين من يخلق ومن لا يخلق، ومحكي عن العرب: اشتبه عليّ الراكب وجمله، فما أدرى من ذا ومن ذا، حيث جمعا، وأحدهما إنسان حسنت من فيهما جميعاً. ومنه قول الله عز وجل ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ وقوله ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تطبقوا أداء شكرها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول جل ثناؤه: إن الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته، رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي هو إلهكم أيها الناس، يعلم ما تَسْرُونَ في أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم، فما تبدوونه بالأسستكم وجوارحكم وما تعلنونه بالأسستكم وجوارحكم وأفعالكم، وهو محص ذلك كله عليكم، حتى يجازيكم به يوم القيامة، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء منكم بإساءته، ومُسائلكم عما كان منكم من الشكر في الدنيا على نعمه التي أنعمها عليكم فيها التي أحصيت، والتي لم تحصوا، وقوله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس آلهة لا تخلق شيئاً وهي تخلق، فكيف يكون إله ما كان مصنوعاً مدبراً، لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرراً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: والذين تدعون من دون الله أيها الناس ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ وجعلها جل ثناؤه أمواتاً غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٩﴾ وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضراً ولا نفعاً، وفي رفع الأموات وجهان: أحدهما أن يكون خبراً للذين، والآخر على الاستئناف وقوله ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وما تدري أصنامكم التي تدعون من دون الله متى تبعث، وقيل: إنما عني بذلك الكفار، إنهم لا يدرون متى يبعثون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ يقول تعالى ذكره: معبودكم الذي يستحق عليكم العبادة، وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء: معبود واحد، لأنه لا تصلح العبادة إلا له، فأفردوا له الطاعة وأخلصوا له العبادة، ولا تجعلوا معه شريكاً سواه ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده، ولا يقرّون بالمعاد إليه بعد الممات قلوبهم منكراً، يقول تعالى ذكره: مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته، وجميل نعمه عليهم، وأن العبادة لا تصلح إلا له، والألوهة ليست لشيء غيره يقول: وهم مستكبرون عن إفراد الله بالألوهة، والإقرار له بالوحدانية، اتباعاً منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا جَزَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يُبْعَثُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ﴿١٥١﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: لا جرم حقاً أن الله يعلم ما يبسرون وما يبعثون إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ من الأنبياء في هذه السورة، واعتقادهم تكبر قولنا لهم: إلهكم إله واحد، واستكبارهم على الله، وما يعلنون من كفرهم بالله وفريتهم عليه ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ يقول: إن الله لا يحب المستكبرين عليه أن يوحده ويخلعوا ما دونه من الآلهة والأنداد. كما حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا جعفر بن عون، قال: ثنا مسعر، عن رجل: أن الحسن بن علي كان يجلس إلى المساكين، ثم يقول ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من المشركين، ماذا أنزل ربكم، أي شيء أنزل ربكم، قالوا: الذي أنزل ما سطره الأولون من قبلنا من الأباطيل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم، ماذا أنزل ربكم الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه: أساطير الأولين، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون من تكذيبهم الله، وكفرهم بما أنزل على رسوله ﷺ، ومن ذنوب الذين يصدونهم عن الإيمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم، وقوله ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ يقول: ألا ساء الإثم الذي يأثمون، والثقل الذي يتحملون. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ يقول تعالى ذكره: قد مكر الذين من قبل هؤلاء المشركين الذين يصدون عن سبيل الله، من أراد اتباع دين الله، فراموا مغالبة الله ببناء بنوه،

يريدون بزعمهم الارتفاع إلى السماء لحرب من فيها، وكان الذي رام ذلك فيما ذكر لنا جبار من جبابرة الباطل، فقال بعضهم: هو نمرود بن كنعان، وقال بعضهم: هو بختنصر، وقد ذكرت بعض

أخبارهما في سورة إبراهيم. وقيل: إن الذي ذكر في هذا الموضع هو الذي ذكره الله في سورة إبراهيم. كالذي جاء عن السدي، قال: أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم فأخرج، يعني من مدينته، قال: فلقي لوطا على باب المدينة وهو ابن أخيه، فدعاه فأمن به، وقال: إني مهاجر إلى ربي، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفراخ من فراخ النور، فرباهن باللحم والخبز حتى كبرن وغلظن واستعلجن، فربطن في تابوت، وقعد في ذلك التابوت ثم رفع لهن رجلا من لحم، فطرن، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل، ثم رفع لهن اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطا بها بحر كأنها فلكة في ماء، ثم رفع طويلا فوق في ظلمة، فلم ير ما فوقه وما تحته، ففزع، فألقى اللحم، فاتبعته منقضات، فلما نظرت الجبال إليهن، وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهن، فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن وذلك قول الله تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ وهي في قراءة ابن مسعود: "وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ". فكان طيرورتن به من بيت المقدس ووقعهن به في جبل الدخان، فلما رأى أنه لا يطيق شيئا أخذ في بنان الصرح، فبنى حتى إذا شيده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر، يزعم إلى إله إبراهيم، فأحدث، ولم يكن يحدث وأخذ الله بنيانه من القواعد ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فتنقض بهم، فسقط، فتبلبلت ألسن الناس يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا، فلذلك سميت بابل، وإنما كان لسان الناس من قبل ذلك بالسريانية. وقال آخرون: عنى بقوله ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ أن العذاب أتاهم من السماء. كما جاء عن ابن عباس وأولى القولين بتأويل الآية، قول من قال: معنى ذلك: تساقطت عليهم سقوف بيوتهم، إذ أتى أصولها وقواعدها أمر الله، فاتفكت بهم منازلهم لأن ذلك هو الكلام المعروف من قواعد البنين، وخر السقف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر الأعراف منها، أولى من توجيهها إلى غير ذلك ما وجد إليه سبيل ﴿وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأتى هؤلاء الذين مكروا من قبل مشركي قريش، عذاب الله من حيث لا يدرون أنه أتاهم منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فعل الله هؤلاء الذين مكروا الذين وصف الله جل ثناؤه أمرهم ما فعل بهم في الدنيا، من تعجيل العذاب لهم، والانتقام بكفرهم، وجحودهم وحدانيته، ثم هو مع ذلك يوم القيامة مخزيهم، فمذلهم بعذاب أليم، وقائل لهم عند ورودهم عليه ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ أصله: من شاققت فلانا فهو يشاقني، وذلك إذا فعل كل واحد منهما بصاحبه ما يشق عليه. يقول تعالى ذكره يوم القيامة تقرعاً للمشركين بعبادتهم الأصنام: أين شركائي؟ يقول: أين الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شركائي اليوم، ما لهم لا يحضرونكم، فيدفعوا عنكم ما أنا محل بكم من العذاب، فقد كنتم تعبدونهم في الدنيا، وتتولونهم، والولي ينصر وليه، وكانت مشاققتهم الله في أوثانهم مخالفتهم إياه في عبادتهم. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يعني: الذلة والهوان والسوء، يعني: عذاب الله على الكافرين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) يقول تعالى ذكره: قال الذين أوتوا العلم: إن الخزي اليوم والسوء على من كفر بالله فجدد وحدانيته ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يقول: الذين تقبض أرواحهم الملائكة، ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: وهم على كفرهم وشركهم بالله، وقيل: إنه عني بذلك من قتل من قريش ببدر، وقد أخرج إليها كرها كما جاء عن عكرمة وقوله ﴿فَأَلْقَوْا السَّلَمَ﴾ يقول: فاستسلموا لأمره، وانقادوا له حين عاينوا الموت قد نزل بهم، ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ وفي الكلام محذوف استغني بفهم سامعيه ما دل عليه الكلام عن ذكره وهو: قالوا ما كنا نعمل من سوء، يخبر عنهم بذلك أنهم كذبوا وقالوا: ما كنا نعصي الله اعتصاما منهم بالباطل رجاء أن ينجوا بذلك، فكذبهم الله فقال: بل كنتم تعملون السوء وتصدون عن سبيل الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: إن الله ذو علم بما كنتم تعملون في الدنيا من معاصيه، وتأتون فيها ما يسخطه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره، يقول لهؤلاء الظلمة أنفسهم حين يقولون لربهم: ما كنا نعمل من سوء: ادخلوا أبواب جهنم، يعني: طبقات جهنم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يعني: ماكثين فيها ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ يقول: فلبس منزل من تكبر على الله ولم يقرّ بربوبيته، ويصدق بوحدانيته جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٠) يقول تعالى ذكره: وقيل للفريق الآخر، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ يقول: قالوا: أنزل خيرا. وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول: إنما اختلف الأعراب في قوله ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وقوله ﴿خَيْرًا﴾ والمسألة قبل الجوابين كليهما واحدة، وهي قوله ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ لأن الكفار جحدوا التنزيل، فقالوا حين سمعوه: أساطير الأولين: أي هذا الذي جئت به أساطير الأولين، ولم ينزل الله منه شيئا، وأما المؤمنون فصدقوا التنزيل، فقالوا خيرا، بمعنى أنه أنزل خيرا، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير، فهذا افتراقا ثم ابتدأ الخبر فقال ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ وقد بينا القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. وقوله ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: للذين آمنوا بالله في هذه الدنيا ورسوله، وأطاعوه فيها، ودعوا عباد الله إلى الإيمان والعمل بما أمر الله به، حسنة، يقول: كرامة من الله ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ يقول: ولدان الآخرة خير لهم من دار الدنيا، وكرامة الله التي أعدّها لهم فيها أعظم من كرامته التي عجلها لهم في الدنيا ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول: ولنعم دار الذين خافوا الله في الدنيا فاتقوا عقابه بأداء فرائضه وتجنب معاصيه دار الآخرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢١) يعني تعالى ذكره بقوله ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ بساكنين للمقام، وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى عدن فيما مضى بما أغنى عن إعادته ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ يقول: يدخلون جنات عدن، وفي رفع جنات أوجه ثلاث: أحدها: أن يكون مرفوعا على الابتداء، والآخر: بالعائد من الذكر في

قوله ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ والثالث: على أن يكون خبر النعم، فيكون المعنى إذا جعلت خبر النعم: ولنعم دار المتقين جنات عدن، ويكون ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ في موضع حال، كما يقال: نعم الدار دار تسكنها أنت، وقد يجوز أن يكون إذا كان الكلام بهذا التأويل يدخلونها، من صلة جنات عدن، وقوله ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ يقول: للذين أحسنوا في هذه الدنيا في جنات عدن ما يشاءون مما تشتهي أنفسهم، وتلذذ أعينهم ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول: كما يجزي الله هؤلاء الذين أحسنوا في هذه الدنيا بما وصف لكم أيها الناس أنه جزاهم به في الدنيا والآخرة، كذلك يجزي الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ اَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كذلك يجزي الله المتقين الذين تقبض أرواحهم ملائكة الله، وهم طيبون بتطيب الله إياهم بنظافة الإيمان، وطهر الإسلام في حال حياتهم وحال مماتهم. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني جل ثناؤه أن الملائكة تقبض أرواح هؤلاء المتقين، وهي تقول لهم: سلام عليكم صيروا إلى الجنة بشارة من الله تبشرهم بها الملائكة. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: بما كنتم تصيبون في الدنيا أيام حياتكم فيها طاعة الله، طلب مرضاته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هل ينظر هؤلاء المشركون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك بحشرهم لموقف القيامة ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: كما يفعل هؤلاء من انتظارهم ملائكة الله لقبض أرواحهم، أو إتيان أمر الله فعل أسلافهم من الكفرة بالله، لأن ذلك في كل مشرك بالله ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ يقول جل ثناؤه: وما ظلمهم الله بإحلال سُخْطِهِ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بمعصيتهم ربهم وكفرهم به، حتى استحقوا عقابه، فعجل لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأصاب هؤلاء الذين فعلوا من الأمم الماضية فعل هؤلاء المشركين من قريش سيئات ما عملوا، يعني عقوبات ذنوبهم، ونقم معاصيه التي اكتسبوها ﴿وَخَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول: وحل بهم من عذاب الله ما كانوا يستهزئون منه، ويسخرون عند إنذارهم ذلك رسل الله، ونزل ذلك بهم دون غيرهم من أهل الإيمان بالله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ قول تعالى ذكره: وقال الذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله: ما نعبد هذه الأصنام إلا لأن الله قد رضي عبادتنا هؤلاء، ولا نحرم ما حرمنا من البحائر والسوائب، إلا أن الله شاء منا ومن آبائنا تحريمناها ورضيه، لولا ذلك لقد غير ذلك ببعض عقوباته أو بهدايته إيانا إلى غيره من الأفعال. يقول تعالى ذكره: كذلك فعل الذين من قبلهم من الأمم المشركة الذين استن هؤلاء

سنتهم، فقالوا مثل قولهم، سلكوا سبيلهم في تكذيب رسل الله، واتباع أفعال آبائهم الضلال، وقوله ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يقول جل ثناؤه: فهل أيها القائلون: لو شاء الله ما أشركننا ولا أبائنا، على رسلنا الذين نرسلهم بإنذاركم عقوبتنا على كفركم، إلا البلاغ المبين: يقول: إلا أن تبلغكم ما أرسلنا إليكم من الرسالة. ويعني بقوله ﴿الْمُبِينُ﴾: الذي يبين عن معناه لمن أبلغه، ويفهمه من أرسل إليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^(٢٦) يقول تعالى ذكره: ولقد بعثنا أيها الناس في كل أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يقول: وابتعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدكم عن سبيل الله، ففضلوا، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ﴾ يقول: فممن بعثنا فيهم رسلنا من هدى الله، فوفقه لتصديق رسله، والقبول منها، والإيمان بالله، والعمل بطاعته، ففاز وأفلح، ونجا من عذاب الله ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ يقول: وممن بعثنا رسلنا إليه من الأمم آخرون حقت عليهم الضلالة، فجاروا عن قصد السبيل، فكفروا بالله وكذبوا رسله، واتبعوا الطاغوت، فأهلكهم الله بعقابه، وأنزل عليهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: إن كنتم أيها الناس غير مصدقي رسولنا فيما يخبركم به عن هؤلاء الأمم الذين حل بهم ما حل من بأسنا بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله، فسيروا في الأرض التي كانوا يسكنونها، والبلاد التي كانوا يعمرونها، فانظروا إلى آثار الله فيهم، وآثار سخطه النازل بهم، كيف أعقبهم تكذيبهم رسل الله ما أعقبهم، فإنكم ترون حقيقة ذلك، وتعلمون به صحة الخبر الذي يخبركم به محمد ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٢٧) يقول تعالى ذكره لئيبه محمد ﷺ: إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء المشركين إلى الإيمان بالله واتباع الحق ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الكوفيين ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ بفتح الياء من يهدي، وضمها من يضل، وقد اختلف في معنى ذلك قارئوه كذلك، فكان بعض نحوي الكوفة يزعم أن معناه: فإن الله من أضله لا يهتدي، وقال: العرب تقول: قد هدى الرجل: يريدون قد اهتدى، وهدى واهتدى بمعنى واحد، وكان آخرون منهم يزعمون أن معناه: فإن الله لا يهدي من أضله، بمعنى: أن من أضله الله فإن الله لا يهديه. وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ بضم الياء من يهدي ومن يضل، وفتح الدال من يهدي بمعنى: من أضله الله فلا هادي له. وهذه القراءة أولى القراءتين عندي بالصواب، لأن يهدي بمعنى يهتدي قليل في كلام العرب غير مستفيض، وأنه لا فائدة في قول قائل: من أضله الله فلا يهديه، لأن ذلك مما لا يجله أحد، وإذ كان ذلك كذلك، فالقراءة بما كان مستفيضا في كلام العرب من اللغة بما فيه الفائدة العظيمة أولى وأحرى. فتأويل الكلام لو كان الأمر على ما وصفنا: إن تحرص يا محمد على هداهم، فإن من أضله الله فلا هادي له، فلا تجهد نفسك في أمره، وبلغه ما أرسلت به لتتم عليه الحجة ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ يقول: وما لهم من ناصر ينصرهم من الله إذا أراد

عقوبتهم، فيحول بين الله وبين ما أراد من عقوبتهم. وفي قوله ﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ لغتان: فمن العرب من يقول: حَرَصَ، يَحْرَصُ بفتح الراء في فعل وكسرها في يفعل، وحَرَصَ يَحْرَصُ بكسر الراء في فعل وفتحها في يفعل، والقراءة على الفتح في الماضي، والكسر في المستقبل، وهي لغة أهل الحجاز.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وحلف هؤلاء المشركون من قريش بالله جهد أيمانهم حلفهم، لا يبعث الله من يموت بعد مماته، وكذبوا وأبطلوا في أيمانهم التي حلفوا بها كذلك، بل سيبعثه الله بعد مماته، وعدا عليه أن يبعثهم وعد عباده، والله لا يخلف الميعاد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة عن قتادة، قوله ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ﴾ تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذّب ومصدّق، ذكر لنا أن رجلا قال لابن عباس: إن ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأولون هذه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامة، ولعمري لو كان علي مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه. وجاء عن أبي هريرة يقول: "قال الله: سبني ابن آدم، ولم يكن ينبغي له أن يسبني، وكذبني ولم يكن ينبغي له أن يكذبني فأما تكذبه إياي، فقال ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ﴾ قال: قلت ﴿بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ وأما سبه إياي، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وقلت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَاذِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل ليبعثن الله من يموت وعدا عليه حقا، ليبين لهؤلاء الذين يزعمون أن الله لا يبعث من يموت، ولغيرهم الذين يختلفون فيه من إحياء الله خلقه بعد فنائهم، وليعلم الذين جحدوا صحة ذلك، وأنكروا حقيقته أنهم كانوا كاذبين في قيلهم: لا يبعث الله من يموت. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَ الْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إننا إذا أردنا أن نبعث من يموت فلا تعب علينا ولا نصب في إحيائناهم، ولا في غير ذلك ما نخلق ونكوّن ونحدث، لأننا إذا أردنا خلقه وإنشاءه، فإنما نقول له كن فيكون، لا معاناة فيه، ولا كلفة علينا. وقوله ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا قومهم ودورهم وأوطانهم عداوة لهم في الله على كفرهم إلى آخرين غيرهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ يقول: من بعد ما نيل منهم في أنفسهم بالمكارة في ذات الله ﴿لَنَبْوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يقول: لنسكنهم في الدنيا مسكنا يرضونه صالحا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: عنى بقوله ﴿لَنَبْوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ لنرزقهم في الدنيا رزقا حسنا. وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ﴿لَنَبْوِّتَنَّهُمْ﴾: لنحلنهم ولنسكنهم، لأن التبوء في كلام العرب الحلول بالمكان والنزول به، ومنه قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبَوَّأً صَدَقَ﴾

وقيل: إن هذه الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل. وقوله ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولثواب الله إياهم على هجرتهم فيه في الآخرة أكبر، لأن ثوابه إياهم هنالك الجنة التي يدوم نعيمها ولا يبسد. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، وآتيناهم الثواب الذي ذكرناه، الذين صبروا في الله على ما نابههم في الدنيا ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: وبالله يثقون في أمورهم، وإليه يستندون في نوائب الأمور التي تنوبهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلى أمة من الأمم، للدعاء إلى توحيدنا، والانتفاء إلى أمرنا ونهينا، إلا رجلا من بني آدم نوحى إليهم وحينا لا ملائكة، يقول: فلم نرسل إلى قومك إلا مثل الذي كنا نرسل إلى من قبلهم من الأمم من جنسهم وعلى منهاجهم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يقول لمشركي قريش: وإن كنتم لا تعلمون أن الذين كنا نرسل إلى من قبلكم من الأمم رجال من بني آدم مثل محمد ﷺ وقتلتم: هم ملائكة: أي ظننتم أن الله كلمهم قبلا فاسألوا أهل الذكر، وهم الذين قد قرءوا الكتب من قبلهم: التوراة والإنجيل، وغير ذلك من كتب الله التي أنزلها على عباده. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وكما جاء، عن ابن عباس، قال: لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، قال: فأنزل الله ﴿كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ فاسألوا أهل الذكر: يعني أهل الكتب الماضية، أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا أبشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا قال: ثم قال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم وقال آخرون بالذي جاء عن أبي جعفر ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: نحن أهل الذكر. وجاء عن ابن زيد، في قوله ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: الذكر: القرآن، وقرأ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقرأ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ...﴾ الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أرسلنا بالبينات والزُّبُرِ رجلا نوحى إليهم. فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك إلا رجلا نوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزُّبُرِ، وأنزلنا إليك الذكر. والبينات: هي الأدلة والحجج التي أعطاها الله رسله أدلة على نبوتهم شاهدة لهم على حقيقة ما أتوا به إليهم من عند الله. والزُّبُرُ: هي الكتب، وهي جمع زُبُور، من زَبَرَتِ الكتاب وذَبَرَتَه: إذا كتبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يقول: وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيرا للناس وعظة لهم، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: وليتذكروا فيه ويعتبروا به أي بما أنزلنا إليك، كما جاء عن مجاهد ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ قال: يطيعون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ

الْعَذَابِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: أفأمن الذين ظلموا المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ، فراموا أن يفتنهم عن دينهم من مشركي قريش الذين قالوا: إذ قيل لهم: ماذا أنزل ربكم: أساطير الأولين، صدًا منهم لمن أراد الإيمان بالله عن قصد السبيل، أن يخسف الله بهم الأرض على كفرهم وشركهم، أو يأتيهم عذاب الله من مكان لا يشعر به، ولا يدري من أين يأتيه، وكان مجاهد يقول: عنى بذلك نمرود بن كنعان. وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك، لأن ذلك تهديد من الله أهل الشرك به، وهو عقيب قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فكان تهديد من لم يقر بحجة الله الذي جرى الكلام بخطابه قبل ذلك أخرى من الخبر عمن انقطع ذكره عنه. وكان قتادة يقول في معنى السيئات في هذا الموضع، ما حدثنا به بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾: أي الشرك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ﴾ أو يهلكهم في تصرفهم في البلاد، وترددهم في أسفارهم ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: فإنهم لا يعجزون الله من ذلك إن أراد أخذهم كذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وأما قوله ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فإنه يعني: أو يهلكهم بتخوُّف، وذلك بنقص من أطرافهم ونواحهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم، وكان الفراء يقول: العرب تقول: تحوَّفته: أي تنقصته، تحوفاً: أي أخذته من حافاته وأطرافه، قال: فهذا الذي سمعته، وقد أتى التفسير بالحاء وهما بمعنى. قال: ومثله ما قرئ بوجهين قوله: إن لك في النهار سبْحًا وسَبْحًا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما روي عن عمر أنه سأله عن هذه الآية ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فقالوا: ما نرى إلا أنه عند تنقص ما يردده من الآيات، فقال عمر: ما أرى إلا أنه على ما تنتقصون من معاصي الله، قال: فخرج رجل من كان عند عمر، فلقي أعرابياً، فقال: يا فلان ما فعل ربك؟ قال: قد تخيفته، يعني تنقصته، قال: فرجع إلى عمر فأخبره، فقال: قدّر الله ذلك. وقوله ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: فإن ربكم أن لم يأخذ هؤلاء الذين مكروا السيئات بعذاب معجل لهم، وأخذهم بموت وتنقص بعضهم في أثر بعض، لرءوف بخلقه، رحيم بهم، ومن رأفته ورحمته بهم لم يخسف بهم الأرض، ولم يعجل لهم العذاب، ولكن يخوفهم وينقصهم بموت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ قال أبو جعفر: أو لم ير هؤلاء الذين مكروا السيئات، إلى ما خلق الله من جسم قائم، شجر أو جبل أو غير ذلك، يتفياً ظلاله عن اليمين والشمال، يقول: يرجع من موضع إلى موضع، فهو في أول النهار على حال، ثم يتقلص، ثم يعود إلى حال أخرى في آخر النهار. وكان جماعة من أهل التأويل يقولون في اليمين والشمال ما جاء عن قتادة، قوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ أما اليمين: فأول النهار، وأما الشمال: فأخر النهار. وكان ابن عباس يقول في قوله ﴿يَتَفَيَّ ظِلَالُهُ﴾ ما حدثنا المشي، قال: أخبرنا أبو

صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿يَتَفَتَّيْ ظِلَالُهُ﴾ يقول: تتميل. واختلف في معنى قوله ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب، وناحية إلى ناحية، كما قال ابن عباس يقال من ذلك: سجدت النخلة إذا مالت، وسجد البعير وأسجد: إذا أميل للركوب. وقد بينا معنى السجود في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته. وقوله ﴿وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾ يعني: وهم صاغرون، يقال منه: دخر فلان لله يدخر دخرا ودخورا: إذا ذل له وخضع وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة وأما توحيد اليمين في قوله ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ فجمعها، فإن ذلك إنما جاء كذلك، لأن معنى الكلام: أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلال ما خلق من شيء عن يمينه: أي ما خلق، وشمائله، فلفظ "ما" لفظ واحد، ومعناه معنى الجمع، فقال: عن اليمين بمعنى: عن يمين ما خلق، ثم رجع إلى معناه في الشمايل، وكان بعض أهل العربية يقول: إنما تفعل العرب ذلك، لأن أكثر الكلام مواجهة الواحد الواحد، فيقال للرجل: خذ عن يمينك، قال: فكانه إذا وحد ذهب إلى واحد من القوم، وإذا جمع فهو الذي لا مساءلة فيه،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله يخضع ويستسلم لأمره ما في السموات وما في الأرض من دابة يدب عليها، والملائكة التي في السموات، وهم لا يستكبرون عن التذلل له بالطاعة ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ وظلالهم تنفياً عن اليمين والشمايل سجدا لله وهم داخرون. وكان بعض نحوِّي البصرة يقول: اجتزئ بذكر الواحد من الدواب عن ذكر الجميع. وإنما معنى الكلام: والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من الدواب والملائكة، كما يقال: ما أتاني من رجل، بمعنى: ما أتاني من الرجال. وكان بعض نحوِّي الكوفة يقول: إنما قيل: من دابة، لأن "ما" وإن كانت قد تكون على مذهب الذي، فإنها غير مؤقتة، فإذا أهتمت غير مؤقتة أشبهت الجزاء، والجزاء يدخل من فيما جاء من اسم بعده من النكرة، فيقال: من ضربه من رجل فاضربوه، ولا تسقط "من" من هذا الموضع كراهية أن تشبه أن تكون حالا لمن وما، فجعلوه بمن ليدل على أنه تفسير لما ومن لأنهما غير مؤقتتين، فكان دخول من فيما بعدهما تفسيراً لبعدهما، وكان دخول من أدل على ما لم يوقت من وما، فلذلك لم تلغيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يخاف هؤلاء الملائكة التي في السموات، وما في الأرض من دابة، ربهم من فوقهم، أن يعذبهم إن عصوا أمره، ويفعلون ما يؤمرون، يقول: ويفعلون ما أمرهم الله به، فيؤدّون حقوقه، ويجتنبون سُخطه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الله لعباده: لا تتخذوا لي شريكا أيها الناس، ولا تعبدوا معبودين، فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكا، ولا شريك لي، إنما هو إله واحد ومعبود واحد، وأنا ذلك، ﴿فَأِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ يقول: إياي فاتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري،

أو أشركتم في عبادتكم لي شريكا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥٦) يقول تعالى ذكره: والله ملك ما في السموات والأرض من شيء، لا شريك له في شيء من ذلك، هو الذي خلقهم، وهو الذي يرزقهم، ويبدع حياتهم وموتهم. وقوله ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ يقول جل ثناؤه: وله الطاعة والإخلاص دائما ثابتا واجبا، يقال منه: وَصَبَ الدِّينُ يَصِيبُ وَصُوبًا وَوَصْبًا ومنه قول الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ فأما من الألم، فإنما يقال: وصف الرجل يوصب وصبا، وذلك إذا أعيا ومل، وقد اختلف أهل التأويل في تأويل الواصب، فقال بعضهم: معناه، ما قلنا. كما جاء عن قتادة وغيره وقال آخرون: الواصب في هذا الموضع: الواجب. كما جاء عن ابن عباس وغيره وجاء عن مجاهد ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال: الإخلاص.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ﴾ (٥٧) تأويل الكلام: ما يكن بكم في أبدانكم أيها الناس من عافية وصحة وسلامة، وفي أموالكم من نماء، فالله المنعم عليكم بذلك لا غيره، لأن ذلك إليه ويبدعه ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ يقول: إذا أصابكم في أبدانكم سقم ومرض، وعلة عارضة، وشدة من عيش ﴿فَإِلَيْهِ تَجَاوَرُونَ﴾ يقول: فإلى الله تصرخون بالدعاء وتستغيثون به، ليكشف ذلك عنكم، وأصله: من جوار الثور، يقال منه: جَارَ الثور يجَارُ جَوَارًا، وذلك إذا رفع صوتا شديدا من جوع أو غيره، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٥٨) **القول في تأويل قوله تعالى:** ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٩) يقول تعالى ذكره: ثم إذا وهب لكم ربكم العافية، ورفع عنكم ما أصابكم من المرض في أبدانكم، ومن الشدة في معاشكم، وفرج البلاء عنكم ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: إذا جماعة منكم يجعلون لله شريكا في عبادتهم، فيعبدون الأوثان، ويذبحون لها الذبائح شكرا لغير من أنعم عليهم بالفرج مما كانوا فيه من الضر ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ يقول: ليحجدوا الله نعمته فيما آتاهم من كشف الضر عنهم ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وهذا من الله وعيد لهؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، وتهديد لهم، يقول لهم جل ثناؤه: تمتعوا في هذه الحياة الدنيا إلى أن توافيكم آجالكم، وتبلغوا الميقات الذي وقته لحياتكم وتمتعكم فيها، فإنكم من ذلك ستصيرون إلى ربكم، فتعلمون بلقاءه وبال ما كسبت أيديكم، وتعرفون سوء مغبة أمركم، وتندمون حين لا ينفعكم الندم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ (٦٠) يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون من عبدة الأوثان، لما لا يعلمون منه ضرا ولا نفعا نصيبا. يقول: حظا وجزاء مما رزقناهم من الأموال، إشراكا منهم له الذي يعلمون أنه خلقهم، وهو الذي ينفعهم ويضرهم دون غيره. كما جاء عن مجاهد وابن زيد وقوله ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله أيها المشركون الجاعلون والآلهة والأنداد نصيبا فيما رزقناكم شركا بالله وكفرا، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون، يعني: تختلقون من الباطل والإفك على الله بدعواكم له شريكا، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبا، ثم ليعاقبنكم

عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۚ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يقول تعالى ذكره: ومن جهل هؤلاء المشركين وخبت فعلهم، وقبح فريتهم على ربهم، أنهم يجعلون لمن خلقهم ودبرهم وأنعم عليهم، فاستوجب بنعمه عليهم الشكر، واستحق عليهم الحمد: البنات، ولا ينبغي أن يكون لله ولد ذكر ولا أنثى سبحانه، نزه جل جلاله بذلك نفسه عما أضافوا إليه ونسبوه من البنات، فلم يرضوا بجهلهم إذ أضافوا إليه ما لا ينبغي إضافته إليه، ولا ينبغي أن يكون له من الولد أن يضيفوا إليه ما يشتهونه لأنفسهم ويحبونه لها، ولكنهم أضافوا إليه ما يكرهونه لأنفسهم ولا يرضونه لها من البنات ما يقتلونها إذا كانت لهم، وفي "ما" التي في قوله ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ وجهان من العربية: النصب عطفًا لها على البنات، فيكون معنى الكلام إذا أريد ذلك: ويجعلون لله البنات ولهم البنين الذين يشتهون، فتكون "ما" للبنين، والرفع على أن الكلام مبتدأ من قوله ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ فيكون معنى الكلام: ويجعلون لله البنات ولهم البنون. وقوله ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ يقول: وإذا بشر أحد هؤلاء الذين جعلوا لله البنات بولادة ما يضيفه إليه من ذلك له، ظل وجهه مسودًا من كراهته له ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يقول قد كظم الحزن، وامتلاً عما بولادته له، فهو لا يظهر ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾، ثم قال ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾... إلى آخر الآية، يقول: يجعلون لله البنات ترضونهن لي، ولا ترضونهن لأنفسكم، وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا وُلد للرجل منهم جارية أمسكها على هون، أو دسها في التراب وهي حية.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩) يقول تعالى ذكره: يتوارى هذا المبشر بولادة الأنثى من الولد له من القوم، فيغيب عن أبصارهم ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ يعني: من مسأته إياه مميلًا بين أن يمسكه على هون: أي على هوان، وكذلك ذلك في لغة قريش فيما ذكر لي، يقولون للهوان: الهون؛ وبعض بني تميم جعل الهون مصدرًا للشيء الهين، ذكر الكسائي أنه سمعهم يقولون: إن كنت لقليل هون المؤنة منذ اليوم وقوله ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يقول: ألا ساء الحكم الذي يحكم هؤلاء المشركون، وذلك أن جعلوا لله ما لا يرضون لأنفسهم، وجعلوا لما لا ينفعهم ولا يضرهم شركا فيما رزقهم الله، وعبدوا غير من خلقهم وأنعم عليهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠) وهذا خبر من الله جل ثناؤه أن قوله ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات، فبين بقوله ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ﴾ أنه مثل، وعنى بقوله جل ثناؤه ﴿لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ للذين لا يصدقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين ﴿مَثَلُ السَّوِّ﴾ وهو القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ يقول: والله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإدعان له بأنه لا إله غيره. وبنحو الذي قلنا في

ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: والله ذو العزة التي لا يمتنع عليه معها عقوبة هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم في هذه الآيات، ولا عقوبة من أراد عقوبته على معصيته إياه، ولا يتعذر عليه شيء أرادته وشاءه، لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، الحكيم في تدبيره، فلا يدخل تدبيره خلل، ولا خطأ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ عَصَا بَنِي آدَمَ بِمَعَاصِيهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ يعني على الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ﴾ يقول: ولكن بحلمه يؤخر هؤلاء الظلمة فلا يعاجلهم بالعقوبة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: إلى وقتهم الذي وُتِّ لهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ يقول: فإذا جاء الوقت الذي وُتِّ لهلاكهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عن الهلاك ساعة فيمهلون ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ له حتى يستوفوا آجالهم. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي الأحوص

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون لله ما يكرهونه لأنفسهم. ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ﴾ يقول: وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه، أن لهم الحسنى، فأن في موضع نصب، لأنها ترجمة عن الكذب. وتأويل الكلام: ويجعلون لله ما يكرهونه لأنفسهم، ويزعمون أن لهم الحسنى، الذي يكرهونه لأنفسهم. البنات يجعلونهن لله تعالى، وزعموا أن الملائكة بنات الله. وأما الحسنى التي جعلوها لأنفسهم: فالذكور من الأولاد، وذلك أنهم كانوا يثدنون الإناث من أولادهم، ويستبقون الذكور منهم، ويقولون: لنا الذكور والله البنات، وهو نحو قوله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقاتادة وقوله ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: حقا واجبا أن لهؤلاء القائلين لله البنات، الجاعلين له ما يكرهونه لأنفسهم، ولأنفسهم الحسنى عند الله يوم القيامة النار. وقد بينا تأويل قول الله ﴿لَا جَرَمَ﴾ في غير موضع من كتابنا هذا بشواهد بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ورؤي عن ابن عباس في ذلك، ما حدثني المشني، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿لَا جَرَمَ﴾ يقول: بلى. وقوله ﴿لَا جَرَمَ﴾ كان بعض أهل العربية يقول: لم تنصب جرم بلا كما نصبت الميم من قول: لا غلام لك؛ قال: ولكنها نُصِبَتْ لأنها فعل ماض، مثل قول القائل: قعد فلان وجلس، والكلام: لا ردّ لكلامهم أي ليس الأمر هكذا، جرم: كسب، مثل قوله لا أقسم، ونحو ذلك. وكان بعضهم يقول: نصب جرم بلا وإنما بمعنى: لا بدّ، ولا محالة؛ ولكنها كثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة حقا. وقوله ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنهم مخلّفون متروكون في النار، منسيون فيها. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال أكثرهم بنحو ما قلنا في ذلك. كما جاء عن سعيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَآلَهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره مقيسما نفسه عزّ وجلّ لنيبه محمد ﷺ: والله يا محمد لقد أرسلنا رسلا من قبلك إلى أممها بمثل ما أرسلناك إلى أمتك من الدعاء إلى التوحيد لله، وإخلاص

العبادة له، والإذعان له بالطاعة، وخلع الأنداد والآلهة ﴿فَرَّيْنِ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: فحسّن لهم الشيطان ما كانوا عليه من الكفر بالله وعبادة الأوثان مقيمين، حتى كذبوا رسلهم، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند ربهم ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَوْمَ﴾ يقول: فالشيطان ناصرهم اليوم في الدنيا، وبئس الناصر ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة عند ورودهم على ربهم، فلا ينفعهم حينئذ ولاية الشيطان، ولا هي نفعهم في الدنيا، بل ضرّتهم فيها وهي لهم في الآخرة أضرّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: وما أنزلنا يا محمد عليك كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله، فتعرفهم الصواب منه، والحق من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها. وقوله ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: وهدي بيانا من الضلالة، يعني بذلك الكتاب، ورحمة لقوم يؤمنون به، فيصدقون بما فيه، ويقرّون بما تضمن من أمر الله ونهيه، ويعملون به، وعطف بالهدى على موضع ليبين، لأن موضعها نصب. وإنما معنى الكلام: وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا للناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره منبه خلقه على حجبهم عليهم في توحيده، وأنه لا تنبغي الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء سواه: أيها الناس معبودكم الذي له العبادة دون كل شيء، ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: مطرا، يقول: فأنبئت بما أنزل من ذلك الماء من السماء الأرض الميتة التي لا زرع بها ولا عُشْبٌ ولا نبت ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد ما هي ميتة لا شيء فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إحيائنا الأرض بعد موتها بما أنزلنا من السماء من ماء لدليلا واضحا، وحجة قاطعة، عذر من فكر فيه ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يقول: لقوم يسمعون هذا القول فيتدبرونه ويعقلونه، ويطيعون الله بما دلهم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن لكم أيها الناس لعظة في الأنعام التي نسقيكم مما في بطونه. واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿نُّسْقِيكُم﴾ فقرأته عامة أهل مكة والعراق والكوفة والبصرة، سوى عاصم؛ ومن أهل المدينة أبو جعفر ﴿نُسْقِيكُم﴾ بضم النون. بمعنى: أنه أسقاهم شربا دائما. وكان الكسائي يقول: العرب تقول: أسقيناهم نَهْرًا، وأسقيناهم لبنًا: إذا جعلته شربا دائما، فإذا أرادوا أنهم أعطوه شربة قالوا: سقيناهم فنحن نسقيهم بغير ألف؛ وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر، ومن أهل العراق عاصم ﴿نُسْقِيكُم﴾ بفتح النون من سقاه الله، فهو يسقيهم، والعرب قد تدخل الألف فيما كان من السقي غير دائم، وتنزعها فيما كان دائما، وإن كان أشهر الكلامين عندها ما قال الكسائي، يدل على ما قلنا من ذلك، قول ليبيد في صفة سحاب: سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى... نُمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ فجمع اللغتين كليهما في معنى واحد، فإذا كان ذلك كذلك، فبآية القراءتين قرأ القارئ فمصيب، غير أن أعجب القراءتين إليّ قراءة ضمّ النون لما ذكرت من أن أكثر الكلامين عند العرب فيما كان دائما من السقي أسقى بالألف فهو يسقي، وما أسقى الله عباده من بطون الأنعام فدائم لهم غير منقطع عنهم. وأما قوله ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ وقد ذكر

الأنعام قبل ذلك، وهي جمع والهاء في البطون موحدة، فإن لأهل العربية في ذلك أقوالا فكان بعض نحويي الكوفة يقول: النعم والأنعام شيء واحد، لأنهما جميعا جمعان، فردّ الكلام في قوله ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ إلى التذكير مرادًا به معنى النعم، إذ كان يؤدي عن الأنعام، ويستشهد لقوله ذلك برجز بعض الأعراب: إذا رأيت أنجما من الأسد... جبهته أو الخراة والكتد... بال سهيل في الفضيخ ففسد... وطاب ألبان اللقاح فبرد ويقول: رجع بقوله "فبرد" إلى معنى اللبن، لأن اللبن والألبان تكون في معنى واحد، وكان غيره منهم يقول: إنما قال ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ لأنه أراد: مما في بطون ما ذكرنا ويقول: من ذلك قول الله تعالى ذكره ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ بمعنى: هذا الشيء الطالع. وقوله ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ولم يقل ذكرها، لأن معناه: فمن شاء ذكر هذا الشيء. وقوله ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانٌ﴾ ولم يقل جاءت. وكان بعض البصريين يقول: قيل ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ لأن المعنى: نسقيكم من أي الأنعام كان في بطونه، ويقول: فيه اللبن مضمّر، يعني أنه يسقي من أيها كان ذا لبن، وذلك أنه ليس لكلها لبن، وإنما يسقى من ذوات اللبن. والقولان الأولان أصحّ مخرجا على كلام العرب من هذا القول الثالث. وقوله ﴿مَنْ يَبْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ يقول: نسقيكم لبنا، نخرجه لكم من بين فرث ودم خالصا: يقول: خلص من مخالطة الدم والفرث، فلم يختلطا به ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ يقول: يسوغ لمن شربه فلا يعصّ به كما يعصّ الغاصّ ببعض ما يأكله من الأطعمة. وقيل: إنه لم يعصّ أحد باللبن قط.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكم أيضا أيها الناس عبرة فيما نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا وريزقا حسنا، مع ما نسقيكم من بطون الأنعام من اللبن الخارج من بين الفرث والدم. وحذف من قوله ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ الاسم، والمعنى ما وصفت، وهو: ومن ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه لدلالة "من" عليه، لأن "من" تدخل في الكلام مبغضة، فاستغني بدلالتها ومعرفة السامعين بما يقتضي من ذكر الاسم معها. وكان بعض نحويي البصرة يقول في معنى الكلام: ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكرًا، ويقول: إنما ذكرت الهاء في قوله ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ لأنه أريد بها الشيء، وهو عندنا عائد على المتروك، وهو "ما". وقوله ﴿تَتَّخِذُونَ﴾ من صفة "ما" المتروكة. واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ فجاء عن أبي ورق قال: قلت للشعبي: أرايت قوله تعالى ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أهو هذا السكر الذي تصنعه النبط؟ قال: لا هذا خمر، إنما السكر الذي قال الله تعالى ذكره: النبيذ والخمر والرزق الحسن: التمر والزبيب. وهذا التأويل عندي هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول: فيما إن وصفنا لكم من نعمنا التي آتيناكم أيها الناس من الأنعام والنخل والكرم، لدلالة واضحة وآية بينة لقوم يعقلون عن الله حججه، ويفهمون عنه مواظمه، فيتعظون بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وألهم ربك يا محمد النحل إحياء إليها ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ يعني: مما يبنون من السقوف، فرفعوها بالبناء. وبنحو الذي قلنا في ذلك،

قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقد بينا معنى الإيحاء واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بشواهد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، وكذلك معنى قوله ﴿يَعْرِشُونَ﴾ وكان ابن زيد يقول في قوله ﴿يَعْرِشُونَ﴾ قال: الكرم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم كلي أيتها النحل من الثمرات، ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يقول: فاسلكي طرق ربك ﴿ذُلًّا﴾ يقول: مُدَلَّةً لك، والذلل: جمع ذلول. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وعلى هذا التأويل الذي تأوله مجاهد، الذلل من نعت السبل. والتأويل على قوله ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾ الذلل لك: لا يتوعد عليك سبيل سلكتيه، ثم أسقطت الألف واللام فنصب على الحال. وقال آخرون في ذلك بما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾: أي مطيعة. وكما قال ابن زيد، في قوله ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا﴾ قال: الذلول: الذي يفاد ويذهب به حيث أراد صاحبه، قال: فهم يخرجون بالنحل ينتجعون بها ويذهبون، وهي تتبعهم. وقرأ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ...﴾ الآية، فعلى هذا القول، الذلل من نعت النحل، وكلا القولين غير بعيد من الصواب في الصحة وجهان مخرجان، غير أنا اخترنا أن يكون نعتا للسبل لأنها إليها أقرب. وقوله ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: يخرج من بطون النحل شراب، وهو العسل، مختلف ألوانه، لأن فيها أبيض وأحمر وأسحر، وغير ذلك من الألوان. قال أبو جعفر: أسحر: ألوان مختلفة مثل أبيض يضرب إلى الحمرة. وقوله ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ اختلف أهل التأويل فيما عادت عليه الهاء التي في قوله ﴿فِيهِ﴾، فقال بعضهم: عادت على القرآن، وهو المراد بها. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: بل أريد بها العسل. كما جاء عن قتادة وهذا القول، أعني قول قتادة، أولى بتأويل الآية، لأن قوله ﴿فِيهِ﴾ في سياق الخبر عن العسل فإن تكون الهاء من ذكر العسل، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره. وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إخراج الله من بطون هذه النحل: الشراب المختلف، الذي هو شفاء للناس، لدلالة وحجة واضحة على من سخر النحل وهداها لأكل الثمرات التي تأكل، واتخاذها البيوت التي تنحت من الجبال والشجر والعروش، وأخرج من بطونها ما أخرج من الشفاء للناس، أنه الواحد الذي ليس كمثله شيء، وأنه لا ينبغي أن يكون له شريك ولا تصح الألوهة إلا له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله خلقكم أيها الناس وأوجدكم ولم تكونوا شيئا، لا الآلهة التي تعبدون من دونه، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقول: ثم يقبضكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ يقول: ومنكم من يهرم فيصير إلى أَرْدَلِ العمر، وهو أَرْدؤه، يقال منه: رذل الرجل وفسل، يرذل رذالة ورذولة ورذلته أنا. وقيل: إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة. وقوله ﴿لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ يقول: إنما رده إلى أَرْدَلِ العمر ليعود جاهلا كما كان في حال طفولته وصباه، بعد علم شيئا: يقول: لئلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه في

شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسي، فلا يعلم منه شيئاً، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له لا يعقل شيئاً ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يقول: إن الله لا ينسى، ولا يتغير علمه، عليم بكل ما كان ويكون، قدير على ما شاء لا يجهل شيئاً، ولا يُعجزه شيء أراد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: والله أيها الناس فضل بعضكم على بعض في الرزق الذي رزقكم في الدنيا، فما الذين فضلهم الله على غيرهم بما رزقهم ﴿بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يقول: بمشركي ممالكهم فيما رزقهم من الأموال والأزواج. ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ يقول: حتى يستووا هم في ذلك وعبيدهم، يقول تعالى ذكره: فهم لا يرضون بأن يكونوا هم وممالكهم فيما رزقهم سواء، وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني، وهذا مثل ضربه الله تعالى ذكره للمشركين بالله. وقيل: إنما عني بذلك الذين قالوا: إن المسيح ابن الله من النصراني. وقوله ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه في، سلطانه ومملكه؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره قال ابن عباس: هذه الآية في شأن عيسى ابن مريم، يعني بذلك نفسه، إنما عيسى عبد، فيقول الله: والله ما تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا أنتم وهم سواء، فكيف ترضون لي بما لا ترضون لأنفسكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَاللَّهُ﴾ الذي ﴿جَعَلَ لَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني أنه خلق من آدم زوجته حواء، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾. كما جاء عن قتادة ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أي والله خلق آدم، ثم خلق زوجته منه ثم جعل لكم بنين وحفدة. واختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة، والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى أخبر عباده معرفهم نعمه عليهم، فيما جعل لهم من الأزواج والبنين، فقال تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ فأعلمهم أنه جعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة، والحفدة في كلام العرب: جمع حافد، كما الكذبة: جمع كاذب، والفسقة: جمع فاسق. والحافد في كلامهم: هو المتخفف في الخدمة والعمل. والحفد: خفة العمل يقال: مر البعير يحفد حفداناً: إذا مر يسرع في سيره. ومنه قولهم: "إليك نسعى ونحفد": أي نسرع إلى العمل بطاعتك. يقال منه: حفد له يحفد حفداً وحفوداً وحفداناً وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنهم المسرعون في خدمة الرجل، المتخففون فيها، وكان الله تعالى ذكره أخبرنا أن مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا، وكان أولادنا وأزواجنا الذين يصلحون للخدمة منا ومن غيرنا وأختاننا الذين هم أزواج بناتنا من أزواجنا وخدمنا من ممالكنا إذا كانوا يحفدوننا، فيستحقون اسم حفدة، ولم يكن الله تعالى دل بظاهر تنزيله، ولا على لسان رسوله ﷺ؛ ولا بحجة عقل، على أنه عني بذلك نوعاً من الحفدة، دون نوع منهم، وكان قد أنعم بكل ذلك علينا، لم يكن لنا أن نوجه ذلك إلى خاص من الحفدة دون عام، إلا ما اجتمعت الأمة عليه أنه غير داخل فيهم. وإذا كان ذلك كذلك فلكل الأقوال التي ذكرنا عمن

ذكرنا وجه في الصحة، ومَخْرَج في التأويل. وإن كان أولى بالصواب من القول ما اخترنا، لما بيننا من الدليل. وقوله ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يقول: ورزقكم من حلال المعاش والأرزاق والأقوات، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: يحرم عليهم أولياء الشيطان من البحائر والسوائب والوصائل، فيصدق هؤلاء المشركون بالله ﴿وَبِعِزَّةِ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: وبما أحل الله لهم من ذلك، وأنعم عليهم بإحلاله، يكفرون، يقول: ينكرون تحليله، ويجحدون أن يكون الله أحله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٢٢) **فَلَا تَضَرُّوْا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره:**

ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه أوثانًا لا تملك لهم رزقًا من السموات، لأنها لا تقدر على إنزال قطر منها لإحياء موتان الأرضين، والأرض: يقول: ولا تملك لهم أيضًا رزقًا من الأرض لأنها لا تقدر على إخراج شيء من نباتها وثمارها لهم، ولا شيئًا مما عدّد تعالى في هذه الآية أنه أنعم بها عليهم ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقول: ولا تملك أوثانهم شيئًا من السموات والأرض، بل هي وجميع ما في السموات والأرض لله ملك، ولا يستطيعون يقول: ولا تقدر على شيء. وقوله ﴿فَلَا تَضَرُّوْا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ﴾ يقول: فلا تمتثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مثل له ولا شبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ يقول تعالى ذكره: وشبهه لكم شهما أيها الناس للكاfer من عبیده، والمؤمن به منهم. فأما مثل الكافر: فإنه لا يعمل بطاعة الله، ولا يأتي خيرا، ولا ينفق في شيء من سبيل الله ماله لغلبة خذلان الله عليه، كالعبد المملوك، الذي لا يقدر على شيء فينفقه. وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله، وينفق في سبيله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا فهو ينفق منه سراً وجهراً، يقول: بعلم من الناس وغير علم ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر عليه، وهذا الحر الذي قد رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق كما وصّف، فكَذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره، والمؤمن العامل بطاعته. وبنحو ما قلنا في ذلك كان بعض أهل العلم يقول. كما جاء عن قتادة وابن عباس وقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: الحمد الكامل لله خالصاً دون ما تدعون أيها القوم من دونه من الأوثان فإياه فاحمدوا دونها. وقوله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ما الأمر كما تفعلون، ولا القول كما تقولون، ما للأوثان عندهم من يد ولا معروف فتُحمد عليه، إنما الحمد لله، ولكن أكثر هؤلاء الكفرة الذين يعبدونها لا يعلمون أن ذلك كذلك، فهم بجهلهم بما يأتون ويدّرون يجعلونها لله شركاء في العبادة والحمد. وكان مجاهد يقول: ضرب الله هذا المثل، والمثل الآخر بعده لنفسه، والآلهة التي تعبد من دونه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢١﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تعبد من دونه، فقال تعالى ذكره ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً، ولا ينطق، لأنه إما خشب منحوت،

وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه، ولا دفع ضرر عنه وهو كل على مولاه، يقول: وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته، فكذاك الصنم كل على من يعبد، يحتاج أن يحمله، ويضعه ويخدمه، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء، فهو كل على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم ﴿أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ يقول: حيثما يوجهه لا يأتي بخير، لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يقدر أن يعبر عن نفسه ما يريد، فهو لا يفهم، ولا يفهم عنه، فكذاك الصنم، لا يعقل ما يقال له، فيأتمر لأمر من أمره، ولا ينطق بأمر وينهي، يقول الله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ يعني: هل يستوي هذا الأبكم الكل على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو إليه وهو الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته، يقول: لا يستوي هو تعالى ذكره، والصنم الذي صفته ما وصف. وقوله ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: وهو مع أمره بالعدل، على طريق من الحق في دعائه إلى العدل، وأمره به مستقيم، لا يعوجج عن الحق ولا يزول عنه. وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه. وقال بعضهم غير ذلك كالذي جاء عن قتادة ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ قال: هو الوثن ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ قال: الله يأمر بالعدل ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وكذلك كان مجاهد يقول إلا أنه كان يقول: المثل الأول أيضا ضربه الله لنفسه وللوثن. وأما في المثل الآخر: فجاء عن ابن عباس، في قوله ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبد. وفي قوله ﴿مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾... إلى قوله ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: هو عثمان بن عفان. قال: والأبكم الذي أينما يوجهه لا يأتي بخير، ذاك مولى عثمان بن عفان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المئونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما. وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في المثل الأول لأنه تعالى ذكره مثل مثل الكافر بالعبد الذي وصف صفته، ومثل مثل المؤمن بالذي رزقه رزقا حسنا، فهو ينفق مما رزقه سرا وجهرا، فلم يجز أن يكون ذلك لله مثلا إذ كان الله إنما مثل الكافر الذي لا يقدر على شيء بأنه لم يرزقه رزقا ينفق منه سرا؛ ومثل المؤمن الذي وفقه الله لطاعته فهداه لرشده، فهو يعمل بما يرضاه الله، كالحر الذي بسط له في الرزق فهو ينفق منه سرا وجهرا، والله تعالى ذكره هو الرازق غير المرزوق، فغير جائز أن يمثل إفضاله وجوده بإنفاق المرزوق الرزق الحسن، وأما المثل الثاني، فإنه تمثيل منه تعالى ذكره من مثله الأبكم الذي لا يقدر على شيء والكفار لا شك أن منهم من له الأموال الكثيرة، ومن يضرب أحيانا الضر العظيم بفساده، فغير كائن ما لا يقدر على شيء، كما قال تعالى ذكره مثلا لمن يقدر على أشياء كثيرة. فإذا كان ذلك كان أولى المعاني به تمثيل ما لا يقدر على شيء كما قال تعالى ذكره بمثله ما لا يقدر على شيء، وذلك الوثن الذي لا يقدر على شيء، بالأبكم الكل على مولاه الذي لا يقدر على شيء كما قال ووصف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: والله أيها الناس ملك ما غاب عن أبصاركم في السموات والأرض دون ألهتكم التي تدعون من دونه، ودون كل ما سواه، لا يملك ذلك أحد سواه. ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ يقول: وما أمر قيام القيامة والساعة التي تشر فيها الخلق

للوقوف في موقف القيامة، إلا كنظرة من البصر، لأن ذلك إنما هو أن يقال له كن فيكون. كما جاء ذلك عن قتادة وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: إن الله على إقامة الساعة في أقرب من لمح البصر قادر، وعلى ما يشاء من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه شيء أراد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله تعالى أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعقلون شيئاً ولا تعلمون، فزرعكم عقولا تفقهون بها، وتميزون بها الخير من الشر وبصركم بها ما لم تكونوا تبصرون، وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم والأبصار التي تبصرون بها الأشخاص فتعارفون بها وتميزون بها بعضاً من بعض. ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ يقول: والقلوب التي تعرفون بها الأشياء فتحفظونها وتفكرون فتفقهون بها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول: فعلنا ذلك بكم، فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك، دون الآلهة والأنداد، فجعلتم له شركاء في الشكر، ولم يكن له فيما أنعم به عليكم من نعمه شريك. وقوله ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ كلام متناه، ثم ابتدئ الخبر، فقليل: وجعل الله لكم السمع والأبصار والأفئدة. وإنما قلنا ذلك كذلك، لأن الله تعالى ذكره جعل العباد والسمع والأبصار والأفئدة قبل أن يخرجهم من بطون أمهاتهم، وإنما أعطاهم العلم والعقل بعد ما أخرجهم من بطون أمهاتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين: ألم تروا أيها المشركون بالله إلى الطير مسخرات في جوف السماء، يعني: في هواء السماء بينها وبين الأرض، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ يقول: ما طيراتها في الجوف إلا بالله، وبتسخيره إياها بذلك، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعاً. وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: إن في تسخير الله الطير، وتمكينه لها الطيران في جوف السماء، لعلامات ودلالات على أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه لاحظ للأصنام والأوثان في الألوهة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: لقوم يقرّون بوجودنا ما تعينه أبصارهم، وتحسه حواسهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم﴾ أيها الناس، ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ التي هي من الحجر والمدر، ﴿سَكَنًا﴾ تسكنون أيام مقامكم في دوركم وبلاذكم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ وهي البيوت من الأنطاع والفساطيط من الشعر والصوف والوبر. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ يقول: تستخفون حملها ونقلها، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ من بلادكم وأمصاركم لأسفاركم، ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ في بلادكم وأمصاركم. ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا﴾. وبنحو الذي قلنا في معنى السكن قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وأما الأشعار فجمع شعر تثقل عينه وتخفف، وواحد الشعر شعرة. وأما الأثاث فإنه متاع البيت لم يسمع له بواحد، وهو في أنه لا واحد له مثل المتاع. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ يقول تعالى ذكره: ومن نعمة الله عليكم أيها الناس أن جعل لكم مما خلق من الأشجار وغيرها ظلالا تستظلون بها من شدة الحرِّ، وهي جمع ظلٍّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ يقول: وجعل لكم من الجبال مواضع تسكنون فيها، وهي جمع كنٍّ. كما جاء عن قتادة ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ يعني ثياب القطن والكتان والصوف وقمصها. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ من القطن والكتان والصوف. وقوله ﴿وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾ يقول: ودروعا تقيكم بأسكم، والبأس: هو الحرب، والمعنى: تقيكم في بأسكم السلاح أن يصل إليكم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما أعطاكم ربكم هذه الأشياء التي وصفها في هذه الآيات نعمة منه بذلك عليكم، فكذا يَتِمُّ نعمته عليكم لعلكم تسلمون. يقول: لتخضعوا لله بالطاعة، وتذلل منكم بتوحيده النفوس، وتخلصوا له العبادة. وقد روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلِمُونَ﴾ بفتح التاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٨٦﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فَإِنْ أَذْبَرِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ عَمَّا أُرْسَلْتُكَ بِهِ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ، فلم يستجيبوا لك وأعرضوا عنه، فما عليك من لوم ولا عدل لأنك قد أديت ما عليك في ذلك، إنه ليس عليك إلا بلاغهم ما أُرْسَلْتُ بِهِ. ويعني بقوله ﴿الْمُبِينُ﴾ الذي يبين لمن سمعه حتى يفهمه. وأما قوله ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي الْمَعْنَى بِالنِّعْمَةِ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَنْكُرُونَهَا مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِهَا، وَأَوَّلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ وَأَشْبَهَهَا بِتَأْوِيلِ الْآيَةِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: عَنِيَ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ دَاعِيًا إِلَى مَا بَعَثَهُ بِدَعَائِهِمْ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ بَيْنَ آيَتَيْنِ كِلْتَاهُمَا خَبَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَمَّا بَعَثَ بِهِ، فَأَوَّلَى مَا بَيْنَهُمَا أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَى يَدُلُّ عَلَى انْصِرَافِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَعَمَّا بَعْدَهُ فَالَّذِي قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ وَمَا بَعْدَهُ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وَهُوَ رَسُولُهَا. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَمَعْنَى الْآيَةِ: يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ بِاللَّهِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يَا مُحَمَّدُ بكَ، ثُمَّ يَنْكُرُونَكَ وَيَجْحَدُونَ نُبُوتَكَ ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ يَقُولُ: وَأَكْثَرُ قَوْمِكَ الْجَاهِلُونَ نُبُوتَكَ، لَا الْمَقْرُونُ بِهَا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ يقول تعالى ذكره: يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها اليوم ويستنكرون ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو الشاهد عليها بما أجابت داعي الله، وهو رسولهم الذي أرسل إليهم ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقول: ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار، فيعتذروا مما كانوا بالله وبرسوله يكفرون ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ فيتركوا الرجوع إلى الدنيا فينبوا ويتوبوا وذلك كما قال تعالى ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَظْقُونُ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾^(٨٥) يقول تعالى ذكره: وإذا عاين الذين كذبوك يا محمد، وجحدوا بُبُوتك والأمم الذين كانوا على منهاج مشركي قومك عذاب الله، فلا ينجيهم من عذاب الله شيء، لأنهم لا يؤذن لهم، فيعتذرون، فيخفف عنهم العذاب بالعدر الذي يدعونه، ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يقول: ولا يُرْجَوْنَ بالعقاب، لأن وقت التوبة والإجابة قد فات، فليس ذلك وقتا لهما، وإنما هو وقت للجزاء على الأعمال، فلا ينظر بالعتاب ليعتب بالتوبة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٨٦) يقول تعالى ذكره: وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك، قال الله تعالى ذكره ﴿فَأَلْقُوا﴾ يعني: شركاءهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، القول، يقول: قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركين، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٨٧) يقول تعالى ذكره: وألقى المشركون إلى الله يومئذ السلم يقول: استسلموا يومئذ وذُلُّوا لحكمه فيهم، ولم تغن عنهم آلهتهم التي كانوا يدعون في الدنيا من دون الله، وتبرأت منهم، ولا قومهم، ولا عشائرهم الذين كانوا في الدنيا يدافعون عنهم، والعرب تقول: ألقىت إليه كذا تعني بذلك قلت له. وقوله ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يقول: وأخطأهم من آلهتهم ما كانوا يأملون من الشفاعة عند الله بالنجاة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾^(٨٨) يقول تعالى ذكره: الذين جحدوا يا محمد بُبُوتك وكذبوك فيما جتتهم به من عند ربك، وصدُّوا عن الإيمان بالله وبرسوله، ومن أراد زدنهم عذاباً يوم القيامة في جهنم فوق العذاب الذي هم فيه قبل أن يزادوه. وقيل: تلك الزيادة التي وعدهم الله أن يزيدهموها عقارب وحيات. كما جاء عن عبد الله وقوله ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ يقول: زدناهم ذلك العذاب على ما بهم من العذاب بما كانوا يفسدون، بما كانوا في الدنيا يعصون الله، ويأمرون عباده بمعصيته، فذلك كان إفسادهم، اللهم إنا نسألك العافية يا مالك الدنيا والآخرة الباقية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٨٩) يقول تعالى ذكره ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يقول: نسأل نبينهم الذي بعثناه إليهم للدعاء إلى طاعتنا، وقال ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لأنه تعالى ذكره كان يبعث إلى أمم أنبياءها منها: ماذا أجابوكم، وما ردُّوا عليكم ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: وجئنا بك يا محمد شاهداً على قومك وأمتك الذين أرسلتك إليهم بما أجابوك، وماذا عملوا فيما أرسلتك به إليهم. وقوله ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بياناً لكل ما بالناس إليه الحاجة

من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب ﴿وَهْدَى﴾ من الضلال ﴿وَرَحِمَةً﴾ لمن صدق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرم حرامه ﴿وُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ يقول: وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن بن مسعود وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يأمر في هذا الكتاب الذي أنزله إليك يا محمد بالعدل، وهو الإنصاف، ومن الإنصاف: الإقرار بمن أنعم علينا بنعمته، والشكر له على إفضاله، وتولي الحمد أهله. وإذا كان ذلك هو العدل، ولم يكن للأوثان والأصنام عندنا يد تستحق الحمد عليها، كان جهلا بنا حمدها وعبادتها، وهي لا تنعم فتشكر، ولا تنفع فتعبد، فلزمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولذلك قال من قال: العدل في هذا الموضع شهادة أن لا إله إلا الله. ذكر من قال ذلك: حدثني المشي، وعلي بن داود، قال ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وقوله والإحسان، فإن الإحسان الذي أمر به تعالى ذكره مع العدل الذي وصفنا صفته: الصبر لله على طاعته فيما أمر ونهى، في الشدة والرخاء، والمكره والمنشط، وذلك هو أداء فرائضه. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ يقول: وإعطاء ذي القربى الحق الذي أوجبه الله عليك بسبب القرابة والرحم. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ قال: الفحشاء في هذا الموضع: الزنا. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَالْبَغْيِ﴾ قيل: عني بالبغي في هذا الموضع: الكبر والظلم. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: يذكركم أيها الناس ربكم لتذكروا فتنبيوا إلى أمره ونهيه، وتعرفوا الحق لأهله. كما جاء عن ابن عباس. وقد ذكر عن ابن عيينة أنه كان يقول في تأويل ذلك: إن معنى العدل في هذا الموضع استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا وإن معنى الإحسان: أن تكون سريرته أحسن من علانيته، وإن الفحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته. وذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في هذه الآية: إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾... إلى آخر الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوفوا بميثاق الله إذا واثقتموه، وعقده إذا عاقدتموه، فأوجبتم به على أنفسكم حقا لمن عاقدتموه به وواثقتموه عليه ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يقول: ولا تخالفوا الأمر الذي تعاقدتم فيه الأيمان، يعني بعد ما شددتم الأيمان على أنفسكم، فتحثوا في أيمانكم وتكذبوا فيها وتنقضوها بعد إبرامها، يقال منه: وكّد فلان يمينه يوكدها تأكيداً إذا شددتها وهي لغة أهل الحجاز، وأما أهل نجد، فإنهم يقولون: أكدتها أوكدتها تأكيداً. وقوله ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ يقول: وقد جعلتم الله بالوفاء بما تعاقدتم عليه على أنفسكم راعياً يرعى الموفي منكم بعهد الله الذي عاهد على الوفاء به والناقض. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف بينهم فيمن عني بهذه الآية وفيما أنزلت، فقال بعضهم: عني بها الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، وفيهم أنزلت. كما جاء عن بريدة، قوله

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ قال: أنزلت هذه الآية في بيعة النبي ﷺ، كان من أسلم بايع على الإسلام، فقالوا ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ البيعة، فلا يحملكم قلة محمد ﷺ وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وإن كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة. وقال آخرون: نزلت في الحلف الذي كان أهل الشرك تحالفوا في الجاهلية، فأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ في الإسلام أن يوفوا به ولا ينقضوه. كما جاء عن ابن زيد: هؤلاء قوم كانوا حلفاء لقوم تحالفوا وأعطى بعضهم العهد، فجاءهم قوم، فقالوا: نحن أكثر وأعز وأمنع، فانقضوا عهد هؤلاء وارجعوا إلينا ففعلوا، فذلك قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أن تكون أمة هي أربى من أمة، هي أربى أكثر من أجل أن كان هؤلاء أكثر من أولئك، نقضتم العهد فيما بينكم وبين هؤلاء، فكان هذا في هذا. قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أمر في هذه الآية عباده بالوفاء بعهوده التي يجعلونها على أنفسهم، ونهاهم عن نقض الأيمان بعد توكيدها على أنفسهم لآخرين بعقود تكون بينهم بحق مما لا يكرهه الله. وجائز أن تكون نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ بنهيهم عن نقض بيعتهم حذرا من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين، وأن تكون نزلت في الذين أرادوا الانتقال بحلفهم عن حلفائهم لقلّة عددهم في آخرين لكثرة عددهم، وجائز أن تكون في غير ذلك. ولا خبر تثبت به الحجة أنها نزلت في شيء من ذلك دون شيء، ولا دلالة في كتاب ولا حجة عقل أي ذلك عني بها، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قلنا لدلالة ظاهره عليه، وأن الآية كانت قد نزلت لسبب من الأسباب، ويكون الحكم بها عامًا في كلّ ما كان بمعنى السبب الذي نزلت فيه. كما جاء عن مجاهد ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ قال: وكيلا. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الناس يعلم ما تفعلون في العهود التي تعاهدون الله من الوفاء بها والأحلاف والأيمان التي تؤكّدونها على أنفسكم، أتبرّون فيها أم تنقضونها وغير ذلك من أفعالكم، محص ذلك كله عليكم، وهو مسائلكم عنها وعما عملتم فيها، يقول: فاحذروا الله أن تلقوه وقد خالفتم فيها أمره ونهيه، فتستوجبوا بذلك منه ما لا قبل لكم به من أليم عقابه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره ناهيا عباده عن نقض الأيمان بعد توكيدها، وأمرًا بوفاء العهود، وممثلا ناقض ذلك بناقضة غزلها من بعد إبرامه وناكثته من بعد إحكامه: ولا تكونوا أيها الناس في نقضكم أيمانكم بعد توكيدها وإعطائكم الله بالوفاء بذلك العهود والمواثيق ﴿كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ يعني: من بعد إبرام. وكان بعض أهل العربية يقول: القوة: ما غزل على طاقة واحدة ولم يشن. وقيل: إن التي كانت تفعل ذلك امرأة حمقاء معروفة بمكة. وقال آخرون: إنما هذا مثل ضربه الله لمن نقض العهد، فشبهه بامرأة تفعل هذا الفعل. وقالوا في معنى نقضت غزلها من بعد قوة، نحوا مما قلنا كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿أَنْكَاثًا﴾ يعني: أنقاضا، وكلّ شيء نقض بعد الفتل فهو أنكاث، واحدها: نكث حبالا كان ذلك أو غزلا يقال منه: نكث فلان هذا الحبل فهو ينكثه نكثا، والحبل متنكث: إذا انتقضت قواه. وإنما عني به في هذا الموضع نكث العهد والعقد. وقوله

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ يقول تعالى ذكره: تجعلون أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم موفون بالعهد لمن عاقدتموه ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ يقول: خديعة وغرور ليطمئنوا إليكم وأنتم مضمرون لهم الغدر وترك الوفاء بالعهد والثقله عنهم إلى غيرهم من أجل أن غيرهم أكثر عددًا منهم. والدخل في كلام العرب: كل أمر لم يكن صحيحًا، يقال منه: أنا أعلم دخل فلان ودخله وداخله أمره ودخلته ودخيلته. وأما قوله ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ فإن قوله أربي: أفعّل من الربا، يقال: هذا أربي من هذا وأربأ منه، إذا كان أكثر منه؛ وإنما يقال: أربي فلان من هذا وذلك للزيادة التي يزيدها على غريمه على رأس ماله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿إِنَّمَا يُلَوِّكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بعهد الله إذا عاهدتم، ليتبين المطيع منكم المنتهي إلى أمره ونبيه من العاصي المخالف أمره ونبيه ﴿وَلَيَسِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولييسن لكم أيها الناس ربكم يوم القيامة إذا وردتم عليه بمجازاة كل فريق منكم على عمله في الدنيا، المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ والذي كانوا فيه يختلفون في الدنيا أن المؤمن بالله كان يقرّ بوحدانية الله ونبوة نبيه، ويصدق بما ابتهت به أنبياءه، وكان يكذب بذلك كله الكافر فذلك كان اختلافهم في الدنيا الذي وعد الله تعالى ذكره عباده أن يبينه لهم عند ورودهم عليه بما وصفنا من البيان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم أيها الناس للطف بكم بتوفية من عنده، فصرتم جميعًا جماعة واحدة، وأهل ملة واحدة لا تختلفون ولا تفرقون، ولكنه تعالى ذكره خالف بينكم، فجعلكم أهل ملل شتى، بأن وفق هؤلاء للإيمان به، والعمل بطاعته، فكانوا مؤمنين، وخذل هؤلاء فحرمهم توفيقه فكانوا كافرين، وليسألنكم الله جميعًا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا فيما أمركم ونهاكم، ثم ليجازينكم جزاء المطيع منكم بطاعته، والعاصي له بمعصيته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تتخذوا أيمانكم بينكم دخلًا وخديعة بينكم، تغزون بها الناس ﴿فَتَرِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ يقول: فتهلكوا بعد أن كنتم من الهلاك آمنين. وإنما هذا مثل لكل مبتلى بعد عافية، أو ساقط في ورطة بعد سلامة، وما أشبه ذلك: ﴿زَلَّتْ قَدَمُهُ﴾، وقوله ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ يقول: وتذوقوا أنتم السوء وذلك السوء: هو عذاب الله الذي يعذب به أهل معاصيه في الدنيا، وذلك بعض ما عذب به أهل الكفر ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: بما فتنتم من أراد الإيمان بالله ورسوله عن الإيمان ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة، وذلك نار جهنم، وهذه الآية تدل على أن تأويل بريدة الذي ذكرنا عنه، في قوله ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ والآيات التي بعدها، أنه عني بذلك: الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الإسلام، عن مفارقة الإسلام لقلة أهلهم، وكثرة أهل الشرك هو الصواب، دون الذي قال مجاهد أنهم عناه به، لأنه ليس في انتقال قوم تحالفوا عن حلفائهم إلى آخرين غيرهم، صد عن سبيل الله ولا ضلال عن الهدى، وقد وصف

تعالى ذكره في هذه الآية فاعلي ذلك، أنهم باتخاذهم الأيمان دَحَلًا بينهم، ونقضهم الأيمان بعد توكيدها، صادون عن سبيل الله، وأنهم أهل ضلال في التي قبلها، وهذه صفة أهل الكفر بالله لا صفة أهل الثقة بالحلف عن قوم إلى قوم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِيمَانًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْقُذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنْجَزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تقضوا عهودكم أيها الناس، وعقودكم التي عاقدتموها من عاقدتم مؤكديها بأيمانكم، تطلبون بنقضكم ذلك عرضًا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بعهد الله الذي أمركم بالوفاء به، يشبكم الله على الوفاء به، فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بذلك، هو خير لكم إن كنتم تعلمون، فضل ما بين العوضين اللذين أحدهما الثمن القليل، الذي تشترون بنقض عهد الله في الدنيا، والآخر الثواب الجزيل في الآخرة على الوفاء به، ثم بين تعالى ذكره فرق ما بين العوضين وفضل ما بين الثوابين، فقال: ما عندكم أيها الناس مما تملكونه في الدنيا، وإن كثر فنافذ فان، وما عند الله لمن أوفى بعهده وأطاعه من الخيرات باق غير فان، فلما عنده فاعملوا وعلى الباقي الذي لا يفنى فاحرصوا. وقوله ﴿وَلَنْجَزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وليشبن الله الذين صبروا على طاعتهم إياه في السراء والضراء، ثوابهم يوم القيامة على صبرهم عليها، ومسارعتهم في رضاه، بأحسن ما كانوا يعملون من الأعمال دون أسوئها، وليغفرن الله لهم سيئها بفضله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: من عمل بطاعة الله، وأوفى بعهد الله إذا عاهد من ذكر أو أنثى من بني آدم وهو مؤمن: يقول: وهو مصدق بثواب الله الذي وعد أهل طاعته على الطاعة، وبوعيد أهل معصيته على المعصية ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. واختلف أهل التأويل في الذي عني الله بالحياة الطيبة التي وعد هؤلاء القوم أن يُحْيِيَهُمُوهَا، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويل ذلك: فلنحيينه حياة طيبة بالقناعة، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تبعه، ولم يعظم فيها نصبه ولم يتكدر فيها عيشه باتباعه بغية ما فاته منها وحرصه على ما لعله لا يدركه فيها. وإنما قلت ذلك أولى التأويلات في ذلك بالآية، لأن الله تعالى ذكره أوعد قوما قبلها على معصيتهم إياه إن عصوه أذاقهم السوء في الدنيا، والعذاب في الآخرة، فقال تعالى ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَحَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فهذا لهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب عظيم، فهذا لهم في الآخرة. ثم أتبع ذلك لمن أوفى بعهد الله وأطاعه فقال تعالى: ما عندكم في الدنيا ينفذ، وما عند الله باق، فالذي هذه السيئة يحكمته أن يعقب ذلك الوعد لأهل طاعته بالإحسان في الدنيا، والغفران في الآخرة، وكذلك فعل تعالى ذكره. وأما القول الذي روي عن ابن عباس أنه الرزق الحلال، فهو مُحْتَمَلٌ أن يكون معناه الذي قلنا في ذلك، من أنه تعالى يقنعه في الدنيا بالذي يرزقه من الحلال، وإن قل فلا تدعوه نفسه إلى الكثير منه من غير حله. لا أنه يرزقه الكثير من الحلال، وذلك أن أكثر العاملين لله تعالى بما يرضاه من الأعمال لم نرهم رزقوا الرزق الكثير من الحلال في الدنيا، ووجدنا ضيق العيش عليهم أغلب من السعة. وقوله ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ

بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٤﴾ فذلك لا شك أنه في الآخرة. وكذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقيل: إن هذه الآية نزلت بسبب قوم من أهل مِلَلٍ شتى تفاخروا، فقال أهل كل ملة منها: نحن أفضل، فبين الله لهم أفضل أهل الملل. كما جاء عن أبي صالح

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ ١٧٤ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٧٦﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. وليس قوله ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ بالأمر اللازم، وإنما هو إعلام وندب. وذلك أنه لا خلاف بين الجميع، أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم. قبل قرأته أو بعدها أنه لم يضع فرضاً واجباً. وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا. كما جاء عن ابن زيد وأما قوله ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فإنه يعني بذلك: أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ يقول: وعلى ربهم يتوكلون فيما ناههم من مهمات أمورهم ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ يقول: إنما حجته على الذين يعبدونه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ يقول: والذين هم بالله مشركون. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله لم يسلط فيه الشيطان على المؤمن. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا فاستعاذوا بالله منه، بما ندب الله تعالى ذكره من الاستعاذة ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ على ما عرض لهم من خطراته ووساوسه. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالآية، لأن الله تعالى ذكره أتبع هذا القول ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿وَمَا يَزْعُغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فكان بيننا بذلك أنه إنما ندب عباده إلى الاستعاذة منه في هذه الأحوال ليُعِيذَهُمْ مِنْ سُلْطَانِهِ. وأما قوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم فيه بما قلنا إن معناه: والذين هم بالله مشركون. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: معنى ذلك: والذين هم به مشركون، أشركوا الشيطان في أعمالهم. كما جاء عن الربيع والقول الأول، أعني قول مجاهد، أولى القولين في ذلك بالصواب، وذلك أن الذين يتولون الشيطان إنما يشركونه بالله في عبادتهم وذبائحهم ومطاعمهم ومشاربهم، لا أنهم يشركون بالشيطان. ولو كان معنى الكلام ما قاله الربيع، لكان التنزيل: الذين هم مشركوه، ولم يكن في الكلام به، فكان يكون لو كان التنزيل كذلك، والذين هم مشركوه في أعمالهم، إلا أن يوجه موجه معنى الكلام، إلى أن القوم كانوا يدينون بألوهة الشيطان، ويشركون الله به في عبادتهم إياه، فيصح حينئذ معنى الكلام، ويخرج عما جاء التنزيل به في سائر القرآن، وذلك أن الله تعالى وصف المشركين في سائر سور القرآن أنهم أشركوا بالله، ما لم ينزل به عليهم سلطاناً، وقال في كل موضع تقدم إليهم بالزجر عن ذلك، لا تشركوا بالله شيئاً، ولم نجد في شيء من التنزيل: لا تشركوا الله بشيء، ولا في شيء من القرآن. خبراً من الله عنهم أنهم أشركوا الله بشيء فيجوز لنا توجيه معنى قوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ إلى والذين هم بالشيطان مشركو الله. فبين إذاً إذ كان ذلك كذلك، أن الهاء في قوله ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ عائدة على الرب في قوله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا نسخنا حكم آية، فأبدلنا مكانه حكم أخرى، والله أعلم بما ينزل: يقول: والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدل ويغير من أحكامه، قالوا: إنما أنت مفتر يقول: قال المشركون بالله، المكذبو رسوله لرسوله: إنما أنت يا محمد مفتر: أي مكذب تخرص بتقول الباطل على الله، يقول الله تعالى بل أكثر هؤلاء القائلين لك يا محمد: إنما أنت مفتر جهال، بأن الذي تأتيتهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه، لا يعلمون حقيقة صحته. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للقائلين لك إنما أنت مفتر فيما تلو عليهم من أي كتابنا، أنزله روح القدس: يقول: قل جاء به جبرئيل من عند ربي بالحق. وقد بينت في غير هذا الموضع معنى: روح القدس، بما أغنى عن إعادته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن محمد بن كعب وقوله ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول تعالى ذكره: قل نزل هذا القرآن ناسخه ومنسوخه، روح القدس علي من ربي، تثبيتاً للمؤمنين، وتقوية لإيمانهم، ليزدادوا بتصدقهم لناسخه ومنسوخه إيماناً لإيمانهم، وهدى لهم من الضلالة، وبُشْرَى للمسلمين الذين استسلموا لأمر الله، وانقادوا لأمره ونهيه، وما أنزله في أي كتابه، فأقروا بكل ذلك، وصدقوا به قولاً وعملاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلاً منهم: إنما يعلم محمداً هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه: يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمداً أعجمي، وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمداً هذا القرآن عبد رومي، فلذلك قال تعالى ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ يقول: وهذا القرآن لسان عربي مبين. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في اسم الذي كان المشركون يزعمون أنه يعلم محمداً ﷺ هذا القرآن من البشر، فقال بعضهم: كان اسمه بلعام، وكان قينا بمكة نصرباً. كما جاء عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة، وكان أعجمي اللسان، وكان اسمه بلعام، فكان المشركون يزعمون رسول الله ﷺ حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. وقال آخرون: اسمه يعيش. كما جاء عن عكرمة، قال: كان النبي ﷺ، يقرئ غلاماً لبني المغيرة أعجمياً، قال سفيان: أراه يقال له: يعيش، قال: فذلك قوله ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ وقال آخرون: بل كان اسمه جبر. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام نصراني يقال له جبر، عبد لبني بياضة الحضرمي، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام الحضرمي، فأنزل الله تعالى في قولهم ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا

يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ. وقال آخرون: بل كانا غلامين اسم أحدهما يسار والآخر جبر. كما جاء عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: أنه كان لهم عبدان من أهل غير اليمن، وكانا طفلين، وكان يُقال لأحدهما يسار، والآخر جبر، فكانا يقرآن التوراة، وكان رسول الله ﷺ ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. وقال آخرون: بل كان ذلك سلمان الفارسي. كما جاء عن الضحاك، وقيل: إن الذي قال ذلك رجل كاتب لرسول الله ﷺ ارتدَّ عن الإسلام. كما جاء سعيد بن المسيب: أن الذي ذكر الله إنما يعلمه بشر، إنما افتتن إنه كان يكتب الوحي، فكان يملئ عليه رسول الله ﷺ: "سميع عليم" أو "عزيز حكيم" وغير ذلك من خواتم الآي، ثم يشتغل عنه رسول الله ﷺ وهو على الوحي، فيستفهم رسول الله ﷺ، فيقول: أعزیز حكيم، أو سميع عليم، أو عزيز عليم؟ فيقول رسول الله ﷺ: أي ذلك كتبت فهو كذلك، ففتنه ذلك، فقال: إن محمداً يكل ذلك إليّ، فأكتب ما شئت، وهو الذي ذكر في سعيد بن المسيب من الحروف السبعة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٣٠﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٣١﴾ يقول تعالى إن الذين لا يؤمنون بحجج الله وأدلتها، فيصدّقون بما دلت عليه ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ يقول: لا يوفقههم الله لإصابة الحق، ولا يهديهم لسيبل الرشd في الدنيا، ولهم في الآخرة وعند الله إذا وردوا عليه يوم القيامة عذاب مؤلم موجه. ثم أخبر تعالى ذكره المشركين الذين قالوا للنبي ﷺ: إنما أنت مفتر، أنهم هم أهل الفرية والكذب، لا نبي الله ﷺ، والمؤمنون به، وبرأ من ذلك نبيه ﷺ وأصحابه، فقال: إنما يتخرّص الكذب، ويتقول الباطل، الذين لا يصدّقون بحجج الله وإعلامه، لأنهم لا يرجون على الصدق ثواباً، ولا يخافون على الكذب عقاباً، فهم أهل الإفك واقتراء الكذب، لا من كان راجياً من الله على الصدق الثواب الجزيل، وخائفاً على الكذب العقاب الأليم. وقوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ يقول: والذين لا يؤمنون بآيات الله هم أهل الكذب لا المؤمنون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٣٢﴾ وذكر أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنهم المشركون عن دينهم، فثبت على الإسلام بعضهم، وافتتن بعض. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾... إلى آخر الآية، وذلك أن المشركين أصابوا عمار بن ياسر فعذبوه، ثم تركوه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فحدثه بالذي لقي من قريش، والذي قال: فأنزل الله تعالى ذكره عذره ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾... إلى قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. فتأويل الكلام إذن: من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره على الكفر، فنتق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، موقن بحقيقته، صحيح عليه عزمه، غير مفسوح الصدر بالكفر، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختره وأثره على الإيمان، وباح به طائعا، فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب عظيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك ورد الخبر، عن ابن عباس.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧) يقول تعالى ذكره: حل بهؤلاء المشركين غضب الله، ووجب لهم العذاب العظيم، من أجل أنهم اختاروا زينة الحياة الدنيا على نعيم الآخرة، ولأن الله لا يوفق القوم الذين يجحدون آياته مع إصرارهم على جحودها.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٨) لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء المشركون الذين وصفت لكم صفتهم في هذه الآيات أيها الناس، هم القوم الذين طبع الله على قلوبهم، فحتم عليها بطابعه، لا يؤمنون ولا يهتدون، وأصم أسماعهم فلا يسمعون داعي الله إلى الهدى، وأعمى أبصارهم فلا يبصرون بها حجج الله إِبْصَارًا معتبر ومتعظ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ يقول: وهؤلاء الذين جعل الله فيهم هذه الأفعال هم الساهون، عما أعد الله لأمثالهم من أهل الكفر وعما يراد بهم. وقوله ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الهالكون، الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من كرامة الله تعالى.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: ثم إن ربك يا محمد للذين هاجروا من ديارهم ومساكنهم وعشائرهم من المشركين، وانتقلوا عنهم إلى ديار أهل الإسلام ومساكنهم وأهل ولايتهم، من بعد ما فتنهم المشركون الذين كانوا بين أظهرهم قبل هجرتهم عن دينهم، ثم جاهدوا المشركين بعد ذلك بأيديهم بالسيف وبألسنتهم بالبراءة منهم، ومما يعبدون من دون الله، وصبروا على جهادهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: إن ربك من بعد فعلتهم هذه لهم لغفور، يقول: لذو ستر على ما كان منهم من إعطاء المشركين ما أرادوا منهم من كلمة الكفر بألسنتهم، وهم لغيرها مضمرون، وللإيمان معتقدون، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها مع إنابتهم إلى الله وتوبتهم. وذكر عن بعض أهل التأويل أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا تخلفوا بمكة بعد هجرة النبي ﷺ، فاشتد المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم، فأيسوا من التوبة، فأنزل الله فيهم هذه الآية: فهاجروا ولحقوا برسول الله ﷺ. قال ابن جريج: قال الله تعالى ذكره: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ ثم نسخ واستثنى، فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وجاء عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقُتل بعض، فقال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكروها فاستغفروا لهم، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾... إلى آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجًا، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتل من قُتل. وقال آخرون: بل نزلت

هذه الآية في شأن ابن أبي سرح. كما جاء عن عكرمة والحسن البصري، قالا في سورة النحل ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ سَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ثم نسخ واستثنى من ذلك، فقال ﴿ثُمَّ إِنْ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهو عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب لرسول الله ﷺ، فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر به النبي ﷺ أن يُقتل يوم فتح مكة، فاستجار له أبو عمرو فأجاره النبي ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك من بعدها لغفور رحيم ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾ تخاصم عن نفسها، وتحتج عنها بما أسلفت في الدنيا من خير أو شر أو إيمان أو كفر، ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ في الدنيا من طاعة ومعصية ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: يقول: وهم لا يفعل بهم إلا ما يستحقونه ويستوجبونه بما قدموه من خير أو شر، فلا يجزى المحسن إلا بالإحسان ولا المسيء إلا بالذي أسلف من الإساءة، لا يعاقب محسن ولا يبخس جزاء إحسانه، ولا يثاب مسيء إلا ثواب عمله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يقول الله تعالى ذكره: ومثل الله مثلاً لمكة التي سكنها أهل الشرك بالله هي القرية التي كانت آمنة مطمئنة، وكان أهلها أن العرب كانت تتعادي، ويقتل بعضها بعضاً، ويسبي بعضها بعضاً، وأهل مكة لا يغار عليهم، ولا يحاربون في بلدهم، فذلك كان أمنها. وقوله ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ يعني: قارة بأهلها، لا يحتاج أهلها إلى النجعة، كما كان سكان البوادي يحتاجون إليها ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ يقول: يأتي أهلها معاشهم واسعة كثيرة. وقوله ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني: من كل فج من فجاج هذه القرية، ومن كل ناحية فيها. وبنحو الذي قلنا في أن القرية التي ذكرت في هذا الموضع أريد بها مكة، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ يقول تعالى ذكره: فأذاق الله أهل هذه القرية لباس الجوع، وذلك جوع خالط أذاه أجسامهم، فجعل الله تعالى ذكره ذلك لمخالطته أجسامهم بمنزلة اللباس لها. وذلك أنهم سلط عليهم الجوع سنين متوالية بدعاء رسول الله ﷺ، حتى أكلوا العلهز والجيف. قال أبو جعفر: والعهز: الوبر يعجن بالدم والقراد يأكلونه؛ وأما الخوف فإن ذلك كان خوفهم من سرايا رسول الله ﷺ التي كانت تطيف بهم. وقوله ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يقول: بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله، ويجحدون آياته، ويكذبون رسوله، وقال: بما كانوا يصنعون، وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية، لأن الخبر وإن كان جرى في الكلام عن القرية، استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها، فإن المراد أهلها فلذلك قيل ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فرد الخبر إلى أهل القرية، وذلك نظير قوله ﴿فَجَاءَهَا بِأُنْسًا يَبَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ ولم يقل قائلة، وقد قال قبله ﴿فَجَاءَهَا بِأُنْسًا﴾، لأنه رجع بالخبر إلى الإخبار عن أهل القرية، ونظائر ذلك في القرآن كثيرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد جاء أهل هذه القرية التي وصف الله صفتها في هذه الآية التي قبل هذه الآية

﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ يقول: رسول الله ﷺ منهم، يقول: من أنفسهم يعرفونه، ويعرفون نسبه وصدق لهجته، يدعوهم إلى الحق، وإلى طريق مستقيم ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ ولم يقبلوا ما جاءهم به من عند الله ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وذلك لباس الجوع والخوف مكان الأمن والطمأنينة والرزق الواسع الذي كان قبل ذلك يرزقونه، وقتل بالسيف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ يقول: وهم مشركون، وذلك أنه قتل عظماءهم يوم بدر بالسيف على الشرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فكلوا أيها الناس مما رزقكم الله من بهائم الأنعام التي أحلها لكم حلالًا طيبًا مذكاة غير محرمة عليكم ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ يقول: واشكروا الله على نعمه التي أنعم بها عليكم في تحليله ما أحل لكم من ذلك، وعلى غير ذلك من نعمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يقول: إن كنتم تعبدون الله، فتطيعونه فيما يأمركم وينهاكم. وكان بعضهم يقول: إنما عنى بقوله ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ طعامًا كان بعث به رسول الله ﷺ إلى المشركين من قومه في سني الجذب والقحط رقة عليهم، فقال الله تعالى للمشركين: فكلوا مما رزقكم الله من هذا الذي بعث به إليكم حلالًا طيبًا، وذلك تأويل بعيد مما يدل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى قد أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾... الآية والتي بعدها، فبين بذلك أن قوله ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا﴾ إعلام من الله عباده أن ما كان المشركون يحرمونه من البحائر والسوائب والوصائل، وغير ذلك مما قد بينا قبل فيما مضى لا معنى له، إذ كان ذلك من خطوات الشيطان، فإن كل ذلك حلال لم يحرم الله منه شيئًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره مكدبًا المشركين الذين كانوا يحرمون ما ذكرنا من البحائر وغير ذلك: ما حرم الله عليكم أيها الناس إلا الميتة والدم ولحم الخنزير، وما ذبح للأنصاب، فسمي عليه غير الله، لأن ذلك من ذبائح من لا يحل أكل ذبيحته، فمن اضطر إلى ذلك أو إلى شيء منه لمجاعة حلت فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: ذو ستر عليه أن يؤاخذ به بأكله ذلك في حال الضرورة، رحيم به أن يعاقبه عليه. وقد بينا اختلاف المختلفين في قوله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ والصواب عندنا من القول في ذلك بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته. القول في قوله عز وجل ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال أبو جعفر: تأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك لما ذكرنا: ولا تقولوا الوصف ألسنتكم الكذب فيما رزق الله عباده من المطاعم: هذا حلال، وهذا حرام، كي تفتروا على الله بقتلكم ذلك الكذب، فإن الله لم يحرم من ذلك ما تحرمون، ولا أحل كثيرًا مما تجلون، ثم تقدم إليهم بالوعيد على كذبهم عليه، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ يقول: إن الذين يتخرصون على الله الكذب ويختلقونه، لا يخلدون في الدنيا، ولا يبقون فيها، إنما يتمتعون فيها قليلًا. وقال ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ فرفع، لأن المعنى الذي هم فيه من هذه الدنيا متاع قليل، أو لهم متاع قليل في الدنيا. وقوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: ثم إلينا مرجعهم ومعادهم، ولهم على كذبهم وافترائهم على الله بما كانوا يفترون

عذاب عند مصيرهم إليه أليم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود، ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام، وذلك كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم، حرّمنا عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بتحريمنا ذلك عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فجزيناهم ذلك ببيعهم على ربهم، وظلمهم أنفسهم بمعصية الله، فأورثهم ذلك عقوبة الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك للذين عصوا الله فجهلوا بركوبهم ما ركبوا من معصية الله، وسفهاوا بذلك ثم راجعوا طاعة الله والندم عليها، والاستغفار والتوبة منها، من بعد ما سلف منهم ما سلف من ركوب المعصية، وأصلح فعمل بما يحب الله ويرضاه ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ يقول: إن ربك يا محمد من بعد توبتهم له ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ شَاكِراً لَأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ يقول تعالى ذكره: إن إبراهيم خليل الله كان معلّم خير، يأتّم به أهل الهدى قانتا، يقول: مطيعاً لله حنيفاً: يقول: مستقيماً على دين الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ولم يك يشرك بالله شيئاً، فيكون من أولياء أهل الشرك به، وهذا إعلام من الله تعالى أهل الشرك به من قريش أن إبراهيم منهم بريء وأنهم منه برآء ﴿شَاكِراً لَأَنْعُمِهِ﴾ يقول: كان يخلص الشكر لله فيما أنعم عليه، ولا يجعل معه في شكره في نعمه عليه شريكاً من الآلهة والأنداد وغير ذلك، كما يفعل مشركو قريش ﴿اجْتَبَاهُ﴾ يقول: اصطفاه واختاره لخلّته ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: وأرشده إلى الطريق المستقيم، وذلك دين الإسلام لا اليهودية ولا النصرانية. وبنحو الذي قلنا في معنى ﴿أُمَّةً قَانِتًا﴾ قال أهل التأويل. وذكر في الأُمَّة أشياء مختلف فيها، قال ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ يعني: بعد حين و﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾. عن شهر بن حوشب، قال: لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض وتخرج بركتها، إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده. وجاء ذلك عن ابن علية وزاد فيه: الأُمَّة: الذي يعلم الخير ويؤتّم به، ويقتدى به؛ والقانت: المطيع لله وللرسول، عن مسروق، قال: قرأت عند عبد الله بن مسعود ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ فقال: إن معاذاً كان أُمَّةً قانتاً، قال: فأعادوا، فأعاد عليهم، ثم قال: أتدرون ما الأُمَّة؟ الذي يعلم الناس الخير، والقانت: الذي يطيع الله. وقد بيّنا معنى الأُمَّة ووجوهها، ومعنى القانت باختلاف المختلفين فيه في غير هذا الموضع من كتابنا بشواهد، فأغنى بذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وآتيناه إبراهيم على قنوته لله، وشكره له على نعمه، وإخلاصه العبادة له في هذه الدنيا ذكراً حسناً، وثناً جميلاً باقياً على الأيام ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول: وإنه في الدار الآخرة يوم القيامة لَمِنَ صالحي أمره وشأنه عند الله، وحسنت فيها منزلته وكرامته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١٣) **إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ثم أوحينا إليك يا محمد وقلنا لك: اتبع ملة إبراهيم الحنيفية المسلمة ﴿حَنِيفًا﴾ يقول: مسلما على الدين الذي كان عليه إبراهيم، بريئا من الأوثان والأنداد التي يعبدها قومك، كما كان إبراهيم تبرا منها. وقوله ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ما فرض الله أيها الناس تعظيم يوم السبت إلا على الذين اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو أعظم الأيام، لأن الله تعالى فرغ من خلق الأشياء يوم الجمعة، ثم سبَّت يوم السبت. وقال آخرون: بل أعظم الأيام يوم الأحد، لأنه اليوم الذي ابتداء فيه خلق الأشياء، فاختاروه وتركوا تعظيم يوم الجمعة الذي فرض الله عليهم تعظيمه واستحلوه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد ليحكم بين هؤلاء المختلفين بينهم في استحلال السبت وتحريمه عند مصيرهم إليه يوم القيامة، فيقضي بينهم في ذلك وفي غيره مما كانوا فيه يختلفون في الدنيا بالحق، ويفصل بالعدل بمجازاة المصيب فيه جزاء والمخطئ فيه منهم ما هو أهله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١٥) يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ﴿ادْعُ﴾ يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام ﴿بِالْحُكْمَةِ﴾ يقول بوحى الله الذي يوحى إليك وكتابه الذي ينزله عليك ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتي عدَّد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. وقوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في السبت وغيره من خلقه، وحادَّ الله، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومَحْجَة الحق، وهو مُجَازٍ جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(١٦) يقول تعالى ذكره للمؤمنين: وإن عاقبتم أيها المؤمنون من ظلمكم واعتدى عليكم، فعاقبوه بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة، ولئن صبرتم عن عقوبته، واحسبتم عند الله ما نالكم به من الظلم، ووكلتهم أمره إليه، حتى يكون هو المتولى عقوبته ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ يقول: للصبر عن عقوبته بذلك خير لأهل الصبر احتسابا، وابتغاء ثواب الله، لأن الله يعوضه من الذي أراد أن يناله بانتقامه من ظالمه على ظلمه إياه من لذة الانتصار، وهو من قوله ﴿لَهُوَ﴾ كناية عن الصبر، وحسن ذلك، وإن لم يكن ذكر قبل ذلك الصبر لدلالة قوله: ﴿وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ عليه. وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره

أمر من عوقب من المؤمنين بعقوبة أن يعاقب من عاقبه بمثل الذي عوقب به، إن اختار عقوبته، وأعلمه أن الصبر على ترك عقوبته، على ما كان منه إليه خير وعزم على نبيه ﷺ أن يصبر، وذلك أن ذلك هو ظاهر التنزيل، والتأويلات التي ذكرناها عمن ذكروها عنه، محتملها الآية كلها. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أي ذلك عنى بها من خبر ولا عقل كان الواجب علينا الحكم بها إلى ناطق لا دلالة عليه؛ وأن يقال: هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده أن لا يتجاوزوا فيما وجب لهم قبل غيرهم من حق من مال أو نفس، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لا دلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة وجهاً صحيحاً مفهوماً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واصبر يا محمد على ما أصابك من أذى في الله. ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ يقول: وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله، وتوفيقه إياك لذلك ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: ولا تحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونك وينكرون ما جئتهم به في آن ولوا عنك وأعرضوا عما أتيتهم به من النصيحة ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ يقول: ولا يضيق صدرك بما يقولون من الجهل، ونسبتهم ما جئتهم به إلى أنه سحر أو شعر أو كهانة، مما يمكرون: مما يحتالون بالخدع في الصد عن سبيل الله، من أراد الإيمان بك، والتصديق بما أنزل الله إليك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يا محمد ﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله في محارمه فاجتنبوها، وخافوا عقابه عليها، فأحجموا عن التقدم عليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ يقول: وهو مع الذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وجاء عن قتادة، قال: ذكر لنا أن هَرَمَ بن حَيَّانَ الْعَبْدِي لما حضره الموت، قيل له: أوص، قال: ما أدري ما أوصي، ولكن بيعوا درعي، فاقضوا عني ديني، فإن لم تف، فبيعوا فرسي، فإن لم يف فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال بل نصبر.

آخر سورة النحل



تفسير سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ تنزيها للذي أسرى بعبدته وتبرئة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا: وأن له صاحبة وولدا، وعلوا له وتعظيما عما أضافوه إليه، ونسبه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم. وقد بينت فيما مضى قبل، أن قوله: سبحان: اسم وُضع موضع المصدر، فنصب لوقوعه موقعه بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد كان بعضهم يقول: نصب لأنه غير موصوف، وللعرب في التسييح أماكن تستعمله فيها، فمنها الصلاة، كان كثير من أهل التأويل يتأولون قول الله ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: فلو لا أنه كان من المصلين. ومنها الاستثناء، كان بعضهم يتأول قول الله تعالى ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: لولا تستثنون، وزعم أن ذلك لغة لبعض أهل اليمن، ويستشهد لصحة تأويله ذلك بقوله ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ فذكرهم تركهم الاستثناء. ومنها النور، وكان بعضهم يتأول في الخبر الذي روي عن النبي ﷺ: "لولا ذلك لأحرقت سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَدْرَكْتُ مِنْ شَيْءٍ" أنه عنى بقوله سبحات وجهه: نور وجهه. ونحن الذي قلنا في تأويل قوله ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾، قال أهل التأويل. ذكرنا من الآثار في ذلك ما فيه الكفاية فيما مضى من كتابنا هذا قبل. والإسراء والسرى: سير الليل. فمن قال: أسرى، قال: يسري إسراء؛ ومن قال: سري، قال: يسري سري، ويعني بقوله ﴿لَيْلًا﴾ من الليل. وكذلك كان حذيفة بن اليمان يقرأها. وأما قوله ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فإنه اختلف فيه وفي معناه. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله عز وجل أخبر أنه أسرى بعبدته من المسجد الحرام والمسجد الحرام هو الذي يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه، وقوله ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويبتغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام. فتأويل الكلام تنزيها لله، وتبرئة له مما نحله المشركون من الإشراف والأنداد والصاحبة، وما يجلب عنه جل جلاله، الذي سار بعبدته ليلا من بيته الحرام إلى بيته الأقصى. ثم اختلف أهل العلم في صفة إسراء الله تبارك وتعالى بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبدته محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أن الله حملة على البراق حين أتاه به، وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل، فأراه ما أراه من الآيات؛ ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده، لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلا

على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك، وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه، إذ لم يكن منكرا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟ وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبد، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره. فإن ظنَّ ظانٌّ أن ذلك جائز، إذ كانت العرب تفعل ذلك في كلامها، يعني: حسبت بغام راحلتي صوت عناق، فحذف الصوت واكتفى منه بالعناق، فإن العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوما مراد المتكلم منهم به من الكلام. فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلا ببيانه، فإنها لا تحذف ذلك؛ ولا دلالة تدلُّ على أن مراد الله من قوله ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ أسرى بروح عبده، بل الأدلة الواضحة، والأخبار المتتابعة عن رسول الله ﷺ أن الله أسرى به على دابة يُقال لها البراق؛ ولو كان الإسراء بروحه لم تكن الروح محمولة على البراق، إذ كانت الدواب لا تحمل إلا الأجسام. إلا أن يقول قائل: إن معنى قولنا: أسرى روحه: رأى في المنام أنه أسرى بجسده على البراق، فيكذب حينئذ بمعنى الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ، أن جبرائيل حمله على البراق، لأن ذلك إذا كان مناما على قول قائل هذا القول، ولم تكن الروح عنده مما تركب الدواب، ولم يحمل على البراق جسم النبي ﷺ، لم يكن النبي ﷺ على قوله حُمِلَ على البراق لا جسمه، ولا شيء منه، وصار الأمر عنده كبعض أحلام النائمين، وذلك دفع لظاهر التنزيل، وما تابعت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وجاءت به الآثار عن الأئمة من الصحابة والتابعين. كالذي جاء عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره "شك أبو جعفر" في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قال: جاء جبرائيل إلى النبي ﷺ ومعه ميكائيل، فقال جبرائيل لميكائيل: ائني بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه، وأشرح له صدره، قال: فشق عن بطنه، فغسله ثلاث مرّات، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طسات من ماء زمزم، فشرح صدره، ونزع ما كان فيه من غلٍّ، وملاه حلما وعلمًا وإيمانًا و يقينًا وإسلامًا، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة، ثم أتاه بفرس فحمل عليه كل خطوة منه منتهى طرفه وأقصى بصره، قال: فسار وسار معه جبرائيل عليه السلام، فأتي على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال النبي ﷺ: يا جبرائيل ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين؛ ثم أتى على قوم تُرضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رضخت عادت كما كانت، لا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال: ما هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة؛ ثم أتى على قوم على أقبالهم رقا، وعلى أدبارهم رقا، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها، قال: ما هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدّون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئًا، وما الله بظلام للعبيد، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج في قدور، ولحم آخر في قدر خبيث، فجعلوا يأكلون من النيء، ويدعون النضيج الطيب، فقال: ما هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هذا الرجل من أمتك، تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها

حلالا طيبا، فنأتي رجلا خبيثا، فتبيت معه حتى تصبح؛ قال: ثم أتى على خشبة في الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته، ولا شيء إلا خرقتة، قال: ما هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه. ثم قرأ ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ...﴾ الآية. ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: ما هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها، وهو يزيد عليها، ويريد أن يحملها، فلا يستطيع ذلك؛ ثم أتى على قوم تقررص ألستهم وشفاههم بمقاريض من حديد، كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: ما هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء خطباء أمتك خطباء الفتنة يقولون ما لا يفعلون، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: ما هذا يا جبرائيل؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة، ثم يندم عليها، فلا يستطيع أن يردّها، ثم أتى على واد، فوجد ريحا طيبة باردة، وفيه ريح المسك، وسمع صوتا، فقال: يا جبرائيل ما هذه الرّيح الطّيبّة الباردة وهذه الرائحة التي كريح المسك، وما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت الجنة تقول: يا ربّ آتني ما وعدتني، فقد كثرت غرقي وإستبرقي وحريري وسندسي وعبقري، ولؤلؤي ومرجاني، وفضتي وذهبي، وأكوابي وصحافي وأباريقي، وفواكهي ونخلي ورماني، ولبني وخمري، فأتني ما وعدتني، فقال: لك كل مسلم ومسلمة، ومؤمن ومؤمنة، ومن آمن بي وبرسلي، وعمل صالحا ولم يشرك بي، ولم يتخذ من دوني أندادا، ومن خشيني فهو آمن، ومن سألتني أعطيته، ومن أقرضني جزيته، ومن توكل عليّ كفيت، إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد، وقد أفلح المؤمنون، وتبارك الله أحسن الخالقين، قالت: قد رضيت؛ ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا، ووجد ريحا منتنة، فقال: وما هذه الرّيح يا جبرائيل وما هذا الصوت؟ قال: هذا صوت جهنم، تقول: يا ربّ آتني ما وعدتني، فقد كثرت سلاسلي وأغلاللي، وسعيري وجحيمي، وضريعي وغسّاقلي، وعذابي وعقابي، وقد بعد قعري واشتدّ حرّي، فأتني ما وعدتني، قال: لك كل مشرك ومشركة، وكافر وكافرة، وكل خبيث وخبيثة، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب، قالت: قد رضيت؛ قال: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل فربط فرسه إلى صخرة، ثم دخل فصلى مع الملائكة؛ فلما قضيت الصلاة. قالوا: يا جبرائيل من هذا معك؟ قال: محمد، فقالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء؛ قال: ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربه، فقال إبراهيم: الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما، وجعلني أمة قانتا لله يؤتمّ بي، وأنقذني من النار، وجعلها عليّ بردا وسلاما؛ ثم إن موسى أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي كلمني تكليما، وجعل هلاك آل فرعون ونجاة بني إسرائيل على يدي، وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون؛ ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه، فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكا عظيما وعلمني الزّبور، وألان لي الحديد، وسخر لي الجبال يسبحن والطير، وأعطاني الحكمة وفصل الخطاب؛ ثم إن سليمان أثنى على ربه، فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح، وسخر لي الشياطين، يعملون لي ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات، وعلمني منطق الطير، وآتاني من كلّ شيء فضلا وسخر لي جنود الشياطين والإنس والطير، وفصّلني على كثير من عباده المؤمنين،

وَأَتَانِي مُلْكًا عَظِيمًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَجَعَلَ مُلْكِي مُلْكًا طَيِّبًا لَيْسَ عَلَيَّ فِيهِ حِسَابٌ؛ ثُمَّ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي عَلَى رُجُلَيْهِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي كَلِمَةً وَجَعَلَ مِثْلِي مِثْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، وَعَلَّمَنِي الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَجَعَلَنِي أَخْلُقَ مِنَ الطَّيْنِ هَيْئَةَ الطَّيْرِ، فَأَنْفَخَ فِيهِ، فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَجَعَلَنِي أَبْرَأَ الْأَكْمَةِ وَالْأُرْصِ، وَأَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَرَفَعَنِي وَطَهَّرَنِي، وَأَعَاذَنِي وَأَمَى مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ؛ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ أَتَانِي عَلَى رُجُلَيْهِ، فَقَالَ: كَلِّكُمْ أَتْنِي عَلَى رُجُلَيْهِ، وَأَنَا مُثْنٍ عَلَى رُجُلَيْهِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِّلنَّاسِ نَبِيًّا وَنَذِيرًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِّلنَّاسِ، وَجَعَلَ أُمَّتِي وَسَطًا، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمْ الْأَوَّلُونَ وَهُمْ الْآخِرُونَ، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِي وَزْرِي وَزَفَعَ لِي ذِكْرِي، وَجَعَلَنِي فَاتِحًا خَاتَمًا، قَالَ إِبْرَاهِيمُ: هَذَا فَضْلُكُمْ مُحَمَّدٌ. - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَهُوَ الرَّازِي: خَاتَمُ النَّبُوَّةِ، وَفَاتِحُ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ثُمَّ أَتَى إِلَيْهِ بَأْنِيَّةٌ ثَلَاثَةٌ مَغْطَاةٌ أَفْوَاهُهُنَّ، فَاتَى بِإِنَاءٍ مِنْهَا فِيهِ مَاءٌ، فَقِيلَ: اشْرَبْ، فَشَرِبَ مِنْهُ يَسِيرًا، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ إِنَاءً آخَرَ فِيهِ لَبَنٌ، فَقِيلَ لَهُ: اشْرَبْ، فَشَرِبَ مِنْهُ حَتَّى رَوَى، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ إِنَاءً آخَرَ فِيهِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لَهُ: اشْرَبْ، فَقَالَ: لَا أُرِيدُهُ قَدْ رَوَيْتَ، فَقَالَ لَهُ جَبْرَائِيلُ ﷺ: أَمَا إِنِّهَا سَتَحَرِّمُ عَلَيَّ أَمْتِكَ، وَلَوْ شَرِبْتَ مِنْهَا لَمْ يَتَبَعَكَ مِنْ أَمْتِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ، ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ جَبْرَائِيلُ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِهَا، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرَائِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ فَقَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ، وَنَعَمْ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ تَامَّ الْخَلْقَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، كَمَا يَنْقُصُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، عَلَى يَمِينِهِ بَابٌ، يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ طَيِّبَةٌ، وَعَنْ شِمَالِهِ بَابٌ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحٌ خَبِيثَةٌ، إِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ، وَإِذَا نَظَرَ إِلَى الْبَابِ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَكَى وَحَزَنَ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا الشَّيْخُ النَّامُ الْخَلْقِ الَّذِي لَمْ يَنْقُصْ مِنْ خَلْقِهِ شَيْءٌ، وَمَا هَذَا الْبَابَانِ؟ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ، وَهَذَا الْبَابُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ بَابُ الْجَنَّةِ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ضَحَكَ وَاسْتَبَشَرَ، وَبِالْبَابِ الَّذِي عَنْ شِمَالِهِ بَابُ جَهَنَّمَ، إِذَا نَظَرَ إِلَى مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَكَى وَحَزَنَ؛ ثُمَّ صَعِدَ بِهِ جَبْرَائِيلُ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرَائِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، قَالُوا: أَوْقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ، وَنَعَمْ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَإِذَا هُوَ بِشَابِيْنٍ، فَقَالَ: يَا جَبْرَائِيلُ مَنْ هَذَا الشَّابَّانِ؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا ابْنَا الْخَالَةِ؛ قَالَ: فَصَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قَالُوا: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرَائِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ، وَنَعَمْ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَدَخَلَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ فَضَّلَ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلَّهُمْ فِي الْحُسْنِ، كَمَا فَضَّلَ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، قَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرَائِيلُ الَّذِي فَضَّلَ عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحُسْنِ؟ قَالَ: هَذَا أَخُوكَ يُوسُفُ؛ ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جَبْرَائِيلُ، قَالُوا: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالُوا: أَوْقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللَّهُ مِنْ أَخٍ وَمِنْ خَلِيفَةٍ، فَنَعَمْ الْأَخُ وَنَعَمْ الْخَلِيفَةُ، وَنَعَمْ الْمَجِيءُ جَاءَ؛ قَالَ: فَدَخَلَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا يَا جَبْرَائِيلُ؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ رَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا؛ ثُمَّ صَعِدَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ

جبرائيل، فقالوا: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء؛ ثم دخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقصّ عليهم، قال: مَنْ هَذَا يَا جَبْرَائِيلَ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَوْلَهُ؟ قال: هذا هارون المحبوب في قومه، وهؤلاء بنو إسرائيل؛ ثم صعد به إلى السماء السادسة، فاستفتح جبرئيل، فقيل له: من هذا؟ قال: جبرئيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، فإذا هو برجل جالس، فجاوزه، فبكى الرجل، فقال: يَا جَبْرَائِيلَ مَنْ هَذَا؟ قال: موسى، قال: فَمَا بِالْهُ يَبْكِي؟ قال: تزعم بنو إسرائيل أني أكرم بنى آدم على الله، وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا، وأنا في أخرى، فلو أنه بنفسه لم أبال، ولكن مع كل نبي أمته؛ ثم صعد به إلى السماء السابعة، فاستفتح جبرائيل، فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حيّاه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه، أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهرا آخر، فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: يَا جَبْرَائِيلَ مَنْ هَذَا الْأَشْمَطُ، ثُمَّ مَنْ هَؤُلَاءِ الْبَيضُ وَجُوهُهُمْ، وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، وَمَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ الَّتِي دَخَلُوا، فَجَاءُوا وَقَدْ صَفَّتْ أَلْوَانُهُمْ؟ قال: هذا أبوك إبراهيم أول من شَمَطَ على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه: فقوم لم يُلْسُوا إيمانهم بظلم، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، فتباؤا، فتاب الله عليهم، وأما الأنهار: فأولها رحمة الله، وثانيها: نعمة الله، والثالث: سقاهاهم ربهم شرابا طهورا؛ قال: ثم انتهى إلى السّدر، فقيل له: هذه السّدرة يتنهي إليها كلّ أحد خلا من أمتك على سبتك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلّها سبعين عاما لا يقطعها، والورقة منها مغطيّة للأمة كلها، قال: فغشيها نور الخلاق عَرَجَلًا، وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجرة، قال: فكلّمه عند ذلك، فقال له: سل، فقال: اتخذت إبراهيم خليلًا وأعطيته مُلكًا عظيمًا، وكلمت موسى تكليما، وأعطيته داود ملكا عظيما، وألّنت له الحديد، وسخرت له الجبال، وأعطيته سليمان ملكا عظيما، وسخرت له الجنّ والإنس والشياطين، وسخرت له الرياح، وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يرى الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل. فقال له ربه: قد اتخذتك حبيبا وخليلا وهو مكتوب في التوراة: حبيب الله؛ وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفع لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الأولون والآخرون، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة، حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي؛

وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النّبيين خلّقا، وآخرهم بعثا، وأولهم يُفصّي له، وأعطيتك سبعا من المثاني، لم يُعطها نبيّ قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة، والجهاد، والصدقة، والصلاة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وجعلتك فاتحا وخاتما، فقال النبي ﷺ: فَضَّلَنِي رَبِّي بِسِتٍّ: أَعْطَانِي فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَجَوَامِعَ الْحَدِيثِ، وَأَرْسَلَنِي إِلَى النَّاسِ كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَقَدَفَ فِي قُلُوبِ عَدُوِّي الرُّعْبَ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ وَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ كُلُّهَا طَهُورًا وَمَسْجِدًا، قَالَ: وَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً؛ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مُوسَى، قَالَ: بِمِ أَمَرْتَ يَا مُحَمَّد، قَالَ: بِخَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنْ أَمَّتْكَ أضعف الأمم، فقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قَالَ: فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَبِّهِ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِكُمْ أَمَرْتُ؟ قَالَ: بِأَرْبَعِينَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنْ أَمَّتْكَ أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِكُمْ أَمَرْتُ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِثَلَاثِينَ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنْ أَمَّتْكَ أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ، فَوَضَعَ عَنْهُ عَشْرًا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِكُمْ أَمَرْتُ؟ قَالَ: بِعَشْرٍ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنْ أَمَّتْكَ أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قَالَ: فَرَجَعَ عَلَى حَيَاءٍ إِلَى رَبِّهِ فَسَأَلَهُ التَّخْفِيفَ، فَوَضَعَ عَنْهُ خَمْسًا، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِكُمْ أَمَرْتُ؟ قَالَ: بِخَمْسٍ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنْ أَمَّتْكَ أضعف الأمم، وقد لقيت من بني إسرائيل شدة، قَالَ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ فَمَا أَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِ، فَقِيلَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ كَمَا صَبَرْتَ نَفْسَكَ عَلَى خَمْسٍ صَلَوَاتٍ فَإِنَّهُمْ يَجْزِينَ عَنْكَ خَمْسِينَ صَلَاةً، فَإِنْ كُلُّ حَسَنَةٍ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا، قَالَ: فَرَضِي مُحَمَّدٌ ﷺ كُلَّ الرِّضَا "فَكَانَ مُوسَى أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ حِينَ مَرَّ بِهِ، وَخَيْرَهُمْ لَهُ حِينَ رَجَعَ إِلَيْهِ. وَقَوْلُهُ ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: الَّذِي جَعَلْنَا حَوْلَهُ الْبَرَكَاتِ لِسْكَانِهِ فِي مَعَايِشِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ وَغُرُوسِهِمْ. وَقَوْلُهُ ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: كَيْ نَرِي عَبْدَنَا مُحَمَّدًا مِنْ آيَاتِنَا، يَقُولُ: مَنْ عَبَرْنَا وَأَدَلَّتْنَا وَحَجَجْنَا، وَذَلِكَ هُوَ مَا قَدْ ذَكَرْتُ فِي الْأَخْبَارِ الَّتِي رَوَيْتُهَا أَنفَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرَاهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَعْدَ مَصِيرِهِ إِلَيْهِ مِنْ عَجَائِبِ الْعَبَرِ وَالْمَوَاعِظِ. وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: إِنَّ الَّذِي أُسْرِيَ بَعْدَهُ هُوَ السَّمِيعُ لَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي مَسَرَى مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَقَوْلِ غَيْرِهِمْ، الْبَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عِلْمُ شَيْءٍ مِنْهُ، بَلْ هُوَ مُحِيطٌ بِجَمِيعِهِ عِلْمًا، وَمَحْصِيهِ عِدَدًا، وَهُوَ لَهُمُ بِالْمَرْصَادِ، لِيَجْزِيَ جَمِيعَهُمْ بِمَا هُمْ أَهْلُهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: سَبَّحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بَعْدَهُ لَيْلًا وَآتَى مُوسَى الْكِتَابَ، وَرَدَّ الْكَلَامَ إِلَى ﴿وَأَتَيْنَا﴾ وَقَدْ ابْتَدَأَ بِقَوْلِهِ أُسْرِيَ لَمَّا قَدْ ذَكَرْنَا قَبْلَ فِيمَا مَضَى مِنْ فِعْلِ الْعَرَبِ فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ مِنْ

ابتداء الخبر بالخبر عن الغائب، ثم الرجوع إلى الخطاب وأشباهه. وعنى بالكتاب الذي أوتي موسى: التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول: وجعلنا الكتاب الذي هو التوراة بيانا للحق، ودليلا لهم على محجة الصواب فيما افترض عليهم، وأمرهم به، ونهاهم عنه. وقوله ﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ معنى الكلام: وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا حفيظا لكم سواي. وقد بينا معنى الوكيل فيما مضى. وكان مجاهد يقول: معناه في هذا الموضع: الشريك. وكأن مجاهدا جعل إقامة من أقام شيئا سوى الله مقامه شريكا منه له، ووكيلا للذي أقامه مقام الله. وبنحو الذي قلنا في تأويل هذه الآية، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: سببحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ذرية من حملنا مع نوح. وعنى بالذرية: جميع من احتج عليه جل ثناؤه بهذا القرآن من أجناس الأمم، عربهم وعجمهم من بني إسرائيل وغيرهم، وذلك أن كل من على الأرض من بني آدم، فهم من ذرية من حملة الله مع نوح في السفينة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة، وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامرأته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث؛ فأما سام: فأبو العرب؛ وأما حام: فأبو الحبش؛ وأما يافث: فأبو الروم. وقد بينا في غير هذا الموضع فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ يعني بقوله تعالى ذكره: "إنه" إن نوحا، والهاء من ذكر نوح كان عبدا شكورا لله على نعمه. وقد اختلف أهل التأويل في السبب الذي سماه الله من أجله شكورا، فقال بعضهم: سماه الله بذلك لأنه كان يحمد الله على طعامه إذا طعمه. كما جاء عن عمران بن سليم، قال: إنما سمي نوح عبدا شكورا أنه كان إذا أكل الطعام قال: الحمد لله الذي أطعمني، ولو شاء أجاعني وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني، ولو شاء أظمأني، وإذا لبس ثوبا قال: الحمد لله الذي كساني، ولو شاء أعراني، وإذا لبس نعلا قال: الحمد لله الذي حذاني، ولو شاء أحفاني، وإذا قضى حاجة قال: الحمد لله الذي أخرج عني أذاه، ولو شاء حبسه. وقال آخرون في ذلك بما جاء عن ابن أبي مريم حدثه، قال: إنما سمي الله نوحا عبدا شكورا، أنه كان إذا خرج البراز منه قال: الحمد لله الذي سوغنيك طيبا، وأخرج عني أذاك، وأبقى منفعتك. وقال آخرون في ذلك بما جاء عن قتادة، قال الله لنوح ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ذكر لنا أنه لم يستجد ثوبا قط إلا حمد الله، وكان يأمر إذا استجد الرجل ثوبا أن يقول: الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به، وأواري به عورتي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا﴾ ١ فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بآس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ٢ وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى القضاء: الفراغ من الشيء، ثم يستعمل في كل مفروغ منه، فتأويل الكلام في هذا الموضع: وفرغ ربك إلى بني إسرائيل فيما أنزل من كتابه على موسى صلوات الله وسلامه عليه بإعلامه إياهم، وإخباره لهم ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ يقول: لتعصن الله يا معشر بني إسرائيل ولتخالفن أمره في بلاده مَرَّتَيْنِ ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقَ كَبِيرًا﴾ يقول:

ولتستكبرنَّ على الله باجترائكم عليه استكبارا شديدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وابن زيد وكان فساد بني إسرائيل في الأرض المرة الأولى ما جاء عن ابن عباس، وعن مرة، عن عبد الله أن الله عهد إلى بني إسرائيل في التوراة ﴿لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ فكان أول الفسادين: قتل زكريا، فبعث الله عليهم ملك النبط، وكان يُدعى صحابين فبعث الجنود، وكان أساورته من أهل فارس، فهم أولو بأس شديد، فتحصنت بنو إسرائيل، وخرج فيهم بختنصر يتيما مسكينا، إنما خرج يستطعم، وتلطف حتى دخل المدينة فأتى مجالسهم، فسمعهم يقولون: لو يعلم عدونا ما قُذِف في قلوبنا من الرعب بذنوبنا ما أرادوا قتالنا، فخرج بختنصر حين سمع ذلك منهم، واشتد القيام على الجيش، فرجعوا، وذلك قول الله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ثم إن بني إسرائيل تجهَّزوا، فغزوا النبط، فأصابوا مهم واستنقذوا ما في أيديهم، فذلك قول الله ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ يقول: عددا. وجاء عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا اعْتَدُوا وَعَلَوْا، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَلِكًا فَارَسَ بُخْتَنْصَرَ، وَكَانَ اللَّهُ مَلَكُهُ سَبْعَ مِائَةِ سَنَةٍ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَحَاصَرَهَا وَفَتَحَهَا، وَقَتَلَ عَلَى دَمِ زَكَرِيَّا سَبْعِينَ أَلْفًا، ثُمَّ سَبَى أَهْلَهَا وَبَنَى الْأَنْبِيَاءَ، وَسَلَبَ حُلِيِّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا سَبْعِينَ أَلْفًا وَمِائَةَ أَلْفٍ عَجَلَةٍ مِنْ حُلِيِّ حَتَّى أَوْرَدَهُ بَابِلَ، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَجَلَ بَنَاءِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ وَيَاقُوتٍ وَزَبَرَجِدٍ، وَكَانَ بِلَاطُهُ بِلَاطَةً مِنْ ذَهَبٍ وَبِلَاطَةً مِنْ فِضَّةٍ، وَعُمْدُهُ ذَهَبًا، أَعْطَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَسَخَّرَ لَهُ الشَّيَاطِينَ يَأْتُونَهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، فَسَارَ بُخْتَنْصَرُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَتَّى نَزَلَ بِهَا بَابِلَ، فَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي يَدَيْهِ مِائَةَ سَنَةٍ تَعَذِّبُهُمُ الْمَجُوسُ وَأَبْنَاءُ الْمَجُوسِ، فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَأَبْنَاءُ الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ رَحِمَهُمْ، فَأَوْحَى إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ يُقَالُ لَهُ كُورَسُ، وَكَانَ مُؤْمِنًا، أَنْ سَرَّ إِلَى بَقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى تَسْتَقْدَهُمْ، فَسَارَ كُورَسُ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَحُلِيِّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى رَدَّهُ إِلَيْهِ، فَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُطِيعِينَ لِلَّهِ مِائَةَ سَنَةٍ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا فِي الْمَعَاصِي، فَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ ابْطِينَحُوسَ فَغَزَا بِأَبْنَاءِ مَنْ غَزَا مَعَ بُخْتَنْصَرَ، فَغَزَا بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى أَتَاهُمْ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، فَسَبَى أَهْلَهَا، وَأَحْرَقَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَقَالَ لَهُمْ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنْ عُدْتُمْ فِي الْمَعَاصِي عُذْنَا عَلَيْكُمْ بِالسَّبَاءِ، فَعَادُوا فِي الْمَعَاصِي، فَسَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّبَاءَ الثَّلَاثَ مَلِكًا رُومِيَّةً، يُقَالُ لَهُ قَاقِسُ بْنُ إِسْبَايُوسَ، فَغَزَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَسَبَاهُمْ وَسَبَى حُلِيَّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَحْرَقَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ بِالنِّيرَانِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا مِنْ صَنْعَةِ حُلِيِّ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَيُرَدُّهُ الْمَهْدِيُّ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَهُوَ أَلْفُ سَفِينَةٍ وَسَبْعُ مِائَةِ سَفِينَةٍ، يُرْسَى بِهَا عَلَى يَافَا حَتَّى تَنْقَلُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبِهَا يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ". قال أبو جعفر: فعلى القول الذي ذكرنا عن ابن عباس من رواية السدي، وقول ابن زيد، كان إفساد بني إسرائيل في الأرض المرة الأولى قتلهم زكريا نبي الله ﷺ، مع ما كان سلف منهم قبل ذلك وبعده، إلى أن بعث الله عليهم من أحل على يده بهم نقمته من معاصي الله، وعتوهم على ربهم، وأما على قول ابن إسحاق الذي روينا عنه، فكان إفسادهم المرة الأولى ما وصف من قتلهم شعياء بن أمصيا نبي الله. وذكر ابن إسحاق أن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتا ولم

يُقتل، وأن المقتول إنما هو شعيب، وأن يختصر هو الذي سُلط على بني إسرائيل في المرة الأولى بعد قتلهم شعيب. حدثنا بذلك ابن حميد، عن سلمة عنه. وأما إفسادهم في الأرض المرة الآخرة، فلا اختلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا. وقد اختلفوا في الذي سُلطه الله عليهم منتقما به منهم عند ذلك، وأنا ذاكر اختلافهم في ذلك إن شاء الله. وأما قوله ﴿وَلْتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ فقد ذكرنا قول من قال: يعني به: استكبارهم على الله بالجراءة عليه، وخلافهم أمره. وكان مجاهد يقول في قوله ﴿وَلْتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا﴾ قال: ولتعنّ الناس علوا كبيرا. وأما قوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ يعني: فإذا جاء وعد أولى المرتين اللتين يفسدون بهما في الأرض. كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ قال: إذا جاء وعد أولى تينك المرتين اللتين قضينا إلى بني إسرائيل ﴿لَتُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾. وقوله ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ وجهنا إليكم، وأرسلنا عليكم ﴿عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يقول: ذوي بطش في الحروب شديد. وقوله ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ يقول: فترددوا بين الدور والمساكن، وذهبوا وجاءوا، يقال فيه: جاس القوم بين الديار وحاسوا بمعنى واحد، وجست أنا أجوس جوسا وجوسانا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، روي الخبر عن ابن عباس. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معنى جاسوا: قتلوا، وجائر أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار، فقتلوههم ذاهبين وجائين، فيصح التأويلان جميعا، ويعني بقوله ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ وكان جوس القوم الذين نبعث عليهم خلال ديارهم وعدا من الله لهم مفعولا ذلك، لا محالة، لأنه لا يخلف الميعاد. ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله بقوله ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فيما كان من فعلهم في المرة الأولى في بني إسرائيل حين بعثوا عليهم، ومن الذين بعث عليهم في المرة الآخرة، وما كان من صنعهم بهم، فقال بعضهم: كان الذي بعث الله عليهم في المرة الأولى جالوت، وهو من أهل الجزيرة. كما جاء، عن ابن عباس، قوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ قال: بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقتل جالوت بيدي داود، ورجع الله إلى بني إسرائيل ملكهم. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ قضاء قضى الله على القوم كما تسمعون، فبعث عليهم في الأولى جالوت الجزري، فسبى وقتل، وجاسوا خلال الديار كما قال الله، ثم رجع القوم على دخن فيهم. وقال آخرون: بل بعث عليهم في المرة الأولى سنحاريب، وقد ذكرنا بعض قائلي ذلك فيما مضى ونذكر ما حضرنا ذكره ممن لم نذكره قبل. كما جاء سعيد بن جبير، أنه سمعه يقول: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ حتى إذا بلغ ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بكى وفاضت عيناه، وطبق المصحف، فقال ذلك ما شاء الله من الزمان، ثم قال: أي رب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه، فأري في المنام مسكينا ببابل، يقال له يختصر، فانطلق بمال وأعبد له، وكان رجلا موسرا، فقيل له أين تريد؟ قال: أريد التجارة حتى نزل دارا ببابل،

فاستكرها ليس فيها أحد غيره، فحمل يدعو المساكين ويلطف بهم حتى لم يبق أحد، فقال: هل بقي مسكين غيركم؟ قالوا: نعم، مسكين بفتح آل فلان مريض يقال له بختنصر، فقال لغلمته: انطلقوا، حتى أتاه، فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر، فقال لغلمته: احتملوه، فنقله إليه ومريضه حتى برأ، فكساه وأعطاه نفقة، ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل، فبكى بختنصر، فقال الإسرائيلي: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت، ولا أجد شيئاً أجزيك، قال: بلى شيئاً يسيراً، إن ملكت أطعني، فجعل الآخر يتبعه ويقول: تستهزئ بي، ولا يمنعني أن يعطيه ما سأله، إلا أنه يرى أنه يستهزئ به، فبكى الإسرائيلي وقال: ولقد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك، إلا أن الله يريد أن ينفذ ما قد قضاه وكتب في كتابه وضرب الدهر من ضربه؛ فقال يوماً صيحون، وهو ملك فارس ببابل: لو أنا بعثنا طليعة إلى الشام؟ قالوا: وما ضرّك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، فيعث رجلاً وأعطاه مئة ألف، وخرج بختنصر في مطبخه، لم يخرج إلا ليأكل في مطبخه؛ فلما قدم الشام ورأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرساً ورجلاً جلدًا، فكسر ذلك في ذرعه، فلم يسأل قال: فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل، فلو غزوتموها ما دون بيت مالها شيء، قالوا: لا نحسن القتال، قال: فلو أنكم غزوتهم، قالوا: إنا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى أنفذ مجالس أهل الشام، ثم رجعوا فأخبر الطليعة ملكهم بما رأى، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان؛ فرفع ذلك إليه، فدعاه فأخبره الخبر وقال: إن فلاناً لما رأى أكثر أرض الله فرساً ورجلاً جلدًا، كبر ذلك في روعه ولم يسألهم عن شيء، وإني لم أَدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله، فقلت لهم كذا وكذا، وقالوا لي كذا وكذا، الذي ذكر سعيد بن جبير أنه قال لهم، قال الطليعة لبختنصر: إنك فضحتني لك مئة ألف وتترع عما قلت، قال: لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزع، ضرب الدهر من ضربه؛ فقال الملك: لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام، فإن وجدوا مساعاً ساغوا، وإلا انثنوا ما قدروا عليه، قالوا: ما ضرّك لو فعلت؟ قال: فمن ترون؟ قالوا: فلان، قال: بل الرجل الذي أخبرني ما أخبرني، فدعا بختنصر وأرسله، وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار، فسبوا ما شاء الله ولم يخبروا ولم يقتلوا، ومات صيحون الملك قالوا: استخلفوا رجلاً قالوا: على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم، لن يتقصوا عليكم شيئاً، أمهلوا؛ فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسي وما معه، فقسمه في الناس، فقالوا: ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا، فملكوه. وقال آخرون: يعني بذلك قوماً من أهل فارس، قالوا: ولم يكن في المرة الأولى قتال. عن مجاهد ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أَوْلَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ قال: من جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس ولم يكن قتال، ونصرت عليهم بنو إسرائيل، فهذا وعد الأولى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرًا نَفِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أدلناكم يا بني إسرائيل على هؤلاء القوم الذين وصفهم جل ثناؤه أنه يبعثهم عليهم، وكانت تلك الإدالة والكرّة لهم عليهم، فيما ذكر السدي في خبره أن بني إسرائيل غزوهم، وأصابوا منهم، واستنقذوا ما في أيديهم منهم. وفي قول آخرين: إطلاق الملك

الذي غزاهم ما في يديه من أسراهم، ورد ما كان أصاب من أموالهم عليهم من غير قتال، وفي قول ابن عباس الذي رواه عطية عنه هي إدالة الله إياهم من عدوهم جالوت حتى قتلوه، وقد ذكرنا كل ذلك بأسانيده فيما مضى ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ يقول: وزدنا فيما أعطيناكم من الأموال والبنين. وقوله ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ يقول: وصيرناكم أكثر عددًا نافرٍ منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره لبنى إسرائيل فيما قضى إليهم في التوراة ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ يا بني إسرائيل، فأطعتم الله وأصلحتم أمركم، ولزمتهم أمره ونهيه ﴿أَحْسَنْتُمْ﴾ وفعلتم ما فعلتم من ذلك ﴿لأنفسكم﴾ لأنكم إنما تفعلون بفعلتكم ما تفعلون من ذلك أنفسكم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فإن الله يدفع عنكم من بغاكم سوءاً، وينمي لكم أموالكم، ويزيدكم إلى قوتكم قوة. وأما في الآخرة فإن الله تعالى يثيبكم به جنانته ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ يقول: وإن عصيتم الله وركبتم ما نهاكم عنه حينئذ، فإلى أنفسكم تسيئون، لأنكم تسخطون بذلك على أنفسكم ربكم، فيسلط عليكم في الدنيا عدوكم، ويمكن منكم من بغاكم سوءاً، ويخلدكم في الآخرة في العذاب المهين. وقال جل ثناؤه ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ والمعنى: فإليها كما قال ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ والمعنى: أوحى إليها. وقوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يقول: فإذا جاء وعد المرة الآخرة من مَرَّتِي إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يقول: ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها. وكان مجيء وعد المرة الآخرة عند قتلهم يحيى. ذكر الرواية بذلك، والخبر عما جاءهم من عند الله حينئذ. كما جاء عن السدي في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل، يدعى بختنصر، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم، فأقبل فسأل عنه حتى نزل على أمه وهو يحطب، فلما جاء وعلى رأسه حزمة من حطب ألقاها، ثم قعد في جانب البيت فضمه، ثم أعطاه ثلاثة دراهم، فقال: اشتر لنا بها طعاماً وشراباً، فاشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمرًا، فأكلوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك، ثم قال له: إني أحب أن تكتب لي أماناً إن أنت ملكت يوماً من الدهر، فقال: أتسخر بي؟ فقال: إني لا أسخر بك، ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي يداً، فكلمته أمه، فقالت: وما عليك إن كان ذلك وإلا لم ينقصك شيئاً، فكتب له أماناً، فقال له: أرايت إن جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك، فاجعل لي آية تعرفني بها قال: نرفع صحتك على قصبة أعرفك بها، فكساه وأعطاه. ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا، ويدني مجلسه، ويستشيره في أمره، ولا يقطع أمراً دونه، وأنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له، فسأل يحيى عن ذلك، فنهاه عن نكاحها وقال: لست أرضاها لك، فبلغ ذلك أمها فحققت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها، فعمدت أم الجارية حين جلس الملك على شرابه، فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً، وطبختها وألبستها من الحلبي، وقيل: إنها ألبستها فوق ذلك كساء أسود، وأرسلتها إلى الملك، وأمرتها أن تسقيه، وأن تعرض له نفسها، فإن أرادها على نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما

سألته، فإذا أعطاه ذلك سألته أن يأتي برأس يحيى بن زكريا في طست، ففعلت، فجعلت تسقيه وتعرض له نفسها؛ فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها، فقالت: لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك، فقال: ما الذي تسأليني؟ قالت: أسألك أن تبعث إلي يحيى بن زكريا، فأوتي برأسه في هذا الطست، فقال: ويحك سأليني غير هذا، فقالت له: ما أريد أن أسألك إلا هذا. قال: فلما ألحَّت عليه بعث إليه، فأتى برأسه، والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول: لا يحل لك ذلك؛ فلما أصبح إذا دمه يغلي، فأمر بتراب فألقى عليه، فرقى الدم فوق التراب يغلي، فألقى عليه التراب أيضا، فارتفع الدم فوقه، فلم يزل يلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو يغلي وبلغ صحابين، فثار في الناس، وأراد أن يبعث عليهم جيشا، ويؤمِّر عليهم رجلا فأثاه بختنصر وكلمه وقال: إن الذي كنت أرسلته تلك المرأة ضعيف، وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها، فابعثني، فبعثه، فصار بختنصر حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم، فلم يطقهم، فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه، أرادوا الرجوع، فخرجت إليهم عجوز من عجائز بني إسرائيل فقالت: أين أمير الجند؟ فأتي بها إليه، فقالت له: إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة، قال: نعم، قد طال مقامي، وجاع أصحابي، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني، فقالت: أرأيتك إن فتحت لك المدينة أعطيتني ما سألتك، وتقتل من أمرتك بقتله، وتكف إذا أمرتك أن تكف؟ قال: نعم، قالت: إذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أرباع، ثم أقم على كل زاوية ربعا، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء فنادوا: إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا، فإنها سوف تساقط، ففعلوا، فتساقطت المدينة، ودخلوا من جوانبها، فقالت له: اقتل على هذا الدم حتى يسكن، وانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير، فقتل عليه حتى سكن سبعين ألفا وامرأة؛ فلما سكن الدم قالت له: كف يدك، فإن الله تبارك وتعالى إذا قتل نبي لم يرض، حتى يقتل من قتله، ومن رضي قتله، وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفته، فكف عنه وعن أهل بيته، وخرب بيت المقدس، وأمر به أن تطرح فيه الجيف، وقال: من طرح فيه جيفة فله جزيته تلك السنة، وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى، فلما خربه بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وأشرافهم، وذهب بدانيال وعليا وعزارييا وميشائيل، هؤلاء كلهم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت؛ فلما قدم أرض بابل وجد صحابين قد مات، فملك مكانه، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه، فحسداهم المجوس على ذلك، فوشوا بهم إليه وقالوا: إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك، فدعاهم فسألهم، فقالوا: أجل إن لنا ربا نعبد، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، فأمر بخد فخد لهم، فألقوا فيه وهم ستة، وألقي معهم سبعا ضاريا ليأكلهم، فقال: انطلقوا فلنأكل ولنشرب، فذهبوا فأكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم، ولم يخدش منهم أحدا، ولم ينكأه شيئا، ووجدوا معهم رجلا فعدوهم فوجدوهم سبعة، فقالوا: ما بال هذا السابع إنما كانوا ستة، فخرج إليهم السابع، وكان ملكا من الملائكة، فلطمه لطمه فصار في الوحش، فكان فيهم سبع سنين، لا يراه وحشي إلا أتاه حتى ينكحه، يقتص منه ما كان يصنع بالرجال، ثم إنه رجع ورد الله عليه ملكه، فكانوا أكرم خلق الله عليه. ثم إن المجوس وشوا به ثانية، فألقوا أسدا في بئر قد صري، فكانوا يلقون إليه الصخرة فيأخذها، فألقوا إليه دانيال، فقام الأسد في جانب، وقام دانيال في جانب

لا يمسسه، فأخرجوه، وقد كان قبل ذلك خدّ لهم خدّاً، فأوقد فيه ناراً، حتى إذا أجبها قذفهم فيها، فأطفأها الله عليهم ولم ينلهم منها شيء. ثم إن بختنصر رأى بعد ذلك في منامه صنماً رأسه من ذهب، وعنقه من شبه، وصدره من حديد، وبطنه أخلاط ذهب وفضة وقوارير، ورجلاه من فخار؛ فبينما هو قائم ينظر، إذ جاءت صخرة من السماء من قِبَل القبلة، فكسرت الصنم فجعلته هشيماً، فاستيقظ فرعاً وأنسيها، فدعا السحرة والكهنة، فسألهم، فقال: أخبروني عما رأيتم، فقالوا له: لا بل أنت أخبرنا، ما رأيتم فنعبه لك، قال: لا أدري، قالوا له: فهؤلاء الفتية الذين تكرمهم، فادعهم فاسألهم، فإن هم لم يخبروك بما رأيتم فما تصنع بهم؟ قال: أقتلهم، فأرسل إلى دانيال وأصحابه، فدعاهم، فقال لهم: أخبروني ماذا رأيتم؟ فقال له دانيال: بل أنت أخبرنا ما رأيتم فنعبه لك، قال: لا أدري قد نسيتها، فقال له دانيال: كيف نعلم رؤيا لم نخبرنا بها؟ فأمر البواب أن يقتلهم، فقال دانيال للبواب: إن الملك إنما أمر بقتلنا من أجل رؤياه، فأخبرنا ثلاثة أيام، فإن نحن أخبرنا الملك برؤياه وإلا فاضرب أعناقنا، فأجلهم فدعوا الله، فلما كان اليوم الثالث أبصر كل رجل منهم رؤيا بختنصر على حدة، فأتوا البواب فأخبروه، فدخل على الملك فأخبره، فقال: أدخلهم عليّ؛ وكان بختنصر لا يعرف من رؤياه شيئاً، إلا شيئاً يذكرونه، فقالوا له: أنت رأيتم كذا وكذا، فقصوها عليه، فقال: صدقتم، قالوا: نحن نعبها لك. أما الصنم الذي رأيتم رأسه من ذهب، فإنه ملك حسن مثل الذهب، وكان قد ملك الأرض كلها؛ وأما العنق من الشبه، فهو ملك ابنك بعد، يملك فيكون ملكه حسناً، ولا يكون مثل الذهب؛ وأما صدره الذي من حديد فهو ملك أهل فارس، يملكون بعدك ابنك، فيكون ملكهم شديداً مثل الحديد؛ وأما بطنه الأخلاط، فإنه يذهب ملك أهل فارس، ويتنازع الناس الملك في كل قرية، حتى يكون الملك يملك اليوم واليومين، والشهر والشهرين، ثم يُقتل، فلا يكون للناس قوام على ذلك، كما لم يكن للصنم قوام على رجلين من فخار؛ فبينما هم كذلك، إذ بعث الله تعالى نبياً من أرض العرب؛ فأظهره على بقية ملك أهل فارس، وبقية ملك ابنك وملكك، فدمره وأهلكه حتى لا يبقى منه شيء، كما جاءت الصخرة فهدمت الصنم، فعطف عليهم بختنصر فأحبهم، ثم إن المجوس وشوا بدانيال، فقالوا: إن دانيال إذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول، وكان ذلك فيهم عاراً، فجعل لهم بختنصر طعاماً، فأكلوا وشربوا، وقال للبواب: انظر أول من يخرج عليك يبول، فاضربه بالطبرزين، وإن قال: أنا بختنصر، فقل: كذبت، بختنصر أمرني، فحبس الله عن دانيال البول، وكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر، فقام مدلاً وكان ذلك ليلاً يسحب ثيابه؛ فلما رآه البواب شدّ عليه، فقال: أنا بختنصر، فقال: كذبت، بختنصر أمرني أن أقتل أول من يخرج، فضربه فقتله. وأما قوله ﴿وَلْيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ فإنه يقول: وليدمروا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً، يقال منه: دمرت البلد: إذا خربت وأهلك أهلها، وتبرّ تبراً وتباراً، وتبرّه تبرّه تبييراً، ومنه قول الله تعالى ذكره ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ يعني: هلاكاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُنَدَنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: لعل ربكم يا بني إسرائيل أن يرحمكم بعد انتقامه منكم بالقوم الذين يبعثهم الله عليكم ليسوء مبعثه عليكم وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة،

فيستنقذك من أيديهم، ويتشلكم من الذل الذي يحله بكم، ويرفعكم من الخموله التي تصيرون إليها، فيعزكم بعد ذلك، وعسى من الله: واجب، وفعل الله ذلك بهم، فكثرت عددهم بعد ذلك، ورفع حساستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء، فقال جل ثناؤه لهم: وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري، وقتل رسلي، عدنا عليكم بالقتل والسب، وإحلال الذل والصغار بكم، فعادوا، فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: معنى ذلك ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ فراشا ومهادا لا يزياله من الحصار الذي بمعنى البساط، لأن ذلك إذا كان كذلك كان جامعا معنى الحبس والامتناد، مع أن الحصار بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، وأنها إذا أرادت أن تصف شيئا بمعنى حبس شيء، فإنما تقول: هو له حاصر أو محصر، فأما الحصار فغير موجود في كلامهم، إلا إذا وصفته بأنه مفعول به، فيكون في لفظ فعل، ومعناه مفعول به، ألا ترى بيت لبيد: لدى باب الحصار؟ فقال: لدى باب الحصار، لأنه أراد: لدى باب المحصور، فصرف مفعولا إلى فعل. فأما فعل في الحصار بمعنى وصفه بأنه الحاصر. فذلك ما لا نجده في كلام العرب، فلذلك قلت: قول الحسن أولى بالصواب في ذلك، وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أن ذلك جائز، ولا أعلم لما قال وجهها يصح إلا بعيدا وهو أن يقال: جاء حصار بمعنى حاصر، كما قيل: عليم بمعنى عالم، وشهيد بمعنى شاهد، ولم يسمع ذلك مستعملا في الحاصر كما سمعنا في عالم وشاهد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ يرشد ويسدد من اهتدى به ﴿الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ يقول: للسبيل التي هي أقوم من غيرها من السبل، وذلك دين الله الذي بعث به أنبياءه وهو الإسلام، يقول جل ثناؤه: فهذا القرآن يهدي عباد الله المهتدين به إلى قصد السبيل التي ضل عنها سائر أهل الملل المكذبين به. وقوله ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ويشر أيضا مع هدايته من اهتدى به للسبيل الأقصد الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعملون في دنياهم بما أمرهم الله به، ويتهون عما نهاهم عنه بأن ﴿لَهُمْ أَجْرًا﴾ من الله على إيمانهم وعملهم الصالحات ﴿كَبِيرًا﴾ يعني ثوابا عظيما، وجزاء جزيلًا وذلك هو الجنة التي أعدها الله تعالى لمن رضي عمله. وأن في قوله ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ نصب بوقوع البشارة عليها، وأن الثانية معطوفة عليها. وقوله ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأن الذين لا يصدقون بالمعاد إلى الله، ولا يقرّون بالثواب والعقاب في الدنيا، فهم لذلك لا يتحاشون من ركوب معاصي الله ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ يقول: أعدنا لهم، لقدومهم على ربهم يوم القيامة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يعني موجعا، وذلك عذاب جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَذُحُّ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره مذكرا عباده أياديه عندهم، ويدعو الإنسان على نفسه وولده وماله بالشّر، فيقول: اللهم أهلكه والعنه عند ضجره وغضبه، كدعائه بالخير. يقول: كدعائه ربه بأن يهب له العافية، ويرزقه

السلامة في نفسه وماله وولده، يقول: فلو استجيب له في دعائه على نفسه وماله وولده بالشر كما يستجاب له في الخير هلك، ولكن الله بفضل له لا يستجيب له في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس عن ابن عباس، قال: لما نفخ الله في آدم من روحه أتت النفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده، إلا صار لحما ودمًا؛ فلما انتهت النفخة إلى سترته، نظر إلى جسده، فأعجبه ما رأى من جسده فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تبارك وتعالى ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ قال: ضَجِرًا لا صَبْرَ له على سَرَاءٍ، ولا ضَرَاءٍ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا تَفْصِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن نعمته عليكم أيها الناس، مخالفته بين علامة الليل وعلامة النهار، بإظلامه علامة الليل، وإضاءته علامة النهار، لتسكنوا في هذا، وتتصرفوا في ابتغاء رزق الله الذي قدره لكم بفضل له في هذا، ولتعلموا باختلافهما عدد السنين وانقضاءها، وابتداء دخولها، وحساب ساعات النهار والليل وأوقاتها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا تَفْصِيلًا﴾ يقول: وكل شيء بيننا وبيننا شافيا لكم أيها الناس لتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من نعمه، وتخلصوا له العبادة، دون الآلهة والأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكل إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ ما قضى له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ مثل لما كانت العرب تتفاهل به أو تشاءم من سوانح الطير ويوارحها، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد أَلْزَمَهُ ربه طائر في عنقه نحسا كان ذلك الذي أَلْزَمَهُ من الطائر، وشقاء يورده سعيًا، أو كان سعدا يورده جنات عدن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كالذي روي عن جابر بن عبد الله أن نبي الله ﷺ قال: "لا عَدْوَى وَلَا طَيْرَ وَلَا كُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ". فإن قال قائل: وكيف قال: أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ في عنقه إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: أَلْزَمْنَاهُ في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوق، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنائيات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: ذلك بما كسبت يده، وإن كان الذي جر عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾. تأويل الكلام: وكل إنسان منكم يا معشر بني آدم، أَلْزَمْنَاهُ نحسه وسعد، وشقاء وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشر في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نخرج له إذا وافانا كتابا يصادفه منشورا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائر الذي كتبنا له، وأَلْزَمْنَاهُ إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف في الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكالذي جاء عن قتادة ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: عمله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ﴾ قال: نخرج ذلك العمل ﴿كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ قال معمر: وتلا الحسن ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك،

وكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مِتَّ طُوِّيت صحيفتك، فجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتابا يلقيه منشورا ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ فيقال له ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ فترك ذكر قوله: فنقول له، اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وعنى بقوله ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾: اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبنا يكتبه، ونحصى عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ يقول: حسبك اليوم نفسك عليك حاسباً يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهداً غيرها، ولا نطلب عليك محصياً سواها. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: من استقام على طريق الحق فاتبعه، وذلك دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً ﷺ عليه وسلم ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ يقول: فليس ينفع بلزومه الاستقامة، وإيمانه بالله ورسوله غير نفسه ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن قصد السبيل، فأخذ على غير هدى، وكفر بالله وبمحمد ﷺ وبما جاء به من عند الله من الحق، فليس يضُرُّ بضلاله وجوره عن الهدى غير نفسه، لأنه يوجب لها بذلك غضب الله وأليم عذابه.. وإنما عنى بقوله ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فإنما يكسب إثم ضلاله عليها لا على غيرها، وقوله ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يعني تعالى ذكره: ولا تحمل حاملة حمل أخرى غيرها من الآثام. وقال ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لأن معناها: ولا تتر نفس وازرة وزر نفس أخرى يقال منه: وزرت كذا أزره وزرا، والوزر: هو الإثم، يجمع أوزاراً، كما قال تعالى ﴿وَلَكِنَّا جُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ وكأن معنى الكلام: ولا تأثم أئمة إثم أخرى، ولكن على كل نفس إثمها دون إثم غيرها من الأنفس. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يقول تعالى ذكره: وما كنا مهلكي قوم إلا بعد الإعذار إليهم بالرسول، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم. قوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾: إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبراً، أو يأتيه من الله بيّنة، وليس معذبا أحداً إلا بذنبه. وجاء عن أبي هريرة، قال: إذا كان يوم القيامة، جمع الله تبارك وتعالى نسمة الذين ماتوا في الفترة والمعنوة والأصم والأبكم، والشيوخ الذين جاء الإسلام وقد خرفوا، ثم أرسل رسولاً أن ادخلوا النار، فيقولون: كيف ولم يأتنا رسول، وإيم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً، ثم يرسل إليهم، فيطيعه من كان يريد أن يطيعه قبل؛ قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ ﴿١٨﴾ وتأويل الكلام: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحق عليهم

القول، لأن الأغلب من معنى أمرنا: الأمر، الذي هو خلاف النهي دون غيره، وتوجيه معاني كلام الله جلّ ثناؤه إلى الأشهر الأعراف من معانيه، أولى ما وجد إليه سبيل من غيره. ومعنى قوله ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾: فخالفوا أمر الله فيها، وخرجوا عن طاعته ﴿فَحَقَّقَ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ يقول: فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسول والحجج ﴿قَدَّمَرْنَاهَا تَذْمِيرًا﴾ يقول: فخرّبناها عند ذلك تخريباً، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً،

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٧) قال أبو جعفر: وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذّبي رسوله محمد ﷺ من مشركي قريش، وتهديدهم لهم بالعقاب، وإعلام منه لهم، أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله ﷺ أنه محل بهم سخطه، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلّكوا في الكفر بالله، وتكذيب رسله سبيلهم، يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قروناً كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جلّ ثناؤه، فيعذب قوما بما لا يعذب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين؛ يقول جلّ ثناؤه: فأنبئوا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولا ينهكم على حججنا عليكم، ويوقظكم من غفلتكم، ولم نكن لنعذب قوما حتى نبعث إليهم رسولا منبها لهم على حجج الله، وأنتم على فسوقكم مقيمون، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيراً: يقول: وحسبك يا محمد بالله خابراً بذنوب خلقه عالماً، فإنه لا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال غيرهم من خلقه، وهو بجميع ذلك عالم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. وقد اختلف في مبلغ مدة القرن، عن أبي محمد بن عبد الله بن أبي أوفى، قال: القرن: عشرون ومئة سنة، فُبعث رسول الله ﷺ في أول قرن كان، وآخرهم يزيد بن معاوية. وقال آخرون: بل هو مئة سنة. كما جاء عن عبد الله بن بسر المازني، قال: وضع النبي ﷺ يده على رأسه وقال: "سَيَعِيشُ هَذَا الْغُلَامُ قَرْنًا" قلت: كم القرن؟ قال: "مِئَةُ سَنَةٍ". وقال آخرون في ذلك بما حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا عمر بن شاعر، عن ابن سيرين، قال: قال رسول الله ﷺ: "الْقَرْنُ أَرْبَعُونَ سَنَةً". وقوله ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ أدخلت الباء في قوله ﴿بِرَبِّكَ﴾ وهو في محل رفع، لأن معنى الكلام: وكفاك ربك، وحسبك ربك بذنوب عباده خبيراً، دلالة على المدح.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (٨) يقول تعالى ذكره: من كان طلبه الدنيا العاجلة ولها يعمل ويسعى، وإياها يبتغي، لا يوقن بمعاد، ولا يرجو ثواباً ولا عقاباً من ربه على عمله ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ يقول: يجعل الله له في الدنيا ما يشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به، أو إهلاكه بما يشاء من عقوباته. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يقول: ثم أصليناه عند مقدمه علينا في الآخرة جهنم، ﴿مَذْمُومًا﴾ على قلة شكره إيانا، وسوء صنيعه فيما سلف من

أيادينا عنده في الدنيا ﴿مَذْهُورًا﴾ يقول: مبعدا: مقصى في النار. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: من أراد الآخرة وإياها طلب، ولها عمل عملها، الذي هو طاعة الله وما يرضيه عنه، وأضاف السعي إلى الهاء والألف، وهي كناية عن الآخرة، فقال: وسعى للآخرة سعي الآخرة، ومعناه: وعمل لها عملها لمعرفة السامعين بمعنى ذلك، وأن معناه: وسعى لها سعيه لها وهو مؤمن، يقول: هو مؤمن مصدق بثواب الله، وعظم جزائه على سعيه لها، غير مكذب به تكذيب من أراد العاجلة، يقول الله جل ثناؤه ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ يعني: فمن فعل ذلك ﴿كَانَ سَعْيُهُمْ﴾ يعني عملهم بطاعة الله ﴿مَشْكُورًا﴾ وشكر الله إياهم على سعيهم ذلك حسن جزائه لهم على أعمالهم الصالحة، وتجاوزته لهم عن سيئها برحمته. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ هُوَ لَا يَهْدِيهِمْ عَنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠) يقول تعالى ذكره: يمد ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطاءه، فيرزقهما جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدريهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مأبهم ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ يقول: وما كان عطاء ربك الذي يؤتبه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعا ممن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك، وقد آتاه الله إياه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَِّلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: انظر يا محمد بعين قلبك إلى هذين الفريقين اللذين هم أحدهما الدار العاجلة، وإياها يطلب، ولها يعمل؛ والآخر الذي يريد الدار الآخرة، ولها يسعى موقنا بثواب الله على سعيه، كيف فضلنا أحد الفريقين على الآخر، بأن بصرنا هذا رشد، وهديناه للسبيل التي هي أقوم، ويسرناه للذي هو أهدي وأرشد، وخذلنا هذا الآخر، فأضللناه عن طريق الحق، وأغشيناه بصره عن سبيل الرشده ﴿وَلَِّلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ يقول: وفريق مريد الآخرة أكبر في الدار الآخرة درجات بعضهم على بعض لتفاوت منازلهم بأعمالهم في الجنة وأكبر تفضيلا بتفضيل الله بعضهم على بعض من هؤلاء الفريق الآخرين في الدنيا فيما بسطنا لهم فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لا تجعل يا محمد مع الله شريكا في ألوهته وعبادته، ولكن أخلص له العبادة، وأفرد له الألوهة، فإنه لا إله غيره، فإنك إن تجعل معه إلها غيره، وتعبد معه سواه، تقعد مذموما: يقول: تصير ملوما على ما ضيعت من شكر الله على ما أنعم به عليك من نعمه، وتصيرك الشكر لغير من أولاك المعروف، وفي إشراكك في الحمد من لم يشركه في النعمة عليك غيره، مخذولا قد أسلمك ربك لمن بغاك سوءا، وإذا أسلمك ربك الذي هو ناصر أوليائه لم يكن لك من دونه ولي

ينصرك ويدفع عنك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣﴾ يعني بذلك تعالى ذكره حكم ربك يا محمد بأمره إياكم ألا تعبدوا إلا الله، فإنه لا ينبغي أن يعبد غيره، وقد اختلفت ألفاظ أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ وإن كان معنى جميعهم في ذلك واحداً. وهو أمر ربك وقوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يقول: وأمركم بالوالدين إحساناً أن تحسنوا إليهما وتبروهما. ومعنى الكلام: وأمركم أن تحسنوا إلى الوالدين، فلما حذف "أن" تعلق القضاء بالإحسان، كما يقال في الكلام: أمرك به خيراً، وأوصيك به خيراً، بمعنى: أمرك أن تفعل به خيراً، ثم تحذف "أن" فيتعلق الأمر والوصية بالخبر، وقوله ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ﴾ يقول: فلا تؤفف من شيء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب في الأجر صبرك عليه منهما، كما صبرا عليك في صغرك. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَلَا تُنْهَرُهُمَا﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تزجرهما. وأما قوله ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ فإنه يقول جل ثناؤه: وقل لهما قولاً جميلاً حسناً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: وكن لهما ذليلاً رحمة منك بهما تطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن لله معصية، ولا تخالفهما فيما أحبا. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وأما قوله ﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فإنه يقول: ادع الله لوالديك بالرحمة، وقل رب ارحمهما، وتعطف عليهما بمغفرتك ورحمتك، كما تعطف عليّ في صغري، فرحماني ورباني صغيراً، حتى استقلت بنفسي، واستغنيت عنهما. كما جاء عن قتادة ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ هكذا علمتم، وبهذا أمرتم، خذوا تعليم الله وأدبه، ذكر لنا "أن نبي الله ﷺ خرج ذات يوم وهو ما ديد يده رافع صوته يقول: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُنْعِدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ". ولكن كانوا يرون أنه من برّ والديه، وكان فيه أدنى تقى، فإن ذلك مبلّغه جسيم الخير، وقال جماعة من أهل العلم: إن قول الله جل ثناؤه ﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ منسوخ بقوله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ وقد تحتمل هذه الآية أن تكون وإن كان ظاهرها عامّاً في كل الآباء بغير معنى النسخ، بأن يكون تأويلها على الخصوص، فيكون معنى الكلام: وقل رب ارحمهما إذا كانا مؤمنين، كما رباني صغيراً، فتكون مراداً بها الخصوص على ما قلنا غير منسوخ منها شيء. وعن بقوله رباني: نَمِيَانِي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ٢٥﴾ يقول تعالى ذكره ﴿رَبُّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم وتكرمتهم، والبرّ بهم، وما فيها من اعتقاد الاستخفاف بحقوقهم، والعقوق لهم، وغير ذلك من ضماير صدوركم، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم على حسن ذلك وسيئه، فاحذروا أن تضمروا لهم سوءاً، وتعقدوا لهم عقوقاً. وقوله ﴿إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾

يقول: إن أنتم أصلحتم نياتكم فيهم، وأطعتم الله فيما أمركم به من البرّ بهم، والقيام بحقوقهم عليكم، بعد هفوة كانت منكم، أو زلة في واجب لهم عليكم مع القيام بما ألزمتكم في غير ذلك من فرائضه، فإنه كان للأوابين بعد الزلة، والتائبين بعد الهفوة غفورا لهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره واختلف أهل التأويل، في تأويل قوله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الأواب: هو التائب من الذنب، الراجع من معصية الله إلى طاعته، ومما يكرهه إلى ما يرضاه، لأن الأواب إنما هو فعّال، من قول القائل: أب فلان من كذا إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۚ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ﴾ ﴿٧﴾
 ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ وأولى التأويلين عندي بالصواب، تأويل من تأول ذلك أنها بمعنى وصية الله عباده بصلة قرابات أنفسهم وأرحامهم من قبل آبائهم وأمهاتهم، وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ عقب ذلك عقيب حصّه عباده على برّ الآباء والأمّهات، فالواجب أن يكون ذلك حصّا على صلة أنسابهم دون أنساب غيرهم التي لم يجر لها ذكر، وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وأعط يا محمد ذا قرابتك حقه من صلتك إياه، وبرّك به، والعطف عليه، وخرج ذلك مخرج الخطاب لنبيّ الله ﷺ، والمراد بحكمه جميع من لزمته فرائض الله، يدلّ على ذلك ابتداءه الوصية بقوله جلّ ثناؤه ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فوجّه الخطاب بقوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ إلى نبيّ الله ﷺ، ثم قال ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فرجع بالخطاب به إلى الجميع، ثم صرف الخطاب بقوله ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ﴾ إلى أفرادهم به. والمعنى بكل ذلك جميع من لزمته فرائض الله عَزَّوَجَلَّ، أفرد بالخطاب رسول الله ﷺ وحده، أو عمّ به هو وجميع أمته. وقوله ﴿وَالْمِسْكِينَ﴾ وهو الذلّة من أهل الحاجة. وقد دللنا فيما مضى على معنى المسكين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ يعني: المسافر المنقطع به، يقول تعالى: وصل قرابتك، فأعطه حقه من صلتك إياه، والمسكين ذا الحاجة، والمجتاز بك المنقطع به، فأعنه، وقوّه على قطع سفره. وقد قيل: إنما عنى بالأمر بإتيان ابن السبيل حقه أن يضاف ثلاثة أيام. والقول الأوّل عندي أولى بالصواب، لأن الله تعالى لم يُخصّص من حقوقه شيئا دون شيء في كتابه، ولا على لسان رسوله، فذلك عامّ في كلّ حق له أن يُعطاه من ضيافة أو حمولة أو معونة على سفره. وقوله ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ يقول: ولا تفرّق يا محمد ما أعطاك الله من مال في معصيته تفريقا. وأصل التبذير: التفرّق في السرف؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن عبد الله في قوله ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ قال: التبذير في غير الحق، وهو الإسراف. وكما جاء عن ابن زيد وغيره وأما قوله ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ فإنه يعني: إنّ المفرّقين أموالهم في معاصي الله المنفقيها في غير طاعته أولياء الشياطين، وكذلك تقول العرب لكلّ ملازم سنة قوم وتابع أثرهم: هو أخوهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ يقول: وكان الشيطان لنعمة ربه التي أنعمها عليه جحودا لا يشكره عليه، ولكنه يكفرها بترك طاعة الله، وركوبه معصيته، فكذلك إخوانه من بني آدم المبذرون أموالهم في معاصي الله، لا يشكرون الله على نعمه عليهم، ولكنهم يخالفون أمره ويعصونه، ويستنون فيما أنعم الله عليهم به من الأموال التي

خولهموها عَزَّجَلَّ سنته من ترك الشكر عليها، وتلقاها بالكفران.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨) يقول تعالى ذكره: وإن تعرض يا محمد عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم حقوقهم إذا وجدت إليها السبيل بوجهك عند مسألتهم إياك، ما لا تجد إليه سبيلا حياء منهم ورحمة لهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ يقول: انتظر رزق تنتظره من عند ربك، وترجو تيسير الله إياه لك، فلا تؤيسهم، ولكن قل لهم قولا ميسورا: يقول: ولكن عداهم وعدا جميلا بأن تقول: سيرزق الله فأعطيكهم، وما أشبه ذلك من القول اللين غير الغليظ، كما قال جل ثناؤه ﴿وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني به يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ إذا خشيت إن أعطيتهم. أن يتقوا بها على معاصي الله عَزَّجَلَّ، ويستعينوا بها عليها، فرأيت أن تمنعهم خيرا، فإذا سألوك ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ قولا جميلا رزقك الله، بارك الله فيك. وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن زيد مع خلافه أقوال أهل التأويل في تأويل هذه الآية، بعيد المعنى، مما يدل عليه ظاهرها، وذلك أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ فأمره أن يقول إذا كان إعراضه عن القوم الذين ذكرهم انتظار رحمة منه يرجوها من ربه ﴿قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ وذلك الإعراض ابتغاء الرحمة، لن يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها لنفسه، فيكون معنى الكلام كما قلناه، وقال أهل التأويل الذين ذكرنا قولهم، وخلاف قوله؛ أو يكون إعراضا منه ابتغاء رحمة من الله يرجوها للساثلين الذين أمر نبي الله ﷺ بزعمه أن يمنعه ما سأله خشية عليهم من أن ينفقوه في معاصي الله، فمعلوم أن سخط الله على من كان غير مأمون منه صرف ما أعطي من نفقة ليتقوى بها على طاعة الله في معاصيه، أخوف من رجاء رحمته له، وذلك أن رحمة الله إنما ترجى لأهل طاعته، لا لأهل معاصيه، إلا أن يكون أراد توجيه ذلك إلى أن نبي الله ﷺ أمر بمنعهم ما سأله، لينبوا من معاصي الله، ويتوبوا بمنعه إياهم ما سأله، فيكون ذلك وجهها يحتمله تأويل الآية، وإن كان لقول أهل التأويل مخالفا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (٢٩) وهذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للممتنع من الإنفاق في الحقوق التي أوجبها في أموال ذوي الأموال، فجعله كالمشدودة يده إلى عنقه، الذي لا يقدر على الأخذ بها والإعطاء. وإنما معنى الكلام: ولا تمسك يا محمد يدك بخلا عن النفقة في حقوق الله، فلا تنفق فيها شيئا إمساك المغلولة يده إلى عنقه، الذي لا يستطيع بسطها ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ يقول: ولا تبسطها بالعطية كل البسط، فتبقى لا شيء عندك، ولا تجد إذا سئلت شيئا تعطيه سائلك ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ يقول: فتقعد يلومك سائلوك إذا لم تعطهم حين سألوك، وتلومك نفسك على الإسراع في مالك وذهابه، محسورا: يقول: معييا، قد انقطع بك، لا شيء عندك تنفقه، وأصله من قولهم للدابة التي قد سير عليها حتى انقطع سيرها، وكلت ورزحت من السير، بأنه حسير. يقال منه: حسرت الدابة فأنا أحسرها، وأحسرها حسرا، وذلك إذا أنضيت بالسير، وحسرتها بالمسألة إذا سألته

فألحفت، وحَسَرَ البَصْرَ فهو يَحْسِرُ، وذلك إذا بلغ أقصى المنظر فكلَّ. ومنه قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ وكذلك ذلك في كل شيء كلَّ وأزحف حتى يَضْنَى. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وابن زيد وغيرهما

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، ويقدر على من يشاء، يقول: وَيُقَدِّرُ على من يشاء منهم، فيضيق عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾: يقول: إن ربك ذو خبرة بعباده، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده؛ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق ويهلكه ﴿بَصِيرًا﴾: يقول: هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم، يقول: فأنته يا محمد إلى أمرنا فيما أمرناك ونهيناك من بسط يدك فيما تبسطها فيه، وفيمن تبسطها له، ومن كفها عمن تكفها عنه، وتكفها فيه، فنحن أعلم بمصالح العباد منك، ومن جميع الخلق وأبصر بتدبيرهم. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالَّذِينَ إِحْسَانًا﴾، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ فموضع تقتلوا نصب عطفًا على ألا تعبدوا. ويعني بقوله ﴿خَشْيَةً إِمْلَاقٍ﴾ خوف إقتار وفقر، وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى، وذكرنا الرواية فيه، وإنما قال جل ثناؤه ذلك للعرب، لأنهم كانوا يقتلون الإناث من أولادهم خوف العيلة على أنفسهم بالإنفاق عليهم. كما جاء عن قتادة وأما قوله ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ فإن القراء اختلفت في قراءته بفتح الخاء أو بكسرها وأولى القراءات في ذلك عندنا بالصواب، القراءة التي عليها قراء أهل العراق، وعامة أهل الحجاز، لإجماع الحجة من القراء عليها، وشذوذ ما عداها. وإن معنى ذلك كان إثمًا وخطيئة، لا خطأ من الفعل، لأنهم إنما كانوا يقتلونهم عمدا لا خطأ، وعلى عمدهم ذلك عاتبهم ربهم، وتقدم إليهم بالنهي عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) يقول تعالى ذكره: وقضى أيضا أن ﴿لَا تَقْرُبُوا﴾ أيها الناس ﴿الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ يقول: إن الزنا كان فاحشة ﴿وساء سَبِيلًا﴾ يقول: وساء طريق الزنا طريقا، لأن طريق أهل معصية الله، والمخالفين أمره، فأسوأ به طريقا يورد صاحبه نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣) يقول جل ثناؤه: وقضى أيضا أن ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ أيها الناس ﴿النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ وحقها أن لا تقتل إلا بكفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان، أو قود نفس، وإن كانت كافرة لم يتقدم كفرها إسلام، فإن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان. كما جاء عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ؛ قِيلَ: وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، وَكُفْرًا بَعْدَ إِيْمَانٍ، وَقَتْلَ نَفْسٍ فَيُقْتَلُ بِهَا". وقوله ﴿وَمَنْ قُتِلَ

مَظْلُومًا ﴿يَقُولُ: وَمَنْ قَتَلَ بِغَيْرِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ إِذَا قَتَلَ بِهَا كَانَ قَتْلًا بِحَقٍّ﴾ فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا ﴿يَقُولُ: فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِ الْمَقْتُولِ ظُلْمًا سُلْطَانًا عَلَى قَاتِلِ وَلِيهِ، فَإِنْ شَاءَ اسْتِقَادَ مِنْهُ فَقَتَلَهُ بُولِيهِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ الدِّيَةَ. وَقَوْلُهُ ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ اخْتَلَفَتْ الْقِرَاءُ فِي قِرَاءَةِ ذَلِكَ، فَقَرَأَتْهُ عَامَّةُ قِرَاءِ الْكُوفَةِ ﴿فَلَا تُسْرِفُ﴾ بِمَعْنَى الْخُطَابِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُوَ الْأُتْمَةُ مِنْ بَعْدِهِ، يَقُولُ: فَلَا تَقْتُلْ بِالْمَقْتُولِ ظُلْمًا غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ إِذَا قَتَلَ رَجُلٌ رَجُلًا عَمْدًا وَلِيَّ الْقَتِيلِ إِلَى الشَّرِيفِ مِنْ قَبِيلَةِ الْقَاتِلِ، فَقَتَلَهُ بُولِيهِ، وَتَرَكَ الْقَاتِلَ، فَهِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ عِبَادَهُ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قَتَلَ غَيْرَ الْقَاتِلِ بِالْمَقْتُولِ مَعْصِيَةٌ وَسُرْفٌ، فَلَا تَقْتُلْ بِهِ غَيْرَ قَاتِلِهِ، وَإِنْ قَتَلْتَ الْقَاتِلَ بِالْمَقْتُولِ فَلَا تَمَثِّلْ بِهِ. وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قِرَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ ﴿فَلَا يُسْرِفُ﴾ بِالْبَاءِ، بِمَعْنَى فَلَا يَسْرِفُ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ، فَيَقْتُلُ غَيْرَ قَاتِلِ وَلِيهِ. وَقَدْ قِيلَ: عَنَى بِهِ: فَلَا يَسْرِفُ الْقَاتِلُ الْأَوَّلُ لَا وَلِيَّ الْمَقْتُولِ. وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدِي، أَنَّ يُقَالُ: إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَى، وَذَلِكَ أَنَّ خُطَابَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بِأَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ فِي أَحْكَامِ الدِّينِ، قَضَاءٌ مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ، وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ بَعْضُهُمْ، أَمْرٌ مِنْهُ وَنَهْيٌ جَمِيعُهُمْ، إِلَّا فِيمَا دَلَّ فِيهِ عَلَى أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهِ بَعْضٌ دُونَ بَعْضٍ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ بِمَا قَدْ بَيَّنَّا فِي كِتَابِنَا [كِتَابُ الْبَيَانِ، عَنْ أَصُولِ الْأَحْكَامِ] فَمَعْلُومٌ أَنَّ خُطَابَهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿فَلَا تُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ نَبِيَّهُ ﷺ، وَإِنْ كَانَ مُوَجَّهًا إِلَيْهِ أَنَّهُ مَعْنِي بِهِ جَمِيعَ عِبَادِهِ، فَكَذَلِكَ نَبِيَّهُ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ أَوْ الْقَاتِلِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ، وَالتَّعَدِّي فِيهِ نَهْيٌ لَجَمِيعِهِمْ، فَبَإَيِّ ذَلِكَ قَرَأَ الْقَارِئُ فَمَصِيبُ صَوَابِ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِهِمْ ذَلِكَ نَحْوَ اخْتِلَافِ الْقِرَاءَةِ فِي قِرَاءَتِهِمْ إِيَّاهُ. ذَكَرَ مِنْ تَأْوِيلِ ذَلِكَ: بِمَعْنَى الْخُطَابِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَالَّذِي جَاءَ عَنِ الضَّحَّاكِ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ إِنَّهُ كَانَ مَنُصُورًا ﴿كَانَ هَذَا بِمَكَّةَ، وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ بِهَا، وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي شَأْنِ الْقَتْلِ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَغْتَالُونَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ قَتَلَكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَا يَحْمِلُكُمْ قَتْلُهُ إِيَّاكُمْ عَلَى أَنْ تَقْتُلُوا لَهُ أَبَا أَوْ أَخًا أَوْ أَحَدًا مِنْ عَشِيرَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، فَلَا تَقْتُلُوا إِلَّا قَاتِلَكُمْ؛ وَهَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْزَلَ بَرَاءَةُ، وَقَبْلَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿فَلَا تُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ يَقُولُ: لَا تَقْتُلْ غَيْرَ قَاتِلِكَ، وَهِيَ الْيَوْمَ عَلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَحِلُّ لَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوا إِلَّا قَاتِلَهُمْ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، كَمَا جَاءَ عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِهِ سُلْطَانًا﴾ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ يُقْتَلُ فَيَقُولُ وَلِيهِ: لَا أَرْضَى حَتَّى أَقْتُلَ بِهِ فَلَانًا وَفَلَانًا مِنْ أَشْرَافِ قَبِيلَتِهِ. وَجَاءَ عَنْ قَتَادَةَ ﴿فَلَا تُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قَالَ: لَا تَقْتُلْ غَيْرَ قَاتِلِكَ، وَلَا تَمَثِّلْ بِهِ. وَجَاءَ أَيْضًا عَنْ قَتَادَةَ ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قَالَ: لَا يَقْتُلْ غَيْرَ قَاتِلِهِ؛ مَنْ قَتَلَ بِحَدِيدَةٍ قُتِلَ بِحَدِيدَةٍ؛ وَمَنْ قَتَلَ بِخَشَبَةٍ قُتِلَ بِخَشَبَةٍ؛ وَمَنْ قَتَلَ بِحَجَرٍ قُتِلَ بِحَجَرٍ. ذَكَرَ لَنَا أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "إِنْ مِنْ أَعْتَى النَّاسِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِدَخْنٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَوْ قَتَلَ فِي حَرَمِ اللَّهِ". ذَكَرَ مِنْ قَالَ عُنِيَ بِهِ الْقَاتِلُ حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ قَالَ: لَا يَسْرِفُ الْقَاتِلُ فِي الْقَتْلِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا الصَّوَابَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا، وَإِذَا كَانَ كَلَامُ وَجْهِي الْقِرَاءَةِ عِنْدَنَا صَوَابًا، فَكَذَلِكَ جَمِيعُ أَوْجِهٍ تَأْوِيلِهِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا غَيْرَ خَارِجٍ وَجْهٍ مِنْهَا مِنَ الصَّوَابِ، لِاحْتِمَالِ الْكَلَامِ ذَلِكَ، وَإِنْ فِي نَهْيِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بَعْضَ خَلْقِهِ عَنِ الْإِسْرَافِ فِي الْقَتْلِ، نَهْيٌ

منه جميعهم عنه. وأما قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيمن عني بالهاء التي في قوله ﴿إِنَّهُ﴾ وعلى ما هي عائدة، وأشبه ذلك بالصواب عندي، قول من قال: عني بها الولي، وعليه عادت، لأنه هو المظلوم، ووليه المقتول، وهي إلى ذكره أقرب من ذكر المقتول، وهو المنصور أيضا، لأن الله جل ثناؤه قضى في كتابه المنزل، أنه سلطه على قاتل وليه، وحكمه فيه، بأن جعل إليه قتله إن شاء، واستبقاه على الدية إن أحب، والعفو عنه إن رأى، وكفى بذلك نصرة له من الله جل ثناؤه، فلذلك قلنا: هو المعني بالهاء التي في قوله ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقضى أيضا أن لا تقربوا مال اليتيم بأكل، إسرافا وبدارا أن يكبروا، ولكن اقربوه بالفعلة التي هي أحسن، والخلة التي هي أجمل، وذلك أن تتصرفوا فيه له بالتشهير والإصلاح والحيطة. وكان قتادة يقول في قوله ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لما نزلت هذه الآية، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فكانوا لا يخالطونهم في طعام أو أكل ولا غيره، فأُنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنْ تَحَاطُّوهُمْ فَأَخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ فكانت هذه لهم فيها رخصة. وقوله ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ يقول: حتى يبلغ وقت اشتداده في العقل، وتدبير ماله، وصلاح حاله في دينه ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ يقول: وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام، وفيما بينكم أيضا، واليُوع والأشربة والإجازات، وغير ذلك من العقود ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ يقول: إن الله جل ثناؤه سائل ناقض العهد عن نقضه إياه، يقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم، وبين من عاهدتموه أيها الناس فتحفروهم، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عني بذلك أن العهد كان مطلوبًا، يقال في الكلام: ليسلن فلان عهد فلان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَضَى أَنْ أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ للناس ﴿إِذَا كِلْتُمْ﴾ لهم حقوقهم قبلكم، ولا تبخسوهم ﴿وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ يقول: وقضى أن زنوا أيضا إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه، ولا دغل، ولا خديعة. وقد اختلف أهل التأويل في معنى القسطاس، فقال بعضهم: هو القبان. كما جاء عن الحسن وقال آخرون: هو العدل بالرومية. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: هو الميزان صغر أو كبر؛ وفيه لغتان: القسطاس بكسر القاف والقسطاس بضمها، مثل القراطس والقراطس؛ وبالكسر يقرأ عامة قراء أهل الكوفة، وبالضم يقرأ عامه قراء أهل المدينة والبصرة، وقد قرأ به أيضا بعض قراء الكوفيين، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لأنهما لغتان مشهورتان، وقراءتان مستفيضتان في قراء الأمصار. وقوله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يقول: إيفاؤكم أيها الناس من تكيلون له الكيل، ووزنكم بالعدل لمن توفون له ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من بخسكم إياهم ذلك، وظلمكموهم فيه. وقوله ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ يقول: وأحسن مردودا عليكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك، لأن الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم، فيحسن لكم عليه الجزاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وأخبرنا أن ابن عباس كان يقول: يا معشر الموالي، إنكم وليتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم: هذا المكيال، وهذا الميزان. قال: وذكر

لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: "لا يَقْدِرُ رَجُلٌ عَلَى حَرَامٍ ثُمَّ يَدْعُهُ، لَيْسَ بِهِ إِلَّا مَخَافَةُ اللَّهِ، إِلَّا أَبْدَلَهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذَلِكَ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣١) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فقال بعضهم: معناه: ولا تقل ما ليس لك به علم. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل معناه: ولا ترم. كما جاء عن مجاهد وهذان التأويلان متقاربا المعنى، لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، وادعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره. وأصل القفو: العضه والبهت، ومنه قول النبي ﷺ: "نَحْنُ بَنُو النَّصْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا تَقْفُوا أَمْنًا وَلَا نَنْتَقِي مِنْ أَيْمَانٍ"، وكان بعض البصريين ينشد في ذلك بيتا: وَمِثْلُ الدَّمَى شُمُ الْعَرَانِينَ سَاكِنٌ... بَهْنُ الْحَيَاءِ لَا يُشْعِنُ التَّقَايَا يعني بالتقافي: التقاذف. ويزعم أن معنى قوله ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتبع ما لا تعرف وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لا تقل للناس وفيهم ما لا علم لك به، فترمهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحق، فذلك هو القفو. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن ذلك هو الغالب من استعمال العرب القفو فيه. وأما قوله ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فإنلم، ولا يعينك. معناه: إن الله سائل هذه الأعضاء عما قال صاحبها، من أنه سمع أو أبصر أو علم، تشهد عليه جوارحه عند ذلك بالحق، وقال أولئك، ولم يقل تلك، كما قال الشاعر: دُمَّ الْمَنَازِلُ بَعْدَ مَرَلَةِ اللَّوَى... وَالْعَيْشُ بَعْدَ أَوْلَيْكَ الْإِيَّامُ وإنما قيل: أولئك، لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل الذي يقع للتذكير والتأنيث، وهذه وتلك للجمع الكثير، فالتذكير للقليل من باب أن كان التذكير في الأسماء قبل التأنيث لك التذكير للجمع الأول، والتأنيث للجمع الثاني، وهو الجمع الكثير، لأن العرب تجعل الجمع على مثال الأسماء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٢) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٣) يقول تعالى ذكره: ولا تمش في الأرض مختلا مستكبرا ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ يقول: إنك لن تقطع الأرض باختيالك، كما قال رؤبة: وقاتم الأعماق خاوي المخرق يعني بالمخرق: المقطع ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ بفخره وكبره، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء، وتقدم منه إليهم فيه معرفهم بذلك أنهم لا ينالون بكبرهم وفخارهم شيئا يقصر عنه غيرهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقيل: لا تمش مَرَحًا، ولم يقل مَرَحًا، لأنه لم يرد بالكلام: لا تكن مَرَحًا، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مَرَحًا، ففسر المعنى المراد من قوله: ولا تمش، وقوله ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ فإن القراء اختلفت فيه وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأ ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ على إضافة السبى إلى الهاء، بمعنى: كل ذلك الذي عددنا من ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ... كَانَ سَيِّئُهُ﴾ لأن في ذلك أمورا منيها عنها، وأمورا مأمورا بها، وابتداء الوصية والعهد من ذلك الموضع دون قوله ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ إنما هو عطف على ما تقدم من قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فإذا كان ذلك كذلك، فقراءته بإضافة السبى إلى الهاء أولى وأحق من قراءته سيئة بالتنوين، بمعنى السيئة الواحدة. فتأويل الكلام إذن: كل هذا الذي

ذكرنا لك من الأمور التي عدناها عليك كان سيئة مكروها عند ربك يا محمد، يكرهه وينهى عنه ولا يرضاه، فاتق مواقعه والعمل به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره: هذا الذي بينا لك يا محمد من الأخلق الجميلة التي أمرناك بجميلها، ونهيناك عن قبيحها ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ يقول: من الحكمة التي أوحيناها إليك في كتابنا هذا. كما جاء عن ابن زيد وقد بينا معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ يقول: ولا تجعل مع الله شريكا في عبادتك، فتلقى في جهنم ملوما تلومك نفسك وعارفوك من الناس ﴿مَدْحُورًا﴾ يقول: مُبْعَدًا مقصيا في النار، ولكن أخلص العبادة لله الواحد القهار، فتنجو من عذابه. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ (٣٢) يقول تعالى ذكره للذين قالوا من مشركي العرب: الملائكة بنات الله ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ أيها الناس ﴿رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ﴾ يقول: أفخصكم ربكم بالذكور من الأولاد ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ وأنتم لا ترضونهم لأنفسكم، بل تدونهم، وتقتلونهم، فجعلتم الله ما لا ترضونه لأنفسكم ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين قالوا من الفرية على الله ما ذكرنا: إنكم أيها الناس لتقولون بقبيلكم: الملائكة بنات الله، قولا عظيما، وتفترون على الله فرية منكم. وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا محمد، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ قال: قالت اليهود: الملائكة بنات الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ لهؤلاء المشركين المفترين على الله ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ العبر والآيات والحجج، وضربنا لهم فيه الأمثال، وحذرناهم فيه وأنذرناهم ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ يقول: ليتذكروا تلك الحجج عليهم، فيعقلوا خطأ ما هم عليه مقيمون، ويعتبروا بالعبر، فيتعظوا بها، وينبوا من جهالتهم، فما يعتبرون بها، ولا يتذكرون بما يرد عليهم من الآيات والنذر، وما يزيدهم تذكيرنا إياهم ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ يقول: إلا ذهابا عن الحق، وتبعا منه وهربا. والنفور في هذا الموضع مصدر من قولهم: نفر فلان من هذا الأمر ينفر منه نفرا ونفورا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٣٤) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر: لو كان الأمر كما تقولون: من أن معه آلهة، وليس ذلك كما تقولون، إذن لابتغت تلك الآلهة القربة من الله ذي العرش العظيم، والتمست الزلفة إليه، والمرتبة منه. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ يقول: لو كان معه آلهة إذن لعرفوا فضله ومرتبته ومنزله عليهم، فابتغوا ما يقربهم إليه. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ٢٠٩ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ٢١٠ وهذا تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه عما وصفه به المشركون، الجاعلون معه آلهة غيره، المضيفون إليه البنات، فقال: تنزيها لله وعلوًا له عما تقولون أيها القوم، من الفرية والكذب، فإن ما تضيفون إليه من هذه الأمور ليس من صفته، ولا ينبغي أن يكون له صفة. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان. وقال تعالى ﴿عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا﴾ ولم يقل: تعاليا، كما قال ﴿وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ وقوله ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ يقول: تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا السماوات السبع والأرض، ومن فيهن من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجن، وأنتم مع إنعامه عليكم، وجميل أياديه عندهم، تفترون عليه بما تفترون. وقوله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ يقول جل ثناؤه: وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده. كما جاء عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ أَمَرَ بِهِ نُوحٌ ابْنُهُ؟ إِنَّ نُوحًا قَالَ لِابْنِهِ يَا بَنِيَّ آمُرُكَ أَنْ تَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ الْخَلْقِ، وَتَسْبِيحُ الْخَلْقِ، وَبِهَا تَرْزُقُ الْخَلْقَ، قَالَ اللَّهُ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾. وقوله ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ يقول: إن الله كان حلِيمًا لا يعجل على خلقه، الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة ﴿غَفُورًا﴾ يقول: ساترا عليهم ذنوبهم، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ ٢١١ يقول تعالى ذكره: وإذا قرأت يا محمد القرآن على هؤلاء المشركين الذين لا يصدقون بالبعث، ولا يقرّون بالثواب والعقاب، جعلنا بينك وبينهم حجابا، يحجب قلوبهم عن أن يفهموا ما تقرّوه عليهم، فينتفعوا به، عقوبة منا لهم على كفرهم. والحجاب ههنا: هو الساتر. كما جاء عن ابن زيد وغيره وكان بعض نحوي أهل البصرة يقول: معنى قوله ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ حِجَابًا ساترا، ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ المفعول، كما يقال: إنك مشثوم علينا وميمون، وإنما هو شائم ويامن، لأنه من شأمهم ويمنهم. قال: والحجاب ههنا: هو الساتر، وقال: مستورا. وكان غيره من أهل العربية يقول: معنى ذلك: حجابا مستورا عن العباد فلا يرونه. وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام أن يكون المستور هو الحجاب، فيكون معناه: أن الله سترنا عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم، وإن كان للقول الأوّل وجه مفهوم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ ٢١٢ يقول تعالى ذكره: وجعلنا على قلوب هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة عند قراءتك عليهم القرآن أكنة، وهي جمع كنان، وذلك ما يتغشاها من خذلان الله إياهم عن فهم ما يُتلى عليهم ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يقول: وجعلنا في آذانهم وقرا عن سماعه، وصمما، والوقر بالفتح في الأذن: الثقل. والوقر بالكسر: الحمل. وقوله ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ

وَحَدَّهُ يَقُول: وإذا قلت: لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوهُ ﴿وَلَوْ أَعْلَمَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُفْتَنُونَ﴾ يقول: انفضوا، فذهبوا عنك نفورا من قولك استكبارا له واستعظاما من أن يوحد الله تعالى. وبما قلنا في ذلك، قال بعض أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وأما النفور، فإنها جمع نافر، كما القعود جمع قاعد، والجلوس جمع جالس؛ وجائز أن يكون مصدرا أخرج من غير لفظه، إذ كان قوله ﴿وَلَوْ﴾ بمعنى: نفروا، فيكون معنى الكلام: نفروا نفورا،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وأنت تقرأ كتاب الله ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: النجوى: فعلهم، فجعلهم هم النجوى، كما يقول: هم قوم رضا، وإنما رضا: فعلهم. وقوله ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ يقول: حين يقول المشركون بالله ما تتبعون إلا رجلا مسحورا. وعنى فيما ذكر بالنجوى: الذين تشاوروا في أمر رسول الله ﷺ في دار الندوة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كم جاء عن مجاهد وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يذهب بقوله ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ إلى معنى: ما تتبعون إلا رجلا له سحر: أي له رئة، والعرب تسمي الرئة سحرا، والسحر من قولهم للرجل إذا جبن: قد انتفخ سحره، وكذلك يقال لكل ما أكل أو شرب من آدمي وغيره: مسحور ومُسحَر، فكأن معناه عنده كان: إن تتبعون إلا رجلا له رئة، يأكل الطعام، ويشرب الشراب، لا ملكا لا حاجة به إلى الطعام والشراب، والذي قال من ذلك غير بعيد من الصواب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعبر كيف مثلوا لك الأمثال، وشبهوا لك الأشياء، بقولهم: هو مسحور، وهو شاعر، وهو مجنون ﴿فضلوا﴾ يقول: فجاروا عن قصد السبيل بقليلهم ما قالوا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ يقول: فلا يهتدون لطريق الحق لضلالهم عنه ويُعْدهم منه، وأن الله قد خذلهم عن إصابته، فهم لا يقدرُونَ على المَخْرَجِ مما هم فيه من كفرهم بتوفيقهم إلى الإيمان به. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة من مشركي قريش، وقالوا بعثتهم: ﴿أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا﴾ لم نتحطم ولم نتكسر بعد مماتنا وبلانا ﴿وَرُفَاتًا﴾ يعني ترابا في قبورنا. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ قالوا، إنكارا منهم للبعث بعد الموت: إنا لمبعوثون بعد مصيرنا في القبور عظاما غير منحلطة، ورفاتا منحلطة، وقد بَلَيْنَا فصرنا فيها ترابا، خلقا مُنْشَأً كما كنا قبل الممات جديدا، نعاد كما بدثنا، فأجابهم جَلَّ جلاله يَعْرِفُهُمْ قُدْرَتُهُ عَلَى بَعْثِهِ إِيَّاهُمْ بعد مماتهم، وإنشأه لهم كما كانوا قبل بِلَاهِهِمْ خلقا جديدا، على أي حال كانوا من الأحوال، عظاما أو رُفَاتًا، أو حجارة أو حديدا، أو غير ذلك مما يعظم عندهم أن يحدث مثله خَلْقًا أَمْثَالَهُمْ أحياء، قل يا محمد كونوا حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا ۖ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للمكذبين بالبعث بعد الممات من قومك القائلين ﴿أَبَدًا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم، وإعادته أجسامكم، خلقا جديدا بعد بلاككم في التراب، ومصيركم رُفَاتًا، وأنكرتم ذلك من قدرته حجارة أو حديدا، أو خلقا مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك، فإني أحيبكم وأبعثكم خلقا جديدا بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أول مرة. واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فقال بعضهم: عني به الموت، وأريد به: أو كونوا الموت، فإنكم إن كنتموه أمتكم ثم بعثكم بعد ذلك يوم البعث. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: إن الله يجيء بالموت يوم القيامة، وقد صار أهل الجنة وأهل النار إلى منازلهم، كأنه كبش أملح، فيقف بين الجنة والنار، فينادي أهل الجنة وأهل النار هذا الموت، ونحن ذابحوه، فأيقنوا بالخلود. وقال آخرون: عني بذلك السماء والأرض والجبال. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل أريد بذلك: كونوا ما شئتم. كما جاء عن مجاهد وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره قال ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، وجائز أن يكون عني به الموت، لأنه عظيم في صدور بني آدم؛ وجائز أن يكون أراد به السماء والأرض؛ وجائز أن يكون أراد به غير ذلك، ولا بيان في ذلك أبين مما بين جل ثناؤه، وهو كل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه، لأنه لم يخصص منه شيئا دون شيء. وأما قوله ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ فإنه يقول: فسيقول لك يا محمد هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾ خلقا جديدا، إن كنا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدورنا، فقل لهم: يعيدكم ﴿الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول: يعيدكم كما كنتم قبل أن تصيروا حجارة أو حديدا إنسا أحياء، الذي خلقكم إنسا من غير شيء أول مرة. كما جاء عن قتادة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي خلقكم ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيزنون إليك رؤوسهم برفع وخفض، وكذلك الغض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظلم نغضا، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ يقول جل ثناؤه: ويقولون متى البعث، وفي أي حال ووقت يعيدنا خلقا جديدا، كما كنا أول مرة، قال الله عز وجل لنبيه: قل لهم يا محمد إذ قالوا لك: متى هو، متى هذا البعث الذي تعدنا، عسى أن يكون قريبا؟ وإنما معناه: هو قريب، لأن عسى من الله واجب، ولذلك قال النبي ﷺ: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وأشار بالسبابة والوسطى"، لأن الله تعالى كان قد أعلمه أنه قريب مجيب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ﴾ وقُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قل عسى أن يكون بعثكم أيها المشركون قريبا، ذلك يوم يدعوكم ربكم بالخروج من قبوركم إلى موقف القيامة، فتستجيبون بحمده. اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: معناه: فتستجيبون لله من قبوركم بقدرته، ودعائه

إياكم، والله الحمد في كل حال، كما يقول القائل: فعلت ذلك الفعل بحمد الله، يعني: الله الحمد على كل ما فعلته، وقوله ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول: وتحسبون عند موافاتكم القيامة من هول ما تعانون فيها ما لبثتم في الأرض إلا قليلا كما قال جل ثناؤه ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وقل يا محمد لعبادي يقتل بعضهم لبعض التي هي أحسن من المحاورة والمخاطبة. كما جاء عن الحسن في هذه الآية ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: التي هي أحسن، لا يقول له مثل قوله يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك. وقوله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: إن الشيطان يسوء محاورة بعضهم بعضا ينزع بينهم، يقول: يفسد بينهم، يهيج بينهم الشر ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ يقول: إن الشيطان كان لآدم وذريته عدوا، قد أبان لهم عداوته بما أظهر لآدم من الحسد، وغروره إياه حتى أخرجه من الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش الذين قالوا ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لِمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ - ﴿رَبُّكُمْ﴾ أيها القوم ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يُرْسِلْكُمْ﴾ فيتوب عليكم برحمته، حتى تنبوا عما أنتم عليه من الكفر به وباليوم الآخر ﴿إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ بأن يخذلكم عن الإيمان، فتموتوا على شرككم، فيعذبكم يوم القيامة بكفركم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن عبد الملك بن جريج وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ يقول لنبية محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد على من أرسلناك إليه لتدعوه إلى طاعتنا ربا ولا رقيبا، إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا، وبأيدينا صرفهم وتديبرهم، فإن شئنا رحمانهم، وإن شئنا عذبناهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية ﷺ: وربك يا محمد أعلم بمن في السماوات والأرض وما يصلحهم فإنه هو خالقهم ورازقهم ومديرهم، وهو أعلم بمن هو أهل للتوبة والرحمة، ومن هو أهل للعذاب، أهدي للحق من سبق له مني الرحمة والسعادة، وأضل من سبق له مني الشقاء والخذلان، يقول: فلا يكبرن ذلك عليك، فإن ذلك من فعلي بهم لتفضيلي بعض النبيين على بعض، بإرسال بعضهم إلى بعض الخلق، وبعضهم إلى الجميع، ورفعي بعضهم على بعض درجات. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليما، وجعل الله عيسى كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون، وهو عبد الله ورسوله، من كلمة الله وروحه، وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورا، كنا نحدث دعاء علمه داود، تحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضرر ينزل بكم، فانظروا هل يقدرון على دفع ذلك عنكم، أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك، ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم. وقيل: إن الذين أمر النبي ﷺ أن يقول لهم هذا القول، كانوا يعبدون الملائكة وعزيرا والمسيح، وبعضهم كانوا يعبدون نفرا من الجن. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٥٧) يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يدعوه هؤلاء المشركون أربابا ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يقول: يتتبعي المدعوون أربابا إلى ربهم القربة والزلفة، لأنهم أهل إيمان به، والمشركون بالله يعبدونهم من دون الله ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أيهم بصالح عمله واجتهاده في عبادته أقرب عنده زلفة ﴿وَيَرْجُونَ﴾ بأفعالهم تلك ﴿رَحْمَتَهُ﴾ ويخافون أمره ﴿عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ يا محمد ﴿كَانَ مَحْذُورًا﴾ متقي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في المدعوين، فقال بعضهم: هم نفر من الجن. كما جاء عن عبد الله، في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: كان ناس من الإنس يعبدون قوما من الجن، فأسلم الجن وبقي الإنس على كفرهم، فأنزل الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ يعني الجن. وقال آخرون عزيرا وعيسى وقال غيرهم هم الملائكة وأولى الأقوال بتأويل هذه الآية قول عبد الله بن مسعود الذي رويناه. عن أبي معمر عنه، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن الذين يدعوه المشركون آلهة أنهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة في عهد النبي ﷺ، ومعلوم أن عزيرا لم يكن موجودا على عهد نبينا عليه الصلاة والسلام، فيتتبعي إلى ربه الوسيلة وأن عيسى قد كان رُفِعَ، وإنما يتتبعي إلى ربه الوسيلة من كان موجودا حيا يعمل بطاعة الله، ويتقرب إليه بالصالح من الأعمال. فأما من كان لا سبيل له إلى العمل، فبم يتتبعي إلى ربه الوسيلة. فإذا كان لا معنى لهذا القول، فلا قول في ذلك إلا قول من قال ما اخترنا فيه من التأويل، أو قول من قال: هم الملائكة، وهما قولان يحتملهما ظاهر التنزيل، وأما الوسيلة، فقد بينا أنها القربة والزلفة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (٥٨) يقول تعالى ذكره: وما من قرية من القرى إلا نحن مهلكو أهلها بالفناء، فمبيدوهم استصلا قبل يوم القيامة، أو معذبوها، إما ببلاء من قتل بالسيف، أو غير ذلك من صنوف العذاب عذابا شديدا. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ يعني في الكتاب الذي كتب فيه كل ما هو كائن، وذلك اللوح المحفوظ. كما قال ابن زيد، في قوله ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ قال: في أم الكتاب، وقرأ ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ ويعني بقوله ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوبا مبينا،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما منعنا يا محمد أن نرسل بالآيات التي سألتها قومك، إلا أن كان من قبلهم من الأمم المكذبة، سألوا ذلك مثل سؤالهم؛ فلما آتاهم ما سألوا منه كذبوا رسلهم، فلم يصدقوا مع مجيء الآيات، فعوجلوا فلم نرسل إلى قومك بالآيات، لأننا لو أرسلنا بها إليها، فكذبوا بها، سلكتنا في تعجيل العذاب لهم مسلك الأمم قبلها. وبالذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهاباً، وأن ينحي عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم لعلنا نجتنى منهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم، قال: بل تستأني بهم، فأنزل الله ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقد سأل الآيات يا محمد من قبل قومك ثمود، فآتيناها ما سألت، وحملنا تلك الآية ناقة مبصرة، جعل الإبصار للناقة. كما تقول للشجرة: موضحة، وهذه حجة مبينة. وإنما عنى بالمبصرة: المضيئة البينة التي من يراها كانوا أهل بصر بها، أنها لله حجة، كما قيل: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ يقول عَزَّجَلَّ: فكان بها ظلمهم، وذلك أنهم قتلوها وعقروها، فكان ظلمهم بعقرها وقتلها، وقد قيل: معنى ذلك: فكفروا بها، ولا وجه لذلك إلا أن يقول قائله أراد: فكفروا بالله بقتلها، فيكون ذلك وجهاً. وأما قوله ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ فإنه يقول: وما نرسل بالعبر والذكر إلا تخويفاً للعباد. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وإن الله يخوف الناس بما شاء من آية لعلهم يعتبرون، أو يذكرون، أو يرجعون، ذكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود، فقال: يأيتها الناس إن ربكم يستعقبكم فأتعبوه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ وهذا حصص من الله تعالى ذكره نبيه محمداً ﷺ، على تبليغ رسالته، وإعلام منه أنه قد تقدم منه إليه القول بأنه سيمنعه، من كل من بغاه سوءاً وهلاكاً، يقول جل ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته، ونحن مانعوك منهم، فلا تهيب منهم أحداً، وامض لما أمرك به من تبليغ رسالتنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وقوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس، وبيت المقدس ليلة أسري به، وقد ذكرنا بعض ذلك في أول هذه السورة. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن هذه الآية إنما نزلت في ذلك، وإياه عنى الله عَزَّجَلَّ بها، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وما جعلنا رؤياك التي أريناك ليلة أسرينا بك من مكة إلى بيت المقدس، إلا فتنه للناس: يقول: إلا بلاء للناس الذين ارتدوا عن الإسلام، لما أخبروا بالرؤيا التي رآها، عليه الصلاة والسلام وللمشركين من أهل مكة الذين ازدادوا بسماعهم ذلك من رسول الله ﷺ تمادياً في غيهم، وكفراً إلى كفرهم. كالذي جاء قال

ابن زيد، في قوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: هذا حين أُسري به إلى بيت المقدس، افتتن فيها ناس، فقالوا: يذهب إلى بيت المقدس ويرجع في ليلة: وقال: "لَمَّا أَتَانِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْبُرَاقِ لِيَحْمِلَنِي عَلَيْهَا صَرْتُ بِأُذُنَيْهَا، وَأَنْقَبَضَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا جِبْرَائِيلُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَنْ عِنْدِهِ مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: فَصَرْتُ بِأُذُنَيْهَا وَأَرْفَضْتُ عَرْقًا حَتَّى سَالَ مَا تَحْتَهَا، وَكَانَ مُنْتَهَى خَطُّهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهَا" فلما أتاهم بذلك، قالوا: ما كان محمد لينتهي حتى يأتي بكذبة تخرج من أقطارها، فأتوا أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: هذا صاحبك يقول كذا وكذا، فقال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، فقال: إن كان قد قال ذلك فقد صدق، فقالوا: تصدّقه إن قال ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة؟ فقال أبو بكر: إي، نزع الله عقولكم، أصدقه بخبر السماء، والسماء أبعد من بيت المقدس، ولا أصدقه بخبر بيت المقدس؟ قالوا للنبي ﷺ: إنا قد جئنا بيت المقدس فصفه لنا، فلما قالوا ذلك، رفعه الله تبارك وتعالى ومثله بين عينيه، فجعل يقول: هو كذا، وفيه كذا، فقال بعضهم: وأبيكم إن أخطأ منه حرفا، فقالوا: هذا رجل ساحر. وأما قوله ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، وأولى القولين في ذلك بالصواب عندنا قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، ونصبت الشجرة الملعونة عطفًا بها على الرؤيا. فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد، وتمادي أهل الشرك في شركهم، حين أخبرهم رسول الله ﷺ بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أُسري به، وكانت فتنهم في الشجرة الملعونة ما ذكرنا من قول أبي جهل والمشركين معه: يخبرنا محمد أن في النار شجرة نابتة، والنار تأكل الشجر فكيف تثبت فيها؟ وقوله ﴿وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ يقول: ونخوف هؤلاء المشركين بما تنوعدهم من العقوبات والنكال، فما يزيدهم تخوفنا إلا طغيانًا كبيرًا، يقول: إلا تماديا وغيا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خوّفوا بالنار التي طعمامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد، وقالوا: ترقموا من هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا ۚ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: واذكر يا محمد تمادي هؤلاء المشركين في غيهم وارتدادهم عتوا على ربهم بتخويفه إياهم بتحقيقهم قول عدوهم وعدو والدهم، حين أمره ربه بالسجود له فعصاه وأبى السجود له، حسدا واستكبارا ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وكيف صدّقوا ظنه فيهم، وخالفوا أمر ربهم وطاعته، واتبعوا أمر عدوهم وعدو والدهم. ويعني بقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾: واذكر إذ قلنا للملائكة ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ فإنه استكبر وقال ﴿أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتُ طِينًا﴾ يقول: لمن خلقت من طين؛ فلما حذف "من" تعلق به قوله ﴿خَلَقْتُ﴾ فنصب، يفتخر عليه الجاهل بأنه خلق من نار، وخلق آدم من طين. كما جاء عن ابن عباس، قال: بعث رب العزة تبارك وتعالى إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبا وملحها، فخلق منه آدم، فكل شيء خلق من عذبا فهو صائر إلى السعادة وإن كان ابن كافرين، وكل شيء

خَلَقَهُ مِنْ مِلْحَهَا فَهُوَ صَائِرٌ إِلَى الشَّقَاوَةِ وَإِنْ كَانَ ابْنُ نَبِيِّنَ؛ وَمِنْ ثَمَّ قَالَ إِبْلِيسُ ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾: أَيِ هَذِهِ الطِّينَةِ أَنَا جِئْتُ بِهَا، وَمِنْ ثَمَّ سَمَّى آدَمَ. لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ. وَقَوْلُهُ ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ، فَأَمَرْتَنِي بِالسُّجُودِ لَهُ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ آدَمَ ﴿لَكِنْ أَخَّرْتَنِي﴾ أَقْسَمَ عَدُوُّ اللَّهِ، فَقَالَ لِرَبِّهِ: لَشَأْنٍ أُخَّرْتَ إِهْلَاكِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَأُخْتِنِكَ﴾ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا يَقُولُ: لَا أُسْتَوِلِينَ عَلَيْهِمْ، وَلَا أُسْتَأْصَلُنْهُمْ، وَلَا أُسْتَمِيلُنْهُمْ يَقَالُ مِنْهُ: احْتَنَكَ فُلَانٌ مَا عِنْدَ فُلَانٍ مِنْ مَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره قال الله لإبليس إذ قال له ﴿لَكِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأُخْتِنِكَ﴾ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿أَذْهَبَ فَقَدْ أَخَّرْتَكَ، فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ، يَعْنِي مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَطَاعَكَ، فَإِنْ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكَ وَجَزَاؤُهُمْ، يَقُولُ: ثَوَابُكَ عَلَى دَعَائِكَ إِيَّاهُمْ عَلَى مَعْصِيَتِي، وَثَوَابُهُمْ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ إِيَّاكَ وَخِلَافَهُمْ أَمْرِي﴾ جَزَاءً مَوْفُورًا: يَقُولُ: ثَوَابًا مَكْثُورًا مَكْمَلًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٤) يعني تعالى ذكره بقوله ﴿وَاسْتَفْزِرْ﴾ واستخفف واستجهل، من قولهم: استفز فلانا كذا وكذا فهو يستفزه ﴿مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾. اختلف أهل التأويل في الصوت الذي عناءه جل ثناؤه بقوله ﴿وَاسْتَفْزِرْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تبارك وتعالى قال لإبليس: واستفزر من ذرية آدم من استطعت أن تستفزه بصوتك، ولم يخصص من ذلك صوتا دون صوت، فكل صوت كان دعاء إليه وإلى عمله وطاعته، وخلافا للدعاء إلى طاعة الله، فهو داخل في معنى صوته الذي قال الله تبارك وتعالى اسمه له ﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾. وقوله ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ يقول: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي، يقال منه: أجلب فلان علي فلان إجلابا: إذا صاح عليه. والجلبة: الصوت، وربما قيل: ما هذا الجلب، كما يقال: العلب، والشفقة والشفق. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء ذلك عن قتادة وغيره وأما قوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ في الأموال والأولاد فإن أهل التأويل اختلفوا في المشاركة التي عنيت بقوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك كل مال عصى الله فيه بإتفاق في حرام أو اكتساب من حرام، أو ذبح للآلهة، أو تسييب، أو بحر للشيطان، وغير ذلك مما كان معصيا به أو فيه، وذلك أن الله قال ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فكل ما أطيع الشيطان فيه من مال وعصى الله فيه، فقد شارك فاعل ذلك فيه إبليس، فلا وجه لخصوص بعض ذلك دون بعض. وقوله ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ اختلف أهل التأويل في صفة شركته بني آدم في أولادهم، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: كل ولد ولدته أنثى عصى الله بتسميته ما يكرهه الله، أو بإدخاله في غير الدين الذي ارتضاه الله، أو بالزنا بأمه، أو قتله ووأده، أو غير ذلك من الأمور التي يخصص بقوله ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ معنى الشركة فيه بمعنى دون معنى، فكل ما عصى الله فيه أو به، وأطيع به الشيطان أو فيه، فهو مشاركة من

عصى الله فيه أو به إبليس فيه. وقوله ﴿وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ يقول تعالى ذكره لإبليس: وعد أتباعك من ذرية آدم، النصرة على من أرادهم بسوء، يقول الله ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ لأنه لا يغني عنهم من عقاب الله إذا نزل بهم شيئا، فهم من عداته في باطل وخديعة، كما قال لهم عدو الله حين حصحص الحق ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لإبليس: إن عبادي الذين أطاعوني، فاتبعوا أمري وعصوك يا إبليس، ليس لك عليهم حجة. وقوله ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ يقول جل ثناؤه لنبية محمد ﷺ: وكفاك يا محمد ربك حفيظا، وقيما بأمرك، فانقد لأمره، وبلغ رسالاته هؤلاء المشركين، ولا تخف أحدا، فإنه قد توكل بحفظك ونصرتك. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به: ربكم أيها القوم هو الذي يسير لكم السفن في البحر، فيحملكم فيها ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ لتوصلوا بالركوب فيها إلى أماكن تجارتكم ومطالبكم ومعاشكم، وتلتمسون من رزقه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ يقول: إن الله كان بكم رحيمًا حين أجرى لكم الفلك في البحر، تسهلا منه بذلك عليكم التصرف في طلب فضله في البلاد النائية التي لولا تسهيله ذلك لكم لصعب عليكم الوصول إليها. وبنحو ما قلنا في قوله ﴿يُرْجِي لَكُمْ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا نالتكم الشدة والجهد في البحر ضل من تدعون: فقدتم من تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، وجار عن طريقكم فلم يغثكم، ولم تجدوا غير الله مغيثا يغيثكم دعوتهم، فلما دعوتهم وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالآلوهة كفرا منكم بنعمته ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ يقول: وكان الإنسان ذا جحد لنعم ربه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ أيها الناس من ربكم، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، وعظيم ما كنتم قد أشرفتم عليه من الهلاك، فلما نجاكم وصرتم إلى البر كفرتم، وأشركتم في عبادته غيره ﴿أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ يعني ناحية البر ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ يقول: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم، كما فعل بقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يقول: ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ بتسليطنا

إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على ظهور الدواب والمراكب ﴿وَفِي الْبَحْرِ﴾ في الفلك التي سخرناها لهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يقول: من طيبات المطاعم والمشارب، وهي حلالها ولذياتها ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ فَمَنْ أُوِّقَ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٧٦﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الإمام الذي ذكر الله جل ثناؤه أنه يدعو كل أناس به، وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: يوم ندعو كل أناس بإمامهم الذي كانوا يقتدون به، ويأتمون به في الدنيا، لأن الأغلب من استعمال العرب الإمام فيما اتّم واقتدي به، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأشهر أولى ما لم تثبت حجة بخلافه يجب التسليم لها. وقوله ﴿فَمَنْ أُوِّقَ كِتَابَهُ يَمِينُهُ﴾ يقول: فمن أعطي كتاب عمله يمينه ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ ذلك حتى يعرفوا جميع ما فيه ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يظلمهم الله من جزاء أعمالهم فتيلًا وهو المنفعل الذي في شق بطن النواة. وقد مضى البيان عن الفتيل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع. عن قتادة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ قال: الذي في شق النواة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بقوله هذه، وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن حجج الله على أنه المنفرد بخلقها وتدبيرها، وتصريف ما فيها، فهو في أمر الآخرة التي لم يرها ولم يعاينها، وفيما هو كائن فيها أعمى وأضل سبيلًا يقول: وأضل طريقًا منه في أمر الدنيا التي قد عاينها ورأها. وإنما قلنا: ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لأن الله تعالى ذكره لم يخصص في قوله ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عمى الكافر به عن بعض حججه عليه فيها دون بعض، فيوجه ذلك إلى عماء عن نعمه بما أنعم به عليه من تكريمه بني آدم، وحمله إياهم في البر والبحر، وما عدد في الآية التي ذكر فيها نعمه عليهم، بل عم بالخبر عن عماء في الدنيا، فهم كما عمّ تعالى ذكره. قلنا: ذلك من عمى القلب الذي يقع فيه التفاوت، فإنما عني به عمى، قلوب الكفار، عن حجج الله التي قد عاينتها أبصارهم، فلذلك جاز ذلك وحسن. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لَيَفْتَرِيَنَّ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَاتُخَذُوكَ خُلِيلًا﴾ ﴿٧٨﴾ اختلف أهل التأويل في الفتنة التي كاد المشركون أن يفتنوا رسول الله ﷺ بها عن الذي أوحى الله إليه إلى غيره، فقال بعضهم: ذلك الإلمام بالآلهة، لأن المشركين دعوه إلى ذلك، فهم به رسول الله ﷺ. كما جاء عن سعيد، قال: كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر الأسود، فمنعته قريش، وقالوا: لا ندعه حتى يلم بالهتنا، فحدث نفسه، وقال: ما علي أن أَلَمَ بها بعد أن يدعوني أَسْتَلِمَ الْحَجَرَ، والله يعلم أنني لها كاره، فأبى الله، فأنزل الله ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لَيَفْتَرِيَنَّ عَلَيْنَا غَيْرُهُ﴾ الآية. وقال آخرون: إنما كان ذلك أن رسول الله ﷺ هم أن ينظر قوما بإسلامهم إلى مدة سألوه الإنظار إليها. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ حَلِيلًا ﴿١١﴾ وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله أجلنا سنة حتى يُهْدَى لآلهتنا، فإذا قبضنا الذي يُهْدَى لآلهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجلهم، فقال الله ﷻ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن نبيه ﷺ، أن المشركين كادوا أن يفتنوه عما أوحاه الله إليه ليعمل بغيره، وذلك هو الافتراء على الله، وجائر أن يكون ذلك كان ما ذكر عنهم من ذكر أنهم دعوه أن يمس آلهتهم، ويلم بها، وجائر أن يكون كان ذلك ما ذكر عن ابن عباس من أمر ثقيف، ومسألته إياه ما سأله مما ذكرنا، وجائر أن يكون غير ذلك، ولا بيان في الكتاب ولا في خبر يقطع العذر أي ذلك كان، والاختلاف فيه موجود على ما ذكرنا، فلا شيء فيه أصوب من الإيمان بظاهره، حتى يأتي خبر يجب التسليم له ببيان ما عني بذلك منه. وقوله ﴿وَإِذَا لَا تَخْذُوكَ حَلِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولو فعلت ما دَعَوُكَ إليه من الفتنة عن الذي أوحينا إليك لاتخذوك إذا لأنفسهم خليلا وكنت لهم وكانوا لك أولياء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا أن تبينناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئن شيئا قليلا وذلك ما كان هم به من أن يفعل بعض الذي كانوا سأله فعله، فقال رسول الله ﷺ فيما ذكر حين نزلت هذه الآية، ما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله ﴿وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ فقال رسول الله ﷺ: لا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَا دَفَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئا قليلا فيما سألك إذن لأدفعناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما واختلف أهل التأويل في الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله ﷺ ليخرجوه من الأرض وفي الأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها، فقال بعضهم: الذين كادوا أن يستفزوا رسول الله ﷺ من ذلك اليهود، والأرض التي أرادوا أن يخرجوه منها المدينة. وقال آخرون: بل كان القوم الذين فعلوا ذلك قريشا، والأرض مكة. كالذي جاء عن مجاهد وقاتدة قال قاتدة، قوله ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وقد هم أهل مكة بإخراج النبي ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك لما توطنوا، ولكن الله كفهم عن إخراجهم حتى أمره، ولقلما مع ذلك لبثوا بعد خروج نبي الله ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر. وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول قاتدة ومجاهد، وذلك أن قوله ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ في سياق خبر الله عز وجل عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر، فيوجه قوله ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ إلى أنه خبر عنهم، فهو بأن يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره. وأما القليل الذي استثناه الله جل ذكره في قوله ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فإنه فيما قيل، ما بين خروج رسول الله ﷺ من مكة إلى أن قتل الله من قتل من مشركيهم ببدر. وعني بقوله خلافاك بعدك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سُئِلَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^(٧٧) يقول تعالى ذكره: لو أخرجوك لم يلبثوا خلافاً إلا قليلاً ولأهلكناهم بعداً من عندنا، ستنتا فيمن قد أرسلنا قبلك من رسلنا، فإننا كذلك كنا نفعل بالأمر إذا أخرجت رسلها من بين أظهرهم، ونصبت السنة على الخروج من معنى قوله ﴿لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن معنى ذلك: لعذبناهم بعد قليل كسنتنا في أمر من أرسلنا قبلك من رسلنا، ولا تجد لسنتنا تحويلاً عما جرت به. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٧٨) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ يا محمد ﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾. واختلف أهل التأويل في الوقت الذي عناه الله بدلوك الشمس، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بقوله ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾: صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: ذلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه. ومنه الخبر الذي روي عن الحسن أن رجلاً قال له: أئدالك الرجل امرأته؟ يعني بذلك: أيميل بها إلى المماطلة بحقتها. إذن معنى قوله جل ثناؤه ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أن صلاة الظهر والعصر بحدودهما مما أوجب الله عليك فيهما لأنهما الصلاتان اللتان فرضهما الله على نبيه من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل، وغسق الليل: هو إقباله ودنوه بظلامه، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل على اختلاف منهم في الصلاة التي أمر رسول الله ﷺ بإقامتها عنده، فقال بعضهم: الصلاة التي أمر بإقامتها عنده صلاة المغرب. فقال بعضهم هي صلاة المغرب وقال بعضهم هي صلاة العصر وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: الصلاة التي أمر النبي ﷺ بإقامتها عند غسق الليل، هي صلاة المغرب دون غيرها، لأن غسق الليل هو ما وصفنا من إقبال الليل وظلامه، وذلك لا يكون إلا بعد مغيب الشمس. فأما صلاة العصر، فإنها مما تقام بين ابتداء دلوك الشمس إلى غسق الليل، لا عند غسق الليل، وأما قوله ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ فإن معناه وأقم قرآن الفجر: أي ما تقرأ به صلاة الفجر من القرآن، والقرآن معطوف على الصلاة في قوله ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾. وكان بعض نحويي البصرة يقول: نصب قوله ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ على الإغراء، كأنه قال: وعليك قرآن الفجر ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ يقول: أن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهوداً، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار. وبالذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل: وجاءت الآثار عن رسول الله ﷺ كالذي جاء عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ الذِّكْرَ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ: فِي السَّاعَةِ الْأُولَى مِنْهُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ فَيَمَحُّوا مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ إِلَى جَنَّةِ عَدْنٍ، وَهِيَ دَارُهُ الَّتِي لَمْ تَرَها عَيْنٌ، وَلَا تَخْطُرُ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَهِيَ مَسْكَنُهُ، وَلَا يَسْكُنُ مَعَهُ مِنْ بَنِي آدَمَ غَيْرُ ثَلَاثَةٍ: النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّهَدَاءَ ثُمَّ يَقُولُ: طُوبَى لِمَنْ دَخَلَكَ، ثُمَّ يَنْزِلُ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَرُوجِهِ وَمَلَائِكَتِهِ فَنَتَفَضُّ، فَيَقُولُ: قَوْمِي بَعُونِي، ثُمَّ يَطْلُعُ إِلَى عِبَادِهِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي أُعْطِهِ، مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال

موسى في حديثه: شهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وقال ابن عسكر في حديثه: فيشهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار. وجاء عن قتادة ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وقرآن الفجر: صلاة الصبح، كنا نحدث أن عندها يجتمع الحراسان من ملائكة الله حرس الليل وحرس النهار. وأما قوله ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ فإنه يقول: ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة. كما جاء عن عبد الله وغيره وجاء قال ابن زيد ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ قال: صلاة الفجر ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: مشهودا من الملائكة فيما يذكرون. قال: وكان علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب يقولان: الصلاة الوسطى التي حض الله عليها: صلاة الصبح. قال: وذلك أن صلاة الظهر وصلاة العصر: صلاتا النهار، والمغرب والعشاء: صلاتا الليل، وهي بينها، وهي صلاة نوم، ما نعمل صلاة يُغفل عنها مثلها. وبلغنا أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ"، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾
 يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك. والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل. وأما الهجود نفسه: فالنوم، وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وغيره وأما قوله ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ فإنه يقول: نفلا لك عن فرائضك التي فرضتها عليك. واختلف في المعنى الذي من أجله خص بذلك رسول الله ﷺ، مع كون صلاة كل مصل بعد هجوده، إذا كان قبل هجوده قد كان أدى فرائضه نافلة نفلا إذ كانت غير واجبة عليه، وأولى القولين بالصواب في ذلك، القول الذي ذكرنا عن ابن عباس، وذلك أن رسول الله ﷺ كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل، دون سائر أئمة، فأما ما ذكر عن مجاهد في ذلك، فقول لا معنى له، لأن رسول الله فيما ذكر عنه أكثر ما كان استغفارا لذنوبه بعد نزول قول الله عَزَّجَلَّ عليه ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد مُنْصَرَفِهِ من الحديبية، وأنزل عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ عام قبض. وقيل له فيها ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فكان يُعَدُّ له ﷺ في المجلس الواحد استغفار مائة مرة ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك، فبين إذن وجه فساد ما قاله مجاهد. وقوله ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وعسى من الله واجبة، وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من الله واجبة، لعلم المؤمنين أن الله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه ليس من صفته الغرور، ولا شك أنه قد أطمع من قال ذلك له في نفعه، إذا هو تعاوده ولزمه، فإن لزم المقول له ذلك وتعاوده ثم لم ينفعه، ولا سبب يحول بينه وبين نفعه إياه مع الأطماع الذي تقدم منه لصاحبه على تعاوده إياه ولزومه، فإنه لصاحبه غار بما كان من إخلافه إياه فيما كان أطمعه فيه بقوله الذي قال له. وإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أن يكون جل ثناؤه من صفته الغرور لعباده صحَّ ووجب أن كل ما أطمعهم فيه من طمع على طاعته، أو على فعل من الأفعال، أو أمر أو نهى أمرهم به، أو نهاهم عنه، فإنه موف لهم به، وإنهم منه

كالعدة التي لا يخلف الوفاء بها، قالوا: عسى ولعل من الله واجبة. وتأويل الكلام: أقم الصلاة المفروضة يا محمد في هذه الأوقات التي أمرتك بإقامتها فيها، ومن الليل فتعبد فرضاً فرضته عليك، لعل ربك أن يبعثك يوم القيامة مقاماً تقوم فيه محموداً تحمده، وتغبط فيه. ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود، وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله. كما جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ سئل عنها، قال: "هِيَ الشَّفَاعَةُ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية: وقل يا محمد يا رب أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ. واختلف أهل التأويل في معنى مُدْخَلَ الصِدْقِ الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يرغب إليه في أن يدخله إياه، وفي مخرج الصِدْقِ الذي أمره أن يرغب إليه في أن يخرج به إياه، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك أمر من الله تعالى نبيه بالرجعة إليه في أن يؤتاه سلطاناً نصيراً له على من بغاه وكاده، وحاول منعه من إقامته فرائض الله في نفسه وعباده. وأما قوله ﴿نَصِيرًا﴾ فإن ابن زيد يقول فيه، نحو قولنا الذي قلنا فيه. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ونُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين كادوا أن يستفزوك من الأرض ليخرجوك منها ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾. واختلف أهل التأويل في معنى الحق الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يُعْلَمَ المشركين أنه قد جاء، والباطل الذي أمره أن يعلمهم أنه قد زَهَقَ، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين أن الحق قد جاء، وهو كل ما كان لله فيه رضا وطاعة، وأن الباطل قد زَهَقَ: يقول: وذهب كل ما كان لا رضا لله فيه ولا طاعة مما هو له معصية وللشيطان طاعة، وذلك أن الحق هو كل ما خالف طاعة إبليس، وأن الباطل: هو كل ما وافق طاعته، ولم يخصص الله عز ذكره بالخبر عن بعض طاعته، ولا ذهاب بعض معاصيه، بل عم الخير عن مجيء جميع الحق، وذهاب جميع الباطل، وبذلك جاء القرآن والتنزيل، وعلى ذلك قاتل رسول الله ﷺ أهل الشرك بالله، أعني على إقامة جميع الحق، وإبطال جميع الباطل. وأما قوله ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ فإن معناه: ذهب الباطل، من قولهم: زَهَقَتْ نفسه: إذا خرجت وأزَهَقْتُهَا أنا؛ ومن قولهم: أزَهَقَ السهم: إذا جاوز الغرض فاستمر على جهته، يقال منه: زَهَقَ الباطل، يزَهَقُ زُهُوقًا، وأزَهَقَهُ الله: أي أذهب به. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ ونُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ونزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل من الضلالة، ويبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله، ويحرمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ يقول: ولا يزيد هذا الذي نزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خساراً: يقول: إهلاكاً،

لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به، فلم يأتروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خساراً إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَكُوفًا﴾ يقول تبارك وتعالى: وإذا أنعمنا على الإنسان، فنجّيناه من كرب ما هو فيه في البحر، وهو ما قد أشرف فيه عليه من الهلاك بعصف الرياح عليه إلى البر، وغير ذلك من نعمنا، أعرض عن ذكرنا، وقد كان بنا مستغيثاً دون كل أحد سوانا في حال الشدة التي كان فيها ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ يقول: وبعد منا بجانبه، يعني بنفسه، ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْ مَسَّهُ﴾ قبل ذلك. كما جاء عن مجاهد وقوله عز وجل ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَكُوفًا﴾ يقول: وإذا مسه الشر والشدة كان قنوطاً من الفرج والروح. وبنحو الذي قلنا في اليكس، قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ يقول عز وجل لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد للناس: كلكم يعمل على شاكلته: على ناحيته وطريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ يقول: ربكم أعلم بمن هو منكم أهدى طريقاً إلى الحق من غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: الشاكلة: الدين. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ويسألك الكفار بالله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم: الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا قليلاً وذكر أن الذين سألو رسول الله ﷺ عن الروح، فنزلت هذه الآية بمسألهم إياه عنها، كانوا قوماً من اليهود. ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو هشام، قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة، ومعه عسيب يتوكأ عليه، فمر بقوم من اليهود، فقال بعضهم: أسألوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه، فقام متوكئاً على عسيبه، فقامت خلفه، فظننت أنه يوحى إليه، فقال ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال بعضهم لبعض: ألم نقل لكم لا تسألوه. عن علقمة، عن عبد الله، قال: "بيناً أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في حرة بالمدينة، إذ مررنا على يهود، فقال بعضهم: سلوه عن الروح، فقالوا: ما أربكم إلى أن تسمعوا ما تكرهون، فقاموا إليه، فسألوه، فقام فعرفت أنه يوحى إليه، فقامت مكاني، ثم قرأ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقالوا: ألم نهكم أن تسألوه. كما جاء، عن عكرمة، قال: "سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقالوا: أتزعم إنا لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة، وهي الحكمة، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ قال: فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ

كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴿١﴾ قال: ما أوتيتم من علم، فنجاكم الله به من النار، فهو كثير طيب، وهو في علم الله قليل".
 واختلف أهل التأويل في الروح الذي ذُكر في هذا الموضع ما هي؟ فقال بعضهم: هي جبرئيل عليه السلام. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: هي ملك من الملائكة. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قال: الروح: ملك. وعن علي بن أبي طالب، أنه قال في قوله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه منها سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عزَّجَلَّ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كل تسيحة ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة. وقد بينا معنى الروح في غير هذا الموضع من كتابنا، بما أغنى عن إعادته. وأما قوله ﴿مَنْ أَمْرٍ رَبِّي﴾ فإنه يعني: أنه من الأمر الذي يعلمه الله عزَّجَلَّ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو. وأما قوله ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بقوله ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: خرج الكلام خطابا لمن خاطب به، والمراد به جميع الخلق، لأن علم كل أحد سوى الله، وإن كثر في علم الله قليل. وإنما معنى الكلام: وما أوتيتم أيها الناس من العلم إلا قليلا من كثير مما يعلم الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولئن شئنا لنذهبن بالذي آتيناك من العلم الذي أوحينا إليك من هذا القرآن لنذهبن به، فلا تعلمه، ثم لا تجد لنفسك بما نفعل بك من ذلك وكيفا يعني: قِيَمًا يقوم لك، فيمنعنا من فعل ذلك بك، ولا ناصرا ينصرك، فيحول بيننا وبين ما نريد بك، قال: وكان عبد الله بن مسعود يتأول معنى ذهاب الله عزَّجَلَّ به رفعه من صدور قارئيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ يقول عزَّجَلَّ ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ﴾ يا محمد ﴿بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ولكنه لا يشاء ذلك، رحمة من ربك وتفضلا منه عليك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ باصطفائه إياك لرسالته، وإنزاله عليك كتابه، وسائر نعمه عليك التي لا تحصى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ يقول جل ثناؤه: قل يا محمد للذين قالوا لك: إنا نأتي بمثل هذا القرآن: لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لا يأتون أبدا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض عونًا وظهيرًا. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ بسبب قوم من اليهود جادلوه في القرآن، وسألوه أن يأتيهم بآية غيره شاهدة له على نبوته، لأن مثل هذا القرآن بهم قدرة على أن يأتوا به. كما جاء عن ابن عباس، قال: أتى رسول الله ﷺ محمود بن سيحان وعمر بن أضا وبحري بن عمرو، وعزيز بن أبي عزيز، وسلام بن مشكم، فقالوا: أخبرنا يا محمد بهذا الذي جئتنا به حق من عند الله عزَّجَلَّ، فإنا لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فقال لهم رسول الله ﷺ: "أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ، فقال عند ذلك، وهم جميعا: فنحاص، وعبد الله بن صوريا، وكنانة بن أبي

الحَقِيق، وأشيع، وكعب بن أسد، وسموعل بن زيد، وجبل بن عمرو: يا محمد ما يَعْلَمُكَ هذا إنس ولا جان، فقال رسول الله ﷺ: أما والله إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فقالوا: يا محمد، إن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما شاء، ويقدر منه على ما أراد، فأنزل علينا كتابًا نقرؤه ونعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله عَزَّجَلَّ فيهم وفيما قالوا ﴿قُلْ لِّإِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٨٩) يقول ذكره: ولقد بينا للناس في هذا القرآن من كل مثل، احتجاجًا بذلك كله عليهم، وتذكيرًا لهم، وتنبيهًا على الحق ليتبعوه ويعملوا به ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ يقول: فأبى أكثر الناس إلا جحودًا للحق، وإنكارًا للحجج الله وأدلته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (٩٠) يقول تعالى ذكره: وقال يا محمد، المشركون بالله من قومك لك: لن نصدقك، حتى تفجر لنا من أرضنا هذه عينا تنبع لنا بالماء. وقوله ﴿يَنْبُوعًا﴾ يفعل من قول القائل: نبع الماء: إذا ظهر وفار، ينبع وينبع، وهو ما ينبع. كما جاء عن قتادة وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتُجِيرًا﴾ (٩١) يقول ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقال لك يا محمد مشركو قومك: لن نصدقك حتى تستنبط لنا عينا من أرضنا، تدفق بالماء أو تفور، أو يكون لك بستان، وهو الجنة، من نخيل وعنب، فتفجر الأنهار خلالها فتجيرا بأرضنا هذه التي نحن بها خلالها، يعني: خلال النخيل والكروم، ويعني بقوله ﴿خِلَالَهَا فَتُجِيرًا﴾ بينها في أصولها فتجيرا بسبب أبنيتها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ (٩٢) اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿كِسْفًا﴾ وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي قراءة من قرأه بسكون السين، لأن الذين سألوا رسول الله ﷺ ذلك، لم يقصدوا في مسألتهم إياه ذلك أن يكون بحد معلوم من القطع، إنما سألوا أن يسقط عليهم من السماء قطعًا، وبذلك جاء التأويل أيضا عن أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد، قوله ﴿كِسْفًا﴾ قال: السماء جميعا.

القول في تأويل قوله تعالى: "﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾" (٩٢) يقول تعالى ذكره عن قبل المشركين لنبي الله ﷺ: أو تأتي بالله يا محمد والملائكة قبيلة. واختلف أهل التأويل في معنى القبيل في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: حتى يأتي الله والملائكة كل قبيلة منا قبيلة فيعانيوهم. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: معنى ذلك: أو تأتي بالله والملائكة عيانا نقابلهم مقابلة، فنعانيهم معانية. وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي قاله قتادة من أنه بمعنى المعانية، من قولهم: قابلت فلانا مقابلة، وفلان قبيل فلان، بمعنى قبالته،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٩٣) يقول تعالى ذكره مخبرا

عن المشركين الذين ذكرنا أمرهم في هذه الآيات: أو يكون لك يا محمد بيت من ذهب، وهو الزخرف كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿أَوْ تَرُقَى فِي السَّمَاءِ﴾ يعني: أو تصعد في درج إلى السماء، وإنما قيل في السماء، وإنما يرقى إليها لا فيها، لأن القوم قالوا: أو ترقى في سلم إلى السماء، فأدخلت "في" في الكلام ليدل على معنى الكلام، يقال: رقيت في السلم، فأنا أرقى رقياً ورقياً ورقياً، كما قال الشاعر: أَنْتَ الَّذِي كَلَّفْتَنِي رَقِي الدَّرَجِ... عَلَى الْكَلَالِ وَالْمَشِيبِ وَالْعَرَجِ وقوله ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ﴾ يقول: ولن نصدقك من أجل رقيك إلى السماء ﴿حَتَّى نُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ منشوراً نقرؤه فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، القائلين لك هذه الأقوال، تنزيها لله عما يصفونه به، وتعظيماً له من أن يؤتى به وملائكته، أو يكون لي سبيل إلى شيء مما تسألونيه ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ يقول: هل أنا إلا عبد من عبده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتهموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتهموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره. وهذا الكلام الذي أخبر الله أنه كلم به رسول الله ﷺ فيما ذكر كان من ملا من قريش اجتمعوا لمناظرة رسول الله ﷺ ومحاجته، فكلموه بما أخبر الله عنهم في هذه الآيات ذكر تسمية الذين ناظروا رسول الله ﷺ بذلك منهم والسبب الذي من أجله ناظروه به كما جاء عن ابن عباس، أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلاً من بني عبد الدار وأبا البختری أبا بني أسد، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأميه بن خلف، والعاص بن وائل، ونُبَيْهَا ومُبَيْهَا ابني الحجاج السهميين اجتمعوا، أو من اجتمع منهم، بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تُعْذَرُوا فيه، فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء، وكان عليهم حريصاً، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عنتهم، حتى جلس إليهم، فقالوا: يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنُعْذِرَ فِيك، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك، لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفّهت الأحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوّدناك علينا، وإن كنت تريد به مملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك به رثياً تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجنّ: الرئي، فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا في طلب الطّب لك حتى نبرئك منه، أو نعذر فيك، فقال رسول الله ﷺ: "ما بي ما تقولون، ما جئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالتي، ونصحت لكم، فإن قبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم"، أو كما قال رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس

أحد من الناس أضيق بلادا، ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ويسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قُصَيّ بن كلاب، فإنه كان شيخا صدوقا، فنسألهم عما تقول، حق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألناك، وصدقك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك بالحق رسولا كما تقول. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بُعِثْتُمْ، إِنَّمَا جِئْتُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، فَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقَبَّلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا، فخذ لنفسك، فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، واسأله فليجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة، ويغنيك بها عما نراك تبتغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربّه هذا، وما بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بهذا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قالوا: فأسقط السماء علينا كسفا، كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، إنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل، فقال رسول الله ﷺ: ذلك إلى الله إن شاء فَعَلَ بِكُمْ ذَلِكَ، فقالوا: يا محمد، فما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك، ويعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئنا به، فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن، وإنا والله ما نؤمن بالرحمن أبدا، أعذرنا إليك يا محمد، أما والله لا نترك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعيد الملائكة، وهنّ بنات الله، وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا. فلما قالوا ذلك، قام رسول الله ﷺ عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو ابن عمته هو لعاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا، ليعرفوا منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أومن لك أبدا، حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه، وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي معك بنسخة منشورة معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أأصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسيفا لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مبعدهم إياه، فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: يا معشر قريش، إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا، وسب آلهمنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر قدر ما أطيق حمّله، فإذا سجد في صلاته فضخت رأسه به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ يقول تعالى ذكره: وما منع يا محمد مشركي قومك الإيمان بالله، وبما جئتهم به من الحق ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ يقول: إذ جاءهم البيان من عند الله بحقيقة ما تدعوهم وصحة ما جئتهم

به، إلا قولهم جهلا منهم ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ فإن الأولى في موضع نصب بوقوع منع عليها، والثانية في موضع رفع، لأن الفعل لها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكارا لأن يبعث الله رسولا من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصه الله من بني آدم برويتها، فأما غيرهم فلا يقدر على رؤيتها فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدر على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: قل يا محمد للقائلين لك ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فإنه نعم الكافي والحاكم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ يقول: إن الله بعباده ذو خبرة وعلم بأمورهم وأفعالهم، والمحقق منهم والمبطل، والمُهدى والضال ﴿بَصِيرًا﴾ بتدبيرهم وسياساتهم وتصريفهم فيما شاء، وكيف شاء وأحب، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، وهو مجاز جميعهم بما قدّم عند ورودهم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَا وَأَوْهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يهد الله فهو المهتد، ولتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فوفقه لذلك، فهو المهتد الرشيد المصيب الحق، لا من هداه غيره، فإن الهداية بيده. ﴿وَمَنْ يُضِلِّ﴾ يقول: ومن يضلله الله عن الحق، فيخذله عن إصابته، ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله، فلن تجد لهم يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ يقول: ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا﴾ وهو جمع أبكم، ويعني بالكم: الخرس. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ يعني بقوله خبت: لانت وسكنت، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة والضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي وصفنا من فعلنا يوم القيامة بهؤلاء المشركين، ما ذكرت أنا نفعل بهم من حشرهم على وجوههم عميا وبكما وصما، وإصلاطنا إياهم النار على ما بيننا من حالتهم فيها ثوابهم بكفرهم في الدنيا بآياتنا، يعني بأدلتهم وحججه، وهم رسله الذين دعوهم إلى عبادته، وإفرادهم إياه بالألوهة دون الأوثان والأصنام، ويقولهم إذا أمروا

بالإيمان بالميعاد، وبثواب الله وعقابه في الآخرة ﴿أَيَّدَا كُنَّا عِظَامًا﴾ بالية ﴿وَرَفَاتًا﴾ قد صرنا ترابا ﴿أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ يقولون: نُبعث بعد ذلك خلقا جديدا. كما ابتدأناه أول مرة في الدنيا استنكارا منهم لذلك، واستعظاما وتعجبا من أن يكون ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: أولم ينظر هؤلاء القائلون من المشركين ﴿أَيَّدَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ بعيون قلوبهم، فيعلمون أن الله الذي خلق السماوات والأرض، فابتدعها من غير شيء، وأقامها بقدرته، قادر بتلك القدرة على أن يخلق مثلهم أشكالهم، وأمثالهم من الخلق بعد فنائهم، وقبل ذلك، وأن من قدر على ذلك فلا يمتنع عليه إعادتهم خلقا جديدا، بعد أن يصيروا عظاما ورفاتا، وقوله ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل الله لهؤلاء المشركين أجلا لهلاكهم، ووقتا لعذابهم لا ريب فيه. يقول: لا شك فيه أنه آتيهم ذلك الأجل ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ يقول: فأبى الكافرون إلا جحودا بحقيقة وعيده الذي أوعدهم وتكذيبا به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: لو أنتم أيها الناس تملكون خزائن أملاك ربي من الأموال، وعنى بالرحمة في هذا الموضع: المال ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ يقول: إذن لَيُخْلَتْمْ به فلم تجدوا بها على غيركم، خشية من الإنفاق والإقتار. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ يقول: وكان الإنسان بخيلا ممسكا. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران تسع آيات بَيِّنَاتٍ تبين لمن رآها أنها حجج لموسى شاهدة على صدقه وحقيقة نبوته. وقد اختلف أهل التأويل فيهن وما هن. فقال بعضهم كالذي جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ قال: التسع الآيات البينات: يده، وعصاه، ولسانه، والبحر، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم آيات مفصلات. وقال آخرون: نحوا من هذا القول، غير أنهم جعلوا آيتين منهن: إحداهما الطمسة، والأخرى الحجر. عن محمد بن كعب القرظي، قال: سألتني عمر بن عبد العزيز، عن قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ فقلت له: هي الطوفان والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والبحر، وعصاه، والطمسة، والحجر، فقال: وما الطمسة؟ فقلت: دعا موسى وأمن هارون، فقال: قد أجيبت دعوتكما، وقال عمر: كيف يكون الفقه إلا هكذا. فدعا عمر بن عبد العزيز بخريطة كانت لعبد العزيز بن مروان أصيبت بمصر، فإذا فيها الجوزة والبيضة والعدسة ما تنكر، مسخت حجارة كانت من أموال فرعون أصيبت بمصر. وقال آخرون: نحوا من ذلك إلا أنهم جعلوا اثنتين منهن: إحداهما السنين، والأخرى النقص من الثمرات. كما جاء عن عكرمة ومطر

الوراق، في قوله ﴿تَسْعَ آيَاتٍ﴾ قالا الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والعصا، واليد، والسنون، ونقص من الثمرات. وقال آخرون نحو من ذلك إلا أنهم جعلوا السنين، والنقص من الثمرات آية واحدة، وجعلوا التاسعة: تلفف العصا ما يأفكون. كما جاء عن الحسن الحسن، في قوله ﴿تَسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال: هذه آية واحدة، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ويد موسى، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثعبان مبین، وإذ ألقاها فإذا هي تلفف ما يأفكون. وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن المثنى، قال: ثني محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال، قال: قال يهودي لصاحبه: اذهب بنا إلى النبي حتى نسأله عن هذه الآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ قال: لا تقل له نبي، فإنه إن سمعك صارت له أربعة أعين، قال: فسألا فقال النبي ﷺ: لا تَسْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَسْجُرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِبِرِّي إِلَى ذِي سُلْطَانٍ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، أَوْ قَالَ: لا تَفْرُوا مِنَ الرَّحْفِ. شعبة الشاك وأنتم يا يهود عليكم خاص لا تعدوا في السبب، فقبلا يده ورجله، وقالوا نشهد أنك نبي، قال: فما يمنعكما أن تسلما؟ قالا إن داود دعا أن لا يزال من ذريته نبي، وإنا نخشى أن تقتلنا يهود. وأما قوله ﴿فَأَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ فإن عامة قراء الإسلام على قراءته على وجه الأمر بمعنى: فاسأل يا محمد بني إسرائيل إذ جاءهم موسى. وروي عن الحسن البصري في تأويله ﴿فَأَسْأَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: سؤالك إياهم: نظرك في القرآن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٣﴾ ومعنى ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء، على وجه الخطاب من موسى لفرعون، وتأويله: فإن الله تعالى ذكره قد أخبر عن فرعون وقومه أنهم جحدوا ما جاءهم به موسى من الآيات التسع، مع علمهم بأنها من عند الله بقوله ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ فأخبر جل ثناؤه أنهم قالوا: هي سحر، مع علمهم واستيقان أنفسهم بأنها من عند الله، فكذلك قوله ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ إنما هو خبر من موسى لفرعون بأنه عالم بأنها آيات من عند الله، وقد ذكر عن ابن عباس أنه احتج في ذلك بمثل الذي ذكرنا من الحجة. فعن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا فرعون بالنصب ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ثم تلا ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات التسع البينات التي أريتكمها حجة لي على حقيقة ما أدعوك إليه، وشاهدة لي على صدق وصحة قلبي، إني لله رسول، ما بعثني إليك إلا رب السماوات والأرض، لأن ذلك لا يقدر عليه، ولا على أمثاله أحد سواه، بصائر: يعني بالبصائر: الآيات، أنهم بصائر لمن استبصر بهن، وهدى لمن اهتدى بهن، يعرف بهن من رآهن أن من جاء بهن فمحقق، وأنهن من عند الله لا من عند غيره، إذ كن معجزات لا يقدر عليهن، ولا على شيء منهن سوى رب السماوات والأرض، وهو جمع بصيرة. وقوله ﴿وَإِنِّي

لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠١﴾ يقول: إني لأظنك يا فرعون ملعونا ممنوعا من الخير، والعرب تقول: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما منعك منه، وما صدك عنه؟ وثبره الله فهو يُثْبِرُهُ وَيُثْبِرُهُ لغتان، ورجل مثبور: محبوس عن الخيرات هالك،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۖ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فأراد فرعون أن يستفز موسى وبني إسرائيل من الأرض، ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ﴾ في البحر، ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ من جنده ﴿جَمِيعًا﴾، ونجينا موسى وبني إسرائيل، وقلنا لهم ﴿مَنْ بَعْدُ﴾ هلاك فرعون ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ أرض الشام ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ يقول: فإذا جاءت الساعة، وهي وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفا: يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا: أي مختلطين قد التف بعضكم على بعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيه، من قولك: لففت الجيوش: إذا ضربت بعضها ببعض، فاختلط الجميع، وكذلك كل شيء خلط بشيء فقد لَفَّ به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۖ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وبالحق أنزلنا هذا القرآن: يقول: أنزلناه نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمر المستحسنة الحميدة، ونهى فيه عن الظلم والأمر القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذميمة ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ يقول: وبذلك نزل من عند الله على نبيه محمد ﷺ. وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى من أرسلناك إليه من عبادنا، إلا مبشرا بالجنة من أطاعنا، فأنتهى إلى أمرنا ونهينا، ومنذرا لمن عصانا وخالف أمرنا ونهينا ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ﴾ والمعنى: وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا، وفصلناه قرآنا، وبيناه وأحكمناه، لتقرأه على الناس على مكث. ونحنو الذي قلنا في ذلك من التأويل، قال جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وأبي بن كعب وغيرهما وقوله ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ يقول: لتقرأه على الناس على تودة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك. ونحنو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: فرقنا تنزيله، وأنزلناه شيئا بعد شيء. كما جاء عن قتادة والحسن جاء عن الحسن، قال: كان يقول: أنزل على نبي الله القرآن ثمانين سنين، وعشرا بعد ما هاجر. وكان قتادة يقول: عشرا بمكة، وعشرا بالمدينة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۖ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين لك ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾: آمنوا بهذا القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، أو لا تؤمنوا به، فإن إيمانكم به لن يزيد في خزائن رحمة الله ولا تركم الإيمان به ينقص ذلك، وإن تكفروا به، فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا

يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيما له وتكريما، وعلمنا منهم بأنه من عند الله، لأذقناهم سجدا بالأرض. واختلف أهل التأويل في الذي عني بقوله ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ فقال بعضهم: عني به: الوجوه. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: بل عني بذلك اللحي. كما جاء عن الحسن وقوله ﴿سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا﴾ يقول جل ثناؤه: ويقول هؤلاء الذين أوتوا العلم من قبل نزول هذا القرآن، إذ خروا للأذقان سجودا عند سماعهم القرآن يتلى عليهم، تنزيها لربنا وتبرئة له مما يضيف إليه المشركون به، ما كان وعد ربنا من ثواب وعقاب، إلا مفعولا حقا يقينا، إيمان بالقرآن وتصديق به، والأذقان في كلام العرب: جمع ذقن وهو مجمع اللحين، وإذا كان ذلك كذلك، فالذي قال الحسن في ذلك أشبه بظاهر التنزيل..

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ يقول تعالى ذكره: ويخر هؤلاء الذين أوتوا العلم من مؤمني أهل الكتابين من قبل نزول الفرقان، إذا تلى عليهم القرآن لأذقناهم يبكون، ويزيدهم ما في القرآن من المواعظ والعبر خشوعا، يعني خضوعا لأمر الله وطاعته، واستكانة له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية: قل يا محمد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرحمن ﴿ادْعُوا اللَّهَ﴾ أيها القوم ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ بأي أسمائه جل جلاله تدعون ربكم، فإنما تدعون واحدا، وله الأسماء الحسنى، وإنما قيل ذلك له ﷺ، لأن المشركين فيما ذكر سمعوا النبي ﷺ يدعو ربه: يا ربنا الله، يا ربنا الرحمن، فظنوا أنه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيه عليه الصلاة والسلام هذه الآية احتجاجا لنبية عليهم. ذكر الرواية بما ذكرنا: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني محمد بن كثير، عن عبد الله بن واقد، عن أبي الجوزاء عن ابن عباس. قال: كان النبي ﷺ ساجدا يدعو: يا رَحْمَنُ يا رَحِيمُ، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.... الآية. قال أبو جعفر: ولدخول "ما" في قوله ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ وجهان: أحدهما أن تكون صلة، كما قيل: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحَ نَادِمِينَ﴾ والآخر أن تكون في معنى إن: كررت لما اختلف لفظاهما، كما قيل: ما إن رأيت كالليلة ليلة. وقوله ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ اختلف أهل التأويل في الصلاة، وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، ما ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي رواه أبو جعفر، عن سعيد، عن ابن عباس، لأن ذلك أصح الأسانيد التي روي عن صحابي فيه قول مخرجا، وأشبه الأقوال بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن قوله ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا﴾ عقيب قوله ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وعقيب تقرير الكفار بكفرهم بالقرآن، وذلك بعدهم منه ومن الإيمان. فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى وأشبه بقوله ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا﴾ أن يكون من سبب ما هو في سياقه من الكلام، ما لم يأت بمعنى يوجب صرفه عنه، أو يكون

على انصرافه عنه دليل يعلم به الانصراف عما هو في سياقه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: قل ادعوا الله، أو ادعوا الرحمن، أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنى، ولا تجهر يا محمد بقراءتك في صلاتك ودعائك فيها ربك ومسألتك إياه، وذكرك فيها، فيؤذيك بجهرك بذلك المشركون، ولا تخافت بها فلا يسمعه أصحابك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ولكن التمس بين الجهر والمخافتة طريقا إلى أن تسمع أصحابك، ولا يسمعه المشركون فيؤذوك. ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل، وأنا لا نستجير خلافتهم فيما جاء عنهم، لكان وجها يحتمله التأويل أن يقال: ولا تجهر بصلاتك التي أمرناك بالمخافتة بها، وهي صلاة النهار لأنها عجماء، لا يجهر بها، ولا تخافت بصلاتك التي أمرناك بالجهر بها، وهي صلاة الليل، فإنها يجهر بها ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ بأن تجهر بالتي أمرناك بالجهر بها، وتخافت بالتي أمرناك بالمخافتة بها، لا تجهر بجميعها، ولا تخافت بكلها، فكان ذلك وجها غير بعيد من الصحة، ولكننا لا نرى ذلك صحيحا لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه. فإن قال قائل: فأية قراءة هذه التي بين الجهر والمخافتة؟ قيل: ما جاء عن عبد الله: لم يخافت من أسمع أذنيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئَاءٌ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ فيكون مربوبا لا ربا، لأن رب الأرباب لا ينبغي أن يكون له ولد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ فيكون عاجزا ذا حاجة إلى معونة غيره ضعيفا، ولا يكون إلها من يكون محتاجا إلى معين على ما حاول، ولم يكن منفردا بالملك والسلطان ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئَاءٌ مِنَ الذَّلِّ﴾ يقول: ولم يكن له حليف حالفه من الذل الذي به، لأن من كان ذا حاجة إلى نصرة غيره، فذليل مهين، ولا يكون من كان ذليلا مهينا يحتاج إلى ناصر إلها يطاع ﴿وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ يقول: وعظم ربك يا محمد بما أمرناك أن تعظمه به من قول وفعل، وأطعه فيما أمرك ونهاك. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئَاءٌ مِنَ الذَّلِّ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره عن القُرظي، أنه كان يقول في هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾... الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا، وقالت العرب: لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلل الله، فأنزل الله ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئَاءٌ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرُهُ﴾ أنت يا محمد على ما يقولون ﴿تَكْبِيرًا﴾.

آخر تفسير سورة بني إسرائيل
والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الحمد لله الذي خص برسالته محمدا وانتخبه لبلاغها عنه، فابتعته إلى خلقه نبيا مرسلا وأنزل عليه كتابه قيما، ولم يجعل له عوجا. وعنى بقوله عز ذكره: ﴿قِيَمًا﴾ معتدلا مستقيما، وقيل: عنى به: أنه قيم على سائر الكتب يصدقها ويحفظها. قال: وفي بعض القراءات: "ولكن جعله قيما". والصواب من القول في ذلك عندنا: ما قاله ابن عباس، ومن قال بقوله في ذلك، لدلالة قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ فأخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمد ﷺ ﴿قِيَمًا﴾ مستقيما لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضا، وبعضه يشهد لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق، وكسرت العين من قوله ﴿عِوَجًا﴾ لأن العرب كذلك تقول في كل اعوجاج كان في دين، أو فيما لا يرى شخصه قائما، فيُذَرِّكُ عَيَانًا منتصبا كالعاج في الدين، ولذلك كُسِرَت العين في هذا الموضع، وكذلك العِوَجُ في الطريق، لأنه ليس بالشخص المنتصب، فأما ما كان من عِوَجٍ في الأشخاص المنتصبين قيما، فإن عينها تفتح كالعِوَجِ في القناة، والخشبة، ونحوها، وكان ابن عباس يقول في معنى قوله ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾: ولم يجعل له ملتبسا. كما عن ابن عباس ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا﴾ ولم يجعل له ملتبسا. عن ابن عباس، قال: بعثت قريش النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد، ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالوا إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال: فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فَرَأَوْا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك، فإنه نبي فاتبعوه، وإن هو لم يخبركم، فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش، فقالا يا معشر قريش: قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله، عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسأله عما أمرهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: أَخْبِرْكُمْ غَدًا بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ، ولم يستثن فأنصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، لا يُحَدِّثُ الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، واليوم خمس عشرة قد

أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام، من الله عز وجل، بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتيّة والرجل الطوّاف، وقول الله عز وجل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [قال ابن إسحاق: فبلغني أن رسول الله ﷺ افتتح السورة فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ يعني محمداً إنك رسولي في تحقيق ما سألوا عنه من نبوته ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾: أي معتدلاً لا اختلاف فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ ٦ ﴿مَا كَثِيرٌ فِيهِ أُبَدًا﴾ ٧ يقول تعالى ذكره: أنزل على عبده القرآن معتدلاً مستقيماً لا عوج فيه لينذركم أيها الناس بأساً من الله شديداً، وعن بالأس العذاب العاجل، والنكال الحاضر والسطوة، وقوله: ﴿مِمَّنْ لَدُنْهُ﴾ يعني: من عند الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي إسحاق وقوله: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ويبشر المصدقين الله ورسوله ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ وهو العمل بما أمر الله بالعمل به، والانتهاه عما نهى الله عنه ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ يقول: ثواباً جزيلاً لهم من الله على إيمانهم بالله ورسوله، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال، وذلك الثواب: هو الجنة التي وعدها المتقون. وقوله: ﴿مَا كَثِيرٌ فِيهِ أُبَدًا﴾ خالدين، لا ينتقلون عنه، ولا ينقلون، ونصب ما كثر على الحال من قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ في هذه الحال في حال مكثهم في ذلك الأجر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن إسحاق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ ٨ ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ٩ يقول تعالى ذكره: يحذر أيضاً محمد القوم ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ من مشركي قومه وغيرهم، بأس الله وعاجل نقمته، وأجل عذابه، على قبيحهم ذلك. وإنما معنى الكلام: ما لهؤلاء القائلين هذا القول بالله إنه لا يجوز أن يكون له ولد من علم، فلجهلهم بالله وعظمته قالوا ذلك. وقوله ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ يقول: ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل الذي هم عليه اليوم، كان لهم بالله وبعظمته علم، وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ تأويل الكلام: عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء القوم الذين قالوا: اتخذ الله ولداً، والملائكة بنات الله. كما جاء عن ابن إسحاق ما يقول هؤلاء القائلون اتخذ الله ولداً بقبيحهم ذلك إلا كذباً وفرية افتروها على الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ يَا خُحُّ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ ١٠ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ فِيهَا مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَسْفَٰهُمُ أَنْ لَا يَعْلَمُوا﴾ ١١ ﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ ١٢ يعني تعالى ذكره بذلك: فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ تمرداً منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدقوا بأنه من عند الله حزنا وتلهفا ووجداً، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك. يقال منه: بخر فلان نفسه يبخرها بخها وبخوعاً،

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿بَاخِعٌ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وأما قوله: ﴿أَسْفَا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معناه: فلعلك باخع نفسك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث غرضاً. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: جَزَعاً. كما جاء عن مجاهد، وقال آخرون: معناه: حزناً عليهم وقد بينا معنى الأسف فيما مضى من كتابنا هذا، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وهذه معاتبه من الله عز ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيماً. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن إسحاق وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ يقول عز ذكره: إنا جعلنا ما على الأرض زينة للأرض ﴿لِتَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ يقول: لنختبر عبادنا أيهم أترك لها وأتبع لأمرنا ونهينا وأعمل فيها بطاعتنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وأما قوله: ﴿لِتَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو قولنا فيه. كما جاء عن ابن إسحاق ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِتَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ اختباراً لهم أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي. وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ يقول عز ذكره: وإنا لمخربوها بعد عمارتناها بما جعلنا عليها من الزينة، فمصيروها صعيداً جزراً لا نبات عليها ولا زرع ولا غرس، وقد قيل: إنه أريد بالصعيد في هذا الموضع: المستوي بوجه الأرض، وذلك هو شبه بمعنى قولنا في ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، وبمعنى الجزر، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(١) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً، فإن ما خلقت من السماوات والأرض، وما فيهنّ من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وأما الكهف، فإنه كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قصّ الله شأنهم في هذه السورة. وأما الرقيم، فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به، وأولى هذه الأقوال بالصواب في الرقيم أن يكون معنياً به: لوح، أو حجر، أو شيء كتب فيه كتاب، وقد قال أهل الأخبار: إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أَوْوا إلى الكهف. ثم قال بعضهم: رُفِعَ ذلك اللوح في خزانة الملك، وقال بعضهم: بل جعل على باب كهفهم، وقال بعضهم: بل كان ذلك محفوظاً عند بعض أهل بلدهم، وإنما الرقيم: فعل، أصله: مرقوم، ثم صُرف إلى فعل، كما قيل للمجروح: جريح، وللمقتول: قتيل، يقال منه: رقمت كذا وكذا: إذا كتبت، ومنه قيل للرقم في الثوب رقم، لأنه الخط الذي يعرف به ثمنه، ومن ذلك قيل للحية: أرقم، لما فيه من الآثار، والعرب تقول: عليك بالرقمة، ودع الضفة: بمعنى عليك برقمة الوادي حيث الماء، ودع الضفة الجانبية. والصفتان: جانباً الوادي، وأحسب أن الذي قال الرقيم: الوادي، ذهب به إلى هذا، أعني به إلى رقمة الوادي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(٢) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً حين أوى الفتية أصحاب الكهف إلى كهف الجبل، هرباً بدينهم إلى الله، فقالوا إذ

أَوْه: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ رغبة منهم إلى ربهم، في أن يرزقهم من عنده رحمة، وقوله وَهَيَّ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا يقول: وقالوا: يسر لنا بما نبغى وما نلتمس من رضاك والهرب من الكفر بك، ومن عبادة الأوثان التي يدعوننا إليها قومنا، ﴿رَشَدًا﴾ يقول: سدادا إلى العمل بالذي تحب. وقد اختلف أهل العلم في سبب مصير هؤلاء الفتية إلى الكهف الذي ذكره الله في كتابه، فقال بعضهم: كان سبب ذلك، أنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، وكان لهم ملك عابد وثن، دعاهم إلى عبادة الأصنام، فهربوا بدينهم منه خشية أن يفتنهم عن دينهم، أو يقتلهم، فاستخفوا منه في الكهف. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو في قوله: ﴿أَصْحَابُ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ كانت الفتية على دين عيسى على الإسلام، وكان ملكهم كافرا، وقد أخرج لهم صنما، فأبوا، وقالوا: ﴿رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ قال: فاعتزلوا عن قومهم لعبادة الله، فقال أحدهم: إنه كان لأبي كهف يأوي فيه غنمه، فانطلقوا بنا نكن فيه، فدخلوه، وفقدوا في ذلك الزمان فطلبوا، فقبل: دخلوا هذا الكهف، فقال قومهم: لا نريد لهم عقوبة ولا عذابا أشد من أن نردم عليهم هذا الكهف، فبنوه عليهم ثم ردموه، ثم إن الله بعث عليهم ملكا على دين عيسى، ورفع ذلك البناء الذي كان ردم عليهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ؟﴾ ف؟ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ...﴾ حتى بلغ ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ وكان ورق ذلك الزمان كبرا، فأرسلوا أحدهم يأتيهم بطعام وشراب، فلما ذهب ليخرج، رأى على باب الكهف شيئا أنكره، فأراد أن يرجع، ثم مضى حتى دخل المدينة، فأنكر ما رأى، ثم أخرج درهما، فنظروا إليه فأنكروه، وأنكروا الدرهم، وقالوا: من أين لك هذا، هذا من ورق غير هذا الزمان، واجتمعوا عليه يسألونه، فلم يزالوا به حتى انطلقوا به إلى ملكهم، وكان لقومهم لوح يكتبون فيه ما يكون، فنظروا في ذلك اللوح، وسأله الملك، فأخبره بأمره، ونظروا في الكتاب متى فقد، فاستبشروا به وبأصحابه، وقيل له: انطلق بنا فأرنا أصحابك، فانطلق وانطلقوا معه، ليريههم، فدخل قبل القوم، فضرب على آذانهم، فقال الذين غلبوا على أمرهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾. وجاء عن مجاهد، قال: لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حادثة أسنانه وضح الورق، قال ابن عباس: فكانوا كذلك في عبادة الله ليلهم ونهارهم، ييكون إلى الله، ويستغيثونه، وكانوا ثمانية نفر: مكسملينا، وكان أكبرهم، وهو الذي كلم الملك عنهم، ومُحْسِمِيلِينَا، ويمليخا، ومَرْطُوس، وكشوطوش، وبيرونس، ودينموس، ويطونس قالوس فلما أجمع دقينوس أن يجمع أهل القرية لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، بكوا إلى الله وتضرعوا إليه، وجعلوا يقولون: اللهم رب السماوات والأرض، لن ندعو من دونك إلها ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وادفع عنهم البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك، ومُنِعُوا عِبَادَتَكَ إِلَّا سَرًّا، مستخفين بذلك، حتى يعبدوك علانية، فبينما هم على ذلك، عرفهم عُرفَاؤُهُمْ من الكفار، ممن كان يجمع أهل المدينة لعبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، وذكروا أمرهم، وكانوا قد خَلَوْا فِي مُصَلًّى لَهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِيهِ، ويتضرعون إليه، ويتوقعون أن يُذَكَّرُوا لدقينوس، فانطلق أولئك الكفرة حتى دخلوا عليهم مُصَلَّاهُمْ، فوجدوهم سجودا على وجوههم يتضرعون، ويكون، ويرغبون إلى الله أن ينجاهم من دقينوس وفتنته، فلما رآهم أولئك الكفرة من عُرفَائِهِمْ قالوا لهم: ما خَلَفَكُمْ عن أمر الملك؟ انطلقوا

إليه! ثم خرجوا من عندهم، فرفعوا أمرهم إلى دقينوس، وقالوا: تجمع الناس للذبح لآلهتك، وهؤلاء فتية من أهل بيتك، يسخرون منك، ويستهزئون بك، ويعصون أمرك، ويتركون آلهتك، يعمدون إلى مُصَلَّى لهم ولأصحاب عيسى ابن مريم يصلون فيه، ويتضرعون إلى إلههم وإله عيسى وأصحاب عيسى، فلم تتركهم يصنعون هذا وهم بين ظهرائي سلطانك ومملكك، وهم ثمانية نفر: رئيسهم مكسلمينا، وهم أبناء عظماء المدينة؟ فلما قالوا ذلك لدقينوس، بعث إليهم، فأتى بهم من المصلّى الذي كانوا فيه تفيض أعينهم من الدموع مُعَفَّرَةً وجوههم في التراب، فقال لهم: ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض، وأن تجعلوا أنفسكم أسوة لسرة أهل مديتكم، ولمن حضر منا من الناس؟ اختاروا مني: إما أن تذبحوا لآلهتنا كما ذبح الناس، وإما أن أقتلكم! فقال مكسلمينا: إن لنا إلهًا نعبدُه ملاء السموات والأرض عَظَمَتُهُ، لن ندعو من دونه إلهًا أبدًا، ولن نفر بهذا الذي تدعونا إليه أبدًا، ولكننا نعبد الله ربنا، له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصًا أبدًا، إياه نعبد، وإياه نسأل النجاة والخير. فأما الطواغيت وعبادتها، فلن نفر بها أبدًا، ولسنا بكائناتين عبادًا للشياطين، ولا جاعلي أنفسنا وأجسادنا عبادًا لها، بعد إذ هدانا الله له رهبتك، أو فرقا من عبودتك، اصنع بنا ما بدا لك، ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقينوس مثل ما قال، قال: فلما قالوا ذلك له، أمر بهم فترع عنهم لبوس كان عليهم من لبوس عظمائهم، ثم قال: أما إذ فعلتم ما فعلتم فإني سأؤخركم أن تكونوا من أهل مملكتي وبطانتني، وأهل بلادي، وسأفرغ لكم، فأنجز لكم ما وعدتكم من العقوبة، وما يمنعي أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم فتيانا حديثة أسنانكم، ولا أحب أن أهلككم حتى أستأني بكم، وأنا جاعل لكم أجلاً تذكرون فيه، وتراجعون عقولكم، ثم أمر بحليّة كانت عليهم من ذهب وفضة، فترعت عنهم، ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده، وانطلق دقينوس مكانه إلى مدينة سوى مديتهم التي هم بها قريباً منها لبعض ما يريد من أمره. فلما رأى الفتية دقينوس قد خرج من مديتهم بادروا قدمه، وخافوا إذا قدم مديتهم أن يذكر بهم، فأمروا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه، فيتصدقوا منها، ويتزودوا بما بقي، ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له: بنجلوس فيمكثوا فيه، ويعبدوا الله حتى إذا رجع دقينوس أتوه فقاموا بين يديه، فيصنع بهم ما شاء، فلما قال ذلك بعضهم لبعض، عمد كل فتى منهم، فأخذ من بيت أبيه نفقة، فتصدق منها، وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم، واتبعهم كلب لهم، حتى أتوا ذلك الكهف، الذي في ذلك الجبل، فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد، ابتغاء وجه الله تعالى، والحياة التي لا تنقطع، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له يملixa، فكان على طعامهم، يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا من أهلها، وذلك أنه كان من أجملهم وأجلدهم، فكان يملixa يصنع ذلك، فإذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا، ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها، ثم يأخذ ورقه، فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا، ويتسّمع ويتجسس لهم الخبر، هل ذكر هو وأصحابه بشيء في ملاء المدينة، ثم يرجع إلى أصحابه بطعامهم وشرابهم، ويخبرهم بما سمع من أخبار الناس، فلبثوا بذلك ما لبثوا، ثم قدم دقينوس الجبار المدينة التي منها خرج إلى مديته، وهي مدينة أقموس، فأمر عظماء أهلها، فذبحوا للطواغيت، ففرع في ذلك أهل الإيمان، فتخبثوا في كل مخبأ، وكان يملixa بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم وشرابهم

ببعض نفقتهم، فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل، فأخبرهم أن الجبار دقنوس قد دخل المدينة، وأنهم قد ذكروا وافقدوا والتمسوا مع عظماء أهل المدينة ليزبحوا للطواغيت، فلما أخبرهم بذلك، فزعوا فزعا شديدا، ووقعوا سجودا على وجوههم يدعون الله، ويتضرعون إليه، ويتعوذون به من الفتنة، ثم إن يملixa قال لهم: يا إخوتاه، ارفعوا رؤوسكم، فاطعموا من هذا الطعام الذي جئتمكم به، وتوكلوا على ربكم، فرفعوا رؤوسهم، وأعينهم تفيض من الدمع حذرا وتخوفا على أنفسهم، فطعموا منه، وذلك مع غروب الشمس، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون، ويذكر بعضهم بعضا على حزن منهم، مشفقين مما أتاهم به صاحبهم من الخبر، فبينما هم على ذلك، إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عددا، وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف، فأصابهم ما أصابهم وهم مؤمنون مؤقنون، مصدقون بالوعد، ونفقتهم موضوعة عندهم، فلما كان الغد فقدهم دقنوس، فالتمسهم فلم يجدهم، فقال لعظماء أهل المدينة: لقد ساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا، لقد كانوا يظنون أن بي غضبا عليهم فيما صنعوا في أول شأنهم، لجهلهم ما جهلوا من أمري، ما كنت لأجهل عليهم في نفسي، ولا أؤاخذ أحدا منهم بشيء إن هم تابوا وعبدوا آلهتي، ولو فعلوا لتركتمهم، وما عاقبتهم بشيء سلف منهم، فقال له عظماء أهل المدينة: ما أنت بتحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة، مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم، وقد كنت أجلتهم أجلا وأخرتهم عن العقوبة التي أصبت بها غيرهم، ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الأجل، ولكنهم لم يتوبوا ولم ينزعوا ولم يندموا على ما فعلوا، وكانوا منذ انطلقت يبدرون أموالهم بالمدينة، فلما علموا بقدمك قرؤا فلم يروا بعد، فإن أحببت أن تؤتني بهم، فأرسل إلى آبائهم فامتنحنهم، واشدد عليهم يدك عليهم، فإنهم مخبتون منك، فلما قالوا ذلك لدقنوس الجبار، غضب غضبا شديدا. ثم أرسل إلى آبائهم، فأتي بهم فسألهم عنهم وقال: أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوا أمري، وتركوا آلهتي، اتنوني بهم، وأنبتوني بمكانهم، فقال له آبأؤهم: أما نحن فلم نعص أمرك ولم نخالفك، قد عبدنا آلهتك وذبحنا لهم، فلم تقتلنا في قوم مردة، قد ذهبوا بأموالنا فبدروها وأهلكوها في أسواق المدينة، ثم انطلقوا، فارتقوا في جبل يدعى بنجلوس، وبينه وبين المدينة أرض بعيدة هربا منك، فلما قالوا ذلك خلى سبلهم، وجعل ياتمر ماذا يصنع بالفتية، فألقى الله عز وجل في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم كرامة من الله، أراد أن يكرمهم، ويكرم أجساد الفتية، فلا يجول، ولا يطوف بها شيء، وأراد أن يحييهم، ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. فأمر دقنوس بالكهف أن يسد عليهم، وقال: دعوا هؤلاء الفتية المردة الذين تركوا آلهتي فليموتوا كما هم في الكهف عطشا وجوعا، وليكن كهفهم الذي اختاروا لأنفسهم قبرا لهم، ففعل بهم ذلك عدو الله، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم، وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف، قد غشاه الله ما غشاهم، يقبلون ذات اليمين وذات الشمال، ثم إن رجلين مؤمنين كانا في بيت الملك دقنوس يكتمان إيمانهما: اسم أحدهما بيدروس، واسم الآخر: روناس، فأتما أن يكتبا شأن الفتية أصحاب الكهف، أنسابهم وأسماءهم وأسماء آبائهم، وقصة خبرهم في لوحين من رصاص، ثم يصنعا له تابوتا من نحاس، ثم يجعلان اللوحين فيه، ثم يكتبان عليه في فم الكهف بين ظهراي البنيان، ويختما على التابوت بخاتمهما، وقال لعل الله أن

يُظْهِرُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَيَعْلَمُ مِنْ فَتْحِ عَلَيْهِمْ حِينَ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ خَبْرَهُمْ، فَفَعَلًا ثُمَّ بَنَى عَلَيْهِ فِي الْبَنِيَانِ، فَبَقِيَ دَقِينُوسُ وَقَرْنَهُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْبُوا، ثُمَّ هَلَكَ دَقِينُوسُ وَالْقَرْنُ الَّذِي كَانُوا مَعَهُ، وَقُرُونٌ بَعْدَهُ كَثِيرَةٌ، وَخَلَفَتْ الْخُلُوفُ بَعْدَ الْخُلُوفِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَ مُصِيرُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ هَرَبًا مِنْ طَلَبِ سُلْطَانٍ كَانَ طَلِبُهُمْ بِسَبَبِ دَعْوَى جَنَائَةِ ادَّعَى عَلَى صَاحِبِ لَهُمْ أَنَّهُ جَنَاهَا. كَالَّذِي جَاءَ عَنْ وَهَبِ بْنِ مَنِبْهٍ يَقُولُ: جَاءَ حَوَارِيُّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلَى مَدِينَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ عَلَى بَابِهَا صَنْمًا لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ إِلَّا سَجَدَ لَهُ، فَكَرِهَ أَنْ يَدْخُلَهَا، فَأَتَى حَمَامًا، فَكَانَ فِيهِ قَرِيبًا مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَعْمَلُ فِيهِ يُوَاجِرُ نَفْسَهُ مِنْ صَاحِبِ الْحَمَامِ، وَرَأَى صَاحِبَ الْحَمَامِ فِي حِمَامِهِ الْبَرَكَةَ وَدَرَّ عَلَيْهِ الرِّزْقَ، فَجَعَلَ يَعْزُضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَجَعَلَ يَسْتَرْسِلُ إِلَيْهِ، وَعَلَقَهُ فِتْنَةً مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَجَعَلَ يَخْبِرُهُمْ خَبَرَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَبَرَ الْآخِرَةِ، حَتَّى آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَكَانُوا عَلَى مِثْلِ حَالِهِ فِي حُسْنِ الْهَيْئَةِ، وَكَانَ يَشْتَرِطُ عَلَى صَاحِبِ الْحَمَامِ أَنْ اللَّيْلَ لِي لَا تَحُولَ بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّلَاةِ إِذَا حَضَرْتُ، فَكَانَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى جَاءَ ابْنُ الْمَلِكِ بِامْرَأَةٍ، فَدَخَلَ بِهَا الْحَمَامَ، فَغَيَّرَهُ الْحَوَارِيُّ، فَقَالَ: أَنْتَ ابْنُ الْمَلِكِ، وَتَدْخُلُ مَعَكَ هَذِهِ النِّكَدَاءَ، فَاسْتَحْيَا، فَذَهَبَ فَرَجَعَ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَسَبِهَ وَانْتَهَرَهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلَتْ مَعَهُ الْمَرْأَةُ، فَمَاتَا فِي الْحَمَامِ جَمِيعًا، فَأَتَى الْمَلِكُ، فَقِيلَ لَهُ: قَتَلَ صَاحِبُ الْحَمَامِ ابْنَكَ، فَالْتَمَسَ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ هَرَبًا، قَالَ: مَنْ كَانَ يَصْحَبُهُ؟ فَسَمُوا الْفَتِيَّةَ، فَالْتَمَسُوا، فَخَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَمَرُّوا بِصَاحِبِ لَهُمْ فِي زَرْعٍ لَهُ، وَهُوَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِمْ، فَذَكَرُوا أَنَّهُمُ التَّمَسُّوا، فَانْطَلَقَ مَعَهُمُ الْكَلْبُ، حَتَّى أَوَاهُمُ اللَّيْلَ إِلَى الْكَهْفِ، فَدَخَلُوهُ، فَقَالُوا: نَبِيتَ هَهُنَا اللَّيْلَةَ، ثُمَّ نَصَبِحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَتَرُونَ رَأْيَكُمْ، فَضْرَبَ عَلَى أَذَانِهِمْ، فَخَرَجَ الْمَلِكُ فِي أَصْحَابِهِ يَتَّبِعُونَهُمْ حَتَّى وَجَدُوهُمْ قَدْ دَخَلُوا الْكَهْفَ، فَكَلَّمَا أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَدْخُلَ أَرْعَبَ، فَلَمْ يَطِقْ أَحَدٌ أَنْ يَدْخُلَهُ، فَقَالَ قَائِلٌ: أَلَيْسَ لَوْ كُنْتُ قَدَرْتُ عَلَيْهِمْ قَتَلْتُهُمْ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَابْنَ عَلَيْهِمْ بَابَ الْكَهْفِ، وَدَعَهُمْ فِيهِ يَمُوتُوا عَطْشًا وَجُوعًا، فَفَعَلَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ١٥ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٦﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾: فَضْرَبْنَا عَلَى أَذَانِهِمْ بِالنَّوْمِ فِي الْكَهْفِ: أَيُّ أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّوْمَ، كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِآخَرٍ: ضَرَبَكَ اللَّهُ بِالْفَالَجِ، بِمَعْنَى ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِ، وَأَرْسَلَهُ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ يعني سنين معدودة، وَنَصَبَ الْعِدَدَ بِقَوْلِهِ ﴿فَضْرَبْنَا﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ يَقُولُ: ثُمَّ بَعَثْنَا هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةَ الَّذِينَ أَوُوا إِلَى الْكَهْفِ بَعْدَ مَا ضَرَبْنَا عَلَى أَذَانِهِمْ فِيهِ سِنِينَ عَدَدًا مِنْ رَقْدَتِهِمْ، لِنَنْظُرَ عِبَادِي فَيَعْلَمُوا بِالْبَحْثِ، أَيُّ الطَّائِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ اخْتَلَفْتَا فِي قَدْرِ مَبْلَغِ مَكْتِ الْفَتِيَّةِ فِي كَهْفِهِمْ رَقُودًا أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا يَقُولُ: أَصُوبَ لِقَدْرِ لَبْثِهِمْ فِيهِ أَمَدًا، وَيَعْنِي بِالْأَمَدِ: الْغَايَةَ، وَذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ، قَوْمٌ مِنْ قَوْمِ الْفَتِيَّةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَ الْحِزْبَانِ جَمِيعًا كَافِرِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ كَانَ أَحَدُهُمَا مُسْلِمًا، وَالْآخَرُ كَافِرًا. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَمَدًا﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: بَعِيدًا. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَالَ آخَرُونَ: مَعْنَاهُ: عَدَدًا. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَحْنُ نَفْصٍ غَلْبَكُمْ نِبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ١٧ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا

شَطَطًا ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف بالحق، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شك فيه ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ يقول: إن الفتية الذين أووا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملائكة من مشركي قومك، فتية آمنوا بربهم، ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيماناً، وبصيرة بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل. وقوله: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يقول عز ذكره: وألهمناهم الصبر، وشددنا قلوبهم بنور الإيمان حتى عرفت أنفسهم عما كانوا عليه من خفض العيش. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: حين قاموا بين يدي الجبار دقبنوس، فقالوا له إذ عاتبهم على تركهم عبادة آلهته ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: قالوا ربنا ملك السماوات والأرض وما فيهما من شيء، وآلهتك مريوبة، وغير جائز لنا أن نترك عبادة الرب ونعبد المربوب ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ يقول: لن ندعو من دون رب السموات والأرض إلهاً، لأنه لا إله غيره، وإن كل ما دونه فهو خلقه ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ يقول جل ثناؤه: لئن دعونا إلهاً غير إله السموات والأرض، لقد قلنا إذن بدعائنا غيره إلهاً، شططا من القول: يعني غالباً من الكذب، مجاوزاً مقداره في البطول والغلو يقال منه: قد أشط فلان في السوم إذا جاوز القدر وارتفع، يشط إشطاطاً وشططاً. فأما من البعد وإنما يقال: شط منزل فلان يشط شطوطاً، ومن الطول: شطت الجارية تشط شطاطاً وشطاطة: إذا طالت. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿شَطَطًا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٥﴾ يقول عز ذكره مخبراً عن قيل الفتية من أصحاب الكهف: هؤلاء قومنا اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونها من دونه لولا يأتون عليهم بسُلْطَانٍ بَيِّنٍ يقول: هلا يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة، وفي الكلام محذوف اجتزئ بما ظهر عما حذف، وذلك في قوله: لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فالهاء والميم في عليهم من ذكر الآلهة، والآلهة لا يؤتى عليها بسُلْطَانٍ، ولا يسأل السلطان عليها، وإنما يسأل عابدها السلطان على عبادتهموها، فمعلوم إذ كان الأمر كذلك، أن معنى الكلام: لولا يأتون على عبادتهموها، واتخاذهموها آلهة من دون الله بسُلْطَانٍ بين. وبنحو ما قلنا في معنى السلطان، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وعنى بقوله عز ذكره: فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ومن أشدَّ اعتداء وإشراكاً بالله، ممن اختلق، فتخرّص على الله كذباً، وأشرك مع الله في سلطانه شريكاً يعبدونه، ويتخذونه إلهاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل بعض الفتية لبعض: وإذا اعتزلتم أيها الفتية قومكم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ يقول: وإذا اعتزلتم قومكم الذين يعبدون من الآلهة سوى الله، ف "ما" إذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفاً لها على الهاء، والميم التي في قوله ﴿وَإِذْ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وأما قوله: ﴿فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ فإنه يعني به: فصيروا إلى غار الجبل

الذي يسمى بنجلوس، ﴿يُنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ يقول: ييسط لكم ربكم من رحمته بتيسيره لكم المخرج من الأمر الذي قد رُميتُم به من الكافر دقنوس وطلبه إياكم لعرضكم على الفتنة. وقوله: ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ جواب لإذ، كأن معنى الكلام: وإذا اعتزلتم أيها القوم قومكم، فأووا إلى الكهف، كما يقال: إذ أذنبت فاستغفر الله وتب إليه. وقوله: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ يقول: ويسر لكم من أمركم الذي أنتم فيه من الغم والكرب خوفا منكم على أنفسكم ودينكم مرفقا، ويعني بالمرفق: ما ترتفقون به من شيء، وفي المرفق من اليد وغير اليد لغتان: كسر الميم وفتح الفاء، وفتح الميم وكسر الفاء،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ (٧٧) يقول تعالى ذكره ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ يا محمد ﴿إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ يعني بقوله: ﴿تَزَاوَرُ﴾: تعدل وتميل، من الزور: وهو العوج والميل، يقال منه: في هذه الأرض زور: إذا كان فيها اعوجاج، وفي فلان عن فلان ازورار، إذا كان فيه عنه إعراض، وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وجاء عن ابن عباس، قال: لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم، ولو أنهم لا يقلبون لأكلتهم الأرض، قال: وذلك قوله: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾. وقوله: ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا غربت الشمس تركهم من ذات شمالهم. وإنما معنى الكلام: وترى الشمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، فتطلع عليه من ذات اليمين، لثلاث تصيب الفتية، لأنها لو طلعت عليهم قبالهم لأحرقتهم وثيابهم، أو أشحبتهم، وإذا غربت تركهم بذات الشمال، فلا تصيبهم، يقال منه: قرضت موضع كذا: إذا قطعت فجاوزته، وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وأما الكوفيون فإنهم يزعمون أنه المحاذاة، وذكروا أنهم سمعوا من العرب قرضته قبلا ودبرا، وحذوته ذات اليمين والشمال، وقبلا ودبرا: أي كنت بحذائه، قالوا: والقرض والحذو بمعنى واحد، وأصل القرض: القطع، يقال منه: قرضت الثوب: إذا قطعته، ومنه قيل للمقراض: مقراض، لأنه يقطع، ومنه قرض الفأر الثوب، وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ يقول: والفتية الذين أووا إليه في متسع منه يُجَمَع: فجوات، وفجاء ممدودا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يقول عز ذكره: فعلنا هذا الذي فعلنا هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرناهم، إذ أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هي طلعت، وتقرضهم ذات الشمال إذا هي غربت، مع كونهم في المتسع من المكان، بحيث لا تحرقهم الشمس فتشحبهم، ولا تبلى على طول رقبتهم ثيابهم، فنعقن على أجسادهم، من حجج الله وأدلته على خلقه، والأدلة التي يستدل بها أولو الأبواب على عظيم قدرته وسلطانه، وأنه لا يعجزه شيء أراد، وقوله ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ يقول عز وجل: من يوفقه الله للاهتداء بآياته وحججه إلى الحق التي جعلها أدلة عليه، فهو المهتدي: يقول: فهو الذي قد أصاب سبيل الحق ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ يقول: ومن أضله الله عن آياته

وأدلته، فلم يوفقه للاستدلال بها على سبيل الرشاد ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ يقول: فلن تجد له يا محمد خليلا وحليفا يرشده لإصابتها، لأن التوفيق والخلاص بيد الله، يوفق من يشاء من عباده، ويخذل من أراد، يقول: فلا يحزنك إدار من أدبر عنك من قومك وتكذيبهم إياك، فإني لو شئت هديتهم فآمنوا، ويدي الهداية والضلال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وتحسب يا محمد هؤلاء الفتية الذين قصصنا عليك قصتهم، لو رأيتهم في حال ضربنا على آذانهم في كهفهم الذي أووا إليه أيقاظا، والأيقاظ: جمع يقظ، وقوله: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ يقول: وهم نيام، والرقود: جمع راقد، كالجلوس: جمع جالس، والقعود: جمع قاعد، وقوله ونقلبهم ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ يقول جل ثناؤه: ونقلب هؤلاء الفتية في رقبتهم مرة للجنب الأيمن، ومرة للجنب الأيسر. وقوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بقوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ فقال بعضهم: هو كلب من كلابهم كان معهم، وقد ذكرنا كثيرا ممن قال ذلك فيما مضى، وقال بعضهم: كان إنسانا من الناس طبأخا لهم تبعهم. وأما الوصيد، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: الوصيد: الباب، أو فناء الباب حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يُوصد، وإيصاده: إطباقه وإغلاقه من قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَوْصِدَةٌ﴾ وفيه لغتان: الأصيد، وهي لغة أهل نجد، والوصيد: وهي لغة أهل تهامة وذكر عن أبي عمرو بن العلاء، قال: إنها لغة أهل اليمن، وذلك نظير قولهم: ورخت الكتاب وأرخته، ووكدت الأمر وأكدته، فمن قال الوصيد، قال: أوصدت الباب فأنا أوصده، وهو موصد، ومن قال الأصيد، قال: أصدت الباب فهو موصد، فكان معنى الكلام: وكلبهم باسط ذراعيه بفناء كهفهم عند الباب، يحفظ عليهم بابه. وقوله: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ يقول: لو اطلعت عليهم في رقبتهم التي رقدوها في كهفهم، لأدبرت عنهم هاربا منهم فارا، ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ يقول: ولملئت نفسك من اطلاعك عليهم فرعا، لما كان الله ألبسهم من الهية، كي لا يصل إليهم واصل، ولا تلمسهم يد لاس حتى يبلغ الكتاب فيهم أجله، وتوقظهم من رقدتهم قدرته وسلطانه في الوقت الذي أراد أن يجعلهم عبرة لمن شاء من خلقه، وآية لمن أراد الاحتجاج بهم عليه من عباده، ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَبْظَهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: كما أرقدنا هؤلاء الفتية في الكهف، فحفظناهم من وصول واصل إليهم، وعين ناظر أن ينظر إليهم، وحفظنا أجسامهم من البلاء على طول الزمان، وثياهم من العفن على مر الأيام بقدرتنا، وكذلك بعثناهم من رقدتهم، وأيقظناهم من نومهم، لنعرفهم عظيم سلطاننا، وعجيب فعلنا في خلقنا، وليزدادوا بصيرة في أمرهم الذي هم عليه من براءتهم من عبادة الآلهة، وإخلاصهم لعبادة الله وحده لا شريك له، إذا تبينوا طول الزمان

عليهم، وهم بهيتهم حين رقدوا، وقوله: ﴿لَيْتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ يقول: ليسأل بعضهم بعضا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ يقول عز ذكره: فسألوها فقال قائل منهم لأصحابه: ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ وذلك أنهم استنكروا من أنفسهم طول رقدتهم ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ يقول: فأجابه الآخرون فقالوا: لبئنا يوما أو بعض يوم، ظنا منهم أن ذلك كذلك كان، فقال الآخرون: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾ فسلموا العلم إلى الله. وقوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يعني مدينتهم التي خرجوا منها هربا، التي تسمى أفسوس ﴿فَلْيَنْظُرْ أَهْيَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ ذكر أنهم هبوا من رقدتهم جياعا، فلذلك طلبوا الطعام. كما جاء عن وهب بن منبه يقول: إنهم غبروا، يعني الفتية من أصحاب الكهف بعد ما بني عليهم باب الكهف زمانا بعد زمان، ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف وأدخلت غنمي من المطر، فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخله فيه، ورد إليهم أرواحهم في أجسامهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدهم بورق يشتري طعاما، فلما أتى باب مدينتهم، رأى شيئا يُنكره، حتى دخل على رجل فقال: بعني هذه الدراهم طعاما، فقال: ومن أين لك هذه الدراهم؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، فأوانا الليل، ثم أصبحوا، فأرسلوني، فقال: هذه الدراهم كانت على عهد مُلك فلان، فأنتي لك بها، فرفعه إلى الملك، وكان ملكا صالحا، فقال: من أين لك هذه الورق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس، حتى أدركننا الليل في كهف كذا وكذا، ثم أمروني أن أشتري لهم طعاما، قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف، قال: فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف، فقال: دعوني أدخل على أصحابي قبلكم، فلما رأوه، ودنا منهم ضُرب على أذنه وأذانهم، فجعلوا كلما دخل رجل أرعب، فلم يقدرُوا على أن يدخلوا عليهم، فبنوا عندهم كنيسة، اتخذوها مسجدا يصلون فيه. وجاء أيضا عن ابن إسحاق فيما ذكر من حديث أصحاب الكهف، قال: ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تيدوسيس، فلما ملك بقي ملكه ثمانيا وستين سنة، فتحزب الناس في مُلكه، فكانوا أحزابا، فمنهم من يؤمن بالله، ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب، فكبر ذلك على الملك الصالح تيدوسيس، وبكى إلى الله وتضرع إليه، وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون: لا حياة إلا الحياة الدنيا، وإنما تبعث النفوس، ولا تبعث الأجساد، ونسوا ما في الكتاب، فجعل تيدوسيس يرسل إلى من يظن فيه خيرا، وأنهم أئمة في الحق، فجعلوا يكذبون بالساعة، حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين، فلما رأى ذلك الملك الصالح تيدوسيس، دخل بيته فأغلقه عليه، ولبس مسحا وجعل تحته رمادا، ثم جلس عليه، فدأب ذلك ليله ونهاره زمانا يتضرع إلى الله، ويكي إليه مما يرى فيه الناس، ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد، أراد أن يظهر على الفتية أصحاب الكهف، ويبين للناس شأنهم، ويجعلهم آية لهم، وحجة عليهم، ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن يستجيب لعبده الصالح تيدوسيس، ويتم نعمته عليه، فلا ينزع منه مُلكه، ولا الإيمان الذي أعطاه، وأن يعبد الله لا يشرك به شيئا، وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين، فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي به الكهف، وكان الجبل بنجلوس الذي فيه الكهف لذلك الرجل، وكان اسم ذلك الرجل أولياس، أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف، فينبني به حظيرة لغنمه، فاستأجر عاملين، فجعلوا ينزعان تلك الحجارة، ويبنيان بها تلك الحظيرة،

حتى نزعاً ما على فم الكهف، حتى فتحا عنهم باب الكهف، وحجبهم الله من الناس بالرعب، فيزعمون أن أشجع من يريد أن ينظر إليهم غاية ما يمكنه أن يدخل من باب الكهف، ثم يتقدم حتى يرى كلبهم دونهم إلى باب الكهف نائماً، فلما نزعاً الحجارة، وفتحا عليهم باب الكهف، أذن الله ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف، فجلسوا فرحين مُسْفَرَةً وجوههم طيبة أنفسهم، فسلم بعضهم على بعض، حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون فيها، ثم قاموا إلى الصلاة فصلّوا، كالذي كانوا يفعلون، لا يرون، ولا يرى في وجوههم، ولا أباشرهم، ولا ألوانهم شيء يُنكرونه كهيتهم حين رقدوا بعشيّ أمس، وهم يرون أن ملكهم دقيّوس الجبار في طلبهم والتماسهم فلما قضوا صلاتهم كما كانوا يفعلون، قالوا ليمليخا، وكان هو صاحب نفقتهم، الذي كان يتابع لهم طعامهم وشرابهم من المدينة، وجاءهم بالخبر أن دقيّوس يلتمسهم، ويسأل عنهم: أنبئنا يا أخي ما الذي قال الناس في شأننا عشيّ أمس عند هذا الجبار، وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون، وقد خُيِّلَ إليهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا فيها، حتى تساءلوا بينهم، فقال بعضهم لبعض: ﴿كَمْ لَيْثُمْ﴾ نياما؟ ﴿قَالُوا لَيْثًا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْثُمْ﴾ وكل ذلك في أنفسهم يسير. فقال لهم يملليخا: افْتَقِدْتُمْ والتمستم بالمدينة، وهو يريد أن يُؤْتَى بكم اليوم، فتدبّحون للطواغيت، أو يقتلُكم، فما شاء الله بعد ذلك، فقال لهم مكسلمينا: يا إخوانه اعلّموا أنكم ملاقون، فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله، ولا تُنكروا الحياة التي لا تبيد بعد إيمانكم بالله، والحياة من بعد الموت، ثم قالوا ليمليخا: انطلق إلى المدينة فسمّع ما يقال لنا بها اليوم، وما الذي تُذكر به عند دقيّوس، وتلطّف، ولا يشعرن بنا أحد، وابتع لنا طعاماً فاتناً به، فإنه قد آن لك، وزدنا على الطعام الذي قد جئتنا به، فإنه قد كان قليلاً فقد أصبحنا جوعاً، ففعل يملليخا كما كان يفعل، ووضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها، وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم، التي ضربت بطابع دقيّوس الملك، فانطلق يملليخا خارجاً، فلما مرّ بباب الكهف، رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف. فعجب منها، ثم مرّ فلم يبال بها، حتى أتى المدينة مستخفياً يصدّ عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها، فيعرفه، فيذهب به إلى دقيّوس، ولا يشعر العبد الصالح أن دقيّوس وأهل زمانه قد هلكوا قبل ذلك بثلاث مئة وتسع سنين، أو ما شاء الله من ذلك، إذ كان ما بين أن ناموا إلى أن استيقظوا ثلاث مئة وتسع سنين، فلما رأى يملليخا باب المدينة رفع بصره، فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون لأهل الإيمان، إذا كان ظاهراً فيها، فلما رآها عجب وجعل ينظر مستخفياً إليها، فنظر يمينا وشمالاً فتعجب بينه وبين نفسه، ثم ترك ذلك الباب، فتحوّل إلى باب آخر من أبوابها، فنظر فرأى من ذلك ما يحيط بالمدينة كلها، ورأى على كلّ باب مثل ذلك، فجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالمدينة التي كان يعرف، ورأى ناساً كثيرين محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك، فجعل يمشي ويعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه، فجعل يعجب بينه وبين نفسه ويقول: يا ليت شعري، أما هذه عشية أمس، فكان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها، وأما اليوم فإنها ظاهرة لعليّ حالم، ثم يرى أنه ليس بنائم، فأخذ كساءه فجعله على رأسه، ثم دخل المدينة، فجعل يمشي بين ظهري سوقها، فيسمع أناساً كثيراً يحلفون باسم عيسى

ابن مريم، فزاده فرقا، ورأى أنه حيران، فقام مسندا ظهره إلى جدار من جُدُر المدينة ويقول في نفسه: والله ما أدري ما هذا! أما عشيّة أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قُتل، وأما الغداة فأسمعهم، وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى لا يخاف، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف أسمع كلام أهلها ولا أعرف أحدا منهم، والله ما أعلم مدينة قرب مدينتنا، فقام كالحيران لا يتوجه وجهها، ثم لقي فتى من أهل المدينة، فقال له: ما اسم هذه المدينة يا فتى؟ قال: اسمها أفسوس، فقال في نفسه: لعل بي مساء، أو بي أمر أذهب عقلي، والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شر فأهلك، هذا الذي يحدث به يملixa أصحابه حين تبين لهم ما به، ثم إنه أفاق فقال: والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفتن بي لكان أكيس لي، فدنا من الذين يبيعون الطعام، فأخرج الورق التي كانت معه، فأعطاهم رجلا منهم، فقال: بعني بهذه الورق يا عبد الله طعاما، فأخذها الرجل، فنظر إلى ضرب الورق ونقشها، فعجب منها، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، فنظر إليها، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل، ويتعجبون منها، ثم جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد أصاب كنزا خبيثا في الأرض منذ زمان ودهر طويل، فلما رأهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا، وجعل يرتعد ويظنّ أنهم قد فطنوا به وعرفوه، وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقنوس يسلمونه إليه، وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه، فقال لهم وهو شديد الفرق منهم: أفضلوا عليّ، فقد أخذتم ورقي فأمسكوا، وأما طعامكم فلا حاجة لي به، قالوا له: من أنت يا فتى، وما شأنك؟ والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين، فأنت تريد أن تخفيه منا، فانطلق معنا فأرناهِ وشاركنا فيه، نخف عليك ما وجدت، فإنك إن لا تفعل نأت بك السلطان، فنسلمك إليه فيقتلك، فلما سمع قولهم، عجب في نفسه فقال: قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه، ثم قالوا: يا فتى إنك والله ما تستطيع أن تكتم ما وجدت، ولا تظنّ في نفسك أنه سيخفي حالك، فجعل يملixa لا يدري ما يقول لهم، وما يرجع إليهم، وفرق حتى ما يحير إليهم جوابا، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطوقوه في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة ملبيا، حتى سمع به من فيها، فقيل: أخذ رجل عنده كنز واجتمع عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم، فجعلوا ينظرون إليه ويقولون: والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة، وما رأيناه فيها قط، وما نعرفه، فجعل يملixa لا يدري ما يقول لهم، مع ما يسمع منهم، فلما اجتمع عليه أهل المدينة، فرق، فسكت فلم يتكلم، ولو أنه قال إنه من أهل المدينة لم يصدّق، وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة، وأن حسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها، وأنهم سيأتونه إذا سمعوا، وقد استيقن أنه من عشيّة أمس يعرف كثيرا من أهلها، وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحدا، فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأت به بعض أهله، أبوه أو بعض إخوته فيخلصه من أيديهم، إذ اختطفوه فانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديرها اللذين يدبران أمرها، وهما رجلان صالحان، كان اسم أحدهما أريوس، واسم الآخر أسطيوس، فلما انطلق به إليهما، ظنّ يملixa أنه ينطلق به إلى دقنوس الجبار ملكهم الذي هربوا منه، فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه، كما يسخر من المجنون والحيران، فجعل يملixa يبكي، ثم رفع رأسه إلى السماء وإلى الله، ثم قال: اللهم إله السماوات والأرض، أُلج معي روحا منك اليوم تؤيدني به عند هذا الجبار، وجعل

يبكي ويقول في نفسه: فرق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، وأني يذهب بي إلى دقنوس الجبار، فلو أنهم يعلمون، فيأتون، فنقوم جميعاً بين يدي دقنوس، فإننا كنا تواقين لنكوننَّ معاً، لا نكفر بالله ولا نشرك به شيئاً، ولا نعبد الطواغيت من دون الله، فرق بيني وبينهم، فلن يروني ولن أراهم أبداً، وقد كنا تواقين أن لا نفرق في حياة ولا موت أبداً، يا ليت شعري ما هو فاعل بي؟ أقاتلي هو أم لا؟ ذلك الذي يحدث به يملixa نفسه فيما أخبر أصحابه حين رجع إليهم. فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وأسطيوس، فلما رأى يملixa أنه لم يذهب به إلى دقنوس، أفق وسكن عنه البكاء، فأخذ أريوس وأسطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا منها، ثم قال أحدهما: أين الكنز الذي وجدت يا فتى، هذا الورق يشهد عليك أنك قد وجدت كنزاً، فقال لهما يملixa: ما وجدت كنزاً ولكن هذه الورق ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكن والله ما أدري ما شأنى، وما أدري ما أقول لكم، فقال له أحدهما: ممن أنت؟ فقال له يملixa: ما أدري، فكنت أرى أنى من أهل هذه القرية، قالوا: فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه، فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه، فقال له أحدهما: أنت رجل كذاب لا تتبنا بالحق، فلم يدر يملixa ما يقول لهم، غير أنه نكس بصره إلى الأرض، فقال له بعض من حوله: هذا رجل مجنون، فقال بعضهم: ليس بمجنون، ولكنه يحقق نفسه عمداً لكي ينفلت منكم، فقال له أحدهما، ونظر إليه نظراً شديداً: أظن أنك إذ تتجانب نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك، وضرب هذه الورق ونقشها منذ أكثر من ثلاث مئة سنة؟ وإنما أنت غلام شاب تظن أنك تأفكنا، ونحن شمت كما ترى، وحولك سُرّة أهل المدينة، وولادة أمرها، إني لأظني سأمر بك فتعذب عذاباً شديداً، ثم أوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدت، فلما قال ذلك، قال يملixa: أنبئوني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدقتكم عما عندي، أرايتم دقنوس الملك الذي كان في هذه المدينة عشية أمس ما فعل، فقال له الرجل: ليس على وجه الأرض رجل اسمه دقنوس، ولم يكن إلا ملك قد هلك منذ زمان ودهر طويل، وهلكت بعده قرون كثيرة، فقال له يملixa: فوالله إني إذا لحيروا، وما هو بمصدق أحد من الناس بما أقول، والله لقد علمت، لقد فرنا من الجبار دقنوس، وإني قد رأيته عشية أمس حين دخل مدينة أفسوس، ولكن لا أدري أمدنية أفسوس هذه أم لا؟ فانطلقا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي، فلما سمع أريوس ما يقول يملixa قال: يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها لكم على يدي هذا الفتى، فانطلقوا بنا معه يرنا أصحابه، كما قال: فانطلق معه أريوس وأسطيوس، وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم، نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم. ولما رأى الفتية أصحاب الكهف يملixa قد احتبس عليهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي به، ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقنوس الذي هربوا منه، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة نحوهم، فظنوا أنهم رُسل الجبار دقنوس بعث إليهم ليؤتوا بهم، فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الصلاة، وسلم بعضهم على بعض، وأوصى بعضهم بعضاً، وقالوا: انطلقوا بنا نأت أخانا يملixa، فإنه الآن بين يدي الجبار دقنوس ينتظر متى نأته، فبينما هم يقولون ذلك، وهم جلوس بين ظهراي الكهف، فلم يروا إلا أريوس وأصحابه وقفاً على باب الكهف، وسبقهم يملixa، فدخل عليهم وهو يبكي، فلما رأوه يبكي بكوا معه، ثم سألوه عن شأنه، فأخبرهم

خبره وقصّ عليهم النبأ كله، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله، وإنما أوقفوا ليكونوا آية للناس، وتصديقا للبعث، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على إثر يملينا أريوس، فرأى تابوتا من نحاس محتوما بخاتم من فضة، فقام بباب الكهف، ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة، ففتح التابوت عندهم، فوجدوا فيه لوحين من رصاص، مكتوبا فيهما كتاب، فقرأهما فوجد فيهما أن مكسلمينا، ومحسلمينا، ويمليخا، ومرطونس، وكسطونس، ويورس، ويكرونس، ويطيونس، وقالوش، كانوا فتية هربوا من ملكهم دقنيوس الجبار، مخافة أن يفتنهم عن دينهم، فدخلوا هذا الكهف، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسدّ عليهم بالحجارة، وإنا كتبنا شأنهم وقصة خبرهم، ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرأوه، عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية للبعث فيهم، ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيحه، ثم دخلوا على الفتية الكهف، فوجدوهم جلوسا بين ظهرائه، مُشرقة وجوههم، لم تبل ثيابهم، فخرّ أريوس وأصحابه سجودا، وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته، ثم كلم بعضهم بعضا، وأنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقنيوس ذلك الجبار الذي كانوا هربوا منه، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح تيدوسيس، أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله، جعلها الله على ملكك، وجعلها آية للعالمين، لتكون لهم نورا وضياء، وتصديقا بالبعث، فاعجل على فتية بعثهم الله، وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مئة سنة، فلما أتى الملك تيدوسيس الخبر، قام من المَسْنَدَةِ التي كان عليها، ورجع إليه رأيهِ وعقله، وذهب عنه همه، ورجع إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فقال: أحمداك اللهم ربّ السماوات والأرض، أعبدك، وأحمداك، وأصبح لك، تطوّلت عليّ، ورحمتني برحمتك، فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لأبائي، وللعبد الصالح قسطينوس الملك، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه، وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس، فلتقاهم أهل المدينة، وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف حتى أتوه، فلما رأى الفتية تيدوسيس، فرحوا به، وخرّوا سجودا على وجوههم، وقام تيدوسيس قدامهم، ثم اعتنقهم وبكى، وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه، ويقول: والله ما أشبه بكم إلا الحواريون حين رأوا المسيح، وقال: فرج الله عنكم، كأنكم الذي تُدْعَوْنَ فَتَحْشَرُونَ من القبور، فقال الفتية لتيدوسيس: إنا نودّعك السلام، والسلام عليكم ورحمة الله، حفظك الله، وحفظ لك ملكك بالسلام، ونعيذك بالله من شرّ الجنّ والإنس، فأمر بعيش من خُلِّرَ ونشيل إن أسوأ ما سلك في بطن الإنسان أن لا يعلم شيئا إلا كرامة إن أكرم بها، ولا هوان إن أهين به. فبينما الملك قائم، إذ رجعوا إلى مضاجعهم، فناموا، وتوفى الله أنفسهم بأمره، وقام الملك إليهم، فجعل ثيابه عليهم، وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب، فلما أمسوا ونام، أتوه في المنام، فقالوا: إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة، ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير، فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه، فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج، فجعلوهم فيه، وحج بهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب، فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم، وأمر الملك فجعل كهفهم مسجدا يُصَلَّى فيه، وجعل لهم عيدا عظيما، وأمر أن يؤتى كل سنة، فهذا حديث أصحاب الكهف. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: إن الله تعالى بعثهم من رقدتهم ليتساءلوا بينهم كما بيّنا قبل، لأن الله عزّ ذكره، كذلك أخبر عباده في كتابه، وإن الله أعثر عليهم القوم الذين أعثرهم

عليهم، ليتحقق عندهم بيعث الله هؤلاء الفتية من رقدتهم بعد طول مدتها بهيئتهم يوم رقدوا، ولم يشيخوا على مر الأيام والليالي عليهم، ولم يهرموا على كَرِّ الدهور والأزمان فيهم قدرته على بعث من أماته في الدنيا من قبره إلى موقف القيامة يوم القيامة، لأن الله عزّ ذكره بذلك أخبرنا، فقال: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾. وأما قوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَّتُهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصواب: قول من قال: معنى ذلك: أحلّ وأطهر، وذلك أنه لا معنى في اختيار الأكثر طعاما للشراء منه إلا بمعنى إذا كان أكثرهم طعاما، كان خليقا أن يكون الأفضل منه عنده أوجد، وإذا شرط على المأمور الشراء من صاحب الأفضل، فقد أمر بشراء الجيد، كان ما عند المشتري ذلك منه قليلا الجيد أو كثيرا، وإنما وجه من وجه تأويل أزكى إلى الأكثر، لأنه وجد العرب تقول: قد زكا مال فلان: إذا كثر، وذلك وإن كان كذلك، فإن الحلال الجيد وإن قل، أكثر من الحرام الخبيث وإن كثر. وقيل: ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَّتُهَا﴾ فأضيف إلى كناية المدينة، والمراد بها أهلها، لأن تأويل الكلام: فلينظر أي أهلها أزكى طعاما لمعرفة السامع بالمراد من الكلام، وقد يُحتمل أن يكونوا عنوا بقوله ﴿آيَّتُهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أيها أحلّ، من أجل أنهم كانوا فارقوا قومهم وهم أهل أوثان، فلم يستجيزوا أكل ذبيحتهم. وقوله: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ يقول: فليأتكم بقوت منه تقتاتونه، وطعام تأكلونه. كما جاء عن عبد الله بن عمير وقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ يقول: وليترق في شرائه ما يشتري، وفي طريقه ودخوله المدينة ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ يقول: ولا يعلمنّ بكم أحدا من الناس، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يعنون بذلك: دقینوس وأصحابه، قالوا: إن دقینوس وأصحابه إن يظهروا عليكم، فيعلموا مكانكم، يرجمكم شتما بالقول. وقوله: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ يقول: أو يردّوكم في دينهم، فتصيروا كفارا بعبادة الأوثان كما جاء عن ابن جريج ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ يقول: ولن تدرکوا الفلاح، وهو البقاء الدائم والخلود في الجنان، إذن: أي إن أنتم عدتم في ملتهم أبدا: أيام حياتكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما بعثناهم بعد طول رقدتهم كهيئتهم ساعة رقدوا، ليتساءلوا بينهم، فيزدادوا بعظيم سلطان الله بصيرة، وبحسن دفاع الله عن أوليائه معرفة ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ يقول: كذلك أطلعنا عليهم الفريق الآخر الذين كانوا في شك من قدرة الله على إحياء الموتى، وفي مزية من إنشاء أجسام خلقه، كهيئتهم يوم قبضهم بعد البلى، فيعلموا أن وعد الله حق، ويوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ يعني: الذين أعثروا على الفتية يقول تعالى: وكذلك أعثرنا هؤلاء المختلفين في قيام الساعة، وإحياء الله الموتى بعد مماتهم من قوم تيدوسيس، حين يتنازعون بينهم أمرهم فيما الله فاعل بمن أفناه من عباده، فأبلاه في قبره بعد مماته، أنشئهم هو أم غير منشئهم، وقوله فقالوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا يقول: فقال الذين أعثرناهم على أصحاب الكهف: ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ يقول: رب الفتية أعلم بالفتية وشأنهم، وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: قال القوم الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ

مَسْجِدًا. وقد اختلف في قائله هذه المقالة، أهم الرهط المسلمون، أم هم الكفار؟ وقد ذكرنا بعض ذلك فيما مضى، وسنذكر إن شاء الله ما لم يمض منه. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ قال: يعني عدوهم. وكما جاء عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: عمى الله على الذين أعثرهم على أصحاب الكهف مكانهم، فلم يهتدوا، فقال المشركون: بنينا عليهم بنيانا، فإنهم أبناء آبائنا، ونعبد الله فيها، وقال المسلمون: بل نحن أحق بهم، هم منا، بنينا عليهم مسجدا نصلي فيه، ونعبد الله فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا ﴿٢٥﴾ يقول تعالى ذكره: سيقول بعض الخائضين في أمر الفتية من أصحاب الكهف، هم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول بعضهم: هم خمسة سادسهم كلبهم ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾: يقول: قذا بالظن غير يقين علم، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ يقول: ويقول بعضهم: هم سبعة وثامنهم كلبهم. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لقائلي هذه الأقوال في عدد الفتية من أصحاب الكهف رجما منهم بالغيب: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ﴾ يقول: ما يعلم عددهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من خلقه. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل عنى بالقليل: أهل الكتاب. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا تمار يا محمد: لا تجادل أهل الكتاب فيهم، يعني في عدة أهل الكهف، وحُذِفَتِ العِدَّةُ اكتفاء بذكرهم فيها لمعرفة السامعين بالمراد. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المراء الظاهر الذي استثناه الله، ورخص فيه لنبيه ﷺ، فقال بعضهم: هو ما قص الله في كتابه أبيح له أن يتلوه عليهم، ولا يماريهم بغير ذلك. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: المراء الظاهر هو أن يقول ليس كما تقولون، ونحو هذا من القول. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تستفت في عدة الفتية من أصحاب الكهف منهم، يعني من أهل الكتاب أحدا، لأنهم لا يعلمون عدتهم، وإنما يقولون فيهم رجما بالغيب، لا يقينا من القول. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكما جاء عن قتادة ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾: من أهل الكتاب. كنا نحدث أنهم كانوا بني الركنا والركنا: ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، ففترّدوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على أصمختهم، فلبثوا دهرًا طويلا حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة بعدهم، وكان ملكهم مسلما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادُّكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه ﷺ عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله. وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد ذكرناها فيما مضى اللواتي، إحداهن المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيهم عنهن غد يومهم، ولم

يستثنى، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهم، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي عنه، وعلمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عاداته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم يأت من الله بها تنزيل، فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ يَا مُحَمَّد لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ كما قلت لهؤلاء الذين سألوكم عن أمر أصحاب الكهف، والمسائل التي سألوكم عنها، سأخبركم عنها غدا ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله، فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر منه، إذ كان في الكلام دلالة عليه، وقوله: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره، لأن أحد معاني النسيان في كلام العرب الترك، وقد بينا ذلك فيما مضى قبل. وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ يقول عز ذكره لنبيه ﷺ: قل ولعل الله أن يهديني فيسددني لأسد مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون، إن هو شاء. وقد قيل: إن ذلك مما أمر النبي ﷺ أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه، الذي هو عنده في أمر مستقبل مع قوله: إن شاء الله، إذا ذكر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٥﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره: ولبت أصحاب الكهف في كهفهم رقودا إلى أن بعثهم الله، ليتساءلوا بينهم، وإلى أن أعثر عليهم من أعثر، ثلاث مئة سنين وتسع سنين، وذلك أن الله بذلك أخبر في كتابه وقوله: ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: لله علم غيب السماوات والأرض، لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء، يقول: فسلموا له علم مبلغ ما لبثت الفتية في الكهف إلى يومكم هذا، فإن ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السماوات والأرض، وليس ذلك إلا الله الواحد القهار. وقوله: ﴿أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمِعَ﴾ يقول: أبصر بالله وأسمع، وذلك بمعنى المبالغة في المدح، كأنه قيل: ما أبصره وأسمعه. وتأويل الكلام: ما أبصر الله لكل موجود، وأسمعه لكل مسموع، لا يخفى عليه من ذلك شيء. كما جاء عن قتادة وابن زيد وقوله: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يقول جل ثناؤه: ما لخلقه دون ربهم الذي خلقهم ولي، يلي أمرهم وتديبرهم، وصرفهم فيما هم فيه مصرفون. ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ يقول: ولا يجعل الله في قضائه، وحكمه في خلقه أحدا سواه شريكا، بل هو المنفرد بالحكم والقضاء فيهم، وتديبرهم وتصريفهم فيما شاء وأحب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّكُم مَّعْبُودُونَ وَإِنِّي مَعْبُودُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واتباع ما فيه من أمر الله ونهيه، والعمل بحلاله وحرامه، فتكون من الهالكين، وذلك أن مصير من خالفه، وترك اتباعه يوم القيامة إلى جهنم ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ يقول: لا مغير لما أوعد بكلماته التي أنزلها عليك أهل معاصيه، والعاملين بخلاف هذا الكتاب الذي أوحيناها إليك. وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ يقول: وإن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك

من كتاب ربك فتبعه وتأتّم به، فذاك وعيد الله الذي أوعد فيه المخالفين حدوده، لن تجد من دون الله موثلاً تتل إليه ومعدلاً تعدل عنه إليه، لأن قدرة الله محيطه بك وبجميع خلقه، لا يقدر أحد منهم على الهرب من أمر أراد به. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿مُلْتَحِدًا﴾ قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم في البيان عنه. كما جاء عن مجاهد وغيره وقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا﴾ قال: لا يجدون ملتحدًا يلتحدونه، ولا يجدون من دونه ملجأً ولا أحداً يمنعهم، والملتحد: إنما هو المفتعل من اللحد، يقال منه: لحدت إلى كذا: إذا ملت إليه، ومنه قيل للحد: لحد، لأنه في ناحية من القبر، وليس بالشق الذي في وسطه، ومنه الإلحاد في الدين، وهو المعاندة بالعدول عنه، والترك له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بفعلهم ذلك ﴿وَجْهَهُ﴾ لا يريدون عرضاً من عرض الدنيا. وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في قوله ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ في سورة الأنعام، والصواب من القول في ذلك عندنا، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ يقول جل ثناؤه لنبية ﷺ: ولا تصرف عينك عن هؤلاء الذين أمرتك يا محمد أن تصبر نفسك معهم إلى غيرهم من الكفار، ولا تتجاوزهم إليه، وأصله من قولهم: عدوت ذلك، فأنا أعدوه: إذا جاوزته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾... الآية، قال: قال القوم للنبية ﷺ: إنا نستحي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا، فجانبهم يا محمد، وجالس أشراف العرب، فنزل القرآن ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ ولا تحقرهم، قال: قد أمروني بذلك، قال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾. وقوله: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية ﷺ: لا تعد عينك عن هؤلاء المؤمنين الذين يدعون ربهم إلى أشراف المشركين، تبغي بمجالستهم الشرف والفخر، وذلك أن رسول الله ﷺ أتاه فيما ذكر قوم من عظماء أهل الشرك، وقال بعضهم: بل من عظماء قبائل العرب ممن لا بصيرة لهم بالإسلام، فأروه جالسا مع خباب وصهيب وبلال، فسألوه أن يقيمهم عنه إذا حضروا، قالوا: فهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله عليه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ثم كان يقوم إذا أراد القيام، ويتركهم قعودا، فأنزل الله عليه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يريد زينة الحياة الدنيا: مجالسة أولئك العظماء الأشراف. وفد ذكرت الرواية بذلك فيما مضى قبل في سورة الأنعام. وجاء عن سلمان الفارسي، قال: جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم، فقالوا: يا نبي الله، إنك لو جلست في صدر المسجد، ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف، ولم يكن عليهم غيرها - جلسنا

إليك وحادثناك، وأخذنا عنك، فأنزل الله: ﴿وَإِذْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾، حتى بلغ ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ يتهددهم بالنار، فقام نبي الله ﷺ يلتمسهم حتى أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، فقال: "الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المصيبة ومعكم الممات". وقوله: ﴿وَلَا تُطْعَمَنْ أَعْفُلًا قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية ﷺ: ولا تطعم يا محمد من شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي عنك، عن ذكرنا، بالكفر وغلبة الشقاء عليه، واتبع هواه، وترك اتباع أمر الله ونهيه، وأثر هوى نفسه على طاعة ربه، وهم فيما ذكر: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس وذووهم. وأما قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: ضياعا وهلاكًا، من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطًا: إذا أسرف فيه وتجاوز قدره، وكذلك قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ معناه: وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر، واحتقار أهل الإيمان، سرفا قد تجاوز حده، فصنع بذلك الحق وهلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم، الحق أيها الناس من عند ربكم، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضل من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إلي من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحق متبعا، وبالله وبما أنزل علي مؤمنا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نار أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتكم به وعملتكم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته. وروي عن ابن عباس، قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ يقول: من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر، وهو قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء، والإيمان لمن أراد، وإنما هو تهديد ووعيد. وقد بين أن ذلك كذلك قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ يقول: أحاط سرادق النار التي أعدّها الله للكافرين برهم، وذلك فيما قيل: حائط من نار يطيف بهم كسرادق الفسطاط، وهي الحجرة التي تطيف بالفسطاط، كما قال رؤبة: يا حَكَمَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ... سُرَادِقُ الْفَضْلِ عَلَيْكَ مَمْدُودٌ وَقَدْ رُوي عن النبي ﷺ في ذلك خبر يدل على أن معنى قوله ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أحاط بهم ذلك في الدنيا، وأن ذلك السرادق هو البحر. كما جاء عن يعلى بن أمية، قال: قال رسول الله ﷺ: "الْبَحْرُ هُوَ جَهَنَّمُ" قال: فقيل له: كيف ذلك، فتلا هذه الآية، أو قرأ هذه الآية: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ ثم قال: والله لا أدخلها أبداً أو ما دُمْتُ حَيًّا، ولا تُصِيبُنِي مِنْهَا قَطْرَةٌ. وجاء عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: "سُرَادِقُ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ، كُنْفُ كُلِّ وَاحِدٍ مِثْلُ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً". وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن يستغيث هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدة ما

بهم من العطش، فيطلبون الماء يُغاثوا بماء المُهل. واختلف أهل التأويل في المهل، فقال بعضهم: هو كل شيء أذيب وانماع. عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن ابن مسعود أهديت إليه سِقاية من ذهب وفضة، فأمر بأخدود فخذ في الأرض، ثم قذف فيه من جزل حطب، ثم قذف فيه تلك السقاية، حتى إذا أزيدت وانماعت قال لغلامه: ادع من يحضرنا من أهل الكوفة، فدعا رهطاً، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شيئاً للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة، حين أزيد وانماع. وقال آخرون: هو القيح والدم الأسود. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: هو الشيء الذي قد انتهى حرّه. كما جاء عن سعيد وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها، فمقاربات المعنى، وذلك أن كل ما أذيب من رصاص أو ذهب أو فضة فقد انتهى حرّه، وأن ما أوقدت عليه من ذلك النار حتى صار كدردي الزيت، فقد انتهى أيضاً حرّه. وقد: حَدَّثَ عن معمر بن المثنى، أنه قال: سمعت المنتجع بن نبهان يقول: والله لفلان أبعض إليّ من الطلياء والمهل، قال: فقلنا له: وما هما؟ فقال: الجرباء، والملة التي تنحدر عن جوانب الخبزة إذا ملت في النار من النار، كأنها سهلة حمراء مدققة، فهي أحمره، فالمهل إذا هو كل مانع قد أوقد عليه حتى بلغ غاية حره، أو لم يكن مائعاً، فانماع بالوقود عليه، وبلغ أقصى الغاية في شدة الحر. وقوله: ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ يقول جل ثناؤه: يشوي ذلك الماء الذي يغاثون به وجوههم. كما جاء عن النبي ﷺ، في قوله ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ﴾ قال: يقرب إليه فيتكرهه، فإذا قرب منه، شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه، يقول الله: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾. وقال جعفر: إذا جاء أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها، فاختلست جلود وجوههم، فلو أن ماراً بهم يعرفهم، لعرف جلود وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون، فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حرّه، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى من حرّه لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود. وقوله: ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ يقول تعالى ذكره: بئس الشراب، هذا الماء الذي يغاث به هؤلاء الظالمون في جهنم الذي صفته ما وصف في هذه الآية. وقوله: ﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقاً، والمرتفق في كلام العرب: المتكأ، يقال منه: ارتفتت إذا تكأت، وقد ارتفق الرجل: إذا بات على مرفقه لا يأتيه نوم، وهو مرتفق، وأما من الرفق فإنه يقال: قد ارتفتت بك مرتفقاً،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٣٠) يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا نضيع ثواب من أحسن عملاً فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عدن، يعني بساتين إقامة في الآخرة، ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: تجري من دونهم ومن بين أيديهم الأنهار، وقال جل ثناؤه: من تحتهم، ومعناه: من دونهم وبين أيديهم، ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ يقول:

يلبسون فيها من الحلي أساور من ذهب، والأساور: جمع إسوار. وقوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ﴾ والسندس: جمع واحدها سندسة، وهي ما رق من الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه وثخن، وقيل: إن الإستبرق: هو الحرير، وقوله: ﴿مُتَكِينِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْائِكِ﴾ يقول: متكئين في جنات عدن على الأرائك، وهي السرر في الجبال، واحدها: أريكة، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿نِعَمَ الثَّوَابِ﴾ يقول: نعم الثواب جنات عدن، وما وصف جل ثناؤه أنه جعل لهؤلاء الذين آمنوا وعلموا الصالحات ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يقول: وحسنت هذه الأرائك في هذه الجنان التي وصف تعالى ذكره في هذه الآية متكأ. وقال جل ثناؤه: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ فأنت الفعل بمعنى: وحسنت هذه الأرائك مرتفقا، ولو ذكر لتذكير المرتفق كان صوابا، لأن نعم وبئس إنما تدخلهما العرب في الكلام لتدلا على المدح والذم لا للفعل، فلذلك تذكرهما مع المؤنث، وتوحدهما مع الاثنين والجماعة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۚ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿كُلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۚ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۚ﴾ ﴿٢٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: واضرب يا محمد لهؤلاء المشركين بالله، الذين سألوك أن تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ﴿مَثَلًا﴾ مثل ﴿رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ أي جعلنا له بستانين من كروم ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ يقول: وأطفنا هذين البستانين بنخل. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ يقول: وجعلنا وسط هذين البستانين زرعاً، وقوله: ﴿كُلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾ يقول: كلا البستانين أطلع ثمره وما فيه من الغروس من النخل والكرم وصنوف الزرع. وقال: كلتا الجنتين، ثم قال: آتت، فوحد الخبر، لأن كلتا لا يفرد واحدها، وأصله كل، وقد تفرد العرب كلتا أحيانا، ويذهبون بها وهي مفردة إلى التشية، وقوله: ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ يقول: ولم تنقص من الأكل شيئا، بل آتت ذلك تاما كاملا ومنه قولهم: ظلم فلان فلانا حقه: إذا بخسه ونقصه، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وسيكنا خلال هذين البستانين نهرا، يعني بينهما وبين أشجارهما نهرا. وقيل: ﴿وَفَجَرْنَا﴾ ففعل الجيم منه، لأن التفجير في النهر كله، وذلك أنه يمد ماء فيسيل بعضه بعضا. وقوله: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ ومعنى الكلام: ﴿وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا وَكَانَ لَهُ﴾ منهما "ثَمَرٌ" بمعنى من جنتيه أنواع من الثمار وقد بين ذلك لمن وفق لفهمه، قوله: ﴿جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ ثم قال: وكان له من هذه الكروم والنخل والزرع ثمر. وقوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يقول عز وجل: فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب، لصاحبه الذي لا مال له وهو يخاطبه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يقول: وأعرّ عشيرة ورهطا، كما قال عيينة والأقرع لرسول الله ﷺ: نحن سادات العرب، وأرباب الأموال، فنحّ عنا سلمان وخبّابا وصُهيبا، احتقارا لهم، وتكبرا عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۚ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۚ﴾ ﴿٢٥﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب ﴿دَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ وهي بستانه ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وظلمه نفسه: كفره

بالبعث، وشكه في قيام الساعة، ونسيانه المعاد إلى الله تعالى، فأوجب لها بذلك سخط الله وأليم عقابه، وقوله: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ يقول جل ثناؤه: قال لما عاين جنته، ورآها وما فيها من الأشجار والثمار والزروع والأنهار المطردة شكا في المعاد إلى الله: ما أظنُّ أن تبید هذه الجنة أبداً، ولا تغنى ولا تحرب، وما أظنُّ الساعة التي وعد الله خلقه الحشر فيها تقوم فتحدث، ثم تمنى أمنية أخرى على شك منه، فقال: ﴿وَلَكِنْ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ فرجعت إليه، وهو غير موقن أنه راجع إليه ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ يقول: لأجدن خيراً من جنتي هذه عند الله إن رددت إليه مرجعاً ومردداً، يقول: لم يعطني هذه الجنة في الدنيا إلا ولي عنده أفضل منها في المعاد إن رددت إليه. كما جاء عن ابن زيد

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۚ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره: قال لصاحب الجنتين صاحبه الذي هو أقل منه مالا وولداً، وهو يحاوره: يقول: وهو يخاطبه ويكلمه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني خلق أباك آدم من تراب ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يقول: ثم أنشأك من نطفة الرجل والمرأة، ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ يقول: ثم عدلك بشراً سوياً رجلاً ذكراً لا أنثى، يقول: أكفرت بمن فعل بك هذا أن يعيدك خلقاً جديداً بعد ما تصير رفاتاً ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ يقول: أما أنا فلا أكفر بربي، ولكن أنا هو الله ربي، معناه أنه يقول: ولكن أنا أقول: هو الله ربي ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝﴾ يقول عز ذكره: وهلا إذ دخلت بستانك، فأعجبك ما رأيت منه، قلت ما شاء الله كان، وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه، وهو جواب الجزاء، وذلك كان. وإذا وجه الكلام إلى هذا المعنى الذي قلنا كانت "ما" نصباً بوقوع فعل الله عليه، وهو شاء، وجاز طرح الجواب، لأن معنى الكلام معروف، كما قيل: فإن استطعت أن تبغي نفقا في الأرض، وترك الجواب، إذ كان مفهوماً معناه، وكان بعض أهل العربية يقول "ما" من قوله: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ في موضع رفع بإضمار هو، كأنه قيل: قلت هو ما شاء الله ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ يقول: لا قوة على ما نحاول من طاعته إلا به. وقوله: ﴿إِنْ تَرَنَّا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ وهو قول المؤمن الذي لا مال له، ولا عشيرة، مثل صاحب الجنتين وعشيرته، وهو مثل سلمان وصهيب وخباب، يقول: قال المؤمن للكافر: إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولداً، فإذا جعلت أنا عماداً نصبت أقل، وبه القراءة عندنا، لأن عليه قراءة الأمصار، وإذا جعلته اسماً رفعت أقل.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ۝﴾ أو يُصْبِحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل المؤمن الموقن للمعاد إلى الله للكافر المرتاب في قيام الساعة: إن ترن أيها الرجل أنا أقل منك مالا وولداً في الدنيا، فعسى ربي أن يرزقني خيراً من بستانك هذا ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ يعني على جنة الكافر التي قال لها: ما أظنُّ أن تبید هذه أبداً ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يقول: عذاباً من السماء ترمي به رمياً، وتقذف. والحسبان: جمع حُسْبَانَةٍ، وهي المرامي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلُ الْخَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أُنزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝٥٦﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: اطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا نحن جنثناك الدنيا منهم مثلاً يقول: شبهها ﴿كَمَا أُنزِلَتْ مِنْ السَّمَاءِ﴾ يقول: كمطر أنزلناه من السماء ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ يقول: فأصبح نبات الأرض يابساً متفتتاً ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ﴾ يقول: تطيره الرياح وتفرقه، يقال منه: ذَرَتْهُ الرِّيحُ تَذْرُوهُ ذَرًوًا، وذَرْتُهُ ذَرًوًا، وأذرتهُ تَذْرِيهُ إذراء، يقال: أذريت الرجل عن الدابة والبعير: إذا ألقيته عنه. وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ يقول: وكان الله على تخريب جنة

هذا القائل حين دخل جنته: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ وإهلاك أموال ذي الأموال الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعييه أمر أراده. يقول: فلا يفخر ذو الأموال بكثرة أمواله، ولا يستكبر على غيره بها، ولا يغتر أهل الدنيا بدنياهم، فإنما مثلها مثل هذا النبات الذي حسن استواؤه بالمطر، فلم يكن إلا ريث أن انقطع عنه الماء، فتناهى نهايته، عاد يابساً تذروه الرياح، فاسداً، تنبؤ عنه أعين الناظرين، ولكن ليعمل للباقي الذي لا يفنى، والدائم الذي لا يبيد ولا يتغير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ يقول تعالى ذكره: المال والبنون أيها الناس التي يفخر بها عينة والأفراع، ويتكبران بها على سلمان وخباب وصهيب، مما يتزين به في الحياة الدنيا، وليس من عداد الآخرة ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ يقول: وما يعمل سلمان وخباب وصهيب من طاعة الله، ودعائهم ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، الباقي لهم من الأعمال الصالحة بعد فناء الحياة الدنيا، خير يا محمد عند ربك ثواباً من المال والبنين التي يفخر هؤلاء المشركون بها، التي تفنى، فلا تبقى لأهلها ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ يقول: وما يؤمل من ذلك سلمان وصهيب وخباب، خير مما يؤمل عينة والأفراع من أموالهما وأولادهما. وهذه الآيات لمن لدن قوله: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ إلى هذا الموضع، ذكر أنها نزلت في عينة والأفراع. كما روي عن خباب بسنده واختلف أهل التأويل في المعنى بالباقيات الصالحات، اختلفهم في المعنى بالدعاء الذي وصف جل ثناؤه به الذين نهي رسول الله ﷺ، عن طردهم، وأمره بالصبر معهم، فقال بعضهم: هي الصلوات الخمس، وقال بعضهم: هي ذكر الله بالتسبيح والتكديس والتلهيل، ونحو ذلك وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هن جميع أعمال الخير، كالذي روي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، لأن ذلك كله من الصالحات التي تبقى لصاحبها في الآخرة، وعليها يجازى ويثاب، وإن الله عز ذكره لم يخص من قوله ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ بعضاً دون بعض في كتاب، ولا بخبر عن رسول الله ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ رَعِمْتُمْ لَنْ تَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ﴾ عن الأرض، فنبسها بساً، ونجعلها هباء منبهاً ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة: وظهورها لرأي أعين الناظرين من غير شيء يسترها من جبل ولا شجر هو بروزها. ونحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة وقيل: معنى ذلك: وترى الأرض بارزا أهلها الذين كانوا في بطنها، فصاروا على ظهرها. وقوله ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ يقول: جمعناهم إلى موقف الحساب ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾، يقول: فلم نترك، ولم نبق منهم تحت الأرض أحداً، يقال منه: ما غادرت من القوم أحداً، وما أغدرت منهم أحداً، وقوله: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ يقول عز ذكره: وعرض الخلق على ربك يا محمد صفاً. ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يقول عز ذكره: يقال لهم إذ عرضوا على الله: لقد جئتمونا أيها الناس أحياء كهيتكم حين خلقناكم أول مرة، وحذف يقال من الكلام لمعرفة السامعين بأنه مراد في الكلام.

وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّنِي جَعَلْتُ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ وهذا الكلام خرج مخرج الخبر عن خطاب الله به الجميع، والمراد منه الخصوص، وذلك أنه قد يرد القيامة خلق من الأنبياء والرسل، والمؤمنين بالله ورسله وبالبعث، ومعلوم أنه لا يقال يومئذ لمن وردها من أهل التصديق بوعده الله في الدنيا، وأهل اليقين فيها بقيام الساعة، بل زعمت أن لن نجعل لكم البعث بعد الممات، والحشر إلى القيامة موعداً، وأن ذلك إنما يقال لمن كان في الدنيا مكذباً بالبعث وقيام الساعة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ يقول عز ذكره: ووضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد يمينه وأخذ واحد بشماله ﴿فَنَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ يقول عز ذكره: فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين، يقول: خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ يعني أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها. عن قتادة، قوله ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحد ظلماً، وإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه، ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يضرب لها مثلاً يقول كمثل قوم انطلقوا يسرون حتى نزلوا بفلاة من الأرض، وحضر صنيع القوم، فانطلق كل رجل يحتطب، فجعل الرجل يجيء بالعود، ويجيء الآخر بالعود، حتى جمعوا سواداً كثيراً وأججوا ناراً، فإن الذنب الصغير، يجتمع على صاحبه حتى يهلكه، وقيل: إنه عنى بالصغيرة في هذا الموضوع: الضحك. كما جاء عن ابن عباس ويعني بقوله: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾: ما شأن هذا الكتاب ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ يقول: لا يبقى صغيرة من ذنوبنا وأعمالنا ولا كبيرة منها ﴿إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ يقول: إلا حفظها ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا من عمل ﴿حَاضِرًا﴾ في كتابهم ذلك مكتوباً مثبتاً، فجوزوا بالسيئة مثلها، والحسنة ما الله جازيهم بها ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ يقول: ولا يجازي ربك أحداً يا محمد بغير ما هو أهله، لا يجازي بالإحسان إلا أهل الإحسان، ولا بالسيئة إلا أهل السيئة، وذلك هو العدل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ يقول تعالى ذكره مذكراً هؤلاء المشركين حسد إبليس أباهم ومعلمهم ما كان منه من كبره واستكباره عليه حين أمره بالسجود له، وأنه من العداوة والحسد لهم على مثل الذي كان عليه لأبيهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ الذي طيعه هؤلاء المشركون ويتبعون أمره، ويخالفون أمر الله، فإنه لم يسجد له استكباراً على الله، وحسداً لآدم ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾. واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وقد بينا القول في ذلك فيما مضى من كتابنا هذا، وذكرنا اختلاف المختلفين فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضوع. وقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ يقول: فخرج عن أمر ربه، وعدل عنه ومال، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل

التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿أَفْتَتَخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ يقول تعالى ذكره: أفتوالون يا بني آدم من استكبر على أبيكم وحسده، وكفر نعمتي عليه، وغره حتى أخرجه من الجنة ونعيم عيشه فيها إلى الأرض وضيق العيش فيها، وتطيعونه وذريته من دون الله مع عدواته لكم قديما وحديثا، وتتركون طاعة ربكم الذي أنعم عليكم وأكرمكم، بأن أسجدوا لوالدكم ملائكته، وأسكنه جناته، وآتاكم من فواضل نعمه ما لا يحصى عدده، وذرية إبليس: الشياطين الذين يغترون بني آدم. كما جاء الخبر عن مجاهد ﴿أَفْتَتَخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ قال: ذريته: هم الشياطين، وكان يعدّهم "زلنبور" صاحب الأسواق ويضع رايته في كل سوق ما بين السماء والأرض، و"نبر" صاحب المصائب، و"الأعور" صاحب الزنا و"مسوط" صاحب الأخبار، يأتي بها فيلقمها في أفواه الناس، ولا يجدون لها أصلا و"داسم" الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع، وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه. وقال ابن زيد، في قوله: ﴿أَفْتَتَخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ وهو أبو الجن كما آدم أبو الإنس. وقال: قال الله لإبليس: إني لا أذرأ لأدم ذرية إلا ذرأت لك مثله، فليس من ولد آدم أحد إلا له شيطان قد قرن به. وقوله: ﴿يَتَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ يقول عزّ ذكره: بسّ البديل للكافرين بالله اتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، وهم لكم عدوٌّ من تركهم اتخاذ الله وليا باتباعهم أمره ونهيه، وهو المنعم عليهم وعلى أيهم آدم من قبلهم، المتفضل عليهم من الفواضل ما لا يحصى بدلا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ ٥١ يقول عزّ ذكره: ما أشهدت إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول: ما أحضرتهم ذلك فاستعين بهم على خلقها ﴿وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول: ولا أشهدت بعضهم أيضا خلق بعض منهم، فاستعين به على خلقه، بل تفرّدت بخلق جميع ذلك بغير معين ولا ظهير، يقول: فكيف اتخذوا عدوهم أولياء من دوني، وهم خلق من خلق أمثالهم، وتركوا عبادتي وأنا المنعم عليهم وعلى أسلافهم، وخالفهم وخالق من يوالونه من دوني منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير. وقوله: ﴿وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾ يقول: وما كنت متخذ من لا يهدي إلى الحق، ولكنه يضلّ، فمن تبعه يجور به عن قصد السبيل أعوانا وأنصارا، وهو من قولهم: فلان يعصد فلانا إذا كان يقويه ويعينه. وبنحو ذلك قال بعض أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ ٥٢ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا﴾ ٥٣ يقول عزّ ذكره، ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله عزّ ذكره للمشرّكين به الآلهة والأنداد ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ يقول لهم: ادعوا الذين كنتم تترعمون أنهم شركائي في العبادة لينصروكم ويمنعوكم مني ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ يقول: فاستغاثوا بهم فلم يغشوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ فاختلف أهل التأويل في معنى ﴿مَوْبِقًا﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، ومن وافقه في تأويل الموبق: أنه المهلك، وذلك أن العرب تقول في كلامها: قد أوبقت فلانا: إذا أهلكته، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾ بمعنى: يهلكهن. ويقال للمهلك نفسه: قد وبق فلان فهو

يوق ويقا. ولغة بني عامر: يابق بغير همز. وحكي عن تميم أنها تقول: يبيق. وقد حكي وبق يبق وبوقا، حكاها الكسائي. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: الموبق: الوعد وجائز أن يكون ذلك المهلك الذي جعل الله جل ثناؤه بين هؤلاء المشركين، هو الوادي الذي ذكر عن عبد الله بن عمرو، وجائز أن يكون العداوة التي قالها الحسن. وقوله: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ يقول: وعاین المشركون النار يومئذ ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ يقول: فعلموا أنهم داخلوها. كما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ قال: علموا. كما جاء عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "إِنَّ الْكَافِرَ يَرَى جَهَنَّمَ فَيُظَنُّ أَنَّهَا مُوَاقِعَتُهُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً". وقوله: ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ يقول: ولم يجدوا عن النار التي رأوا معدلا يعدلون عنها إليه. يقول: لم يجدوا من مواقعتها بدا، لأن الله قد حتم عليهم ذلك،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يقول عز ذكره: ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتجنا عليهم فيه بكل حجة لينذكروا فينبوا، ويعتبروا فيتعتظوا، وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وعبادة الأوثان ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مراء وخصومة، لا ينب لحق، ولا ينزجر لموعظة. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ يقول عز ذكره: وما منع هؤلاء المشركين يا محمد الإيمان بالله إذ جاءهم الهدى بيان الله: وعلموا صحة ما تدعوهم إليه وحقيقته، والاستغفار مما هم عليه مقيمون من شركهم، إلا مجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم، أو إتيانهم العذاب قُبُلًا. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: أو يأتيتهم العذاب فجأة. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: معناه: أو يأتيتهم العذاب عيانا. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ يقول عز ذكره: وما نرسل رسلنا إلا ليشروا أهل الإيمان والتصديق بالله بجزيل ثوابه في الآخرة، ولينذروا أهل الكفر به والتكذيب، عظيم عقابه، وأليم عذابه، فيتهوا عن الشرك بالله، وينزجروا عن الكفر به ومعاصيه ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ يقول: ويخاصم الذين كذبوا بالله ورسوله بالباطل، ذلك كقولهم للنبي ﷺ: أخبرنا عن حديث فتية ذهبوا في أول الدهر لم يدر ما شأنهم، وعن الرجل الذي بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وعن الروح، وما أشبه ذلك مما كانوا يخاصمونه به، يبتغون إسقاطه، تعيننا له ﷺ، فقال الله لهم: إنا لسنأ نبعث إليكم رسلنا للجدال والخصومات، وإنما نبعثهم مبشرين أهل الإيمان بالجنة، ومنذرين أهل الكفر بالنار، وأنتم تتجادلونهم بالباطل طلبا منكم بذلك أن تبطلوا الحق الذي جاءكم به رسولي، وعنى بقوله: ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ ليبتلوا به الحق ويزيلوه ويذهبوا به. يقال منه: دحض الشيء: إذا زال وذهب، ويقال: هذا مكان دحض: أي مزل مزلق لا يثبت فيه خف ولا حافر ولا قدم، ويروى: ونحى، وأدحضته أنا: إذا أذهبت وأبطلته. وقوله:

﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوا﴾ يقول: واتخذوا الكافرون بالله حجبهم التي احتج بها عليهم، وكتابه الذي أنزله إليهم، والنذر التي أنذرهم بها سخرها يسخرون بها، يقولون: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ اُكْتَتَبَهَا فِيهِ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا لَوْ دُشَاءَ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۖ﴾ يقول عز ذكره: وأي الناس أوضع للإعراض والصد في غير موضعهما ممن ذكره بآياته وحججه، فدل به على سبيل الرشاد، وهداه بها إلى طريق النجاة، فأعرض عن آياته وأدلت التي في استدلاله بها الوصول إلى الخلاص من الهلاك ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يقول: ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب، ولم ينب. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا على قلوب هؤلاء الذين يعرضون عن آيات الله إذا ذكروا بها أغطية لئلا يفقهوه، لأن المعنى أن يفقهوا ما ذكروا به، وقوله: ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يقول: في آذانهم ثقلا لئلا يسمعه ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ يقول عز ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿وَإِنْ تَدْعُ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمَعْرِضِينَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ عِنْدَ التَّذْكِيرِ بِهَا إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ عَلَى مُحِجَّةِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ﴾ ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ يقول: فلن يستقيموا إذا أبدا على الحق، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه، لأن الله قد طبع على قلوبهم، وسمعهم وأبصارهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وربك الساتر يا محمد على ذنوب عباده بعفوه عنهم إذا تابوا منها ﴿ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ هؤلاء المعرضين عن آياته إذا ذكروا بها بما كسبوا من الذنوب والآثام، ﴿لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابَ﴾ ولكنه لرحمته بخلقه غير فاعل ذلك بهم إلى ميقاتهم وأجالهم، ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ يقول: لكن لهم موعد، وذلك ميقات محل عذابهم، وهو يوم بدر ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: لن يجد هؤلاء المشركون، وإن لم يعجل لهم العذاب في الدنيا من دون الموعد الذي جعلته ميقاتا لعذابهم، ملجأ يلجئون إليه، ومنجى ينجون معه، يعني أنهم لا يجدون معقلا يعتقلون به من عذاب الله، يقال منه: وألت من كذا إلى كذا، ألت وعولا مثل وعولا وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة أهلكنا أهلها لما ظلموا، فكفروا بالله وآياته، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ يعني ميقاتا وأجلا حين بلغوه جاءهم عذاب فأهلكناهم به، يقول: فكَذَلِكَ جَعَلْنَا لَهُؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ أَبَدًا مَوْعِدًا، إِذَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ الْمَوْعِدُ أَهْلَكْنَاهُمْ سِتْنًا فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ ضُرْبَائِهِمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ۖ﴾ يقول عز ذكره لنبية ﷺ: واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفته يوشع: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ يقول: لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾. كما جاء ابن زيد، في قوله: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ قال: لا أنتهي،

وقيل: عنى بقوله: ﴿مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ﴾ اجتماع بحر فارس والروم، والمجمع: مصدر من قولهم: جمع يجمع. وقوله: ﴿أَوْ أَمْضَى حُقْبًا﴾ يقول: أو أسير زمانا ودهرا، وهو واحد، ويجمع كثيره وقليله: أحقاب وقد تقول العرب: كنت عنده حقبة من الدهر: ويجمعونها حُقبا. وكان بعض أهل العربية بوجه تأويل قوله ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: أي لا أزول، يقول: ما زالوا. وذكر بعض أهل العلم بكلام العرب، أن الحقب في لغة قيس: سنة، فأما أهل التأويل فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره، وهو أنهم اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو ثمانون سنة. وقال آخرون: هو سبعون سنة. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون في ذلك، بنحو الذي قلنا. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوْ أَمْضَى حُقْبًا﴾ قال: دهرا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ يعني تعالى ذكره: فلما بلغ موسى وفاته مجمع البحرين، كما جاء عن مجاهد بين البحرين كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ يعني بقوله: نسيا: تركا. كما جاء عن مجاهد وأما قوله: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فإنه يعني أن الحوت اتخذ طريقه الذي سلكه في البحر سربا. ثم اختلف أهل العلم في صفة اتخاذه سبيله في البحر سربا، والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل: واتخذ الحوت طريقه في البحر سربا. وجائز أن يكون ذلك السرب كان بانجياب عن الأرض، وجائز أن يكون كان بجمود الماء، وجائز أن يكون كان بتحوله حجرا. وأصح الأقوال فيه ما روي الخبر به عن رسول الله ﷺ حين ذكر حديث ذلك: "ما انجاب ماءٌ منذُ كانَ النَّاسُ غَيْرُهُ ثَبَتَ مَكَانَ الْحُوتِ الَّذِي فِيهِ فَانْجَابَ كَالْكَوْثَةِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ مُوسَى، فَرَأَى مَسْلَكَهُ، فَقَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ موسى وفاته مجمع البحرين، ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه﴾ يوشع ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾ يقول: جئنا بغدائنا وأعطانا، وقال: آتنا غداءنا، كما يقال: آتى الغداء وأتيته، مثل ذهب وأذهبته، ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناء وتعبا، وقال ذلك موسى، فيما ذكر، بعد ما جاوز الصخرة، حين ألقي عليه الجوع ليتذكر الحوت، ويرجع إلى موضع مطلبه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يقول تعالى ذكره: قال فتى موسى لموسى حين قال له: آتنا غداءنا لنطعم: أَرَأَيْتَ إِذَا أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ هُنَاكَ ﴿وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ يقول: وما أنساني الحوت إلا الشيطان ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ فأن في موضع نصب رداً على الحوت، لأن معنى الكلام: وما أنساني أن أذكر الحوت إلا الشيطان سبق الحوت إلى الفعل، ورد عليه قوله ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ وقد ذكر أن ذلك في مصحف عبد الله: وما أنسانيه أن أذكره إلا الشيطان. كالذي جاء محمد بن معقل، يحدث عن أبيه، أن الصخرة التي أوى إليها موسى هي الصخرة التي دون نهر الذئب على الطريق ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ يعجب منه. قوله: ﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها، فوجد عندها خضرا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فوجدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا يقول تعالى ذكره: ف ﴿قال﴾ موسى لفتاه

﴿ذَلِكَ﴾ يعني بذلك: نسيانك الحوت ﴿مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ يقول: الذي كنا نلتمس ونطلب، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت. قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ قال موسى: فذلك حين أخبرت أي واحد خضرا حيث يفوتني الحوت. وقوله: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ يقول: فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التي كانا سلكاهما. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: "أَيُّ يَقْصَانِ آثَارَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى مَدْخَلِ الْحَوْتِ". وقوله: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ يقول: وهبنا له رحمة من عندنا ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ يقول: وعلمناه من عندنا أيضا علما. كما جاء عن قتادة ﴿مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾: أي من عندنا علما. وكان سبب سفر موسى ﷺ وفتاه، ولقائه هذا العالم الذي ذكره الله في هذا الموضع فيما ذكر، أن موسى سئل: هل في الأرض، أعلم منك؟ فقال: لا أو حدثته نفسه بذلك، فكره ذلك له، فأراد الله تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه، وأنه لم يكن له أن يحتم على ما لا علم له به، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى عالمه. كما جاء عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوحا يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى، فقال: كذب عدو الله. حدثنا أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ مُوسَى قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ خَطِيْبًا قَصِيلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ حِينَ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: بَلَى عَبْدٌ لِي عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ: تَأْخُذُ حَوْتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مَكْتَلٍ، ثُمَّ قَالَ لِفَتَاهُ: إِذَا فَقَدْتَ هَذَا الْحَوْتَ فَأَخْبِرْنِي، فَاَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَتَّى آتَيَا صَخْرَةً، فَرَقَدَ مُوسَى، فَاضْطَرَبَ الْحَوْتُ فِي الْمَكْتَلِ، فَخَرَجَ فَوْقَ فِي الْبَحْرِ، فَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنْهُ جَرِيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ مِثْلَ الطَّاقِ، فَصَارَ لِلْحَوْتِ سَرَبًا وَكَانَ لَكُهُمَا عَجَبًا، ثُمَّ انْطَلَقَا، فَلَمَّا كَانَ حِينَ الْعَدِ، قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاةً لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ قَالَ: فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ: فَقَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا. قَالَ: يَقْصَانِ آثَارَهُمَا، قَالَ: فَآتَيَا الصَّخْرَةَ، فَإِذَا رَجُلٌ نَائِمٌ مُسَجًى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ: وَأَنْتَ يَا بَارِضَنَا السَّلَامُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ؛ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِهِ عَلَّمَكُهُ لَا أَعْلَمُهُ، قَالَ: فَإِنِّي أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا، قَالَ: فَإِنْ أَتْبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا، فَاَنْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، فَعُورَفَ الْخَضِرُ، فَحَمَلَ بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عَصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِهَا فَفَقَرَ، أَوْ فَفَقَرَ فِي الْمَاءِ، فَقَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مَقْدَارًا مَا نَقَرَ أَوْ نَقَصَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنَ الْبَحْرِ". أبو جعفر الطبري يشك، وهو في كتابه نقر، قال: "فَبَيْنَمَا هُوَ إِذْ لَمْ يَفْجَأْهُ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ يَتَدُّ وَتَدًّا أَوْ يَنْزِعُ تَحْتَ مِنْهَا، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: حُمِلْنَا بِغَيْرِ نَوْلٍ وَتَخَرَّقَهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ لَقَدْ جِئْتُ سَيِّئًا إِمْرًا، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ: لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ، قَالَ: وَكَانَتْ الْأَوَّلَى مِنْ مُوسَى نَسِيَانًا، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَا فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ، فَأَبْصَرَا غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَآخَذَ بِرَأْسِهِ فَفَتَكَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نُكْرًا، قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا؟ قَالَ: إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا

تَصَاحِبِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا. قَالَ: فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا، فَلَمْ يَجِدَا أَحَدًا يُطْعِمُهُمْ وَلَا يَسْقِيهِمْ، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ، فَأَقَامَهُ بِيَدِهِ، قَالَ: مَسَحَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: لَمْ يُضَيِّقُوا وَلَمْ يُزِلُّوْنَا، كَوُ شِئْتَ لَا تَخْذُذَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوِ دِدْتُ أَنَّهُ كَانَ صَبْرٌ حَتَّى يَقُصَّ عَلَيْنَا قَصَصَهُمْ".

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ٦٦ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٦٧ يقول تعالى ذكره: قال موسى للعالم: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي﴾ من العلم الذي علمك الله ما هو رشاد إلى الحق، ودليل على هدى؟ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: قال العالم: إنك لن تطيق الصبر معي، وذلك أني أعمل بباطن علم علمنيه الله، ولا علم لك إلا بظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال، كما ذكرنا من الخبر عن ابن عباس قبل من أنه كان رجلا يعمل على الغيب قد علم ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ ٦٨ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ ٦٩ يقول عز ذكره مخبرا عن قول العالم لموسى: وكيف تصبر يا موسى على ما ترى من الأفعال التي لا علم لك بوجوه صوابها، وتقيم معي عليها، وأنت إنما تحكم على صواب المصيب وخطأ المخطئ بالظاهر الذي عندك، وبمبلغ علمك، وأفعالي تقع بغير دليل ظاهر لرأي عينك على صوابها، لأنها تبتدئ لأسباب تحدث آجلة غير عاجلة، لا علم لك بالحادث عنها، لأنها غيب، ولا تحيط بعلم الغيب خبرا يقول علما، قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ على ما أرى منك وإن كان خلافا لما هو عندي صواب ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ يقول: وأنتهي إلى ما تأمرني، وإن لم يكن موافقا هواي.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ٧٠ يقول تبارك وتعالى: قال العالم لموسى: فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي الْآنَ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ أَعْمَلُهُ مِمَّا تَسْتَنْكِرُهُ، فَإِنِّي قَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنِّي أَعْمَلُ الْعَمَلَ عَلَى الْغَيْبِ الَّذِي لَا تَحِيطُ بِهِ عِلْمًا ﴿حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ يقول: حتى أحدث أنا لك مما ترى من الأفعال التي أفعُلها التي تستنكرها أذكرها لك وأبين لك شأنها، وأبتدئك الخبر عنها.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ٧١ يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم يسيران يطلبان سفينة يركبانهما، حتى إذا أصابها ركبنا في السفينة، فلما ركبها، خرق العالم السفينة، قال له موسى: أَخَرَقْتَهَا بَعْدَ مَا لَجَجْنَا فِي الْبَحْرِ لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا يقول: لقد جئت شيئا عظيما، وفعلت فعلا منكرا. وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول: أصله: كل شيء شديد كثير، ويقول منه: قيل للقوم: قد أمروا: إذا كثروا واشتد أمرهم، قال: والمصدر منه: الأمر، والاسم: الإمر.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٧٢ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ ٧٣ يقول عز ذكره: ﴿قَالَ﴾ العالم لموسى إذ قال له ما قال ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ على ما ترى من أفعالي، لأنك ترى ما لم تحيط به خبرا، قال له موسى: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك، والصواب من القول في ذلك أن يقال:

إن موسى سأل صاحبه أن لا يؤاخذه بما نسي فيه عهده من سؤاله إياه على وجه ما فعل وسببه لا بما سأله عنه، وهو لعنده ذاك للصحيح عن رسول الله ﷺ، بأن ذلك معناه من الخبر، وذلك ما جاء عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسيانا. وقوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ يقول: لا تعشني من أمري عسرا، يقول: لا تضيق علي أمري معك، وصحبتني إياك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (٧٦) يقول تعالى ذكره: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ العالم، ف ﴿قال﴾ له موسى: ﴿أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً﴾. وقوله: ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يقول: بغير قصاص بنفس قتلت، فلزمها القتل قودا بها، وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ يقول: لقد جئت بشيء منك، وفعلت فعلا غير معروف. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٧) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٨) يقول تعالى ذكره: قال العالم لموسى ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ على ما ترى من أفعالي التي لم تحط بها خيرا، قال موسى له: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ يقول: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ يقول: ففارقي، فلا تكن لي مصاحبا ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ يقول: قد بلغت العذر في شأني. وجاء عن أبي بن كعب، قال: كان النبي ﷺ إذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه، فقال ذات يوم: (رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لَأَبْصَرَ الْعَجَبَ وَلَكِنَّهُ قَالَ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ مُثْقَلَةً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٩) يقول تعالى ذكره: فانطلق موسى والعالم ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا﴾ من الطعام فلم يطعموهما واستضافاهم ﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ يقول: وجدا في القرية حائطا يريد أن يسقط ويقع، يقال منه: انقضت الدار: إذا انهدمت وسقطت، ومنه انقضاض الكوكب، وذلك سقوطه وزواله عن مكانه، واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قول الله عز وجل ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ فقال بعض أهل البصرة: ليس للحائط إرادة ولا للموات، ولكنه إذا كان في هذه الحال من رثته فهو إرادته وقال آخر منهم: إنما كلم القوم بما يعقلون، قال: وذلك لما دنا من الانقضاض، جاز أن يقول: يريد أن ينقض، قال: ومثله ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ وكذلك قوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ قد علمت أن معناه: قد قارب من أن يقع أو يسقط، وإنما خاطب جل ثناؤه بالقرآن من أنزل الوحي بلسانه، وقد عقلوا ما عني به وإن استعجم عن فهمه ذوو البلادة والعمى، وضل فيه ذوو الجهالة والغبا. وقوله: ﴿فَأَقَامَهُ﴾ ذكر عن ابن عباس أنه قال: هدمه ثم قعد بينيه. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون في ذلك بالذي جاء عن سعيد بن جبير ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ قال: رفع الجدار بيده فاستقام. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عز ذكره أخبر أن صاحب موسى وموسى وجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه صاحب موسى، بمعنى: عدل ميله حتى

عاد مستويا. وجائز أن يكون كان ذلك بإصلاح بعد هدم، وجائز أن يكون كان برفع منه له بيده، فاستوى بقدرة الله، وزال عنه مِيلُهُ بلطفه، ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر للعذر قاطع بأي ذلك كان من أي. وقوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ يقول: قال موسى لصاحبه: لو شئت لم تقم لهؤلاء القوم جدارهم حتى يعطوك على إقامتك أجرا، فقال بعضهم: إنما عني موسى بالأجر الذي قال له ﴿لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ القرى: أي حتى يقرؤنا، فإنهم قد أبوا أن يضيّقونا. وقال آخرون: بل عني بذلك الجِوْضُ والجزاء على إقامته الحائط المائل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: قال صاحب موسى لموسى: هذا الذي قلته وهو قوله ﴿لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ يقول: فرقة ما بيني وبينك: أي مفرق بيني وبينك ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ يقول: سأخبرك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقول: بما يثول إليه عاقبة أفعالي التي فعلتها، فلم تستطع على ترك المسألة عنها، وعن النكير علي فيها صبرا، والله أعلم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ يقول: أما فعلي ما فعلت بالسفينة، فلأنها كانت لقوم مساكين ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ بالخرق الذي خرقتها. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾ وكان أمامهم وقدامهم ملك. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ فيقول القائل: فما أغنى خرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها، إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها، معيها وغير معيها، وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها، لأن وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا؟ قيل: إن معنى ذلك، أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، ويدع منها كل معيبة، لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها. فإن قال: وما الدليل على أن ذلك كذلك؟ قيل: قوله: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ فأبان بذلك أنه إنما عابها، لأن المعيبة منها لا يعرض لها، فاكتفى بذلك من أن يقال: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا، على أن ذلك في بعض القراءات كذلك. كما جاء عن قتادة، قال: هي في حرف ابن مسعود: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ صَالِحَةٍ غَصْبًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الغلام، فإنه كان كافرا، وكان أبواه مؤمنين، فعلمنا أنه يرهقهما: يقول: يغشيهما طغيانا، وهو الاستكبار على الله، وكفرا به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وقد ذكر ذلك في بعض الحروف. وأما الغلام فكان كافرا. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ وهي في مصحف عبد الله: فَخَافَ رَبُّكَ أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا. حدثنا عمرو بن علي، قال: ثنا أبو قتبية، قال: ثنا عبد الجبار بن عباس الهمداني، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: "الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طَبْعَ يَوْمٍ طَبْعَ كَافِرًا". والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظن، وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يُدْرِكُ من غير جهة الحس والعيان. وقد بينا ذلك بشواهد في غير هذا الموضع، بما أغنى عن إعادته. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة

يقول: معنى قوله خَشِينَا في هذا الموضع: كرهنا، لأن الله لا يخشى. وقال في بعض القراءات: فخاف ربك، قال: وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما. وقيل: إن الله عَزَّوَجَلَّ أبدل أبوي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه بجارية. كما جاء عن عمرو بن قيس. وقال آخرون: أبدلهما ربهما بغلام مسلم. عن قتادة، أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر، فقال: قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي كان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب. وقوله: خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً يقول: خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا. كما جاء عن ابن جريج وقوله: وَأَقْرَبَ رَحْمًا اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: وأقرب رحمة بوالديه وأبّر بهما من المقتول. قال أبو جعفر: والصواب وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة: وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه. وأقرب أن يرحماه، غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوله كذلك، فإذ لم يكن فيه قائل، فالصواب فيه ما قلنا لما بينا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى: وأما الحائط الذي أقمته، فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما. اختلف أهل التأويل في ذلك الكنز وأولى التأويلين في ذلك بالصواب: القول الذي قاله عكرمة، لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكثر من مال، وإن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل، ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك، لعل قد بيناها في غير موضع. وقوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ يقول: فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتها، ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته رحمة من ربك بهما، يقول: فعلت فعل هذا بالجدار، رحمة من ربك لليتين. وكان ابن عباس يقول في ذلك قوله ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال: حفظا بصلاح أبيهما، وما ذكر منهما صلاح. وقوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقول: هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها مني، تأويل: يقول: ما تقول إليه وترجع الأفعال التي لم تسطع على ترك مسألتك إياي عنها، وإنكارك لها صبرا. وهذه القصص التي أخبر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه محمدا ﷺ بها عن موسى وصاحبه، تأديب منه له، وتقدم إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه، وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحيانا لأوليائه، فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها، كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى، إذ لم يكن عالما بعواقبها، وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآتلة إلى الصواب في العاقبة، ينبئ عن صحة ذلك قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْعَفُوُّ ذُو الرِّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا﴾. ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه، يعلم نبيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين، بغير نظر منه لهم، وإن كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم نظرا منه لهم، لأن تأويل ذلك صائر إلى

هلاكمهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿٨٥﴾ فأتبع سببًا ﴿٨٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه، وما كانت قصته، فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكرًا يقول: سأقص عليكم منه خبرًا. وقد قيل: إن الذين سألو رسول الله ﷺ عن أمر ذي القرنين، كانوا قوماً من أهل الكتاب. فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركي قومه فقد ذكرناه قبل. وأما الخبر بأن الذين سألوه، كانوا قوماً من أهل الكتاب، فهو كالذي جاء عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب، قال: أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث، قالاً فأتيته فقالا جئنا لتحدثنا، فقال: "كنت يوماً أخدم رسول الله ﷺ، فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله ﷺ، فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه، فأخبرته، فقال: ما لي وما لهم، ما لي علم إلا ما علمني الله"، ثم قال: اسكب لي ماء، فتوضأ ثم صلى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه، ثم قال: "أدخلهم عليّ، ومن رأيت من أصحابي فدخلوا فقاموا بين يديه، فقال: إن شئتم سألتهم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوباً، وإن شئتم أخبرتكم، قالوا: بلى أخبرنا، قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شاباً من الروم، فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء، فقال له ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي ومدائن، ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض، قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السد، وهو جبالان لينان يترقى عنهما كل شيء، ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى، وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج، ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب، ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم". واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين: ذو القرنين، فقال بعضهم: قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك، ثم أُحيي فضرب على القرن الآخر فهلك. كما جاء عن أبي الطفيل، قال: سأل ابن الكواء علياً عن ذي القرنين، فقال: هو عبد أحب الله فأحبه، وناصر الله فنصره، فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه، ثم بعثه الله، فضربوه على قرنه فمات. وقال آخرون في ذلك بما قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين ملكاً، فقيل له: فلم سمي ذا القرنين؟ قال: اختلف فيه أهل الكتاب. فقال بعضهم: ملك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين. وقال آخرون: إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. كما جاء عن وهب بن منبه اليماني، قال: إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. وقوله: ﴿إِنَّا مَكِّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يقول: إنا وطيناً له في الأرض، ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يقول وآتيناه من كل شيء، يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة، فاتبع بوصل الألف، وتشديد التاء، بمعنى: سلك وسار، من قول القائل: اتبعت أثر فلان: إذا فقوته؛ وسرت وراءه. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة

﴿فَاتَّبَعْ﴾ بهمز الألف، وتخفيف التاء، بمعنى لحق. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه ﴿فَاتَّبَعْ﴾ بوصل الألف، وتشديد التاء، لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها، لا عن لحاقه السبب، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ﴾ ذو القرنين ﴿مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، فاختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ بمعنى: أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة، وقرأته جماعة من قراء المدينة، وعامة قراء الكوفة [فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ] يعني أنها تغرب في عين ماء حارة. واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته. ذكر من قال ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قال: ذات حمأة. وقال نافع: وسئل عنها كعب، فقال: أنتم أعلم بالقرآن مني، ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء. وقال آخرون: بل هي تغيب في عين حارة. كما جاء عن ابن عباس وغيره والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولكل واحدة منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم، وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه، وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين، فيكون القارئ في عين حامية بصفقتها التي هي لها، وهي الحرارة، ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفقتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين. وقد روي بكلا صيغتيها اللتين إنهما من صفتيها أخبار. وكما جاء عن عبد الله، قال: "نظر رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت، فقال: في نار الله الحامية، في نار الله الحامية، لَوْلَا مَا يَرْعُهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَأَحْرَقَتْ مَا عَلَى الْأَرْضِ". وقوله: ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ ذكر أن أولئك القوم يقال لهم: ناسك. وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ﴾ يقول: إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله، ويدعونا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم ﴿وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ يقول: وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾ يقول جل ثناؤه ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ يقول: أما من كفر فسوف نقتله. كما حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ قال: هو القتل. وقوله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾ يقول: ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله، فيعذبه عذابا عظيما، وهو النكر، وذلك عذاب جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ يقول: وأما من صدق الله منهم ووحده، وعمل بطاعته، فله عند الله الحسنى، وهي الجنة، جزاء يعني ثوبا على إيمانه، وطاعته ربه. وقوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ يقول: وسنعلمه نحن في الدنيا ما تيسر لنا تعليمه ما يقرّبه إلى الله ويلين له من القول. وكان مجاهد يقول نحوا مما قلنا في

ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٨ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ۝٨٩ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩٠﴾ يقول تعالى ذكره: ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل. كما جاء عن قتادة وغيره يقول تعالى ذكره: ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتل بناء، فيسكنوا البيوت، وإنما يغورون في المياه، أو يسربون في الأسراب وجاء عن ابن جريج في قوله ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾ قال: لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط، وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل، وجاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها، فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ها هنا فماتوا، قال: فذهبوا هاربين في الأرض. وقال آخرون: هم الزنج. كما جاء عن قتادة وأما قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ فإن معناه: ثم أتبع سببا كذلك، حتى إذا بلغ مطلع الشمس، وكذلك: من صلة أتبع، وإنما معنى الكلام: ثم أتبع سببا، حتى بلغ مطلع الشمس، كما أتبع سببا حتى بلغ مغربها. وقوله ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ يقول: وقد أحطنا بما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا ما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم، ولا من غيرهم شيء. وبالذي قلنا في معنى الخبر، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤﴾ يقول تعالى ذكره: ثم سار طرقا ومنازل، وسلك سبلا حتى إذا بلغ بين السدين. والسد والسد جميعا: الحاجز بين الشيئين، وهما ها هنا فيما ذكر جبلان سد ما بينهما، فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم، ليقطع ماد غوائلهم وعبتهم عنهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ قال: الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج، أمتين من وراء ردم ذي القرنين: قال: الجبلان: أرمينية وأذربيجان. وقوله ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ يقول عز ذكره: وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم. وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿يَفْقَهُونَ﴾ فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ﴿يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ بفتح القاف والياء، من فقه الرجل يفقه فقهها: وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة ﴿يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ بضم الياء وكسر القاف: من أفقحت فلانا كذا أفقحه إفقاها: إذا فهمته ذلك. والصواب عندي من القول في ذلك، إنها قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، غير دافعة إحداها الأخرى، وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم، فيكون صوابا القراءة بذلك. وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل: إما بالستهم، وإما بمنطقهم، فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا. وقوله ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهم أمتان من وراء السد. وروى محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب

بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأول، أنه كان يقول: ذو القرنين رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس لها ولد غيره، وكان اسمه الإسكندر. وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس؛ فلما بلغ وكان عبدا صالحا، قال الله عَزَّوَجَلَّ له: يا ذا القرنين إني باعتك إلى أمم الأرض، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله؛ ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس وأجوج ومأجوج. فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض: فأمة عند مغرب الشمس، يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض، فأمة في قطر الأرض الأيمن، يقال لها: هاويل. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر، فأمة يقال لها: تاويل؛ فلما قال الله له ذلك، قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت، فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثني إليها، بأي قوة أكابدهم، وبأي جمع أكاثرتهم، وبأي حيلة أكابدهم، وبأي صبر أقاسيهم، وبأي لسان أناطقهم، وكيف لي بأن أفقه لغاتهم، وبأي سمع أعي قولهم، وبأي بصر أنفذهم، وبأي حجة أخاصمهم، وبأي قلب أعقل عنهم، وبأي حكمة أدبر أمرهم، وبأي قسط أعدل بينهم، وبأي حلم أصابهم، وبأي معرفة أفصل بينهم، وبأي علم أتقن أمورهم، وبأي يد أسطو عليهم، وبأي رجل أطوهم، وبأي طاقة أخصمهم، وبأي جند أقاتلهم، وبأي رفق أستألفهم، فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم، ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم. وأنت الرب الرحيم. الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يحملها إلا طاقتها، ولا يعنتها ولا يفدحها، بل أنت ترأفها وترحمها. قال الله عَزَّوَجَلَّ: إني سأطوِّفك ما حَمَلْتُكَ، أشرح لك صدرك، فيسع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء، وأبسط لك لسانك، فتتلق بكل شيء، وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء، وأمد لك بصرك، فتفقد كل شيء، وأدبر أورك فتتقن كل شيء، وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشد لك ظهرك، فلا يهدك شيء، وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء، وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء، وأسخر لك النور والظلمة، فأجعلهما جندا من جنودك، يهديك النور أمامك، وتحوطك الظلمة من ورائك، وأشد لك عقلك فلا يهولك شيء، وأبسط لك من بين يديك، فتسطو فوق كل شيء، وأشد لك وطأتك، فتهد كل شيء، وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء. ولما قيل له ذلك، انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس، فلما بلغهم، وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله، وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله، وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة، وقلوبا متفرقة، فلما رأى ذلك كاثرتهم بالظلمة، فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها، فأحاطتهم من كل مكان، وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد، ثم أخذ عليهم بالنور، فدعاهم إلى الله وإلى عبادته، فمنهم من آمن له، ومنهم من صد، فعمد إلى الذين تولوا عنه. فأدخل عليهم الظلمة. فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم، ودخلت في بيوتهم ودورهم، وغشيتهم من فوقهم، ومن تحتهم ومن كل جانب منهم، فمأجوا فيها وتحيروا، فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة، فدخلوا في دعوته، فجدت من أهل المغرب أمما عظيمة، فجعلهم جندا واحدا، ثم انطلق بهم يقودهم، والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم، والنور أمامهم يقودهم ويدلهم، وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى، وهو يريد الأمة التي في

قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل. وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وإتقانه، فلا يخطئ إذا اتّمر، وإذا عمل عملاً أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه، فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها في ساعة، ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها، ثم دفع إلى كل إنسان لوحاً فلا يكره حمله، فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل، فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس، فعمل فيها وجند منها جنوداً، كفعله في الأيمن اللتين قبلها، ثم كر مقبلاً في ناحية الأرض اليسرى، وهو يريد تأويل وهي الأمة التي بحيال هاويل، وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله؛ فلما بلغها عمل فيها، وجند منها كفعله فيما قبلها، فلما فرغ منها عطف منها إلى الأمم التي وسط الأرض من الجن وسائر الناس، ويأجوج ومأجوج، فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق، قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين، إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله، وكثير منهم مشابه للإنس، وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب، ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب، وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض، وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد، ولا يزداد كزيادتهم، ولا يكثر ككثرتهم، فإن كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم، فلا شك أنهم سيملئون الأرض، ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها، وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم، وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أعدوا إليّ الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم، وأعلم علمهم، وأقيس ما بين جليلهم. ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم، فوجدهم على مقدار واحد، ذكرهم وأنثاهم، مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا، لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها. وأحناك كأحناك الإبل، قوة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجرة من الإبل، أو كقضم الفحل المسن، أو الفرس القوي، وهم هلب، عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريههم، وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها، والأخرى زغبة ظهرها وبطنها، تسعانه إذا لبسهما، يلتحف إحداهما، ويفترش الأخرى، ويصيف في إحداهما، ويشتي في الأخرى، وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه، ومنقطع عمره، وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد، ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد، فإذا كان ذلك أيقن بالموت، وهم يرزقون التين أيام الربيع، ويستمتطرونه إذا تحينوه كما نستمتط الغيث لحينه، فيقذفون منه كل سنة بواحد، فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل، فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم، فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا، ورؤي أثره عليهم، فدرت عليهم الإناث، وشبقت منهم الرجال الذكور، وإذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا، وجفرت الذكور، وحالت الإناث، وتبين أثر ذلك عليهم، وهم يتداعون تداعي الحمام، ويعوون عواء الكلاب، ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم. فلما عاين ذلك منهم ذو

القرنين انصرف إلى ما بين الصَّدَفَيْنِ، فقام ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس، فوجد بُعد ما بينهما مئة فرسخ؛ فلما أنشأ في عمله، حفر له أساسا حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخا، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس، يذاب ثم يُصَبُّ عليه، فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرَّفه بزُرِّ الحديد والنحاس المذاب، وجعل خلاله عِرْقا من نحاس أصفر، فصار كأنه بُرد محبر من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد، فلما فرغ منه وأحكمه، انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجن، فبينما هو يسير، دفع إلى أمة سالحة يهدون بالحق وبه يعدلون، فوجد أمة مقسطة مقتصدة، يقسمون بالسوية، ويحكمون بالعدل، ويتأسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وأخلاقهم مشبهة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم متألّفة، وسيرتهم حسنة، وقبورهم بأبواب بيوتهم، وليس على بيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة، وليس بينهم أغنياء، ولا ملوك، ولا أشراف، ولا يتفاوتون، ولا يتفاضلون، ولا يختلفون، ولا يتنازعون، ولا يستبئون، ولا يقتلون، ولا يَفْخَطُونَ، ولا يجرّدون، ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس، وهم أطول الناس أعمارا، وليس فيهم مسكين، ولا فقير، ولا فظ، ولا غليظ، فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم، عجب منه! وقال: أخبروني، أيها القوم خبركم، فإني قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها، وشرقها وغربها، ونورها وظلمتها، فلم أجد مثلكم، فأخبروني خبركم؟ قالوا: نعم، فسلنا عما تريد، قال: أخبروني، ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت، ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم، وليس منا إلا أمين مؤتمن؛ قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نظام، قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر؛ قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا؛ قال: فما بالكم لا تستبئون ولا تقتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعا بالعزم، وسسنا أنفسنا بالأحلام، قال: فما بالكم كلمتكم واحدة، وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب، ولا نتخادع، ولا يغتاب بعضنا بعضا؛ قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم، واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحت صدورنا، فترع بذلك الغل والحسد من قلوبنا؛ قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقسم بالسوية؛ قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الدل والتواضع؛ قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل؛ قال: فما بالكم لا تَفْخَطُونَ؟ قالوا: لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تَحْرَدُونَ؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا، وأحببناه وحرصنا عليه، فعرينا منه، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله، ولا نعمل بالأنواء والنجوم، قال: حدّثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم، ويؤاسون فقراءهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويحلّمون عمن جهل عليهم، ويستغفرون لمن سبهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدّون أماناتهم، ويحفظون وقتهم لصلاتهم، ويؤفون بعهودهم، ويصدقون في مواعيدهم، ولا يرغبون عن أكفائهم، ولا يستكفون عن أقاربهم، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم،

وحفظهم ما كانوا أحياء، وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم. وجاء عن أبي هريرة، عن نبي الله ﷺ قال: **إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْفَرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ أَرْجِعُوا فَتَخَفَرُوهُ غَدًا، فَيَعِيدُهُ اللَّهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرْكُوهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَيَخْفَرُوهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، فَيَنْشِفُونَ الْمَيَّاءَ، وَيَحْصِنُ النَّاسُ فِي حُصُونِهِمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرْجِعُ فِيهَا كَهَيْئَةِ الدَّمَاءِ، فَيَقُولُونَ: قَهَرْنَا أَهْلَ الْأَرْضِ، وَعَلَوْنَا أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَعْفًا فِي أَقْفَانِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ دَوَّابَّ الْأَرْضِ لَسَمَنَ وَتَشْكُرُ مِنْ لَحُومِهِمْ".** وجاء عن ابن عباس: **﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** قال: كان أبو سعيد الخدري يقول: **إِنْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُولَدَ لَصْلِبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ".** قال: وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول: لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه. فالخبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج، يدل على أن الذين قالوا لذي القرنين **﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** إنما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الإفساد في الأرض، لا أنهم شكوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم. والأخبار عن رسول الله ﷺ أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض، ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السد الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم إفساد. فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيننا، فالصحيح من تأويل قوله **﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾** إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض. وقوله **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾** اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾** كأنهم نحوه به نحو المصدر من خرج للرأس، وذلك جعله، وقرأته عامة قراء الكوفيين **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَجًا﴾** بالالف، وكأنهم نحوه به نحو الاسم. وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم. وأولي القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه **﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَجًا﴾** بالالف، لأن القوم فيما ذكر عنهم، إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد، وقد بين ذلك بقوله: **﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾** ولم يعرضوا عليه جزية رؤوسهم. والخراج عند العرب: هو الغلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة وقوله: **﴿عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾** يقول: قالوا له: هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم، ويمنعهم من الخروج إلينا. وهو السد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: قال ذو القرنين: الذي مكنتني في عمل ما سألتُموني من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربي، ووطأه لي، وقوّاني عليه، خير من جعلكم، والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك، وأكثر وأطيب، ولكن أعينوني منكم بقوة، أعينوني بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل. وقوله: **﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾** يقول: أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردمًا. والردم: حاجز الحائط والسد، إلا أنه أضع منه وأشدّ، يقال منه: قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردمًا وُردما ويقال أيضا: رَدَّم ثوبه يردمه، وهو ثوب مُردَّم: إذا كان كثير الرقاع، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال

أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ۚ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ۚ﴾ ﴿٦٧﴾ يقول عز ذكره: قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين ياجوج ومأجوج سدًا ﴿آتُونِي﴾ أي جيئوني بزبر الحديد، وهي جمع زبرة، والزبرة: القطعة من الحديد. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ يقول عز ذكره: فاتو زبر الحديد، فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زبر الحديد، ويقال: سَوَى. والصدفان: ما بين ناحيتي الجبلين ورؤوسهما، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس. والصدفان: الجبلان. كما جاء عن مجاهد. وقوله ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ يقول عز ذكره، قال للفعلة: انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد. وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ وفي الكلام متروك، وهو فنفخوا، حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ بمعنى: أعطوني قطرا أفرغ عليه. وقوله: ﴿أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ يقول: أصب عليه قطرا، والقطر: النحاس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: القطر: الحديد المذاب. وقوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ يقول عز ذكره: فما استطاع ياجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم، وبين من دونهم من الناس، فيصيروا فوقه وينزلوا منه إلى الناس. يقال منه: ظهر فلان فوق البيت: إذا علاه، ومنه قول الناس: ظهر فلان على فلان: إذا قهره وعلاه. وقوله: ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ يقول: ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ﴾ ﴿٦٨﴾ يقول عز ذكره: فلما رأى ذو القرنين أن ياجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بنى من الردم، ولا يقدر على نقبه، قال: هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الأمة، ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس، فأعاني برحمته لهم حتى بنيته وسويته ليكيف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم. وقوله ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ يقول: فإذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم. جعله دكاء، يقول: سواه بالأرض، فألزقه بها، من قولهم: ناقة دكاء: مستوية الظهر لا سنام لها. وإنما معنى الكلام: جعله مدكوكا، فقيل: دكاء. وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى ابن مريم عليه السلام الدجال. كالذي جاء عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ " لَقِيتُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فَتَدَاكُرُوا أَمْرَ السَّاعَةِ، وَرَدُّوا الْأَمْرَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَردُّوا الْأَمْرَ إِلَىٰ مُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: لَا عِلْمَ لِي بِهَا، فَردُّوا الْأَمْرَ إِلَىٰ عِيسَى، قَالَ عِيسَى: أَمَّا قِيَامُ السَّاعَةِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَكِنْ رَبِّي قَدْ عَهْدَ إِلَيَّ بِمَا هُوَ كَائِنٌ دُونَ وَقْتِهَا، عَهْدَ إِلَيَّ أَنَّ الدَّجَالَ خَارِجٌ، وَأَنَّهُ مُهَيَّطٌ إِلَيْهِ، فَذَكَرَ أَن مَعَهُ قَصَبَتَيْنِ، فَإِذَا رَأَىٰ أَهْلَكَهُ اللَّهُ، قَالَ: فَيَذُوبُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ، حَتَّىٰ إِنَّ الْحَجَرَ وَالشَّجَرَ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمُ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ، فَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَيَّ بِأَدْبَارِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَاجُوجُ وَمَآجُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، لَا يَأْتُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَىٰ

ماءٍ إلا شربوه، فيرجع الناس إلي، فيشكونهم، فأدعو الله عليهم فيميتهم حتى تجوى الأرض من تنين ريحهم، فينزل المطر، فيجر أجسادهم، فيلقيهم في البحر، ثم ينسف الجبال حتى تكون الأرض كالأديم، فعهد إلي ربّي أن ذلك إذا كان كذلك، فإن الساعة منهم كالحامل المئتم التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها، ليلاً أو نهاراً".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ يقول تعالى ذكره: وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذي وعدناهم، بأن نذك الجبال وننسفها عن الأرض نسفا، فنذرنا قاعا صافصفا، بعضهم يموج في بعض، يقول: يختلط جهنم بإنسهم. كما جاء عن هارون بن عنترة، عن شيخ من بني فزارة، في قوله ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قال: إذا ماج الجن والإنس، قال إبليس: فأنأ أعلم لكم علم هذا الأمر، فيظعن إلى المشرق، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يظعن إلى المغرب، فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض، ثم يصعد يمينا وشمالا إلى أقصى الأرض، فيجد الملائكة قطعوا الأرض، فيقول: ما من مَحِيص، فبينما هو كذلك، إذ عرض له طريق كالشراك، فأخذ عليه هو وذريته، فبينما هم عليه، إذ هجموا على النار، فأخرج الله خازنا من خزان النار، قال: يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك، ألم تكن في الجنان؟ فيقول: ليس هذا يوم عتاب، لو أن الله فرض علي فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعده مثلهما أحد من خلقه، فيقول: فإن الله قد فرض عليك فريضة، فيقول: ما هي؟ فيقول: يأمرك أن تدخل النار، فيتلكأ عليه، فيقول به وبذريته بجناحيه، فيقذفهم في النار، فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا جثى لركبته. وقال ابن زيد، في قوله ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ قال: هذا أول القيامة، ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور، وما هو، وما عُني به. واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار. كما جاء عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أن أعرابيا سأله عن الصور، قال "قَرْنٌ يَنْفُخُ فِيهِ". وجاء عن يحيى بن أبي بكير، قال: كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول، فحدثنا عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ وَحَنِ الْجَبْهَةِ، وَأَصْغَى بِالْأُذُنِ مَتَى يُؤْمَرُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا، وَلَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ مَنَى مَا أَقَالُوا ذَلِكَ الْقَرْنَ" كذا قال، وإنما هو ما أقلوا. وقوله ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ يقول: فجمعنا جميع الخلق حيثئذ لموقف الحساب جميعا. وقوله ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ يقول: وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور، فأظهرناها للكاferين بالله، حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب، ولو جعل الفعل لها قيل: أعرضت إذا استبان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.. كالذي جاء عن عبد الله، قال: يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور، قيام رجل واحد، ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ قال: فيقولون: نعبد عزيرا، قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم، فيريهم جهنم وهي كهيئة سراب، ثم قرأ ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ

عَرَضًا ﴿٢٧٨﴾ ثم يلقي النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح، فيقول: هل يسركم الماء، فيقولون نعم، قال: فيريهم جهنم وهي كهية السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً، ثم قرأ عبد الله ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ ﴿٢٧٩﴾ يقول تعالى: وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله، فيتفكرون فيها ولا يتأملون حججه، فيعتبرون بها، فيتذكرون وينبيون لى توحيد الله، وينقادون لأمره ونهيه، وكانوا لا يستطيعون سمعاً، يقول: وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكّرهم به، وبيانه الذي بيّنه لهم في آي كتابه، بخذلان الله إياهم، وغلبة الشقاء عليهم، وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان، فيتعظون به، ويتدبرون، فيعرفون الهدى من الضلالة، والكفر من الإيمان. وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ قال: لا يعقلون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزلاً﴾ ﴿٢٨٠﴾ يقول عزّ ذكره: أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح، أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء، يقول كلا بل هم لهم أعداء. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. وقوله ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نَزلاً﴾ يقول: أعدنا لمن كفر بالله جهنم منزلاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ ﴿٢٨١﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿٢٨٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يبعون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود، والنصارى ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ أيها القوم ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ يعني بالذين اتبعوا أنفسهم في عمل يتبعون به ربحاً وفضلاً فنالوا به عطباً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحاً، فخاب رجاؤه. وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله. واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بذلك، والصواب من القول في ذلك عندنا، أن يقال: إن الله عزّ وجلّ عنى بقوله ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهبانة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفر، من أهل أي دين كانوا. وقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول: هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة، بل كان على جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا: يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون، وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدايته، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية، أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالاً وقد كانوا يحسبون أنهم

محسنون في صنعهم ذلك، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم. ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه، كانوا مثابين مأجورين عليها، ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة، وأن أعمالهم حابطة. وعنى بقوله: ﴿أَتَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا والصُّنْعُ والصَّنْعة والصنيع واحد، يقال: فرس صنيع بمعنى مصنوع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، الأخسرون أعمالا الذين كفروا بحجج ربهم وأدلتهم، وأنكروا لقاءه ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ يقول: فبطلت أعمالهم، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها في الآخرة، بل لهم منها عذاب وخزي طويل ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلا. وإنما عني بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم، لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة، فتثقل به موازينهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي يحيى عن كعب، قال: يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرءوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾. وكما عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ "يُؤْتَى بِالْأَكُولِ الشَّرْبِ الطَّوِيلِ، فَيُوزَنُ فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ" ثم قرأ ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَلَّوْا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ يقول تعالى ذكره: أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله، واتخاذهم آيات كتابه، وحجج رسله سخريا، واستهزائهم برسله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وأقروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته، كانت لهم بساتين الفردوس، والفردوس: معظم الجنة، واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس؛ والصواب من القول في ذلك، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ. كالذي جاء عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: "الْجَنَّةُ مِثْلُ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ عَامٍ وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، وَمِنْهَا الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَالْفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِهَا، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ". وجاء عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِثْلَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقُهَا عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تَجَرُّ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُّوهُ الْفِرْدَوْسَ". وقوله: ﴿نُزُلًا﴾ يقول: منازل ومساكن، والمنزل: من النزول، وهو من نزول بعض الناس على بعض. وأما النزول: فهو الريع، يقال: ما لطعامكم هذا نزل، يراد به الريع، وما وجدنا عندكم نزلا أي نزولا. وقوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ يقول: لا يثنى فيها أبدا ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ يقول: لا يريدون عنها تحولا وهو مصدر تحولت، أخرج إلى أصله، كما يقال: صغر يصغر صغرا، وعاج يعوج عوجا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿٢٨٠﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ للعلم الذي يكتب به ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ مَاءَ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا، من قول القائل: جئتكم مددا لك، وذلك من معنى الزيادة. وقد ذكر عن بعضهم: ولو جئنا بمثله مددا، كأن قارئ ذلك أراد: لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٨١﴾ يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحى إلي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية. كما جاء عن سعيد وقوله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ يقول: ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته إذا رأى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره. كما جاء عن ابن عباس وكما جاء عن طاوس، قال: جاء رجل، فقال: يا نبي الله إني أحب الجهاد في سبيل الله، وأحب أن يرى موطني ويرى مكاني، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ "وجاء عن معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وقال: إنها آخر آية نزلت من القرآن.

آخر تفسير سورة الكهف



تفسير سورة مريم عليها السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ (كهيعص ١) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره: كاف من ﴿كهيعص﴾ قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندنا نظير القول في ﴿الم﴾ وسائر فواتح سور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ (ذ ١) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٣﴾ قال أبو جعفر: وتأويل الكلام: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا. وقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ يقول حين دعا ربه، وسأله بنداء خفي، يعني: وهو مستسر بدعائه ومسألته إياه ما سأل، كراهة منه للرياء. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ يقول: ولم أشق يا رب بدعائك، لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (و ٥) وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يقول: وإني خفت بني عمي وعصبتي من ورأتي: يقول: من بعدى أن يرثوني، وقيل: عنى بقوله ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ من قدامي ومن بين يدي؛ وقد بينت جواز ذلك فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ يقول: وكانت زوجتي لا تلد، يقال منه: رجل عاقر، وامرأة عاقر بلفظ واحد وقوله ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ يقول: فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا. وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ يقول: يرثني من بعد وفاتي مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي صالح وغيره وقوله ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ يقول: واجعل يا رب الولي الذي تهبه لي مرضيا مرضاه أنت ويرضاه عبادك ديناً وخلقاً وخلقاً. والرضي: فعيل صرف من مفعول إليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (ز ٧) يقول تعالى ذكره: فاستجاب له ربه، فقال له: يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً (٧) قتادة يقول: إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان. وقوله ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك قال أبو جعفر: وهذا القول أعني قول من قال: لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك، وإنما معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه

يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه، والسمي: فعيل صرف من مفعول إليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنْتَ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: قال زكريا لما بشره الله يحيى: ﴿رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ومن أي وجه يكون لي ذلك، وامرأتي عاقرة لا تحبل، وقد ضعفت من الكبر عن مباضعة النساء بأن تقويني على ما ضعفت عنه من ذلك، وتجعل زوجتي ولودا، فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء، أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقرة، يستثبت ربه الخبر، عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد، الذي بشره الله به، لا إنكارا منه ﷻ حقيقة كون ما وعده الله من الولد، وكيف يكون ذلك منه إنكارا لأن يرزقه الولد الذي بشره به، وهو المبتدئ مسألة ربه ذلك بقوله ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِنِّي وَيَرْثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ بعد قوله ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾. وقال السدي في ذلك: نادى جبرائيل زكريا ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فلما سمع النداء، جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله، إنما هو من الشيطان يسخر بك، ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحى إليك غيره من الأمر، فشك وقال ﴿أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ يقول: من أين يكون ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾. وقوله ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ يقول: وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام يابسها، يقال منه للعود اليابس، عوت عات وعاس، وقد عتا يعتو عتِيًّا وعتُوا، وعسى يعسو عسِيًا وعسُوا، وكلّ متناه إلى غايته في كبر أو فساد، أو كفر، فهو عات وعاس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا﴾ قال رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله لزكريا مجيبا له ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ يقول: هكذا الأمر كما تقول من أن امرأتك عاقرة، وإنك قد بلغت من الكبر العتي، ولكن ربك يقول: خلّق ما بشرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى عليّ هين، فهو إذن من قوله ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ﴾ كناية عن الخلق. وقوله ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا﴾ يقول تعالى ذكره وليس خلّق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك، وعقم زوجتك بأعجب من خلّقتك، فإني قد خلّقتك، فأنشأتك بشرا سويا من قبل خلّقي ما بشرتك بأني واهب لك من الولد، ولم تك شيئا، فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقرة، مع عتيك ووهن عظامك، واشتعال شيب رأسك. وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: قال زكريا: يا رب اجعل لي علما ودليلا على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك، ليطمئن إلى ذلك قلبي. عن السدي: قال رب، فإن كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية ﴿قال﴾ الله ﴿آيَتُكَ﴾ لذلك ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ يقول جل ثناؤه: علامتك لذلك، ودليلك عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ وأنت سويّ صحيح، لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ قال: اعتقل لسانه من غير مرض. وجاء قال ابن زيد، في قوله ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ وأنت صحيح، قال: فحبس لسانه، فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا، وهو في ذلك يسبح، ويقرأ التوراة ويقرأ الإنجيل، فإذا أراد كلام

الناس لم يستطع أن يكلمهم. وقال آخرون: السوي من صفة الأيام، قالوا: ومعنى الكلام: قال: آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس، آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد. فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه، ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ قال: أشرف على قومه من المحراب. قال أبو جعفر: وقد بينا معنى المحراب فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ومعنى المحراب المصلى وقوله: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ يقول: أشار إليهم، وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك، مما يفهم به عنه ما يريد. وللعرب في ذلك لغتان: وَحَى، وأوحى فمن قال: وَحَى، قال في يفعل: يَحْيِي؛ ومن قال: أَوْحَى، قال: يُوحِي، وكذلك أَوْمَى وَوَمَى، فمن قال: وَمَى، قال في يفعل يَمِي؛ ومن قال أَوْمَى، قال يُومِي. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى إلى قومه، فقال بعضهم: أوحى إليهم إشارة باليد. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: معنى أوحى: كتب. كما جاء عن السدي وغيره وقال آخرون: معنى ذلك: أمرهم. بدون كلام كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد بينت فيما مضى الوجه التي ينصرف فيها التسييح، وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عنى به التسييح الذي هو ذكر الله، فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسييح، ويجوز أن يكون عنى به الصلاة، فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين. وكان قتادة يقول في قوله ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال: أومى إليهم أن صلوا بكرة وعشيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (١٢) وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَرَكَاهَ وَكَانَ نَقِيًّا (١٣) يقول تعالى ذكره: فولد لزكريا يحيى، فلما ولد، قال الله له: يا يحيى، خذ هذا الكتاب بقوة، يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى، وهو التوراة بقوة، يقول: بجدة. كما جاء عن قتادة وغيره وقال ابن زيد، في قوله: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ قال: القوة: أن يعمل ما أمره الله به، ويجانب فيه ما نهاه الله عنه. قال أبو جعفر: وقد بينت معنى ذلك بشواهد فيما مضى من كتابنا هذا، في سورة آل عمران، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال. وقد حدثنا أحمد بن منيع، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، قال: أخبرني معمر، ولم يذكره عن أحد في هذه الآية ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقت، فأنزل الله ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. وقوله ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان، فقال بعضهم: معناه: الرحمة، ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذي وجهناه إليه. وقال آخرون: معنى ذلك: وتعطفنا من عندنا عليه، فعلنا ذلك. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ورحمة من عندنا لزكريا، آتيناه الحكم صبيا، وفعلنا به الذي فعلنا. وقال آخرون: بل معنى الحنان: المحبة. ووجهوا معنى الكلام إلى: ومحبة من عندنا فعلنا ذلك. وقال آخرون معناه تعظيمنا منا له. وللعرب في حَنَانِكَ لغتان: حَنَانُكَ يا ربنا، وَحَنَانُكَ؛ وقوله:

﴿وَزَكَاةٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وآتينا يحيى الحكيم صبيًا، وزكاة: وهو الطهارة من الذنوب، واستعمال بدنه في طاعة ربه، فالزكاة عطف على الحكم من قوله ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. عن ابن جريج، قوله ﴿وَزَكَاةٌ﴾ قال: الزكاة: العمل الصالح الزكي. وقوله ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان لله خائفًا مؤدبًا فرائضه، مجتنبًا محارمه مسارعا في طاعته. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ١٤ ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ ١٥ يقول تعالى ذكره: وكان برًا بوالديه، مسارعا في طاعتهما ومحبتهما، غير عاقق بهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ يقول جل ثناؤه: ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه، ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا ياتمر لما أمر به، ويتنهي عما نُهي عنه، لا يعصي ربه، ولا والديه. وقوله ﴿عَصِيًّا﴾ فعيل بمعنى أنه ذو عصيان، من قول القائل: عَصَى فلان ربه، فهو يعصيه عصيا. وقوله ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقول: وأمان من الله يوم ولد، من أن يناله الشيطان من السوء، بما ينال به بني آدم، وذلك أنه رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "كُلُّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا". وقوله ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ يقول: وأمان من الله تعالى ذكره له من فتاني القبر، ومن هول المطلع ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقول: وأمان له من عذاب الله يوم القيامة، يوم الفرع الأكبر، من أن يروعه شيء، أو أن يفزعه ما يفزع الخلق. وقد ذكر ابن عيينة في ذلك عن ابن عطية يقول: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا، فخصه بالسلام عليه، فقال ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾. وجاء عن الحسن قال: إن عيسى ويحيى التقياء فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سلمت على نفسي، وسلم الله عليك، فعرف والله فضله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ١٦ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ١٧ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحق مريم ابنة عمران، حين اعتزلت من أهلها، وانفردت عنهم، وهو افتعل من النبذ، والنبذ: الطرح، وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي، أنه قال: خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها، وهو قوله: فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا: في شرقي المحراب. وقوله ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ يقول: فتنتحت واعتزلت من أهلها في موضع قبل مَشْرِقِ الشمس دون مغربها. عن ابن عباس، قال: إني لأعلم خلق الله لأي شيء اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله: فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا، فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة. وقيل: إنها إنما صارت بمكان يلي مَشْرِقِ الشمس، لأن ما يلي المشرق عندهم كان خيرا مما يلي المغرب، وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب. وقوله: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ يقول: فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس، وذكر عن ابن عباس، أنها صارت بمكان يلي المشرق، لأن الله أظلمها بالشمس، وجعل

لها منها حجابا. وقال غيره في ذلك ما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ من الجدران. وقوله ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يقول تعالى ذكره: فأرسلنا إليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، واتخذت من دونهم حجابا: جبريل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وجاء عن السدي، قال: فلما طهرت، يعني مريم من حيضها، إذا هي برجل معها، وهو قوله ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فتشبه لها في صورة آدمي سوي الخلق منهم، يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) يقول تعالى ذكره: فخافت مريم رسولنا، إذ تمثل لها بشرا سويا، وظنته رجلا يريد بها على نفسها. كما جاء عن السدي ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ فلما رآته فزعت منه وقالت: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ فقالت: إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك، تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقيا، فإنه يجتنب ذلك. ولو وجه ذلك إلى أنها عنت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقي الله في استجارتني واستعاذتي به منك كان وجهها. وقوله ﴿لأهب لك﴾ بمعنى: إنما أنا رسول ربك. يقول: أرسلني إليك لأهب لك ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ على الحكاية

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا (٢١) يقول تعالى ذكره: قالت مريم لجبريل ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ من أي وجه يكون لي غلام؟ أمن قبل زوج أتزوج، فأرزقه منه، أم يتدّى الله في خلقه ابتداء ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ من ولد آدم بنكاح حلال ﴿وَلَمْ أَكُ﴾ إذ لم يمسسني منهم أحد على وجه الحلال ﴿بَغِيًّا﴾ بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام، فحملته من زنا. كما جاء عن السدي ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ يقول: زانية ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قال لها جبريل: هكذا الأمر كما تصفين، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغيا، ولكن ربك قال: هو عليّ هين: أي خلق الغلام الذي قلت أن أهبه لك عليّ هين لا يتعذر عليّ خلقه وهيبته لك من غير فحل يفتحلك. ﴿وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ يقول: وكى نجعل الغلام الذي نهيه لك علامة وحنة على خلقي أهبه لك. ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ يقول: ورحمة منا لك، ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ يقول: وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله، ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك. كما جاء عن وهب بن منبه ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ أي أن الله قد عزم على ذلك، فليس منه بد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا (٢٣) وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ وبذلك جاء تأويل أهل التأويل. كما جاء عن السدي، قال: طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها، فأخذ جبريل بكميها، فنفخ في جيب درعها، وكان مشقوقا من قدامها، فدخلت النفخة صدرها، فحملت، فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها؛ فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا: يا مريم

أشعرت أُنِي حُبْلِي، قالت مريم: أشعرت أيضًا أُنِي حُبْلِي، قالت امرأة زكريا: إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك قوله ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: يقولون: إنه إنما نفخ في جيب درعها وكمها. وقوله ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ يقول: فاعتزلت بالذي حملته، وهو عيسى، وتنحّت به عن الناس مكانا قصيا يقول: مكانا نائيا قاصيا عن الناس، يقال: هو بمكان قاص، وقصّي بمعنى واحد، يقال منه: قصا المكان يقصو قصوا: إذا تباعد، وأقصيت الشيء: إذا أبعدته وأخرته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة، ثم قيل: لما أسقطت الباء منه أجاءها، كما يقال: أتيتك بزبد، فإذا حذفت الباء قيل أتيتك زيدا، كما قال جل ثناؤه ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ والمعنى: بزبر الحديد، ولكن الألف مدت لما حذفت الباء، وكما قالوا: خرجت به وأخرجته، وذهبت به وأذهبت، وإنما هو أفعل من المجيء، كما يقال: جاء هو، وأجأته أنا: أي جئت به، ومثل من أمثال العرب: "شَرُّ مَا أَجَأَنِي إِلَى مُخَّةِ عَرْقُوبٍ"، وأشاء ويقال: شَرُّ مَا يُجِئُكَ وَيُشِئُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ وإنما تأوّل من تأوّل ذلك بمعنى: ألجأها، لأن المخاض لما جاءها إلى جذع النخلة، كان قد ألجأها إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ قال: اضطرّها إلى جذع النخلة. واختلفوا في أي المكان الذي انتبذت مريم بعيسى لوضعه، وأجاءها إليه المخاض، فقال بعضهم: كان ذلك في أدنى أرض مصر، وآخر أرض الشام، وذلك أنها هربت من قومها لما حملت، فتوجهت نحو مصر هاربة منهم. كالذي جاء سمع وهب بن منبه يقول: لما اشتملت مريم على الحمل، كان معها قرابة لها، يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد، في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك، فكانا يليان معالجته بأنفسهما، تحبيرة وكناسته وطهوره، وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهادا وعبادة منهما، فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف؛ فلما رأى الذي بها استفظعه، وعظم عليه، وفطع به، فلم يدر على ماذا يضع أمرها، فإذا أراد يوسف أن يتهمها، ذكر صلاحها وبراءتها، وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ؛ وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي ظهر عليها؛ فلما اشتدّ عليه ذلك كلمها، فكان أول كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته، وقد حرصت على أن أميته وأكتمه في نفسي، فغلبنني ذلك، فرأيت الكلام فيه أشقى لصدري، قالت: فقل قولاً جميلاً قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك، فحدثيني، هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم، قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم، ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر، والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر؛ أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده، أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا، ولكنني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن

فيكون، قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك، وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه، وذلك لما رأى من كتمانها لذلك، ثم تولى يوسف خدمة المسجد، وكفأها كل عمل كانت تعمل فيه، وذلك لما رأى من رقة جسمها، واصفرار لونها، وكلف وجهها، وتنتو بطنها، وضعف قوتها، ودأب نظرها، ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن أخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيروك، وقتلوا ولدك، فأفضت ذلك إلى أختها، وأختها حينئذ حُبلى، وقد بشرت بيبحى، فلما التقيا وجدت أم يبحى ما في بطنها خراً لوجهه ساجدا معترفا لعيسى، فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء، فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع بلاد قومها، أدرك مريم النفاس، ألجأها إلى آري حمار، يعنى مذود الحمار، وأصل نخلة، وذلك في زمان أحسبه برداً أو حرّاً "الشك من أبي جعفر"، فاشتد على مريم المخاض؛ فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة فاحتضتها واحتوشتها الملائكة، قاموا صفوفاً محدقين بها. وقد روي عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا، وذلك ما حدثنا به ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه، قال: لما حضر ولادها، يعني مريم، ووجدت ما تجد المرأة من الطلق، خرجت من المدينة مغربة من إيلياء، حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم، فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء، فوضعت عندها. وقال آخرون: بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها إلى جانب المحراب الشرقي منه، فأنت أقصاه فألجأها المخاض إلى جذع النخلة، وذلك قول السدي، وقال ابن عباس يقول: ليس إلا أن حملت فولدت. وقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلُ هَذَا﴾ ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس كما جاء عن السدي، قال: قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ﴿يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا﴾ تقول: يا ليتني مِثُّ قَبْلُ هذا الكرب الذي أنا فيه، والحزن بولادتي المولود من غير بعل، وكنت نسياً منسياً: شيئاً نسي فترك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر، وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب فهو نسي. ونسي بفتح النون وكسرها لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد، مثل الوتر والوتر، والجسر والجسر، وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب عندنا؛ وبالكسر قرأت عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة؛ وبالفتح قرأه أهل الكوفة؛ ولو وجه النسي إلى المصدر من النسيان كان صواباً، وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول: نسيت نسياناً ونسياً، وقوله ﴿مَنْسِيًّا﴾ مفعول من نسيت الشيء كأنها قالت: ليتني كنت الشيء الذي ألقى، فترك ونسي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿يَا لَيْتَنِي مِثُّ قَبْلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًّا﴾ لم أخلق، ولم أك شيئاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝١٦ وَهُرَّى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ۝١٧﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء الحجاز والعراق ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ بمعنى: فنادها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله؛ فمن متأول منهم إذا قرأه ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ كذلك؛ ومن متأول منهم أنه عيسى، وأنه نادها من

تحتها بعد ما ولدته. وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة ﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾ وبفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها، على أن الذي تحتها عيسى، وأنه الذي نادى أمه. قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى، وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل، فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه. ألا ترى في سياق قوله ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به، ثم قيل: فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه. ولعله أخرى، وهي قوله ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ولم تشر إليه إن شاء الله ألا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك، وللدّي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها ﴿أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه، ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل، لكان خليقاً أن يكون في ظاهر الخبر، مبيناً أن عيسى سينطق، ويحتجّ عنها للقوم، وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله. فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بينا، فبين أن كلتا القراءتين، أعني ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ بالكسر، ﴿وَمَنْ تَحْتَهَا﴾ بالفتح صواب. وذلك أنه إذا قرئ بالكسر كان في قوله ﴿فَنَادَاهَا﴾ ذكر من عيسى: وإذا قرئ ﴿مَنْ تَحْتَهَا﴾ بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى. فتأويل الكلام إذن: فناداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾. كما قال ابن زيد، في قوله ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ ألا تحزني قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي، لا ذات زوج فأقول من زوج، ولا مملوكة فأقول من سيدي، أي شيء عذري عند الناس ﴿يَالَيْتَنِي مِثْ قَبْلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام. واختلف أهل التأويل في المعنى بالسري في هذا الموضع، قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال: عني به الجدول، وذلك أنه أعلمها ما قد آتاها الله من الماء الذي جعله عندها، وقال لها ﴿وَهَزَى إِلَيْكِ بَجْدَعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي﴾ من هذا الرطب ﴿وَاشْرَبِي﴾ من هذا الماء ﴿وَقَرَى عَيْنًا﴾ بولذك، والسري معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير؛ قوله ﴿وَهَزَى إِلَيْكِ بَجْدَعِ النَّخْلَةِ﴾ ذكر أن الجذع كان جذعاً يابساً، وأمرها أن تهزّه، وذلك في أيام الشتاء، وهزّها إياه كان تحريكه. عن السديّ ﴿وَهَزَى إِلَيْكِ بَجْدَعِ النَّخْلَةِ﴾ وكان جذعاً منها مقطوعاً فهزّه، فإذا هو نخلة، وأجري لها في المحراب نهر، فتساقطت النخلة رطباً جنياً فقال لها ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرَى عَيْنًا﴾. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهزّي إليك بالنخلة. وقوله: ﴿جَنِيًّا﴾ يعني مجنياً؛ وإنما كان أصله مفعولاً فصرف إلى فعل؛ والمجني: المأخوذ طرياً، وكل ما أخذ من ثمرة، أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتني، ولذلك قيل: فلان يجتني الكمأة؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرَى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك، واشربي من ماء السري الذي جعله ربك تحتك، لا تخشي جوعاً ولا عطشاً ﴿وَقَرَى عَيْنًا﴾ يقول: وطبّي نفساً وافرحي بولادتك إياي ولا تحزني ونصبت العين لأنها هي الموصوفة بالقرار. وإنما معنى الكلام: ولتقرر عينك بولذك، ثم حوّل الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين، فنصبت العين إذ كان الفعل لها في الأصل على التفسير، نظير ما فعل بقوله ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾ وإنما هو: فإن طابت أنفسهن لكم. وقوله ﴿وَصَاقَ بِهِمْ دُرْعًا﴾ ومنه قوله ﴿يُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطَبًا﴾

جَنِيًّا ﴿ إِنَّمَا هُوَ يَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبُ الْجَذْعِ، فَحَوَّلَ الْفَعْلَ إِلَى الْجَذْعِ، فِي قِرَاءَةٍ مِنْ قِرَاءِهِ بِالْيَاءِ. وَفِي قِرَاءَةٍ مِنْ قِرَاءَةٍ: ﴿تُسَاقُطُ﴾ بِالتَّاءِ، مَعْنَاهُ: يَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبُ النَّخْلَةِ، ثُمَّ حَوَّلَ الْفَعْلَ إِلَى النَّخْلَةِ. وَقَوْلُهُ ﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ يَقُولُ: فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَحَدًا يَكْلِمُكَ أَوْ يَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ أَمْرُكَ وَأَمْرٌ وَلَدَكَ وَسَبَبٌ وَلَا دَتَكَ ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ يَقُولُ: فَقُولِي: إِنِّي أَوْجِبْتُ عَلَى نَفْسِي لِلَّهِ صِمْتَاً أَلَّا أَكْلِمَ أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ الْيَوْمَ ﴿فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي مَعْنَى الصُّومِ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ أَنَسٍ الضَّحَّاكُ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ قَالَ: كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ إِذَا اجْتَهَدَ صَامَ مِنَ الْكَلَامِ كَمَا يَصُومُ مِنَ الطَّعَامِ، إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَصُومُ مِنَ الْكَلَامِ كَمَا أَصُومُ مِنَ الطَّعَامِ، إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ؛ فَلَمَّا كَلِمُوهَا أَشَارَتْ إِلَيْهِ، فَقَالُوا ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ فَأَجَابَهُمْ فَقَالَ ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابُ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾. وَاخْتَلَفُوا فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَمَرَهَا بِالصُّومِ عَنْ كَلَامِ الْبَشَرِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَمَرَهَا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا حُجَّةٌ عِنْدَ النَّاسِ ظَاهِرَةً، وَذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَتْ وَهِيَ أَيْمٌ بُولَدَ بِالْكَفِّ عَنِ الْكَلَامِ لِيَكْفِيَهَا فَأَمَرَتْ الْكَلَامَ وَلَدَهَا. كَمَا جَاءَ عَنْ حَارِثَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَجَاءَ رَجُلَانِ فَسَلِمَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَسَلِّمِ الْآخَرُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ أَصْحَابُهُ: حَلَفَ أَنْ لَا يَكْلِمَ النَّاسَ الْيَوْمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كَلِمَ النَّاسِ وَسَلِّمَ عَلَيْهِمْ، فَإِنْ تَلَّكَ امْرَأَةٌ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَصَدِّقُهَا أَنَّهُ حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ، يَعْنِي بِذَلِكَ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ. وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ آيَةً لِمَرْيَمَ وَابْنِهَا. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ قَالَ فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ: صِمْتَاً وَذَلِكَ إِنَّكَ لَا تَلْقَى امْرَأَةً جَاهِلَةً تَقُولُ: نَذَرْتُ كَمَا نَذَرْتُ مَرْيَمَ، أَلَّا تَكْلِمَ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ، وَإِنَّمَا جَعَلَ اللَّهُ تِلْكَ آيَةً لِمَرْيَمَ وَلَابْنِهَا، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَنْذِرَ صِمْتَاً يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ كَانَتْ صَائِمَةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَالصَّائِمُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ يَصُومُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَكَلَامِ النَّاسِ، فَأَذِنَ لِمَرْيَمَ فِي قَدْرِ هَذَا الْكَلَامِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَهِيَ صَائِمَةٌ. كَالَّذِي جَاءَ عَنِ السَّيِّدِ ﴿فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ يَكْلِمُكَ ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ فَكَانَ مِنْ صَامٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى يَمْسِيَ، فَقِيلَ لَهَا: لَا تَزِيدِي عَلَى هَذَا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ عِيسَى لِأُمِّهِ اطْمَأْنَنْتَ نَفْسُهَا، وَسَلَّمْتَ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَحَمَلْتَهُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا. ، وَجَاءَ عَنِ السَّيِّدِ، قَالَ: لَمَّا وَلَدَتْهُ ذَهَبَ الشَّيْطَانُ، فَأَخْبَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ مَرْيَمَ قَدْ وَلَدَتْ، فَأَقْبَلُوا بِشِدَّةٍ، فَدَعَوْهَا ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ﴾. وَقَوْلُهُ ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَلَمَّا رَأَوْا مَرْيَمَ، وَرَأَوْا مَعَهَا الْوَلَدَ الَّذِي وَلَدَتْهُ، قَالُوا لَهَا: يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ بِأَمْرٍ عَجِيبٍ، وَأَحْدَثْتَ حَدَثًا عَظِيمًا. وَكُلُّ عَامِلٍ عَمَلًا أَجَادَهُ وَأَحْسَنَهُ فَقَدْ فَرَاهُ، وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْيًّا﴾ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ قِيلَ لَهَا: يَا أُخْتُ هَارُونَ، وَمِنْ كَانَ هَارُونَ هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ نَسَبُوا مَرْيَمَ إِلَى أَنَّهَا أُخْتُهَا، وَالصَّوَابُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: قِيلَ لَهَا ﴿يَا أُخْتُ هَارُونَ﴾ نَسَبَةً مِنْهُمْ لَهَا إِلَى الصَّلَاحِ، لِأَنَّ أَهْلَ الصَّلَاحِ فِيهِمْ كَانُوا يَسْمُونَ هَارُونَ، وَلَيْسَ بِهِارُونَ

أخي موسى. كما جاء عن المغيرة بن شعبة، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا لي: ألسنتم تقرأون ﴿يَا أَيُّهَا هَارُونَ﴾؟ قلت: بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى، فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمّون بالصّالحين قبلهم". وقوله ﴿مَا كَانَ أَبِيكَ أَمْرًا سَوًّا﴾ يقول: ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ يقول: وما كانت أمك زانية. كما حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ قال: زانية. وقال ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ ولم يقل: بغية، لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال، فجرى مجرى امرأة حائض وطالق، وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم: ملحفة جديدة وامرأة قتيل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقليله لهم، ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلموه. كما جاء عن ابن جريج وقوله ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره، قال قومها لها: كيف نكلم من وجد في المهد؟ وكان في قوله ﴿مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ معناها التمام، لا التي تقتضي الخبر، وذلك شبيه المعنى بكان التي في قوله ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ وإنما معنى ذلك: هل أنا إلا بشر رسول؟ قال أبو جعفر: وقد بينا معنى المهد فيما مضى بشواهد، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما قال قوم مريم لها ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم، قال عيسى لها متكلمًا عن أمه: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾. وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذكر عنهم غضبوا. كما جاء عن السدي، قال: لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبيّ أشد علينا من زناها ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾. وقوله ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ يقول القائل: أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معنى ذلك بخلاف ما يظن، وإنما معناه: وقضى يوم قضى أمور خلقه إليّ أن يؤتيني الكتاب. وقوله ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وقد بينت معنى النبي واختلاف المختلفين فيه، والصحيح من القول فيه عندنا بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وكان مجاهد يقول في معنى النبي وحده: النبي وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل. وقوله ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: وجعلني نفاعا. وقال آخرون: كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كالذي جاء وهيب ابن ابن الورد مولى بني مخزوم، قال: لقي عالم عالما لما هو فوفقه في العلم، قال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من علمي، قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده، وقد اجتمع الفقهاء على قول الله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان. وقال آخرون معنى ذلك: جعلني معلم الخير. وقوله ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ يقول: وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة، يعني المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها عليّ. وفي الزكاة معنيان: أحدهما: زكاة الأموال أن يؤدّيها. والآخر:

تطهير الجسد من دنس الذنوب؛ فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي. وقوله ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ يقول: ما كنت حيا في الدنيا موجودا، وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع: تطهير البدن من الذنوب، لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يذخر شيئا لغد، فتجب عليه زكاة المال، إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته، فيكون ذلك وجهًا صحيحًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا ٢٣﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: مخبرا عن قيل عيسى للقوم: وجعلني مباركا وبرًا: أي جعلني برًّا بوالدي. والبر هو البار، يقال: هو برٌّ بوالده، وبارٌّ به، وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قراء الأمصار. ورؤي عن أبي نهيك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا عبد المؤمن، عن أبي نهيك أنه قرأ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ من قول عيسى عليه السلام، قال أبو نهيك: أوصاني بالصلاة والزكاة والبرِّ بالوالدين، كما أوصاني بذلك. فكأن أبا نهيك وجه تأويل الكلام إلى قوله ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ هو من خبر عيسى، عن وصية الله إياه به، كما أن قوله ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ من خبره عن وصية الله إياه بذلك. فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البرِّ بمعنى عمل الوصية فيه، لأن الصلاة والزكاة وإن كانتا مخفوضتين في اللفظ، فإنهما بمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما. وقوله ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ يقول: ولم يجعلني مستكبرًا على الله فيما أمرني به، ونهاني عنه، شقيًّا، ولكن ذللتني لطاعته، وجعلني متواضعا. كما جاء عن قتادة ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، في آيات سلطه الله عليهن، وأذن له فيهن، فقالت: طوبى للبطن الذي حملك، والثدي الذي أرضعت به، فقال نبي الله ابن مريم يجيبها: طوبى لمن تلا كتاب الله، واتبع ما فيه ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾. وجاء أيضا عن عبد الله بن واقد أبي رجاء، عن بعض أهل العلم، قال: لا تجد عاقا إلا وجدته جبارا شقيا. ثم قرأ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ قال: ولا تجد سبيء المملكة إلا وجدته مختالا فخورا، ثم قرأ ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾. وقوله ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقول: والأمانة من الله عليّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة، من الطعن فيه، ويوم أموت، من هول المطلع، ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعايشتهم أهوال ذلك اليوم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٢٥﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي بيّنت لكم صفته، وأخبرتكم خبره، من أمر الغلام الذي حملته مريم، هو عيسى ابن مريم، وهذه الصفة صفته، وهذا الخبر خبره، وهو ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحق، والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره، لا خبر غيره، الذي يقع فيه الوهم والشك، والزيادة والنقصان، على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا في عيسى أيها الناس، هذا القول الذي أخبركم الله به عنه، لا ما قالته اليهود، الذين زعموا أنه لغير رشدة، وأنه كان ساحرا كذابا، ولا ما قالته النصارى، من أنه كان لله ولدا، وإن الله لم يتخذ ولدا، ولا ينبغي ذلك له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد ولو وجه تأويل ذلك إلى: ذلك عيسى ابن

مريم القول الحق، بمعنى ذلك القول الحق، ثم حذفت الألف واللام من القول، وأضيف إلى الحق، كما قيل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾. وكما قيل: ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ كان تأويلا صحيحا. وأما قوله تعالى ذكره: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ فإنه يعني: الذي فيه يختصمون ويختلفون، من قولهم: ماريت فلانا: إذا جادلته وخاصمته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن قتادة، قوله: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ امترت فيه اليهود والنصارى؛ فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب؛ وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله، وثالث ثلاثة، وإله، وكذبوا كلهم، ولكنه عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه. وكالذي جاء عن ابن جريج، قوله: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ قال: اختلفوا؛ فقالت فرقة: هو عبد الله وبنيه، فأمنوا به. وقالت فرقة: بل هو الله. وقالت فرقة: هو ابن الله. تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا، قال: فذلك قوله ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ والتي في الزخرف، قال دقيوس ونسطور ومار يعقوب، قال أحدهم حين رفع الله عيسى: هو الله، وقال الآخر: ابن الله، وقال الآخر: كلمة الله وعبد، فقال المفتریان: إن قلتي هو أشبه بقولك، وقولك بقولي من قول هذا، فهل فلنقاتلهم، فقاتلهم وأوطئوهم إسرائيل، فأخرجوا منهم أربعة نفر، أخرج كل قوم عالمهم، فامتروا في عيسى حين رُفع، فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض وأحيا من أحيا، وأمات من أمات، ثم صعد إلى السماء، وهم النسطورية، فقال الاثنان: كذبت، ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه، قال: هو ثالث ثلاثة: الله إله، وهو إله، وأمه إله، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى؛ قال الرابع: كذبت، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، وهم المسلمون، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال، فاقتلوا، فظهر على المسلمين، وذلك قول الله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال قتادة: هم الذين قال الله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ اختلفوا فيه فصاروا أحزابا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ يقول تعالى ذكره: لقد كفرت الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وأعظموا الفرية عليه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدا، ولا يصلح ذلك له ولا يكون، بل كل شيء دونه فخلقه وأن من قوله ﴿أَنْ يَتَّخِذَ﴾ في موضع رفع بكان. وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يقول: تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله. وقوله إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء، وأنشأه إنشاء من غير فعل فتحل أمه، ولكنه قال له ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ لأنه كذلك يتدع الأشياء ويخترعها، إنما يقول، إذا قضى خلق شيء أو إنشاء: كن فيكون موجودا حادثا، لا يعظم عليه خلقه، لأنه لا يخلقه بمعانة وكلفة، ولا ينشئه بمعالجة وشدة. وقوله ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ ومعنى الكلام: وإني وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد، فإياه فاعبدوا دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب بن منبه، قال: عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي إني وإياكم عبيد الله، فاعبدوه ولا تعبدوا غيره. وقوله ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ يقول: هذا الذي أوصيتكم به، وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم، الذي من سلكه نجا، ومن ركه اهتدى، لأنه دين الله الذي أمر به

أنبياءه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢٧) يقول تعالى ذكره: فاختلف المختلفون في عيسى، فصاروا أحزاباً متفرقين من بين قومه. ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ ذكر لنا أن لما رُفِعَ ابن مريم، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهاءهم، فقالوا للأول: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت البعقوبية من النصارى؛ وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت النسطورية من النصارى؛ وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب، فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله، وأمه إله، والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه؛ فاختصم القوم، فقال المرء المسلم: أشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام، وأن الله تبارك وتعالى: لا يطعم الطعام قالوا: اللهم نعم، قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهم نعم، قال فخصمهم المسلم؛ قال: فاقتل القوم. قال: فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون، فأنزل الله في ذلك القرآن ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وقوله: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: فوادي جهنم الذي يدعى ويلا للذين كفروا بالله، من الزاعمين أن عيسى لله ولد، وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوماً عظيماً شأنه، وذلك يوم القيامة. وكان قتادة يقول في تأويل ذلك قال الله: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ شهدوا هو لا إذا عظيماً. لقول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن حال الكافرين به، الجاعلين له أنداداً، والزاعمين أن له ولداً يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عمياً عن إِبْصَارِ الْحَقِّ، والنظر إلى حجج الله التي تدل على وحدانيته، صمماً عن سماع أي كتابه، وما دعوتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده، وما بعث به أنبياءه، فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة، وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقاتادة وقوله ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته، وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا، في ضلال مبين: يقول: في ذهاب عن سبيل الحق، وأخذ على غير استقامة، مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى، لمن تأمله وفكر فيه، فهدي لرشده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرُكُمْ يَوْمَ الْخُسْرةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٨) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرطوا في جنب الله، وأورثت مسكانهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء، عن أبي سعيد، قال: قال رسول

الله ﷻ: "يَجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أُمْلَحٌ، قَالَ: فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيَذْبَحُ، قَالَ: فَيَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَى إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشار بيده في الدنيا". وقوله ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم، من تخليده إياهم في جهنم، وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث، ومجازاة الله إياهم على سيئ أعمالهم، بما أخبر أنه مجازيهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرُثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أنبتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ١١٠ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصَرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ١١١ يقول تعالى ذكره لنبية: ﴿وَأَذْكُرْ﴾ يا محمد في كتاب الله ﷻ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ خليل الرحمن، فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه، ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ يقول: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب، والصدِّيق هو الفعيل من الصدق. وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ﴿نَبِيًّا﴾ يقول: كان الله قد نبأه وأوحى إليه. وقوله ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ يقول: أذكره حين قال لأبيه ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ﴾ يقول: ما تصنع بعبادة الوثن الذي لا يسمع ﴿وَلَا يُبْصَرُ﴾ شيئًا ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ يقول: ولا يدفع عنك ضرر شيء، إنما هو صورة مصورة لا تضّر ولا تنفع، يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرر دفع عنك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ١١٢ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه: يا أبَتِ إِنِّي قَدْ أَتَانِي اللهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي: يقول: فأقبل مني نصيحتي ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ يقول: أبصرك هدى الطريق المستوي الذي لا تضل فيه إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ ١١٣ يقول تعالى ذكره: يا أبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ اللهُ عَاصِيًا، والعصيّ هو ذو العصيان، كما العليم ذو العلم، وقد قال قوم من أهل العربية: العصيّ: هو العاصي، والعليم هو العالم، والعريف هو العارف،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ يقول: يا أبت إن مت على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ يقول: تكون له وليا دون الله ويتبرأ الله منك، فتهلك، والخوف في هذا الموضوع بمعنى العلم، كما الخشية بمعنى العلم، في قوله ﴿فخشنا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأِغِبْ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم لإبراهيم، حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان، والبراءة من الأوثان والأصنام ﴿أَرَأِغِبْ أَنْتَ﴾ يا إبراهيم عن عبادة آلهتي؟ ﴿لَئِنْ﴾ أنت لم تنته عن ذكرها بسوء ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ يقول: لأرجمك بالكلام، وذلك السب، والقول القبيح. وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره وأما قوله ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال: معنى ذلك: واهجرني سويا، سلما من عقوبتي، لأنه عقيب قوله ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرحمه بالقول السيئ، والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة، فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه حين توعدّه على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيئ والعقوبة: سلام عليك يا أبت، يقول: أمانة مني لك أن أعاودك فيما كرهت، ولدعائك إليّ ما توعدني عليه بالعقوبة، ولكني ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ يقول: ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ يقول: إن ربي عهدته بي لطيفا يجيب دعائي إذا دعوته، يقال منه: تحفى بي فلان. وقد بينت ذلك بشواهد فيما مضى، بما أغنى عن إعادته هاهنا. وينحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام ﴿وَأَدْعُو رَبِّي﴾ يقول: وأدعو ربي، بإخلاص العبادة له، وإفراده بالربوبية ﴿عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَفِيًّا﴾ يقول: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، ولكن يجيب دعائي، ويعطيني ما أسأله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان أنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ فوحد، ولم يقل أنبياء، لتوحيد لفظ كل ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ يقول جل ثناؤه: ورزقنا جميعهم، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا، وكان الذي وهب لهم من رحمته، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه، وأغناهم بفضله. وقوله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس. كما حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

يقول: الثناء الحسن. وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلو، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم، والعرب تقول: قد جاءني لسان فلان، تعني ثناءه أو ذمه

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى بن عمران، وأقصص على قومك أنه كان مخلصاً. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بكسر اللام من المخلص، بمعنى: إنه كان يخلص الله العبادة، ويفرده بالألوهية، من غير أن يجعل له فيها شريكاً، وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ بفتح اللام من مخلص، بمعنى: إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته، وحمله نبياً مرسلًا. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي: أنه كان ﷺ مخلصاً عبادة الله، مخلصاً للرسالة والنبوة، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب. ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ يقول: وكان لله رسولاً إلى قومه بني إسرائيل، ومن أرسله إليه نبياً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ووهبنا له من رحمتهنا أخاه هارون نبياً ﷺ يقول تعالى ذكره: وناديناه موسى من ناحية الجبل، ويعني بالأيمن: يمين موسى، لأنه الجبل لا يمين له ولا شمال، وإنما ذلك كما يقال: قام عن يمين القبله وعن شمالها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وأدنيناه مناجياً، كما يقال: فلان نديم فلان ومنادمه، وجليس فلان ومجالسه. وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه، حتى سمع صريف القلم. كالذي جاء مجاهد، في قوله ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ قال: بين السماء الرابعة، أو قال: السابعة، وبين العرش سبعون ألف حجاب: حجاب نور، وحجاب ظلمة، وحجاب نور، وحجاب ظلمة؛ فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب، وسمع صريف القلم ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾. وقوله ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ﴾ يقول: ووهبنا لموسى رحمة منا أخاه هارون نبياً ﷺ يقول أدناه بنبوته، وأعناه بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد في الكتاب إسماعيل بن إبراهيم، فأقصص خبره إنه كان لا يكذب وعده، ولا يخلف، ولكنه كان إذا وعد ربه، أو عبداً من عباده وعداً وفى به. كالذي جاء عن عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل، حدثه أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظل به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من هاهنا؟ قال: لا قال: إني نسيت، قال: لم أكن لأبرح حتى تأتي، فبذلك كان صادقا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ بإقامة الصلاة وإيتاء ﴿وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ عمله، محموداً فيما كلفه ربه، غير مقصر في طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ورفعناه مكاناً علياً ﷺ يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ لا يقول الكذب،

﴿نَبِيًّا﴾ نوحى إليه من أمرنا ما نشاء. ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ يعني به إلى مكان ذي علو وارتفاع. وقال بعضهم: رُفِعَ إلى السماء السادسة. وقال آخرون: الرابعة. وقد بلغنا أنه قد سأل ابن عباس كعباً، فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال كعب: أما إدريس، فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم، فأحب أن تزداد عملاً فأثابه خليل له من الملائكة، فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا، فكلّم لي ملك الموت، فليؤخرني حتى أزداد عملاً فحمله بين جناحيه، ثم صعد به إلى السماء؛ فلما كان في السماء الرابعة، تلقاهم ملك الموت منحدرًا، فكلّم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس، فقال: وأين إدريس؟ فقال: هو ذا على ظهري، قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك، فذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. وكان الضحّاك يقول في قوله ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ إدريس أدركه الموت في السماء السادسة. عن أبي هريرة أو غيره "شكّ أبو جعفر الرازي" قال: لما أسري بالنبي ﷺ صعد به جبريل إلى السماء الرابعة، فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل، قالوا: ومن معه؟ قال: محمد، قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ ومن خليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيء جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل، قال: هذا إدريس رفعه الله مكاناً علياً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشd من الأنبياء من ذرية آدم، ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك، ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبيينا: يقول: وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جد نوح. وقوله تعالى ذكره: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ يقول إذا تلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه، خروا لله سجداً، استكانة له وتذللاً وخضوعاً لأمره وانقياداً، ﴿وَبُكِيًّا﴾ يقول: خروا سجداً وهم باكون، والبُكِيّ: جمع بك، كما العُتَيّ جمع عات والجُبَيّ: جمع جاث، فجمع وهو فاعل على فعول، كما يجمع القاعد قعوداً، والجالس جلوساً،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم، ووصفت صفتهم في هذه السورة، خلف سوء في الأرض أضاعوا الصلاة. ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة، فقال بعضهم: كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها، وتضييعهم أوقاتها. كما جاء عن ابن مسعود، أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿الَّذِينَ هُمْ

عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٢٩٨﴾ وَعَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٩٩﴾ وَعَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٠٠﴾ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك، قال: ذاك الكفر. وقال آخرون: بل كانت إضاعتهموها: تركها. كما جاء عن القرظي، أنه قال في هذه الآية ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ يقول: تركوا الصلاة. قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية، قول من قال: إضاعتهموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك، وذلك قوله جل ثناؤه ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنين لم يستثن منهم من آمن، وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون الله، ولا يؤدّون له فريضة فسقة قد أثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله، وقد قيل: إن الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان. وجاء عن مجاهد، قوله ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: عند قيام الساعة، وذهاب صالحى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزرو بعضهم على بعض في الأزقة. قال محمد بن عمرو: زنا. وقال الحارث: زناة. وجاء عن لقمان بن عامر الخزاعي، قال: جئت أبا أمانة صديي بن عجلان الباهلي، فقلت: حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فدعا بطعام، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ أَنَّ صَخْرَةً زَنَتْ عَشْرَ أَوَاقٍ قُذِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا خَمْسِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ تَنْتَهِي إِلَى غَيٍّ وَأَثَامٍ، قَالَ: قُلْتُ وَمَا غَيٍّ وَمَا أَثَامٌ؟ قَالَ: بَرَّانٌ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَهُمَا اللَّتَانِ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾، وقوله في الفرقان ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ في هذه الآية ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: نهر في جهنم حيث الطعم بعيد القعر. كما جاء عن أبي عبيدة، عن أبيه، في قوله ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ قال: الغي: نهر جهنم في النار، يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات. وقال آخرون: بل عنى بالغي في هذا الموضع: الخسران. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل عنى به الشر. كما جاء عن ابن زيد قال أبو جعفر: وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البثرين اللتين ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم، والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فدخل ذلك، فقد لاقى خسرانا وشرًا، حسبه به شرًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ يقول تعالى ذكره: فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا، إلا الذين تابوا فراجعوا أمرا الله، والإيمان به وبرسوله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يقول: وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه، وأدّى فرائضه، واجتنب محارمه من هلك منهم على كفره، وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات. وقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ يقول: ولا يُنْخَسون من جزاء أعمالهم شيئا، ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم، وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم في جهنم، ولكنهم يدخلون مدخل أهل الإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ يقول تعالى ذكره: فأولئك يدخلون الجنة ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ وقوله: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ نصب ترجمة عن الجنة. ويعني بقوله ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ بساتين إقامة. وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهد المغنية

عن إعادته. وقوله ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ يقول: هذه الجنات هي الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب، لأنهم لم يروها ولم يعاينوها، فهي غيب لهم. وقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان وعده، ووعدته في هذا الموضع موعوده، وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله. وقال بعض نحويي الكوفة: خرج الخبر على أن الوعد هو المأتي، ومعناه: أنه هو الذي يأتي، ولم يقل: وكان وعده آتيا، لأن كل ما أتاك فأنت تأتیه، وقال: ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت علي خمسون سنة، وكل ذلك صواب، وقد بينت القول فيه، والهاء في قوله ﴿إِنَّهُ﴾ من ذكر الرحمن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١٣) يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا، وهو الهدي والباطل من القول والكلام ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، ومعناه: ولكن يسمعون سلاما، وهو تحية الملائكة إياهم. وقوله ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ يقول: ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا، وإنما يعني أن الذي بين غداهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء احدا في الدنيا وعشائه، وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار، وذلك كقوله ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ و ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يعني به: من أيام الدنيا. كما جاء عن يحيى، قال: كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء، فذاك الناعم في أنفسهم، فأنزل الله ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: قدر ما بين غداكم في الدنيا إلى عشائكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْحِجَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾^(١٤) يقول تعالى ذكره: هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها، هي الجنة التي نورثها، يقول: نورث مساكن أهل النار فيها ﴿مَنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ يقول: من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١٥) ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله ﷺ جبرائيل بالوحي، وقد ذكرت بعض الرواية، ونذكر إن شاء الله باقي ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل. كما جاء عن ابن عباس، أن محمدا قال لجبرائيل: "ما يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا" فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ قال: هذا الجواب لمحمد ﷺ. ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة، لأن ذلك لم يجيء وهو جاء، فهو بين أيديهم، فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك، أنهم يعنون به ما لم يجيء، وأنه جاء، فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا، وذلك ما قد خلفوه فمضى، فصار خلفهم بتخليفهم إياه، وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه، ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة، لأن ذلك هو الذي بين ذنك الوقتين. وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلات به، لأن ذلك هو الظاهر الأغلب،

وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. فتأمل الكلام إذن: فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك، فإننا لا ننتزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، الله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة، بيده ذلك كله، وهو مالكه ومصرّفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمراً إلا بأمره إيانا به ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ يقول: ولم يكن ربك ذا نسيان، فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه. جل ثناؤه. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: لم يكن ربك يا محمد رب السماوات والأرض وما بينهما نسياً، لأنه لو كان نسياً لم يستقم ذلك، ولهلك لولا حفظه إياه، فالرب مرفوع رداً على قوله ﴿رَبُّكَ﴾ وقوله ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ يقول: فالزم طاعته، وذّل لأمره ونهيه ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ يقول: واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه، والعمل بطاعته، تفز برضاه عنك، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته، والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده، فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلاً ما ذلك بموجود. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ يقول: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ ﴿٢٦﴾ أولاً يذكر الإنسان أننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ﴿٢٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حياً، فأبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء إنكاراً منه ذلك، يقول الله تعالى ذكره: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فناءه، وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه، أن الله خلقه من قبل مماته، فأنشأ بشراً سوياً من غير شيء ﴿وَلَمْ يَكُ﴾ من قبل إنشائه إياه ﴿شَيْئاً﴾ فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته، وإيجاده بعد فناءه. وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾ فقرأه بعض قراء المدينة والكوفة ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ بتخفيف الذال، وقد قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة والحجاز ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ﴾ بتشديد الذال والكاف، بمعنى: أو لا يتذكر، والتشديد أعجب إليّ، وإن كانت الأخرى جائزة، لأن معنى ذلك: أو لا يتفكر فيعتبر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ﴿٢٨﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فوريك يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين: إذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم، مقرنين بأوليائهم من الشياطين ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ والجثي: جمع الجاثي. كما جاء عن ابن عباس قوله ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ يعني: القعود، وهو مثل قوله وتري كل أمّة جاثية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَزَعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَشَدَّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم لنأخذن من كل جماعة منهم أشدهم على الله عتواً، وتمرداً فلنبدان بهم. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قال أبو جعفر: والشيعه هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور، يقال من ذلك: تشايح القوم: إذا تعاونوا؛ ومنه قولهم للرجل الشجاع: إنه لمشيح: أي معان، فمعنى الكلام: ثم لنزعن من كل جماعة تشايحت على الكفر بالله، أشدهم على الله عتواً، فلنبدان بإصلاته جهنم. والتشايح في غير هذا الموضع: التفرق؛ ومنه قول الله عز ذكره: ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ يعني: فرقا؛ ومنه قول ابن مسعود أو سعد؛ إني أكره أن آتي رسول الله ﷺ، فيقول: شيعت بين أمتي، بمعنى: فرقت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين نزعهم من كل شيعه أولاهم بشدة العذاب، وأحقهم بعظيم العقوبة. وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ قال: أولى بالخلود في جهنم. قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله ابن جريج، قول لا معنى له، لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعه من الكفرة أشدهم كفرا، ولا شك أنه لا كافر بالله إلا مخلص في النار، فلا وجه، وجميعهم مخلصون في جهنم، لأن يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلصين، ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا. والصلي: مصدر صليت تصلي صليا، والصلي: فعول، ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل، فصارت ياء مشددة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم، كان على ربك يا محمد إيراهاها قضاء مقضيا، قد قضى ذلك وأوجه في أم الكتاب. واختلف أهل العلم في معنى الورد الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: الدخول. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم، فجاج مسلم ومكدر فيها. كما جاء عن حفصة، قالت: قال رسول الله ﷺ: "إني لأرجو أن لا يدخل النار أحدٌ شهد بدراً والحديبية" قالت: فقلت يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ قال: فلم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾؟ وجاء سمعت أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يوضع الصراط بين ظهري جهنم، عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجير الناس، فجاج مسلم ومجروح به، ثم ناج ومختبئ ومكدر فيها، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم، ويذكرون زكاتهم ويصومون صيامهم، ويحجون حجهم، ويعزون عزوهم، فيقولون: أي ربنا عبدٌ من عبادك كانوا معنا في الدنيا، يصلون صلاتنا، ويذكرون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويحجون حجنا، ويعزون عزونا، لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم

النَّارَ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى ثَدْيَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ وَلَمْ تَغْسِ الْوُجُوهَ، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ؛ قِيلَ: وَمَا مَاءُ الْحَيَاةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْتَبِثُونَ كَمَا تَنْتَبِثُ الزَّرْعَةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ، ثُمَّ تَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا، فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا، فَمَا يَتْرَكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا". وَأما قوله ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعْنَاهُ: كَانَ عَلَى رَبِّكَ قَضَاءٌ مَقْضِيًّا. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَاهُ: كَانَ عَلَى رَبِّكَ قَسَمًا وَاجِبًا. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَقَدْ بَيَّنَّتِ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ من النار بعد ورود جميعهم إياها، ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فخافوه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ يقول جل ثناؤه: ونَدَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَعَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ، وَعَصَوْا رُبَّهُمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ فِي النَّارِ جِثِيًّا، يَقُولُ: بَرُوكَا عَلَى رُكْبِهِمْ. وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ عَلَى النَّاسِ ﴿آيَاتُنَا﴾ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَى رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ ﴿بَيِّنَاتٍ﴾، يَعْنِي وَاضِحَاتٍ لِمَنْ تَأَمَّلَهَا وَفَكَرَ فِيهَا أَنَّهُ أَدْلَةٌ عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ أَدْلَةً عَلَيْهِ لِعِبَادِهِ، ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ وَبِكِتَابِهِ وَآيَاتِهِ، وَهُمْ قَرِيشٌ، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ فَصَدَّقُوا بِهِ، وَهُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ يَعْنِي بِالْمَقَامِ: مَوْضِعُ إِقَامَتِهِمْ، وَهِيَ مَسَاكِنُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ وَهُوَ الْمَجْلِسُ، يُقَالُ مِنْهُ: نَدَوْتُ الْقَوْمَ أَنْدُوهُمْ نَدَاً: إِذَا جَمَعْتَهُمْ فِي مَجْلَسٍ، وَيُقَالُ: هُوَ فِي نَدْيٍ قَوْمُهُ وَفِي نَادِيهِمْ: بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ، قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ آمَنُوا: أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ مِنَّا وَمَنْكُم أَوْسَعُ عِيشًا، وَأَنْعَمُ بِالًا وَأَفْضَلُ مَسْكَنًا، وَأَحْسَنُ مَجْلَسًا، وَأَجْمَعُ عِدَدًا وَغَاشِيَةً فِي الْمَجْلَسِ، نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟ وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ قَالَ: الْمَقَامُ: الْمَسْكَنُ، وَالنَدْيُ، الْمَجْلِسُ وَالنِّعْمَةُ وَالبَهْجَةُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَهُوَ كَمَا قَالَ اللَّهُ لِقَوْمِ فِرْعَوْنَ، حِينَ أَهْلَكَهُمْ وَقَصَّ شَأْنَهُمْ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنٍ﴾ فَالْمَقَامُ: الْمَسْكَنُ وَالنِّعْمُ، وَالنَدْيُ: الْمَجْلِسُ وَالْمَجْمَعُ الَّذِي كَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَقَالَ اللَّهُ فِيمَا قَصَّ عَلَى رَسُولِهِ فِي أَمْرِ لُوطٍ إِذْ قَالَ ﴿وَتَأْتَوْنَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرُ﴾، وَالْعَرَبُ تَسْمِي الْمَجْلِسَ: النَّادِي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاً وَرَبِّيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وَكَمْ أَهْلَكْنَا يَا مُحَمَّدُ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْقَائِلِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ، أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا، وَأَحْسَنُ نَدِيًّا، مَجَالِسَ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَكْثَرُ مَتَاعٍ مَنَازِلَ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَأَحْسَنُ مِنْهُمْ مَنْظَرًا وَأَجْمَلَ صُورًا، فَأَهْلَكْنَا أَمْوَالَهُمْ، وَغَيْرَنَا صُورَهُمْ؛ وَبَنَحُو الَّذِي قَلْنَا فِي ذَلِكَ،

قال أهل التأويل . كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۝٧٥﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين برهم، القائلين: إذا تتلى عليهم آياتنا، أي الفريقين منا ومنكم خير مقامًا وأحسن نديا، من كان منا ومنكم في الضلالة جائرا عن طريق الحق، سالكا غير سبيل الهدى، فليمدد له الرحمن مدًّا: يقول: فليطوّل له الله في ضلّالته، وليمله فيها إملاء. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل . كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل لهم: من كان منا ومنكم في الضلالة، فليمدد له الرحمن في ضلّالته إلى أن يأتيهم أمر الله، إما عذاب عاجل، أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها، فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ومسكننا منكم ومنهم ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ أهم أم انتم؟ ويتبينون حيثنذ أي الفريقين خير مقامًا، وأحسن نديا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۝٧٦﴾ يقول تعالى ذكره: ويزيد الله من سلك قصد المحجة، واهتدى لسبيل الرشd، فآمن بربه، وصدق بآياته، فعمل بما أمره به، وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه، ويقرّ بلزوم فرضها إياه، ويعمل بها، فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه، وذلك نظير قوله ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيمانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. وقد كان بعضهم يتأول ذلك: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه، فيؤمن بالناسخ، كما آمن من قبل بالمنسوخ، فذلك زيادة هدى من الله له على هداه من قبل ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ يقول تعالى ذكره: والأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم، الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات، خير عند ربك جزاء لأهلها ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله، وأندبتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا. وقد بينّا معنى الباقيات الصالحات، وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك، ودللنا على الصواب من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. كما جاء عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: "جلس النبي ﷺ ذات يوم، فأخذ عودا يابسا، فحطّ ورقه ثم قال: إِنَّ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ، تَحُطُّ الْخَطَايَا، كَمَا تَحُطُّ وَرَقَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الرِّيحُ، خُذْهُنَّ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ قَبْلَ أَنْ يَحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنَّ، هُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ، وَهُنَّ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ"، قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال: لأهلنّ الله، ولأكبرن الله، ولأسبحن الله، حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اِتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۝٧٨﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ حججنا فلم يصدق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر ﴿وَقَالَ﴾ وهو بالله كافر وبرسوله ﴿لَأُوتِيَنَّ﴾ في الآخرة ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾. وذكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي

عمرو بن العاص. كالي جاء عن خباب، قال: كنت رجلاً قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، قال: فقال: فإذا أنا متّ ثم بُعثت كما تقول، جئتني ولي مال وولد، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا...﴾ إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾. وكما جاء عن ابن عباس، أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين، فأتوه يتقاضونه، فقال: أَلستم تزعمون أن في الجنة فضة وذهباً وحريراً، ومن كل الثمرات؟ قالوا: بلى، قال: فإن موعدكم الآخرة، فوالله لأوتينّ مالا وولداً، ولأوتينّ مثل كتابكم الذي جئتكم به، فضرب الله مثله في القرآن، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا...﴾ إلى قوله: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾. وقوله: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ يقول عزّ ذكره: أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب، فعلم أن له في الآخرة مالا وولداً باطلاعه على علم ما غاب عنه ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به، وانتهى عما نهاه عنه، فكان له بذلك عند الله عهداً أن يؤتیه ما يقول من المال والولد. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بعمل صالح قدّمه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ وَرَرُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿كَلَّا﴾: ليس الأمر كذلك، ما اطلع الغيب، فعلم صدق ما يقول، وحقيقة ما يذكر، ولا اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان بالله ورسوله، والعمل بطاعته، بل كذب وكفر، ثم قال تعالى ذكره ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾: أي سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه، الفائل ﴿لَأُوتِيَنَّ﴾ في الآخرة ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ يقول: ونزيده من العذاب في جهنم بقبيله الكذب والباطل في الدنيا، زيادة على عذابه بكفره بالله. وقوله ﴿وَرَرُّهُ مَا يَقُولُ﴾ يقول عزّ ذكره، ونسلب هذا القائل: لأوتين في الآخرة مالا وولداً، ماله وولده، ويصير لنا ماله وولده دونه، وبأتيناً هو يوم القيامة فرداً، وحده لا مال معه ولا ولد. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ يقول تعالى ذكره: واتخذوا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله، لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزاً، يمنعونهم من عذاب الله، ويتخذون عبادتهموها عند الله زلفى، وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول عزّ ذكره: ليس الأمر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله، في أنها تنقذهم من عذاب الله، وتنجيهم منه، ومن سوء إن أرادهم بهم ربهم. وقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يقول عزّ ذكره: ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها، وكفرهم بها قيلهم لربهم: تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون، فجحلدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك، وتبرءوا منهم، وذلك كفرهم بعبادتهم. وأما قوله ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: وتكون آلهتهم عليهم عوناً، وقالوا: الضدّ: العون. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل عنى بالصدّ في هذا الموضع: القرناء. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: معنى الضدّ هاهنا: العدو. كما جاء عن الضحاك وقال

آخرون: معنى الضدّ في هذا الموضع: البلاء. كما جاء عن ابن زيد الضدّ: البلاء، وال ضدّ في كلام العرب: هو الخلاف،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرُثُهُمْ أَيَّامًا ۖ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۚ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ألم تري يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله ﴿تَوْرُثُهُمْ﴾ يقول: تحرّكهم بالإغواء والإضلال، فتزعجهم إلى معاصي الله، وتغريهم بها حتى يواقعوها ﴿أَيَّامًا﴾ إزعاجا وإغواء. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ يقول عزّ ذكره: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك، يا محمد إنما نعدّ لهم عدّا، يقول: فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثما، ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها، ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۚ﴾ وسوق المجرمين إلى جهنّم وردّا ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: يَوْمَ نَجْمَعُ الَّذِينَ اتَّقَوْا فِي الدُّنْيَا فَخَافُوا عِقَابَهُ، فَاجْتَنَبُوا لَذَلِكَ مَعَاصِيَهُ، وَأَدَّوْا فَرَاغَهُ إِلَى رَبِّهِمْ ۚ وَفْدًا﴾ يعني بالوفد: الركبان، يقال: وفدت على فلان: إذا قدمت عليه، وأوفد القوم وفدا على أميرهم، إذا بعثوا قبلهم بعثا. والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع، ولكنه واحد، لأنه مصدر واحدهم وافد، وقد يجمع الوفد: الوفود، وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد، كما الجلوس جمع جالس. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عليّ، في قوله ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقا، ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلهما، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة. وجاء عن عمرو بن قيس الملائي، قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة، وأطيبها ريحا، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك، فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عمك الصالح طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم، وتلا ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾. وقوله ﴿وَسَوْقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا﴾ يقول تعالى ذكره: وسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشا، والورد: مصدر من قول القائل: وردت كذا أردته وردا، ولذلك لم يجمع، وقد وصف به الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يملك هؤلاء الكافرون برّهم يا محمد، يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة، حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله، فيشفع بعضهم لبعض ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ مِنْهُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ في الدنيا ﴿عَهْدًا﴾ بالإيمان به، وتصديق رسوله، والإقرار بما جاء به، والعمل بما أمر به. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله. وجاء عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن شفاعتي لمن مات من أمتي لا يُشرك بالله شيئا"، و"من" في قوله ﴿إِلَّا مَنْ﴾ في موضع نصب على الاستثناء، ولا يكون خفضا بضمير اللام، ولكن قد يكون نصبا في الكلام في غير هذا الموضع،

وذلك كقول القائل: أردت المرور اليوم إلا العدو، فإني لا أمر به، فيستثنى العدو من المعنى، وليس ذلك كذلك في قوله ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ لأن معنى الكلام: لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله، فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين، ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا، فإنه ينبغي أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين، فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا، لا يملكون الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا، فيكون معناه عند ذلك، إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا. فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين، فإن "من" تكون حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع، فيكون معنى الكلام: لا يملكون الشفاعة، لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۚ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ ۚ وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِاللَّهِ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِلْقَائِلِينَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ: لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيما من القول منكرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس والعرب تقول لكل أمر عظيم: إد، وإمر، ونكر؛ وقوله ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: تكاد السماوات يتشققن قطعا من قيلهم ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ومنه قيل: فطرنا به: إذا انشق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ أن دعوا للرحمن من ولدا. قال: إن الشرك فزع من السماوات والأرض والجبال، وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك، كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين. وقال رسول الله ﷺ: "لَقَدْ نَأَوْتَكُمْ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ" قالوا: يا رسول الله، فمن قالها في صحته؟ قال: تلك أَوْجَبُ وَأَوْجَبُ". ثم قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ جِئَ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَا تَحْتَهُنَّ، فَوَضَعْنِ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوُضِعَتْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، لَرَجَحَتْ بِهِنَّ". وعن مجاهد ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ذكر لنا أن كعبا كان يقول: غضبت الملائكة، واستعرت جهنم، حين قالوا ما قالوا. وقوله: ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ يقول: وتكاد الأرض تنشق، فتتصدع من ذلك ﴿وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ يقول: وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا. والهد: السقوط، وهو مصدر هددت، فأنا أهد هدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وتكاد الجبال أن تخر انقضاضا، لأن دعوا للرحمن ولدا. وقوله وَمَا يُبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا يقول: وما يصلح لله أن يتخذ ولدا، لأنه ليس، كالحلق الذين تغلبهم الشهوات، وتضطربهم اللذات إلى جماع الإناث، ولا ولد يحدث إلا من أنثى، والله يتعالى عن أن يكون كخلقه، إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا يقول: ما جميع من في السماوات من الملائكة، وفي الأرض من البشر والإنس والجن إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا يقول: إلا يأتي ربه يوم القيامة عبدا له، ذليلا خاضعا، مقرا له بالعبودية،

لا نسب بينه وبينه. وقوله آتِيَ الرَّحْمَنُ إنما هو فاعل من آتيته، فأنا آتيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَحْصَى الرَّحْمَنُ خَلْقَهُ كُلَّهُمْ، وَعَدَّهُمْ عَدًّا ١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ١٥﴾ يقول تعالى ذكره: لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم، وعدهم عدًّا، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم، وعرف عددهم، فلا يعزب عنه منهم أحدٌ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ يقول: وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله، ولا دافع عنه، فيقضي الله فيه ما هو قاض، ويصنع به ما هو صانع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ١٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا ١٧﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين آمنوا بالله ورسله، وصدقوا بما جاءهم من عند ربهم، فعملوا به، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ في الدنيا، في صدور عباده المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، في قوله ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال: محبة في الناس في الدنيا. ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم. وذكر أيضا أن عثمان بن عفان كان يقول: ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا يعمل شرا، إلا كساه الله رداء عمله. وذكر أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف. كما جاء عن عبد الرحمن بن عوف، أنه لما هاجر إلى المدينة، وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة، منهم شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، وأميه بن خلف، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾. وقوله ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فإنما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك، تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله، بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه بالجنة ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قومك من قريش، فإنهم أهل لدود جدل بالباطل، لا يقبلون الحق. واللذ: شدة الخصومة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقد بينا معنى الألد فيما مضى بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ١٨﴾ يقول تعالى ذكره: وكثيرا أهلكنّا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش، من قرن، يعني من جماعة من الناس، إذا سلکوا في خلافي وركوب معاصي مسلکهم، هل تحس منهم من أحد: يقول: فهل تحس أنت منهم أحدا يا محمد فتراه وتعاينه ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ يقول: أو تسمع لهم صوتا، بل بادوا وهلكوا، وخلت منهم دورهم، وأوحشت منهم منازلهم، وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدموه، فكذلك قومك هؤلاء، صائرون إلى ما صار إليه أولئك، إن لم يعالجوا التوبة قبل الهلاك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد قال أبو جعفر: والركز في كلام العرب: الصوت الخفي.

تفسير سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى ۚ ﴿٣﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير: اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿طه﴾ والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال: معناه: يا رجل، لأنها كلمة معروفة في عك فيما بلغني، وأن معناها فيهم: يا رجل، أنشدت لمتمم بن نويرة: هَتَفْتُ بِطَهَ فِي الْقِتَالِ فَلَمْ يُجِبْ... فَخِفْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُوَائِلًا كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ فَإِنْ قَوْمَهُ قَالُوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿طه﴾ يعني: يا رجل ﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ وجاء عن سعيد بن جبير أنه قال: طه: يا رجل بالسريانية. فمعنى الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به، ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تنزيلا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَا ١﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۚ ﴿٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هذا القرآن تنزيل من الرب الذي خلق الأرض والسماوات العلى، والعلی: جمع عليا. وقوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا. وقد بينا معنى الاستواء بشواهد فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وللرفع في الرحمن وجهان: أحدهما بمعنى قوله: تنزيلا فيكون معنى الكلام: نزل من خلق الأرض والسماوات، نزله الرحمن الذي على العرش استوى، والآخر بقوله ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ لأن في قوله استوى، ذكرا من الرحمن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ١﴾ يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وما تحت الثرى، ملكا له، وهو مدبر ذلك كله، ومصرف جميعه. ويعني بالثرى: الندى. يقال للتراب الرطب المبتل: ثرى منقوص، يقال منه: ثريت الأرض ثرى، ثرى منقوص، والثرى: مصدر. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۚ ﴿٨﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تجهر يا محمد بالقول، أو تخف به، فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ يقول: فإنه لا يخفى عليه ما استسرته في نفسك، فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك، ولم تنطق به وأخفى. ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ﴿وَأَخْفَى﴾ والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معناه: يعلم السر وأخفى من السر، لأن ذلك هو الظاهر من الكلام والصواب من القول في معنى أخفى من السر أن يقال: هو ما

علم الله مما أخفى عن العباد، ولم يعلموه مما هو كائن ولم يكن، لأن ما ظهر وكان غير سرٍّ، وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء، وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرِّ، لأن ذلك لا يعلمه إلا الله، ثم من أعلمه ذلك من عباده. وأما قوله تعالى ذكره ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فإنه يعني به: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، يقول: فيأيه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ يقول جل ثناؤه: لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى، فقال: الحسنى، فوحد، وهو نعت للأسماء، ولم يقل الأحسن، لأن الأسماء تقع عليها هذه، فيقال: هذه أسماء، وهذه في لفظة واحدة؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۖ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَ عَلَى النَّارِ هُدًى ۚ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ مسليه عما يلقي من الشدة من مشركي قومه، ومعرفة ما إليه بصائر أمره وأمرهم، وأنه معلية عليهم، وموهن كيد الكافرين، ويحثه على الجد في أمره، والصبر على عبادته، وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مشركي قومه وغيرهم، وفيما يزاوُل من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه، ثم من قومه، ومن بني إسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلاً صغيراً، ثم يافعا مترعراً، ثم رجلاً كاملاً ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ ابن عمران ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلاً وأن موسى كان أضل الطريق؛ فلما رأى ضوء النار ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ﴾ ما قال. كالذي جاء عن ابن إسحاق، عن وهب بن منبه اليماني، قال: لما قضى موسى الأجل، خرج ومعه غنم له، ومعه زنده له، وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاراً، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً، فبات عليها هو وأهله وغنمه، فإذا أصبح غدا بأهله وغنمه، فتوكأ على عصاه، فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتداء فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقترح ناراً لأهله ليسيئوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد زنده فلا يوري له ناراً، فقدم حتى أعياه، لاحت النار فراها، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾. وعني بقوله: ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾ وجدت، ومن أمثال العرب: بعد اطلاع إيناس، ويقال أيضاً: بعد طلوع إيناس، وهو مأخوذ من الأنس. وقوله ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ يقول: لعلي أحييكم من النار التي آنست بشعلة. والقَبَس: هو النار في طرف العود أو القصبه، يقول القائل لصاحبه: أقبسنى ناراً، فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبه، وإنما أراد موسى بقوله لأهله ﴿لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ لعلي أتيكم بذلك لتصطلوا به. وقوله ﴿أَوْ أَجْدَ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ دلالة تدل على الطريق الذي أضللناه، إما من خبر هاد يهدينإليه، وإما من بيان وعلم تنبيهه به ونعرفه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما أتى النار موسى، ناداه ربه ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾. كما جاء عن وهب بن منبه، قال: خرج موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استأخرها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة؛ فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع

الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ فخلعها فألفها. واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه لياشر بقدميه بركة الوادي، إذ كان واديا مقدسا. وأما قوله ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾ فإنه يقول: إنك بالوادي المطهر المبارك. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿طَوًى﴾ قال أبو جعفر وهو عند اسم الوادي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة القراء الذين قرءوا "وَأَنَا" بتشديد النون، و ﴿أَنَا﴾ بفتح الألف من "أَنَا" ردًا على: نودي يا موسى، كأن معنى الكلام عندهم: نودي يا موسى إني أنا ربك، وأنا اخترتك، وهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفة. وأما عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرأوه: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء أهل العلم بالقرآن، مع اتفاق معنيهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه، وتأويل الكلام: نودي أَنَا اخترتك. فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ يقول: فاستمع لوحي الذي نوحيه إليك وعه، واعمل به. ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا أنا فلا تعبد غيري، فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ يقول: فأخلص العبادة لي دون كل ما عبد من دوني ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: أمم الصلاة لتذكرني فيها، لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أمم الصلاة لذكرها. وفي قوله: ﴿لِذِكْرِي﴾ دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ فعلى ضم الألف من أخفيها قراءة جميع قراء أمصار الإسلام، بمعنى: أكاد أخفيها من نفسي، لئلا يطلع عليها أحد، وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كل نفس: يقول: لتثاب كل نفس امتحنها ربه بالعبادة في الدنيا بما تسعى، يقول: بما تعمل من خير وشر، وطاعة ومعصية، وقوله ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ يقول تعالى ذكره: فلا يردك يا موسى عن التأهب للساعة، من لا يؤمن بها، يعني: من لا يقر بقيام الساعة، ولا يصدق بالبعث بعد الممات، ولا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا. وقوله ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ يقول: اتبع هوى نفسه، وخالف أمر الله ونهيه ﴿فَتَرْدَى﴾ يقول: فتهلك إن أنت انصدت عن التأهب للساعة، وعن الإيمان بها، وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصد من كفر بها

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ يقول تعالى ذكره: وما هذه التي في يمينك يا موسى؟ فالباء في قوله ﴿بِيَمِينِكَ﴾ من صلة تلك، والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي، ولعل قائلًا أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهب إليه، وإنما قال ذلك عز ذكره له إذا أراد أن يحولها حية تسعى، وهي خشبة، فنبهه عليها، وقرره بأنها خشبة يتوكأ عليها، ويهش بها على غنمه، ليعرفه قدرته على ما يشاء، وعظم سلطانه، ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حية تسعى، إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى: قال موسى مجيبا لربه ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ يقول: أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي، يقال منه: هَشَّ فلان الشجر يهش هشًا: إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن زيد وقوله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ يقول: ولي في عصاي هذه حوائج أخرى كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى﴾ ﴿قَالَ أَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى، يقول الله جل جلاله: فألقها موسى، فجعلها الله حية تسعى، وكانت قبل ذلك خشبة يابسة، وعصا يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، فصارت حية بأمر الله. كما جاء عن ابن عباس قال: لما قيل لموسى: ألقها يا موسى، ألقها ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ ولم تكن قبل ذلك حية، قال: فمرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعته، قال: فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، قال: فولى مدبرا، فنودي أن يا موسى خذها، فلم يأخذها، ثم نودي الثانية: أن ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾، فلم يأخذها، فقيل له في الثالثة: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ فأخذها. وقوله ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى: خذ الحية، والهاء والألف من ذكر الحية ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ يقول: ولا تخف من هذه الحية يقول: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ يقول: فإننا سنعيد لها سيرتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيرها حية، ونردّها عصا كما كانت. يقال لكل من كان على أمر فتركه، وتحوّل عنه ثم راجعه: عاد فلان سيرته الأولى، وعاد لسيرته الأولى، وعاد إلى سيرته الأولى. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ لِرَبِّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى يقول تعالى ذكره: واضمم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك؛ والجناحان هما اللذان، كذلك روي الخبر عن أبي هريرة وكعب الأحبار، وأما أهل العربية، فإنهم يقولون: هما الجنبان، وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردها، فخرجت كما كانت على لونه. كما جاء عن ابن عباس ووهب بن منبه وقوله ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير

الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه، ونصب آية على اتصالها بالفعل، إذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هي، وقوله ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ يقول تعالى ذكره: واضمم يدك يا موسى إلى جناحك، تخرج بيضاء من غير سوء، كي نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا. وقال: الكبرى، فوحد، وقد قال ﴿مِنْ آيَاتِنَا كَمَا قَالَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وقد بينا ذلك هنالك. وكان بعض أهل البصرة يقول: إنما قيل الكبرى، لأنه أريد بها التقديم، كأن معناها عنده: لنريك الكبرى من آياتنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٢ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ١٣ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ١٤ وَأَخْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي ١٥ يَفْقَهُوا قَوْلِي ١٦ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ١٧ هَارُونَ أَخِي ١٨﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه: ﴿أَذْهَبَ﴾ يا موسى ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾. يقول: إنه تجاوز قدره، وتمرد على ربه؛ وقد بينا معنى الطغيان بما مضى بما أغنى عن إعادته، في هذا الموضع. وفي الكلام محذوف استغني بفهم السامع بما ذكر منه، وهو قوله ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ فادعه إلى توحيد الله وطاعته، وإرسال بني إسرائيل معك ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ يقول: رب اشرح لي صدري، لأعي عنك ما تودعه من وحيك، وأجترئ به على خطاب فرعون ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ يقول: وسهل علي القيام بما تكلفني من الرسالة، وتحملني من الطاعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿وَأَخْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ يقول: وأطلق لساني بالمنطق، وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام الذي كان من إلقائه الجمرة إلى فيه يوم هم فرعون بقتله. كما جاء عن السدي، قال: لما تحرك الغلام، يعني موسى، أورته أمه آسية صبيًا، فبينما هي ترقصه وتلعب به، إذ ناولته فرعون، وقالت: خذه، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته ففتفها، فقال فرعون: عليّ بالذباحين، قالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ إنما هو صبي لا يعقل، وإنما صنع هذا من صباه، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر أحلى مني أنا أضع له حليا من الياقوت، وأضع له جمرًا، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه، وإن أخذ الجمر فإنه هو صبي، فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر، فجاء جبرائيل عليه السلام، فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه، فأحرقت لسانه، فهو الذي يقول الله عز وجل ﴿وَأَخْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾، فزالت عن موسى من أجل ذلك. وقوله ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ يقول: يفقهوا عني ما أخطبهم وأراجعهم به من الكلام ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ يقول: واجعل لي عونًا من أهل بيتي ﴿هَارُونَ أَخِي﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَشْدُّ بِهِ أُزْرِي ١٩ وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي ٢٠ كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ٢١ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ٢٢ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ٢٣﴾ يقول تعالى ذكره مخبرًا عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون. وإنما يعني بقوله ﴿أَشْدُّ بِهِ أُزْرِي﴾ قو ظهري، وأعني به، يقال منه: قد أزر فلان فلانا: إذا أعانه وشدّ ظهره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وابن زيد وقوله ﴿وَأَشْرَكُهُ فِي أَمْرِي﴾ يقول: واجعله نبيًا مثل ما جعلتني نبيًا، وأرسله معي إلى فرعون ﴿كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾ يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرًا ﴿وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ فنحمدك ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ يقول: إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ٢٤ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ٢٥﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى عليه السلام: قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك، وحل عقدة لسانك، وتصيير أخيك هارون وزيراً لك، وشدد أزرك به، وإشراكه في الرسالة معك ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى، وذلك حين أوحينا إلى أمك، إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها؛ ثم فسر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه، فقال: هو أن اقذفيه في التابوت، فأن في موضع نصب رداً على "ما" التي في قوله ﴿مَا يُوحَىٰ﴾، وترجمة عنها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَن اقْذِيبْهُ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيبْهُ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا إلى أمك، أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت ﴿فَاقْذِيبْهُ فِي الْيَمِّ﴾ يعني باليم: النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ يقول: فاقذفيه في اليم، يلقيه اليم بالساحل، وهو جزء أخرج مخرج الأمر، كأن اليم هو المأمور، كما قال جل ثناؤه: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ يعني: اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم، ففعلت ذلك أمه به فآلقاه اليم بمشرفة آل فرعون. كالذي جاء عن ابن إسحاق، قال: لما ولدت موسى أمه أرضعته، حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سبته تلك عمدت إليه، فصنعت به ما أمرها الله تعالى، جعلته في تابوت صغير، ومهدت له فيه، ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه، وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة، فبينما هو جالس، إذ مرَّ النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مزامح امرأته جالسة إلى جنبه، فقال: إن هذا الشيء في البحر، فأتوني به، فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهد، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه. وعنى جل ثناؤه بقوله ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ فرعون هو العدو، كان لله ولموسى. واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جل ثناؤه ﴿وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾ قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى، كما قال جل ثناؤه ﴿وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾ فحببه إلى آسية امرأة فرعون، حتى تبنته وغذته وربته، وإلى فرعون، حتى كف عنه عاديته وشره، وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني، لأنه حبه إلى كل من رآه. ومعنى ﴿وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾ حبستك إليهم، يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقىت عليك رحمتي: أي محبتي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴿٥٠﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَلَتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ والصواب ما ذكر من التأويل الذي تأوله قتادة، وهو ﴿وَالْقَيْثُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي﴾ ولتغذى على عيني، ألقىت عليك المحبة مني، وعنى بقوله ﴿عَلَىٰ عَيْنِي﴾ بمرأى مني ومحبة وإرادة. وقوله ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتكَ، ثم تأتي من يطلب المراضع لك، فتقول: هل أدلكم على من يكفله؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ استغناء بدلالة الكلام عليه. وإنما قالت أخت موسى

ذلك لهم روي عن السدي، قال: لما ألقته أمه في اليم ﴿قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ فلما التقطه آل فرعون، وأرادوا له الممرضعات، فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فقالت أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾؟ فأخذوها وقالوا: بل قد عرفت هذا الغلام، فدلينا على أهله، قالت: ما أعرفه، ولكن إنما قلت هم للملك ناصحون. وقوله ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني جل ثناؤه بذلك: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الإسرائيلي، فوكزه موسى. وقوله ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يقول تعالى ذكره: فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت، إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم، حتى هربت إلى أهل مدين، فلم يصلوا إلى قتلك وقودك. وكان قتله إياه فيما ذكر خطأ، كما جاء عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَاً، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾". واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ فقال بعضهم: ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختباراً. قال: ثني سعيد بن جبیر، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن قول الله لموسى ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ فسألته على الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا بن جبیر، فإن لها حديثاً طويلاً قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني، قال: فقال ابن عباس: تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك وما يشكون، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب؛ فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم، فقال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فأتَمروا بينهم، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل، فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه؛ فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بأجالهم، وأن الصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تغنوا بني إسرائيل، فصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عاما كل مولود ذكر، فيقل أبنائهم، ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحداً، فتشَبَّ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثرُوا بمن تستحيون منهم، فتخافون مكائرتهم إياكم، ولن يقلوا بمن تقتلون، فأجمعوا أمرهم على ذلك. فحملت أم موسى بهارون في العام المقبل الذي لا يذبح فيه الغلمان، فولدته علانية آمنة، حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى، فوقع في قلبها الهم والحزن، وذلك من الفتون يا ابن جبیر، مما دخل عليه في بطن أمه مما يراده، فأوحى الله إليها ﴿وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وأمرها إذا ولدته أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم، فلما ولدته فعلت ما أمرت به، حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني لو ذبح عندي، فواريته وكفنته كان أحب إلي من أن ألقيه بيدي إلى حيتان البحر ودوابه، فانطلقت به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون، فرأينه فأخذنه، فهممن أن يفتحن الباب، فقال بعضهن لبعض: إن في هذا مالا وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه، فحملته كهيئته لم يحركن منه شيئاً، حتى دفعنه إليها؛ فلما فتحته رأت فيه الغلام، فألقي عليه منها محبة لم يلق مثلاً منها على أحد من الناس ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ من كل شيء إلا من ذكر موسى، فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم، يريدون أن يذبحوه، وذلك من الفتون يا ابن جبیر، فقالت للذباحين: انصرفوا عني، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني

إسرائيل، فأتى فرعون فأستوهبه إياه، فإن وهبه لي كنتم قد أحستتم وأجملتتم، وإن أمر بذبحه لم أملككم، فلما أتت به فرعون قالت ﴿فَرُّهُ عَيْنِي لِى وَلَكَ﴾ قال فرعون: يكون لك، وأما أنا فلا حاجة لي فيه، فقال: والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرت به، لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك، فأرسلت إلى من حولها من كل أنثى لها لبن، لتختار له ظئرا، فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فحزنها ذلك، فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها، فلم يقبل من أحد، وأصبحت أم موسى، فقالت لأختها: قصيه واطلبيه، هل تسمعين له ذكرا، أحي ابني، أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدّها، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون، فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون، فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له، هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك، وذلك من الفتون يا ابن جبير، فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه، رغبتهم في ظؤورة الملك، ورجاء منفعتهم، فتركوها، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر، فجاءت، فلما وضعتها في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنبها، فانطلق البُشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا، فأرسلت إليها، فأتيته بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحبّ حبه شيئا قط، قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي، فيضيع، فإن طابت نفسك أن تعطينيه، فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آله خيرا فعلت، وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدّها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها، فأنبئت الله نباتا حسنا، وحفظه لما قضى فيه، فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم. فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أزيريني ابني فوعدها يوما تزيرها إياه فيه، فقالت لخواصها وظؤورتها وقهارمتها: لا ييقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية والكرامة ليرى ذلك، وأنا باعثة أمينة تحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم، فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون، فلما دخل عليها نحلته وأكرمته، وفرحت به، وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه، وقالت: انطلقن به إلى فرعون، فلينحله، وليكرمه، فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها، فقال عدو من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك، فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا بن جبير، بعد كل بلاء ابتلي به وأريد به، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون، فقالت: ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني، فقالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق، أتت بجمرتين ولؤلؤتين، فقرهنّ إليه، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين، فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل، فقرّب ذلك إليه، فتناول الجمرتين، فزعهما منه مخافة أن تحرقا يده، فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همّ به، وكان الله بالغا فيه أمره. فلما بلغ أشده، وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى

امتنعوا كل امتناع، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة، إذ هو برجلين يقتتلان، أحدهما من بني إسرائيل، والآخر من آل فرعون، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى واشتد غضبه، لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل، وحفظه لهم، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاة غير أم موسى، إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره؛ فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ ثُمَّ قَالَ ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ الأخبار، فأتى فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بيّنة ولا ثبت، فطلبوا له ذلك؛ فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبّتا، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ أن يكون إياه أراد، ولم يكن أراد، وإنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي، فحاجز الفرعوني فقال ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأُمْسِ﴾ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته، فتاركا؛ فانطلق الفرعوني إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين، فسلك موسى الطريق الأعظم، فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم. وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة، فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر، وذلك من الفنون يا بن جبير. وقال آخرون: معنى ذلك: أخلصناك. كما جاء عن مجاهد قال أبو جعفر: وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة، وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المغنية عن الإعادة في هذا الموضع. وقوله ﴿فَلَبِثْتُ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف. ومعنى الكلام: وفتناك فتونا، فخرجت خائفا إلى أهل مدين، فلبثت سنين فيهم. وقوله ﴿ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ يقول جل ثناؤه: ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولا ولمقداره. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ١١ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ١٢ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٣ يقول تعالى ذكره: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ١١ أنعمت عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباء مني لك، واختيارا لرسالتي والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي ﴿اذهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ هارون ﴿بِآيَاتِي﴾ يقول: بأدلتي وحججي، اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرد في ضلاله وغيه، فأبلغاه رسالتي ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما أمرتكما ونهيتكما، فإن ذكركما إياي يقوي عزائمكما، ويثبت أقدامكما، لأنكما إذا ذكرتماني، ذكرتما مني عليكما نعمة جمّة، ومننا لا تحصى كثرة وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن

ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (١١) قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره لموسى وهارون: فقولا لفرعون قولاً لينا، ذكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له، هو أن يكنياه. كما جاء عن السدي وقوله ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ اختلف في معنى قوله ﴿لَعَلَّهُ﴾ في هذا الموضع، فقال بعضهم معناها ها هنا الاستفهام، كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولاً لينا، فانظروا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: معنى لعل هاهنا كي. ووجهوا معنى الكلام إلى ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ فادعوا وعظاه ليتذكر أو يخشى، كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك، بمعنى: لتأخذ أجرك، وافرغ من عملك لعلنا نتغدى، بمعنى: لتتغدى، أو حتى نتغدى، ولكلا هذين القولين وجه حسن، ومذهب صحيح. وقوله ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوانه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه، أن يعجل علينا بالعقوبة، وهو من قولهم: فرط مني إلى فلان أمر: إذا سبق منه ذلك إليه، ومنه: فارط القوم، وهو المتعجل المتقدم أمامهم إلى الماء أو المنزل وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدي، يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدي. وأما التفريط: فإنه التواني، يقال منه: فرطت في هذا الأمر حتى فات: إذا توانى فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (١٣) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿١٤﴾ يقول الله تعالى ذكره: قال الله لموسى وهارون ﴿لَا تَخَافَا﴾ فرعون ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ أعينكما عليه، وأبصركما ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يجري بينكما وبينه، فأفهمكما ما تحاورانه به ﴿وَأَرَى﴾ ما تفعلان ويفعل، لا يخفى علي من ذلك شيء ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا لَهُ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن حجاج وقوله ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل، فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على أنه أرسلنا إليك بذلك، إن أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أريناكها، ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ﴾ من اتبع الهدى ﴿يَقُولُ﴾ والسلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه، يقال: السلام على من اتبع الهدى، ولمن اتبع بمعنى واحد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٥) قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿١٦﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون: قولاً لفرعون إننا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لا نفاذ له، ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته، وإجابة رسله ﴿وتولى﴾ يقول: وأدبر معرضاً عما جئناه به من الحق. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ في هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو قوله: ﴿فَأْتِيَاهُ﴾ فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته، فقال فرعون لهما ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ فخاطب موسى وحده بقوله: يا موسى، وقد وجه الكلام قبل

ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعل ذلك كذلك، لأن المجاورة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع، وذلك نظير قوله ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ وكان الذي يحمل الحوت واحد، وهو فتى موسى، يدل على ذلك قوله ﴿فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحُوتَ وَمَا أُنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾. وقوله ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى له مجيباً: ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه، يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم. أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجاً، وكالذكور من البهائم، أعطاهم نظير خلقها، وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجاً، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فيزوجه بالإناث من البهائم، ولا البهائم بالإناث من الإنس، ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه، ولسائر منافعهم من المطاعم والمشارب، وغير ذلك. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا فيه. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ يقول: خلق لكل شيء زوجة، ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده. قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك، لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شيء خلقه، ولا يعطي المعطي نفسه، بل إنما يعطي ما هو غيره، لأن العطية تقتضي المعطي المعطى والعطية، ولا تكون العطية هي المعطى، وإذا لم تكن هي هو، وكانت غيره، وكانت الصورة كل خلق بعض أجزائه، كان معلوماً أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته، إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دعي إنساناً، فكان قائله قال: أعطى كل خلق نفسه، وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معاني العطية، وإن كان قد يحتمله الكلام. فإذا كان ذلك كذلك، فالأصوب من معانيه أن يكون موجهاً إلى أن كل شيء أعطاه ربه مثل خلقه، فزوجه به، ثم هداه لما بيّنا، ثم ترك ذكر مثل، وقيل ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ كما يقال: عبد الله مثل الأسد، ثم يحذف مثل، فيقول: عبد الله الأسد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ﴿٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: قال فرعون لموسى، إذ وصف موسى ربه جلّ جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان، وكثرة الإنعام على خلقه والأفضال: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول، ولم تصدّق بما تدعو إليه، ولم تخلص له العبادة، ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه، إن كان الأمر على ما تصف من أن الأشياء كلها خلقه، وأنها في نعمة تتقلب، وفي مننه تتصرف، فأجابه موسى فقال: علم هذه الأمم التي مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك، عند ربي في كتاب: يعني في أم الكتاب، لا علم لي بأمرها، وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ يقول: لا يخطئ ربي في تدبيره وأفعاله، فإن كان عذب تلك القرون في عاجل، وعجل هلاكها، فالصواب ما فعل، وإن كان أخر عقابها إلى القيامة، فالحق ما فعل، هو أعلم بما يفعل، لا يخطئ ربي ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ ﴿٥٦﴾ وقوله ﴿مَهْدًا﴾ بمعنى: الذي مهد لكم الأرض مهذا. وقوله ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ يقول: وأهّج لكم في الأرض طرقا. والهاء في قوله فيها: من ذكر الأرض. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يقول: وأنزل من السماء مطرا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذي ينزله من سمائه إلى أرضه، بعد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثناؤه على ربه بما هو أهله، يقول جل ثناؤه: فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا، يعني ألوانا من نبات شتى، يعني مختلفة الطعوم، والأرياح والمنظر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ ﴿٥٧﴾ يقول تعالى ذكره: كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذي أنزلناه من السماء إلى الأرض من ثمار ذلك وطعامه، وما هو من أقواتكم وغذائكم، وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول: إن فيما وصفت في هذه الآية من قدرة ربكم، وعظيم سلطانه لآيات: يعني لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم، وأن لا إله لكم غيره ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ يعني: أهل الحجى والعقول، والنهى: جمع نهيّة،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ﴿٥٨﴾ يقول تعالى ذكره: من الأرض خلقناكم أيها الناس، فأنشأناكم أجساما ناطقة ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يقول: وفي الأرض نعيدكم بعد مماتكم، فنصيركم ترابا، كما كنتم قبل إنشائنا لكم بشرا سويا ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يقول: ومن الأرض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء، فننشئكم منها، كما أنشأناكم أول مرة.. وقوله ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾ يقول: مرة أخرى. كما جاء عن قتادة وابن زيد قال أبو جعفر: فتأويل الكلام إذن: من الأرض أخرجناكم ولم تكونوا شيئا خلقا سويا، وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى، كما أخرجناكم منها أول مرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كَلَهَا فَكَذَّبَ وَابَى﴾ ﴿٥٩﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أرينا فرعون آياتنا، يعني أدلنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولينا، موسى وهارون إليه كلها ﴿فَكَذَّبَ وَابَى﴾ أن يقبل من موسى وهارون ما جاء به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ ﴿٦٠﴾ يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجيئنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئنا به ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لا نعدّاه، لنجيء بسحر مثل الذي جئت به، فننظر أين يغلب صاحبه، لا نخلف ذلك الموعد ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ يقول: بمكان عدل بيننا وبينك ونصّف. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة وكان ابن زيد يقول في قوله ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ قال: مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه، لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضَحَّى﴾ ﴿٥١﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون، حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع: ﴿مَوْعِدُكُمْ﴾ للاجتماع ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يعني يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يترنون فيه ﴿وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ﴾ يقول: وأن يُساق الناس من كل فج وناحية ﴿ضَحَّى﴾ فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وابن جريج وقوله ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ يقول تعالى ذكره: فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحق ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ يقول: فجمع مكره، وذلك جمعه سحرته بعد أخذه إياهم بتعلمه ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ يقول: ثم جاء للموعد الذي وعده موسى، وجاء بسحرته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ ﴿٥٣﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة لما جاء بهم فرعون ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يقول: لا تخلقوا على الله كذبا، ولا تقولوه ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم. وللعرب فيه لغتان: سحت، وأسحت، وسحت، أكثر من أسحت، يقال منه: سحت الدهر، وأسحت مال فلان: إذا أهلكه فهو يسحته سحتا، وأسحته يسحته إسحاتا وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس والسدي وغيرهما وقوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ يقول: لم يظفر من يخلق كذبا، ويقول بكذبه ذلك بحاجته التي طلبها به، ورجا إدراكها به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ ﴿٥٤﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ ﴿٥٥﴾ يقول تعالى ذكره: فتنازع السحرة أمرهم بينهم. وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض، ما جاء عن قتادة، قوله ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمُ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ قال السحرة بينهم: إن كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر. وقال آخرون: بل هو أن بعضهم قال لبعض: ما هذا القول بقول ساحر. كما جاء عن وهب بن منبه، قال: جمع كل ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى المجمع، وفرعون في مجلسه، معه أشراف أهل مملكته، قد استكف له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾ فتراد السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر. وقوله ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ يقول تعالى ذكره: وأسروا السحرة المناجاة بينهم. ثم اختلف أهل العلم في السرار الذي أسروه، فقال بعضهم: هو قول بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحرا فإننا سنغلبه، وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا. وقال آخرون: في ذلك ما جاء عن وهب بن منبه، قال: أشار بعضهم إلى بعض بتناج: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا﴾. وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ﴾ قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا ﴿إِنَّ﴾ بتشديد نونها، وهذان بالألف لإجماع الحجة من القراء عليه، وأنه كذلك هو في خط المصحف، ووجهه إذا قرئ كذلك مشابهته الذين إذ زادوا على الذي النون، وأقر في جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة، فكذلك ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرَانِ﴾ زيدت على هذان نون وأقر في جميع الأحوال الإعراب على حال واحدة،

وهي لغة الحارث بن كعب، وخنعم، وزبيد، ومن وليهم من قبائل اليمن. وقوله ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم، يقال: هو طريقة قومه ونظرة قومه، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه، يقال ذلك للواحد والجمع، وربما جمعوا، فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم، ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُنَّا طَرَايِقَ قِدَادًا﴾ وهؤلاء نظائر قومهم. وأما قوله ﴿الْمُثَلَّى﴾ فإنها تأنيث الأمثل، يقال للمؤنث، خذ المثلثي منهما. وفي المذكر: خذ الأمثل منهما، ووحدت المثلثي، وهي صفة ونعت للجماعة، كما قيل ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وقد يحتمل أن يكون المثلثي أنثى لتأنيث الطريقة. وبنحو ما قلنا في معنى قوله ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقال آخرون: معنى ذلك، وبغيرا ستتكم ودينكم الذي أنتم عليه، من قولهم: فلان حسن الطريقة. كما جاء ابن زيد، في قوله ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ قال: يذهبا بالذي أنتم عليه، بغير ما أنتم عليه، وقرأ ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ قال: هذا قوله: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ وقال: يقول طريقته اليوم طريقة حسنة، فإذا غيرت ذهبت هذه الطريقة. ورؤي عن علي في معنى قوله ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ ما حدثنا به القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق، عن القاسم، عن علي بن أبي طالب، قال: يصرفان وجوه الناس إليهما. قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ وإن كان قولاً له وجه يحتمله الكلام، فإن تأويل أهل التأويل خلافه، فلا أستجيز لذلك القول به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾^(١٦) اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ فقرأه عامة قراء المدينة والكوفة ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ بهمز الألف من ﴿فَأَجْمِعُوا﴾، ووجهوا معنى ذلك إلى: فأحكموا كيدكم، واعزموا عليه، من قولهم: أجمع فلان الخروج، وأجمع على الخروج، كما يقال: أزمع عليه وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ بوصل الألف، وترك همزها، من جمعت الشيء، كأنه وجهه إلى معنى: فلا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به. وكان بعض قارئ هذه القراءة يعتل فيما ذكر لي لقراءته ذلك بكوله ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾.. قال أبو جعفر: والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع، لإجماع الحجة من القراء عليه، وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين، فلا وجه لأن يقال لهم: أجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون، لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده، ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر، بل كان يوم إظهاره، أو كان متفرقاً مما هو عنده، بعضه إلى بعض، ولم يكن السحر متفرقاً عندهم فيجمعونه، وأما قوله ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ فغير شبيه المعنى بقوله ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾ وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعاً حاضراً، فقل: فتولى فرعون فجمع كيده. وقوله ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾ يقول: احضروا وجئوا صففاً، والصف هاهنا مصدر، ولذلك وحد، ومعناه: ثم اتوا صفوفوا، وللصف في كلام العرب موضع آخر، وهو قول العرب: أتيت الصف اليوم، يعني به المصلى الذي يصلي فيه. وقوله ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ يقول: قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره. كما جاء عن وهب بن منبه

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ٦٥ قَالَ بَلْ أَتَقُولُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَنْهَا تَسْعَى ٦٦ يقول تعالى ذكره: فأجمعت السحرة كيدهم، ثم أتوا صفا فقالوا لموسى ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه. واختلف في مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا، فقال بعضهم: كانوا سبعين ألف ساحر، مع كل ساحر منهم جبل وعصا. كالذي جاء عن القاسم بن أبي بزة، قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر، فألقوا سبعين ألف جبل، وسبعين ألف عصا، فألقى موسى عصاه، فإذا هي ثعبان مبین فاغر به فاه، فابتلع جبالهم وعصيتهم ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا﴾ عند ذلك، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها، فعند ذلك ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾. وقال آخرون: بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل. كما جاء عن السدي، قال: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَتَقُولُوا﴾، فألقوا جبالهم وعصيتهم، وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه جبل وعصا. وقال آخرون بل كانوا خمسة عشر ألفا. كما جاء عن وهب بن منبه كما جاء عن ابن جريج، قال: كان السحرة ثلاث مئة من العريش، وثلاث مئة من فيوم، ويشكون في ثلاث مئة من الإسكندرية، فقالوا لموسى: إما أن تلقي ما معك قبلنا، وإما أن نلقي ما معنا قبلك، وذلك قوله ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ وأن في قوله ﴿إِمَّا أَنْ﴾ في موضع نصب، وذلك أن معنى الكلام: اختر يا موسى أحد هذين الأمرين: إما أن تلقي قبلنا، وإما أن نكون أول من ألقى، ولو قال قائل: هو رفع، كان مذهبا، كأنه وجهه إلى أنه خبر، وقوله ﴿قَالَ بَلْ أَتَقُولُوا﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى للسحرة: بل ألقوا أنتم ما معكم قبلي. وقوله ﴿فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَنْهَا تَسْعَى﴾، وفي هذا الكلام متروك، وهو: فألقوا ما معهم من الجبال والعصي، فإذا جبالهم، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر عليه عنه، وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا جبالهم وعصيتهم، فخیل حيثن إلى موسى أنها تسعی. كما جاء عن وهب بن منبه، قال: قالوا يا موسى، ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَتَقُولُوا﴾ فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والجبال، فإذا هي حیات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ٦٨ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ٦٩ يعني تعالى ذكره بقوله: فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده. وقوله ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ يقول تعالى ذكره: قلنا لموسى إذ أوجس في نفسه خيفة ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ على هؤلاء السحرة، وعلى فرعون وجنده، والظاهر لهم ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا﴾ يقول: وألق عصاك تتلع جبالهم وعصيتهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعی. وقوله ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ﴾ اختلفت القراء في قراءة قوله، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ﴾ برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى: إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ﴾ برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى: إن الذي

صنعه كيد سحر. والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة، فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر، ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور، على خلاف ما هو به في حقيقته، فالساحر كائد بالسحر، والسحر كائد بالتخيل، فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب وقوله ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ يقول: ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان. وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول: معنى ذلك: أن الساحر يُقتل حيث وُجد. وذكر بعض نحويي البصرة، أن ذلك في حرف ابن مسعود ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ أَيْنَ أَتَى﴾ وقال: العرب تقول: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، وقال غيره من أهل العربية الأول: جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال: وأما قول العرب: جئتك من حيث لا تعلم، ومن أين لا تعلم، فإنما هو جواب لم يفهم، فاستفهم كما قالوا: أين الماء والعشب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۚ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلُ أَنْ أَدِّنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ﴾ وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه وهو: فألقى موسى عصاه، فتلقت ما صنعوا ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحوّل ثعباناً، فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الجبال والعصي. كما جاء عن سعيد، قال: لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر، ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ۖ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا﴾ فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبین، قال: فتحت فما لها مثل الدحل، ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر، ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر، ثم جاء إليها فقبض عليها، فإذا هي عصا، فخرّ السحرة سجداً ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلُ أَنْ أَدِّنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ قال: فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ﴿وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ قال: فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون. وقوله ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلُ أَنْ أَدِّنَ لَكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: وقال فرعون للسحرة: أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾ يقول: إن موسى لعظيمكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾. وقوله: ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ يقول: فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفاً بين قطع ذلك، وذلك أن يقطع يميني اليمين ويسرى الرجلين، أو يسرى اليمين، ويمنى الرجلين، فيكون ذلك قطعاً من خلاف، وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون، وقد ذكرنا الرواية بذلك. وقوله ﴿وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ يقول: ولأصلبنكم على جذوع النخل كما جاء عن السدي وقادة وقوله ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ يقول: ولتعلمن أيها السحرة أيناً أشد عذاباً لكم، وأدوم، أنا أو موسى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ﴾ ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْثَرُهَا عَلَيْنَا﴾ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ فنتبعك ونكذب من أجلك موسى ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ يقول: قالوا: لن نُؤْثِرَكَ على الذي جاءنا من

البيئات، وعلى الذي فطرنا، ويعني بقوله ﴿فَطَرْنَا﴾ خلقنا، فالذي من قوله ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خفض على قوله ﴿مَا جَاءَنَا﴾ وقد يحتمل أن يكون قوله ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خفضاً على القسم، فيكون معنى الكلام: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات والله، وقوله ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ يقول: فاصنع ما أنت صانع، واعمل بنا ما بدا لك ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يقول: إنما تقدر أن تعذبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى، ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفاً واحداً. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب بن منبه وقوله ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أقرنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعدته ووعدته، وأن ما جاء به موسى حق ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ يقول: ليغفر لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ يقول: ليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به، وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر. كما جاء عن ابن عباس ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ قال: أمرتنا أن نتعلمه. وقوله ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ يقول: والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه، وأبقى عذاباً لمن عصاه وخالف أمره كما جاء عن ابن اسحاق وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قبل السحرة لفرعون ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ﴾ من خلقه ﴿مُجْرِمًا﴾ يقول: مكتسباً الكفر به، ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: فإن له جهنم مأوى ومسكن، جزاء له على كفره ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فتخرج نفسه ﴿وَلَا يَحْيَا﴾ فتستقر نفسه في مقرها فطمئن، ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ موحداً لا يشرك به ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: قد عمل ما أمره به ربه، وانتهى عما نهاه عنه ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات، فأولئك لهم الدرجات العلى. ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي، فقال: هن ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ يعني: جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء ﴿تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير غاية محدودة؛ فالجنات من قوله ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٌ﴾ مرفوعة بالرد على الدرجات. كما جاء عن ابن جريج وقوله ﴿وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ يقول: وهذه الدرجات العلى التي هي جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى، يعني: من تطهر من الذنوب، فأطاع الله فيما أمره، ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَحْشًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ﴾ نبينا ﴿مُوسَىٰ﴾ إذ تابعنا له الحجاج على فرعون، فأبى أن يستجيب لأمر ربه، وطغى وتمادى في طغيانه ﴿أَنْ أَسْرِ﴾ ليلاً ﴿بِعِبَادِي﴾ يعني عبادي من بني إسرائيل، ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقاً يابساً، واليبس واليبس: يجمع أيباس، تقول: وقفوا في أيباس من الأرض، واليبس المخفف: يجمع ييوس. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وأما قوله

﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك، ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذ أوحينا إليه أن أسر بهم، فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر، فغشي فرعون وجنده في اليم ما غشيهم، فغرقوا جميعا ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ يقول جل ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل، وأخذ بهم على غير استقامة، وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار، بأمرهم بالكفر بالله، وتكذيب رسله ﴿وَمَا هَدَى﴾ يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم، وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى، والتصديق به، فأطاعوه، فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك، ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِنْ عُدُوْكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ (٨٠) ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ (٨١) يقول تعالى ذكره: فلما نجا موسى بقومه من البحر، وغشي فرعون قومه من اليم ما غشيهم، قلنا لقوم موسى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِنْ عُدُوْكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن، وقد بينا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما، وذكرنا الشواهد على الصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لهم: كلوا يا بني إسرائيل من شهيات رزقنا الذي رزقناكم، وحلاله الذي طيبناه لكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ يقول: ولا تعتدوا فيه، ولا يظلم فيه بعضكم بعضا. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ يقول: فينزل عليكم عقوبي. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (٨٢) ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٣) يقول تعالى ذكره: ومن يجب عليه غضبي، فينزل به، فقد هوى، يقول فقد تردى فشقي. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ يقول: وإني لذو غفر لمن تاب من شركه، فرجع منه إلى الإيمان لي ﴿وَآمَنَ﴾ يقول: وأخلص لي الألوهة، ولم يشرك في عبادته إياي غيري. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يقول: وأدّى فرائضي التي افترضتها عليه، واجتنب معاصي ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ يقول: ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيئا منه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ قال: أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ (٨٤) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٥﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ وأي شيء أعجلك ﴿عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ فتقدمتهم وخلفتهم ورائك، ولم تكن معهم ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾ يقول: قومي على أثري يلحقون بي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ يقول وعجلت أنا فسبقتهم رب كيما ترضى عني. وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى: ما أعجلك عن قومك، لأنه جل ثناؤه، فيما بلغنا، حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه، وقطع بهم البحر، وعدهم جانب الطور الأيمن، فتعجل موسى إلى ربه،

وأقام هارون في بني إسرائيل يسير بهم على أثر موسى. كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه، ثلاثين ليلة، ثم أتمها بعشر، فتم ميقات ربه أربعين ليلة، تلقاه فيها بما شاء، فاستخلف موسى هارون في بني إسرائيل، ومعه السامري، يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به، فلما كلم الله موسى، قال له ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ ٨٥ ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ ٨٦ يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى: فإننا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل، وذلك كان فتنتهم من بعد موسى. ويعني بقوله ﴿مِنْ بَعْدِكَ﴾ من بعد فراقك إياهم يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ وكان إضلال السامري إياهم دعاء إياهم إلى عبادة العجل. وقوله ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ يقول: فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ متغيظا على قومه، حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ يقول: ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى، ويعدكم جانب الطور الأيمن، وينزل عليكم المن والسلوى، فذلك وعد الله الحسن بني إسرائيل الذي قال لهم موسى: ألم يعدكموه ربكم، وقوله ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يقول: أفضال عليكم العهد بي، وبجميل نعم الله عندكم، وأياديه لديكم، أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم: يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل، وكفركم بالله، فأخلفتم موعدي. وكان إخلافهم موعده، عكوفهم على العجل، وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم، وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل، ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ٨٧

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ٨٨ يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى: ما أخلفنا موعدك، يعنون بموعده: عهده الذي كان عهده إليهم. كما جاء عن مجاهد وقوله ﴿بِمَلِكِنَا﴾ يخبر جل ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ، وقالوا: إنا لم نطق بحمل أنفسنا على الصواب، ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة. واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: ما أخلفنا موعدك بأمرنا. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: معناه: بطاقتنا. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: معناه: ما أخلفنا موعدك بهوانا، ولكننا لم نملك أنفسنا. كما جاء عن ابن زيد وقال أبو جعفر: وكل هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى، لأن من لم يملك نفسه، لغلبة هواه على ما أمر، فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر، وهو لا يملك نفسه وفعله، وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه، فإذا كان ذلك كذلك، فسواء بأي القراءات الثلاث قرأ ذلك القارئ، وذلك أن

من كسر الميم من الملك، فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك، ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه، وجعله من قول القائل: هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات، وأن من فتحها، فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك، غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل: ملكت الشيء أملكه ملكا ومملكة، كما يقال: غلبت فلانا أغلبه غلبا وغلبة، وأن من ضمها فإنه وجه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا، أي ونحن نقدر أن نمتنع منه، لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه، وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضّم، فقال: أيّ ملك كان يومئذ لبني إسرائيل، وإنما كانوا بمصر مستضعفين، فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا، وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك، وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت، لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد. وقوله ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ يقول: ولكننا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم، يعنون من حلي آل فرعون، وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله إياه بذلك، أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم، وقال: إن الله مغنمكم ذلك، ففعلوا، واستعاروا من حلي نساءهم وأمتعتهم، فذلك قولهم لموسى حين قال لهم ﴿أَفْطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرْدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ يقول: فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ يقول: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال، فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة وقوله ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ يقول: فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار، ويعني بالخوار: الصوت، وهو صوت البقر. ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامري العجل، فقال بعضهم: صاغه صياغة، ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرائيل في فمه فخار. كالذي جاء عن قتادة ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ قال: كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم، فهلّموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم، فقذفوها إليه، فصورها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحلي والصورة ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ فجعل يخور خوار البقر، فقال ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾. وقال آخرون في ذلك بما جاء عن السدي، قال: أخذ السامري من تربة الحافر، حافر فرس جبرائيل، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة، فأتمها الله بعشر، قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحل لكم، وإن حلي القبط إنما هو غنيمة، فاجمعوها جميعا، فاحفروا لها حفرة فادفنها، فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها، وإلا كان شيئا لم تأكلوه، فجمعوا ذلك الحلي في تلك الحفرة، فجاء السامري بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى، فعدوا الليلة يوما، واليوم يوما، فلما كان لعشرين خرج لهم العجل، فلما رآه قال لهم السامري ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَتَنِي﴾

فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي ﴿فَكَذَّبَكَ الَّذِي السَّامِرِيُّ﴾ ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الحلي حفرة واطرحوه فيها، فطرحوه، فقفذ السامري تربيته، وقوله: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى، وقوله ﴿فَنَسِيَ﴾ يقول: فضل وترك. ثم اختلف أهل التأويل في قوله ﴿فَنَسِيَ﴾ من قائله ومن الذي وصف به وما معناه قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء، وهو أن ذلك خبر من الله عز ذكره عن السامري أنه وصف موسى بأنه نسي ربه، وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، لإجماع الحجة من أهل التأويل عليه، وأنه عقيب ذكر موسى، وهو أن يكون خبرا من السامري عنه بذلك أشبه من غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ۚ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ۚ﴾ يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل، والقائلين له ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَانْسِيَ﴾ وعابهم بذلك، وسفه أحمالهم بما فعلوا ونالوا منه: أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلههم وإله موسى لا يكلمهم، وإن كلموه لم يرد عليهم جوابا، ولا يقدر على ضر ولا نفع، فكيف يكون ما كانت هذه صفته إلهها؟ كما جاء عن مجاهد ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ العجل. وقوله ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: لقد قال لعبدة العجل من بني إسرائيل هارون، من قبل رجوع موسى إليهم، وقيله لهم ما قال مما أخبر الله عنه ﴿إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ يقول: إنما اختبر الله إيمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار، ليعلم به الصحيح الإيمان منكم من المريض القلب، الشاك في دينه. كما جاء عن السدي وقوله ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ يقول: وإن ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه، فاتبعوني على ما أمركم به من عبادة الله، وترك عبادة العجل، وأطيعوا أمري فيما أمركم به من طاعة الله، وإخلاص العبادة له، وقوله ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ يقول: قال عبدة العجل من قوم موسى: لن نزال على العجل مقيمين نعبده، حتى يرجع إلينا موسى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا هَازُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَلا تَتَّبِعَنِ ۚ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ۚ قَالَ يَا أَهْلَ الْاِثْنِ اثْنًا لَا تَأْخُذْ بِخَبْرِي وَلَا يَرَأْسِي إِلَيَّ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ۚ﴾ واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عدل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه، فقال بعضهم: عدله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد إليه. عن ابن عباس، قال: لما قال القوم ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يُفْتَن، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ وكان له هائبا مطيعا. وقال آخرون: بل عدله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم. كالذي جاء عن ابن جريج، قوله ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَلا تَتَّبِعَنِ﴾ قال: أمر موسى هارون أن يصلح، ولا يتبع سبيل المفسدين، فذلك قوله ﴿أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ﴾ بذلك، وقوله ﴿قَالَ يَا أَهْلَ الْاِثْنِ اثْنًا لَا تَأْخُذْ بِخَبْرِي وَلَا يَرَأْسِي﴾ وفي هذا الكلام متروك، ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه، وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون

ورأسه يجره إليه، فقال هارون ﴿يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِخِيتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾. وقوله ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم، الذي خشيه هارون، فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه، وأقام على دينه في أثر موسى، ويخلف عبدة العجل، وقد ﴿قالوا﴾ له ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فيقول له موسى ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ بسيرك بطائفة، وتركك منهم طائفة وراءك كما جاء عن ابن زيد وقال آخرون: بل معنى ذلك: خشيت أن تقتل فيقتل بعضنا بعضا. كما جاء عن ابن جريج قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عدل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان، فقال له هارون: إني خشيت أن تقول، فرقت بين جماعتهم، فتركت بعضهم وراءك، وجئت ببعضهم، وذلك بين في قول هارون للقوم ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ وفي جواب القوم له وقيلهم ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾. وقوله ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه، من مراقبة الرجل الشيء، وهي مناظرته بحفظه. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ ١٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ١٦ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾ قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري، وما الذي دعاك إلى ما فعلته. كما جاء عن السدي وقوله ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يقول: قال السامري: علمت ما لم يعلموه، وهو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيرا عالما. كما جاء عن ابن جريج، قال: لما قتل فرعون الولدان قالت أم السامري: لو نحيته عني حتى لا أراه، ولا أدري قتله، فجعلته في غار، فأتى جبرائيل، فجعل كف نفسه في فيه، فجعل يرضعه العسل واللبن، فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه، فمن ثم معرفته إياه حين قال: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾. وقال آخرون: هي بمعنى: أبصرت ما لم يبصروه، وقالوا: يقال: بصرت بالشيء وأبصرته، كما يقال: أسرع وسرعت ما شئت. كما جاء عن قتادة ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يعني فرس جبرائيل عليه السلام. وقوله ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ يقول: قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرائيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وأما قوله ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ فإن قراء الأمصار على قراءته بالضاد، بمعنى: فأخذت بكفي ترابا من تراب أثر فرس الرسول. وقوله ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ يقول: فألقيتها ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ يقول: وكما فعلت من إلقائي القبضة التي قبضت من أثر الفرس على الحلية التي أوقد عليها حتى انسبكت فصارت عجلا جسدا له خوار، ﴿سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ يقول: زينت لي نفسي أن يكون ذلك كذلك. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ١٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ١٨ يقول تعالى ذكره: قال موسى للسامري: فاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِكَ أَنْ تَقُولَ: لَا مِسَاسَ: أي لا أمس، ولا أمس.. وذكر أن موسى أمر بني إسرائيل أن لا يؤاكلوه، ولا يخالطوه، ولا يبايعوه، فلذلك قال له: إن لك في الحياة أن تقول لا مساس، فبقي ذلك

فيما ذكر في قبيلته. كما جاء عن قتادة، قال: كان والله السامري عظيمًا من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدو الله نافق بعد ما قطع البحر مع بني إسرائيل، قوله ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ فبقاياهم اليوم يقولون لا مساس. وقوله ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ اختلفت القراءة في قراءته، فقرأه عامة قراء أهل المدينة والكوفة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بضم التاء وفتح اللام بمعنى: وإن لك موعدًا لعذابك وعقوبتك على ما فعلت من إضلالك قومي حتى عبدوا العجل من دون الله، لن يخلفكه الله، ولكن يذيقكه، وقرأ ذلك الحسن وقاتدة وأبو نهبك ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ بضم التاء وكسر اللام، بمعنى: وإن لك موعدًا لن تخلفه أنت يا سامري، وتأولوه بمعنى: لن تغيب عنه قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، لأنه لا شك أن الله موف وعده لخلقه بحشرهم لموقف الحساب، وأن الخلق موافون ذلك اليوم، فلا الله مخلفهم ذلك، ولا هم مخلفوه بالتخلف عنه، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك. وقوله ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ يقول: وانظر إلى معبودك الذي ظلت عليه مقيمًا تعبدته. ﴿لَتُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضم النون وتشديد الراء، بمعنى لنحرقه بالنار قطعة قطعة، وقوله ﴿ثُمَّ لَنُنَاسِفَنَّ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ يقول: ثم لنذريه في البحر تذرية، يقال منه: نسف فلان الطعام بالمنسف: إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه باليد أو الريح. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: ما لكم أيها القوم معبود إلا الذي له عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي أن تكون إلا له ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يقول: أحاط بكل شيء علما فعلمه، فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك، يقال منه: فلان يسع لهذا الأمر: إذا أطاقه وقوي عليه، ولا يسع له: إذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه. وكان قتادة يقول، قوله ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ يقول: ملأ كل شيء علما تبارك وتعالى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني إسرائيل مع موسى ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ يقول: كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك، فلم تشاهدها ولم تعانها، وقوله ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره لمحمد ﷺ: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به، ويتعظ به أهل العقل والفهم، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه، فجعله ذكرى للعالمين، وقوله ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يقول تعالى ذكره: من ولى عنه فأدبر فلم يصدق به ولم يقر ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الإثم العظيم. كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ قال: إثما. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ۖ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: خالدين في وزرهم، فأخرج الخبر جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم،

والمعنى: أنهم خالدون في النار بأوزارهم، ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفي بما ذكر عما لم يذكر. وقوله ﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ يقول تعالى ذكره: وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملا وحق لهم أن يسوءهم ذلك، وقد أوردتهم مهلكة لا منجى منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ يقول تعالى ذكره: وساء لهم يوم القيامة، يوم ينفخ في الصور، فقوله ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ رداً على يوم القيامة، وقد بينا معنى النفخ في الصور، وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور، والصحيح في ذلك من القول عندي بشواهد المغنية عن إعادته في هذا الموضع قبل. وقوله ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله، بمعنى: يوم يأمر الله إسرائيل فينفخ في الصور. وقوله ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ إلى موقف القيامة زرقا، فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق، وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا، كالذي قال الله ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ﴾. وقوله ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: يتهاسون بينهم، ويسر بعضهم إلى بعض: إن لبثتم في الدنيا، يعني أنهم يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقناة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقليلهم ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا﴾ بما يقولون لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم: إن لبثتم في الدنيا إلا يوما. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. وإنما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قليلهم هذا القول يومئذ، إعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعابنون من هول يوم القيامة، وشدة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذات، ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان، حتى يخيّل إلى أعقلهم فيهم، وأذكهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ يقول تعالى ذكره: ويسألك يا محمد قومك عن الجبال، فقل لهم: يذريها ربي تذرية، ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها، ودك بعضها على بعض، وتصيره إياها هباء منبثا ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ يقول تعالى ذكره: فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا، قاعا: يعني: أرضا ملساء، صفصفا: يعني مستويا لا نبات فيه، ولا نشز، ولا ارتفاع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. قال أبو جعفر: وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول: القاع: مستنقع الماء، والصفصف: الذي لا نبات فيه. وقوله ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ يقول: لا ترى في الأرض عوجا ولا أمتا. واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت، قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب. فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج، فيقال: لا ترى فيها يومئذ عوجا، قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على

الاستقامة، كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ أحياناً يميناً، وأحياناً شمالاً لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم، مد حبله حتى ما ترك فيه أمتاً: أي انثناء، وملاً سقاءه حتى ما ترك فيه أمتاً، يعني: من وهن وضعف، فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض، لأن الانخفاض لم يكن إلا عن ارتفاع، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلاً عن الاستواء، ولا ارتفاعاً، ولا انخفاضاً، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَاعَا صَفْصَفًا﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يقول تعالى ذكره: يومئذ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، فيحشرهم إليه ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ يقول: لا عوج لهم عنه ولا انحراف، ولكنهم سراعاً إليه ينحشرون، وقيل: لا عوج له، والمعنى: لا عوج لهم عنه، لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه، ولكنهم يؤمنونه ويأتونه، كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها، وقوله ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع، والمعنى لأهلها إنهم خضع جميعهم لربهم، فلا تسمع لناطق منهم منطلقاً إلا من أذن له الرحمن. كما حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ يقول: سكنت. وقوله ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يقول: إنه وطء الأقدام إلى المحشر، وأصله: الصوت الخفي، يقال همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسرّه إليه وأخفاه وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا شفاعته من أذن له الرحمن أن يشفع ورَضِيَ لَهُ قَوْلًا وأدخل في الكلام له دليلاً على إضافة القول إلى كناية "مَنْ" وذلك كقول القائل الآخر: رضيت لك عملك، ورضيته منك، وموضع مَنْ من قوله إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ نَصَبٌ لأنه خلاف الشفاعة. وقوله يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ يقول تعالى ذكره: يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة، وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب وَمَا خَلْفَهُمْ يقول: ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ من أمر الساعة وما خلفهم من أمر الدنيا. وقوله وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علماً. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علماً، ولا يحيط بعباده به علماً، وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم، وأن ملائكته لا يحيطون علماً بما بين أيدي أنفسهم وما خلفهم، وقال: إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة، أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها، موبخهم بذلك ومقرّهم بأن من كان كذلك، فكيف يعبد، وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: استرَّت وجوه الخلق، واستسلمت للحَيِّ القيوم الذي لا يموت، القيوم على خلقه بتدبيره إياهم، وتصريفهم لما شاءوا، وأصل العنو الذل، يقال منه: عنا وجهه لربه يعنوا، يعني خضع له وذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر، فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يثول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن عباس وغيرهما وقوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل إلى موقف القيادة شركا بالله، وكفرا به، وعملا بمعصيته. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ يقول تعالى ذكره وتقدَّست أسماؤه: ومن يعمل من صالحات الأعمال، وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ يقول: وهو مصدِّق بالله، وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه، فيحمل عليه سيئات غيره، فيعاقبه عليها ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ يقول: لا يخاف أن يهضمه حسناته، فينقصه ثوابها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قال: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ قال: لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزداد عليه في سيئاته، ولا يظلم فيهمضم في حسناته. وأصل الهضم: النقص، يقال: هضمني فلان حقي، ومنه امرأة هضيم: أي ضامرة البطن، ومنه قولهم: قد هضم الطعام: إذا ذهب، وهضمت لك من حقك: أي حططتك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ يقول تعالى ذكره: كما رغبنا أهل الإيمان في صالحات الأعمال، بوعدناهم ما وعدناهم، كذلك حذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا، وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا، إذ كانوا عربا ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ بيناه: يقول: وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يقول: كي يتقونا، بتصرفنا ما صرَّفنا فيه من الوعيد ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة، فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التي كذبت الرسل قبلها، ويتزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: فارتفع الذي له العبادة من جميع خلقه، الملك الذي قهر سلطانه كل ملك وجبار، الحق عما يصفه به المشركون من خلقه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وَحْيُهُ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ولا تعجل يا محمد بالقرآن، فترقرئه أصحابك، أو تقرأه عليهم، من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه، وقيل: لا تتله على أحد، ولا

تمله عليه حتى نبينه لك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن عباس وقوله وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا يقول تعالى ذكره: وقل يا محمد: رب زدني علما إلى ما علمتني أمره

بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وإن يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرّف لهم في هذا القرآن من الوعيد عهدي، ويخالفوا أمري، ويتركوا طاعتي، ويتبعوا أمر عدوهم إبليس، ويطيعوه في خلاف أمري، فقديمًا ما فعل ذلك أبوهم آدم ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى﴾ يقول: ولقد وصينا آدم وقلنا له ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ ووسوس إليه الشيطان فأطاعه، وخالف أمري، فحلّ به من عقوبتي ما حلّ. وعن جَلِّ ثَنَاهُ بقوله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ هؤلاء الذين أخبر أنه صرّف لهم الوعيد في هذا القرآن، وقوله ﴿فَنَسِيَ﴾ يقول: فترك عهدي. كما جاء قال ابن زيد، في قوله ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال: قال له ﴿يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿لَا تَطْمَأْنِنُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾ وقرأ حتى بلغ ﴿وَمُلْكُ لَا يَبْلَى﴾ قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك، قال: وهذا عهد الله إليه، قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي حسده، وأبى أن يسجد له مع من سجد له إبليس، وعصى الله الذي كرمه وشرّفه، وأمر ملائكته فسجدوا له. وقوله ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ يختلف أهل التأويل في معنى العزم هاهنا، فقال بعضهم: معناه الصبر. وقال آخرون: بل معناه: الحفظ، قالوا: ومعناه: ولم نجد له حفظًا لما عهدنا إليه. كما جاء عن عطية وجاء، عن أبي أمامة قال: لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة، ووضعت في كفة ميزان. ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى، لرجح حلمه بأحلامهم، وقد قال الله تعالى ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال أبو جعفر: وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء، يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه، ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء، ومنه الصبر على الشيء، لأنه لا يجزع جازع إلا من خور قلبه وضعفه، فإذا كان ذلك كذلك، فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى، وهو قوله ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب، على الوفاء لله بعهده، ولا على حفظ ما عهد إليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا ﷺ، ما كان من تضييع آدم عهده، ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه، إلا من عصمه الله منهم ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾ أن يسجد له ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ ولذلك من شأنه لم يسجد لك، وخالف أمري في ذلك وعصاني، فلا تطيعاه فيما يأمركما به، فيخرجكما بمعصيتكما ربكما، وطاعتكما له ﴿مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ يقول: فيكون عيشك من كدّ يدك، فذلك شقاؤه الذي حدّره ربه. كما جاء عن سعيد، قال: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يحرث عليه، ويمسح العرق من جبينه، فهو الذي قال الله تعالى ذكره ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ فكان ذلك شقاؤه، وقال تعالى ذكره ﴿فَتَشْقَى﴾ ولم يقل: فتشقى، وقد قال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ﴾ لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام، فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه، فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة، إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه. كما قال ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ اجتزئ

بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ۚ قَوْسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَذِلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة ﴿إِنَّ لَكَ﴾ يا آدم ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ و"أن" في قوله ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ في موضع نصب بيان التي في قوله: ﴿إِنَّ لَكَ﴾. وقوله ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ اختلقت القراء في قراءتها، فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر: وإنك، على العطف على قوله ﴿إِنَّ لَكَ﴾، وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة وأنك، بفتح ألفها عطفا بها على "أن" التي في قوله ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾، ووجهوا تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا، فهذه القراءة أعجب القراءتين إليّ، لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة، فكون ذلك بأن يكون عطفا على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبر مبتدأ، وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب، وعني بقوله ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ لا تعطش في الجنة ما دمت فيها ﴿وَلَا تَصْحَىٰ﴾، يقول: لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وسعيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۚ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس، وخالفا أمر ربهما ﴿فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ يقول: فانكشفت لهما عوراتهما، وكانت مستورة عن أعينهما. كما جاء عن السدي، قال: إنما أراد، يعني إبليس بقوله ﴿هَلْ أَذِلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ﴾ ليبيدي لهما ما توارى عنهما من سواتهما، بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء، فأكلت ثم قالت: يا آدم كل، فإنني قد أكلت، فلم يضرني، فلما أكل آدم بدت سواتهما. وقوله ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ يقول: أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة. وقوله ﴿وَهَدَىٰ﴾ يقول: وهداه للتوبة، فوفقه لها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُذًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الله تعالى لآدم وحواء ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا إِلَى الْأَرْضِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يقول: أنتما عدو إبليس وذريته، وإبليس عدوكما وعدو ذريتهما. وقوله ﴿فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يقول: فإن يأتكم يا آدم وحواء وإبليس مني هدى: يقول: بيان لسبيلي، وما أختاره لخلق من دين ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُذًى﴾ يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به، ولم يزع منه ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ يقول: فلا يزول عن محجة الحق، ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة بعقاب الله، لأن الله يدخله الجنة، وينجي من عذابه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُذًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ١٢٥ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ١٢٦

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ ١٢٦ يقول تعالى ذكره ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ الذي أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له، ولم يتعظ به فينزع عما هو عليه مقيم من خلافه أمر ربه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ يقول: فإن له معيشة ضيقة، والضنك من المنازل والأماكن والمعاش: الشديد، يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقاً، وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجمع بلفظ واحد وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس واختلف أهل التأويل في الموضع الذي جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك، والحال التي جعلهم فيها قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثنا عمي عبد الله بن وهب، قال: أخبرني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن ابن حُجيرة عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أَتَذَرُونَ فِيمَ أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ أَتَذَرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكُ؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ أَنَّهُ لَيَسْلُطَ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ تَيْبًا، أَتَذَرُونَ مَا التَّيْبُ: تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ حَيَّةً، لِكُلِّ حَيَّةٍ سَبْعَةُ رُءُوسٍ، يَنْفَخُونَ فِي جَسَدِهِ وَيَلْسَعُونَهُ وَيَخْدِشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ". وإن الله تبارك وتعالى اتبع ذلك بقوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ فكان معلوماً بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة، لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ معنى مفهوم، لأن ذلك إن لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة، حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه، بطل معنى قوله ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾، فإذا كان ذلك كذلك، فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا، أو في قبورهم قبل البعث، إذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا، فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا، فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار، فإن معيشته فيها ضنك، وفي وجودنا كثيراً منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى، القائلين له المؤمنين في ذلك، ما يدل على أن ذلك ليس كذلك، وإذا خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث، وهو أن ذلك في البرزخ. وقوله ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية، قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره، وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشيء كما أخبر جل ثناؤه، فعم ولم يخصص. وقوله ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم في ذلك، ما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرزاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ لا حجة لي. وقوله ﴿وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وقد كنت بصيراً بحجتي كما جاء عن مجاهد وقال آخرون. بل معناه: وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء. كما جاء عن قتادة قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عز شأنه وجل ثناؤه، عم بالخبر عنه

بوصفه نفسه بالبصر، ولم يخصص منه معنى دون معنى، فذلك على ما عمه، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الآية، قال: رب لم حشرتني أعمى عن حجتني ورؤية الأشياء، وقد كنت في الدنيا ذا بصر بذلك كله. فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ مع معانيته عظيم سلطانه، أجهل في ذلك الموقف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء، أم ما وجه ذلك؟ قيل: إن ذلك منه مسألة لربه يعرفه الجرم الذي استحق به ذلك، إذ كان قد جهله، وظن أن لا جرم له، استحق ذلك به منه، فقال: رب لأي ذنب ولأي جرم حشرتني أعمى، وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا إلا بدون ما يستحق منك من العقاب. وقوله ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ يقول تعالى ذكره، قال الله حينئذ للقائل له: ﴿لَمْ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ فعلت ذلك بك، فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي، وهي حججه وأدلته وبيانه الذي بينه في كتابه، فنسيتها: يقول: فتركها وأعرضت عنها، ولم تؤمن بها، ولم تعمل. وعن بقوله ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ﴾ هكذا أتتك. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا، فتركها وأعرضت عنها، فكذا اليوم ننساك، فتركك في النار. وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك. وروي عن قتادة ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ قال: نسي من الخير، ولم ينس من الشر. وهذا القول الذي قاله قتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد، لأن تركه إياهم في النار أعظم الشر لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (٢٧) يقول تعالى ذكره: وهكذا نجزي: أي نثيب من أسرف فعصى ربه، ولم يؤمن برسله وكتبه، فنجعل له معيشة ضنكا في البرزخ كما قد بينا قبل ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ يقول جل ثناؤه: ولعذاب في الآخرة أشد لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول: وأدوم منها، لأنه إلى غير أمد ولا نهاية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ﴾ (٢٨) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: أفلم يهد لقومك المشركين بالله، ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم، ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا، ويتعظوا بهم، ويعتبروا، وينبوا إلى الإذعان، ويؤمنوا بالله ورسوله، خوفا أن يصيبهم بكفرهم بالله مثل ما أصابهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ لأن قريشا كانت تتجر إلى الشام، فتمر بمساكن عاد وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم، فلذلك قال لهم: أفلم يحذّرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله لهم، وهم على مثل فعلهم مقيمون، وكان الفراء يقول: لا يجوز في كم في هذا الموضع أن يكون إلا نصبا بأهلكتنا، وكان يقول: وهو وإن لم يكن إلا نصبا، فإن جملة الكلام رفع بقوله ﴿يَهْدِي لَهُمْ﴾ ويقول: ذلك مثل قول القائل: قد تبين لي أقام عمرو أم زيد في الاستفهام، وكقوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ ويزعم أن فيه

شيئا يرفع سواء لا يظهر مع الاستفهام، قال: ولو قلت: سواء عليكم صمتكم ودعاؤكم تبين ذلك الرفع الذي في الجملة، وليس الذي قال الفراء من ذلك، كما قال: لأن كم وإن كانت من حروف الاستفهام فإنها لم تجعل في هذا الموضع للاستفهام، بل هي واقعة موقع الأسماء الموصوفة، ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو: أفلم يبين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التي يمضون في مساكنهم، أو أفلم تهدم القرون الهالكة، وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ مَنَ أَهْلَكُنَا﴾ فكم واقعة موقع من في قراءة عبد الله، هي في موضع رفع بقوله ﴿يَهْدِ لَهُمْ﴾ وهو أظهر وجوهه، وأصح معانيه، وإن كان الذي قاله وجه ومذهب على بعد. وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بالأمم المكذبة رسلها قبلهم، وحلول مثلاتنا بهم لكفرهم بالله ﴿لَآيَاتٍ﴾ يقول: لدلالات وعبرا وعظات ﴿لِّأُولِي النُّهَى﴾ يعني: لأهل الحجة والعقول، ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواجهة ما يضره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ١٢٨ فاصبر على ما يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ١٢٩ يقول تعالى ذكره ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ يا محمد أن كل من قضى له أجلا فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم في أم الكتاب وخطه فيه، هم بالغوه ومستوفوه ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ يقول: للزمام الهلاك عاجلا وهو مصدر من قول القائل: لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما: إذا لم يفارقه، وقدم قوله ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ قبل قوله ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما، فاصبر على ما يقولون. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ فقال بعضهم: معناه: لكان موتا. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: معناه لكان قتلا. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر، وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يقول: وصل بشائك على ربك، وقال: بحمد ربك، والمعنى: بحمدك ربك، كما تقول: أعجبتني ضرب زيد، والمعنى: ضربي زيدا، وقوله: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ وذلك صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وهي العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ﴾ وهي ساعات الليل، واحدها: إنى، على تقدير حمل ويعني بقوله ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ صلاة العشاء الآخرة، لأنها تصلى بعد مضي آناء من الليل. وقوله ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾: يعني صلاة الظهر والمغرب، وقيل: أطراف النهار، والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرتا، لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأول، وفي أول طرف النهار الآخر، فهي في طرفين منه، والطرف الثالث: غروب الشمس، وعند ذلك تصلى المغرب، فلذلك قيل أطراف، وقد يحمل أن يقال: أريد به طرفا النهار. وقيل: أطراف، كما قيل ﴿صَعَتُ قُلُوبُنَا﴾ فجمع، والمراد: قلبان، فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر، وآخر طرفه الأول. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كالذي جاء عن جرير بن عبد الله، قال: كنا

جلوسا عند رسول الله ﷺ، فرأى القمر ليلة البدر فقال: "إِنَّكُمْ رَأَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُصَافُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا" ثم تلا ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ وقال ابن زيد، في قوله ﴿وَمِنْ آثَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ قال: من آثاء الليل: العتمة، وأطراف النهار: المغرب والصبح، ونصب قوله ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ عطفا على قوله ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ لأن معنى ذلك: فسبح بحمد ربك آخر الليل، وأطراف النهار. وبنحو الذي قلنا في معنى ﴿آثَاءَ اللَّيْلِ﴾ قال أهل التأويل. وقوله ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ يقول: كي ترضى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ولا تنظر إلى ما جعلنا لضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم، متعة في حياتهم الدنيا، يتمتعون بها، من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ يقول: لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك، ونبليهم، فإن ذلك فإن زائل، وغرور وخدع تضمحل ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ الذي وعدك أن يرزقك في الآخرة حتى ترضى، وهو ثوابه إياه ﴿خَيْرٌ﴾ لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ يقول: وأدوم، لأنه لا انقطاع له ولا نفاذ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، من أجل أن رسول الله ﷺ بعث إلى يهودي يستسلف منه طعاما، فأبى أن يسلفه إلا برهن. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن موسى بن عبيدة، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي رافع، قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى يهودي يستسلفه، فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. كما جاء عن أبي رافع، قال: نزل برسول الله ﷺ ضيف: فأرسلني إلى يهودي بالمدينة يستسلفه، فأبى أن يسلفه، فقال: لا أسلفه إلا برهن، فأخبرته بذلك، فقال: إني لأمين في أهل السماء وفي أهل الأرض، فأحبل درعي إليه، فنزلت ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وقوله ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلى قوله ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ ويعني بقوله: ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ رجالا منهم أشكالا وبزهره الحياة الدنيا: زينة الحياة الدنيا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿وَأْمُرْ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ يقول: واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها أنت ﴿لَا نَسْأَلُكَ﴾ لا نسألك مالا بل نكلفك عملا بيدك، نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلا يقول ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ نحن نعطيك المال ونكسبك، ولا نسألكه، وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا، ولا يرجو له ثوابا. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن هشام بن عروة، قال: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره، فقال ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا

نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿٣٤﴾ ثم ينادي: الصلاة الصلاة، يرحمكم الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه، كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، يقول الله جل ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب، وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها، يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (٣٤) يقول تعالى ذكره: ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزلهم عليهم، ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزلهم بهم بكفرهم بالله، لقالوا يوم القيامة، إذ وردوا علينا، فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى طاعتك، فتتبع آياتك: يقول: فتتبع حجتك وأدلتك وما تنزل عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذل بتعذيبك إيانا ونخزي به. كما حدثني الفضل بن إسحاق، قال: ثنا أبو قتبية سلم بن قتيبة، عن فضيل عن مرزوق، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: "يَحْتَجُّ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ، وَالْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ، وَالصَّبِيُّ الصَّغِيرُ، فَيَقُولُ الْمَغْلُوبُ عَلَى عَقْلِهِ: لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلاً أَنْتَفِعَ بِهِ، وَيَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفِتْرَةِ: لَمْ يَأْتِنِي رَسُولٌ وَلَا نَبِيٌّ، وَلَوْ أَنَّنِي لَكَ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ لَكُنْتُ أَطُوعُ خَلْقَكَ لَكَ وَقَرَأَ: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ وَيَقُولُ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ: كُنْتُ صَغِيرًا لَا أَعْقِلُ قَالَ: فَتَرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ وَيُقَالُ لَهُمْ: رُدُّوْهَا قَالَ: فَيَرُدُّوْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ سَعِيدٌ، وَيَتَلَكَّأُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ بَرُسُلِي لَوْ أَتَيْتُكُمْ؟".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ (٣٥) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول: منتظر لمن يكون الفلاح، وإلى ما يقول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان، فتربصوا يقول: فترقبوا وانتظروا، فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة، أنحن أم أتمم؟ ومن اهتدى يقول: وستعلمون حيثن من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم، وفي "من" من قوله ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾، والثانية من قوله ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ وجهان الرفع، وترك إعمال تعلمون فيهما، كما قال جل ثناؤه ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ والنصب على إعمال تعلمون فيهما، كما قال جل ثناؤه ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ ١ يقول تعالى ذكره: دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم، وأجسامهم، ومطاعمهم، ومشاربهم، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم، ومسألته إياهم ماذا عملوا فيها؛ وهل أطاعوه فيها، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها، أم عصوه فخالفوا أمره فيها؟ ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ يقول: وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة، وعن دنو محاسبته إياهم منهم، واقتربه لهم في سهو وغفلة، وقد أعرضوا عن ذلك، فتركوا الفكر فيه، والاستعداد له، والتأهب، جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء، وشديد الأهوال. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ قال أهل التأويل، وجاء الأثر عن رسول الله ﷺ. كما جاء عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ قال: في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ٢ يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه، وهم يلعبون لاهية قلوبهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ٣ يقول تعالى ذكره ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة: يقول: ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم، لا يتدبرون حكمه ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم. كما حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يقول: غافلة قلوبهم. وقوله ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول: وأسروا هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون، لاهية قلوبهم، النجوى بينهم، يقول: وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا: هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم، إلا بشر مثلكم: يقولون: هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقتكم؟ يعنون بذلك محمدا ﷺ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعلهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله، والتكذيب برسوله وللذين من قوله ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ في الإعراب وجهان: الخفض على أنه تابع للناس في قوله ﴿اَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ والرفع على الرد على الأسماء الذين في قوله ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ من ذكر الناس، كما قيل: ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء، ويكون معناه: وأسروا النجوى، ثم قال: هم الذين

ظلموا. وقوله ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ يقول: وأظهروا هذا القول بينهم، وهي النجوى التي أسروها بينهم، فقال بعضهم لبعض: أتقبلون السحر وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١) اختلفت القراء في قراءة قوله ﴿قُلْ رَبِّي﴾ فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ﴿قُلْ رَبِّي﴾ على وجه الأمر، وقرأه بعض قراء مكة وعامة قراء الكوفة ﴿قَالَ رَبِّي﴾ على وجه الخبر. وكأن الذين قرعوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله: قل يا محمد للقائلين ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ربي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض، لا يخفى عليه منه شيء وهو السميع لذلك كله، ولما يقولون من الكذب، العليم بصدقي، وحقيقة ما أدعوكم إليه، وباطل ما تقولون وغير ذلك من الأشياء كلها. وكأن الذين قرعوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا، قال محمد: ربي يعلم القول خبرا من الله عن جواب نبيه إياهم. والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء، وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقنا المعنى، وذلك أن الله إذا أمر محمدا بقبل ذلك قاله، وإذا قاله فعن أمر الله قاله، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾^(٢) يقول تعالى ذكره: ما صدقوا بحكمة هذا القرآن، ولا أنه من عند الله، ولا أقروا بأنه وحي أوحى الله إلى محمد ﷺ، بل قال بعضهم: هو أهاويل رؤيا رآها في النوم، وقال بعضهم: هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبل نفسه، وقال بعضهم: بل محمد شاعر، وهذا الذي جاءكم به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا﴾ به يقول: قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقا في قوله، إن الله بعثه رسولا إلينا وإن هذا الذي يتلو علينا وحي من الله أوحاه إلينا، ﴿بآيَةٍ﴾ يقول: بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدعي ﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ يقول: كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من إحياء الموتى، وإبراء الأكف، والأبرص، وكنافة صالح، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن عباس وغيرهما وقال تعالى ذكره: بل قالوا: ولا جحد في الكلام ظاهر فيحقق ببل، لأن الخبر عن أهل الجحد والتكذيب، فاجتري بمعرفة السامعين بما دل عليه قوله، بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣) يقول تعالى ذكره: ما آمن من قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا: فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عذبناهم بالهلاك في الدنيا، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أفهؤلاء المكذبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون إن جاءتهم آية ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الأمم الخالية التي أهلكناها برسولها مع مجيئها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) يقول تعالى ذكره لنبيه: وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي خلت

قبل أمتك إلا رجالا مثلهم نوحى إليهم، ما نريد أن نوحى إليهم من أمرنا ونهينا، لا ملائكة، فماذا أنكروا من إرسلنا لك إليهم، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أممهم. وقوله ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول للقائلين لمحمد ﷺ في تناجيهم بينهم: هل هذا إلا بشر مثلكم، فإن أنكرتم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم. كما جاء عن قتادة وقال ابن زيد، في قوله ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: أهل القرآن، والذكر: القرآن. وقرأ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك، ﴿جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ يقول: لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام. قال أبو جعفر: وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ فوحد الجسد وجعله موحدا، وهو من صفة الجماعة، وإنما جاز ذلك لأن الجسد بمعنى المصدر، كما يقال في الكلام: وما جعلناهم خلقا لا يأكلون. وقوله ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ يقول: ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا، وذلك أنهم قالوا لرسول الله ﷺ، كما قد أخبر الله عنهم ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا..﴾ إلى قوله ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ قال الله تبارك وتعالى لهم: ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعلكم بكم، وإنما كنا نرسل إليهم رجالا نوحى إليهم كما أرسلنا إليكم رسولا نوحى إليه أمرنا ونهينا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم صدقنا رسلنا الذين كذبهم أممهم وسألتهم الآيات، فأتيناهم ما سألوه من ذلك، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها، وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذي أتتهم به من آيات ربها، وعدنا الذي وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر برهم بعد مجيء الآية التي سألوا، وذلك كقوله جل ثناؤه ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ وكقوله ﴿وَلَا تَسْوَأْهَا يَسُوءٌ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ ونحو ذلك من المواعيد التي وعد الأمم مع مجيء الآيات، وقوله ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات، ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها، وقوله ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم برهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه، لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم، فيه حديثكم. كما جاء عن مجاهد وغيره وقال آخرون: بل عني بالذكر في هذا الموضع: الشرف، وقالوا: معنى الكلام: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم. قال أبو جعفر: وهذا القول الثاني أشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ١١ فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره: وكثيرا قصمنا من قرية، والقصم: الكسر، يقال منه: قصمت ظهر فلان إذا كسرت، وانقصمت سنه: إذا انكسرت، وهو هاهنا معني به أهلكنا، وكذلك تأوله أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن زيد وقوله ﴿مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ أجرى الكلام على القرية، والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه، وكأن ظلمها كفرها بالله وتكذيبها رسله، وقوله ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأحدثنا بعد ما أهلكنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التي قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم. وقوله ﴿فَلَمَّا أَحْسُوا بِأَسْنَا﴾ يقول: فلما عابنوا عذابنا قد حل بهم ورأوه قد وجدوا مسه، يقال منه: قد أحسست من فلان ضعفا، وأحسته منه ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يقول: إذا هم مما أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجَلَى، يَعْدُونَ منهزمين، يقال منه: ركض فلان فرسه: إذا كدّه سياقه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ ١٣ يقول تعالى ذكره: لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه: يقول: إلى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ومسكنكم. كما جاء عن ابن عباس وغيره واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لعلكم تفقهون وتفهمون بالمسألة. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: بل معناه لعلكم تسألون من دنياكم شيئا على وجه السخرية والاستهزاء. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ١٤ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الذين أحل الله بهم بأسه بظلمهم لما نزل بهم بأس الله: يا ويلنا إنا كنا ظالمين بكفرنا بربنا، فما زالت تلك دعواهم يقول فلم تزل دعواهم، حين أتاهم بأس الله، بظلمهم أنفسهم: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ حتى قتلهم الله، فحصدهم بالسيف كما يُحْصَد الزرع ويستأصل قطعاً بالمناجل، وقوله ﴿خَامِدِينَ﴾ يقول: هالكين قد انطفأت شراقتهم، وسكنت حركتهم، فصاروا همودا كما تخمد النار فطفأ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ١٦ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إلا حجة عليكم أيها الناس، ولتعتبروا بذلك كله، فتعلموا أن الذي دبّرهُ وخلقه لا يشبهه شيء، وأنه لا تكون الألوهية إلا له، ولا تصلح العبادة لشيء غيره، ولم يخلق ذلك عبثا ولعبا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ١٧ يقول تعالى ذكره: لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا، ولكنا لا نفعل ذلك، ولا يصلح لنا فعله ولا ينبغي، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة وقوله ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ كما جاء عن قتادة، قوله ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يقول: ما كنا فاعلين. وجاء عن ابن جريج، قال: قالوا مريم صاحبتة، وعيسى ولده، فقال تبارك وتعالى ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ نساء وولدا ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ قال: من عندنا، ولا خلقنا جنة ولا نارا، ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (١٨) يقول تعالى ذكره: ولكن نزل الحق من عندنا، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله، فيدمغه، يقول: فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة. وقوله ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ يقول: فإذا هو هالك مضمحل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ يقول: ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقيلكم إنه اتخذ زوجة وولدا، وفريتكم عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون تكذبون. وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ فمتفقة معانيه؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته، غير أن أولى العبارات أن يعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا، وله ملك جميع من في السماوات والأرض، والذين عنده من خلقه لا يستكفون عن عبادتهم إياه ولا يعيرون من طول خدمتهم له، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبه، وكل من في السماوات والأرض عبيده، فأني يكون له صاحبة وولد: يقول: أولا تتفكرون فيما تقفرون من الكذب على ربكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنْشِرُونَ (٢١) يقول تعالى ذكره: يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسييحهم إياه. كما جاء عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ و﴿يسبحون الليل والنهار لا يسمون﴾ فقال: هل يثودك طرفك؟ هل يثودك نفسك؟ قال: لا قال: فإنهم ألهموا التسييح كما ألهمتم الطير النفس. وجاء عن عبد الله بن عمر، قال: إن الله خلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة، وجزءا سائر الخلق، وجزأ الملائكة عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءا لرسالته، وجزأ الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجن، وجزءا سائر بني آدم، وجزأ بني آدم عشرة أجزاء، فحمل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء وجزءا سائر بني آدم. وذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه، إذ قال: "تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟ قالوا: ما نسمع من شيء يا نبي الله، قال: إني لأسمع أطيبت السمائم، وما تلام أن تيط وليس فيها موضع راحة إلا وفيه ملك ساجد أو قائم". وقوله ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعني بقوله هم: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذي يحيي ويميت. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: لو كان في السماوات والأرض آلهة تصلح لهم العبادة سوى الله الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له ﴿لَفَسَدَتَا﴾ يقول: لفسد أهل

السموات والأرض ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: فتنزيه لله وتبرئة له مما يفترى به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل رب العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصرفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاءه، لا شيء فوقه يسأله عما يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟ ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وجميع من في السموات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن الضحاك وابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِمْ أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر، وتخلق وتحيي وتميت، قل يا محمد لهم: هاتوا برهانكم، يعني حجتكم يقول: هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ يقول: هذا الذي جئتم به من عند الله من القرآن والتنزيل، ﴿ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ يقول: خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به، وطاعتهم إياه، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ يقول: وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وغيره وقوله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به، وقلة فهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السموات والأرض، تصلح العبادة له سواي فاعبدون يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء، عن قتادة، قوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ قال: أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد، لا يقبل منهم "قال أبو جعفر: أظنه أنا قال": عمل حتى يقولوه ويقروا به، والشرائع مختلفة، في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي القرآن شريعة، حلال وحرام، وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ﴾ وقال هؤلاء الكافرون برهم: اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته، فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا، وتبريّا مما وصفوه به سبحانه، يقول تنزيها له عن ذلك، ما ذلك من صفته ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ يقول: ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بني آدم، ولكنهم عباد مكرمون، يقول: أكرمهم الله. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ

وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١٠٠﴾ قال: قالت اليهود: إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن، فكانت منهم الملائكة، قال الله تبارك وتعالى تكذبوا لهم وردًا عليهم، ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وإن الملائكة ليس كما قالوا، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته. وقوله: ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ يقول جل ثناؤه: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم، ولا يعملون عملاً إلا به. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الله ﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ يثني عليهم ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ يقول تعالى ذكره: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من قائلون وعاملون، وما خلفهم: يقول: وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يقل من الملائكة: إني إله من دون الله ﴿فَذَلِكَ﴾ الذي يقول ذلك منهم ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ يقول: نثيبه على قيله ذلك جهنم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يقول: كما نجزي من قال من الملائكة إني إله من دون الله جهنم، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه، فكفر بالله وعبد غيره، وقيل: عنى بهذه الآية إبليس، وقال قائلو ذلك: إنما قلنا ذلك، لأنه لا أحد من الملائكة قال: إني إله من دون الله سواه. كما جاء عن قتادة وابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم، فيروا بها، ويعلموا أن السماوات والأرض كانتا رتقًا: يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين، يقال منه: رتق فلان الفتق: إذا شده، فهو يرتقه رتقا ورتوقا، ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقاء، ووحد الرتق، وهو من صفة السماء والأرض، وقد جاء بعد قوله ﴿كَانَتَا﴾ لأنه مصدر، مثل قول الزور والصوم والفطر. وقوله ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ يقول: فصدعناهما وفرجناهما. ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السماوات والأرض بالرتق وكيف كان الرتق، وبأي معنى فتق؟ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات، ففتقنا السماء بالغيث والأرض بالنبات. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك لدلالة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ على ذلك، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه. فإن قال قائل: فإن كان ذلك كذلك، فكيف قيل: أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا؟ قيل: إن ذلك مختلف فيه، قد قال قوم: إنما ينزل من السماء السابعة، وقال آخرون: من السماء الرابعة، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا، لم يكن في قوله ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ دليل على خلاف ما قلنا، لأنه لا يمتنع أن يقال السماوات، والمراد منها واحدة فتجمع، لأن كل قطعة منها سماء، كما يقال: ثوب أخلاق، وقميص أسمال. فإن قال قائل: وكيف قيل إن السماوات والأرض كانتا، فالسماوات جمع، وحكم

جمع الإناث أن يقال في قليلة كنّ، وفي كثيره كانت؟ قيل: إنما قيل ذلك لأنهما صنفان، فالسماوات نوع، والأرض آخر، وقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ يقول تعالى ذكره: وأحيينا بالماء الذي نزل من السماء كل شيء. فإن قال قائل: وكيف خص كل شيء حيّ بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار، وغير ذلك مما لا حياة له، ولا يقال له حيّ ولا ميت؟ قيل: لأنه لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لا أرواح فيهنّ وأن في ذوات الأرواح أرواحا، فلذلك قيل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. وقوله ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أفلا يصدقون بذلك، ويقرّون بالهوية من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة. وقوله ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أفلا يصدقون بذلك، ويقرّون بالهوية من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا، أنا جعلنا في الأرض جبلا راسية؟ والرواسي: جمع راسية، وهي الثابتة. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ يقول: أن لا تتكفأ بهم، يقول جل ثناؤه: فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس، وليقدروا بالثبات على ظهرها. كما جاء عن قتادة، قال: كانوا على الأرض تمور بهم لا تستقرّ، فأصبحوا وقد جعل الله الجبال وهي الرواسي أوتادا للأرض، وجعلنا فيها فجاجا سبلا يعني مسالك، واحداها فجّ. وقوله ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهتدوا إلى السير فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ وهو الذي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ للأرض مسموكا، وقوله: ﴿مَحْفُوظًا﴾ يقول: حفظناها من كل شيطان رجيم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يقول: وهؤلاء المشركون عن آيات السماء. ويعني بآياتها: شمسها وقمرها ونجومها. ﴿مُعْرِضُونَ﴾ يقول: يعرضون عن التفكير فيها، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم، ودلائلها على وحدانية خالقها، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها، ولا تصلح إلا له. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار، نعمة منه عليكم وحجة، ودلالة عظيم سلطانه، وأن الألوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معاشكم وأمور دنياكم وآخرتكم، وخلق الشمس والقمر أيضا، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول: كل ذلك في فلک يسبحون. واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية والصواب من القول في ذلك أن يقال: كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحي، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحي، وجائز أن يكون موجا مكفوفاً، وأن يكون قطب السماء، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر، فجمعه أفلاك وإذ كان كل ما دار في كلامها، ولم يكن في كتاب الله، ولا في خبر عن رسول الله ﷺ، ولا عمن يقطع

بقوله العذر، دليل يدل على أيّ ذلك هو من أيّ كان الواجب أن نقول فيه ما قال، ونسكت عما لا علم لنا به. فإذا كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا، فتأويل الكلام: والشمس والقمر، كلّ ذلك في دائر يسبحون. وأما قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ فإن معناه: يَجْرُونَ. وقيل: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون، ولم يقل: يسبحن أو تسبح، كما قيل: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لى سَاجِدِينَ﴾ لأن السجود من أفعال بني آدم، فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم، أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ ٣١ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ٣٢ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما جعلنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ يقول: فهؤلاء المشركون برهم هم الخالدون في الدنيا بعدك، لا ما ذلك كذلك، بل هم ميتون بكلّ حال عشت أو متّ، فأدخلت الفاء في إن وهي جزاء، وفي جوابه، لأن الجزاء متصل بكلام قبله، ودخلت أيضا في قوله فهم لأنه جواب للجزاء، ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين: أحدهما: أن تكون محذوفة، وهي مرادة، والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء فكانه قال: أفهم الخالدون إن متّ. وقوله ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ يقول تعالى ذكره: كل نفس منفوسة من خلقه، معالجة غصص الموت ومتجرعة كأسها. وقوله ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ يقول تعالى ذكره: ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة بتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإلينا يردّون فيجازون بأعمالهم، حسننها وسيئها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ٣٣ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله، ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا﴾ يقول: ما يتخذونك إلا سخريا يقول بعضهم لبعض ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ يعني بقوله: يذكر آلِهَتكم بسوء ويعييبها، تعجبا منهم من ذلك، يقول الله تعالى ذكره: فيعجبون من ذكرك يا محمد آلِهَتهم التي لا تضر ولا تنفع بسوء ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾ الذي خلقهم وأنعم عليهم، ومنه نفعهم، ويبيده ضرهم، وإليه مرجعهم بما هو أهلهم منهم؛ أن يذكروه به ﴿كافرون﴾ والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم، فيقولون: سمعنا فلانا يذكر فلانا، وهم يريدون سمعناه يذكره بقبیح ويعيبه؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ٣٤ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ يقول تعالى ذكره ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ﴾ يعني آدم ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾. واختلف أهل التأويل في تأويله قال أبو جعفر: والصواب من القول في تأويل ذلك عندنا الذي ذكرناه عن قال معناه: خلق الإنسان من عجل في خلقه: أي على عجل وسرعة في ذلك، وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه بُودر بخلق مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم الجمعة، وفي ذلك الوقت

نفخ فيه الروح. وإنما قلنا أولى الأقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب، لدلالة قوله تعالى ﴿سَارِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ علي ذلك. كالذي جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً يَقْلَلُهَا، قَالَ لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ: قَدْ عَلِمْتُ أَيَّ سَاعَةٍ هِيَ، هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، قَالَ اللَّهُ ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَارِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾. فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ﴿سَارِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لبنينا محمد ﷺ: بل هو شاعر، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون آياتي، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكناها بتكذيبها الرسل، إذا أنتها الآيات فلا تستعجلون، يقول: فلا تستعجلوا ربكم، فإننا سنأتيكم بها ونريكموها. وهذا كما جاء عن السدي، قال: لما نفخ فيه يعني في آدم الروح، فدخل في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله له: رحمك ربك، فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه انتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة؛ فذلك حين يقول ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ يقول: خلق الإنسان عجولا. وكما جاء عن مجاهد، في قول الله ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قَالَ: قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق: فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه، ولم تبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقى قبل غروب بالشمس. وقوله ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد ﷺ: متى هذا الوعد: يقول: متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما تعدونا به من ذلك. وقيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كأنهم قالوا ذلك لرسول الله ﷺ وللمؤمنين به، ومتى في موضع نصب، لأن معناه: أي وقت هذا الوعد وأي يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهم النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تلفح وجوههم النار، وهم فيها كالحون، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تلفحها، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾. يقول: ولا لهم ناصر ينصرهم، فيستنقذهم حيثئذ من عذاب الله لما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْثَةٌ فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا تأتي هذه النار التي تلفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبتهتهم: يقول: فتغشاهم فجأة، وتلفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ يقول: فلا يطبقون حين تبتهتهم فتبتهتهم دفعها عن أنفسهم ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يقول: ولا هم وإن لم يطبقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثنها، وإنابة ينيون، لأنها ليست حين عمل وساعة توبة وإنابة، بل هي ساعة مجازاة

وإثابة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن يتخذك يا محمد هؤلاء القائلون لك: هل هذا إلا بشر مثلكم، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون، إذ رأيوك هُزُوا ويقولون: هذا الذي يذكر آلهتكم كفرا منهم بالله، واجترأ عليه، فلقد استهزئ برسول من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أممهم، يقول: فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم، وسخروا منهم من أممهم ما كانوا به يستهزئون: يقول جل ثناؤه: حل بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوفهم نزوله بهم، يستهزءون: يقول جل ثناؤه، فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزائهم بك نظير الذي نزل بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (١٢) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد هؤلاء المستعجلين بالعذاب، القائلين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين من يكلؤكم أيها القوم: يقول: من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمت، وبالنهار إذا تصرفت من الرحمن؟ يقول: من أمر الرحمن إن نزل بكم، ومن عذابه إن حل بكم، وترك ذكر الأمر، وقيل من الرحمن اجتراء بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قوله ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ وقوله بل: تحقيق لجحد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا. ومعنى الكلام: وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالي لهم من أمر الله إذا هو حل بهم ليلا أو نهارا، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتج بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك فلا يعتبرون به، جهلا منهم وسفها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره: هؤلاء المستعجلي ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم، إن نحن أحللنا بهم عذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا؟ ومعناه: أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا، ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة، وما هي به من صفتها، فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها، وقوله: ﴿وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك، وفي معنى يُصْحَبُونَ قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس، وأن ﴿هُمْ﴾ من قوله ﴿وَلَا هُمْ﴾ من ذكر الكفار، وأن قوله ﴿يُصْحَبُونَ﴾ بمعنى: يجارون يصحبون بالجوار؛ لأن العرب محكي عنها أنا لك جار من فلان وصاحب، بمعنى: أجيرك وأمنعك، وهم إذا لم يصحبوا بالجوار، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (١٤) يقول تعالى ذكره: ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا، ولا جار يجيرهم من عذابنا، إذا نحن أردنا عذابهم، فاتكلوا على ذلك، وعصوا

رسلنا اتكالا منهم على ذلك، ولكننا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر، وهم على كفرهم مقيمون، لا تأتيهم منا واعظة من عذاب، ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا، وعبادتهم الأوثان والأصنام، فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم، ولم يعرفوا موضع الشكر، وقوله ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد ﷺ الآيات المستعجلو بالعذاب، أنا نأتي الأرض نخربها من نواحيها بقهرنا أهلها، وغلبتناهم، وإجلاؤهم عنها، وقتلهم بالسيوف، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به، ويحذروا منا أن نزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف، وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه بالروايات عنهم في سورة الرعد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ يقول تبارك وتعالى: أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمدا بالعذاب الغالبون، وقد رأوا قهرنا من أحللنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين، ليس ذلك كذلك، بل نحن الغالبون، وإنما هذا تقريع من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم، يقول: أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه، وقد قهر من ناوَاهُ من أهل أطراف الأرض غيرهم. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون: إنما أُنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحى به إلى من عنده، وأخوفكم به بأسه. وقوله ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ معنى ذلك: ولا يصغي الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكُر ما في وحي الله من المواعظ والذكر، فيتذكر به ويعتبر، فينزجر عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا تلى عليه وأريد به، ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكير فيه، فعل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن مسّت هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك، يعني بالنفحة النصيب والحظ، من قولهم: نفح فلان لفلان من عطائه: إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يقول: لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم، ليعلمن حينئذ غبّ تكذيبهم بك، وليعترفن على أنفسهن بنعمة الله وإحسانه إليهن وكفرانهن أياديهم عندهن، وليقولن يا ويلنا إنا كان ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا، ووضعنا العبادة غير موضعها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ العدل وهو القسْطُ وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يقول: لأهل يوم القيامة، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه، وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى "في" كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة، وقوله ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ يقول: فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله، وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن

بإحسانه، ولا يعاقب مسيئاً إلا بإساءته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وقوله ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾ يقول: وإن كان الذي من عمل الحسنات، أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتينا بها: يقول: جئنا بها فأحضرناها إياه. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان، يعني به الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وذلك هو التوراة في قول بعضهم. كما جاء عن ابن زيد وغيره قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في ذلك أشبه بظاهر التنزيل، وذلك لدخول الواو في الضياء، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك، لكان التنزيل: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياءً، لأن الضياء الذي أتى الله موسى وهارون هو التوراة التي أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم فبصرهم الحلال والحرام، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء. فإن قال قائل: وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان، وإن كانت فيه واو فيكون معناه: وضياء آتيناه ذلك، كما قال ﴿بِرِيشَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا﴾؟ قيل له: إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا، والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل. وقوله ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: وتذكيراً لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ذكرهم بما أتى موسى وهارون من التوراة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: آتينا موسى وهارون الفرقان: الذكر الذي آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما أزرهم من فرائضه فهم من خشيته، يحافظون على حدوده وفرائضه، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون، حذرون أن تقوم عليهم، فيردوا على ربهم قد فرطوا في الواجب عليهم لله، فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبل لهم به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد ﷺ ذكر لمن تذكر به، وموعظة لمن اتعظ به ﴿مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكراً للمتقين ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرون وتقولون هو ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولَى﴾ وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين، كالذي آتينا موسى وهارون ذكراً للمتقين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ ﴿مُوسَى وَهَارُونَ، وَوَفَّقْنَاهُ لِلْحَقِّ، وَأَنْقَذْنَاهُ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، كَمَا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَأَنْقَذْنَاهُ مِنْ قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهَدَيْنَاهُ إِلَى سَبِيلِ

الرشاد توفيقاً منا له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقتادة وقوله ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ يقول: وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له، لا يشرك به شيئاً ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ يعني في وقت قيله وحين قيله لهم ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ يقول: قال لهم: أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقيمون، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها. كما جاء عن مجاهد وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشيء المقيم عليه بشواهد ذلك، وذكرنا الرواية عن أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ۖ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۖ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم: وجدنا آبائنا لهذه الأوثان عابدين، فنحن على ملة آبائنا نعبدها كما كانوا يعبدون، قال إبراهيم لَقَدْ كُنْتُمْ أَيُّهَا الْقَوْمُ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ عِبَادَتَكُمْ إِيَّاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ يقول: في ذهاب عن سبيل الحق، وجور عن قصد السبيل مبين: يقول: بين لمن تأمله بعقل، إنكم كذلك في جور عن الحق قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ؟ يقول: قال أبوه وقومه له: أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ فيما تقول أَمْ أَنْتَ هَازِلٌ لَاعِبٌ مِنَ اللَّاعِبِينَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لهم: بل جئكم بالحق لا اللعب، ربكم رب السماوات والأرض الذي خلقهن، وأنا على ذلكم من أن ربكم هو رب السماوات والأرض الذي فطرهن، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون، ودون كل أحد سواه شاهد من الشاهدين، يقول: فإياه فاعبدوا لا هذه التماثيل التي هي خلقه التي لا تنفع ولا تنفع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ۖ فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً ۖ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۖ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۖ﴾ ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا. من فعل هذا بالكهنة إنه لمن الظالمين، فقالوا: سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. وقوله ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً﴾ يقول: حطّما. كما جاء عن ابن عباس كان سبب فعل إبراهيم صلوات الله عليه بآلهة قومه ذلك، كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكي رجلي فتواطؤوا رجله وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعْفَى النَّاسِ ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ﴾ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فلما لم تجبه، قال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ

صَرَبًا بِالْيَمِينِ ﴿٣٥﴾ فَأَخَذَ فَأَسَ حديد، فنقر كل صنم في حافتيه، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم ﴿٣٦﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٣٧﴾ وقوله ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ يقول: إلا عظيما للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: فعل ذلك إبراهيم بآلهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم، فهي من أن تدفع عن غيرها من أرادها بسوء أبعده، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله، والبراءة من الأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٣٦﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذت، إلا الذي ربط به الفأس إبراهيم: من فعل هذا بآلهتنا؟ إن الذي فعل هذا بآلهتنا لمن الظالمين! أي لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ يقول: قال الذين سمعوه يقول ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ سمعنا فتى يذكرهم بعيب يقال له إبراهيم. كما جاء عن ابن جريج وابن إسحاق وقوله ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض: فأتوا بالذي فعل هذا بآلهتنا الذي سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويدمها على أعين الناس؛ فقليل: معنى ذلك: على رؤوس الناس. وقال بعضهم: معناه: بأعين الناس ومرأى منهم، وقالوا: إنما أريد بذلك أظهروا الذي فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر: كان ذلك على أعين الناس، يراد به كان بأيدي الناس. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فقال بعضهم: معناه: لعل الناس يشهدون عليه، أنه الذي فعل ذلك، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه، وقالوا إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة. كما جاء عن السدي وقاتادة وقال آخرون: بل معنى ذلك: لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به، فيعاقبونه ويرونه. عن ابن إسحاق، قال: بلغ ما فعل إبراهيم بآلهة قومه نمروذ، وأشرف قومه، فقالوا: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾: أي ما يُصنع به، وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا: فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقوبتنا إياه، لأنه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال: انظروا من شهد به فعل ذلك، ولم يقل: أحضروه بمجمع من الناس.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٣٨﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظِقُونَ ﴿٣٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فأتوا بإبراهيم، فلما أتوا به قالوا له: أنت فعلت هذا بآلهتنا من الكسر بها يا إبراهيم؟ فأجابهم إبراهيم: بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق، أو تعبر عن نفسها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: لما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروذ ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظِقُونَ﴾ غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها، فكسرها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ١٦ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ١٧ يقول تعالى ذكره: فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ في أنفسهم، ورجعوا إلى عقولهم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقالوا: إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل في مسألتكم إياه وقيلكم له من فعل هذا بالكهتنا يا إبراهيم، وهذه الكهتك التي فعل بها ما فعل حاضركم فاسألوها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن إسحاق وغيره وقوله ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ يقول جل ثناؤه: ثم غلبوا في الحجة، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون. وذلك كالذي جاء عن ابن إسحاق ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ قال: أرعوا ورجعوا عنه يعني عن إبراهيم، فيما ادعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم، فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال. ثم قالوا: يعني قوم إبراهيم، وعرفوا أنها، يعني الكهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تبطش: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾: أي لا تتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها، وما تبطش بالأيدي فنصدقك، يقول الله ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ في الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾. وقال بعض أهل العربية: معنى ذلك: ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم، فقالوا: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ١٨ أَفٍ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٩ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها ممن أَرادها بسوء، ولا هي تقدر أن تنطق إن سئلت عمن يأتيها بسوء فتخبر به، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا. وقوله ﴿أَفٍ لَكُمْ﴾ يقول: قبحا لكم وللآلهة التي تعبدون من دون الله، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، فتركوا عبادته، وتعبدوا الله الذي فطر السماوات والأرض، والذي بيده النفع والضر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ٢٠ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٢١ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٢٢ يقول تعالى ذكره: قال بعض قوم إبراهيم لبعض: حرِّقوا إبراهيم بالنار ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ يقول: إن كنتم ناصريها، ولم تريدوا ترك عبادتها. وقيل: إن الذي قال ذلك رجل من أكراد فارس. كما جاء عن مجاهد، قال: تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر، فقال: أتدري يا مجاهد من الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار؟ قال: قلت لا قال: رجل من أعراب فارس. قلت: يا أبا عبد الرحمن، أو هل للفارس أعراب؟ قال: نعم الكرد هم أعراب فارس، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار. وقوله ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ في الكلام متروك اجتريء بدلالة ما ذكر عليه منه، وهو: فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها، فقلنا للنار: يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، وذكر أنهم لما أَرادوا إحراقه بنوا له بنيانا، كما جاء عن السدي، قال ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بَنِيَانًا فَاُلْقُوا فِيهِ الْجَحِيمَ﴾ قال: فحبسوه في بيت، وجمعوا له حطباً، حتى إن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله

لأجمعين خطبا لإبراهيم، فلما جمعوا له، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم ﷺ رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا، إبراهيم يحرق فيك، فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه، وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل، فقفوه في النار، فناداها فقال ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فكان جبريل عليه السلام هو الذي ناداها. وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاما لمات إبراهيم من شدة بردها، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفتت، ظنت أنها هي تعني، فلما طفتت النار نظروا إلى إبراهيم، فإذا هو رجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل، وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم، وأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه. وقال قتادة ذكر لنا أن كعبا كان يقول: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وكان كعب يقول: ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه. وجاء عن المنهال بن عمرو، قال: قال إبراهيم خليل الله: ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار. وجاء، عن سعيد، قال: لما ألقى إبراهيم خليل الله ﷺ في النار، قال الملك خازن المطر: رب خليلك إبراهيم، رجا أن يؤذن له فيرسل المطر، قال: فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم يبق في الأرض نار إلا طفتت. وجاء عن أبي هريرة، قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجده يرشح جبينه، فقال عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم. وقال قتادة: لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار، إلا الوزغ. وقال الزهري: أمر النبي ﷺ بقتله، وسماه فويسقا. وقوله ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يقول تعالى ذكره: وأرادوا بإبراهيم كيذا ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ يعني الهالكين. عن ابن جريج ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ قال: ألقوا شيخا منهم في النار لأن يصيبوا نجاته، كما نجى إبراهيم ﷺ، فاحترق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ بَارِكُنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ونجينا إبراهيم ولوطا من أعدائهما نمرود وقومه من أرض العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهي أرض الشام، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم وهاجر إلى الشام. وهذه القصة التي قص، الله من نبأ إبراهيم وقومه تذكير منه بها قوم محمد ﷺ من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان، وأذاهم محمدا على نبيه عن عبادتها، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم، ومخالفتهم دينه، وأن محمدا في براءته من عبادتها وإخلاصه العبادة لله، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام، وفي الصبر على ما يلقي منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم، وأنه مخرجه من بين أظهرهم كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجرة من أرض الشام، مسل بذلك نبيه محمدا ﷺ عما يلقي من قومه من المكروه والأذى، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجى أباه إبراهيم من كفره قومه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (٧٢) يقول تعالى ذكره: ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ويعقوب ولد ولده، نافلة لك. واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ﴿نافلة﴾ فقال بعضهم: عنى به يعقوب خاصة. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب، قالوا: وإنما معنى النافلة: العطية، وهما جميعا من عطاء الله أعطاهما إياه. كما جاء عن عطاء ومجاهد قال أبو جعفر: وقد بينا فيما مضى قبل، أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أي شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم، وهبة منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدل على أي ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله له لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة. وقوله ﴿وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ يعني عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه، وعن بقوله: ﴿كَلَّا﴾ إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدي بهم، ويُتبعون عليه وقوله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَآئِبَتْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ (٧٣) يقول تعالى ذكره: وآتيناهم لوطا حكما، وهو فصل القضاء بين الخصوم، وعلمنا: يقول: وآتيناه أيضا علما بأمر دينه، وما يجب عليه من فرائضه. وفي نصب لوط وجهان: أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا: وآتيناه لوطا، والآخر بمضمر بمعنى: واذكر لوطا. وقوله ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ يقول: ونجينا من عذابنا الذي أحللناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث، وهي قرية سدوم التي كان لوط بعث إلى أهلها، وكانت الخبائث التي يعملونها: إتيان الذكران في أدبارهم، وحذفهم الناس، وتضارطهم في أئديتهم، مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام. كما جاء عن السدي، قال: أخرجهم الله، يعني لوطا وابتنيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه. وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ مخالفين أمر الله، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٧٤) يقول تعالى ذكره: وأدخلنا لوطا في رحمتنا بإنجائنا إياه ما أحللنا بقومه من العذاب والبلاء وإنقاذنا منه إنه من الصالحين: يقول: إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا، ويتتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا، وكان ابن زيد يقول في معنى قوله ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ قال: في الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٥) ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٦) يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبله، ومن قبل إبراهيم ولوط، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده، وكذبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه ﴿قال

نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴿١﴾ فاستجبنا له دعاءه، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ يعني بأهله: أهل الإيمان من ولده وحلائلهم ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني بالكرب العظيم: العذاب الذي أحل بالمكذّبين من الطوفان والغرق، والكرب: شدة الغم، يقال منه: قد كربني هذا الأمر فهو يكرّيني كرباً، وقوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقول: ونصرنا نوحاً على القوم الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا، فأنجيناه منهم، فأغرقناهم أجمعين، إنهم كانوا قوم سوء، يقول تعالى ذكره: إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء، يسيئون الأعمال، فيعصون الله ويخالفون أمره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث. واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان؟ فقال بعضهم: كان نبتاً. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: بل كان ذلك الحرث كرمًا. كما جاء عن ابن مسعود قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ والحرث: إنما هو حرث الأرض، وجائر أن يكون ذلك كان زرعاً، وجائر أن يكون غرساً، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان. وقوله ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ يقول: حين دخلت في هذا الحرث غنم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلاً فرعته أو أفسدته ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ يقول: وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء، ولا يغيب عنا علمه وقوله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ يقول: ففهمنا القضية في ذلك ﴿سُلَيْمَانَ﴾ دون داود، ﴿وَكَلَّا أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يقول: وكلهم من داود وسليمان والرسل الذين ذكرهم في أول هذه السورة أتينا حكماً وهو النبوة، وعلماً: يعني وعلماً بأحكام الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾... إلى قوله ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ يقول: كنا لما حكما شاهدين، وذلك أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي، فلم يبق من حرثي شيئاً، فقال له داود: اذهب فإن الغنم كلها لك، ف قضى بذلك داود، ومّر صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود، فدخل سليمان على داود فقال يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت، فقال: كيف؟ قال سليمان: إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل في كل عام، فقال داود: قد أصبت، القضاء كما قضيت، ففهمها الله سليمان. وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً فرفع ذلك إلى داود، ف قضى بالغنم لأصحاب الزرع، فقال سليمان: ليس كذلك، ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزارها، حتى إذا كان من العام المقبل كهيته يوم أكل، دفعت الغنم إلى ربها وقبض صاحب الزرع زرعها، فقال الله ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. وقال الزهري: وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلاً دخلت ماشيته زرعاً لرجل فأفسدته، ولا يكون النفوس إلا بالليل، فارتفعوا إلى داود، ف قضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع، فانصرفا فمرا بسليمان، فقال: بماذا قضى بينكما نبي الله؟ فقالا قضى بالغنم لصاحب الزرع، فقال: إن

الحكم لعلى غير هذا، انصرفا معي! فأتى أباه داود، فقال: يا نبي الله، قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع؟ قال نعم. قال: يا نبي الله، إن الحكم لعلى غير هذا، قال: وكيف يا بني؟ قال: تدفع الغنم إلى صاحب الزرع، فيصيب من ألبانها وسمونها وأصوافها، وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه، فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم عليها، ردت الغنم على صاحب الغنم، ورد الزرع إلى صاحب الزرع، فقال داود: لا يقطع الله فمك، فقضى بما قضى سليمان، قال الزهري: فذلك قوله ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾... إلى قوله ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. وجاء عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني من سمع الحسن يقول: كان الحكم بما قضى به سليمان، ولم يعنف الله داود في حكمه. وقوله ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا مع داود الجبال، والطير يسبحن معه إذا سبح. وكان قتادة يقول في معنى قوله ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ في هذا الموضع: أي يصلين مع داود إذا صلى. وقوله ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يقول: وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك، ومسخرو الجبال والطير في أم الكتاب مع داود عليه الصلاة والسلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وعلمنا داود صنعة لبوس لكم، واللبوس عند العرب: السلاح كله، درعا كان أو جوشنا أو سيفاً أو رمحاً، وإنما يصف بذلك رمحاً، وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا: عنى الدروع. كما جاء عن قتادة، قوله ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾... الآية، قال: كانت قبل داود صفائح، قال: وكان أول من صنع هذا الحلق وسرد داود. وقوله ﴿لِيُحْصِنَكُمْ﴾ بالياء، بمعنى: لتحصنكم الصنعة، فأنت لتأثيث الصنعة ومعنى قوله: ﴿لِيُحْصِنَكُمْ﴾ كما قراء ذلك بعض القراءة وهو الصواب من القراءة عندنا، أي ليحرزكم، وهو من قوله: قد أحصن فلان جاريته، وقد بينا معنى ذلك بشواهد فيما مضى قبل، والبأس: القتال، وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم إذا ليستموه، ولقيتم فيه أعداءكم من القتل. وقوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ يقول: فهل أنتم أيها الناس شاكرو الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عليكم، يقول: فاشكروني على ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ بن داود ﴿الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وعصوفها: شدة هبوبها، ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يقول: تجري الرياح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان، ثم تعود به إلى منزله بالشام، فلذلك قيل: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾. كما جاء عن محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه قال: كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير، وقام له الجن والإنس حتى يجلس إلى سريره، وكان امرء غزاء، قلما يقعد عن الغزو، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو، أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح، فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته، حتى إذا استقلت أمر الرخاء، فمدته شهراً في روحته، وشهراً في غدوته إلى حيث أراد،

يقول الله عز وجل ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ قَالَ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ قال: فذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان، إما من الجن وإما من الإنس، نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيها وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن راحلون منه إن شاء الله قائلون الشام. وجاء عن قتادة، قوله ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحُ غَاصِفَةٌ﴾... إلى قوله ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ قال: ورث الله سليمان داود، فورثه نبوته وملكه وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين. وقوله ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ يقول: وكنا عالمين بأن فعلنا ما فعلنا لسليمان من تسخيرنا له، وإعطائنا ما أعطيناه من الملك وصلاح الخلق، فعلى علم منا بموضع ما فعلنا به من ذلك فعلنا، ونحن عالمون بكل شيء لا يخفى علينا منه شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا أيضاً لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر، ويعملون عملاً دون ذلك من البنیان والتماثيل والمحاريب ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾، يقول: وكنا لأعمالهم ولأعدادهم حافظين، لا يتودنا حفظ ذلك كله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرٍّ وآتيناهُ أهله ومثلهم معهم رحمةً من عندنا وذكرى للعابدين ﴿٢١٣﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: وأذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضر والبلاء ﴿رب أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ فاستجبنا له يقول تعالى ذكره: فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا، فكشفنا ما كان به من ضرٍّ وبلاء وجهه، وكان الضر الذي أصابه والبلاء الذي نزل به امتحاناً من الله له واختباراً. وكان سبب ذلك كما جاء عن وهب بن منبه يقول: كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه، أنه كان صابراً نعم العبد، قال وهب: إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة في القربة من الله والفضيلة عنده، وإن جبريل هو الذي يتلقى الكلام، فإذا ذكر الله عبداً بخير تلقاه جبرائيل منه، ثم تلقاه ميكائيل، وحوله الملائكة المقربون حافين من حول العرش، وشاع ذلك في الملائكة المقربين، صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السماوات، فإذا صلت عليه ملائكة السماوات، هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض، وكان إبليس لا يُحجَّب بشيء من السماوات، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أرادوا. ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة، فلم يزل على ذلك يصعد في السماوات، حتى رفع الله عيسى ابن مريم، فحُجِبَ من أربع، وكان يصعد في ثلاث، فلما بعث الله محمداً ﷺ حُجِبَ من الثلاث الباقية، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السماوات إلى يوم القيامة ﴿إِلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾... إلى قوله ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾. قال وهب: فلم يرع إبليس إلا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب، وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة، أدركه البغي والحسد، وصعد سريعاً حتى وقف من الله مكاناً كان يقفه، فقال: يا إلهي، نظرت في أمر عبدك أيوب، فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثم لم تجرب به بشدة ولم تجرب به ببلاء، وأنا لك زعيم لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك وليعبدن غيرك، قال الله تبارك وتعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ماله، فإنه الأمر الذي

تزعّم أنه من أجله يشكرني، ليس لك سلطان على جسده، ولا على عقله، فانقضّ عدوّ الله، حتى وقع على الأرض، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم، وكان لأيوب البَشَنِيَّة من الشام كلها بما فيها من شرقها وغربها، وكان له بها ألف شاة برعاتها وخمس مئة فدان يتبعها خمس مئة عبد، لكل عبد امرأة وولد ومال، وحمل آلة كل فدان أتان، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، فلما جمع إبليس الشياطين، قال لهم: ماذا عندكم من القوّة والمعرفة؟ فإني قد سلّطت على مال أيوب، فهي المصيبة الفادحة، والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال، قال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوّة ما إذا شئت تحوّلت إحصارا من نار فأحرقت كل شيء أتى عليه، فقال له إبليس: فأت الإبل ورعاتها، فانطلق يؤمّ الإبل، وذلك حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها، فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفخ منها أرواح السموم، لا يدنو منها أحد إلا احترق فلم يزل يُحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها، فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها براعيها، ثم انطلق يؤمّ أيوب حتى وجده قائما يصلي، فقال: يا أيوب، قال: لبيك، قال: هل تدري ما الذي صنع ربك؟ الذي اخترت وعبدت ووحدت بإبلك ورعاتها، قال أيوب: إنها ماله أعارنيه، وهو أولى به إذا شاء نزع، وقديما ما وطّنت نفسي ومالي على الفناء، قال إبليس: وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها، حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها، فتركت الناس مبهوتين، وهم وقوف عليها يتعجبون، منهم من يقول: ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور، ومنهم من يقول: لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنع وليه، ومنهم من يقول: بل هو فعل الذي فعل لئُشمت به عدوه، وليفجع به صديقه، قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني، وحين نزع مني، عُرِينا خرجت من بطن أمي، وعُرِينا أعود في التراب، وعُرِينا أحشر إلى الله، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته، الله أولى بك، وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع ملك الأرواح، فأجرني فيك وصرت شهيدا، ولكنه علم منك شرّا فأحرك من أجله، فعراك الله من المصيبة، وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخلاص. ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة، فإني لم أكلّم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم عندي من القوّة ما إذا شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه، قال له إبليس: فأت الغنم ورعاتها، فانطلق يؤمّ الغنم ورعاتها، حتى إذا وسّطها صاح صوتا جثمت أمواتا من عند آخرها ورعاءها، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الرّعاء، حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي، فقال له القول الأوّل، وردّ عليه أيوب الرّد الأوّل، ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه، فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة، فإني لم أكلّم قلب أيوب؟ فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة إذا شئت تحوّلت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه، حتى لا أبقى شيئا، قال له إبليس: فأت الفدّادين والحرث، فانطلق يؤمّهم، وذلك حين قربوا الفدّادين وأنشؤا في الحرث، والأتن وأولادها رُتوع، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شيء من ذلك، حتى كأنه لم يكن، ثم خرج إبليس متمثلا بقهرمان الحرث، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي، فقال له مثل قوله الأوّل، وردّ عليه أيوب مثل رده الأوّل. فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله، ولم ينجح منه، صعد سريعا، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه، فقال: يا

إلهي إن أيوب يرى أنك ما متعته بنفسه وولده، فأنت معطيه المال، فهل أنت مسلطي على ولده؟ فإنها الفتنة المضلة، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال، ولا يقوى عليها صبرهم، فقال الله تعالى له: انطلق، فقد سلطتك على ولده، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده، ولا على عقله، فانقضّ عدو الله جوادا، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل ينطح الجُدُر بعضها ببعض، ويرميهم بالخشب والجندل، حتى إذا مثل بهم كل مثله، رفع بهم القصر، حتى إذا أقله بهم فصاروا فيه منكسين، انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه، متغيرا لا يكاد يُعرف من شدة التغير، والمثلة التي جاء متمثلا فيها، فلما نظر إليه أيوب هاله، وحزن ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أفلت من حيث أفلت، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عذبوا، وكيف مثل بهم، وكيف قُلبوا فكانوا منكسين عليّ رءوسهم، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم، وتقطر من أشفارهم، ولو رأيت كيف سُقَّت بطونهم، فتناثرت أمعائهم، ولو رأيت كيف قُذِفوا بالخشب والجندل يشدخ دماغهم، وكيف دقّ الخشب عظامهم، وخرق جلودهم، وقطع عصبهم، ولو رأيت العصب عريانا، ولو رأيت العظام متهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة، ولو رأيت الجُدُر تناطح عليهم، ولو رأيت ما رأيت، قطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرققه حتى رقّ أيوب فبكى، وقبض قبضة من تراب، فوضعها على رأسه، فاغتنم إبليس ﴿الفرصة منه﴾ عند ذلك، فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رُفِع إليه من توبة أيوب، فوقف إبليس خازيا ذليلا فقال: يا إلهي، إنما هوّن عليّ أيوب خطر المال والولد، أنه يرى أنك ما متعته بنفسه، فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليجحدنك نعمتك، قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه، ولا على عقله. فانقضّ عدو الله جوادا، فوجد أيوب ساجدا، فعجلّ قبل أن يرفع رأسه، فأثاه من قبل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخه اشتعل منها جسده، فترهل، ونبت ﴿به﴾: ثأليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكة لا يملكها، فحكّ بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكّ بالعظام، وحكّ بالحجارة الخشنة، وبقطع المسوح الخشنة، فلم يزل يحكه حتى نَقِد لحمه وتقطع، ولما نَغَلَ جلد أيوب وتغير وأتّن، أخرجاه أهل القرية، فجعلوه على تلّ وجعلوا له عريشا، ورفضه خلق الله غير امرأته، فكانت تختلف إليه بما يُصلحه ويلزمه، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه، فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه من غير أن يتركوا دينه واتهموه، يُقال لأحدهم بلدد، وألفز، وصافر، قال: فانطلق إليه الثلاثة، وهو في بلائه، فبكتوه: فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب ﷺ: ربّ لأيّ شيء خلقتني؟ لو كنت إذ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة الفتنى أمي، ويا ليتني مت في بطنها، فلم أعرف شيئا ولم تعرفني، ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري، وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقني بآبائي، فالموت كان أجمل بي، فأسوة لي بالسلطين الذي صُفّت من دونهم الجيوش، يضربون عنهم

بالسيوف بخلا بهم عن الموت، وحرصا على بقائهم، أصبحوا في القبور جاثمين، حتى ظنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالملوك الذين كنزوا الكنوز، وطَمَرُوا المطامير، وجمعوا الجموع، وظنوا أنهم سيخلدون، وأسوة لي بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون، وعاشوا فيها المئين من السنين، ثم أصبحت خرابا، مأوى للوحوش، ومثنى للشياطين. قال أليفر التيماني: قد أعيانا أمرُك يا أيوب، إن كلمناك فما نرج للحديث منك موضعا، وإن نسكت عنك مع الذي نرى فيك من البلاء، فذلك علينا، قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا، فإنما يحصد امرؤ ما زرع، ويجزى بما عمل، أشهد على الله الذي لا يقدر قدر عظمته، ولا يحصى عدد نعمه، الذي ينزل الماء من السماء فيحيي به الميت، ويرفع به الخافض، ويقوي به الضعيف: الذي تفضل حكمة الحكماء عند حكمته، وعلم العلماء عند علمه، حتى تراهم من العي في ظلمة يمجون، أن من رجا معونة الله هو القوي، وإن من توكل عليه هو المكفي، هو الذي يكسر ويجبر ويجرح ويدوي. قال أيوب: لذلك سكت فعَضَضْتُ على لساني، ووضعت لسوء الخدمة رأسي، لأنني علمت أن عقوبته غيرت نور وجهي، وأن قوته نزعَتْ قوَّةَ جسدي، فأنا عبده، ما قضى عليَّ أصابني، ولا قوَّةَ لي إلا ما حمل عليَّ، لو كانت عظامي من حديد، وجسدي من نحاس، وقلبي من حجارة، لم أطق هذا الأمر، ولكن هو ابتلاني، وهو يحمله عني، أتيتموني غضا، رهتم قبل أن تسترهبوا، وبكيتم من قبل أن تضربوا، كيف بي لو قلت لكم: تصدَّقوا عني بأموالكم، لعل الله أن يخلصني، أو قَرَّبوا عني قربانا لعل الله أن يتقبله مني ويرضى عني، إذا استيقظت تَمَيَّنْتَ النوم رجاء أن أسترخ، فإذا نمت كادت تجود نفسي، تقطعت أصابعي، فإني لأرفع اللقمة من الطعام بيدي جميعا فما تبلغان فمي إلا على الجهد مني، تساقطت لهواتي ونخر رأسي، فما بين أذني من سداد، حتى إن أحدهما لترى من الأخرى، وإن دماغِي ليسيل من فمي، تساقط شعري عني، فكأنما حُرِّق بالنار وجهي، وحدقتا هما متدلّيتان على خدي، ورم لساني حتى ملأ فمي، فما أدخل فيه طعاما إلا غصني، وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي، والسفلى ذقي، تقطعت أمعائي في بطني، فإني لأدخل الطعام فيخرج كما دخل، ما أحسه ولا ينفعني، ذهبت قوة رجلي، فكأنهما قربتا ماء مُلْتَأ، لا أطيق حملهما، أحمل لحافي بيدي وأسنانِي، فما أطيق حمله حتى يحمله معي غيري، ذهب المال فصرت أسأل بكفي، فيطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة، فيمنها عليَّ ويعيرني، هلك بَيَّ وبناتي، ولو بقي منهم أحد أعانني على بلائي ونفعي، وليس العذاب بعذاب الدنيا، إنه يزول عن أهلها، ويموتون عنه، ولكن طوبى لمن كانت له راحة في الدار التي لا يموت أهلها، ولا يتحولون عن منازلهم، السعيد من سعد هنالك والشقي من شقي فيها. قال بلدد: كيف يقوم لسانك بهذا القول، وكيف تفصح به، أ تقول إن العدل يجور، أم تقول إن القوي يضعف؟ ابك على خطيئتك وتضرع إلى ربك عسى أن يرحمك، ويتجاوز عن ذنبك، وعسى إن كنت بريئا أن يجعل هذا لك ذخرا في آخرتك، وإن كان قلبك قد قسا فإن قولنا لن ينفعك، ولن يأخذ فيك، هيهات أن تنبت الآجام في المفاوز، وهيهات أن ينبت البردي في الفلاة، من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنع، ومن جحد الحق كيف يرجو أن يوفي حقه؟ قال أيوب: إني لأعلم أن هذا هو الحق، لن يُفْلَج العبد على ربه، ولا يطيق أن يخاصمه، فأني كلام لي معه، وإن كان إليَّ القوَّة هو الذي سمك

السما فآقامها وحده، وهو الذي يكشطها إذا شاء فتنتوي له، وهو الذي سطح الأرض فدحاها وحده، ونصب فيها الجبال الراسيات، ثم هو الذي يزلزلها من أصولها حتى تعود أسافلها أعاليها، وإن كان في الكلام، فأَيُّ كلام لي معه، من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة، فحشاها السماوات والأرض وما فيهما من الخلق، فوسعه وهو في سعة واسعة، وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله، وأمرها، فلم تعد أمره، وهو الذي يفقه الحيتان والطير وكل دابة، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ويأمرها فتطيعه. قال أليفز: عظيم ما تقول يا أيوب، إن الجلود لتقشع من ذكر ما تقول، إنما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته، مثل هذه الحدة، وهذا القول أنزلك هذه المنزلة، عظمت خطيئتك، وكثر طلابك، وعَصَبْتَ أهل الأموال على أموالهم، فلبست وهم عراة، وأكلت وهم جياع، وحسبت عن الضعيف بابك، وعن الجائع طعامك، وعن المحتاج معروفك، وأسررت ذلك وأخفيت في بيتك، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها، فظننت أن الله لا يجزيك إلا على ما ظهر منك، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيب في بيتك، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون وما تحت الظلمات والهواء؟ قال أيوب ﷺ: إن تكلمت لم ينفعني الكلام، وإن سكت لم تعذروني، قد وقع علي كيدي، وأسخطت ربي بخطيئتي، وأشمت أعدائي، وأمكنتهم من عنقي، وجعلتني للبلاء غرضا، وجعلتني للفتنة نصبا، لم تنفسي مع ذلك، ولكن أتبعني بلاء على إثر بلاء، ألم أكن للغريب دارا، وللمسكين قرارا، ولليتيم وليا، وللأرملة قيما؟ ما رأيت غريبا إلا كنت له دارا مكان داره وقرارا مكان قراره، ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالا مكان ماله وأهلا مكان أهله، وما رأيت يتيما إلا كنت له أبا مكان أبيه، وما رأيت أيما إلا كنت لها قيما ترضى قيامه، وأنا عبد ذليل، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان، لأن المن لربي وليس لي، وإن أسأت فبيده عقوبتي، وقد وقع علي بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟ قال أليفز: أحتاج الله يا أيوب في أمره، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ، أو تبرئها وأنت غير بريء؟ خلق السماوات والأرض بالحق، وأحصى ما فيهما من الخلق، فكيف لا يعلم ما أسررت، وكيف لا يعلم ما عملت فيجزيك به؟ وضع الله ملائكة صفوفًا حول عرشه وعلى أرجاء سماواته، ثم احتجب بالنور، فأبصارهم عنه كليل، وقوتهم عنه ضعيفة، وعزيزهم عنه ذليل، وأنت تزعم أن لو خاصمك، وأدلى إلى الحكم معك، وهل تراه فتناصفه، أم هل تسمعه فتحاوره؟ قد عرفنا فيك قضاء، إنه من أراد أن يرتفع وضعه، ومن اتضع له رفعه. قال أيوب ﷺ: إن أهلكني فمن ذا الذي يعرض له في عبده ويسأله عن أمره، لا يرد غضبه شيء إلا رحمته، ولا ينفع عبده إلا التضرع له، قال: رب أقبل علي برحمتك، وأعلمني ما ذنبي الذي أذنبت؟ أو لأي شيء صرفت وجهك الكريم عني، وجعلتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني، ليس يغيب عنك شيء تحصي قطر الأمطار، وورق الأشجار، وذرّ التراب، أصبح جلدي كالثوب العفن، بأيه أمسكت سقط في يدي، فهب لي قربانا من عندك وفرجا من بلائي، بالقدرة التي تبعت موتى العباد، وتشر بها ميت البلاد، ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبي، ولا تفسد عمل يديك، وإن كنت غنيا عني، ليس ينبغي في حكمك ظلم، ولا في نعمتك عجل، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، وإنما يعجل من يخاف الفوت، ولا تذكرني خطئي وذنوبي، اذكر كيف خلقتني من طين، فجعلت مضغة، ثم خلقت

المضغعة عظاما، وكسوت العظام لحما وجلدا، وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة، وربيتني صغيرا، ورزقتني كبيرا، ثم حفظت عهدك وفعلت أمرك، فإن أخطأت فبين لي، ولا تهلكني غمًا، وأعلمني ذنبي، فإن لم أرضك فأنا أهل أن تعذبني، وإن كنت من بين خلقك تحصي عليّ عملي، وأستغفرك فلا تغفر لي، إن أحسنت لم أرفع رأسي، وإن أسأت لم تبلعني رiqي، ولم تقلني عثرتي، وقد ترى ضعفي تحتك، وتضرّعي لك، فلم خلقتني، أو لم أخرجتني من بطن أمي، لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك، وليس جسدي يقوم بعذابك، فارحمني وأدقني طعم العافية من قبل أن أصير إلى ضيق القبر وظلمة الأرض، وغمّ الموت. قال صافر: قد تكلمت يا أيوب، وما يطيق أحد أن يحبس فمك، تزعم أنك بريء، فهل ينفعك إن كنت بريئا وعليك من يحصي عملك، وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك، هل تعلم سمك السماء كم بُعده؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده؟ أم هل تعلم أيّ الأرض أعرضها؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به؟ أم هل تعلم أيّ البحر أعماقه؟ أم هل تعلم بأيّ شيء تحبسه؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه، فإن الله خلقه وهو يحصيه، لو تركت كثرة الحديث، وطلبت إلى ربك رجوت أن يرحمك، فبذلك تستخرج رحمته، وإن كنت تقيم على خطيئتك وترفع إلى الله يديك عند الحاجة وأنت مُصِرّ على ذنبك إصرار الماء الجاري في صَبّ لا يستطيع إحباسه، فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسودّ وجوه الأشرار، وتظلم عيونهم، وعند ذلك يسرّ بنجاح حوائجهم الذين تركوا الشهوات ترينا بذلك عند ربهم، وتقدّموا في التضرّع، ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها، وهم الذين كابدوا الليل، واعتزلوا الفرش، وانتظروا الأسحار. قال أيوب: أنتم قوم قد أعجبتمكم أنفسكم، وقد كنت فيما خلا والرجال يُوقرونني، وأنا معروف حقي منتصف من خصمي، قاهر لمن هو اليوم يقهرني، يسألني عن علم غيب الله لا أعلمه ويسألني، فلعمري ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك، ولكنه يبكي معه، وإن كنت جادا فإن عقلي يقصر عن الذي تسألني عنه، فسل طير السماء هل تخبرك، وسل وحوش الأرض هل ترجع إليك؟ وسل سباع البرية هل تجيبك؟ وسل حيتان البحر هل تصف لك كل ما عددت؟ تعلم أن صنع هذا بحكمته، وهبأه بلطفه. أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه، وما طعم بفيه، وما شمّ بأنفه، وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه، له الحكمة والجبروت، وله العظمة واللطف، وله الجلال والقدرة، إن أفسد فمن ذا الذي يصلح؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يُفصح؟ إن نظر إلى البحار ييسر من خوفه، وإن أذن لها ابتلعت الأرض، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تَبَهّت الملوك عند ملكه، وتطيش العلماء عند علمه، وتعي الحكماء عند حكمته، ويخسأ المبطلون عند سلطانه، هو الذي يذكر المنسي، وينسى المذكور، ويجري الظلمات والنور، هذا علمي، وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي، وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي. قال بلدد: إن المناقق يجزى بما أسرّ من نفاقه، وتضلّ عنه العلانية التي خادع بها، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها، ويهلك ذكره من الدنيا ويظلم نوره في الآخرة، ويوحش سبيله، وتوقعه في الأحبولة سريرته، وينقطع اسمه من الأرض، فلا ذكر فيها ولا عمران، لا يرثه ولد مصلحون من بعده، ولا يبقى له أصل يعرف به، ويهت من يراه، وتقف الأشعار عند ذكره. قال أيوب: إن أكن غويا فعليّ غواي، وإن أكن برياء فأيّ منعة عندي، إن

صرخت فمن ذا الذي يصرخني، وإن سكتُ فمن ذا الذي يَعْذُرني، ذهب رجائي وانقضت أحلامي، وتنكرت لي معارفي؛ دعوت غلامي، فلم يجبني، وتضرعت لأمتي فلم ترحمني، وقع عليّ البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشدّ عليّ من مصيبي، انظروا واهتوا من العجائب التي في جسدي، أما سمعتم بما أصابني، وما شغلكم عني ما رأيتم بي، لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سماواته، وألقاني هاهنا، وهنت عليه، لا هو عذري بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعي ولا أسمع، ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلّى لي لذابت كليتي، وصعق روحي، ولو نفسي فأتكلم بملء فمي، ونزع الهيبة مني، علمت بأيّ ذنب عذّبتني، نودي فقيل: يا أيوب، قال: لبيك، قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار في فم الأسد، والسّخال في فم العنقاء، واللحم في فم التنين، ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرّة من الشمس، ويردّ أمس لغد، لقد متّك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوّتك، ولو كنت إذ متّك نفسك ذلك ودعتك إليه تذكرت أيّ مرام رام بك، أردت أن تخاصمني بعَيْك؟ أم أردت أن تحاجيني بخطئك، أم أردت أن تكاثرنني بضعفك، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل علمت بأيّ مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمرّ بأطرافها؟ أم تعلم ما بُعد زواياها؟ أم على أيّ شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل ماء الأرض؟ أم بحكمته كانت الأرض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلاق ثبتت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبتت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال، هل لك من ذراع تطبيق حملها، أم هل تدري كم مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أمّ تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب، وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعد؟ أم من أيّ شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بُعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل؟ وأين طريق النور؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزانة الريح، كيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار، ومن ذكّت الملائكة لملكه، وقهر الجبارين بجبروته، وقسم أرزاق الدواب بحكمته، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معاشها، وعطفها على أفراسها، من أعقق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلطين، أمن حكمتك تفرّعت أفراس الطير، وأولاد الدوابّ لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطف أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت مكانه في منقطع التراب، والوتينان يحملان الجبال والقرى والعمران، أذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤوسهما، كأنها آكام

الجبّال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكأن جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمَد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدا؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدّهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت التّنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السحاب، عينا توفّدان نارا، ومنخره يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، أسرارُه لا تدخله الهموم، تمرّ به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل [زُبُر] الحديد عنده مثل التّين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من الشّباب، ولا يحسّ وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كلّ شيء يمرّ به ملك الوحوش، وإياه آثرت بالقوّة على خلقي، هل أنت آخذة بأحبولتك فرابطه بلسانه، أو واضع اللجام في شدقه، أنظنه يوفي بعهدك، أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره، أم هل تدري أجله، أو تفوت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أنطبق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى؟ قال أيوب عليه السلام: قَصُرْتُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَعْرِضُ لِي، لَيْتَ الْأَرْضُ انشَقَّتْ بِي، فَذَهَبَتْ فِي بِلَائِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ يَسْخَطُ رَبِّي، اجْتَمَعَ عَلَيَّ الْبَلَاءُ، إِلَهِي حَمَلْتَنِي لَكَ مِثْلَ الْعَدُوِّ، وَقَدْ كُنْتُ تَكْرُمْنِي وَتَعْرِفُ نَصْحِي، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الَّذِي ذَكَرْتَ صَنَعَ يَدَيْكَ وَتَدْبِيرَ حَكْمَتِكَ، وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا مَا شِئْتَ عَمَلْتُ، لَا يَعْجُزُكَ شَيْءٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ خَافِيَةٌ، وَلَا تَغِيبُ عَنْكَ غَائِبَةٌ، مَنْ هَذَا الَّذِي يَظُنُّ أَنَّ يُبَسِّرَ عَنْكَ سِرًّا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَخْطُرُ عَلَى الْقُلُوبِ؟ وَقَدْ عَلِمْتُ مِنْكَ فِي بِلَائِي هَذَا مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ، وَخَفْتُ حِينَ بَلَوْتَ أَمْرَكَ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَخَافُ، إِنَّمَا كُنْتُ أَسْمَعُ بِسُطُوتِكَ سَمْعًا، فَأَمَّا الْآنَ فَهُوَ بَصَرُ الْعَيْنِ، إِنَّمَا تَكَلَّمْتُ حِينَ تَكَلَّمْتَ لِتُعْذِرَنِي، وَسَكَتُ حِينَ سَكَتَ لِتَرْحَمَنِي، كَلِمَةٌ زَلَّتْ فُلَنْ أَعُودُ، قَدْ وَضَعْتَ يَدَيَّ عَلَى فَمِي، وَغَضَضْتَ عَلَى لِسَانِي، وَأَلْصَقْتَ بِالْتَرَابِ خَدَّيْ، وَدَسْتُ وَجْهِي لَصْغَارِي، وَسَكَتُ كَمَا أَسْكُتُنِي خَطِيئَتِي، فَافْغِرْ لِي مَا قُلْتَ فُلَنْ أَعُودُ لَشَيْءٍ تَكْرَهُهُ مِنِّي. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا أَيُّوبُ نَفَذْ فَيْكَ عِلْمِي، وَيَحْلِمِي صَرْفَتَ عَنْكَ غَضْبِي، إِذْ خَطَّيْتُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ، فَاغْتَسِلْ بِهَذَا الْمَاءِ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءَكَ، وَقَرَّبَ عَنْ صَحَابَتِكَ قُرْبَانًا، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ عَصَوْني فَيْكَ. وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي الْأَهْلِ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ أَهْمُ أَهْلِهِ الَّذِينَ أَوْتِيَهُمْ فِي الدُّنْيَا، أَمْ ذَلِكَ وَعْدُ وَعْدِ اللَّهِ أَيُّوبُ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا أَتَى اللَّهُ أَيُّوبَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ أَهْلِهِ الَّذِينَ هَلَكُوا، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرَدُّوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا وَعَدَ اللَّهُ أَيُّوبَ أَنْ يُؤْتِيَهُ إِيَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ. كَالَّذِي جَاءَ عَنْ لَيْثٍ، قَالَ: أَرْسَلَ مُجَاهِدٌ رَجُلًا يَقَالُ لَهُ قَاسِمٌ إِلَى عِكْرَمَةَ يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ لِأَيُّوبَ ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ فَقَالَ: قِيلَ لَهُ: إِنْ أَهْلَكَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنْ شِئْتَ عَجَلْنَاهُمْ لَكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنْ شِئْتَ كَانُوا لَكَ فِي الْآخِرَةِ، وَأَتَيْنَاكَ مِثْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: يَكُونُونَ لِي فِي الْآخِرَةِ، وَأَوْتِي مِثْلَهُمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَى مُجَاهِدٍ فَقَالَ: أَصَابَ. وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ رَدَّهُمْ إِلَيْهِ بِأَعْيَانِهِمْ وَأَعْطَاهُ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ. كَمَا جَاءَ

عن ابن مسعود وغيره وقال آخرون: بل آتاه المثل من نسل ماله الذي رده عليه وأهله، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه. كما جاء عن الحسن وقوله ﴿رَحْمَةً﴾ نصبت بمعنى: فعلنا بهم ذلك رحمة منا له. وقوله ﴿وَذَكَّرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ يقول: وتذكروا للعابدين ربهم فعلنا ذلك به ليعتبروا به، ويعلموا أن الله قد يتبلي أوليائه ومن أحب من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله، من غير هوان به عليه، ولكن اختبارا منه له ليلبغ بصبره عليه واحتسابه إياه وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده، وقد حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي، في قوله رَحْمَةً مِنْ عِنْدَنَا وَذَكَّرَى لِلْعَابِدِينَ وقوله رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَّرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ قال: أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ٨٦﴾ يعني تعالى ذكره بإسماعيل: إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد، وإدريس: أخنوخ، وبذي الكفل: رجلا تكفل من بعض الناس، إما من نبي وإما من ملك من صالحي الملوك بعمل من الأعمال، فقام به من بعده، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به، وجعله من المعدودين في عباده، مع من حمد صبره على طاعة الله، وبالذي قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء. عن عبد الله بن الحارث: أن نبيا من الأنبياء، قال: من تكفل لي أن يصوم النهار ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام شاب فقال: أنا، فقال: اجلس: ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم عاد فقال: من تكفل لي أن يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يغضب؟ فقام ذلك الشاب فقال: أنا، فقال: تقوم الليل، وتصوم النهار، ولا تغضب فمات ذلك النبي، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضي بين الناس، فكان لا يغضب، فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيله، فضرب الباب ضربة شديدا، فقال: من هذا؟ فقال: رجل له حاجة، فأرسل معه رجلا فقال: لا أرضى بهذا الرجل، فأرسل معه آخر، فقال: لا أرضى بهذا، فخرج إليه فأخذ بيده، فانطلق معه، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب، فسمي ذا الكفل. وقوله ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل، والهاء والميم عائدتان عليهم ﴿في رحمتنا إنهم من الصالحين﴾ يقول: إنهم ممن صلح، فأطاع الله، وعمل بما أمره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ٨٧﴾ يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد ذا النون، يعني صاحب النون، والنون: الحوت، وإنما عني بذي النون، يونس بن متى، وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع، وقوله ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ يقول: حين ذهب مغاضبا واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا، وعمن كان ذهابه، وعلى من كان غضبه، فقال بعضهم: كان ذهابه عن قومه وإياهم غاضب. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ يقول: غضب على قومه. وقال آخرون: ذهب عن قومه مغاضبا لربه، إذ كشف عنهم العذاب بعدما وعدهموه. كالذي جاء عن ابن عباس، قال: بعثه الله، يعني يونس إلى أهل

قريته، فردّوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه، فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صباحها أدلج ورأه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم، وفرّقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجزوا إلى الله، فاستقالوه، فأقالهم، وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها، حتى مر به مار، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبههم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها، وعجزوا إلى الله وتابوا إليه، فقبل منهم، وأخر عنهم العذاب، قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذابا أبدا، وعدتهم العذاب في يوم ثم ردّ عنهم، ومضى على وجهه مغاضبا. وكما جاء عن الشعبي، في قوله ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ قال: مغاضبا لربه. عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن وهب بن منبه اليماني، قال: سمعته يقول: إن يونس بن متى كان عبدا صالحا، وكان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل، تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل، فخذفها بين يديه، وخرج هاربا منها، يقول الله لنبیه ﷺ ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنْ الرُّسُلِ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾: أي لا تلق أمري كما ألقاه، وهذا القول، أعني قول من قال: ذهب عن قومه مغاضبا لربه، أشبه بتأويل الآية، وذلك لدلالة قوله ﴿فَطَلَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ على ذلك، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغضب نبي من الأنبياء ربه، واستعظاما له، وهم بقليلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم ما أنكروا، وذلك أن الذين قالوا: ذهب مغاضبا لربه اختلّفوا في سبب ذهابه كذلك، فقال بعضهم: إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء، وقال بعض من قال هذا القول: كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جرّبوا عليه الكذب، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك، وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس، فكرهنا إعادته في هذا الموضع. وقال آخرون: بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه، ويدعوهم إليه، فسأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخص إلىهم، فقليل له: الأمر أسرع من ذلك، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها، فقليل له نحو القول الأول، وكان رجلا في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلا فذهب مغاضبا. وممن ذكر هذا القول عنه: الحسن البصري، حدثني بذلك الحارث، قال: ثنا الحسن بن موسى، عن أبي هلال، عن شهر بن حوشب، عنه. قال أبو جعفر: وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا: ذهب مغاضبا لقومه، لأن ذهابه عن قومه مغاضبا لهم، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم، ليلغهم رسالته، ويحذرهم بأسه، وعقوبته على تركهم الإيمان به، والعمل بطاعتك لا شك أن فيه ما فيه، ولولا أنه قد كان ﷺ أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه، ويصفه بالصفة التي وصفه بها، فيقول لنبیه ﷺ ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى

وَهُوَ مَكْظُومٌ وَيَقُولُ ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾. وقوله ﴿فَلَنْ أُنْقَذِرَ عَلَيْهِ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عني به: فظن يونس أن لن نحسبه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله ﴿فَلَنْ أُنْقَذِرَ عَلَيْهِ﴾ بقول: ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه. وقوله ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الظلمات، قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ولا شك أنه قد عني بإحدى الظلمات: بطن الحوت، وبالأخرى: ظلمة البحر، وفي الثالثة اختلاف، وجائز أن تكون تلك الثالثة: ظلمة الليل، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل. وقوله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ يقول: نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه تائباً من خطيئته ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في معصيتي إياك. عن عبد الله بن رافع، مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: "لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ: أَنْ خُذْهُ وَلَا تَخْشِ لَهُ لَحْمًا وَلَا تَكْسِرْ عَظْمًا، فَآخَذَهُ، ثُمَّ هَوَى بِهِ إِلَى مَسْكِنِهِ مِنَ الْبَحْرِ، فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ الْبَحْرِ، سَمِعَ يُونُسَ حَسًّا، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ: مَا هَذَا؟ قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ الْبَحْرِ، قَالَ: فَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ، فَسَمِعَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْبِيحَهُ، فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتًا ضَعِيفًا بَارِضٍ غَرِيبٍ؟ قَالَ: ذَاكَ عَبْدِي يُونُسُ، عَصَانِي فَحَبَسْتُهُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، قَالُوا: الْعَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ الْحُوتَ فَقَذَفَهُ فِي السَّاحِلِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَهُوَ سَقِيمٌ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره ﴿فَاسْتَجَبْنَا﴾ ليونس دعاءه إيانا، إذ دعانا في بطن الحوت، ونجينا من الغم الذي كان فيه بحبسناه في بطن الحوت وغمه بخطيئته وذنبه ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، يقول جل ثناؤه: وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر. كما جاء عن سعيد بن المسيب، قال: سمعت سعد بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اسْمُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هِيَ لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى خَاصَّةٌ أَمْ لَجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: هِيَ لِيُونُسَ بْنِ مَتَّى خَاصَّةٌ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةٌ إِذَا دَعَوْا بِهَا، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾" فهو شرط الله لمن دعاه بها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرَزَّكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٩﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: واذكريا محمد زكريا حين نادى ربه ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي وَحِيدًا فَرْدًا﴾ لا ولد لي ولا عقب ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ يقول: فارزقني وارثا من آل

يعقوب يرثني، ثم رد الأمر إلى الله فقال وأنت خير الوارثين، يقول الله جل ثناؤه: فاستجبنا لذكركيا دعاءه، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه، وأصلحنا له زوجه. واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أصلح لذكركيا زوجه، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخلق، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها، ولم يخص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه، ولا على لسان رسوله، ولا وضع، على خصوص ذلك دلالة، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض. وقوله ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يقول الله: إن الذين سميئناهم، يعني ذكركيا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا، وقوله ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغبا ورهبا، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال ﴿وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَنْ لَا أَكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ ويعنى بقوله ﴿رَغَبًا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿وَرَهَبًا﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وابن زيد وقوله ﴿وَكُنَّا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ يقول: وكانوا لنا متواضعين متذللين، ولا يستكبرون عن عبادتنا ودعائنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: واذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران. ويعنى بقوله ﴿أَحْصَنَتْ﴾: حفظت فرجها ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه. واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته قال أبو جعفر: والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة، لأن ذلك هو الأغلب من معنیه عليه، والأظهر في ظاهر الكلام، ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ يقول: فنفخنا في جيب درعها من روحنا، وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في معنى قوله ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ في غير هذا الموضع، والأولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ يقول: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء: وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين، لأن معنى الكلام: جعلناهما علما لنا وحجة، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله، وعلى عظيم قدرته يقوم مقام الآخر إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذه ملتكم ملة واحدة، وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وتفرّق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ودعاهم إليه، فصاروا فيه أحزابا، فهودت اليهود، وتنصرت النصارى وعبدت الأوثان، ثم أخبر جل ثناؤه عما هم إليه صائرون، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه، متوعدا بذلك أهل الزيغ والضلال، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد، وأنه مجاز

جميعهم جزاء المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. وينحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن عمل من هؤلاء الذين تفرقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح، وأطاعه في أمره ونهيه، وهو مقرّ بوحداية الله؛ مصدق بوعدده ووعيده متبرئ من الأنداد والآلهة ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ يقول: فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له، وهو به مؤمن، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه، ولا يكفر ذلك له فيجحد، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ يقول: ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره. قال أبو جعفر: والكفران مصدر من قول القائل: كفرت فلانا نعمته فأنا أكفّره كفرا وكفّرانا

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ تأويل الكلام: حرام على أهل قرية أهلكتناهم بطبعنا على قلوبهم وختمنا على أسماعهم وأبصارهم، إذ صدّوا عن سبيلنا وكفروا بآياتنا، أن يتوبوا ويراجعوا الإيمان بنا واتباع أمرنا والعمل بطاعتنا، وإذ كان ذلك تأويل قوله الله ﴿وَحَرْمٌ﴾ وعزم، على ما قال سعيد، لم تكن "لا" في قوله ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ صلة، بل تكون بمعنى النفي، ويكون معنى الكلام: وعزم منا على قرية أهلكتناها أن لا يرجعوا عن كفرهم، وكذلك إذا كان معنى قوله ﴿وَحَرْمٌ﴾. نوجه، وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة، فإن معنى الكلام: وحرام على قرية أهلكتناها أن يرجعوا، وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: حتى إذا فتح عن يأجوج ومأجوج، وهما أمتان من الأمم ردّمهما. كالذي جاء عن حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ: "أَوَّلُ الْآيَاتِ: الدَّجَالُ، وَنَزُولُ عِيسَى، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ أَبَيْنَ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ، ثَقِيلٌ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا، وَالِدُخَانِ، وَالِدَابَّةُ، ثُمَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ. قال حذيفة: قلت: يا رسول الله، وما يأجوج ومأجوج؟ قال: يأجوج ومأجوج أمم كل أمة أربع مائة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى يري ألف عين تطرف بين يديه من صلبه، وهم ولد آدم، فيسيرون إلى خراب الدنيا، يكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق، فيمرون بأنهار الدنيا، فيشربون الفرات والدجلة وبحيرة الطبرية حتى يأتوا بيت المقدس، فيقولون قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء، فيرمون بالشباب إلى السماء، فترجع نسايتهم مخصبة بالدم، فيقولون قد قتلنا من في السماء، وعيسى والمسلمون بجبل طور سينين، فيوحى الله جل جلاله إلى عيسى: أن أحرز عبادي بالطور وما يلي أبلة، ثم إن عيسى يرفع رأسه إلى السماء ويؤمن المسلمون، فيبعث الله عليهم دابة يقال لها النعف، تدخل من مناخرهم فيضبحون موتى من حاق الشام إلى حاق العراق، حتى تبتن الأرض من جيهم، ويأمر الله السماء فتُمْطَرُ كأفواه القرب، فتغسل الأرض من جيهم ونسيتهم، فعند ذلك طلوع الشمس من مغربها". وأما قوله ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: عني بذلك يأجوج ومأجوج، وأن قوله ﴿وَهُمْ﴾ كناية عن أسمائهم للخبر الذي عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"يَفْتَحْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ فَيَعُشُونَ الْأَرْضَ". وكما جاء عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ فيما يُذكر عن عيسى ابن مريم، قال: قال عيسى: عَهْدَ إِلَيَّ رَبِّي أَنْ الدَّجَالَ خَارِجٌ، وَأَنَّهُ مُهْبِطِي إِلَيْهِ، فَذَكَرَ أَنْ مَعَهُ قَضِيبَيْنِ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَكُهُ اللَّهُ، قَالَ: فَيَذُوبُ الرِّصَاصُ، حَتَّى إِنْ الشَّجَرِ وَالْحَجَرِ لَيَقُولُ: يَا مُسْلِمَ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ، فَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ، فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ. وأما قوله ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ فإنه يعني من كل شرف ونشز وأكمة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكما قال ابن زيد، في قوله ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ قال: الحدب: الشيء المشرف وأما قوله ﴿يَنْسِلُونَ﴾ فإنه يعني: أنهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب، كما قال الشاعر: عَسَلَانَ الذَّئْبِ أَمْسَى قَارِبًا... بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَتَسَلَّ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج، اقترب الوعد الحق، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب، وهو لا شك حق كما قال جل ثناؤه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن حذيفة: لو أن رجلا افتلى فلوًا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة. وقوله ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا أبصار الذين كفروا قد شخضت عند مجيء الوعد الحق بأهواله وقيام الساعة بحقائقها، وهم يقولون: يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعاين ونزل بنا من عظيم البلاء، وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه، وذلك يقولون من قوله ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون يا ويلنا، وقوله ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ: ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون بالله، العابدون من دونه الأوثان والأصنام، وما تعبدون من دون الله من الآلهة. وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يرمى بهم في جهنم وكان الضحاك يقول في قوله ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: إن جهنم إنما تحصب بهم، وهو الرمي، يقول: يرمى بهم فيها. وأما قوله ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ فإن معناه: أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردون، يقول: داخلون، وقد بينت معنى الورود فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، وهم مشركو قريش: أنتم أيها المشركون، وما تعبدون من دون الله واردو جهنم، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين، ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ولا عندها دفع ضرعها، فهي من أن يكون

ذلك عندها غيرها أبعد، ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة، وأن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ولا يقدر عليه شيء، فأما من كان مقدورا عليه فغير جائر أن يكون إلها. وقوله ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ماثون في النار أبدا بغير نهاية، وإنما معنى الكلام: كلكم فيها خالدون. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٣٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٣١﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿لَهُمْ﴾ المشركين وألتهتهم، والهاء، والميم في قوله ﴿لَهُمْ﴾ من ذكر كل التي في قوله ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، يقول تعالى ذكره: لكلهم في جهنم زفير، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ يقول: وهم في النار لا يسمعون. وقرأ ابن مسعود هذه الآية ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ قال: إذا ألقى في النار من يخلد فيها جعلوا في توايت من نار، ثم جعلت تلك التوايت في توايت أخرى، ثم جعلت التوايت في توايت أخرى فيها مسامير من نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره، ثم قرأ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾. وأما قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: عني بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ما كان من معبود، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع وعابده بعبادتهم إياه بالله كفار، لأن قوله تعالى ذكره ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم، على نحو الذي ذكرنا في الخبر عن ابن عباس، فكان المشركين قالوا لنبي الله ﷺ إذ قال لهم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: ما الأمر كما تقول، لأننا نعبد الملائكة، ويعبد آخرون المسيح وعزيرا، فقال عَزَّوَجَلَّ ردا عليهم قولهم: بل ذلك كذلك، وليس الذي سبقت لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون، لأنهم غير معنيين بقولنا ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فقول لا معنى له، لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جان، وكل هؤلاء إذا ذكرت العرب فإن أكثر ما تذكرها بمن، لا بما، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبودين الذين أخبر أنهم حَصَبُ جَهَنَّمَ بما، قال ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب، لا من كان من الملائكة والإنس، فإذا كان ذلك كذلك لما وصفنا، فقولهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ جواب من الله للقاتلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ، وأما الحسنى فإنها الفعل من الحسن، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم. كما جاء ابن زيد، في قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ قال: الحسنى: السعادة، وقال: سبقت السعادة لأهلها من الله، وسبق الشقاء لأهلها من الله. وكما جاء عن ابن إسحاق، قال: جلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ، فعرض له النضر بن الحارث، وكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه، ثم تلا عليه وعليهم ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾... إلى قوله ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾، ثم قام رسول الله ﷺ، وأقبل عبد

الله بن الزبَعْرَى بن قيس بن عديّ السهمي حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبَعْرَى: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفا وما قعد، وقد زعم أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبَعْرَى: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمدا: أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزَيْرًا، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم، فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبَعْرَى، ورأوا أنه قد احتج وخاصم، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ من قول ابن الزبَعْرَى، فقال: رسول الله ﷺ: "نعم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبد، إنما يعبدون الشياطين ومن أمرهم بعبادته"، فأنزل الله عليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.... إلى ﴿خَالِدُونَ﴾ "أي عيسى ابن مريم، وعُزَيْر، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذي مضوا على طاعة الله، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله، فأنزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾... إلى قوله ﴿تَجْرَىٰ الظَّالِمِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار، ويعني بالحسيس: الصوت والحس. فإن قال قائل: فكيف لا يسمعون حسيسها، وقد علمت ما روي من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه خوفا منها؟ قيل: إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال، بل هي الحال التي حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ يقول: لا يسمع أهل الجنة حسيس النار إذا نزلوا منزلهم من الجنة. وقوله ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ يقول: وهم فيما تشتهيه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كثون فيها، لا يخافون زوالا عنها ولا انتقالا عنها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ يختلف أهل التأويل في الفرع الأكبر أي الفرع هو؟ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: ذلك عند النفخة الآخرة، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفرع الأكبر وآمن منه، فهو مما بعده أخرى أن لا يفرع، وأن من أفرعه ذلك فغير مأمون عليه الفرع مما بعده. وقوله ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يقول: وتستقبلهم الملائكة يهتئونهم يقولون ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الكرامة من الله والحباء والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصبون في الدنيا لله في طاعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يحزنهم الفرع الأكبر، يوم نطوي السماء، فيوم صلة من يحزنهم. واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لدينا ﷺ كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه. فإن قال قائل: وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؟ قيل: ليس المعنى

كذلك، وإنما معناه: يوم تطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب، ثم جعل تطوي مصدرا، فقيل ﴿كطي السجل للكتاب﴾ واللام في قوله للكتاب بمعنى على. كما جاء عن مجاهد كاف التي في قوله ﴿كما﴾ من صلة نعيد، تقدمت قبلها، ومعنى الكلام: نعيد الخلق عِراء حفاة غُرلا يوم القيامة، كما بدأنهم أول مرة في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك. وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل، وبه الخبر عن رسول الله ﷺ، فلذلك اخترت القول به على غيره. كما روي عن رسول الله ﷺ لإحدى نسائه: "يَأْتُوهُ حُفَاءَ عُرَاءَ غُلْفًا، فَاسْتَرَتْ بِكُمْ دِرْعَهَا، وَقَالَتْ وَاسْوَأَتَاهُ" قال ابن جريج: أخبرت أنها عائشة قالت: يا نبي الله، لا يحترشم الناس بعضهم بعضا؟ قال: "لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه". وجاء أيضا عن عائشة، قالت: "دخل علي رسول الله ﷺ وعندي عجوز من بني عامر، فقال: مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ يَا عَائِشَةُ؟ فقلت: إحدى خالاتي، فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجُزَةُ، قالت: فأخذ العجوز ما أخذها، فقال: إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ، ثم قال: يُحْشِرُونَ حُفَاءَ عُرَاءَ غُلْفًا، فقالت: حاش لله من ذلك، قال رسول الله ﷺ: بلى إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا...﴾ إلى آخر الآية، فأول مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ". وقال آخرون: بل معنى ذلك: كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا، كذلك نهلك الأشياء فنعيدها فانية، حتى لا يكون شيء سوانا. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالزبور والذكر في هذا الموضع، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ومن قال بقولهما في ذلك، من أن معناه: ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه قبل خلق السماوات والأرض، وذلك أن الزبور هو الكتاب، يقال منه: زبرت الكتاب وذبرته: إذا كتبه، وأن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه، فهو ذكر. فإذا كان ذلك كذلك، فإن في إدخاله الألف واللام في الذكر، الدلالة البينة أنه معنى به ذكر بعينه معلوم عند المخاطبين بالآية، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك من صحف إبراهيم، فقد كان قبل زبور داود. فتأويل الكلام إذن، إذ كان ذلك كما وصفنا: ولقد قضينا، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون، يعني بذلك: أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده، دون العاملين بمعصيته منهم المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته. كما جاء عن ابن عباس وغيره قول الله جل ثناؤه ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ قال: فالجنة مبتدؤها في الأرض ثم تذهب درجات علوا، والنار مبتدؤها في الأرض، وبينهما حجاب سور ما يدري أحد ما ذاك السور، وقرأ ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ قال: ودرجها تذهب سفلا في الأرض، ودرج الجنة تذهب علوا في السماوات. كما قال صفوان، سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان: هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ قال: فقال: إن الأرض التي يقول الله ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: هي الأرض التي تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون

البعث. وقال آخرون: هي الأرض يورثها الله المؤمنين في الدنيا. وقال آخرون: عني بذلك بنو إسرائيل، وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به. واستشهد لقوله ذلك بقول الله ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ وقد ذكرنا قول من قال ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أنها أرض الأمم الكافرة، ترثها أمة محمد ﷺ، وهو قول ابن عباس الذي روى عنه علي بن أبي طلحة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ يقول تعالى ذكره: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا محمد ﷺ لبلاغا لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التي فرضها الله إلى رضوانه، وإدراك الطلبة عنده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج ويقول آخرون: في القرآن تنزيل لفرائض الصلوات الخمس، من أداها كان بلاغا لقوم عابدين، قال: عاملين. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وما أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي. ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية وأولى القولين في ذلك بالصواب. القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبية محمدا ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد: ما يوحى إلي ربي إلا أنه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد، لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي ذلك لغيره. يقول: فهل أنتم مذعنون له أيها المشركون العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك، ومتبرثون من عبادة ما دونه من أللهتمكم؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: فإن أدبر هؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان، بأن لا إله لهم إلا إله واحد، فأعرضوا عنه، وأبوا الإجابة إليه، فقل لهم ﴿قد آذنتكم على سواء﴾ يقول: أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب، لا صلح بينكم ولا سلم. وإنما عني بذلك قوم رسول الله ﷺ من قريش. كما جاء عن ابن جريج وقوله ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية: قل وما أدري متى الوقت الذي يحل بكم عقاب الله الذي وعدكم، فينتقم به منكم، أقرب نزوله بكم أم بعيد؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةُكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤١﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين، إن الله يعلم الجهر الذي يجهرون به من القول، ويعلم ما تخفونه فلا تجهرون به، سواء عنده خفيه وظاهره وسره وعلائيته، إنه لا يخفى عليه منه شيء، فإن أخر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به أو تجهرون به، فما أدري ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعل تأخير ذلك عنكم مع وعده إياكم لفتنة يريد بها بكم، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه، ثم ينزل بكم

حيث ندمته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾^(١١٢) يقول تعالى ذكره: قل يا محمد: يا رب افصل بيني وبين من كذبني من مشركي قومي وكفر بك، وعبد غيرك، بإحلال عذابك ونقمتك بهم، وذلك هو الحق الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به، وهو نظير قوله جل ثناؤه ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ﴿قال رب احكم بالحق﴾ قال: لا يحكم بالحق إلا الله، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا، يسأل ربه على قومه. وقوله ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وقل يا محمد: وربنا الذي يرحم عباده ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي فيما أتيتكم به من عند الله ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ وقولكم ﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ فإنه هين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة لكم على ما تصفون من ذلك.

آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

والحمد لله



تفسير سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته فأطيعوه ولا تعصوه، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد. ثم وصف جل ثناؤه هول أشراف ذلك اليوم وبدوه، فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جل ثناؤه بالشدة والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عن عمران بن حصين، قال: بينما رسول الله ﷺ في بعض مغازبه وقد فابت السَّير بأصحابه، إذ نادى رسول الله ﷺ بهذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. قال: فحشوا المطي، حتى كانوا حول رسول الله ﷺ قال "هل تدرون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذلك يوم يُنادى آدم، يُناديه ربُّه: ابعثْ بَعَثَ النَّارِ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، قال: فأبلس القوم، فما وضح منهم ضاحك، فقال النبي ﷺ: أَلَا أَعْمَلُوا وَأَبْشَرُوا، فَإِنَّ مَعَكُمْ خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَا فِي قَوْمٍ إِلَّا كَثْرَتَاهُ، فَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي إِبْلِيسَ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ. قال: أبشروا، مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي جَنَاحِ الدَّابَّةِ". والزلزلة مصدر من قول القائل: زلزلت بفلان الأرض أزلزلها زلزلة وزلزالا بكسر الزاي من الزلزال، كما قال الله ﷻ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يقول جل ثناؤه: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها كل مرضعة مولود عما أرضعت، ويعني بقوله ﴿تَذْهَلُ﴾ تنسى وتترك من شدة كربها، يقال: ذهلت عن كذا أذهل عنه ذهولا وذهلت أيضا، وهي قليلة، والفصيح: الفتح في الهاء، فأما في المستقبل فالهاء مفتوحة في اللغتين، لم يسمع غير ذلك، فأما إذا أريد أن الهول أنساه وسلاه، قلت: أذهله هذا الأمر عن كذا يذهله إذهالا فتأويل الكلام إذن: يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة، تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها عما أرضعت. كما جاء عن ابن زيد وكما جاء عن الحسن ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ قال: ذهلت عن أولادها بغير فطام ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ قال: ألقت الحوامل ما في بطونها لغير تمام، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ يقول: وتسقط كل حامل من شدة كرب ذلك حملها. وقوله ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدة سُكَارَى من الفزع وما هم بسكارى من شرب الخمر. وينحو الذي قلنا في ذلك: قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وعن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث. كما جاء عن ابن جريج ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قال: النضر بن الحارث. ويعني بقوله ﴿مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من يخاصم في الله، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلي وصار تراباً، بغير علم يعلمه، بل بجهل منه بما يقول. ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في قوله ذلك وجداله في الله بغير علم ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يقول تعالى ذكره: قضى على الشيطان، فمعنى ﴿كُتِبَ﴾ ههنا قضى، والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان. كما جاء عن قتادة ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ قال: كتب على الشيطان، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله. وقوله ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ يقول: فإن الشيطان يضلّه، يعني: يضل من تَوَلَّاهُ. والهاء التي في "يضله عائدة على "من" التي في قوله ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ وتأويل الكلام: قضى على الشيطان أنه يضل أتباعه ولا يهديهم إلى الحق. وقوله ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يقول: ويسوق من اتبعه إلى عذاب جهنم الموقدة، وسياقه إياه إليه بدعائه إلى طاعته ومعصية الرحمن، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم، اتباعاً منه للشيطان المريد، وتنبية له على موضع خطأ قوله، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه. قال: يا أيها الناس إن كنتم في شك من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك، فإن في ابتداءنا خلق أياكم آدم ﷺ من تراب ثم إنشائناكم من نطفة آدم، ثم تصرفناكم أحوالاً حالاً بعد حال، من نطفة إلى علقة، ثم من علقة إلى مضغة، لكم معتبراً ومتعظاً تعتبرون به، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم كما كنتم أحياء قبل الفناء. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مخلقة وغير مخلقة، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: المخلقة المصورة خلقاً تاماً، وغير مخلقة: السقط قبل تمام خلقه، لأن المخلقة وغير المخلقة من نعت المضغة والنطفة بعد مصيرها مضغة، لم يبق لها حتى تصير خلقاً سوياً إلا التصوير، وذلك هو المراد بقوله ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ خلقاً سوياً، وغير مخلقة بأن تلقيه الأم مضغة ولا تصوّر ولا ينفخ فيها الروح. وقوله ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: جعلنا المضغة منها المخلقة التامة ومنها السقط غير التام، لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ونعرفكم ابتداءنا خلقكم. وقوله ﴿وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول تعالى ذكره: من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية، فإننا نقرّه في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها، فلا تسقطه، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذننا له بالخروج منها، فيخرج. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن زيد وقوله ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ يقول تعالى ذكره: ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتكم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلاً صغاراً ووحيد الطفل، وهو صفة للجميع، لأنه مصدر مثل عدل وزور. وقوله

﴿ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَشَدَّكُمْ﴾ يقول: ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم. وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الأشد، والصواب من القول فيه عندنا بشواهد فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ومنكم أيها الناس من يتوفى قبل أن يبلغ أشده فيموت، ومنكم من يُنْسَأُ في أجله فيعمر حتى يهرم، فيرد من بعد انتهاء شبابه وبلوغه غاية أشده، إلى أَرْدَلِ عمره، وذلك الهرم، حتى يعود كهيئته في حال صباه لا يعقل من بعد عقله الأوّل شيئاً. ومعنى الكلام: ومنكم من يرد إلى أَرْدَلِ العمر بعد بلوغه أشده ﴿لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ كان يعلمه ﴿شَيْئًا﴾. وقوله ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وترى الأرض يا محمد يابسة دارسة الآثار من النبات والزرع، وأصل الهمود: الدروس والذثور، ويقال منه: همدت الأرض تهمد هُموداً وقوله ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض الهامدة التي لا نبات فيها، المطر من السماء اهتزت يقول: تحركت بالنبات، ﴿وَرَبَتْ﴾ يقول: وأضعفت النبات بمجيء الغيث. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت، ويوجه المعنى إلى الزرع، وإن كان الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض، وقرأت قراء الأمصار ﴿وَرَبَتْ﴾ بمعنى: الربو، الذي هو النماء والزيادة. وقوله ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك الغيث من كل نوع بهيج، يعني بالبهيج، وهو الحسن. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ۝﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ذلك هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس من بدئنا خلقكم في بطون أمهاتكم، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده، طفلاً وكهلاً وشيخاً هرماً وتبينناكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما ننزل عليها من الغيث، لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذي فعل ذلك الله الذي هو الحق لا شك فيه، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك، وتعلموا أن القدرة التي جعل بها هذه الأشياء العجيبة لا يتعذر عليها أن يحيي بها الموتى بعد فنائها ودروسها في التراب، وأن فاعل ذلك على كلّ ما أراد وشاء من شيء قادر لا يمتنع عليه شيء أراده، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لا محالة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يقول: لا شك في مجيئها وحدوثها، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ حيثن من فيها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب، فلا تشكوا في ذلك، ولا تمتروا فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله وإفراده بالآلوهة بغير علم منه بما يخاصم به ﴿وَلَا هُدًى﴾ يقول: وبغير بيان معه لما يقول ولا برهان. ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ يقول: وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول. ﴿منير﴾ يقول ينير عن حجته. وإنما يقول ما يقول من الجهل ظناً

منه وحسابنا، وذكر أن عني بهذه الآية والتي بعدها النضر بن الحارث من بني عبد الدار.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ١. ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢﴾ يقول تعالى ذكره: يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾. واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه، وما المراد من وصفه إياه بذلك، فقال بعضهم: وصفه بذلك لتكبره وتبخره، وذكر عن العرب أنها تقول: جاءني فلان ثاني عطفه: إذا جاء متبخرًا من الكبر. قال أبو جعفر: و الأقوال التي ذكرها أهل التأويل متقاربات المعنى، وذلك أن من كان ذا استكبار فمن شأنه الإعراض عما هو مستكبر عنه ولّي عنقه عنه والإعراض. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا دُعي إلى الله، أعرض عن داعيه، لوى عنقه عنه ولم يسمع ما يقال له استكبارًا. وقوله ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضًا عن الحق استكبارًا، ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ويستزلهم عنه، ﴿لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ يقول جل ثناؤه: لهذا المجادل في الله بغير علم في الدنيا خزي، وهو القتل والذل والمهانة بأيدي المؤمنين، فقتله الله بأيديهم يوم بدر. كما جاء عن ابن جرير وقوله ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ يقول تعالى ذكره: ونحرقه يوم القيامة بالنار. وقوله ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ يقول جل ثناؤه: ويقال له إذا أدب عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الذي نذيقه اليوم بما قدمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام، واكتسبته فيها من الإجرام ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ يقول: وفعلنا ذلك لأن الله ليس بظلام للعبيد، فيعاقب بعض عبيده على جرم، وهو يغفر مثله من آخر غيره، أو يحمل ذنب مذنّب على غير مذنّب، فيعاقبه به ويعفو عن صاحب الذنب، ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرمه، ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله إلا بسبب استحق به منه مغفرته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ اِنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ٣. يعني جل ذكره بقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدوا على أعقابهم، فقال الله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ﴾ على شك، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول: استقرّ بالإسلام وثبت عليه ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ﴾ وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿اِنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ يقول: ارتدّ فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾... إلى قوله ﴿اِنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ قال: الفتنة البلاء، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة، فإن صحّ بها جسمه، وتنجت فرسه مئها حسنا، وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن إليه وقال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، وذلك الفتنة قال ابن زيد، في قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة قال: هذا المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه. وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر. وقوله ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ يقول: غبن هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه، لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة: يقول: وخسر الآخرة، فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة. وقوله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ يقول: وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران: يعني الهلاك المبين: يقول: يبين لمن فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُ وَمَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٢) يقول تعالى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتد عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تنصره إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة، والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا. قال ابن زيد، في قوله ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾ قال: هذا المنافق، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه. وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق، ترك دينه ورجع إلى الكفر. وقوله ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ يقول: غبن هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه، لأنه لم يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك، ووضع في تجارته فلم يربح والآخرة: يقول: وخسر الآخرة، فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة. وقوله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ يقول: وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران: يعني الهلاك المبين: يقول: يبين لمن فكر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة. واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته قراء الأمصار جميعا غير حميد الأعرج ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ على وجه المضى. وقرأه حميد الأعرج ﴿خَائِرًا﴾ نصبا على الحال على مثال فاعل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره: وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة، ارتد عن دين الله، يدعو من دون الله آلهة لا تنصره إن لم يعبدها في الدنيا ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ يقول: ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة، والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ (١٤) يقول تعالى ذكره: يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة لضررها في الآخرة له، أقرب وأسرع إليه من نفعها. وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه يدعو مَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ. وقوله ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى﴾، يقول: لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف. ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ يقول: ولبئس الخليط المعاشر والصاحب وقد قيل: عني بالمولى في هذا الموضع: الولي الناصر. وكان مجاهد يقول: عني بقوله ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ الوثن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا، وانتهوا عما نهاهم عنه فيها جنات يعني بساتين ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يقول: تجري الأنهار من تحت أشجارها ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته، وما شاء من الهوان أهل معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ وكذلك أنزلناه آيات بيّنات وأن الله يهدي من يريد ﴿١٦﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء التي في قوله: ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾. وأولى ذلك بالصواب عندي في تأويل ذلك قول من قال: الهاء من ذكر نبي الله ﷺ ودينه وذلك أن الله تعالى ذكره، ذكر قومًا يعبدونه على حرف وأنهم يطمثون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقهم، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق. وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم، فمعنى الكلام إذن، إذ كان كذلك: من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا ﷺ وأمته في الدنيا، فيوسع عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فلم يمدد بحبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يختنق إذا اغتاظ من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهب كيد احتناقه كذلك ما يغيط، فإن لم يذهب ذلك غيظه؛ حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته، ولا يعجل قبل حينه، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وغطفان، تباطؤا عن الإسلام، وقالوا: نخاف أن لا ينصر محمد ﷺ، فيقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميرونا ولا يروونا، فقال الله تبارك وتعالى لهم: من استعجل من الله نصر محمد، فلم يمدد بسبب إلى السماء فليختنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه، هل هو مذهب غيظه؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما بينت لكم حُججي على من جحد قدرتي على إحياء من مات من الخلق بعد فناءه، فأوضحتهأياها للناس، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد ﷺ هذا القرآن آيات بيّنات، يعني دلالات واضحات، يهدي من أراد الله هدايته إلى الحق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ يقول جل ثناؤه: ولأن الله يوفق للصواب ولسبيل الحق من أراد، أنزل هذا القرآن آيات بيّنات، فأن في موضع نصب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء وفصله بينهم إدخاله

النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله، فذلك هو الفصل من الله بينهم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يقول: إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه، وغير ذلك من الأشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ألم تري يا محمد بقلبك، فتعلم أن الله يسجد له من في السماوات من الملائكة، ومن في الأرض من الخلق من الجن وغيرهم، والشمس والقمر والنجوم في السماء، والجبال، والشجر، والدواب في الأرض، وسجد ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس، وحين تزول، إذا تحول ظل كل شيء فهو سجوده. وأما سجد الشمس والقمر والنجوم، فإنه كما جاء عن أبي العالية الرياحي قال: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا يقع الله ساجدا حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين، وزاد محمد: حتى يرجع إلى مطلعته. وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ يقول: ويسجد كثير من بني آدم، وهم المؤمنون بالله. كما جاء عن مجاهد: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ قال: المؤمنون. وقوله: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ يقول تعالى ذكره: وكثير من بني آدم حق عليه عذاب الله، فوجب عليه بكفره به، وهو مع ذلك يسجد لله ظله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يهينه الله من خلقه فيشقه، ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ بالسعادة يسعده بها، لأن الأمور كلها بيد الله، يوفق من يشاء لطاعته، ويخذل من يشاء، ويُسقي من أراد، ويسعد من أحب. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته، لأن الخلق خلقه والأمر أمره، ﴿لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ بمعنى: فما له من إكرام، وذلك قراءة لا أستحيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۖ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۚ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ۚ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۚ﴾ يختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله، وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، وأشبهاها بتأويل الآية، قول من قال: عني بالخصمين جميع الكفار من أي أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه: أحدهما أهل طاعة له بالسجود له، والآخر: أهل معصية له، قد حق عليه العذاب، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ثم قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما، فقال: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ وقال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ فكان بينا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما. فتأويل الكلام: هذان خصمان اختصموا في دين ربهم، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ومحاربتة إياه على دينه. وقوله: ﴿فَالَّذِينَ

كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَأَمَّا الْكَافِرُ فَانْهَكَهُ قَطْعُ لَهُ قَمِيصٍ مِنْ نَحَاسٍ مِنْ نَارٍ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَجَاءَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ الْحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَيَنْقُذُ الْجُمُوعَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ، وَهِيَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ". وَقَوْلُهُ: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ يَقُولُ: يَذَابُ بِالْحَمِيمِ الَّذِي يَصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ مَا فِي بُطُونِهِمْ مِنَ الشَّحُومِ، وَتَشْوَى جُلُودَهُمْ مِنْهُ فَتَسْقُطُ، وَالصَّهْرُ: هُوَ الْإِذَابَةُ، يُقَالُ مِنْهُ: صَهَرْتُ الْأَلِيَّةَ بِالنَّارِ: إِذَا أَذْبَتَهَا أَصْهَرَهَا صَهْرًا قَالَ هَارُونَ: إِذَا عَامَ أَهْلُ النَّارِ، وَقَالَ جَعْفَرٌ: إِذَا جَاعَ أَهْلُ النَّارِ اسْتَغَاثُوا بِشَجَرَةِ الزَّقُومِ، فَيَأْكُلُونَ مِنْهَا، فَاخْتَلَسَتْ جُلُودُ وَجُوهِهِمْ، فَلَوْ أَنَّ مَا رَأَوْهُمْ يَعْرِفُهُمْ، يَعْرِفُ جُلُودَ وَجُوهِهِمْ فِيهَا، ثُمَّ يَصَبُّ عَلَيْهِمُ الْعَطَشُ، فَيَسْتَغِيثُوا، فَيُعَاثُوا بِمَاءِ كَالْمُهْلِ، وَهُوَ الَّذِي قَدْ انْتَهَى حَرُّهُ، فَإِذَا أَذْنُوهُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ انْشَوَى مِنْ حَرِّهِ لَحُومَ وَجُوهِهِمْ الَّتِي قَدْ سَقَطَتْ عَنْهَا الْجُلُودُ وَ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ يَعْنِي أَمْعَاءَهُمْ، وَتَسْقُطُ جُلُودُهُمْ، ثُمَّ يَضْرِبُونَ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَسْقُطُ كُلُّ عَضْوٍ عَلَى حَالِهِ، يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ تَضْرِبُ رُءُوسَهُمْ بِهَا الْخَزَنَةُ إِذَا أَرَادُوا الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ حَتَّى تَرْجِعَهُمْ إِلَيْهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ يَقُولُ: كُلَّمَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُ الَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ صِفَتَهُمُ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ مِمَّا نَالَهُمْ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ، رَدُّوا إِلَيْهَا. وَكَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي ظِيَّانٍ، قَالَ: النَّارُ سُودَاءُ مَظْلَمَةٌ، لَا يَضِيءُ لَهَا وَلَا جَمْرُهَا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ يَحَاوِلُونَ الْخُرُوجَ مِنَ النَّارِ حِينَ تَجِيشُ جَهَنَّمَ فَتَنْقَلِبُ مِنْ فِيهَا إِلَى أَعْلَى أَبْوَابِهَا، فَيَرِيدُونَ الْخُرُوجَ فَتُعِيدُهُمُ الْخَزَانُ فِيهَا بِالْمَقَامِعِ، وَيَقُولُونَ لَهُمْ إِذَا ضَرَبُوهُمْ بِالْمَقَامِعِ: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. وَعَنِي يَقُولُهُ: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وَيُقَالُ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ، وَقِيلَ عَذَابُ الْحَرِيقِ وَالْمَعْنَى: الْمَحْرَقُ، كَمَا قِيلَ: الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، بِمَعْنَى: الْمُؤْلِمُ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٣٣ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ٣٤﴾

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ٣٤﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأُطَاعُوهُمَا بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَيَحْلِيهِمْ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ يَقُولُ: وَلِبُوسُهُمُ الَّتِي تَلِي أَبْشَارَهُمْ فِيهَا ثِيَابٌ حَرِيرٌ. قَوْلُهُ: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَهَدَاهُمْ رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاهُ: وَهَدَاهُمْ رَبَّهُمْ فِي الدُّنْيَا إِلَى طَرِيقِ الرَّبِّ الْحَمِيدِ، وَطَرِيقُهُ: دِينُهُ دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي شَرَعَهُ لَخَلْقِهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْلُكُوهُ؛ وَالْحَمِيدُ: فَعِيلٌ، صَرَفٌ مِنْ مَفْعُولٍ إِلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ مَحْمُودٌ عِنْدَ أَوْلِيَائِهِ مِنْ خَلْقِهِ، ثُمَّ صَرَفٌ مِنْ مَحْمُودٍ إِلَى حَمِيدٍ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِي وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ٣٥﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ الَّذِينَ جَعَلُوا تَوْحِيدَ اللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ وَأَنكَرُوا مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِمْ

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يقول: ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه، وعن المسجد الحرام الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخص منها بعضا دون بعض؛ ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ يقول: معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام، وقضاء نسكه به، والنزول فيه حيث شاء العاكف فيه، وهو المقيم به؛ والباد: وهو المنتاب إليه من غيره. كما جاء عن ابن سابط، قال: كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل. ففشا فيهم السرقة، وكل إنسان يسرق من ناحيته، فاصطنع رجل بابا، فأرسل إليه عمر: أتخذت بابا من حجاج بيت الله؟ فقال: لا إنما جعلته ليحرز متاعهم، وهو قوله: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ قال: الباد فيه كالمقيم، ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل. وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك، لأن الله تعالى ذكره، ذكر في أول الآية صد من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ فأخبر جل ثناؤه أنه جعله للناس كلهم، فالكافرون به يمتنعون من أراده من المؤمنين به عنه، ثم قال: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ فكان معلوما أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد، إنما هو في المعنى الذي ابتدأ الله الخبر عن الكفار أنهم صدوا عنه المؤمنين به، وذلك لا شك طوافهم وقضاء مناسكهم به والمقام، لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم. وقيل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عطف بيصدون وهو مستقبل على كفروا، وهو ماض، لأن الصد بمعنى الصفة لهم والدوام. وإذا كان ذلك معنى الكلام، لم يكن إلا بلفظ الاسم أو الاستقبال، ولا يكون بلفظ الماضي. وإذا كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: إن الذين كفروا من صفتهم الصد عن سبيل الله، وذلك نظير قول الله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾. وأما قوله: ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ فإن قراء الأمصار على رفع "سواء بالعاكف، والعاكف به، وإعمال جعلناه في الهاء المتصلة به، واللام التي في قوله للناس، ثم استأنف الكلام بسواء، وكذلك تفعل العرب بسواء إذا جاءت بعد حرف قد تم الكلام به، فتقول: مررت برجل سواء عنده الخير والشر، وقد يجوز في ذلك الخفض، وإنما يختار الرفع في ذلك لأن سواء في مذهب واحد عندهم، فكأنهم قالوا: مررت برجل واحد عنده الخير والشر. وأما من خفضه فإنه يوجهه إلى معتدل عنده الخير والشر، ومن قال ذلك في سواء فاستأنف به، ورفع لم يقله في معتدل، لأن معتدل فعل مصرّح، وسواء مصدر فأخراجهم إياه إلى الفعل كإخراجهم حسب في قولهم: مررت برجل حسبك من رجل إلى الفعل. وقد ذكر عن بعض القراء أنه قرأه نصبا على إعمال جعلناه فيه، وذلك وإن كان له وجه في العربية، فقراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه. وقوله: ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يرد فيه إلحادا بظلم نذقه من عذاب أليم، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم، وأدخلت الباء في قوله بإلحاد، والمعنى فيه ما قلت، كما أدخلت في قوله: ﴿تَنَبَّأَ بِالذَّنِّ﴾ والمعنى: تنبأ الدهن واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام، أذاقه الله من العذاب الأليم قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب القول الذي جاء عن ابن مسعود وابن عباس، من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل

معصية لله، وذلك أن الله عم بقوله ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ يَظْلَمِ﴾ ولم يخص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه، نذقه يوم القيامة من عذاب موجه له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، مُعَلِّمَهُ عَظِيمَ مَا رَكِبَ مِنْ قَوْمِهِ قَرِيشَ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ عِبَادَتِهِمْ فِي حَرَمِهِ، وَالْبَيْتَ الَّذِي أَمَرَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ ﷺ بِنَاءَهُ وَطَهْرَهُ مِنَ الْآفَاتِ وَالرِّبِّ وَالشُّرْكِ. وَادَّكَرَ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ ابْتَدَأْنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي يَعْبُدُ قَوْمُكَ فِيهِ غَيْرِي، إِذْ بَوَّأْنَا لَخَلِيلِنَا إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي بِقَوْلِهِ: بَوَّأْنَا: وَطَأْنَا لَهُ مَكَانَ الْبَيْتِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ قَالَ: وَضَعَ اللَّهُ الْبَيْتَ مَعَ آدَمَ ﷺ حِينَ أَهْبَطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ وَكَانَ مَهْطُهُ بِأَرْضِ الْهِنْدِ، وَكَانَ رَأْسُهُ فِي السَّمَاءِ وَرِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ، فَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَهَابَهُ فَنَقَصَ إِلَى سَتِينَ ذِرَاعًا، وَإِنْ آدَمُ لَمَّا فَقَدَ أَصْوَاتَ الْمَلَائِكَةِ وَتَسْبِيحَهُمْ، شَكَاهُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ اللَّهُ: يَا آدَمُ إِنِّي قَدْ أَهْبَطْتُ لَكَ بَيْتًا يُطَافُ بِهِ كَمَا يُطَافُ حَوْلَ عَرْشِي، وَيُصَلَّى عِنْدَهُ كَمَا يُصَلَّى حَوْلَ عَرْشِي، فَانْطَلِقْ إِلَيْهِ! فَخَرَجَ إِلَيْهِ، وَمَدَّ لَهُ فِي خَطْوِهِ، فَكَانَ بَيْنَ كُلِّ خَطْوَتَيْنِ مَفَازَةٌ، فَلَمْ تَزَلْ تِلْكَ الْمَفَازُ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى أَتَى آدَمُ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ وَمِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَيَعْنِي بِالْبَيْتِ: الْكَعْبَةَ، ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ فِي عِبَادَتِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ، الَّذِي بَنَيْتَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَقَوْلُهُ: ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ يَعْنِي لِلطَّائِفِينَ، وَالْقَائِمِينَ بِمَعْنَى الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ قِيَامٌ فِي صَلَاتِهِمْ. كَمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ قَالَ: الْقَائِمُ وَالرَّاكِعُ وَالسَّاجِدُ هُوَ الْمُصَلِّي، وَالطَّائِفُ هُوَ الَّذِي يُطُوفُ بِهِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ يَقُولُ: وَالرُّكْعُ السُّجُودُ فِي صَلَاتِهِمْ حَوْلَ الْبَيْتِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ الْحُجَّ يَأْتُونَكَ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكَلُوا مِنْهَا وَأَطَعُوا الْبَابِيسَ الْفَقِيرَ ۖ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۖ﴾ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: عَهْدْنَا إِلَيْهِ أَيْضًا أَنْ أَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ: يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ﴾ أَعْلَمَ وَنَادَى فِي النَّاسِ أَنْ حُجُّوا أَيُّهَا النَّاسُ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ ﴿يَأْتُونَكَ رَجَالًا﴾ يَقُولُ: فَإِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ الْبَيْتَ الَّذِي تَأْمُرُهُمْ بِحُجِّهِ مَشَاءَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يَقُولُ: وَرُكْبَانًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، وَهِيَ الْإِبِلُ الْمَهَازِيلُ ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يَقُولُ: تَأْتِي هَذِهِ الضُّوَامِرُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ: يَقُولُ: مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَمَكَانٍ وَمَسْلَكٍ بَعِيدٍ. وَقِيلَ: يَأْتِينَ. فَجَمَعَ لِأَنَّهُ أُرِيدَ بِكُلِّ ضَامِرٍ: النُّوقُ. وَمَعْنَى الْكُلِّ: الْجَمْعُ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: يَأْتِينَ. وَقَدْ زَعَمَ الْفَرَاءُ أَنَّهُ قَلِيلٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: مَرَرْتُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ قَائِمِينَ. قَالَ: وَهُوَ صَوَابٌ، وَقَوْلُ اللَّهِ "وَعَلَى ضَامِرٍ يَأْتِينَ" يَنْبِئُ عَلَى صِحَّةِ جَوَازِهِ. وَذَكَرَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِالتَّأَذُّبِ بِالْحُجِّ، قَامَ عَلَى مَقَامِهِ فَنَادَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّ فَحُجُّوا بَيْتَهُ الْعَتِيقَ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي صِفَةِ تَأَذُّبِ إِبْرَاهِيمَ بِذَلِكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَادَى بِذَلِكَ كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: ثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ قَابُوسَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا فَرَّغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ قِيلَ لَهُ: ﴿إِذْ فِي النَّاسِ الْحُجَّ﴾ قَالَ: رَبِّ وَمَا يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قَالَ: أَذْنٌ وَعَلَيْهِ الْبَلَاغُ فَنَادَى إِبْرَاهِيمُ: أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَحُجُّوا - قَالَ: فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَفَلَا تَرَى

الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون. كما جاء عن مجاهد، قال: قيل لإبراهيم: أذن في الناس بالحج، قال: يا رب كيف أقول؟ قال: قل لبيك اللهم لبيك. قال: فكانت أول التلبية. وجاء عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ يعني بالناس: أهل القبلة، ألم تسمع أنه قال: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ يقول: ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم، وكتب عليهم الحج، فإنه آمن، فعظموا حرمة الله تعالى، فإنها من تقوى القلوب. وأما قوله: ﴿يَأْتُوكَ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا. وقوله ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ يعني: من مكان بعيد. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع. وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عنى بذلك: ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عم لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة، ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت. وقوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ على ما رزقهم من بهيمة الأنعام يقول تعالى ذكره: وكيذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبُدن التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم، في أيام معلومات، وهن أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل. وفي قول بعضهم أيام العشر. وفي قول بعضهم: يوم النحر وأيام التشريق. وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات، وبيننا الأولى بالصواب منها في سورة البقرة، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، غير أني أذكر بعض ذلك أيضاً في هذا الموضع. كما جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ يعني أيام التشريق. وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يقول: كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرتم اسم الله عليها أيها الناس هنالك. وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر إباحة لا أمر إيجاب، وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحجة أن ذابح هديه أو بدنته هنالك، إن لم يأكل من هديه أو بدنته، أنه لم يضيع له فرضاً كان واحداً عليه، فكان معلوماً بذلك أنه غير واجب. كما جاء عن مجاهد، أنه قال: هي رخصة: إن شاء أكل، وإن شاء لم يأكل، وهي كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني قوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَصِرَ﴾. وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ يقول: وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام من هديكم وبُدنكم البائس، وهو الذي به ضرر الجوع والزمالة والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له. وقيل عن عكرمة، قال: البائس: المضطر الذي عليه البؤس - والفقير: المتعفف. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ يقول: تعالى ذكره: ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك حجهم: من حلق شعر، وأخذ شارب، ورمي جمرة، وطواف بالبيت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ قال: يعني بالتفث: وضع إحرامهم من حلق الرأس، ولبس الثياب، وقص الأظفار ونحو ذلك. وقوله: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ يقول: وليوفوا الله بما نذروا من هدي وبدنة وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ يقول: وليطوفوا ببيت الله الحرام. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿الْعَتِيقِ﴾ في هذا الموضع، قال أبو جعفر: ولكل هذه الأقوال بالصواب ما جاء عن ابن

الزبير أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَلَمْ يَطْهَرْ عَلَيْهِ قَطُّ صَحِيحًا". وعني بالطواف الذي أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به في هذه الآية طواف الإفاضة الذي يُطاف به بعد التعريف، إما يوم النحر وإما بعده، لا خلاف بين أهل التأويل في ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأَجَلَتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره بقوله ﴿ذَلِكَ﴾ هذا الذي أمر به من قضاء النفث والوفاء بالنذور، والطواف بالبيت العتيق، هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس في حجكم ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ يقول: ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحُرْمَهُ أَنْ يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَأَجَلَتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ﴾ يقول جل ثناؤه: وأحل الله لكم أيها الناس الأنعام أن تأكلوها إذا ذكيتموها، فلم يحرم عليكم منها بحيرة، ولا سائبة، ولا وصيلة، ولا حاما، ولا ما جعلتموه منها لألهتكم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يقول: إلا ما يتلى عليكم في كتاب الله، وذلك: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطيحة، وما أكل السبع، وما ذبح على النصب، فإن ذلك كله رجس. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ يقول: فاتقوا عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان في عبادتها فإنها رجس. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عباس بن جريج وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ يقول تعالى ذكره: واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وقولكم للملائكة: هي بنات الله، ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذب وزور وشرك بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال: أهل التأويل. كما روي أن النبي ﷺ قام خطيبا فقال: "أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله" مرتين. ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾. ويجوز أن يكون مرادا به: اجتنبوا أن ترجسوا أنتم أيها الناس من الأوثان بعبادتكم إياها. فإن قائل قائل: وهل من الأوثان ما ليس برجس حتى قيل: فاجتنبوا الرجس منها؟ قيل: كلها رجس. وليس المعنى ما ذهب إليه في ذلك، وإنما معنى الكلام: فاجتنبوا الرجس الذي يكون من الأوثان أي عبادتها، فالذي أمر جل ثناؤه بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ منها اتقاء عبادتها، وتلك العبادة هي الرجس، على ما قاله ابن عباس ومن ذكرنا قوله قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان، وقول الشرك، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام، غير مشركين به شيئا من دونه، فإنه من يشرك بالله شيئا من دونه، فمثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه، مثل من خَرَّ من السماء فتخطفه الطير فهلك، أو هوت به الريح في مكان سحيق، يعني من بعيد، من قولهم: أبعد الله وأسحقه، وفيه لغتان: أسحقته الريح وسحقته، ومنه قيل للنخلة الطويلة: نخلة سحوق؛ يقول: فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ومن إصابه الحق، كبعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض، أو كهلاك من اختطفته

الطير منهم في الهواء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره: هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس وأمرتكم به من اجتناب الرجس من الأوثان واجتناب قول الزور، حنفاء لله، وتعظيم شعائر الله، وهو استحسان البدن واستسمانها وأداء مناسك الحج على ما أمر الله جل ثناؤه، من تقوى قلوبكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وأختلفوا في تلك الشعائر وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما حملة أعلاما لخلقه فيما تعبدهم به من مناسك حجهم، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم؛ لم يخص من ذلك شيئا، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب، كما قال جل ثناؤه؛ وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك. وقال: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وأنث ولم يقل: فإنه، لأنه أريد بذلك: فإن تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وعنى بقوله: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فإنها من وجل القلوب من خشية الله، وحققة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٣٤) اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ قال أبو جعفر: وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ معني به: كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خلقه، إذ لم يخص من ذلك جل ثناؤه شيئا في خبر ولا عقل. وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى، فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا، فمنافعها لكم من حين تملكون إلى أن أوجبتوها هدايا وبدنا، وما كان منها أماكن ينسك الله عندها، فمنافعها التجارة لله عندها والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها، وما كان منها أوقاتا بأن يطاع الله فيها بعمل أعمال الحج وبطلب المعاش فيها بالتجارة، إلى أن يطاف بالبيت في بعض، أو يوافي الحرم في بعض ويخرج عن الحرم في بعض. وقال اختلف الذين ذكرنا اختلافهم في تأويل قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق، فما كان من ذلك هديا أو بدنا فبموافاته الحرم في الحرم، وما كان من نسك فالطواف بالبيت. وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسْكَ لِيُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرُ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٥) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ولكل جماعة سلف فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس، جعلنا ذبحا يهريقون دمه ﴿لِيُذَكِّرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ بذلك لأن من البهائم ما ليس من الأنعام، كالخيل والبغال والحمير. وقيل: إنما قيل للبهائم بهائم لأنها لا تتكلم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: ﴿جَعَلْنَا

مَنْسَكًا ﴿٣٢﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَالْهَكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فاجتنبوا الرجز من الأوثان، واجتنبوا قول الزور، فالهكم إله واحد لا شريك له، فإياه فاعبدوا وله أخلصوا الألوهة. وقوله: ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ يقول: فلا للهكم فاضعوا بالطاعة، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية. وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة، المذعنين له بالعبودية، المنيين إليه بالتوبة. وقد بينا معنى الإخبات بشواهد فيما مضى من كتابنا هذا. وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع، فقال بعضهم: أريد به: وبشر المطمئنين إلى الله. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون في ذلك بما جاء عن عمرو بن أوس، قال: المخبتون: الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ فهذا من نعت المخبتين؛ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: وبشر يا محمد المخبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله وتخضع من خشيته وجلا من عقابه وخوفا من سخطه. كالذي جاء عن ابن زيد في قوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: لا تقسو قلوبهم. ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ من شدة في أمر الله، ونالهم من مكروه في جنبه ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ المفروضة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاة ونفقة عيال ومن وجبت عليه نفقته وفي سبيل الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ يقول تعالى ذكره: والبدن وهي جمع بدنة، وقد يقال لواحدها: بدن، وإذا قيل بدن احتمل أن يكون جمعا وواحدا، يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز: عَلَيَّ حِينَ تَمْلِكُ الْأُمُورَ... صَوْمٌ شُهُورٌ وَجَبَتْ نُدُورًا وَحَلَقَ رَاسِي وَأَفِيَا مَضْفُورًا... وَبَدْنَا مُدْرَعًا مُؤَفُورًا والبدن هو الضخم من كل شيء، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق، والسدير البدن: لضخمه واسترخاء لحمه، فإنه يقال: قد بدن تبدينا. فمعنى الكلام. والإبل العظام الأجسام الضخام، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله: يقول: من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلتموها وجللتموها وأشعرتموها، علم بذلك وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر. كما جاء عن عطاء وقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ يقول: لكم في البدن خير، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها، وفي الدنيا: الركوب إذا احتاج إلى ركوبها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن إبراهيم: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ من احتاج إلى ظهر البدنة ركب، ومن احتاج إلى لبنها شرب. وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فاذكروا اسم الله على البدن عند نحركم إياها صواف. كما جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ قال: الله أكبر الله أكبر، اللهم منك ولك. صواف: قياما على ثلاث أرجل. فقيل لابن عباس: ما نضع بجلودها؟ قال: تصدقوا بها، واستمتعوا بها. وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ يقول: فإذا سقطت فوقعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر، ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ وهو من قولهم: قد وجبت الشمس: إذا غابت فسقطت للتغيب، كما وجاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ وهذا مخرجه

مخرج الأمر ومعناه الإباحة والإطلاق؛ يقول الله: فإذا نحرث فسقطت ميتة بعد النحر فقد حل لكم أكلها، وليس بأمر إيجاب. وكان إبراهيم النخعي يقول في ذلك المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم، فرخص للمسلمين، فأكلوا منها، فمن شاء أكل ومن شاء لم يأكل. وجاء عن مجاهد، قال: إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل، فهي بمنزلة: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾. قوله: ﴿وَأَطْعُمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ قال: القانع: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، والمعتَر: الذي يتعرَّض لك ويلم بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البدن. كما جاء عن مجاهد وأختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: عني بالقانع: السائل؛ لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع، المكتفي بما عنده والمستغني به ل قيل: وأطعموا القانع والسائل، ولم يقل: وأطعموا القانع والمعتَر. وفي إتياع ذلك قوله: والمعتَر، الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل، من قولهم: قنع فلان إلى فلان، بمعنى سأله وخضع إليه، فهو يقنع قنوعاً؛ وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفي، فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا. وأما المعتَر: فإنه الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطعمه. وقوله: ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾ يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس. يقول: لتشكروني على تسخيرها لكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيُبَيِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: لَمْ يَصِلْ إِلَى اللَّهِ لَحُومُ بَدَنِكُمْ وَلَا دِمَاؤُهَا، وَلَكِنْ يَنَالُهُ اتِّقَاؤُكُمْ إِيَّاهُ أَنْ اتَّقَيْتُمُوهُ فِيهَا فَأَرَدْتُمْ بِهَا وَجْهَهُ، وَعَمَلْتُمْ فِيهَا بِمَا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ وَأَمَرَكُم بِهِ فِي أَمْرِهَا وَعَظَمْتُمْ بِهَا حُرْمَاتِهِ. وَبَنَحُوا الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ قَالَ: إِنْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبُذُنِ، وَعَمَلْتَ فِيهَا لِلَّهِ، وَطَلَبْتَ مَا قَالَ اللَّهُ تَعْظِيماً لِسَعَائِرِ اللَّهِ وَلِحُرْمَاتِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ سَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ قَالَ: وَجَعَلْتَهُ طَيِّباً، فَذَلِكَ الَّذِي يَقْبَلُ اللَّهُ. فَأَمَّا اللَّحُومُ وَالدَّمَاءُ، فَمِنْ أَيْنَ تَنَالُ اللَّهُ؟ وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ﴾ يَقُولُ: هَكَذَا سَخَرَ لَكُمْ الْبُذُنَ. يَقُولُ: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ يَقُولُ: كَيْ تَعْظُمُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ، يَعْنِي عَلَى تَوْفِيقِهِ إِيَّاكُمْ لِدِينِهِ وَلِلنَّسْكِ فِي حُجَّكُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ غَائِلَةَ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ يَخُونُ اللَّهَ فَيُخَالِفُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَيَعْصِيهِ وَيَطِيعُ الشَّيْطَانَ ﴿كَفُورٍ﴾ يَقُولُ: جَحُودٌ لِنِعْمَةِ عِنْدِهِ، لَا يَعْرِفُ لِمَنْعِمَهَا حَقَّهُ فَيَشْكُرُهُ عَلَيْهَا. وَقِيلَ: إِنَّهُ عَنِ بَذَلِكُ دَفْعِ اللَّهِ كَفَّارَ قَرِيشَ عَمَّنْ كَانَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ هِجْرَتِهِمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقتالهم. كما جاء عن سعيد بن جبير، قال: لما خرج النبي ﷺ من مكة، قال رجل: أخرجوا نبينهم، فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ الآية ﴿الَّذِينَ أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ النبي ﷺ وأصحابه. وجاء عن قتادة، في قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ قال: هي أول آية أنزلت في

القتال، فأذن لهم أن يقاتلوا. وقد كان بعضهم يزعم أن الله إنما قال: أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل أن أصحاب رسول الله ﷺ، كانوا استأذنوا رسول الله ﷺ في قتل الكفار إذا آذوهم واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرًا؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ فَلَمَّا هاجر رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة، أطلق لهم قتلهم وقتالهم، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ يقول جل ثناؤه: وإن الله على نصر المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله لقادر، وقد نصرهم فأعزهم ورفعهم وأهلك عدوهم وأذلهم بأيديهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فالذين الثانية رد على الذين الأولى. وعنى بالمخرجين من دورهم: المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة. وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله، وسبهم بعضهم بالستهم ووعيدهم إياهم، حتى اضطروهم إلى الخروج عنهم. وكان فعلهم ذلك بهم بغير حق، لأنهم كانوا على باطل والمؤمنون على الحق، فلذلك قال جل ثناؤه: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾. وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ يقول تعالى ذكره: لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم: ربنا الله وحده لا شريك له! فأن في موضع خفض ردًا على الباء في قوله: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء. وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض، لهدم ما ذكر، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض، وكفه المشركين بالمسلمين عن ذلك؛ ومنه كفه بعضهم التظالم، كالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم بينهم؛ ومنه كفه لمن أجاز شهادته بينهم ببعضهم عن الذهاب بحق من له قبله حق، ونحو ذلك. وكل ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض، لولا ذلك لتظالموا، فهدم القاهرون صوامع المهطورين وبيعهم وما سمى جل ثناؤه. ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل على أنه عنى من ذلك بعضا دون بعض، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بينته قبل لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا. وقوله: ﴿لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى بالصوامع، فقال بعضهم: عني بها صوامع الرهبان. كما جاء عن ربيع وغيره وأما قوله ﴿وَبِيَعٌ﴾ فإنه يعني بها: بيع النصارى. قوله: ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ اختلف أهل التأويل في معناه، وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى، وصلوات اليهود، وهي كنائسهم، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا. وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وليعين الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوه؛ فنصر الله عبده؛ معونته إياه، ونصر العبد ربه؛ جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لقوي على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في ملكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿١١﴾ يقول تعالى ذكره: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة. والذين ههنا ردّ على الذين يقاتلون. ويعني بقوله: ﴿إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ إن وطنا لهم في البلاد، فقهروا المشركين وغلبوهم عليها، وهم أصحاب رسول الله ﷺ. يقول: إن نصرناهم على أعدائهم وقهروا مشركي مكة، أطاعوا الله، فأقاموا الصلاة بحدودها، وآتوا الزكاة. يقول: وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له ﴿وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ﴾ يقول: ودعوا الناس إلى توحيد الله والعمل بطاعته وما يعرفه أهل الإيمان بالله ﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يقول: ونهوا عن الشرك بالله، والعمل بمعاصيه، الذي ينكره أهل الحق والإيمان بالله ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ يقول: والله آخر أمور الخلق، يعني: أن إليه مصيرها في الثواب عليها، والعقاب في الدار الآخرة. وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي العالية، في قوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ قال: كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا إلى الإخلاص لله وحده لا شريك له؛ ونهيههم عن المنكر أنهم نهوا عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان. قال: فمن دعا إلى الله من الناس كلهم فقد أمر بالمعروف، ومن نهى عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان فقد نهى عن المنكر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۖ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَصِيرِ﴾ ﴿١٢﴾ يقول تعالى ذكره مسلينا نبيه محمدا ﷺ عما يناله من أذى المشركين بالله، وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما آتيتهم به من الحق والبرهان، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة برب الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم، فلا يصدئك ذلك، فإن العذاب المهين من ورائهم ونصري إياك وأتباعك عليهم آتيتهم من وراء ذلك، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال. فقد كذبت قبلهم يعني مشركي قريش؛ قوم نوح، وقوم عاد وثمود، وقوم إبراهيم، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وهم قوم شعيب. يقول: كذب كل هؤلاء رسلهم. وكذب موسى، فقيل: وكذب موسى، ولم يقل: وقوم موسى، لأن قوم موسى بنو إسرائيل، وكانت قد استجابت له ولم تكذبه، وإنما كذبه فرعون وقومه من القبط. وقد قيل: إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد في أهل مكة. وقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول: فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ يقول: ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَصِيرِ﴾ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغيير ما كان بهم من نعمة وتنكري لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم، ألم أبدلهم بالكثرة قلة وبالحياة موتا وهلاكا وبالعمارة خرابا؟ يقول: فكذلك فعلي بمكذبيك من قريش، وإن أمليت لهم إلى آجالهم، فإني منجزك وعدي فيهم كما أنجزت غيرك من رسلي وعدي في أممهم، فأهلكناهم وأنجيتهم من بين أظهرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: وكم يا محمد من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد. وقوله: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ يقول: فباد أهلها وخت، وخوت من سكانها، فخربت وتداعت، وتساقطت على عروشها؛ يعني على بنائها وسقوفها. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ يقول تعالى: فكأين من قرية أهلكناها، ومن بئر عطلناها، بإفناء أهلها وهلاك واديها، فاندفنت وتعطلت، فلا واردة لها ولا شاربة منها ﴿وَ﴾ من ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ رفيع بالصخور والجص، قد خلا من سكانه، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعالهم، فبادوا وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم. والبئر والمعطلة مخفوضان بالعطف على القرية. كان بعض نحووي الكوفة يقول: هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا، وإن لم يحسن فيهما، على أن العروش أعالي البيوت، والبئر في الأرض، وكذلك القصر، لأن القرية لم تخو على القصر، ولكنه أتبع بعضه بعضا كما قال: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ﴾ فمعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك: فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة، فهي خاوية على عروشها، ولها بئر معطلة وقصر مشيد؛ ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها، أتبعها في الإعراب العروش، والمعنى ما وصفت. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقد تأوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيد من شدته أشيده. إذا زينت به، وذلك شبيه بمعنى من قال: مجصص.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١٦) يقول تعالى ذكره: أفلم يسيروا هؤلاء المكذبون بآيات الله والجاحدون قدرته في البلاد، فيظنوا إلى مصارع ضربائهم من مكذبي رسل الله الذين خلوا من قبلهم، كعاد وثمود وقوم لوط وشعيب، وأوطانهم ومساكنهم، فيتفكروا فيها ويعتبروا بها ويعلموا بتدبرهم أمرها وأمر أهلها، سنة الله فيمن كفر وعبد غيره وكذب رسله، فينبوا من عتوهم وكفرهم، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك واعتبروا به وأنابوا إلى الحق ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ حجج الله على خلقه وقدرته على ما بينا ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ يقول: أو آذان تصغي لسماع الحق فتعيذك وتميز بينه وبين الباطل. وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ﴾ يقول: فإنها لا تعمي أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص ويروها، بل يبصرون ذلك بأبصارهم؛ ولكن تعمي قلوبهم التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته. والهاء في قوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى﴾ هاء عماد، كقول القائل: إنه عبد الله قائم. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: "فإنه لا تعمي الأبصار". وقيل: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ والقلوب لا تكون إلا في الصدور، توكيدا للكلام، كما قيل: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١٧) يقول تعالى ذكره: ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك بما تعددهم من عذاب الله على شركهم به وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا، ولن يخلف الله

وعده الذي وعدك فيهم من إحلال عذابه ونقمته بهم في عاجل الدنيا. ففعل ذلك، ووفى لهم بما وعدهم، فقتلهم يوم بدر. واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أي يوم هو؟ وألصواب أن تأويل الكلام: وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة، يوم واحد كألف سنة من عددكم، وليس ذلك عنده ببعيد، وهو عندكم بعيد، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته حتى يبلغ غاية مدته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾^(١٨) يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا﴾ يقول: أمهلتهم وأخرت عذابهم، وهم بالله مشركون، ولأمره مخالفون، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جل ثناؤه، فلم أعجل بعذابهم، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ يقول: ثم أخذتها بالعذاب، فعذبتها في الدنيا بإحلال عقوبتنا بهم، ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ يقول: وإلي مصيرهم أيضا بعد هلاكهم، فيلقون من العذاب حيثما لا انقطاع له؛ يقول تعالى ذكره: فلكذلك حال مستعجلك بالعذاب من مشركي قومك، وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم، فإني أخذهم بالعذاب، فقاتلهم بالسيف، ثم إلي مصيرهم بعد ذلك فموجعهم إذن عقوبة على ما قدموا من آثامهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(١٩) قَالِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ^(٢٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ^(٢١) يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم، اتباعا منهم لكل شيطان مريد: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا، وعذابه في الآخرة أن تصلوه مبين: يقول: أبين لكم إنذاري ذلك وأظهره، لتنبؤوا من شرككم وتحذروا ما أنذركم من ذلك، لا أملك لكم غير ذلك، فأما تعجيل العقاب وتأخير الذي تستعجلونني به، فإلى الله ليس ذلك إلي، ولا أقدر عليه؛ ثم وصف نذارته وبشارته، ولم يجز للبشارة ذكر، ولما ذكرت النذارة على عمل علم أن البشارة على خلافه، فقال: والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يقول: لهم من الله ستر ذنوبهم التي سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: ورزق حسن في الجنة. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ يقول: والذين عملوا في حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا، والإقرار بكتابتنا الذي أنزلناه، أما قوله ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ فمعناه أن من عجز عن آيات الله، فقد عاجز الله، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم أنهم كانوا يبطئون الناس عن الإيمان بالله، واتباع رسوله، ويغالبون رسول الله ﷺ، يحسبون أنهم يعجزونه ويغلبونه، وقد ضمن الله له نصره عليهم، فكان ذلك معاجزتهم الله. وقوله: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة وأهلها الذين هم أهلها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢٢) وتأويل الكلام: ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم، ولا نبي محدث ليس بمرسل، إلا إذا تمنى.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال: ذلك التمني من النبي ﷺ ما حدثه نفسه من محبته، مقاربة قومه في ذكر ألهتهم ببعض ما يحبون، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء. وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدث. كما جاء عن الضحاك وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ على ذلك؛ لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها، لا شك أنها آيات تنزيلة، فمعلوم أن الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه. فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدث وتكلم، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ يقول تعالى: فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ يقول: ثم يخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على لسان نبيه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ بما يحدث في خلقه من حدث، لا يخفى عليه منه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره إياهم وصرفه لهم فيما شاء وأحب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله آياته، كي يجعل ما يلقي الشيطان في أمانة نبيه من الباطل، وقوله فتنة يقول: اختبارا يختبر به الذين في قلوبهم مرض من النفاق، وذلك الشك في صدق رسول الله ﷺ وحقيقة ما يخبرهم به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقال ابن جريج: ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: المشركون. وقوله: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن مشركي قومك يا محمد لفي خلاف الله في أمره، بعيد من الحق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد. يقول: فيصدقوا به. يقول: فتخضع للقرآن قلوبهم، وتدعن بالتصديق به والإقرار بما فيه. وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق القاصد والحق الواضح، بنسخ ما ألقى الشيطان في أمانة رسوله، فلا يضرهم كيد الشيطان، وإلغاؤه الباطل على لسان نبيهم. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يزال الذين كفروا بالله في شك. ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: منه من ذكر ما هي؟ وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أقرب منه من ذكر قوله: ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ والهاء من قوله "أنه" من ذكر القرآن، فالحاق الهاء في قوله: ﴿فَفِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ بالهاء من قوله: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أولى من إلحاقها بما التي في قوله ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ مع بُعد ما بينهما. وقوله: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ

السَّاعَةُ ﴿٥٦﴾ يقول: لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيهم الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة، يقول: فجأة. واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أي يوم هو؟ فقال بعضهم: هو يوم القيامة. كما جاء عن الضحاك وقال آخرون: بل عني به يوم بدر. وقالوا: إنما قيل له يوم عقيم، أنهم لم ينظروا إلى الليل، فكان لهم عقيماً. كما جاء عن مجاهد وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية، لأنه لا وجه لأن يقال: لا يزالون في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة، أو تأتيهم الساعة؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ، وذلك ما لا معنى له. فإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به أصحهما معنى وأشبههما بالمعروف في الخطاب، وهو ما ذكرنا. في معناه. فتأويل الكلام إذن: ولا يزال الذين كفروا في مرية منه، حتى تأتيهم الساعة بغتة فيصبروا إلى العذاب العقيم، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم له، فلا ينظرون فيه إلى الليل ولا يؤخروا فيه إلى المساء، لكنهم يقتلون قبل المساء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: السلطان والملك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع، وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعي ملكاً سواه ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين؛ فالذين آمنوا بهذا القرآن، وبمن أنزله، ومن جاء به، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ، والذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآيات كتابه وتنزله، وقالوا: ليس ذلك من عند الله، إنما هو إفك افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ يقول: فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين، يعني عذاب مذل في جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك، ليرزقنهم الله يوم القيامة في جناته رزقاً حسناً. يعني بالحسن: الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن: الثواب الجزيل ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقول: وإن الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم. وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في حكم منبعضهم: سواء المقتول منهم والميت. وقال آخرون: المقتول أفضل. فأنزل الله هذه الآية على نبيه ﷺ، يعلمهم استواء أمر الميت في سبيله والمقتول فيها في الثواب عنده. وقد جاء عن سلمان بن عامر قال: كان فضالة برودس أميراً على الأربع، فخرج بجنازي رجلين، أحدهما قتيل والآخر متوفى؛ فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرة، فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى؟ فقالوا: هذا القتيل في سبيل الله. فقال فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بُعثت! اقرءوا قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا﴾... إلى قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَيَدْخَلْنَهُمْ مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ خَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم ﴿مُدْخَلَ رِضْوَانِهِ﴾ وذلك المدخل هو الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا. ﴿خَلِيمٌ﴾ عن عصاة خلقه، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله، ثم قتلوا أو ماتوا، ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم. كما جاء عن ابن جريج: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ قال: هم المشركون بغوا على النبي ﷺ، فوعده الله أن ينصره، وقال في القصص أيضا. وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر، فأبى المشركون ذلك، وقاتلوهم فبغوا عليهم، وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بأن بدئ بالقتال وهو له كاره، ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق، غفور لما فعل ببادهه بالظلم مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي، لأني القادر على ما أشاء. فمن قدرته أن الله يولج الليل في النهار يقول: يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، فما نقص من هذا زاد في هذا. ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، فما نقص من طول هذا زاد في طول هذا، وبالقدرة التي تفعل ذلك ينصر محمدا ﷺ وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يقول: وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول؛ لا يخفى عليه منه شيء، بصير بما يعملون، لا يغيب عنه منه شيء، كل ذلك معه بمرأى ومسمع، وهو الحافظ لكل ذلك، حتى يجازي جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿ذَلِكَ﴾ هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار، وإيلاجي النهار في الليل، لأني أنا الحق الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ند، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء، بل هو المصنوع، يقول لهم تعالى ذكره: أفتركون أيها الجاهل عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكل شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته. وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ يعني بقوله: ﴿الْعَلِيُّ﴾ ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه. ﴿الْكَبِيرُ﴾ يعني العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه. وكان ابن جريج يقول في قوله: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾

هُوَ الْبَاطِلُ ﴿١٤﴾ قال: الشيطان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني مطرا ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بما ينبت فيها من النبات ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداء ما شاء أن يبتدعه ﴿خَبِيرٌ﴾ بما يحدث عن ذلك النبت من الحب، وبه قال: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ﴾ فرفع، وقد تقدمه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ وإنما قيل ذلك لأن معنى الكلام الخبر، كأنه قيل: اعلم يا محمد أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض؛

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَالْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: له ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء هم عبيده ومماليكه وخلقته، لا شريك له في ذلك، ولا في شيء منه، وإن الله هو الغني عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه، الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره: ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من الدواب والبهائم، فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم ﴿وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ يقول: وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره، يعني بقدرته، وتذليله إياها لكم كذلك. وقوله ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ يقول: ويمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه. ومعنى قوله: ﴿أَنْ تَقَعَ﴾ أن لا تقع. ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بمعنى: أنه بهم ل ذو رافة ورحمة، فمن رافته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ ﴿١٨﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا، ثم هو يميتهم من بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم، ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حسن خلقه إياه، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبر والبحر، وتركه إهلاكه بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد، وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له. وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك، جعلنا مألفا يألونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه، وقضاء فرائضي، وعملا يلزمون به. وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شر؛ يقال: إن لفلان منسكا يعتاده: يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر. وإنما سميت مناسك الحج بذلك، لتردد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحج والعمرة. وفيه لغتان: "منسك" بكسر السين وفتح الميم، وذلك من لغة أهل الحجاز، و"منسك" بفتح الميم والسين جميعا، وذلك من لغة أسد. وقد قرئ باللغتين جميعا. وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ أي المناسك

عنى به؟ فقال بعضهم: عنى به: عيدهم الذي يعتادونه. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: عنى به: ذبح يذبحونه، ودم يهريقونه. كما جاء عن مجاهد والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى بذلك إراقة الدم أيام النحر بمنى، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله ﷺ كانت إراقة الدم في هذه الأيام، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا. ولذلك قلنا: عنى بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا. وقوله: ﴿فَلَا يَنَازِعُنَا فِي الْأَمْرِ﴾ يقول تعالى ذكره: فلا ينازعك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتقولون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فأنت أولى بالحق منهم، لأنك محق وهم مبطون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: وادع يا محمد منازعك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله، وتجنّبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرّءوا منها، إنك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك، وهم الضلال على قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم وعبادتهم الآلهة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٦٨ ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ٦٩ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: وإن جادلوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك، فقل: الله أعلم بما تعملون ونعمل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون، فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطول.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٧٠ يقول تعالى ذكره: ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. كما جاء عن ابن عباس، أنه سأل كعب الأحبار عن أم الكتاب، فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتابا. وكان ابن جريج يقول في قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ قال: قوله: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ وإنما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك، لأن قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أقرب منه إلى قوله: ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه أولى منه بما بعد. وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ اختلف في ذلك، فقال بعضهم: معناه: إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله

يسير. كما جاء عن ابن جريج وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين. وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك، وذلك

أَن قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾... إلى قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ أقرب وهو له مجاور، ومن قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ يَخْتَكُم بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ متباعد مع دخول قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بينهما، فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٦٦) يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله، بأنها آلهة تصلح عبادتها، فيعبدوها بأن الله أذن لهم في عبادتها، وما ليس لهم به علم أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة، فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بُشِّرُ مِنْ ذَلِكَمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرُ الْمَصِيرُ﴾ (٦٧) يقول تعالى ذكره: وإذا تلى على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ﴿آيَاتِنَا﴾ يعني: آيات القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ يقول: واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ يقول: تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها، لسماعهم بالقرآن. وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ يقول: يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي ﷺ، لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم. وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ﴿يَسْطُونَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ يقول: يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذا. وقوله: ﴿قُلْ أَفَأَنْتُمْ بُشِّرُ مِنْ ذَلِكَمُ﴾ يقول: أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكرهون قراءتهم القرآن عليكم، هي ﴿النَّارُ﴾ وعدها الله الذين كفروا. وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول: إن المشركين قالوا: والله إن محمدا وأصحابه لشراً خلق الله! فقال الله لهم: قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد ﷺ، أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار. ورفعت النار على الابتداء، ولأنها معرفة لا تصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة، كما يقال: مررت برجلين: أخوك وأبوك، ولو كانت مخفوضة كان جائزا؛ وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعدا وأنت تنوي بها الاتصال بما قبلها، يقول تعالى ذكره: فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه. وقوله: ﴿وَبَشِّرُ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وبشّر المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٦٨) ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٦٩) يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس جعل الله مثل وذكر. ومعنى ضرب في هذا الموضع: جعل من قولهم: ضرب السلطان على الناس البعث، بمعنى: جعل عليهم. وضرب الجزية على النصارى، بمعنى جعل ذلك عليهم؛ والمثل: الشبه، يقول جل ثناؤه:

جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشَّبه والمَثَل: الآلهة، يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبيهاً، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي. فاستمعوا له: يقول: فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيهاً وصفته ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذباباً في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطبيقه، ولو اجتمع لخلقه جميعها. والذباب واحد، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبَّان غراب، يجمع في القلة أغربة، وفي الكثرة غربان. وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئاً مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه: يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه. واختلف في معنى قوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب. وقوله ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمتهم حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قَصَر بحقه، وهم يريدون تعظيمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ يقول: إن الله لقويٌّ على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره عزيز: يقول: منيع في ملكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيئاً، وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدر على خلق ذباب، ولا على الامتناع من الذباب، إذا استلبها شيئاً ضعفاً ومهانة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنِ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) يقول تعالى ذكره: الله يختار من الملائكة رسلاً كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم. ومعنى الكلام: الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس أيضاً رسلاً وقد قيل: إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون: أنزل عليه الذكر من بيننا، فقال الله لهم: ذلك إلي ويدي دون خلقي، أختار من شئت منهم للرسالة. وقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يقول: إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد ﷺ، وما جاء به من عنده، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٧٦) يقول تعالى ذكره: الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قبل أن يخلقهم وما خلفهم، يقول: ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ يقول: إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا، وإليه تعود كما كان منه البدء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ارْكَعُوا﴾ لله في صلاتكم ﴿واسجدوا﴾ له فيها ﴿واعبدوا ربكم﴾ يقول: ودلوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة، الذي أمركم ربكم بفعله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول: لتفلحوا بذلك، فتدركوا به طلباتكم عند ربكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ والصواب من القول في ذلك، قول من قال: عني به الجهاد في سبيل الله، لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله، وحق الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه. قوله ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ يقول: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله. وقال ابن زيد في ذلك، ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ قال: هو هداكم. وقوله ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه، بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا، والكفارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ يقول تعالى ذكره: سماكم يا معشر من آمن بمحمد ﷺ المسلمين من قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقال آخرون: بل معنا: إبراهيم سماكم المسلمين؛ وقالوا هو كناية من ذكر إبراهيم ﷺ: وقال مجاهد ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قال: في الكتب كلها والذكر ﴿وَفِي هَذَا﴾ يعني القرآن، وقوله ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يقول تعالى ذكره اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد ﷺ مسلمين، ليكون محمد رسول الله شهيدا عليكم يوم القيامة، بأنه قد بلغكم ما أرسل به إليكم، وتكونوا أنتم شهداء حينئذ على الرسل أجمعين، أنهم قد بلغوا أمهم ما أرسلوا به إليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ يقول: فأدوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ يقول: وثقوا بالله، وتوكلوا عليه في أموركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ يقول: نعم الولي الله لمن فعل ذلك منكم، فأقام الصلاة، وآتى الزكاة، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، واعتصم به ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ يقول: ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء.

تمت سورة الحج بحمد الله



تفسير سورة المؤمنون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ٢ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ٣ قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمداً ﷺ، وأقروا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات، الخلود في جنّات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه. عن عطاء، عن ميسرة، قال: "لم يخلق الله شيئاً بيده غير أربعة أشياء: خلق آدم بيده، وكتب الألواح بيده، والتوراة بيده، وغرس عدناً بيده، ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾". وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها. وقيل إنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها، فنهوا بهذه الآية عن ذلك. كما جاء عن محمد بن سيرين، قال: "كان رسول الله ﷺ إذا صلى نظر إلى السماء، فأنزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ قال: فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد". واختلف أهل التأويل في الذي عنى به في هذا الموضع من الخشوع وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا أن الخشوع التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر، كان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل، من أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رُويّت ذلة خضوعه في سكون أطرافه وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ٤ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ٧ يقول تعالى ذكره: والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون، وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤهموها. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ يقول: والذين هم لفروج أنفسهم وعنى بالفروج في هذا الموضع: فروج الرجال، وذلك أقبالهم. ﴿حَافِظُونَ﴾ يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج. ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ يقول: إلا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ يعني بذلك: إماءهم. و"ما" التي في قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ محل خفض، عطفاً على الأزواج. ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجته، وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير مُؤَبَّخٍ على ذلك، ولا

مذموم، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ يقول: فمن التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته، وملك يمينه، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حرم عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ قال: الذين يتعدون الحلال إلى الحرام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ التي ائتمنوا عليها ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ وهو عقودهم التي عاهدوا الناس ﴿رَاعُونَ﴾ يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤديها فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مسروق وقال آخرون: بل معنى ذلك: على صلواتهم دائمون. كما جاء عن إبراهيم وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، روي الخبر عن رسول الله ﷺ، وتأوله أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحدٍ إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله" فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ﴾ البستان ذا الكرم، وهو الفردوس عند العرب. وكان مجاهد يقول: هو بالرومية كما جاء عن قتادة، قال: قتل حارثة بن سراقه يوم بدر، فقالت أمه: يا رسول الله، إن كان ابني من أهل الجنة؛ لم أبك عليه، وإن كان من أهل النار؛ بالغت في البكاء. قال: "يا أم حارثة، إنها جنتان في جنة، وإن ابنيك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة". وقوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني ماكنون فيها، يقول: هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون، يعني ماكنون فيها أبداً، لا يتحولون عنها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٢﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ أسلناه منه، فالسلالة: هي المسئلة من كل تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض. ومعناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خلق منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَّوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين؛ لأنه مكن لذلك، وهياً له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قراراً. وقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ يقول: ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقه، وهي القطعة من الدم، ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ يقول: فجعلنا ذلك الدم مضغاً، وهي القطعة من اللحم. وقوله:

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ يقول: فجعلنا تلك المضغعة اللحم عظاما. وقوله: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ يقول: فألبسنا العظام لحما. وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ وعصبا، فكسونه لحما. وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر. وهذه الهاء التي في: ﴿أَنْشَأْنَاهُ﴾ عائدة على الإنسان في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغعة، جعل ذلك كله كالشيء الواحد. فقيل: ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغعة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقنا آخر غير الطين الذي خلق منه. وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ واختلف أهل التأويل في ذلك وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ قال: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقا

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا، مبعوثون من التراب خلقا جديدا، كما بدأناكم أول مرة. وإنما قيل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾؛ لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن. وكذلك تقول العرب لمن لم يموت: هو مائت وميت عن قليل، ولا يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طمع فيما عندك إذا وصف بالطمع، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل: هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرا لما ذكرناه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ١٧ يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق؛ لأن بعضهن فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم، عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ١٨ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ماء في الأرض من ماء فأسكناه فيها. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به، فتهلكوا أيها الناس عطشا، وتخرب أرضوكم، فلا تنبت زرا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ١٩ يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعنان ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ يقول: لكم في الجنات فواكه كثيرة. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يقول: ومن الفواكه

تأكلون، وقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعنان. وخصّ جل ثأؤه الجنات التي ذكرها في هذا الموضع، فوصفها بأنها من نخيل وأعنان، دون وصفها بسائر ثمار الأرض؛ لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها، فكانت النخيل لأهل المدينة، والأعنان لأهل الطائف، فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم، بما أنعم به عليهم من ثمارها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصِبْغٌ لِلْأَكْلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء وشجرة منصوبة عطفًا على الجنات ويعني بها: شجرة الزيتون. وقوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يقول: تخرج من جبل ينبت الأشجار. وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهد، واختلاف المختلفين بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طي، فأضيفا إلى طي، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور متونا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك. ومعنى ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن. كما جاء عن مجاهد والدهن الذي هو من ثمره الزيت، كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ يقول: هو الزيت يוכל، ويدهن به. وقوله: ﴿وَصِبْغٌ لِلْأَكْلِينَ﴾ يقول: تنبت بالدهن وبصبغ للأكلين، يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ تعبرون بها، فتعرفون بها أيادي الله عندهم، وقدرته على ما يشاء، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من اللبن الخارج من بين الفرت والدم، ﴿وَلَكُمْ﴾ مع ذلك ﴿فِيهَا﴾ يعني في الأنعام ﴿مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ وذلك كالإبل التي يحمل عليها، ويركب ظهرها، ويشرب درها، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني من لحومها تأكلون. وقوله: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ يقول: وعلى الأنعام، وعلى السفن تحملون على هذه في البر، وعلى هذه في البحر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدين، والبراءة من كل معبود سوانا، ﴿فَقَالَ﴾ لهم نوح ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ يقول: ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ يقول: أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَوْعِنَا بِهِذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ يقول تعالى ذكره:

فقلت جماعة أشرف قوم نوح، الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوه لقومهم: ما نوح أيها القوم إلا بشر مثلكم، إنما هو إنسان مثلكم وكبعضكم ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعا وأتم له تبع ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئا سواه؛ لأنزل ملائكة، يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدّي إليكم رسالته. وقوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي يدعوننا إليه نوح، من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية، وهي آبائهم الأولون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ ٢٥ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ٢٦ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ٢٧ وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ٢٨ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ٢٩ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ٣٠ يعني تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة الذين كفروا من قوم نوح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ ما نوح إلا رجل به جنون. وقد يقال أيضا للجن: جنة، فيتفق الاسم والمصدر، وهو من قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ كناية اسم نوح. وقوله: ﴿فْتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ يقول: فتلشبوا به، وتظنوا به حتى حين، يقول: إلى وقت ما، ولم ينعوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم ما، أو إلى وقت ما، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ يقول: قال نوح داعيا ربه، مستنجرا به على قومه؛ لما طال أمره وأمرهم، وتمادوا في غيهم: ﴿رَبِّ انصُرْنِي﴾ على قومي ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾ يعني بتكذيبهم إياي، فيما بلغتهم من رسالتك، ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا﴾ يقول: فقلنا له حين استنصرنا على كفره قومه: اصنع الفلك، وهي السفينة؛ بأعيننا، يقول: بمرأى منا، ومنظر، ووحينا، يقول: وتعليمنا إياك صنعتها، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ يقول: فإذا جاء قضاؤنا في قومك، بعذابهم وهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾. وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين في صفة فور التنور. والصواب عندنا من القول فيه بشواهد، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يقول: فادخل في الفلك واحمل. والهاء والألف في قوله: ﴿فِيهَا﴾ من ذكر الفلك ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يقال: سلكته في كذا، وأسلكته فيه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يقول لنوح: اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين ﴿وَأَهْلَكَ﴾ وهم ولده ونساؤهم ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ من الله بأنه هالك، فيمن يهلك من قومك، فلا تحمله معك، وهو يام الذي غرق. ويعني بقوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ من أهلك، والهاء والميم في قوله ﴿مِنْهُمْ﴾ من ذكر الأهل. وقوله: ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي﴾ الآية، يقول: ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم. ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ يقول: فإني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٣١ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ﴾ فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك، ممن حملته معك من أهلك، راكبا فيها عاليا فوقها ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني من المشركين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ٩١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٩٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبية نوح عليه السلام: وقل إذا سلمك الله، وأخرجك من الفلك، فترلت عنها: ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً﴾ من الأرض ﴿مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ﴾ من أنزل عبادہ المنازل. وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد، من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا، وجحدوا وحدانيتنا وعبدوا الآلهة والأصنام - لعبرا لقومك من مشركي قريش، وعظمت وحججنا لنا، يستدلون بها على سبتنا في أمثالهم، فينزجروا عن كفرهم، ويرتدعوا عن تكذيبك، حذرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب. وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا، لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ٩٣﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٩٤﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح، قرنا آخرين، فأوجدناهم ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ داعيا لهم، ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يا قوم، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا له ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ يقول: ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه، وهو الإله الذي لا إله لكم سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَآتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ٩٥﴾ يقول تعالى ذكره: وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح، وعنى بالرسول في هذا الموضع: صالحا، وبقومه: ثمود. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ يقول: الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا بلقاء الآخرة، يعني، كذبوا بلقاء الله في الآخرة. وقوله: ﴿وَأَتَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول: ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش، وبسطنا لهم من الرزق، حتى يَطْرُؤُوا وَعَتُوا على ربهم، وكفروا، وقوله: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ يقول: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا، وخصه بالرسالة دوننا، وهو إنسان مثلنا، يأكل مما نأكل منه من الطعام، ويشرب مما نشرب، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته، قال: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ معناه: مما تشربون منه، فحذف من الكلام "منه"؛ لأن معنى الكلام: ويشرب من شرابكم، وذلك أن العرب تقول: شربت من شرابك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَطْعَمَكُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَحَاسِرُونَ ٩٦﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٩٧﴾ يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم: ﴿وَلَيْنَ أَطْعَمَكُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾ فاتبعتموه، وقبلتم ما يقول وصدقتموه. ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها القوم ﴿إِذَا لَحَاسِرُونَ﴾ يقول: قالوا: إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا، باتباعكم إياه. قوله: ﴿أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: قالوا لهم: أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم ترابا في قبوركم، وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم، وبقيت عظامها - أنكم مخرجون من قبوركم أحياء، كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت ﴿إِنَّكُمْ﴾ مرتين،

والمعنى: أيعدكم أنكم إذا متم، وكنتم ترابًا وعظامًا - مخرجون مرة واحدة، لما فرق بين «أنكم» الأولى، وبين خبرها بإذا، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته، ثم اعترضت بالجزاء دون خبره، فتكرر اسمه مرة وتحذفه أخرى، فتقول: أظن أنك إن جالستنا أنك محسن،

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هِيَاهُ هِيَاهُ لِمَا تُوْعَدُونَ ۖ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۖ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملائكة من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات: أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يقول: تموت الأحياء منا فلا تحيا، ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ يقول: قالوا: وما نحن بمبعوثين بعد الممات. كما جاء عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ قال: يقول ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء، يقولون: إنما الناس كالزريع يحصد هذا، وينبت هذا، يقولون: يموت هؤلاء، ويأتي آخرون، وقرأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذَلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وقرأ: ﴿لَا تَأْتِيْنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّیُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ ﴿٢٩﴾ يقول تعالى ذكره: قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون. وقوله: ﴿هُوَ﴾ من ذكر الرسول، وهو صالح. ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وما نحن له بمصدقين فيما يقول: إنه لا إله لنا غير الله، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات. وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ يقول: قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله، ومن تصديقهم إياه بقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ رب انصرني على هؤلاء بما كذبون يقول: بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحق، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه، وتكذيبهم له، فقال الله له مجيباً في مسألته إياه ما سأله: عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين، وذلك حين تنزل بهم فتنتنا فلا ينفعهم الندم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: فانقمنا منهم، فأرسلنا عليهم الصيحة، فأخذتهم بالحق، وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به، وتكذيبهم رسوله ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ يقول: فصيرناهم بمنزلة الغثاء، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه، كما لا ينتفع به في شيء فإنما هذا مثل، والمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم؛ إذ كفروا بربه، وعصوا رسله، وظلموا أنفسهم. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ ٥٢

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ ٥٣ يقول تعالى ذكره: ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين. وقوله: ﴿مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها، والوقت الذي وقتنا لفنائها، ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد ﷺ، وإعلام منه لهم أن تأخيرهم في آجالهم، مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله، ليلغوا الأجل الذي أجل لهم، فيحل بهم نقمته، كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٤ يقول تعالى ذكره: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ أنشأنا بعد ثمود ﴿رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ يعني: يتبع بعضها بعضا، وبعضها في أثر بعض، وهي من المواترة، وهي اسم لجمع مثل شيء، لا يقال: جاءني فلان تترى، كما لا يقال: جاءني فلان مواترة، وهي تتون ولا تتون، وفيها الباء، فمن لم ينونها ﴿فَعَلَى﴾ من وترت ومن قال: "تترا" يوهم أن الباء أصلية، كما قيل: مِعْرَى بالياء، ومِعْرَى، وبهمى بهما، ونحو ذلك، فأجريت أحيانا وتر كإجرائها أحيانا، فمن جعلها ﴿فَعَلَى﴾ وقف عليها أشار إلى الكسر، ومن جعلها ألف إعراب لم يشر؛ لأن ألف الإعراب لا تكسر، لا يقال: رأيت زيدا، فيشار فيه إلى الكسر. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم، التي أنشأناها بعد ثمود، رسولها الذي نرسله إليهم، كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا. وقوله: ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ للناس، ومثلا يتحدث بهم في الناس، والأحاديث في هذا الموضع جمع ألدوثة، لأن المعنى ما وصفت من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم، وقد يجوز أن يكون جمع حديث، وإنما قيل: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لأنهم جعلوا حديثا، ومثلا يتمثل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا، ولا ألدوثة. وقوله: ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون برسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٥٥ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ ٥٦ يقول تعالى ذكره: ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية، موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط ﴿بِآيَاتِنَا﴾ يقول: بحججنا ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن اتباعها، والإيمان بما جاءهم به من عند الله ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم، ومن في بلادهم من بنى إسرائيل وغيرهم بالظلم، قاهرين لهم. وكان ابن زيد يقول في ذلك: ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ قال: علوا على رسلهم، وعصوا ربهم، ذلك علوهم، وقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ ٥٧ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ ٥٨ يقول تعالى ذكره: فقال فرعون وملؤه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ فتبعهما ﴿وَقَوْمُهُمَا﴾ من بنى إسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ يعنون: أنهم لهم مطيعون متذللون، يأتزمون لأمرهم،

ويدنون لهم، والعرب تسمي كل من دان لملك: عابدا له. ومن ذلك قيل لأهل الحيرة: العباد؛ لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ يقول: فكذب فرعون وملؤه موسى وهارون، فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٤١ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٢﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل، ويعملوا بما فيها، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ﴾ يقول: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى ربوة، يقال: أوى فلان إلى موضع كذا، فهو يأوي إليه، إذا صار إليه؛ وعلى مثال أفعلته فهو يؤويه. وقوله ﴿إِلَى رَبْوَةٍ﴾ يعني: إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله، ولذلك قيل للرجل، يكون في رفعة من قومه، وعز وشرف وعدد: هو في ربوة من قومه واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة، وآوى إليه مريم وابنها، فقال بعضهم: هو الرملة من فلسطين. كما جاء ذلك عن أبي هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. وقال آخرون: هي دمشق. كما جاء عن سعيد وقال آخرون: هي بيت المقدس. كما جاء عن قتادة وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء، وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة؛ لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى، أنها أرض منبسطة وساحة، وذات ماء ظاهر، لغير الباطن، جار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ٤٣ يقول تعالى ذكره: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام، ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ تقول في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا أذاكم، وكما قال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ وهو رجل واحد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عمرو بن شرحبيل وقوله: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ يقول: إني بأعمالكم ذو علم، لا يخفى عليّ منها شيء، وأنا مجازيكم بجميعها، وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ٤٤ معنى الكلام: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات، وقلنا: وإن هذه أمتكم أمة واحدة. وقيل: إن الأمة الذي في هذا الموضع: الدين والملة. وقوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ يقول: وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٢٧) و﴿زُبُرًا﴾ بمعنى جمع الزبور. فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء: فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة، دينهم الذي أمرهم الله بلزومه ﴿زُبُرًا﴾ كتباً، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذين دان به الفريق الآخر، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة، وكذبوا بحكم الإنجيل والقرآن، وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم، وكذبوا بحكم الفرقان. وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: كل فريق من تلك الأمم، بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحق سواه. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢٨) أَيْحَسَبُونَ أَنَّمَا نُنِذُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٢٩﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٠﴾ قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبراً، ﴿فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ في ضلالتهم وغيهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾، يعني: إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد ومجاهد وقوله: ﴿أَيْحَسَبُونَ أَنَّمَا نُنِذُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زبراً، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ﴾ يقول: نسابق لهم في خيرات الآخرة، ونبادر لهم فيها. و"ما" من قوله: ﴿أَنَّمَا نُنِذُهُمْ بِهِ﴾ نصب؛ لأنها بمعنى الذي ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تكذيباً لهم: ما ذلك كذلك، بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدهم به من ذلك إنما هو إملاء واستدراج لهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يعني تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: والذين يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركاً لوثن، ولا لصنم، ولا يُراءون بها أحداً من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصاً، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ (٣٤) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٣٥﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ والذين يعطون أهل سُهْمَانِ الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم. ﴿مَا آتَوْا﴾ يعني: ما أعطوهم إياه من صدقة، ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ يقول: خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك، كما قال الحسن: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن أبي هريرة، قال: قالت عائشة: "يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: لا وَلَكِنْ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَصَدَّقُ وَهُوَ وَجَلٌ". وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه الصفات

صفتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته. كما جاء عن ابن زيد، في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾. قال: والخيرات: المخافة والوجل والإيمان، والكف عن الشرك بالله، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات، قوله: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ كان بعضهم يقول: معناه سبقت لهم من الله السعادة، فذلك سبقهم الخيرات التي يعملونها. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفساً إلا ما يسعها ويصلح لها من العبادة؛ ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع. ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشر، ينطق بالحق ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا، لا زيادة عليه ولا نقصان، ونحن موفو جميعهم أجورهم، المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يقول: وهم لا يظلمون، بأن يزداد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمل به فيعاقب على غير جرمه، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عما له من الثواب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج. وعنى بقوله: ﴿مِنْ هَذَا﴾ من القرآن. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاه الله من المعاصي. ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ يقول: من دون أعمال أهل الإيمان بالله، وأهل التقوى والخشية له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ لا تجأروا اليوم إنكم ممّن لا تنصرون ﴿١٥﴾ يقول تعالى ذكره: ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب. كما جاء ابن زيد: ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾، قال: المترفون: العظماء. ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يقول: فإذا أخذناهم به جأروا، يقول: ضجوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا، ولعل الجوار: رفع الصوت، كما يجأر الثور؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد، في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ قال: بالسيوف يوم بدر. وقوله: ﴿لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ﴾ يقول: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئاً مما قد نزل بكم من سخط الله. ﴿إِنَّكُمْ مِمَّنْ لَا تَنْصُرُونَ﴾ يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنصرون، ولا يخلصكم منه شيء. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الربيع بن أنس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تَثَلَّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ﴾ ﴿١٦﴾ مستكبرين به سامراً تهجرون ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم

وقد نزل بكم سخط الله وعذابه، بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم. ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ يعني: آيات كتاب الله، يقول: كانت آيات كتابي تقرأ عليكم فتكذبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ يقول: مستكبرين بحرم الله، يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد، لأننا أهل الحرم. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿سَامِرًا﴾ يقول: تَسْمُرُونَ بالليل. ووحيد قوله: ﴿سَامِرًا﴾ وهو بمعنى السَّامَر؛ لأنه وضع موضع الوقت. ومعنى الكلام: وتهجرون ليلاً فوضع السامر موضع الليل، فوحد لذلك كما جاء عن ابن زيد، في قوله: ﴿سَامِرًا﴾ قال: كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون: يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون. وقوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ قال ابن عباس، قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ قال: يهجرون ذكر الله والحق. وجاء عن مجاهد: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ قال: بالقول السيئ في القرآن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٥﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَانُوا كَارِهُونَ ﴿٦٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟ ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؟ يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب. وقد يحتمل أن تكون "أم" في هذا الموضع بمعنى: بل، فيكون تأويل الكلام: أفلم يدبروا القول؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فتركوا لذلك التدبر وأعرضوا عنه، إذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك، وقد ذكر عن ابن عباس في نحو هذا القول. وقوله: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمداً، وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون، يقول: فينكروا قوله، أو لم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول جل ثناؤه: فكيف يكذبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة؟! ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ يقول: أيقولون بمحمد جنون، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول؟! ﴿بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بين، وذلك أن المجنون يهذي يأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحق الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة، فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟ وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما هؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمداً بالصدق ولا أن محمداً عندهم مجنون، بل قد علموه صادقاً محققاً فيما يقول وفيما يدعوهم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحق كارهون ولأتباع محمد ساخطون؛ حسداً منهم له وبغياً عليه واستكباراً في الأرض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴿٦٨﴾ أَلَيْسَ بِهِمْ بَذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون،

لفسدت السموات والأرض ومن فيهن؛ وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفساد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إثارة أكثرهم الباطل على الحق، لم تقر السموات والأرض ومن فيهن من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي صالح وقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع، فقال بعضهم: هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل معنى ذلك: بل أتيناهم بشرهم؛ وذلك أن هذا القرآن كان شرفا لهم، لأنه نزل على رجل منهم، فأعرضوا عنه وكفروا به. وقالوا: ذلك نظير قوله ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وهذان القولان متقاربا المعنى؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله ﷺ وقومه وشرف لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ يقول تعالى ذكره: أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجا، يعني أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق؟ ﴿فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ فأجر ربك على نفاذك لأمره، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك، ولم يسألهم ﷺ على ما أتاهم به من عند الله أجرا، قال لهم كما قال الله له، وأمره بقبيله لهم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وإنما معنى الكلام: أم تسألهم على ما جئتهم به أجرا، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم، مستكبرين بالحرم، فخراج ربك خير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا. وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ﴾ ﴿٧٤﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ يقول تعالى ذكره: والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة، ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة؛ ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاَكِبُونَ﴾ يقول: عن محجة الحق وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده العادلون. يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكب عنه: أي عدل عنه. وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ يقول تعالى: ولو رحمتنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجذب وضّر الجوع والهزال؛ ﴿لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ يعني في عتوهم وجراتهم على ربهم. ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يعني: يترددون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيقنا عليهم معاشهم، وأجذبنا بلادهم، وقتلنا سراتهم بالسيف. ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ يقول: فما خضعوا لربهم

فينقادوا لأمره ونهيه، وينيوا إلى طاعته ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ يقول: وما يتذللون له. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حين أخذ الله قريشا بسني الجذب، إذ دعا عليهم رسول الله ﷺ. كما جاء عن ابن عباس، قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، أشدك الله والرحم، فقد أكلنا العلهز! يعني الوبر والدم، فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (٧٧)
اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال، فقتلوا يوم بدر. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد. كما جاء عن مجاهد، قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ قال: لكفار قريش الجوع، وما قبلها من القصة لهم أيضا. وهذا القول الذي قاله مجاهد: أولى بتأويل الآية، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس، أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في قصة المجاعة التي أصابت قريشا؛ بدعاء رسول الله ﷺ عليهم، وأمر ثمامة بن أثال، وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر. وقوله: ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزني نادمون على ما سلف منهم، في تكذيبهم بآيات الله، في حين لا ينفعهم الندم والحزن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨)
يقول تعالى ذكره: والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات السمع الذي تسمعون به، والأبصار التي تبصرون بها، والأفئدة التي تفقهون بها، فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء إعادته بعد عدمه وفقده، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ويفنيه إذا أراد ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ يقول: تشكروا أيها المكذبون خير الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٩)
يقول تعالى ذكره: والله الذي خلقكم في الأرض وإليه تحشرون من بعد مماتكم، ثم تبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٨٠)
يقول تعالى ذكره: والله الذي يحيي خلقه يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفة أموات، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها، ﴿وَيُمِيتُ﴾ يقول: ويميتهم بعد أن أحياهم ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين، كما يقال في الكلام: لك المنّ والفضل، بمعنى: إنك تمنّ وتفضل. وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقول: أفلا تعقلون أيها الناس، أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١)
يقول تعالى ذكره: ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، ولا تدبروا ما احتج عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كل ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم

المكذبة رسلها قبلهم: ﴿قَالُوا أَيَدًا مِثْنًا وَكُنَّا ثَرَابًا وَعِظَامًا﴾ يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من لحومنا ﴿أَبْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ يقول: إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيتتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٨٣) يقول تعالى ذكره: قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك، فلم نره حقيقة ﴿إِنْ هَذَا﴾ يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار، التي لا صحة لها ولا حقيقة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(٨٥) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق، إن كنتم تعلمون من مالكمها؟ ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ^(٨٧) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: من رب السماوات السبع، ورب العرش المحيط بذلك؟ سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه، فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ^(٨٩) يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: قل يا محمد: من بيده خزائن كل شيء؟ وقوله ﴿وَهُوَ يُجِيرُ﴾ من أراد ممن قصده بسوء، ﴿وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه وعقابه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من ذلك صفته، فإنهم يقولون: إن ملكوت كل شيء والقدرة على الأشياء كلها لله، فقل لهم يا محمد: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ يقولون: فمن أي وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟! وكان ابن عباس في قوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ يقول: وقد بينت فيما مضى السحر: أنه تخيل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته، فذلك معنى قوله: ﴿فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ إنما معناه: فمن أي وجه يخيل إليكم الكذب حقا: والفاصد صحيحا، فتصرفون عن الإقرار بالحق الذي يدعوكم إليه رسولنا محمد ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٩٠) مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ^(٩١) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ^(٩٢) والمعنى: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله، من أن الملائكة بنات الله، وأن الآلهة والأصنام ألهة دون الله ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ اليقين، وهو الدين الذي

ابتعث الله به نبيه ﷺ، وذلك الإسلام، ولا يُعبد شيء سوى الله؛ لأنه لا إله غيره ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله، وينحلونه من الولد والشريك، وقوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما لله من ولد، ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته ﴿مَنْ إِلَهٌ إِذَا لَذَهَبَ﴾ يقول: إذن لا اعتزل كل إله منهم ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ من شيء، فأنفرد به، ولتغالبا، فلعل بعضهم على بعض، وغلب القوي منهم الضعيف؛ لأن القوي لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلهها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأجزها، لمن عقل وتدبر. وقوله: ﴿إِذَا لَذَهَبَ﴾ جواب لمحدوف، وهو: لو كان معه إله، إذن لذهب كل إله بما خلق، اجتزئ بدلالة ما ذكر عليه عنه. وقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره؛ تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القدم إلهها يُعبد تبارك وتعالى. وقوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه، وما رأوه وشاهدوه، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة، أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم، بل عن جهل منهم به، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها، وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء، فخبره هو الحق دون خبرهم

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرَبِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٦﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٧﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرَبِّكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: رب إن تربيتي في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك، فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك. وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ جواب لقوله: ﴿إِنَّمَا تُرَبِّي﴾ اعترض بينهما بالنداء، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجز ذلك في الكلام، لا يقال: يا زيد فقم، ولا يا رب فاغفر؛ لأن النداء مستأنف، وكذلك الأمر بعده مستأنف، لا تدخله الفاء والواو، إلا أن يكون جوابا لكلام قبله. وقوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرَبِّكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم، لقادرون، فلا يحزننك تكذيبهم إياك بما نعدهم به، وإنما نؤخر ذلك ليلغ الكتاب أجله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم، وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم، وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما اتأهم به من عند الله، يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: نحن أعلم بما يصفون الله به، وينحلونه من الأكاذيب والفرية عليه، وبما يقولون فيك من سوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول. وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾

الشَّيَاطِينُ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ لَنبِيهِ مُحَمَّدٌ ﷺ﴾: **وقل يا محمد: ربّ أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها، والهمز: هو الغمز، ومن ذلك قيل للهمز في الكلام: همزة، والهمزات جمع همزة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونُ﴾ يقول: **وقل أستجير بك ربّ أن يحضرون في أموري. كما جاء عن ابن زيد****

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: **حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت، وعاین نزول أمر الله به، قال: - لعظيم ما يعاین مما يقدم عليه من عذاب الله تندما على ما فات، وتلهفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة: - ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى الدنيا فردوني إليها، ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ يقول: **كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعة، وفرطت فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج، قال: قال النبي ﷺ لعائشة: "إذا عاین المؤمن الملائكة قالوا: تُرْجِعُكَ إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول: بَلْ قَدَمَانِي إلى الله، وأما الكافر فيقال: تُرْجِعُكَ؟ فيقول: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾... الآية. قوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك، لن يُرْجَعَ إلى الدنيا، ولن يعاد إليها ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ يقول: هذه الكلمة، وهو قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها. كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ لا بد له أن يقولها يقول ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾ يقول: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمُهلة مقاربات في المعنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال: البرزخ ما بين الموت إلى البعث.****

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ فقال: **اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ من النفختين أَيْتَهُمَا عَنِيْهَا، فقال بعضهم: عني بها النفخة الأولى. كالذي جاء، عن سعيد بن جبیر، أن رجلا أتى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾... الآية، وقال في آية أخرى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ فقال: أما قوله: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ فذلك في النفخة الأولى، فلا يبقى على الأرض شيء ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ وأما قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون. قال أبو جعفر: فمعنى ذلك على هذا التأويل: فإذا نفخ في الصور، فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها، ولا يتساءلون، ولا يتراورون، فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم. وقال آخرون: بل عني بذلك النفخة الثانية. كالذي جاء عن هارون بن أبي وكيع، قال: سمعت زاذان يقول: أتيت ابن مسعود، وقد اجتمع الناس إليه في داره، فلم أقدر على مجلس، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، من أجل أني رجل من العجم تحقّرني؟ قال: اذن! قال: فدنوت، فلم يكن بيني وبينه جليس، فقال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رءوس الأولين والآخرين، قال:**

وينادي مناد: ألا إن هذا فلان ابن فلان، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه، قال: ففرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها، أو على أبيها، أو على أخيها، أو على زوجها ﴿فلا أنساب بينهم يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾. وكما جاء عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرْشِ: يَا أَهْلَ النَّظَالِمِ تَدَارَكُوا مَظَالِمَكُمْ، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ.".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٢٤ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ١٢٥ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْخُجُونِ﴾ ١٢٦ يقول تعالى ذكره: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني: الخالدون في جنات النعيم ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ يقول ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ يقول: هم في نار جهنم. وقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ يقول: تَسْفَعُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ. كما قال ابن عباس: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ قال: تنفخ ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالْخُجُونِ﴾ والكُلُوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان، حتى تبدو الأسنان، كما قال الأعشى: وَلَهُ الْمُقَدَّمُ لَا مِثْلَ لَهُ... ساعة الشُّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحَ فَنَأْوِيلُ الْكَلَامِ: يَسْفَعُ وجوههم لهبُ النار فتحرقها، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان؛ من إحراق النار وجوههم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ١٢٧ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ١٢٨ يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ وترك ذكر يقال؛ لدلالة الكلام عليه ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾. وتأويل الكلام: قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخطأ لنا في أم الكتاب. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن مجاهد وعن محمد بن كعب قال: بلغني، أو ذكر لي، أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، فردوا عليهم ما قال الله، فلما أيسوا نادوا: يا مالك، وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها، فقالوا: يا مالك، ليقض علينا ربك، سألوا الموت، فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سني الآخرة، أو كما قال، ثم انحط إليهم، فقال: ﴿إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ﴾ فلما سمعوا ذلك قالوا: فاصبروا، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله، قال: فصبروا، فطال صبرهم، فنادوا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبْرُنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ﴾ أي منجى. فقام إبليس عند ذلك فخطبهم، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ فلما سمعوا مقالته، مقبوا أنفسهم، قال: فنودوا ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرَ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا الْآيَةَ، قال: فيجيبهم الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ قال: فيقولون: ما أيسنا بعد؛ قال: ثم دعوا مرة أخرى، فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ

هَذَاهَا يَقُولُ الرَّبُّ: لَوْ شِئْتُ لَهَدَيْتُ النَّاسَ جَمِيعًا، فَلَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ يَقُولُ: بِمَا تَرَكْتُمْ أَنْ تَعْمَلُوا لِيَوْمِكُمْ هَذَا ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أَي تَرَكْنَاكُمْ ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قَالَ: فَيَقُولُونَ: مَا أَيْسَنَا بَعْدَ، قَالَ: فَيَدْعُونَ مَرَّةً أُخْرَى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعَ الرَّسُولَ﴾ قَالَ: فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾ الْآيَةُ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: مَا أَيْسَنَا بَعْدَ ثُمَّ قَالُوا مَرَّةً أُخْرَى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قَالَ: فَيَقُولُ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ إِلَى: ﴿نَصِيرُ﴾، ثُمَّ مَكَثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نَادَاهُمْ: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ قَالُوا: الْآنَ يَرْحَمُنَا، فَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ أَي: الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَ عَلَيْنَا ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ الْآيَةُ، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿اْخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ قَالَ: فَلَا يَتَكَلَّمُونَ فِيهَا أَبَدًا، فَانْقَطَعَ عِنْدَ ذَلِكَ الدَّعَاءُ وَالرَّجَاءُ مِنْهُمْ. وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ يَنْبِجُ فِي وَجْهِ بَعْضٍ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ فِي حَدِيثِهِ: فَحَدَّثَنِي الْأَزْهَرُ بْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ أَنَّهُ قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ يَقُولُ: كُنَّا قَوْمًا ضَلَلْنَا عَنْ سَبِيلِ الرَّشَادِ، وَقَصْدِ الْحَقِّ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ اْخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٨﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ، مَخْبَرًا عَنْ قِيلِ الَّذِينَ خَفَتْ مَوَازِينُ صَالِحِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ، فَإِنْ عُدْنَا لَمَّا تَكَرَّرَ مِنَّا مِنْ عَمَلٍ، فَإِنَّا ظَالِمُونَ. وَقَوْلُهُ: ﴿قَالَ اْخْسَئُوا فِيهَا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: قَالَ الرَّبُّ لَهُمْ جَلِّ ثَنَاؤُهُ مَجْجِبًا ﴿اْخْسَئُوا فِيهَا﴾ أَي: اقْعُدُوا فِي النَّارِ، يَقَالُ مِنْهُ: خَسَأْتُ فَلَانَا اْخْسَؤُهُ خَسَأً وَخُسُوءًا، وَخَسِيءٌ هُوَ يَخْسَأُ، وَمَا كَانَ خَاسِئًا، وَلَقَدْ خَسِيءٌ، ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيْسَ الْمَسَاكِينِ مِنَ الْفَرَجِ، وَلَقَدْ كَانُوا طَامِعِينَ فِيهِ. كَمَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، فِي قِصَّةِ ذِكْرِهَا فِي الشَّفَاعَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَلَّا يُخْرِجَ مِنْهَا، يَعْنِي مِنَ النَّارِ أَحَدًا، غَيْرَ وَجْهِهِمْ وَأَلْوَانِهَا، فَيَجِيءُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَيُشْفَعُ فِيهِمْ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَنْ عَرَفَ أَحَدًا فَلْيُخْرِجْهُ؛ قَالَ: فَيَجِيءُ الرَّجُلُ فَيَنْظُرُ فَلَا يَعْرِفُ أَحَدًا، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ يَا فَلَانُ، فَيَقُولُ: مَا أَعْرَفَكَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ فَيَقُولُ اْخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ؛ انْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمَ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا بَشَرًا. حَدَّثَنَا تَمِيمُ بْنُ الْمُنْتَصِرِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ، عَنْ شَرِيكَ، عَنْ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدَةَ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ مَعْدِي كَرِبَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: يَرْسَلُ أَوْ يَصْبُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعَ، فَيَعْدِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَسْتَعِيثُونَ، فَيُغَاثُونَ بِالضَّرِيعِ، الَّذِي لَا يَسْمَنُ وَلَا يَغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَلَا يَغْنِي ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا فَيَسْتَعِيثُونَ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَامِ ذِي غُصَّةٍ، فَإِذَا أَكَلُوهُ نَشِبَ فِي حُلُوقِهِمْ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَحْدِرُونَ الْغُصَّةَ بِالْمَاءِ، فَيَسْتَعِيثُونَ، فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ فِي كَلَالِبِ الْحَدِيدِ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى وَجْهِهِمْ شَوَى وَجْهِهِمْ، فَإِذَا شَرِبُوهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ، قَالَ: فَيَنَادُونَ مَالِكًا: لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ، قَالَ: فَيَتْرَكُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يَجِيئُهُمْ: إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ، قَالَ: فَيَنَادُونَ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ: ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفُ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، قَالُوا: أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالُوا: فَادْعُوا، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ، قَالَ: فَيَقُولُونَ

ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا، فينادون ربهم ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ قال: فيقول الله: ﴿أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ قال: فعند ذلك يسوسوا من كل خير، فيدعون بالويل والشهيق والنبور.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّهُ﴾ وهذه الهاء في قوله "إنه" هي الهاء التي يسميها أهل العربية المجهولة، وقد بينت معناها فيما مضى قبل. ومعنى دخولها في الكلام، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ﴿كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ يقول: كانت جماعة من عبادي، وهم أهل الإيمان بالله، يقولون في الدنيا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ وأنت خير من رحم أهل البلاء، فلا تعذبنا بعدابك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم القايرون ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ﴾ فاتخذتم أيها القائلون لربكم ﴿رَبَّنَا عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ في الدنيا، القائلين فيها: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ سُخْرِيًّا. والهاء والميم في قوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ من ذكر الفريق. قال ابن زيد ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ قال: هما مختلفتان: سُخْرِيًّا، وسُخْرِيًّا، يقول الله: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ قال: هذا سُخْرِيًّا: يُسَخِّرُونَهُمْ، والآخرون: الذين يستهزئون بهم هم سُخْرِيًّا، فتلك سُخْرِيًّا يُسَخِّرُونَهُمْ عندك، فسخرك رفعك فوقه، والآخرون: استهزؤوا بأهل الإسلام هي: سُخْرِيًّا يُسَخِّرُونَ مِنْهُمْ. فهما مختلفتان. وقرأ قول الله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ وقال: يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح، اتخذوهم سُخْرِيًّا: اتخذوهم هُزُؤًا، لم يزلوا يستهزئون بهم. وقوله: ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ يقول: لم يزل استهزؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكرى، فآلهاكم عنه ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾. وقال أيضا في قوله: ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ قال: أنسى هؤلاء الله استهزؤهم بهم، وضحكهم بهم، وقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾. وقوله: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: إني أيها المشركون بالله المخلدون في النار، جزيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سُخْرِيًّا من أهل الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون اليوم، بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سُخْرِيَّتكم وضحككم منهم في الدنيا ﴿أَتَنْتَهُمْ هُمُ الْقَائِرُونَ﴾. فتأويل الكلام: إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا؛ بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا، ولقوا في طلب رضاي من المكارة فيها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ تأويل الكلام: قال الله كم لبستم في الدنيا من عدد سنين؟ قالوا مجيبين له: لبنا فيها يوما أو بعض يوم، فاسأل العادين، لأننا لا ندري، قد نسينا ذلك. واختلف أهل التأويل في المعنى بالعادين، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن

يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأيّ ذلك من أيّ ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العاديين دون بعض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١٤ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ قال الله لهم: ما لبثتم في الأرض إلا قليلاً يسيراً، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها. وقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم، لعباً وباطلاً وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ يقول تعالى ذكره: فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون، من أن له شريكاً، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الله الملك الحق ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ والرّب: مرفوع بالردّ على الحق، ومعنى الكلام: فتعالى الله الملك الحق، ربّ العرش الكريم، لا إله إلا هو.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝١١٧﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبوداً آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ يقول: فإنما حساب عمله السيئ عند ربه وهو مؤفّيه جزاءه إذا قدم عليه ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ۝١١٨﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: وقل يا محمد: رب استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك، وتركت عقابي على ما اجترمت ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ يقول: وقل: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه.

آخر تفسير سورة المؤمنون

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة النور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال أبو جعفر: يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ وهذه السورة أنزلناها. وقد بينا فيما مضى قبل، أن السورة وصف لما ارتفع بشواهد، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وأما قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ فمعناه أن الله قد فصلها، وأنزل فيها ضروباً من الأحكام، وأمر فيها ونهى، وفرض على عباده فيها فرائض، ففيها المعنيين كلاهما: التفريض، والفرض، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات، يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل أنها من عند الله، فإنها الحق المبين، وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ قال: الحلال والحرام والحدود ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: من زنى من الرجال أو زنت من النساء، وهو حرٌّ بكر غير محصن بزواج، فاجلدوه ضرباً مئة جلدة، عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله. ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رافة، وهي رقة الرحمة في دين الله، يعني في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به. واختلف أهل التأويل في المنهي عنه المؤمنون من أخذ الرافة بهما وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رافة في إقامة حد الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لدلالة قول الله بعده: "في دين الله"، يعني في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحد عليهما، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة، مع أن الشدة في الضرب لا حد لها يوقف عليه، وكل ضرب أوجع فهو شديد، وليس للذي يوجع في الشدة حد لا زيادة فيه فيؤمر به. وغير جائز وصفه جل ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته، وإذا كان ذلك كذلك، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل، هو عدد الجلد على ما أمر به، وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا. وللعرب في الرافة لغتان: الرافة بتسكين الهمزة، والرافة بمدّها، كالسامة والسامة، والكأبة والكأبة. وكأن الرافة المرة الواحدة، والرافة المصدر، كما قيل: ضؤل ضالّة مثل فعل فعالة، وقبح قباحة. وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يقول: إن كنتم تصدّقون بالله ربكم وباليوم الآخر، وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة، وللثواب والعقاب، فإن

من كان بذلك مصدقاً، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه؛ خوف عقابه على معاصيه. وقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وليحضر جلد الزانين البكرين وحدهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين. والعرب تسمي الواحد فما زاد: طائفة. ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: من أهل الإيمان بالله ورسوله. وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانين البكرين وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعداً؛ وذلك أن الله عَمَّ بقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ﴾ والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعداً. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد، كان معلوماً أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدّ مما، أمره الله به بقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ غير أنني وإن كان الأمر على ما وصفت، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا؛ لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك، وهم فيما دون ذلك مختلفون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عني بالنكاح في هذا الموضع الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات؛ وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أنه لم يُعَنَّ بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذا كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنا أو بمشركة تستحلّه. وقوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وحرم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله، وذلك هو النكاح الذي قال جل ثناؤه: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١) يقول تعالى ذكره: والذين يشتمون العفاف من حرائر المسلمين، فيرمونهنّ بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رموهنّ به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون، عليهنّ أنهنّ رأوهنّ يفعلن ذلك، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها. وذكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة، زوج النبي ﷺ بما رموها به من الإفك. كما جاء عن سعيد والضحاك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣) اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الاستثناء من المعنيين جميعاً، أعني من قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ ومن قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك، إذا لم يحدّ في القذف حتى تاب، إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقدوفة عنه، وإما بأن ماتت قبل المطالبة

بحدّها، ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها، فإذا كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة. فإذا كان من الجميع إجماعاً، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبداً بعد الحدّ في رميّه، بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحدّ، وسمّاه فيها فاسقاً، كان معلوماً بذلك أن إقامة الحدّ عليه في رميّه، لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه، ما لم يكن حادثاً فيها قبل إقامته عليه، بل توبته بعد إقامة الحدّ عليه من ذنبه أخرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه؛ لأن الحدّ يزيد المحدود عليه تطهيراً من جرمه الذي استحقّ عليه الحدّ. واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف التي تقبل معها شهادته، فقال بعضهم: هو إكذابه نفسه فيه. وقد ذكرنا بعض قائلّي ذلك فيما مضى قبل، كما جاء عن طاووس وغيره وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال توبته من ذلك صلاح حاله، وندمه على ما فرط منه من ذلك، والاستغفار منه، وتركه العود في مثل ذلك من الجرم؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحدّ، أو عُفي عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسيبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه، فإذا كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا، فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يقول: سائر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها، فأقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فسقة، بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۖ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: وَالَّذِينَ يَرْمُونَ من الرجال أَزْوَاجَهُمْ بالفاحشة، فيقذفونهنّ بالزنا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ يشهدون لهم بصحة ما رموهنّ به من الفاحشة، فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ. ويعني بقوله: فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ: فحلف أحدهم أربع أيمان بالله، من قول القائل: أشهد بالله إنه لمن الصادقين فيما رمى زوجته به من الفاحشة. وَالْخَامِسَةُ يقول: والشهادة الخامسة، أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ يقول: إن لعنة الله له واجبة وعليه حالة، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ، وقالت به جماعة من أهل التأويل. ذكر الرواية بذلك، وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية: كالذي جاء عن عكرمة، قال: لما نزلت وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً قال سعد بن عباد: الله إن أنا رأيت لكأع متفخذها رجل فقلت بما رأيت إن في ظهري ثمانين إلى ما أجمع أربعة قد ذهب، فقال رسول الله ﷺ: "يا معشر الأنصار، ألا تسمعون إلى ما يقول سيّدكم؟". قالوا: يا رسول الله لا تلمّه، وذكروا من غيرته، فما تزوّج امرأة قط إلا بكراً، ولا طلق امرأة قط فرج فيها أحد منا، فقال رسول الله ﷺ: "فإن الله يأبى إلا ذاك" فقال: صدق الله ورسوله. قال: فلم يلبثوا أن جاء ابن عمّ له فرمى امرأته، فشق ذلك على المسلمين، فقال: لا والله، لا يجعل في ظهري ثمانين أبداً، لقد نظرت حتى أيقنت، ولقد استسمعت حتى استشفيت، قال: فأُنزل الله

القرآن باللعان، ف قيل له: احلف! فحلف، قال: قفوه عند الخامسة، فإنها موجبة، فقال: لا يدخله الله النار بهذا أبداً، كما درأ عنه جلد ثمانين، لقد نظرت حتى أيقنت، ولقد استسمعت حتى استشفيت فحلف، ثم قيل: احلفي، فحلفت، ثم قال: قفوها عند الخامسة، فإنها موجبة، ف قيل لها: إنها موجبة، فتلكأت ساعة، ثم قالت: لا أخزي قومي، فحلفت، فقال رسول الله ﷺ: "إِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذًا وَكَذَا فَهُوَ لِرُوجِهَا، وَإِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذًا وَكَذَا فَهُوَ لِلَّذِي قِيلَ فِيهِ مَا قِيلَ، قال: فجاءت به غلاماً كأنه جمل أورك، فكان بعد أميراً بمصر لا يُعرف نسبه، أو لا يُدرى من أبوه".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝﴾ يعني جل ذكره بقوله: ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾: ويدفع عنها الحد. واختلف أهل العلم في العذاب الذي عنه الله في هذا الموضع أنه يدروه عنها شهاداتها الأربع، فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا في ذلك، من أن الحد جلد مئة إن كانت بكراً، أو الرجم إن كانت ثيباً قد أحصنت. وقال آخرون: بل ذلك الحبس، وقالوا: الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع، والتعانه: الحبس دون الحد. وإنما قلنا: الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج الحد الذي وصفنا، قياساً على إجماع الجميع على أن الحد إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع على تصديقه فيما رماها به، أن الحد عليها واجب، فجعل الله أيمانه الأربع، والتعانه في الخامسة مخرجاً له من الحد الذي يجب لها برميها إياها، كما جعل الشهداء الأربعة مخرجاً له منه في ذلك وزائلاً به عنه الحد، فكذلك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك واجبا عليها حدّها، كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها، لا فرق بين ذلك، وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى [لطيف القول في شرائع الإسلام]، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ يقول: ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان: أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة، لمن الكاذبين فيما رماها من الزنا، وقوله: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾... الآية، يقول: والشهادة الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين. ورفع قوله: ﴿وَالْخَامِسَةَ﴾ في كلتا الآيتين، بأن التي تليها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلاً رحمة منه بكم، وتفضلاً عليكم، فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ يقول: جماعة منكم أيها الناس. ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شراً لكم عند الله

وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجا. وقيل: إن الذي عنى الله بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾: جماعة، منهم حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش. كما جاء عن عروة وقوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ يقول: لكل امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزء ما اجترم من الإثم، بمجيبه بما جاء به، من الأولى عبد الله. وقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ يقول: والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه. قال أبو جعفر: له من الله عذاب عظيم يوم القيامة. وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ الآية وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسيرة، أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم، عبد الله بن أبي ابن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر. كان سبب مجيء أهل الإفك، كالذي جاء أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، وأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل إلى المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني، أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جَزَع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب، وهم يحسبون أنني فيه، قالت: وكانت النساء إذ ذاك خفافا لم يُهَبِّلَهُنَّ ولم يَغْشِهِنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلُقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحلوه ورفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني ويرجعون إلي، فبينما أنا جالسة في منزلي، غلبتني عيني، فنمت حتى أصبحت. وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش، فأدلى فأتى منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني، فعرفني حين رأي، وكان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما تكلمت بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته، فوطئ على يديها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدما المدينة، فاشتكت شهرا، والناس فيفضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: "كيف تيكم؟" فذلك يريني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناسيع، وهو متبرزنا، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح، وهي ابنة أبي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر، خالة أبي بكر الصديق، وابنها

مسطح بن أثاثه بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بش ما قلت! أسنين رجلا قد شهد بدرا؟ فقالت: أي هتاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى منزلي، ودخل علي رسول الله ﷺ، ثم قال: "كيف تيكم؟" فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قال: "نعم"، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أسئبت الخبر من قتلهم، فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي، فقلت لأمي: أي أمته، ماذا يتحدث الناس؟ فقالت: أي بنية، هوئي عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها. قالت: قلت: سبحان الله، أو قد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدخل علي أبو بكر وأنا أبكي، فقال لأمي: ما يبكيها؟ قالت: لم تكن علمت ما قيل لها، فأكتب يبكي، فبكي ساعة، ثم قال: اسكتي يا بنية، فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلي المقبل لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة، لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، حتى ظن أبوي أن البكاء سيفلق كبدي. فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد، حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله قالت: فأما أسامة، فأشار علي رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي في نفسه من الود فقال: يا رسول الله، هم أهلك، ولا نعلم إلا خيرا. وأما علي فقال: لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، يعني: بريرة، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: "هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟" قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق، ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه عليها، أكثر من أنها حديثه السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام النبي ﷺ خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "مَنْ يَعْذُرُنِي مِمَّنْ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟" يعني عبد الله بن أبي سلول، وقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر أيضا: "يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِيَ" فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذكرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك؛ فقام سعد بن عبادة، فقال، وهو سيد الخزرج، وكان رجلا صالحا، ولكن احتملته الحمية، فقال: أي سعد بن معاذ لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عمه سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت، لعمر الله لنقتله، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج، حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا، ثم أتاني رسول الله ﷺ وأنا في بيت أبوي، فيينا هما جالسان عندي وأنا أبكي، استأذنت علي امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي؛ قالت: فيينا نحن على ذلك، دخل علينا رسول الله ﷺ، ثم جلس عندي، ولم يجلس عندي منذ قليل ما قيل، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني بشيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس، ثم قال: "أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيَّةً فَسِيرْتُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ، وَتَوْبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ".

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي، حتى ما أحس منه دمعة، قلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجبي عني رسول الله ﷺ، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله قد عرفت أن قد سمعتم بهذا، حتى استقر في أنفسكم، حتى كنتم أن تصدقوا به، فإن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ثم توليت واضطجعت على فراشي، وأنا والله أعلم أني بريئة، وأن الله سيبرئني ببرائي، ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يُتلى، ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في المنام رؤيا يبرئني الله بها، قالت: والله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه، ولا خرج من البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى إنه ليتحدّر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي، من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فلما سُري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، كان أول كلمة تكلم بها أن قال: "أُبَشِّرِي يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأكَ!" فقالت لي أُمِّي، قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، هو الذي أنزل براءتي. فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ عشر آيات، فأنزل هذه الآيات براءة لي. قالت: فقال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقربته وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، قالت: فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ حتى بلغ: ﴿عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ فقال أبو بكر: إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، وما رأيت، وما سمعت، فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، والله ما رأيت إلا خيراً، قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب، فهلكت فيمن هلك. قال الزهري بن شهاب: هذا الذي انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره أهل الإيمان به فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة بما أرجف به، يقول لهم تعالى ذكره: هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيراً: يقول: ظننتم بمن قرف بذلك منكم خيراً، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة، وقال بأنفسهم، لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة، لأنهم أهل ملة واحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ يقول: وقال المؤمنون والمؤمنات: هذا الذي سمعناه من القوم الذي رمي به عائشة من الفاحشة كذب وإثم، يبين لمن عقل وفكر فيه أنه كذب وإثم وهتان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها وما رموها به، فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على

حقيقة ما رَمَوْهَا بِهِ ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ يقول: فالعصبة الذين رَمَوْهَا بذلك عند الله هم الكاذبون فيما جاءوا به من الإفك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الخائضون في أمر عائشة، المُشيعُونَ فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ إياكم لعفوه عنكم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك؛ ﴿لَمَسَّكُمْ فِيهِمَا﴾ خضتم فيه من أمرها عاجلاً في الدنيا ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: لمسكم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم، حين تلقونه بألسنتكم، و"إذ" من صلة قوله "المسكم" ويعني بقوله: ﴿تَلَقَّوْنَهُ﴾ تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض يقال: تلقيت هذا الكلام عن فلان، بمعنى أخذته منه، وقيل ذلك؛ لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر، فيقول: أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة؟ ليشيع عليها بذلك الفاحشة. قوله: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تروونه، فتقولون: سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا، ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم، وتلقيكموه بعضكم عن بعض هين سهل، لا إثم عليكم فيه ولا حرج، ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ يقول: وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم، عند الله عظيم من الأمر؛ لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله ﷺ وحليلته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْلَا﴾ أيها الخائضون في الإفك الذي جاءت به عصبة منكم، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ ممن جاء به ﴿قُلْتُمْ﴾ ما يحل لنا أن نتكلم بهذا، وما ينبغي لنا أن نتفوه به ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك يا رب وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: هذا القول بهتان عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) يقول تعالى ذكره: يذكركم الله وينهاكم بأي كتابه، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقيكم الإفك الذي روي عليها بألسنتكم، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبداً ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله، وتاتمرون لأمره، وتستهون عما نهاكم عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال: والذي هو خير لنا من هذا، أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه، لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم، أن يقول الرجل: أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوله، فكان خيراً حين أعلمناه الله، لئلا ندخل في مثله أبداً، وهو عند الله عظيم وقوله: ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾: ويفصل الله لكم حججه عليكم بأمره ونهيه، ليتبين المطيع له

منكم من العاصي، والله عليم بكم وبأفعالكم، لا يخفى عليه شيء، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، حكيم في تدبير خلقه، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال وفرضه ما فرض

عليهم من الأفعال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره: إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحد الذي جعله الله حداً لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرّاً على ذلك غير تائب. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب. يقول: فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على حلائل رسول الله ﷺ فتهلكوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠) يقول تعالى ذكره: ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم، وأن الله ذو رأفة، ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه، وعاجلتكم من الله العقوبة. وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده، وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾... الآية.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (٢١) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه، ولا تقتفوا آثاره، بإساعتكم الفاحشة في الذين آمنوا وإذ اعتكموها فيهم وروايتكم ذلك عن جاء به، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء، وهي الزنا، والمنكر من القول. وقد بينّا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد، ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم، ما تطهر منكم من أحد أبداً من دنس ذنوبه وشره، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ يقول: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئاً من الشر يدفعه عن نفسه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله سميع لما تقولون بأفواهكم، وتلقونه بألستكم، وغير ذلك من كلامكم، عليم بذلك كله وبغيره من أموركم، محيط به، محصيه عليكم، ليجازيكم بكل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيُغْفَرُوا لِيُضْفَحُوا إِلَّا نُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم، يعني: ذوي التفضل والسعة، يقول: وذوو الجدة. وإنما عني بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق على مسطح، فقال جل ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ألا يعطوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به

أرحامهم، كمسطح، وهو ابن خالة أبي بكر ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ يقول: وذوي خلة الحاجة، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان فقيرا محتاجا ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرًا ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ يقول: وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم، وذلك كجرم مسطح إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك، ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ يقول: وليتركوا عقوبتهم على ذلك، بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم، ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لذنوب من أطاعه واتباع أمره، ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عائشة، قالت: لما نزل هذا، يعني قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ في عائشة، وفيمن قال لها ما قال قال أبو بكر، وكان ينفق على مسطح لقربائه وحاجته: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، ولا أنفعه بنفع أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال، وأدخل عليها ما أدخل، قالت: فأنزل الله في ذلك ﴿وَلَا يَأْكُلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾... الآية. قالت: فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان يُنفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمِحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ﴾ بالفاحشة ﴿الْمِحْصَنَاتِ﴾ يعني العفيفات ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن الفواحش ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله، ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يقول: أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وذلك عذاب جهنم. واختلف أهل التأويل في المحصنات اللاتي هذا حكمهن وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها. وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب؛ لأن الله عم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمِحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ كل محصنة غافلة مؤمنة، رماها رام بالفاحشة، من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض، فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية فملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته، فإن الله دل باستثنائه بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ على أن ذلك حكم رامي كل محصنة، بأي صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية، وعلى أن قوله: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) يقول تعالى ذكره: وله عذاب عظيم ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ فالיום الذي في قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ﴾ من صلة قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وعني بقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ يوم القيامة، وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب، عند تقرير الله إياه بها فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. كما جاء عن أبي سعيد، عن رسول الله

﴿إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عُرِفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ، فَيُقَالُ لَهُ: هَؤُلَاءِ جِيرَانُكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُولُ: أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ، فَيَقُولُ: كَذَبُوا، فَيَقُولُ: أَتَحْلِفُونَ؟ فَيَحْلِفُونَ، ثُمَّ يُصْمِتُهُمُ اللَّهُ، وَتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ ثُمَّ يُدْخِلُهُمُ النَّارَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُؤْقِعُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾^(٥٥)
يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم. والدين في هذا الموضع: الحساب والجزاء، كما حدثني علي، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَوْمَ يُؤْقِعُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ يقول: حسابهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٥٦)
اختلف أهل التأويل في ذلك وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عنى بالخبيثات: الخبيثات من القول، وذلك قبيحه وسببه للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولى؛ لأنهم أهلها. والطيبات من القول، وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛ لأنهم أهلها وأحق بها. وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرايين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصهم به على إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به، أشبه من الخبر عن غيرهم. وقوله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ يقول: الطيبون من الناس مبرءون من خبيثات القول، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها، ويغفرها لهم، وإن قيلت فيهم؛ ضرت قائلها ولم تضرهم، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به، لأن الله لا يتقبله، ولو قيلت له لضرته؛ لأنه يلحقه عارها في الدنيا، وذلك في الآخرة. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ يقول لهؤلاء الطيبين من الناس مغفرة من الله لذنبهم، والخبيث من القول إن كان منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يقول: ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة، وذلك الجنة، وما أعد لهم فيها من الكرامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٥٧)
اختلف أهل التأويل في ذلك والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبرا بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنبهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وقد حكى عن العرب سماعا: اذهب فاستأنس، هل ترى أحدا في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحدا؟ فتأويل الكلام إذن إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير، إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية، عن ابن عباس. وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يقول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم، لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على

ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم في الاستئذان والسلام. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا بفعلكم ذلك أوامر الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فطيعوه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فإن لم تجدوا في البيوت التي تستأذنون فيها أحدا، يأذن لكم بالدخول إليها، فلا تدخلوها، لأنها ليست لكم، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أربابها، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها فادخلوها ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ يقول: وإن قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها: ارجعوا فلا تدخلوها، وارجعوا عنها ولا تدخلوها؛ ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ يقول: رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها، أظهر لكم عند الله. وقوله: ﴿هُوَ﴾ كناية من اسم الفعل أعني من قوله: ﴿فارْجِعُوا﴾. وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ يقول جل ثناؤه: والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم في بيوت غيركم إذا قيل لكم ارجعوا، وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم في ذلك وغيره من أمره ونهيهِ - ذو علم محيط بذلك كله، محص جميعه عليكم، حتى يجازيكم على جميع ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ليس عليكم أيها الناس إثم وخرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان. ثم اختلفوا في ذلك أي البيوت عني وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عم بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن؛ لأن الإذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول، أو ليأذن للداخل إن كان له مالك، أو كان فيه ساكنا. فأما إن كان لا مالك له فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه، لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه، فلا معنى للاستئذان فيه. فإذا كان ذلك، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض، فكل بيت لا مالك له، ولا ساكن، من بيت مبني ببعض الطرق للمارة والسابلة؛ ليأووا إليه، أو بيت خراب، قد باد أهله ولا ساكن فيه، حيث كان ذلك، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان، لمتاع له يؤويه إليه، أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها. فإن ظنَّ أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنَّ، وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته إليه، أو بغير سبب أباح له دخوله إلا بإذن ربه، لا سيما إذا كان فيه متاع، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول، فذلك بعد راجع إلى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن من معنى قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ في شيء، وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت، هي ما لم يكن مسكونا، إذ حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه، وهو مع ذلك مسكون، فتبين أنه مما عني الله من هذه الآية

بمعزل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٠) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبك يا محمد ﴿يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يقول: يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم ﴿ذَلِكَ أَزْكَ لَهُمْ﴾ يقول: فإن غضها من النظر عما لا يحل النظر إليه، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين؛ أظهر لهم عند الله وأفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يقول: إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغص عنه، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن الربيع بن أنس قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ قال: يغضوا أبصارهم عما يكره الله. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ قال: يغص من بصره: أن ينظر إلى ما لا يحل له، إذا رأى ما لا يحل له غص من بصره لا ينظر إليه، ولا يستطيع أحد أن يغص بصره كله، إنما قال الله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ (٢١) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقُلْ﴾ يا محمد ﴿لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ ﴿يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ يقول: ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم. وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يُظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتتهن، وهما زيتان: إحداهما: ما خفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد، والأخرى: ما ظهر منها، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: عنى بذلك: الوجه والكفان، يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب. وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل؛ لإجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها، إلا ما روي عن النبي ﷺ أنه أباح لها أن تبديه من ذراعها إلى قدر النصف. فإذا كان ذلك من جميعهم إجماعاً، كان معلوماً بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة، كما ذلك للرجال؛ لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره؛ وإذا كان لها إظهار ذلك، كان معلوماً أنه مما استثناه الله تعالى ذكره، بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ لأن كل ذلك ظاهر منها. وكان بن مسعود وغيره يقولون بما جاء عن ابن مسعود، قال: الزينة زيتان: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي: الخَلْخَالان والقرطان والسواران. وقد ذكرنا أولى الأقوال بالصواب وعلة ذلك. وقول: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: وليلقين خُمُرهن، وهي جمع خمار، على جيوبهن، ليسترن بذلك

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لا أرب له في النساء من الرجال، ولا حاجة به إليهنّ، ولا يرپدهنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ فهذا الرجل يتبع القوم، وهو مغفل في عقله، لا يكثرث للنساء، ولا يشتهيهنّ، فالزينة التي تبديها لهؤلاء: قرطاهها وقلادتها وسوارهاها، وأما خلخالها ومعضداها ونحرها وشعرها، فإنها لا تبديه إلا لزوجها. وقوله: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ يقول تعالى ذكره: أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهنّ فيظهروا عليهن لصغرهم. كما جاء عن مجاهد، قوله: ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ قال: لم يدروا ما ثم، من الصغر قبل الحلم. وقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يجعلن في أرجلهنّ من الحليّ ما إذا مشين أو حرّكنهنّ، علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن المعتمر، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أن امرأة اتخذت برتين من فضة، واتخذت جزعا، فمرت

على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلخال على الجزع، فصوّت، فأنزل الله ﴿وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلَيْهِ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِمْ﴾. وقوله: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غصّ البصر، وحفظ الفرج، وترك دخول بيوت غير بيوتكم، من غير استئذان ولا تسليم، وغير ذلك من أمره ونهيه؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ يقول: لتفلقوا وتدرکوا طلباتكم لديه، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم ونسائكم، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم. والأيامى: جمع أيم، وإنما جمع الأيم أيامى؛ لأنها فعيلة في المعنى، فجمعت كذلك كما جمعت اليتيمة: يتامى؛ ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ يقول: إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم أهل فاقة وفقر، فإن الله يغنيهم من فضله، فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ قال: أمر الله سبحانه بالنكاح، ورغبهم فيه، وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم، ووعدهم في ذلك الغنى، فقال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول جل ثناؤه: والله واسع الفضل جواد بعباياه، فروجوا إماءكم، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله، إن كانوا فقراء. عليهم: يقول: هو ذو علم بالفقير منهم والغني، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَيْسَتَغْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ ما ينكحون به النساء عن إتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش، حتى يغنيهم الله من سعة فضله، ويوسع عليهم من رزقه. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يقول جل ثناؤه: والذين يلمسون المكاتبه منكم من مماليككم ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾، واختلف أهل العلم في وجه مكاتبه الرجل عبده، الذي قد علم فيه خيرا، وهل قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ على وجه الفرض، أم هو على وجه الندب؟ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكتبه إذا علم فيه خيرا، وسأله العبد الكتابة، وذلك أن ظاهر قوله: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ ظاهر أمر، وأمر الله فرض الانتهاء إليه، ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة، على أنه ندب، لما قد بينا من العلة في كتابنا المسمى "البيان عن أصول الأحكام". وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم، فهو القدرة على الاحتراف والكسب لأداء ما كتبوا عليه. كما جاء عن مالك بن أنس وغيره وقوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطوهم من مال الله الذي أعطاكم. ثم اختلف أهل التأويل في المأمور بإعطائه من مال الله الذي أعطاه، من هو؟ وفي المال، أي الأموال هو؟ وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الثاني، وهو قول من قال: عنى به إيتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة. وإنما قلنا ذلك أولى القولين، لأن قوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي

آتَاكُمْ ﴿٤٤﴾ أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الأموال، وأمر الله فرض على عباده الانتهاء إليه، ما لم يخبرهم أن مراده النذب، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا، فإذا كان ذلك كذلك ولم يكن أخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ أنه نذب، ففرض واجب. وإذا كان ذلك كذلك، وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غيره من المسلمين، إلا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الأغنياء منهم، وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب، فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم، هو ما فرض على الأغنياء في أموالهم له من الصدقة المفروضة، إذ كان لا حق في أموالهم لأحد سواها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٤٥﴾ يقول تعالى ذكره: زوجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ولا تكرهوا إماءكم على البغاء، وهو الزنا، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ يقول: إن أردن تعففا عن الزنا. ﴿لِتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يقول: لتلتمسوا بإكراهكم إياهن على الزنا عرض الحياة الدنيا وذلك ما تعرض لهن إليه الحاجة من ريشها وزيتها وأموالها، ﴿وَمَنْ يُكْرِهَنَّ﴾ يقول: ومن يكره فتياته على البغاء، فإن الله من بعد إكراهه إياهن على ذلك، لهن ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن. وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول، حين أكره أمته مسيكة على الزنا. عن أبي سفيان عن جابر قال: كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول، يقال لها مسيكة، فأجرها أو أكرهها "الطبري شك" فأتت النبي ﷺ، فشكت ذلك إليه، فأنزل الله ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتُغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني بهن.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات: يقول مفصلات الحق من الباطل، وموضحات ذلك. وقوله: ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم، ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ لمن اتقى الله، فخاف عقابه وخشي عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤٧﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وهداه من حيرة الضلالة يعتصمون. وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك؛ لأنه عقيب قوله: وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع تنزيله من خلقه. ومن مدح ما ابتدأ بذكر مدحه، أولى وأشبه، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه من غيره. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس آيات مبينات الحق من الباطل ومثلاً من الذين خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ فهديناكم بها، وبيننا لكم معالم دينكم بها، لأنني هادي أهل السماوات وأهل

الأرض، وترك وصل الكلام باللام، وابتدأ الخبر عن هداية خلقه ابتداء، وفيه المعنى الذي ذكرت، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره، ثم ابتدأ في الخبر عن مثل هدايته خلقه بالآيات المبينات التي أنزلها إليهم، فقال: **مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** يقول: مثل ما أنار من الحق هذا التنزيل في بيانه كمشكاة. وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء في قوله: **مِثْلُ نُورِهِ** علام هي عائدة، ومن ذكر ما هي؟ فقال بعضهم: هي من ذكر المؤمن. وقالوا: معنى الكلام: مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن مثل مشكاة. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فأمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة؛ لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكوة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: **فِيهَا مِصْبَاحٌ** وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: **الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ** يعني: أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاج، وذلك مثل للقرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله والشك فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها بالكوكب الدرّي، فقال: **الرُّجَاجَةُ** وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه كأنها كوكبٌ درّي. ومعنى الكلام في: كمشكاة فيها مصباح، المصباح من دهن شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية. وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام؛ لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجره شرقياً غريباً، كان زيتُه لا شك أجود وأصفى وأضوأ. وقوله: **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ** يقول تعالى ذكره: يكاد زيت هذه الزيتونة يضيء من صفائه وحسن ضيائه **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** يقول: فكيف إذا مسته النار. وإنما أريد بقوله: **يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ** أن هذا القرآن من عند الله، وأنه كلامه، فجعل مثله ومثل كونه من عنده، مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة، التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية. وعنى بقوله: **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ**: أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها **وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** يقول: ولو لم يزلها الله بيانا ووضوحاً يأنزله هذا القرآن إليهم؛ منها لهم على توحيده، فكيف إذا نبههم به وذكرهم بآياته، فزادهم به حجة إلى حججه عليهم قبل ذلك، فذلك بيان من الله ونور على البيان، والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله. وقوله: **نُورٌ عَلَى نُورٍ** يعني: النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه النار. قال أبو جعفر: وهو عندي كما ذكرت مثل القرآن. ويعني بقوله: **نُورٌ عَلَى نُورٍ** هذا القرآن نور من عند الله، أنزله إلى خلقه يستضيئون به، على نور على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه، مما يدل على حقيقة وحدانيته، فذلك بيان من الله، ونور على البيان، والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله. كما جاء عن زيد بن أسلم وقوله: **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ** يقول تعالى ذكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده. وقوله: **وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ** يقول: ويمثل الله الأمثال والأشبه للناس، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة،

وسائر ما في هذه الآية من الأمثال. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يقول والله يضرب الأمثال، وغيرها من الأشياء كلها، ذو علم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٣٦ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ٣٧ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، في بيوت أذن الله أن ترفع. كما جاء ابن زيد: المشكاة التي فيها الفتيلة التي فيها المصباح، قال: المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع. قال أبو جعفر: قد يحتمل أن تكون "من" في صلة "توقد"، فيكون المعنى: توقد من شجرة مباركة ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع، وعنى بالبيوت المساجد. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، القول الذي قاله مجاهد، وهو أن معناه: أذن الله أن ترفع بناء، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية. وقوله: ﴿وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾ يقول: وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها. وقد قيل: عني به أنه أذن لهم بتلاوة القرآن فيها. وجاء عن ابن عباس، قال: ثم قال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ يقول: يصلي له فيها بالغداة والعشي، يعني بالغدو: صلاة الغداة، ويعني بالآصال صلاة العصر وهما أول ما افترض الله من الصلاة، فأحب أن يذكرهما، ويذكر بهما عبادته. وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد، التي أذن الله أن ترفع، عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة - تجارة ولا بيع. وقال بعضهم: معنى ذلك: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ عن صلاتهم المفروضة عليهم. كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ يقول: ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها في أوقاتها. ونحن قولنا في ذلك قال أهل التأويل. وقوله ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ قيل: معناه وإخلاص الطاعة لله. كما جاء، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، وقوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مَا رَحِمْتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾، وقوله: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾ ونحن هذا في القرآن، قال: يعني بالزكاة: طاعة الله والإخلاص، وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ يقول: يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هوله بين طمع بالنجاة، وحذر بالهلاك، والأبصار: أي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين أم ذات الشمال، ومن أين يؤتون كتبهم، أمن قبل الأيمان، أو من قبل الشمائل؟ وذلك يوم القيامة. وقوله: ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ يقول: فعلوا ذلك، يعني أنهم لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطاعوا ربهم؛ مخافة عذابه يوم القيامة، كي يشيهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا، ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التي عملوها في الدنيا من فضله، فيفضل عليهم عن عنده بما أحب من كرامته لهم. وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقول تعالى ذكره: يتفضل على من شاء وأراد من طوله وكرامته، مما لم يستحقه بعمله، ولم يبلغه بطاعته ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، يقول: بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٣٦﴾ وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها ﴿كسراب﴾ يقول: مثل سراب، والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار، وحين يشتد الحرّ والآل، ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار، يرفع كل شيء ضحى. وقوله: ﴿بقية﴾ وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب. وقوله: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ يقول: يظن العطشان من الناس السراب ماء ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمان السراب ملتصقا ماء، يستغيث به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ يقول: لم يجد السراب شيئا، فكَذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمان الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله، لم يجده ينفعه شيئا؛ لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله، هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه. فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فإن لم يكن السراب شيئا، فعلام أدخلت الهاء في قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾؟ قيل: إنه شيء يرى من بعيد كالضباب، الذي يرى كثيفا من بعيد، والهباء، فإذا قرب منه المرء، رق وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه حتى إذا جاء موضع السراب؛ لم يجد السراب شيئا، فاكتمى بذكر السراب من ذكر موضعه، ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يقول والله سريع حسابه؛ لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع، ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمل العبد، ومن بعد ما عمله. كما جاء عن أبي بن كعب وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَبِجٍ يَعْغِيهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَأَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ﴿٣٧﴾ وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عملها فيها، وعلى غير هدى، مثل ظلمات في بحر لَبِجٍ، ونسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء، ولجة البحر معظمه ﴿يَعْغِيهِ مَوْجٌ﴾ يقول: يغشى البحر موج ﴿مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ يقول: من فوق الموج موج آخر يغشاه، ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ يقول: من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحب، فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم، والبحر اللجج مثلاً لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشاه الضلال والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجج موج من فوقه موج من فوقه سحب، فكَذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فنلك ظلمات بعضها فوق بعض. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَّاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ألم تنظري يا محمد بعين قلبك، فتعلم أن الله يصلي له من في السماوات والأرض من ملك وإنس وجنّ والطّير صافّاتٍ في الهواء أيضا تسبح له ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ والتسبيح عندك صلاة، فيقال: قيل: إن الصلاة لبني آدم، والتسبيح لغيرهم من الخلق، ولذلك فصل فيما بين ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره ويتوجه قوله: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ لوجهين: أحدهما أن تكون الهاء التي في قوله: ﴿صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ من ذكر كل، فيكون تأويل الكلام: كل مصلّ ومسيح منهم قد علم الله صلاته وتسبيحه، ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ وهو الهاء التي في الصلاة. والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل، ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في ﴿عَلِمَ﴾ ويكون ﴿عَلِمَ﴾ فعلا للكل، فيكون تأويل الكلام حينئذ: قد علم كل مصلّ ومسيح منهم صلاة نفسه وتسبيحه، الذي كلفه والزمه. والوجه الآخر: أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله، والعلم للكل، فيكون تأويل الكلام حينئذ: قد علم كل مسبح ومصلّ صلاة الله التي كلفه إياها، وتسبيحه، وأظهر هذه المعاني الثلاثة على هذا الكلام، المعنى الأول، وهو أن يكون المعنى: كل مصلّ منهم ومسيح قد علم الله صلاته وتسبيحه. وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والله ذو علم بما يفعل كل مصلّ ومسيح منهم، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، طاعتها ومعصيتها، محيط بذلك كله، وهو مجازيهم على ذلك كله. وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول جل ثناؤه: والله سلطان السماوات والأرض وملكها دون كل من هو دونه من سلطان وملك، فيأبه فارهبوا أيها الناس، وإليه فارغبوا لا إلى غيره، فإن بيده خزائن السماوات والأرض، لا يخشى بعبادياكم منها فقرا ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يقول: وأنتم إليه بعد وفاتكم، مصيركم ومعادكم، فيوفيك أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا، فأحسنوا عبادته، واجتهدوا في طاعته، وقدموا لأنفسكم الصالحات من الأعمال.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ۝ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ۝﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي﴾ يعني: يسوق ﴿سَحَابًا﴾ حيث يريد ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ يقول: ثم يؤلف بين السحاب، وأضاف بين إلى السحاب، ولم يذكر مع غيره، وبين لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين؛ لأن السحاب في معنى جمع، واحده سحابة، كما يجمع النخلة: نخل، والتمرة تمر، فهو نظير قول قائل: جلس فلان بين النخل، وتأليف الله السحاب: جمعه بين متفرقها. وقوله: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ يقول: ثم يجعل السحاب الذي يزرجه، ويؤلف بعضه إلى بعض ركاما، يعني: متراكما بعضه على بعض. وقد حدثنا بالخبر الذي جاء عن عبيد بن عمير الليثي، قال: الرياح أربع: يبعث الله الرياح الأولى فتتم الأرض قما، ثم يبعث الثانية فتتسقى سحابا، ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما، ثم يبعث الرابعة فتمطره. وقوله: ﴿فَتَرَى

الْوَدْقُ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ يَقُولُ: فترى المطر يخرج من بين السحاب، وهو الودق، والهاء في قوله: ﴿مِنْ خِلَالِهِ﴾ من ذكر السحاب، والخلال: جمع خلل. وقوله: ﴿وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾: قيل في ذلك قولان: أحدهما: أن معناه أن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برد مخلوقة هنالك خلقه، كأن الجبال على هذا القول هي من برد، كما يقال: جبال من طين. والقول الآخر: أن الله ينزل من السماء قدر جبال، وأمثال جبال من برد إلى الأرض، كما يقال: عندي بيتان تبن، والمعنى قدر بيتين من التبن، والبيتان ليسا من التبن. وقوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ يقول: فيعذب بذلك الذي ينزل من السماء من جبال فيها من برد، من يشاء فيهلكه، أو يهلك به زروعه وماله ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ من خلقه، يعني: عن زروعهم وأموالهم. وقوله: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ يقول: يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره، والسنا مقصور، وهو ضوء البرق. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ يقول: يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما، إذا أذهب هذا جاء هذا، وإذا أذهب هذا جاء هذا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ يقول: إن في إنشاء الله السحاب، وإنزاله منه الودق، ومن السماء البرد، وفي تقلبيه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به، وعظة لمن اتعظ به. ممن له فهم وعقل؛ لأن ذلك ينبئ ويدل على أنه له مدبراً ومصرفاً ومقلباً لا يشبهه شيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ يعني: من نطفة، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات وما أشبهها، وقيل: إنما قيل: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ والمشي لا يكون على البطن؛ لأن المشي إنما يكون لما له قوائم على التشبيه وأنه لما خالط ما له قوائم ما لا قوائم له جاز، كما قال: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالطير، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق وسبيل الرشاد ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يقول: والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه، فيهديه إلى دين الإسلام، وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٥٨﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول، وأطعنا الله وأطعنا الرسول ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يقول: ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله ﷺ، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وليس قائلو هذه المقالة، يعني قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ بالمؤمنين؛ لتركهم الاحتكام إلى رسول الله ﷺ وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه. وقوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول: وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فيما اختلفوا فيه بحكم الله ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن قبول الحق، والرضا بحكم رسول الله ﷺ.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ ٥١ ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٥٢ يقول تعالى ذكره: وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الإجابة إلى ذلك، قبل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله - يأتوا إلى رسول الله مذعنين، يقول: مذعنين منقادين لحكمه، مقرين به طائعين غير مكرهين، يقال منه: قد أذعن فلان بحقه إذا أقر به طائعا غير مستكره وانقاد له وسلم. وقوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يقول تعالى ذكره: أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، شك في رسول الله ﷺ، أنه لله رسول، فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرضا به ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم رسوله وقال: ﴿أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ والمعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله، كما يقال: ما شاء الله ثم شئت، بمعنى شئت. ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فأفرد الرسول بالحكم، ولم يقل: ليحكموا. وقوله: ﴿بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك مما دعوا إليه، أن يحيف عليهم رسول الله، فيجور في حكمه عليهم، ولكنهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمر ربهم، ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله ﷺ فيما أحبوا وكرهوا، والتسليم له.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٥٣ يقول تعالى ذكره: إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله، ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين خصومهم، ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا﴾ ما قيل لنا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ من دعانا إلى ذلك. ولم يُعْنَبْ ﴿كَانَ﴾ في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى ففقدى، ولكنه تأنيب من الله الذي أنزلت هذه الآية بسببهم، وتأديب منه آخرين غيرهم. وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم أن يقولوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا المفلحون يقول: هم المنجحون المدركون طلباتهم، بفعلهم ذلك، المخلدون في جنات الله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ٥٤ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما أمره ونهاه، ويسلم لحكمهما له وعليه، ويخف عاقبة معصية الله ويحذره، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه ﴿فَأُولَئِكَ﴾ يقول: فالذين يفعلون ذلك ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ برضا الله عنهم يوم القيامة، وأمنهم من عذابه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٥٥ يقول تعالى ذكره وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ دعوا إليه ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ يقول: أغلظ أيمانهم وأشدّها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا﴾ لا تحلفوا، فإن هذه طاعة مَعْرُوفَةٍ منكم فيها التكذيب. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَهُؤُلَاءِ الْمُقْسِمِينَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيَنْ أَمْرَتُهُمْ لِيُخْرِجَنَّهُ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَمَتِكَ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أيها القوم فيما أُمِرَكم به، ونهاكم عنه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فَإِنْ طَاعْتَهُ اللَّهُ طَاعَةً ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يقول: فَإِنْ تَعَرَّضُوا وَتَدَبَّرُوا عَمَّا أُمِرَكم به رسول الله ﷺ، أَوْ نَهَاكم عَنْهُ، وَتَأْبَوْا أَنْ تَدْعَنُوا لِحُكْمِهِ لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ يقول: فَإِنَّمَا عَلَيْهِ فَعَلٌ مَا أُمِرَ بِفَعْلِهِ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ عَلَى مَا كَلَّفَهُ مِنْ التَّبْلِيغِ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ يقول: وَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَفْعَلُوا مَا أَلَزَمَكُمْ، وَأَوْجِبَ عَلَيْكُمْ مِنْ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالانْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ فِيمَا أُمِرَكم وَنَهَاكم. وَقُلْنَا: إِنْ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ بِمَعْنَى فَإِنْ تَوَلَّوْا، فَإِنَّهُ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ؛ لِأَنَّهُ خُطَابٌ لِلَّذِينَ أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿تَوَلَّوْا﴾ فَعَلًا مَاضِيًا عَلَى وَجْهِ الْخَبَرِ عَنْ غَيْبٍ لَكَانَ فِي مَوْضِعِ قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: وَإِنْ طَعِبُوا - أَيُّهَا النَّاسُ - رَسُولَ اللَّهِ - فِيمَا يَأْمُرُكم وَيَنْهَاكم - تَرْتَدُّوا وَتَصْبِيحُوا الْحَقَّ فِي أُمُورِكُمْ ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يَقُولُ: وَغَيْرُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى قَوْمٍ بِرِسَالَةٍ إِلَّا أَنْ يُلْغِيَهُمْ رِسَالَتَهُ بِلَاغًا يَبَيِّنُ لَهُمْ ذَلِكَ الْبَلَاغَ عَمَّا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ. يَقُولُ فَلَيْسَ عَلَى مُحَمَّدٍ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِلَّا آدَاءُ رِسَالَةِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَعَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُ لِحُظُوظِ أَنْفُسِكُمْ تَصِيبُونَ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُ بِأَنْفُسِكُمْ فَتُوبِقُونَ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيمَا أَمَرَاهُ وَنَهَايَاهُ ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: لِيُورِثَهُمُ اللَّهُ أَرْضَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعِجَمِ، فَيَجْعَلَهُمْ مُلُوكَهَا وَسَاسَتَهَا ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول: كَمَا فَعَلَ مَنْ قَبْلَهُمْ ذَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ أَهْلَكَ الْجَبَّارَةَ بِالشَّأْمِ، وَجَعَلَهُمْ مُلُوكَهَا وَسَكَانَهَا ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ يقول: وَلِيُوطِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ، يَعْنِي: مُلْتَهُمُ الَّتِي ارْتَضَاهَا لَهُمْ، فَأَمَرَهُمْ بِهَا. وَقِيلَ: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، ثُمَّ تَلَقَّى ذَلِكَ بِجَوَابِ الْيَمِينِ بقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ لِأَنَّ الْوَعْدَ قَوْلٌ يَصْلُحُ فِيهِ "أَنْ"، وَجَوَابُ الْيَمِينِ كَقَوْلِهِ: وَعَدْتُكَ أَنْ أَكْرِمَكَ، وَوَعَدْتُكَ لِأَكْرِمَكَ. وَقَوْلُهُ: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يقول: يَخْضَعُونَ لِي بِالطَّاعَةِ وَتَذَلُّلٍ لِأَمْرِي وَنَهْيِي ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ يقول: لَا يَشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّايَ الْأَوْثَانُ وَالْأَصْنَامُ وَلَا شَيْئًا غَيْرَهَا، بَلْ يَخْلَصُونَ لِي الْعِبَادَةَ فَيَفْرِدُونَهَا إِلَيَّ دُونَ كُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِي، وَذَكَرَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ شِكَايَةِ بَعْضِ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مِنَ الْعَدُوِّ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الرَّعْبِ وَالْخَوْفِ، وَمَا يَلْقَوْنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ. كَمَا جَاءَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَوْلُهُ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ... الْآيَةَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَشْرَ سَنِينَ خَائِفًا يَدْعُو إِلَى اللَّهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، قَالَ: ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَ: فَمَكَثَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَائِفُونَ، يَصْبَحُونَ فِي

السلّاح، ويمسّون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع عنا السلّاح، فقال النبي ﷺ: "لا تَعْبُرُونَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَجْلِسَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي الْمَلَأِ الْعَظِيمِ مُحْتَبًا فِيهِ، لَيْسَ فِيهِ حَدِيدَةٌ". فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ "قال: يقول: من كفر بهذه النعمة ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وليس يعني الكفر بالله. قال: فأظهره الله على جزيرة العرب فأمنوا، ثم تجبروا، فغير الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم، قال القاسم: قال أبو علي: بقتلهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ٥٦ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِي النَّارِ وَلَيْتَ الْمَصِيرُ ٥٧﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَأَقِيمُوا أَيُّهَا النَّاسُ الصَّلَاةَ﴾ بحدودها، فلا تضيعوها، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ التي فرضها الله عليكم أهلها، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: كي يرحمكم ربكم، فينجيكم من عذابه، وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: لا تحسبن يا محمد، الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم ﴿ومأواهم﴾ بعد هلاكهم ﴿النَّارُ وَلَيْتَ الْمَصِيرُ﴾ الذي يصيرون إليه ذلك المأوى. وقد كان بعضهم يقول: "لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا" بالياء، وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية؛ وذلك أن "تَحْسَبَ" محتاج إلى منصوبين. وإذا قرئ "يَحْسَبَنَّ" لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد، غير أني أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في "مُعْجِزِينَ" وأن منصوبه الثاني "في الأرض"، وذلك لا معنى له، إن كان ذلك قصد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذْنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٥٨﴾ يختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿لَيْسَ أَذْنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: غني به الذكور والإناث؛ لأن الله عم بقوله: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ جميع أملاك أيماننا، ولم يخص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل. فتأويل الكلام: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم، فلا يدخلوا عليكم إلا بإذن منكم لهم. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ يقول: والذين لم يحتلموا من أحراركم ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾، يعني: ثلاث مرات في ثلاثة أوقات، من ساعات ليلكم ونهاركم. كما جاء عن عطاء بن رباح وقوله: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ أي: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، ثلاث عورات لكم. وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿ليس عليكم﴾ معشر أرباب البيوت والمساكن، ﴿ولا عليهم﴾ يعني: ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء، والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار، حرج ولا إثم بعدهن، يعني بعد العورات الثلاث، والهاء والنون في قوله: ﴿بعدهن﴾ عائدتان على "الثلاث" من قوله: ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ وإنما يعني بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس أن يدخل عليهم مماليكهم البالغون، وصبيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات

الثلاث اللاتي ذكرهن في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس كالذي جاء عنه أنه قال: ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير إذن، يعني فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء، أنه رخص لخدام الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير إذن، قال: وهو قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ فأما من بلغ الحلم فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال. وقوله: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾ رفع الطوافون بمضمر، وذلك هم. يقول: هؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس، ويعني بالطوافين: أنهم يدخلون ويخرجون على مواليهم وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير إذن يطوفون عليهم، بعضكم على بعض في غير الأوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ يقول جل ثناؤه: كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية، كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: والله ذو علم بما يصلح عباده، حكيم في تدبيره إياهم، وغير ذلك من أموره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم، ويعني بقوله: ﴿منكم﴾ من أحراركم والحلم يعني الاحتلام، واحتلموا ﴿فليستأذنوا﴾ يقول: فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن، لا في أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها. وقوله: ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول: كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار، وخصّ الله تعالى ذكره في هذه الآية الأطفال بالذكر، وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان دون ذكر ما ملكت أيماننا، وقد تقدّمت الآية التي قبلها بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك؛ لأن حكم ما ملكت أيمانكم في ذلك حكم واحد، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم في أن الإذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن المسيب، قال: يستأذن الرجل على أمه؟ قال: إنما أنزلت ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ يقول: هكذا يبين الله لكم آياته، أحكامه وشرائع دينه، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ يقول: والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء، حكيم في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء، فلا يحضن ولا يلدن، واحدهن قاعد ﴿اللّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يقول: اللاتي قد يئسن من البعولة، فلا يطمعن في الأزواج ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ يقول: فليس عليهنّ حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهنّ، يعني جلابيهنّ، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب، لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال، وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما كان الضحاك يقول، في قوله: ﴿يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ يعني

الجلباب، وهو القناع، وهذا للكبرية التي قد قعدت عن الولد، فلا يضرها أن لا تجلب فوق الخمار. وأما كل امرأة مسلمة حرة فعليها إذا بلغت المحيض أن تدني الجلباب على الخمار، وقال الله في سورة الأحزاب ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزي، حسب المنافقون أنها مزينة وأنها من بغيتهم، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ولا يعلمون الحرّة من الأمة، فأنزل الله في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ يقول: إذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون. وقوله: ﴿غَيْرَ مُتَّبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ يقول: ليس عليهن جناح في وضع أرديتهن إذا لم يردن بوضع ذلك عنهن أن يبدن ما عليهن من الزينة للرجال. والتبرج: هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره. وقوله: ﴿وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ يقول: وإن تعفن عن وضع جلابيهن وأرديتهن، فلبسها خير لهن من أن يضعنها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الشعبي وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزل فيه وأشبه الأقوال في تأويل قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾... إلى قوله: ﴿أَوْ صَدِيقَكُمْ﴾ القول الذي ذكرنا عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، وذلك أن أظهر معاني قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ أنه لا حرج على هؤلاء الذين سموا في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها، على ما أباح لهم من الأكل منها؛ فإذا كان ذلك أظهر معانيه فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعرف من معانيه أولى من توجيهه إلى الأنكر منها. فإذا كان ذلك كذلك؛ كان ما خالف من التأويل قول من قال: معناه: ليس في الأعمى والإعرج حرج أولى بالصواب. وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ أنه بمعنى: ولا عليكم أيها الناس، ثم جمع هؤلاء والزمنى الذين ذكرهم قبل في الخطاب، فقال: أن تأكلوا من بيوت أنفسكم، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب غلبت المخاطب، فقالت: أنت وأخوك قمتما، وأنت وزيد جلستما، ولا تقول: أنت وأخوك جلسا، وكذلك قوله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ والخبر عن الأعمى والإعرج والمرضى غلب المخاطب، فقال: أن تأكلوا، ولم يقل: أن يأكلوا. وأما قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا، أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا، وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه، والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل. وقوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى

أَنْفُسِكُمْ تَحْيَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿اختلف أهل التأويل في ذلك.. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض. وقوله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم، فيبينها لكم، كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها، وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ ﴿٢٦﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ما المؤمنون حق الإيمان، إلا الذين صدقوا الله ورسوله ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ يقول: وإذا كانوا مع رسول الله ﷺ ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ يقول: على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت، أو صلاة اجتمع لها، أو تشاور في أمر نزل ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ يقول: لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر، حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين لا ينصرفون يا محمد إذا كانوا معك في أمر جامع عنك إلا بإذنك لهم طاعة منهم لله ولك، وتصديقا بما أتيهم به من عندي، أولئك الذين يصدقون الله ورسوله حقا، لا من يخالف أمر الله وأمر رسوله، فينصرف عنك بغير إذن منك له، بعد تقدمك إليه أن لا ينصرف عنك إلا بإذنك. وقوله: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا استأذنك يا محمد الذين لا يذهبون عنك إلا بإذنك في هذه المواطن لبعض شأنهم، يعني: لبعض حاجاتهم التي تعرض لهم، فأذن لمن شئت منهم في الانصراف عنك لفضائها ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يقول: وادع الله لهم بأن يتفضل عليهم بالعتق عن تبعات ما بينه وبينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده التائبين، ﴿رحيم﴾ بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًا فليَحْذَرِ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيه محمد ﷺ: ﴿لَا تَجْعَلُوا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾. واختلف أهل التأويل في معنى ذلك وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندي التأويل الذي قاله ابن عباس، وذلك أن الذي قبل قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ نهي من الله المؤمنين أن يأتوا من الانصراف عنه في الأمر الذي يجمع جميعهم ما يكرهه، والذي بعده وعيد للمنصرفين بغير إذنه عنه، فالذي بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سخطه أن يضطره إلى الدعاء عليهم أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجر له ذكر من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء. وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوَادًا﴾ يقول تعالى ذكره: إنكم أيها المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه، تسترا وخفية منه، وإن خفي أمر من يفعل ذلك منكم على رسول الله ﷺ، فإن الله يعلم ذلك، ولا يخفى عليه، فليقت من يفعل ذلك منكم، الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله ﷺ إلا بإذنه، أن تصيبهم فتنة من الله، أو يصيبهم عذاب أليم، فيطبع على قلوبهم، فيكفروا بالله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وقوله:

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول: أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب من الله موجه، على صنيعهم ذلك، وخلافهم أمر رسول الله ﷺ. وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ وأدخلت "عن"؛ لأن معنى الكلام: فليحذر الذين يلوذون عن أمره، ويدبرون عنه معرضين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا إن الله ملك جميع السماوات والأرض: يقول: فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكة فيعصيه، فيستوجب بذلك عقوبته، يقول: فكذا أنتم أيها الناس لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو مالكم فأتطيعوه، وأتمروا لأمره، ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع إلا بإذنه. وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك، كما جاء عن ابن زيد في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ صنيعكم هذا أيضا ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ﴾ يقول: فيخبرهم حينئذ، ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها، من خلافهم على ربهم ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يقول: والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وغيركم وغير ذلك من الأمور، لا يخفى عليه شيء، بل هو محيط بذلك كله، وهو موفٍ كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه.

آخر تفسير سورة النور

والحمد لله رب العالمين



تفسير سورة الفرقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ قال أبو جعفر: تبارك: تفاعل من البركة: كما جاء عن عبد الله بن عباس، قال: تبارك: تفاعل من البركة. وهو كقول القائل: تقدس ربنا، فقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانُ﴾ يقول: تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل، فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة، على عبده محمد ﷺ، ليكون محمد لجميع الجن والإنس، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه، نذيرا: يعني منذرا منذرهم عقابه ويخوفهم عذابه، إن لم يوحده ولم يخلصوا له العبادة، ويخلصوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: تبارك الذي نزل الفرقان ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فالذي الثانية من نعت الذي الأولى، وهما جميعا في موضع رفع، الأولى بقوله تبارك، والثانية نعت لها ويعني بقوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الذي له سلطان السماوات والأرض ينفذ في جميعها أمره وقضائه، ويمضي في كلها أحكامه، يقول: فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته، ومن في سلطانه، ولا يعصوه، يقول: فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس، واتبعوه، واعملوا بما جاءكم به من الحق ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ يقول: تكذبا لمن أضاف إليه الولد، وقال: الملائكة بنات الله، ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا، فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافتري على ربه ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ يقول تكذبا لمن كان يضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب، ويقول في تليته: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك، كذب قائلو هذا القول، ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه، فيصلح أن يعبد من دونه. يقول تعالى ذكره: فأفردوا أيها الناس لربكم الذي نزل الفرقان على عبده محمد نبيه ﷺ الألوهة، وأخلصوا له العبادة دون كل ما تعبدونه من دونه من الآلهة والأصنام والملائكة والجن والإنس، فإن كل ذلك خلقه وفي ملكه، فلا تصلح العبادة إلا لله الذي هو مالك جميع ذلك، وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وخلق الذي نزل على محمد الفرقان كل شيء، فالأشياء كلها خلقه وملكه، وعلى الممالك طاعة مالكم، وخدمة سيدهم دون غيره. يقول: وأنا خالقكم ومالككم، فأخلصوا لي العبادة دون غيري، وقوله: ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ يقول: فسوى كل ما خلق، وهياه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ يقول تعالى ذكره مفرعا مشركي

العرب بعبادتهم ما دونه من الآلهة، ومعجبا أولي النهى منهم، ومنبهم على موضع خطأ فعلهم وذهابهم عن منهج الحق، وركوبهم من سبل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأي، مسلوب العقل: واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذي له مُلك السماوات والأرض وحده. من غير شريك، الذي خلق كل شيء فقدره، آلهة: يعني أصناما بأيديهم يعبدونها، لا تخلق شيئا وهي تخلق، ولا تملك لأنفسها نفعا تجرّه إليها، ولا ضرا تدفعه عنها ممن أرادها بضرا، ولا تملك إماتة حي، ولا إحياء ميت، ولا نشره من بعد مماته، وتركوا عبادة خالق كل شيء، وخالق آلهتهم، ومالك الضر والنفع، والذي بيده الموت والحياة والنشور. والنشور: مصدر نُشِر الميت نشورا، وهو أن يُبعث ويحيا بعد الموت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله، الذين اتخذوا من دونه آلهة: ما هذا القرآن الذي جاءنا به محمد ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ يعني: إلا كذب وهتان ﴿افْتَرَاهُ﴾ اختلقه وتخرّصه بقوله: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ذكر أنهم كانوا يقولون: إنما يعلم محمد هذا الذي يجيئنا به اليهود، فذلك قوله: ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يقول: وأعان محمدا على هذا الإفك الذي افتراه يهود. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: فقد أتى قائلو هذه المقالة، يعني الذين قالوا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ ظلما، يعني بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله إلى أنه إفك افتراه محمد ﷺ. وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، فكان ظلم قائلي هذه المقالة القرآن بقيلهم هذا وصفهم إياه بغير صفته، والزور: أصله تحسين الباطل. فتأويل الكلام: فقد أتى هؤلاء، القوم في قيلهم ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ كذبا محضا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث، وأنه المعني بقوله: ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. كما جاء عن ابن عباس، قال: كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي من شياطين قريش، وكان يؤدي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، تعلم بها أحاديث ملوك فارس، وأحاديث رستم وأسفنديار، فكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسا، فذكر بالله وحدث قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم، من نعمة الله خلفه في مجلسه إذا قام، ثم يقول: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه. فهلّموا فأنأ أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار، ثم يقول: ما محمد أحسن حديثا مني، قال: فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثمان آيات من القرآن، قوله: ﴿إِذَا تُمْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ وكل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن. فتأويل الكلام: وقال هؤلاء المشركون بالله، الذين قالوا لهذا القرآن ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ﴾ محمد ﷺ: هذا الذي جاءنا به محمد أساطير الأولين، يعنون أحاديثهم التي كانوا يسطرونها في كتبهم، اكتتبها محمد ﷺ من يهود، ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ يعنون بقوله: ﴿فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ﴾ فهذه الأساطير تقرأ

عليه، من قولهم: أملت عليك الكتاب وأملت ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يقول: وتملى عليه غدوة وعشيا. وقوله: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بآيات الله من مشركي قومك: ما الأمر كما تقولون من أن هذا القرآن أساطير الأولين، وأن محمد ﷺ افتراه وأعانه عليه قوم آخرون، بل هو الحق، أنزله الرب الذي يعلم سر من في السماوات ومن في الأرض، ولا يخفى عليه شيء، ومحصى ذلك على خلقه، ومجازيهم بما عزمت عليه قلوبهم، وأضمره في نفوسهم ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول: إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم، فيفضل عليهم بعفوه، يقول: فلأن ذلك من عادته في خلقه، يمهلكم أيها القائلون ما قلتم من الإفك، والفاعلون ما فعلتم من الكفر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۚ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝٨﴾ ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله ﷺ فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة، وعرضوا عليه أشياء، وسألوه الآيات. فكان فيما كلموه به حينئذ، ما جاء عن ابن عباس أن قالوا له: فإن لم تفعل لنا هذا- يعني ما سأله من تسيير جبالهم عنهم، وإحياء آبائهم، والمجيء بالله والملائكة قبلا وما ذكره الله في سورة بني إسرائيل، فخذ لنفسك، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول، ويراجعنا عنك، وسله فيجعل لك قصورا وجنانا، وكنوزا من ذهب وفضة، تغنيك عما نراك تبغي، فإنك تقوم بالأسواق، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم، فقال رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، فأنزل الله في قولهم: أن خذ لنفسك ما سأله، أن يأخذ لها، أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا، أو يبعث معه ملكا يصدق به ما يقول، ويرد عنه من خاصمه. ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝٨﴾ فتأويل الكلام: وقال المشركون ما لهذا الرسول يعنون محمدا ﷺ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في أسواقنا كما نمشي ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ﴾ يقول: هلا أنزل إليه ملك إن كان صادقا من السماء، فيكون معه منبرا للناس، مصدقا له على ما يقول، أو يلقي إليه كنز من فضة أو ذهب، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ يقول: أو يكون له بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾. وقوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ أيها القوم باتباعكم محمدا ﴿إِلَّا رَجُلًا﴾ به سحر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ۝١٠﴾ يقول تعالى ذكره لنبى محمد ﷺ: انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك: هو مسحور، فضلوا بذلك عن قصد السبيل، وأخطؤا طريق الهدى والرشاد، فلا يستطيعون يقول: فلا يجدون سبيلا إلى الحق، إلا فيما بعثتك به، ومن الوجه الذي ضلوا عنه. وبنحو الذي

قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ يعني بالقصور: البيوت المبنية. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وجاء عن حبيب قال: قيل للنبي ﷺ: إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يعط نبي قبلك، ولا يعطى من بعدك، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى، فقال: "اجمعوها لي في الآخرة"، فأنزل الله في ذلك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ١١

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَرَفِيرًا﴾ ١٢ يقول تعالى ذكره: ما كذب هؤلاء المشركون بالله، وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق من أجل أنك تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، ولكن من أجل أنهم لا يوقفون بالمعاد، ولا يصدقون بالشواب والعقاب تكذيباً منهم بالقيامة، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة. ﴿واعتدنا﴾ يقول: وأعدنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة، نارا تسعر عليهم وتتقد ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾، يقول: إذا رأت هذه النار التي اعتدناها لهؤلاء المكذبين أشخاصهم من مكان بعيد، تغيظت عليهم، وذلك أن تغلي وتغور، يقال: فلان تغيظ على فلان، وذلك إذ غضب عليه، فغلى صدره من الغضب عليه، وتبين في كلامه، ﴿وَرَفِيرًا﴾، وهو صوتها. فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾ والتغيظ: لا يسمع، قيل معنى ذلك: سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ ١٣ لا تدعوا اليوم ثُبُورًا وَاحِدًا وادعوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا ألقي هؤلاء المكذبون بالساعة من النار مكانا ضيقا، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾. واختلف أهل التأويل في معنى الثبور: قال أبو جعفر: والثبور في كلام العرب: أصله انصراف الرجل عن الشيء، يقال منه: ما ثبرك عن هذا الأمر: أي ما صرفك عنه، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم على انصرافهم عن طاعة الله في الدنيا، والإيمان بما جاءهم به نبي الله ﷺ حتى استوجبوا العقوبة منه، كما يقول القائل: وا ندامته، وا حسرتاه على ما فرطت في جنب الله وقوله: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ نَدْمًا وَاحِدًا: أي مرة واحدة، ولكن ادعوا ذلك كثيرا. وإنما قيل: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا﴾ لأن الثبور مصدر؛ والمصادر لا تجمع، وإنما توصف بامتداد وقتها وكثرتها، كما يقال: قعد قعودا طويلا وأكل أكلا كثيرا. كما جاء عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: "أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ إِبْلِيسُ، فَيَضَعُهَا عَلَى حَاجِبَيْهِ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ، وَذَرِيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا ثُبُورَاهُ، وَهُمْ يَنَادُونَ: يَا ثُبُورَهُمْ فَيَقَالُ: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا﴾ ١٥ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة: أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها خير؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبيد، الذي وعد من اتقاه في الدنيا بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا﴾ يقول: كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته،

وثواب تقواهم إياه، ومصيرا لهم، يقول: ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة. وقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ يقول: لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وعدهموها الله ما يشاءون مما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها، يقول: لا بشئ فيها ما كثرين أبدا، لا يزولون عنها ولا يزول عنهم نعيمها. وقوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا: ﴿وَأَتَيْنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ يقول الله تبارك وتعالى: وكان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة وعدا وعدهم الله على طاعتهم إياه في الدنيا، ومسألهم إياه ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد، في قوله: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ قال: سأله إياها في الدنيا، طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم إذ سأله أن يعطيهم، فأعطاهم، فكان ذلك وعدا مسئولا كما وقت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم فجعلها أقواتا للسائلين، وقت ذلك على مسألهم، وقرأ ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ (١٧) يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة، العابدين الأوثان، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن. كما جاء عن مجاهد في قول الله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فيقول: ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ قال: عيسى وعزير والملائكة. وقوله: ﴿فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء: يقول: أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى، ودعوتموهم إلى الغي والضلالة حتى تاهوا وهلكوا، أم هم ضلوا السبيل، يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشd والحق وسلخوا العطب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ (١٨) يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيها لك يا ربنا، وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم، أنت ولينا من دونهم، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة، حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هلكى، قد غلب عليهم الشقاء والخذلان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ (١٩) يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبري من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم: قد كذبوكم أيها الكافرون من زعمتم أنهم أضلوكم، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون، يعني بقولكم، يقول: كذبوكم بكذبكم. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله جل ثناؤه ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ يقول: فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب الله حين نزل بهم عن أنفسهم، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ ١١ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون - يعني بقوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ﴾ ومن يشرك بالله فيظلم نفسه، فذلك نذقه عذابا كبيرا كالذي ذكرنا أننا نذيقه الذين كذبوا بالساعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج والحسن

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ ١٢ وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبیه على مشركي قومه الذين قالوا: ﴿مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، من أكلك الطعام، ومشيك في الأسواق، وأنت لله رسول، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، كالذي تأكل أنت وتمشي، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة. فان قال قائل: فإن ﴿مَنْ﴾ ليست في التلاوة، فكيف قلت: معنى الكلام: إلا من إنهم ليأكلون الطعام؟ قيل: قلنا في ذلك: معناه: أن الهاء والميم في قوله: إنهم، كناية أسماء لم تذكر، ولا بد لها من أن تعود على من كُني عنه بها، وإنما ترك ذكر "من" وإظهاره في الكلام اكتفاء بدلالة قوله: ﴿مِنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ عليه، كما اكتفي في قوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ من إظهار "من"، ولا شك أن معنى ذلك: وما منا إلا من له مقام معلوم، كما قيل: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ومعناه: وإن منكم إلا من هو واردها، فقوله: ﴿إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صلة لمن المتروك، كما يقال في الكلام: ما أرسلت إليك من الناس إلا من إنه ليلغك الرسالة، فإنه ليلغك الرسالة، صلة لمن. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ يقول تعالى ذكره: وامتنحنا أيها الناس بعضكم ببعض، جعلنا هذا نبيا وخصصناه بالرسالة، وهذا مليكا وخصصناه بالدنيا، وهذا فقيرا وحرمانه الدنيا لختبر الفقير بصره على ما حرم مما أعطيه الغني، والملك بصره على ما أعطيه الرسول من الكرامة، وكيف رضي كل إنسان منهم بما أعطى، وقسم له، وطاعته ربه مع ما حرم مما أعطى غيره. يقول فمن أجل ذلك لم أعط محمدا الدنيا، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق، ولأبتليكم أيها الناس، وأختبر طاعتكم ربكم وإجابتكُم رسوله إلى ما دعاكم إليه، بغير عرض من الدنيا ترجمونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه، لأنني لو أعطيته الدنيا، لسارع كثير منكم إلى اتباعه طمعا في دنياه أن ينال منها. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وابن عباس وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ يقول: وربك يا محمد بصير بمن يجزع ومن يصبر على ما امتحن به من المحن. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَايِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ ١٣ يقول تعالى ذكره: وقال المشركون الذين لا يخافون لقاءنا، ولا يخشون عقابنا، هلا أنزل الله علينا ملائكة، فتخبرنا أن محمداً محق فيما يقول، وأن ما جاءنا به صدق، أو نرى ربنا فيخبرنا بذلك، كما قال جل ثناؤه مخبرا عنهم: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ثم قال بعد: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَايِكَةِ قَبِيلًا﴾ يقول الله: لقد استكبر قائلو هذه المقالة في أنفسهم، ونعظموا، ﴿وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا﴾ يقول: وتجاوزوا في الاستكبار بقليلهم

ذلك حدّه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: يوم يرى هؤلاء الذين قالوا: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ تَرَى رَبَّنَا﴾ بتصديق محمد الملائكة، فلا بشرى لهم يومئذ بخير ﴿وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا، حراما محرّما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله؛ كالذي جاء عن الضحاك يقول في قوله: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ لما جاءت زلازل الساعة، فكان من زلازلها أن السماء انشقت ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ على شفة كل شيء تشقق من السماء، فذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ﴾ يعني الملائكة تقول للمجرمين حراما محرّما أيها المجرمون أن تكون لكم البشرى اليوم حين رأيتمونا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ أصحاب الجنة يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿١١﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ وعمدنا إلى ما عمل هؤلاء المجرمون ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾؛ كما جاء عن مجاهد، مثله وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ يقول: فجعلناه باطلا لأنهم لم يعملوه لله وإنما عملوه للشيطان. والهباء: هو الذي يرى كهية الغبار إذا دخل ضوء الشمس من كوة يحسبه الناظر غبارا ليس بشيء تقبض عليه الأيدي ولا تسسه، ولا يرى ذلك في الظل. وقوله جل ثناؤه: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: أهل الجنة يوم القيامة خير مستقرًا، وهو الموضع الذي يستقرون فيه من منازلهم في الجنة من مستقر هؤلاء المشركين الذين يفتخرون بأموالهم، وما أوتوا من عرض هذه الدنيا في الدنيا، وأحسن منهم فيها مقيلا. فإن قال قائل: وهل في الجنة قائلة؟ فيقال: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ فيها؟ قيل: معنى ذلك: وأحسن فيها قرارا في أوقات قائلتهم في الدنيا، وذلك أنه ذكر أن أهل الجنة لا يمر فيهم في الآخرة إلا قدر ميقات النهار من أوله إلى وقت القائلة، حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة، فذلك معنى قوله: ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ كالذي جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ يقول: قالوا في الغرف في الجنة، وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة، وذلك الحساب اليسير، وهو مثل قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ المَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿١٢﴾ تأويل الكلام: ويوم تشقق السماء عن الغمام. وقيل: إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل، وجعلت الباء، في قوله: ﴿بِالْغَمَامِ﴾ مكان "عن" كما تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، بمعنى واحد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد، قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ قال: هو الذي قال: ﴿فِي ظُلُلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن في تلك قط إلا لبني إسرائيل. قال ابن جريج: الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنة. وجاء عن يوسف بن مهران، أنه سمع ابن عباس يقول: إن هذه السماء إذا انشقت نزل منها من الملائكة أكثر من الجن والإنس، وهو يوم

التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض، فيقول أهل الأرض: جاء ربنا، فيقولون: لم يحيي وهو آت، ثم تشقق السماء الثانية، ثم سماء سماء على قدر ذلك من التضعيف إلى السماء السابعة، فينزل منها من الملائكة أكثر من جميع من نزل من السماوات ومن الجن والإنس. قال: فتنزل الملائكة الكروبيون، ثم يأتي ربنا تبارك وتعالى في حملة العرش الثمانية، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة، قال: وكل ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثديه يقول: سبحان الملك القدوس، وعلى رؤوسهم شيء مبسوط كأنه القباء، والعرش فوق ذلك، ثم وقف. وقوله: ﴿وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ نَزِيلًا﴾ يقول: ونزل الملائكة إلى الأرض تنزيلاً ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ يقول: الملك الحق يومئذ خالص للرحمن دون كل من سواه، وبطلت الممالك يومئذ سوى ملكه. وقد كان في الدنيا ملوك، فبطل الملك يومئذ سوى ملك الجبار ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ يقول: وكان يوم تشقق السماء بالغمام يوماً على أهل الكفر بالله عسيراً، يعني صعباً شديداً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨) ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ (٢٩) يقول تعالى ذكره: ويوم يعض الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه، يقول: يا ليتني اتخذت في الدنيا مع الرسول سبيلاً يعني طريقاً إلى النجاة من عذاب الله، وقوله ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾. اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿الظَّالِمُ﴾ وبقوله: ﴿فُلَانًا﴾ فقال بعضهم: عني بالظالم: عقبه بن أبي معيط، لأنه ارتد بعد إسلامه، طلبا منه لرضا أبي بن خلف، وقالوا: فلان هو أبي. وقال آخرون: عني بفلان: الشيطان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) يقول تعالى ذكره: وقال الرسول يوم يعض الظالم على يديه: يا رب إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلى توحيدك اتخذوا هذا القرآن مهجوراً. واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجوراً قال أبو جعفر: وأولى بتأويل ذلك القول الذي قاله ابن زيد، من أنهم لا يريدون أن يسمعوه، وذلك هجرهم إياه. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وكما جعلنا لك يا محمد أعداء من مشركي قومك، كذلك جعلنا لكل من نبأناه من قبلك عدواً من مشركي قومه، فلم تخصص بذلك من بينهم. يقول: فاصبر لما نالك منهم كما صبر من قبلك أولو العزم من رسلنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: وكفاك يا محمد بربك هادياً يهديك إلى الحق، ويصرك الرشد، ونصيراً: يقول: ناصر لك على أعدائك، يقول: فلا يهولنك أعداؤك من المشركين، فإني ناصر لك عليهم، فاصبر لأمرى، وامض لتبليغ رسالتي إليهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣٢) يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ﴾

يقول: هلا نزل على محمد ﷺ القرآن ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما أنزلت التوراة على موسى جملة واحدة؟ قال الله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ تنزيله عليك الآية بعد الآية، والشيء بعد الشيء، لثبت به فؤادك نزلناه. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ يقول: وشيئا بعد شيء علمناكه حتى تحفظنه، والترتيل في القراءة: الترسل والثبت. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ٣٣ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون بمثل يضربونه إلا جئناك من الحق، بما نبطل به ما جاءوا به، وأحسن منه تفسيرا. كما جاء عن ابن جريج وعنى بقوله ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ وأحسن مما جاءوا به من المثل بيانا وتفصيلا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبية: هؤلاء المشركون يا محمد، القائلون لك ﴿لَوْ لَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ ومن كان على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله، الذين يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى جهنم، فيساقون إلى جهنم شر مستقرا في الدنيا والآخرة من أهل الجنة في الجنة، وأضل منهم في الدنيا طريقا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن أنس بن مالك، قال: "سئل رسول الله ﷺ: كيف يحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَىٰ أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ ٣٥ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ٣٦﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ يتوعد مشركي قومه على كفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله ويخوفهم من حلول نعمته بهم، نظير الذي يحل بمن كان قبلهم من الأمم المكذبة رسلها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ يا محمد ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة، كالذي آتيناك من الفرقان ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ يعني معينا وظهيرا ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يقول: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بإعلامنا وأدلتنا، فدمرناهم تدميرا. وفي الكلام متروك استغني بدلالة ما ذكر من ذكره وهو: فذهبا فكذبوهما فدمرناهم حينئذ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَفْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٣٧ يقول تعالى ذكره: وقوم نوح لما كذبوا رسلنا، وردوا عليهم ما جاءوهم به من الحق، أعرقناهم بالطوفان ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً﴾ يقول: وجعلنا تغريقتنا إياهم وإهلاكنا عظة وعبرة للناس يعتبرون بها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يقول: وأعدنا لهم من الكافرين بالله في الآخرة عذابا أليما، سوى الذي حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ ٣٨ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَبَرُّرًا ٣٩﴾ يقول تعالى ذكره: ودمرنا أيضا عادا وثمود وأصحاب الرس. واختلف أهل التأويل في أصحاب الرس قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: هم قوم كانوا على بئر، وذلك أن الرس في كلام العرب: كل محفور مثل البئر والقبر ونحو ذلك؛ يريد أنهم

يحفرون المعادن، ولا أعلم قوما كانت لهم قصة بسبب حفرة، ذكرهم الله في كتابه إلا أصحاب الأخدود، فإن يكونوا هم المعنيين بقوله: ﴿وَأَصْحَابُ الرَّيِّ﴾ فإننا سنذكر خبرهم إن شاء الله إذا انتهينا إلى سورة البروج، وإن يكونوا غيرهم فلا نعرف لهم خبراً، إلا ما جاء من جملة الخبر عنهم أنهم قوم رسوا نبيهم في حفرة. وقوله: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأُمُتَالَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل هذه الأمم التي أهلكناها التي سميناهم لكم أو لم نسماها ضربنا له الأمثال يقول: مثلنا له الأمثال ونهناها على حججنا عليها، وأعدنا إليها بالعبر والمواعظ، فلم نهلك أمة إلا بعد الإبلاغ إليهم في المعذرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكل هؤلاء الذين ذكرنا لكم أمرهم استأصلناهم، فدمرناهم بالعذاب إباداً، وأهلكناهم جميعاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرُ السَّوءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد أتى هؤلاء الذين اتخذوا القرآن مهجوراً على القرية التي أمطرها الله مطر السوء وهي سدوم، وهي قرية قوم لوط. ومطر السوء: هو الحجارة التي أمطرها الله عليهم فأهلكهم بها. كالذي جاء عن ابن جريج: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرُ السَّوءِ﴾ قال: حجارة، وهي قرية قوم لوط، واسمها سدوم. قال ابن عباس: خمس قرى، فأهلك الله أربعة، وبقيت الخامسة، واسمها صعوة. لم تهلك صعوة، كان أهلها لا يعملون ذلك العمل، وكانت سدوم أعظمها، وهي التي نزل بها لوط، ومنها بعث، وكان إبراهيم عليه السلام ينادي نصيحة لهم: يا سدوم، يوم لكم من الله، أناكم أن تعرضوا لعقوبة الله، زعموا أن لوطاً ابن أخي إبراهيم صلوات الله عليهما. وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها﴾ يقول جل ثناؤه: أو لم يكن هؤلاء المشركون الذين قد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء يرون تلك القرية، وما نزل بها من عذاب الله بتكذيب أهلها رسلهم، فيعتبروا ويتذكروا، فيراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم محمداً صلى الله عليه وسلم. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: ما كذبوا محمداً فيما جاءهم به من عند الله، لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وصفت، ولكنهم كذبوه من أجل أنهم قوم لا يخافون نشوراً بعد الممات، يعني أنهم لا يوقنون بالعقاب والثواب، ولا يؤمنون بقيام الساعة، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا رآك هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم: ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يقول: ما يتخذونك إلا سخريه يسخرون منك، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ من بين خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء المشركين الذين كانوا يهزءون برسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم يقولون إذا رأوه: قد كاد هذا يضلنا عن آلهتنا التي نعبد، فيصدنا عن عبادتها لولا صبرنا عليها، وثبوتنا على عبادتها ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ يقول جل ثناؤه: سيبين لهم حين يعاينون عذاب الله قد حل بهم على عبادتهم الآلهة ﴿مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ يقول: من الراكب

غير طريق الهدى، والسالك سبيل الردى أنت أوهم. وبنحو ما قلنا في تأويل قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ قال أهل التأويل كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني تعالى ذكره: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ﴾ شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر، فإذا رأى أحسن منه رمى به، وأخذ الآخر يعبد، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه، فلذلك قال جل ثناؤه ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ يقول تعالى ذكره: أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظا في أفعاله مع عظيم جهله؟ ﴿أَمْ تَحْسِبُ﴾ يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يتلى عليهم، فيعون ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يعاينون من حجج الله، فيفهمون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ يقول: ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها، ولا تفقه، بل هم من البهائم أضل سبيلا لأن البهائم تهتدي لمراعيها، وتقاد لأربابها، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم، ولا يشكرون نعمة من أنعم عليهم، بل يكفرونها، ويعصون من خلقهم وبرأهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا ﴿يَقُولُ﴾ تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ مَدَّ رَبُّكَ الظِّلَّ﴾ وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ يقول: ولو شاء لجعله دائما لا يزول، ممدودا لا تذهب الشمس، ولا تنقصه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس ومجاهد وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ يقول جل ثناؤه: ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه، أنه خلق من خلق ربكم، يوجده إذا شاء، ويفنيه إذا أراد؛ والهاء في قوله: "عليه" من ذكر الظل. ومعناه: ثم جعلنا الشمس على الظل دليلا. قيل: معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس التي تنسخه لم يعلم أنه شيء، إذا كانت الأشياء إنما تعرف بأضدادها، نظير الحلو الذي إنما يعرف بالحامض والبارد بالحار، وما أشبه ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكما قال ابن زيد، في قول الله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ قال: أخرجت ذلك الظل فذهبت به وقوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ثم قبضنا ذلك الدليل من الشمس على الظل إلينا قبضا خفيا سريعا بالفيء الذي نأتي به بالعشي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد واختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿يَسِيرًا﴾ فقال بعضهم: معناه: سريعا. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل معناه: قبضا خفيا. كما جاء عن مجاهد وقال ابن جريج ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ قال: خفيا، قال: إن ما بين الشمس والظل مثل الخيط، واليسير الفعيل من اليسر، وهو السهل الهين في كلام العرب. فمعنى الكلام إذ كان ذلك كذلك، يتوجه لما روي عن ابن عباس ومجاهد؛ لأن سهولة قبض ذلك قد تكون بسرعة وخفاء. وقيل: إنما قيل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ لأن الظل بعد غروب الشمس لا يذهب كله دفعة، ولا يقبل الظلام كله جملة، وإنما يقبض ذلك الظل قبضا خفيا، شيئا

بعد شيء ويعقب كل جزء منه يقبضه جزء من الظلام.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (١٧) يقول تعالى ذكره: الذي مَدَّ الظل ثم جعل الشمس عليه دليلاً هو الذي جعل لكم أيها الناس الليل لباساً. وإنما قال جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ لأنه جعله لخلقه جنة يجتنون فيها ويسكنون، فصار لهم سترًا يستترون به، كما يستترون بالثياب التي يُكسونها. وقوله: ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ يقول: وجعل لكم النوم راحة تستريح به أبدانكم، وتهذب به جوارحكم. وقوله: ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعل النهار يقظة وحياة من قولهم: نُشِرَ الميتُ، ومنه قول الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (١٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا (١٩) يقول تعالى ذكره: والله الذي أَرْسَلَ الرياح الملقحة ﴿بُشْرًا﴾: حياة أو من الحيا والغيث الذي هو منزله على عباده ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ يقول: وَأَنْزَلْنَا من السحاب الذي أَنشَأناه بالرياح من فوقكم أيها الناس ماء طهوراً. ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ يعني أرضاً قَحْطَةً عذية لا تبت. وقال: ﴿بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ ولم يقل ميتة، لأنه أريد بذلك لنحيي به موضعاً ومكاناً مَيِّتاً ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ من خلقنا ﴿أَنْعَامًا﴾ من البهائم ﴿وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا﴾ يعني الأناسي: جمع إنسان وجمع أناسي، فجعل اليباء عوضاً من النون التي في إنسان، وقد يجمع إنسان: إناسين، كما يجمع النشيان نشايين. فإن قيل: أناسي جمع واحده إنسي، فهو مذهب أيضاً محكي، وقد يجمع أناسي مخففة الياء، وكأن من جمع ذلك كذلك أسقط الياء التي بين عين الفعل ولامه، كما يجمع القرقور: قراقرير وقراقر. ومما يصحح جمعهم إياه بالتخفيف، قول العرب: أناسية كثيرة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ أَكْثَرَ نَبِئًا إِنْ كُنْتُمْ مُرْءُونَ﴾ (٢٠) يقول تعالى ذكره: ولقد قسمنا هذا الماء الذي أنزلناه من السماء طهوراً لنحيي به الميت من الأرض بين عبادي، ليتذكروا نعمي عليهم، ويشكروا أيادي عندهم وإحساني إليهم ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٢١) يقول: إلا جحوداً لنعمي عليهم، وأيادي عليهم. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما كان أبو جحيفة يقول: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ليس عام بأمطر من عام، ولكنه يصرفه، ثم قال عبد الله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ أَكْثَرَ نَبِئًا إِنْ كُنْتُمْ مُرْءُونَ﴾. وأما قوله: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ فإن القاسم حدثنا قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج عن ابن جريج، عن عكرمة: ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ قال: قولهم في الأنواء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ (٢٢) فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٢٣) يقول تعالى ذكره: ولو شئنا يا محمد لأرسلنا في كلِّ مصر ومدينة نذيراً ينذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فيخفّ عنك كثير من أعباء ما حملناك منه، ويسقط عنك بذلك مؤنة عظيمة، ولكننا حملناك ثقل نذارة جميع القرى، لتستوجب بصبرك عليه إن صبرت ما أعد الله لك من الكرامة عنده، والمنازل الرفيعة قبلة، فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من أن تعبد آلهم، فنذيقك ضعف الحياة وضعف الممات، ولكن جاهدكم بهذا القرآن جهاداً كبيراً، حتى ينقادوا

للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويدعنوا للعمل بجميعه طوعا وكرها. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي خلط البحرين، فأمرج أحدهما في الآخر، وأفاضه فيه. وأصل المريج الخلط، ثم يقال للتخلية مرج؛ لأن الرجل إذا خلّى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه، ومنه الخبر عن النبي ﷺ، وقوله لعبد الله بن عمرو: "كَيْفَ بَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِذَا كُنْتَ فِي حُتَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، قَدْ مَرَجَتْ عُھُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ، وَصَارُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. يعني بقوله: قد مرجت: اختلطت، ومنه قول الله: ﴿فِي أَمْرِ مَرْيَمَ﴾ أي مختلط. وإنما قيل للمرج مرج من ذلك، لأنه يكون فيه أحلاط من الدواب، ويقال: مَرَجَتْ دَابَّتُكَ: أي خلقتها تذهب حيث شئت. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ الفرات: شديد العذوبة، يقال: هذا ماء فرات: أي شديد العذوبة وقوله ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ يقول: وهذا ملح مرّ، يعني بالعذب الفرات: مياه الأنهار والأمطار، وبالمالح الأجاج: مياه البحار. وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه، وعظيم سلطانه، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر المالح الأجاج، ثم يمنع المالح من تغيير العذب عن عذوبته، وإفساده إياه بقضائه وقدرته، لئلا يضرّ إفساده إياه بركبان المالح منهما، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء، فقال جلّ ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ يعني حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ يقول: وجعل كلّ واحد منهما حراما محرّما على صاحبه أن يغيّره ويفسده. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: والله الذي خلق من النطف بشرًا إنسانا فجعله نسبا، وذلك سبعة، وصهرا، وهو خمسة. كما كان الضحّاك يقول في قوله: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ النسب: سبع، وقوله: ﴿حَرَمْتَ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتَكُمْ﴾... إلى قوله ﴿وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ والصهر خمس، وقوله: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾... إلى قوله ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾. وقوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ يقول: وربك يا محمد ذو قدرة على خلق ما يشاء من الخلق، وتصريفهم فيما شاء وأراد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهة لا تنفعهم، فتجلبب إليهم نفعا إذا هم عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها، ويتركون عبادة من أنعم عليهم هذه النعم التي لا كفاء لأدناها، وهي ما عدّد علينا جلّ جلاله في هذه الآيات من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ إلى قوله: ﴿قَدِيرًا﴾، ومن قدرته القدرة التي لا يمتنع عليه معها شيء أراد، ولا يتعذر عليه فعل شيء أراد فعله، ومن إذا أراد عقاب بعض من عصاه من عباده أحلّ به ما أحلّ بالذين وصف صفتهم من قوم فرعون وعاد وثمود وأصحاب الرّس، وقرونا بين ذلك كثيرا، فلم يكن لمن غضب عليه منه ناصر، ولا له عنه دافع ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الكافر معينا للشيطان على ربه، مظاهرا له على معصيته. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء

عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ٥٦ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد إلى من أرسلناك إليه ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالشواب الجزيل، من آمن بك وصدقك، وآمن بالذي جئتكم به من عندي، وعملوا به ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كذبك وكذب ما جئتكم به من عندي، فلم يصدقوا به، ولم يعملوا ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول له: قل لهؤلاء الذين أرسلناك إليهم، ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرا، فتقولون: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه، فلا تتبعه فيه، ولا نعطيه من أموالنا شيئا، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ يقول: لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوه، وغير ذلك من سبل الخير.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ ٥٨ يقول تعالى ذكره: وتوكل يا محمد على الذي له الحياة الدائمة التي لا موت معها، فتق به في أمر ربك وفوض إليه، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه. قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ يقول: واعبده شكرا منك له على ما أنعم به عليك. قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ بُذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ يقول: وحسبك بالحي الذي لا يموت خابرا بذنوب خلقه، فإنه لا يخفى عليه شيء منها، وهو محص جميعها عليهم حتى يجازيهم بها يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ ٥٩ يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ فقال: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وقد ذكر السماوات والأرض، والسماوات جماع، لأنه وجه ذلك إلى الصنفين والشئين، وقوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ قيل: كان ابتداء ذلك يوم الأحد، والفراغ يوم الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ يقول: ثم استوى على العرش الرحمن وعلا عليه، وذلك يوم السبت فيما قيل. وقوله: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ يقول: فاسأل يا محمد خبيرا بالرحمن، خبيرا بخلق، فإنه خالق كل شيء، ولا يخفى عليه ما خلق. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج عن ابن جريج، قوله: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ قال: يقول لمحمد ﷺ: إذا أخبرتك شيئا، فاعلم أنه كما أخبرتك، أنا الخبير، والخبير في قوله: ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ منصوب على الحال من الهاء التي في قوله به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ٦٠ يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ أي اجعلوا سجدكم لله خالصا دون الآلهة والأوثان. قالوا: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾. بمعنى: أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ٦١ يقول تعالى ذكره: تقدس الرب الذي جعل في السماء بروج، ويعني بالبروج: القصور، قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ أي أنه جعل فيها الشمس، وهي السراج التي عني بقوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا

سِرَاجًا. وقال آخرون هي النجوم وقوله: ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ يعني بالمنير: المضيء.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ والخلفة: مصدر، فلذلك وحدث، وهي خبر عن الليل والنهار؛ والعرب تقول: خلف هذا من كذا خلفه، وذلك إذا جاء شيء مكان شيء ذهب قبله، وقوله ﴿لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ﴾ يقول تعالى ذكره: جعل الليل والنهار، وخلف كل واحد منهما الآخر حجة وآية لمن أراد أن يذكر أمر الله، فينبىء إلى الحق ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أو أراد شكر نعمة الله التي أنعمها عليه في اختلاف الليل والنهار. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ بالحلم والسكينة والوقار غير مستكبرين، ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن، في قوله ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ قال: إن المؤمنين قوم ذُلٌّ، ذَلَّتْ منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مرضى، وإنهم لأصحاء القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ والله ما حزنهم حزن الدنيا، ولا تعاضم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة، أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لم يتعز بعزاء الله تقطع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير الله عليه نعمة إلا في مطعم ومشرب، فقد قل علمه وحضر عذابه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿١٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يبيتون لربهم يصلون لله، يراو حون بين سجود في صلاتهم وقيام. وقوله: ﴿وَقِيَامًا﴾ جمع قائم، كما الصيام جمع صائم ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين يدعون الله أن يصرف عنهم عقابه وعذابه حذرا منه ووجلا. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ يقول: إن عذاب جهنم كان غراما ملحا دائما لازما غير مفارق من عذب به من الكفار، ومهلكا له. ومنه قولهم: رجل مُغْرَم، من العُرم والدين. ومنه قيل للغريم غريم لطلبه حقه، وإلحاحه على صاحبه فيه. ومنه قيل للرجل المولع للنساء: إنه لمغرم بالنساء، وفلان مغرم بفلان: إذا لم يصبر عنه؛ كالذي جاء عن محمد بن كعب في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ قال: إن الله سأل الكفار عن نعمه، فلم يردوها إليه، فأغرمهم، فأدخلهم النار. وقوله ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ يقول: إن جهنم ساءت مستقرًّا ومقامًا، يعني بالمستقر: القرار، وبالمقام: الإقامة؛ كأن معنى الكلام: ساءت جهنم منزلا ومقاما. وإذا ضمت الميم من المقام فهو من الإقامة، وإذا فتحت فهو من قمت، ويقال: المقام إذا فتحت الميم أيضا هو المجلس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ يقول تعالى ذكره: والذين إذا أنفقوا أموالهم لم يسرفوا في إنفاقها. ثم اختلف أهل التأويل في النفقة التي

عناها الله في هذا الموضع، وما الإسراف فيها والإقتار. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك. وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتّر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين، ولا كان المسرف ولا المقتّر مذموما، لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحقّ فاعله الذمّ. وأما قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ فإنه النفقة بالعدل والمعروف على ما قد بينّا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب بن منبه وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ﴾ يقول تعالى ذكره: والذين لا يعبدون مع الله إلها آخر، فيشركون في عبادتهم إياه، ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إما بكفر بالله بعد إسلامها، أو زنا بعد إحصانها، أو قتل نفس، فقتل بها ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ فيأتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ يقول: ومن يأت هذه الأفعال، فدعا مع الله إلها آخر، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وزنى ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ يقول: يلقى من عقاب الله عقوبة ونكالا كما وصفه ربنا جل ثناؤه، وهو أنه ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾، وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب، فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام، فاستفتوا رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم. كالذي جاء عن ابن عباس: أن ناسا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، فأتوا محمدا ﷺ، فقالوا: إن الذي تدعوننا إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزلت: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قال ابن جريج: وقال مجاهد مثل قول ابن عباس سواء. وجاء عن عبد الله، قال: سألت النبي ﷺ: ما الكبائر؟ قال: أن تدعو لله ندا وهو خلقك وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك، وأن تزني بحليلة جارك، وقرأ علينا رسول الله ﷺ من كتاب الله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾. وجاء أيضا عن أبي هريرة، قال: "صليت مع رسول الله ﷺ العتمة، ثم انصرفت فإذا امرأة عند بابي، ثم سلمت، ففتحت ودخلت، فبينما أنا في مسجدي أصلي، إذ نقرت الباب، فأذنت لها، فدخلت فقالت: إني جئتك أسألك عن عمل عملت، هل لي من توبة؟ فقالت: إني زנית وولدت، فقتلتها، فقلت: ولا لا نعمت العين ولا كرامة، فقامت وهي تدعو بالحسرة تقول: يا حسرتاه، أخلق هذا الحسن للنار؟ قال: ثم صليت مع رسول الله ﷺ الصبح من تلك الليلة، ثم جلسنا ننتظر الإذن عليه، فأذن لنا، فدخلنا، ثم خرج من كان معي، وتخلفت، فقال: ما لك يا أبا هريرة، ألك حاجة؟ فقلت له: يا رسول الله صليت معك البارحة

ثم انصرفت. وقصصت عليه ما قالت المرأة، فقال النبي ﷺ: ما قُلْتَ لَهَا؟ قال: قلت لها: لا والله، ولا نعمت العين ولا كرامة، فقال رسول الله ﷺ: "بَشَسَ مَا قُلْتَ، أَمَا كُنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾... الْآيَةَ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ فقال أبو هريرة: فخرجت، فلم أترك بالمدينة حصنا ولا دارًا إلا وقفت عليه، فقلت: إن تكن فيكم المرأة التي جاءت أبا هريرة الليلة، فلتأتني ولتبشِّرْ؛ فلما صليت مع النبي ﷺ العشاء، فإذا هي عند بابي، فقلت: أبشري، فإني دخلت على النبي، فذكرت له ما قلت لي، وما قلت لك، فقال: وبشَسَ ما قلت لها، أَمَا كُنْتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ؟ فقَرَأْتُهَا عَلَيْهَا، فَخَرَّتْ سَاجِدَةً، فَقَالَتْ: الحمد لله الذي جعل مخرجًا وتوبة مما عملت، إن هذه الجارية وابنها حَرَّانَ لوجه الله، وإني قد تبت مما عملت". وبنحو الذي قلنا في الأثام من القول، قال أهل التأويل، إلا أنهم قالوا: ذلك عقاب يعاقب الله به من أتى هذه الكبائر بوادٍ في جهنم يُدعى أثاما. كما جاء عن لقمان بن عامر الخزاعي، قال: جئت أبا أمامة صديي بن عجلان الباهلي، فقلت: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: فدعا لي بطعام، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: "لَوْ أَنَّ صَخْرَةً زَنَتْ عَشْرَ عَشْرَوَاتٍ قُدِفَ بِهَا مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ مَا بَلَغَتْ قَعْرَهَا خَمْسِينَ خَرِيفًا، ثُمَّ تَنْتَهِي إِلَى غِيٍّ وَأَثَامٍ". قلت: وما غِيٍّ وَأَثَامٍ؟ قال: بَثْرَانِ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ يَسِيلُ فِيهِمَا صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَهُمَا اللَّذَانِ ذَكَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾. وقوله في الفرقان ﴿وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾. وقوله ﴿وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ ويبقى فيه إلى ما لا نهاية في هوان. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يقول تعالى ذكره: ومن يفعل هذه الأفعال التي ذكرها جل ثناؤه يلقى أثاما ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ يقول: إلا من راجع طاعة الله تبارك وتعالى بتركه ذلك، وإنابته إلى ما يرضاه الله ﴿وَأَمَّنَ﴾ يقول: وصدَّق بما جاء به محمد نبي الله ﷺ ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يقول: وعمل بما أمره الله من الأعمال، وانتهى عما نهاه الله عنه. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدَلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾. اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، قال أبو جعفر: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من تأوله: فأولئك يبدل الله سيئاتهم: أعمالهم في الشرك حسنات في الإسلام، بنقلهم عما يسخطه الله من الأعمال إلى ما يرضى. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القبح، وغير جائز تحويل عين قد مضت بصفة إلى خلاف ما كانت عليه إلا بتغييرها عما كانت عليه من صفتها في حال أخرى، فيجب إن فعل ذلك كذلك أن يصير شرك الكافر الذي كان شركا في الكفر بعينه إيمانًا يوم القيامة بالإسلام ومعاصيه كلها بأعيانها طاعة، وذلك ما لا يقوله ذو حجا. وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله ذا عفو عن ذنوب من تاب من عباده، وراجع طاعته، وذا رحمة به أن يعاقبه على ذنوبه بعد توبته منها. قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ يقول: ومن تاب من المشركين، فآمن بالله ورسوله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يقول: وعمل بما أمره الله فأطاعه، فإن الله فاعل به من إبداله سيئ أعماله في الشرك بحسنها في الإسلام، مثل الذي فعل من ذلك بمن تاب وآمن وعمل صالحا قبل نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ ﴿٧٦﴾
 أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه، قال أبو جعفر: وأصل الزور تحسين الشيء، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخل إلى من يسمعه أو يراه، أنه خلاف ما هو به، والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله، حتى قد ظنوا أنه حق، وهو باطل، ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضا مما يحسنه ترجيع الصوت، حتى يستحلي سامعه سماعه، والكذب أيضا قد يدخل فيه لتحسين صاحبه إياه، حتى يظن صاحبه أنه حق، فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور. فإذا كان ذلك كذلك، فأولى الأقوال بالصواب في تأويله أن يقال: والذين لا يشهدون شيئا من الباطل لا شركا، ولا غناء، ولا كذبا ولا غيره، وكل ما لزمه اسم الزور، لأن الله عم في وصفه إياهم أنهم لا يشهدون الزور، فلا ينبغي أن يخص من ذلك شيء إلا بحجة يجب التسليم لها، من خبر أو عقل. وقوله: ﴿وإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾
 يختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذكر في هذا الموضع، قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، أن يقال: إن الله أخبر عن هؤلاء المؤمنين الذين مدحهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما، واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل، أو ما يستقبح فسب الإنسان الإنسان بالباطل الذي لا حقيقة له من اللغو. وذكر النكاح بصريح اسمه مما يستقبح في بعض الأماكن، فهو من اللغو، وكذلك تعظيم المشركين آلهتهم من الباطل الذي لا حقيقة لما عظموه على نحو ما عظموه، وسماع الغناء مما هو مستقبح في أهل الدين، فكل ذلك يدخل في معنى اللغو، فلا وجه إذ كان كل ذلك يلزمه اسم اللغو، أن يقال: عني به بعض ذلك دون بعض، إذ لم يكن لخصوص ذلك دلالة من خبر أو عقل. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: وإذا مروا بالباطل فسمعوه أو رأوه، مروا كراما، مروهم كراما في بعض ذلك بأن لا يسمعوه، وذلك كالغناء. وفي بعض ذلك بأن يعرضوا عنه ويصفحوا، وذلك إذا أو ذوا بإسماع القبيح من القول، وفي بعضه بأن ينهوا عن ذلك، وذلك بأن يروا من المنكر ما يغير بالقول فيغيروه بالقول. وفي بعضه بأن يضاربوا عليه بالسيوف، وذلك بأن يروا قوما يقطعون الطريق على قوم، فيستصرخهم المراد ذلك منهم، فيصرخونهم، وكل ذلك مروهم كراما. كما جاء عن إبراهيم بن ميسرة، قال: مر ابن مسعود بلهو مسرعا فقال رسول الله ﷺ: "إِنْ أَصْبَحَ ابْنُ مَسْعُودٍ لَكْرِيمًا".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ ﴿٧٧﴾
 تعالى ذكره: والذين إذا ذكرهم مذكر بحجج الله، لم يكونوا صما لا يسمعون، وعميا لا يبصرونها ولكنهم يقاطق القلوب، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يذكرهم به، ويفهمون عنه ما ينههم عليه، فيوعون مواعظه آذانا سمعته، وقلوبا وعته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ﴿٧٨﴾
 يقول تعالى ذكره: والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وكما قال ابن جريج، قوله: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

وَدُرِّيَاتِنَا فَرَّةً أَعْيُنَ ﴿٦٦﴾ قال: يعبدونك يحسنون عبادتك، ولا يجرون علينا الجرائر. وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: واجعلنا للمتقين الذين يتقون معاصيك، ويخافون عقابك إماما يأتون بنا في الخيرات، لأنهم إنما سألوا ربهم أن يجعلهم للمتقين أئمة ولم يسألوه أن يجعل المتقين لهم إماما، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ ولم يقل أئمة. وقد قالوا: واجعلنا وهم جماعة، لأن الإمام مصدر من قول القائل: أم فلان فلانا إماما، كما يقال: قام فلان قياما وصام يوم كذا صياما. ومن جمع الإمام أئمة، جعل الإمام اسما، كما يقال: أصحاب محمد إمام، وأئمة للناس. فمن وحّد قال: يأتهم بهم الناس. وهذا القول الذي قلناه في ذلك قول بعض نحويي أهل الكوفة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَوْنَ فِيهَا حَيَّةً وَسَلَامًا﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم من عبادي، وذلك من ابتداء قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾... إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا...﴾ الآية ﴿يُجْزَوْنَ﴾ يقول: يُثَابُونَ على أفعالهم هذه التي فعلوها في الدنيا ﴿الْغُرْفَةَ﴾ وهي منزلة من منازل الجنة رفيعة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ يقول: بصبرهم على هذه الأفعال، ومقاساة شدتها. وقد بينا معنى التحية والسلام فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ يقول تعالى ذكره: أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، خالدين في الغرفة، يعني أنهم ماكثون فيها، لا بثون إلى غير أمد، حسنت تلك الغرفة قرارا لهم ومقاما. يقول: وإقامه. وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: أي شيء يعدّكم، وأي شيء يصنع بكم ربي؟ يقال منه: عبأت به أعبأ عبئا، وعبأت الطيب أعبؤه: إذا هيأته كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يقول: لولا عبادة من يعبد منكم، وطاعة من يطيعه منكم. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ يقول: لولا إيمانكم، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين. وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش قوم رسول الله ﷺ: فقد كذبتم أيها القوم رسولكم الذي أرسل إليكم وخالفتم أمر ربكم الذي أمر بالتمسك به لو تمسكنتم به، كان يعبأ بكم ربي، فسوف يكون تكذيبكم رسول ربكم، وخلافكم أمر بارئكم، عذابا لكم ملازما، قتلا بالسيوف وهلاكا لكم مفنيا يلحق بعضهم ببعض، فكان ذلك العذاب اللزما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

آخر تفسير سورة الفرقان،

والحمد لله وحده.

تفسير سورة الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿طس﴾ ﴿طسم﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ قال أبو جعفر: وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فيما في ابتداء فواتح سور القرآن من حروف الهجاء، وما انتزع به كل قائل منهم لقوله ومذهبه من العلة. وقد بينا الذي هو أولى بالصواب من القول فيه فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته، وقد ذكر عنهم من الاختلاف في قوله: طسم وطس، نظير الذي ذكر عنهم في: ﴿الم﴾ و﴿الم﴾ و﴿المص﴾. وجاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿طسم﴾ قال: فإنه قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله. فتأويل الكلام على قول ابن عباس والجميع: إن هذه الآيات التي أنزلتها على محمد ﷺ في هذه السورة لآيات الكتاب الذي أنزلته إليه من قبلها الذي بين لمن تدبره بفهم، وفكر فيه بعقل، أنه من عند الله جل جلاله، لم يتخرسه محمد ﷺ، ولم يتقوله من عنده، بل أوحاه إليه ربه. وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها إن لم يؤمن قومك بك، ويصدقوك على ما جئتهم به والبخع: هو القتل والإهلاك في كلام العرب؛ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ ﴿١﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾... الآية، قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب وأشبهها بما قال أهل التأويل في ذلك أن تكون الأعناق هي أعناق الرجال، وأن يكون معنى الكلام: فظلت أعناقهم ذليلة، للآية التي ينزلها الله عليهم من السماء، وأن يكون قوله "خاضعين" مذكرا، لأنه خبر عن الهاء والميم في الأعناق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿٥﴾ يقول تعالى ذكره: وما يجيء هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون ما أنيتهم به يا محمد من عند ربك من تذكير وتنبية على مواضع حجج الله عليهم على صدقك، وحقيقة ما تدعوهم إليه مما يحدثه الله إليك ويوحيه إليك، لتذكرهم به، إلا أعرضوا عن استماعه، وتركوا إعمال الفكر فيه وتدبره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٦﴾ يقول تعالى ذكره: فقد كذب يا محمد هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله، وأعرضوا عنه ﴿فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يقول: فسياتيهم أخبار الأمر الذي كانوا يسخرون منه، وذلك وعيد من الله لهم أنه محل بهم عقابه على تماديهم في كفرهم، وتمردهم على ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء المشركون المكذبون بالبعث والنشر إلى الأرض، كم أنبنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ يعني بالكريم: الحسن، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا، فكثر ألبانها: ناقة كريمة، وشاة كريمة. وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره يقول تعالى ذكره: إن في إنباتنا في الأرض من كل زوج كريم لآية. يقول: لدلالة هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث، على حقيقته، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها، لن يعجزه أن ينشئ بها الأموات بعد مماتهم، أحياء من قبورهم. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث، الجاحدين نبوتك يا محمد، بمصدقك على ما تأتيهم به من عند الله من الذكر. يقول جل ثناؤه: وقد سبق في علمي أنهم لا يؤمنون، فلا يؤمن بك أكثرهم للسابق من علمي فيهم. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ يقول: وإن ربك يا محمد لهو العزيز في نعمته، لا يتمتع عليه أحد أراد الانتقام منه. يقول تعالى ذكره: وإني إن أحللت هؤلاء المكذبين بك يا محمد، المعرضين عما يأتيهم من ذكر من عندي، عقوبتي بتكذيبهم إياك، فلن يمنعمهم مني مانع، لأنني أنا العزيز الرحيم، يعني أنه ذو الرحمة بمن تاب من خلقه من كفره ومعصيته، أن يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته. وكان ابن جرير يقول في معنى ذلك: كل شيء في الشعراء من قوله ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فهو ما أهلك ممن مضى من الأمم، يقول عزيز، حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه. قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك في هذا الموضع، لأن قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ عقيب وعيد الله قوما من أهل الشرك والتكذيب بالبعث، لم يكونوا أهل كوا، فيوجه إلى أنه خبر من الله عن فعله بهم وإهلاكه. ولعل ابن جرير بقوله هذا أراد ما كان من ذلك عقيب خبر الله عن إهلاكه من الأمم، وذلك إن شاء الله إذا كان عقيب خبرهم كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمٌ فِرْعَوْنُ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى بن عمران ﴿إِنَّ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني الكافرين قوم فرعون، ونصب القوم الثاني ترجمة عن القوم الأول، وقوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ يقول: ألا يتقون عقاب الله على كفرهم به. ومعنى الكلام: قوم فرعون فقل لهم: ألا يتقون. وترك إظهار فقل لهم لدلالة الكلام عليه. وإنما قيل: ألا يتقون بالياء، ولم يقل ألا تتقون بالتاء، لأن التنزيل كان قبل الخطاب، ولو جاءت القراءة فيها بالتاء كان صوابا، كما قيل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْيُكُنْهُمْ﴾ و"سَعْيُكُنْهُمْ".

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿قال﴾ موسى لربه ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾ من قوم فرعون الذين أمرتني أن أتيتهم ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ بقيلي لهم: إنك أرسلتني إليهم. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم إياي إن كذبوني. ورفع قوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ عطفًا به على أخاف، وبالرفع فيه قرأته عامة قراء الأمصار، ومعناه: وإني يضيق صدري. وقوله: ﴿وَلَا

يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ يقول: ولا ينطق بالعبارة عما ترسلني به إليهم، للعلة التي كانت بلسانه. وقوله: ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ كلام معطوف به على يضيق. وقوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ يعني هارون أخاه، ولم يقل: فأرسل إلي هارون ليؤازرني وليعيني، إذ كان مفهوما معنى الكلام، وذلك كقول القائل: لو نزلت بنا نازلة لفزعنا إليك، بمعنى: لفزعنا إليك لتعيننا. وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ﴾ يقول: ولقوم فرعون عليّ دعوى ذنب أذنبت إليهم، وذلك قتله النفس التي قتلها منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقادة وقوله: ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ يقول: فأخاف أن يقتلوني قودا بالنفس التي قتلت منهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٧﴾ يقول تعالى ذكره: كلا: أي لن يقتلك قوم فرعون. فأذهبا بآياتنا يقول: فاذهب أنت وأخوك بآياتنا، يعني بأعلامنا وحججنا التي أعطيناك عليهم. وقوله: إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ من قوم فرعون ما يقولون لكم، ويجيبونكم به. وقوله: فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا... الآية، يقول: فأت أنت يا موسى وأخوك هارون فرعون. فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكَ بَأْنِ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وقال رسول رب العالمين، وهو يخاطب اثنين بقوله فقولا لأنه أراد به المصدر من أرسلت، يقال: أرسلت رسالة ورسولا

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ١٨ وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٩﴾ وفي هذا الكلام محذوف استغني بدلالة ما ظهر عليه منه، وهو: فأتيا فرعون فأبلغاه رسالة رهبا إليه، فقال فرعون: ألم نربك فينا يا موسى وليدا، ولبثت فينا من عمرك سنين؟ وذلك مكثه عنده قبل قتل القتل الذي قتله من القبط. وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ يعني: قتله النفس التي قتل من القبط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ قال: ربناك فينا وليدا، فهذا الذي كافأنا أن قتلنا منا نفسا، وكفرت نعمتنا! قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد أشبه بتأويل الآية، لأن فرعون لم يكن مقرا لله بالربوبية وإنما كان يزعم أنه هو الرب، فغير جائز أن يقول لموسى إن كان موسى كان عنده على دينه يوم قتل القتل على ما قاله السدي: فعلت الفعلة وأنت من الكافرين، الإيمان عنده: هو دينه الذي كان عليه موسى عنده، إلا أن يقول قائل: إنما أراد: وأنت من الكافرين يومئذ يا موسى، على قولك اليوم، فيكون ذلك وجهها يتوجه. فتأويل الكلام إذن: وقتلت الذي قتلت منا وأنت من الكافرين نعمتنا عليك، وإحساننا إليك في قتلناك إياه. وقد قيل: معنى ذلك: وأنت الآن من الكافرين لنعمتي عليك، وتريتي إياك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذْ أَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ ٢٠ فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون: فعلت تلك الفعل التي فعلت، أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الصالين. يقول: وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحي بتحريم قتله عليّ. والعرب تضع من الضلال موضع الجهل، والجهل موضع الضلال، فتقول: قد جهل فلان الطريق وضل الطريق، بمعنى واحد. وبنحو الذي قلنا في

ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة ومجاهد وقوله ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾... الآية، يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل موسى لفرعون: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾ معشر الملأ من قوم فرعون ﴿لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تقتلوني بقتلي القتل منكم. ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ يقول: فوهب لي ربي نبوة وهي الحكم. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول: وألحقني بعداد من أرسله إلى خلقه، مبلغاً عنه رسالته إليهم بإرساله إياي إليك يا فرعون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٣٤﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل نبيه موسى ﷺ لفرعون ﷻ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ يعني بقوله: وتلك تربة فرعون إياه، يقول: وتربيتك إياي، وتركك استعبادي، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحق. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو: وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني، فترك ذكر "وتركتني" للدلالة قوله ﴿أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عليه، والعرب تفعل ذلك اختصاراً للكلام، ونظير ذلك في الكلام أن يستحق رجلاً من ذي سلطان عقوبة، فيعاقب أحدهما، ويعفو عن الآخر، فيقول المعفو عنه هذه نعمة علي من الأمير أن عاقب فلاناً، وتركتني، ثم حذف "وتركتني" للدلالة الكلام عليه، ولأن في قوله: ﴿أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وجهين: أحدهما النصب، لتعلق "تمنّها" بها، وإذا كانت نصبا كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنها عليّ لتعبدك بني إسرائيل. والآخر: الرفع على أنها ردّ على النعمة. وإذا كانت رفعا كان معنى الكلام: وتلك نعمة تمنها عليّ تعبدك بني إسرائيل. ويعني بقوله: ﴿أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: أن اتخذتهم عبيداً لك. يقال منه: عبدت العبيد وأعبدتهم كما جاء عن السدي وغيره وقول ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: وأي شيء رب العالمين؟ ﴿قَالَ﴾ موسى هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يقول: ومالك ما بين السموات والأرض من شيء. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ يقول: إن كنتم موقنين أن ما تعاینونه كما تعاینونه، فكذاك فأيقنوا أن ربنا هو رب السموات والأرض وما بينهما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾ قَالَ لِمَنِ اتَّخَذَتْ إِلَهاً غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٣٩﴾ يعني تعالى ذكره بقوله ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ قال فرعون لمن حوله من قومه: ألا تستمعون لما يقول موسى، فأخبر موسى عليه السلام القوم بالحواب عن مسألة فرعون إياه وقيله له ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ليفهم بذلك قوم فرعون مقالته لفرعون، وجوابه إياه عما سأله، إذ قال لهم فرعون ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ إلى قول موسى، فقال لهم الذي دعوته إليه وإلى عبادته ﴿رَبُّكُمْ﴾ الذي خلقكم ﴿وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ فقال فرعون لما قال لهم موسى ذلك، وأخبرهم عما يدعو إليه فرعون وقومه: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ يقول: إن رسولكم هذا الذي يزعم أنه أرسل إليكم لمغلوب على عقله، لأنه يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، وإنما قال ذلك ونسب موسى عدو الله إلى الجنة، لأنه كان عنده وعند قومه أنه لا رب غيره يعبد، وأن الذي يدعوه إليه موسى باطل ليست له حقيقة، فقال موسى عند ذلك محتجاً

عليهم، ومعرفهم ربهم بصفته وأدلته، إذ كان عند قوم فرعون أن الذي يعرفونه رباً لهم في ذلك الوقت هو فرعون، وأن الذي يعرفونه لأبائهم أرباباً ملوكاً آخر، كانوا قبل فرعون، قد مضوا فلم يكن عندهم أن موسى أخبرهم بشيء له معنى يفهمونه ولا يعقلونه، ولذلك قال لهم فرعون: إنه مجنون، لأن كلامه كان عندهم كلاماً لا يعقلون معناه، وقوله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فمعناه: الذي أدعوكم وفرعون إلى عبادته رب المشرق والمغرب وما بينهما يعني ملك مشرق الشمس ومغربها، وما بينهما من شيء لا إلى عبادة ملوك مصر الذين كانوا ملوكها قبل فرعون لأبائكم فمضوا، ولا إلى عبادة فرعون الذي هو ملكها. ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يقول: إن كان لكم عقول تعقلون بها ما يقال لكم، وتفهمون بها ما تسمعون مما يعين لكم؛ فلما أخبرهم عليه السلام بالأمر الذي علموا أنه الحق الواضح، إذ كان فرعون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عريش مصر، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه أن الذي يدعوهم موسى إلى عبادته، هو الملك الذي يملك الملوك. قال فرعون حيثند استكباراً عن الحق، وتمادياً في الغي لموسى: ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهاً غَيْرِي﴾ يقول: لئن أقررت بمعبود سواي ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ يقول: لأسجنك مع من في السجن من أهله.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ ٣٦ ﴿قَالَ فَاتِّبِعْ بِهٖ إِنَّ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ٣٧ ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ ٣٨ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ ٣٩ يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون لما عرفه ربه، وأنه رب المشرق والمغرب، ودعاه إلى عبادته وإخلاص الألوهة له، وأجابه فرعون بقوله ﴿لَئِنْ اتَّخَذْتُ إِلَهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾: أتجعلني من المسجونين ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ يبين لك صدق ما أقول يا فرعون وحقيقة ما أدعوك إليه؟ وإنما قال ذلك له، لأن من أخلاق الناس السكون للإنصاف، والإجابة إلى الحق بعد البيان؛ فلما قال موسى له ما قال من ذلك، قال له فرعون: فأت بالشيء المبين حقيقة ما تقول، فإن لن نسجنك حيثند إن اتخذت إلهاً غيري إن كنت من الصادقين: يقول: إن كنت محققاً فيما تقول، وصادقاً فيما تصف وتخير، ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ يقول جل ثناؤه: فألقى موسى عصاه فتحوّلت ثعباناً، وهي الحية الذكر كما قد بينت فيما مضى قبل من صفته وقوله ﴿مُبِينٌ﴾ يقول: يبين لفرعون والملا من قومه أنه ثعبان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ يقول: وأخرج موسى يده من جيبه فإذا هي بيضاء تلمع ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾ لمن ينظر إليها ويرأها. وجاء عن المنهال، قال: ارتفعت الحية في السماء قدر ميل، ثم سفلت حتى صار رأس فرعون بين نايها، فجعلت تقول: يا موسى مرني بما شئت، فجعل فرعون يقول: يا موسى أسألك. بالذي أرسلك، قال: فأخذه بطنه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ٤٠ ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ٤١ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ٤٢ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ ٤٣ يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أراه موسى من عظيم قدرة الله وسلطانه حجة عليه لموسى بحقيقة ما دعاه إليه، وصدق ما أتاه به من عند ربه ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ يعني لأشراف قومه الذين كانوا حوله. ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ يقول: إن موسى سحر عصاه حتى أراكموها ثعباناً ﴿عَلِيمٌ﴾،

يقول: ذو علم بالسحر وبصر به. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ يقول: يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشام بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملأ حوله من القبط، والمعني به بنو إسرائيل، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، واتخذوهم خدماً لأنفسهم ومهاناً، ولذلك قال لهم: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾ وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشام. وإنما قلت معنى ذلك كذلك، لأن الله إنما أرسل موسى إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه، فقال له ولأخيه ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. وقوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ يقول: فأي شيء تأمرون في أمر موسى وما به تشيرون من الرأي فيه؟ ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فأجاب فرعون الملأ حوله بأن قالوا له: أخر موسى وأخاه وأنظره، وأبعث في بلادك وأمصار مصر حاشرين يحشرون إليك كل سحار عليم بالسحر.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ وقيل للناس هل أنتم مجمعون؟

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فجمع الحاشرون الذين بعثهم فرعون بحشر السحرة ﴿لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ يقول: لوقت واحد فرعون لموسى الاجتماع معه فيه من يوم معلوم، وذلك يوم الزينة ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾. وقيل للناس: هل أنتم مجتمعون لتتنظروا إلى ما يفعل الفريقان، ولمن تكون الغلبة، لموسى أو للسحرة؟ فلعلنا نتبع السحرة، ومعنى لعل هنا كي، يقول: كي تتبع السحرة، إن كانوا هم الغالبين موسى، وإنما قلت ذلك معناها: لأن قوم فرعون كانوا على دين فرعون، فغير معقول أن يقول من كان على دين: أنظر إلى حجة من هو على خلافي لعلني أتبع ديني، وإنما يقال: أنظر إليها كي ازداد بصيرة بديني، فأقيم عليه. وكذلك قال قوم فرعون. فإياها عنوا بقبليهم: ﴿لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾. وقيل: إن اجتماعهم للميقات الذي اتعد للاجتماع فيه فرعون وموسى كان بالإسكندرية. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ قال: كانوا بالإسكندرية، قال: ويقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة يومئذ، قال: وهربوا وأسلموا فرعون وهمت به، فقال: فخذها يا موسى، قال: فكان فرعون مما يلي الناس منه أنه كان لا يضع على الأرض شيئاً، قال: فأحدث يومئذ تحته، قال: وكان إرساله الحية في القبة الحمراء.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَّا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿١٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿١٤﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ فرعون لوعده لموسى وموعد فرعون ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَّا لِأَجْرٍ﴾ سحرنا قبلك ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ موسى قال: فرعون لهم ﴿نَعَمْ﴾ لكم الأجر على ذلك ﴿وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ منا. فقالوا عند ذلك لموسى: إما أن تلقي، وإما أن نكون نحن الملقين، وترك ذكر قيلهم ذلك لدلالة خبر الله عنهم أنهم قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون، على أن ذلك معناه ف ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ من حبالكم وعصيكم. ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ﴾ من أيديهم ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يقول: أفسموا بقوة فرعون وشدة سلطانه، ومنعة مملكته ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ موسى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ٥٦﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ٥٧ ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٥٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ٥٩ ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٦٠﴾ لَا قَطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأُزْجِلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَا صُلْبَ لَكُمْ أَجْمَعِينَ ٦١ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرهُ: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ حين ألقت السحرة حبالهم وعصبيهم. ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقول: فإذا عصا موسى تزدرد ما يأتون به من الفرية والسحر الذي لا حقيقة له، وإنما هو مخايل وخدعة. ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ يقول: فلما تبين السحرة أن الذي جاءهم به موسى حق لا سحر، وأنه مما لا يقدر عليه غير الله الذي فطر السموات والأرض من غير أصل، خرّوا لوجوههم سجدا لله، مذعنين له بالطاعة، مقرّين لموسى بالذي أتاهم به من عند الله أنه هو الحق، وأن ما كانوا يعملونه من السحر باطل، قائلين: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي دعانا موسى إلى عبادته دون فرعون وملئه. ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ يقول جل ثناؤه: قال فرعون للذين كانوا سحرته فآمنوا: آمتم لموسى بأن ما جاء به حق قبل أن آذن لكم في الإيمان به. ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ يقول: إن موسى لرئيسكم في السحر، وهو الذي علّمكموه، ولذلك آمتم به. ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند عقابي إياكم وبال ما فعلتم، وخطأ ما صنعت من الإيمان به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ٦٢﴾ يقول لَا قَطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأُزْجِلَكُم مخالفا في قطع ذلك منكم بين قطع الأيدي والأرجل، وذلك أن أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، ثم اليد اليسرى والرجل اليمنى، ونحو ذلك من قطع اليد من جانب، ثم الرجل من الجانب الآخر، وذلك هو القطع من خلاف وَلَا صُلْبَ لَكُمْ أَجْمَعِينَ فوكد ذلك بأجمعين إعلاما منه أنه غير مُسْتَبَقٍ منهم أحدا. قَالُوا لَا ضَيْرَ يقول تعالى ذكره: قالت السحرة: لا ضير علينا؛ وهو مصدر من قول القائل: قد ضار فلان فلانا فهو يضير ضيرا، ومعناه: لا ضرر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ٦٣﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُّتَّبِعُونَ ٦٤ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرهُ مَخْبَرًا عَنْ قِيلِ السَّحْرَةِ: إِنَّا نَطْمَعُ: إِنَّا نرجو أن يصفع لنا ربنا عن خطايانا التي سلفت منا قبل إيماننا به، فلا يعاقبنا بها. كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ قال: السحر والكفر الذي كانوا فيه. ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: لأن كنا أول من آمن بموسى وصدقه بما جاء به من توحيد الله وتكذيب فرعون في ادعائه الربوبية في دهرنا هذا وزماننا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ يقول: وأوحينا إلى موسى إذ تمادى فرعون في غيه وأبى إلا الثبات على طغيانه بعد ما أريناه آياتنا، أن أسر بعبادي: يقول: أن سر ببني إسرائيل ليلا من أرض مصر. ﴿إِلَيْكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ إن فرعون وجنده متبعوك وقومك من بني إسرائيل، ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ٦٥﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٦٦ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ٦٧ ﴿وَأَنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ٦٨﴾ يقول تعالى ذكره: فأرسل فرعون في المدائن يحشر له

جنده وقومه ويقول لهم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ يعني هؤلاء: بني إسرائيل ﴿لَشَرِذْمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ يعني بالشرذمة: الطائفة والعصبة الباقية من عصب جبيرة، وشرذمة كل شيء: بقية القليلة؛ وقيل: قليلون، لأن كل جماعة منهم كان يلزمها معنى القلة؛ فلما جمع جمع جماعاتهم قيل: قليلون وذكر أن الجماعة التي سماها فرعون شرذمة قليلين، كانوا ست مئة ألف وسبعين ألفا. كما جاء عن عبد الله وغيره وجاء عن قيس بن عباد، قال: وكان من أكثر الناس أو أحدث الناس عن بني إسرائيل، قال: فحدثنا أن الشرذمة الذين سماهم فرعون من بني إسرائيل كانوا ست مئة ألف، قال: وكان مقدمة فرعون سبعة مئة ألف، كل رجل منهم على حصان على رأسه بيضة، وفي يده حرب، وهو خلفهم في الدهم. فلما انتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر، قالت بنو إسرائيل: يا موسى أين ما وعدتنا، هذا البحر بين أيدينا، وهذا فرعون وجنوده قد دهمنا من خلفنا، فقال موسى للبحر: انفلق أبا خالد، قال: لا لن أنفلق لك يا موسى، أنا أقدم منك خلقا؛ قال: فنودي أن أضرب بعصاك البحر، فضربه، فانفلق البحر، وكانوا اثني عشر سبطا. قال الجريري. فأحسبه قال: إنه كان لكل سبط طريق، قال: فلما انتهى أول جنود فرعون إلى البحر، هابت الخيل للهب؛ قال: ومثل لحصان منها فرس وديق، فوجد ريحها فاشتد، فاتبعه الخيل؛ قال: فلما تمام آخر جنود فرعون في البحر، وخرج آخر بني إسرائيل، أمر البحر فانصفق عليهم، فقالت بنو إسرائيل: ما مات فرعون وما كان ليموت أبدا، فسمع الله تكذيبهم بنيه عليه السلام، قال: فرمى به على الساحل، كأنه ثور أحمر يترأه بنو إسرائيل. وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَعَايُطُونَ﴾ يقول: وإن هؤلاء الشرذمة لنا لغاظطون، فذكر أن غيظهم إياهم كان قتل الملائكة من قتلت من أبكارهم. كالذي جاء عن ابن جريج، قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَعَايُطُونَ﴾ يقول: بقتلهم أبكارنا من أنفسنا وأموالنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: وإنهم لنا لغاظطون بذهابهم منهم بالعوارى التي كانوا استعاروها منهم من الحلبي، ويحتمل أن يكون ذلك بفراقهم إياهم، وخرجهم من أرضهم بكرة لهم لذلك. وقوله ﴿وَأَنَا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ بمعنى: أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ۖ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ۝﴾ يقول تعالى ذكره: فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين وعيون ماء، وكنوز ذهب وفضة، ومقام كريم. قيل: إن ذلك المقام الكريم: المنابر. وقوله ﴿كَذَلِكَ﴾ يقول: هكذا أخرجناهم من ذلك كما وصفت لكم في هذه الآية والتي قبلها. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ يقول: وأورثنا تلك الجنات التي أخرجناهم منها والعيون والكنوز والمقام الكريم عنهم بهلاكهم بني إسرائيل. وقوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ فاتبع فرعون وأصحابه بني إسرائيل، مشرقين حين أشرقت الشمس، وقيل حين أصبحوا. كما جاء عن مجاهد: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ قال: خرج موسى ليلا فكشف القمر وأظلمت الأرض، وقال أصحابه: إن يوسف أخبرنا أنا سننحى من فرعون، وأخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا، فخرج موسى ليلته يسأل عن قبره، فوجد عجوزا بيتها على قبره، فأخرجته له بحكمها، وكان حكمها أو كلمة تشبه هذا، أن قالت: احملني فأخرجني معك، فجعل عظام يوسف في كسائه، ثم حمل العجوز على كسائه، فجعله على رقبته، وخيل فرعون هي ملء أعتتها حضرا في أعينهم، ولا تبرح، حبست عن موسى وأصحابه حتى تواروا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ١٦ ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ١٧ ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ١٨ ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ ١٩ أي إنا لملحقون، الآن يلحقنا فرعون وجنوده فيقتلوننا، وذكر أنهم قالوا ذلك لموسى، تشاؤما بموسى. كما جاء عن السدي وغيره وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ قال موسى لقومه: ليس الأمر كما ذكرتم، كلا لن تدركوا إن معي ربي سيهدين، طريق أنجو فيه من فرعون وقومه. كما جاء عن السدي وغيره وكما جاء عن أبي بكر بن عبد الله وغيره، قالوا: لما انتهى موسى إلى البحر وهاجت الريح والبحر يرمي بتياره، ويموج مثل الجبال، وقد أوحى الله إلى البحر أن لا ينفلق حتى يضربه موسى بالعصا، فقال له يوشع: يا كلم الله أين أمرت؟ قال: ههنا، قال: فجاز البحر ما يوارى حافره الماء، فذهب القوم يصنعون مثل ذلك، فلم يقدروا، وقال له الذي يكتم إيمانه: يا كلم الله أين أمرت؟ قال: ههنا، فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه، ثم قمحه البحر فأرسب في الماء، فأوحى الله إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر، فضرب بعصاه موسى البحر فانفلق، فإذا الرجل واقف على فرسه لم يتبل سرجه ولا لبده. وقوله: ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ يقول تعالى ذكره: فكان كل طائفة من البحر لما ضربه موسى كالجبل العظيم. وذكر أنه انفلق اثنتي عشرة فلقة على عدد الأسباط، لكل سبط منهم فرق. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن أبي بكر بن عبد الله وغيره قالوا: انفلق البحر، فكان كل فرق كالطود العظيم، اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط، وكان بنو إسرائيل اثني عشر سبطا، وكانت الطرق بجدران، فقال كل سبط: قد قتل أصحابنا؛ فلما رأى ذلك موسى، دعا الله فجعلها لهم بقناطر كهية الطيقان، ينظر بعضهم إلى بعض، وعلى أرض يابسة كأن الماء لم يصبها قط حتى عبر.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمَ الْآخَرِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَأُنْحَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ٢١ ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخَرِينَ﴾ ٢٢ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ٢٣ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٢٤ يعني بقول تعالى ذكره: ﴿وَأَرْزَلْنَا نَمَ الْآخَرِينَ﴾: وقرنا هنالك آل فرعون من البحر، وقدمناهم إليه، ومنه قوله: ﴿وَأَرْزَلْنَا الْجِنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بمعنى: قربت وأدنت؛ كما جاء عن أبي بكر بن عبد الله، قال: أقبل فرعون فلما أشرف على الماء، قال أصحاب موسى: يا مكلم الله إن القوم يتبعوننا في الطريق، فاضرب بعصاك البحر فاخلطه، فأراد موسى أن يفعل، فأوحى الله إليه: أن اترك البحر رهوا يقول: أمره على سكناته ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُعْرَفُونَ﴾ إنما أمكر بهم، فإذا سلخوا طريقكم غرقتهم؛ فلما نظر فرعون إلى البحر قال: ألا ترون البحر فرق مني حتى تفتح لي، حتى أدرك أعدائي فأقتلهم؛ فلما وقف على أفواه الطرق وهو على حصان، فرأى الحصان البحر فيه أمثال الجبال هاب وخاف، وقال فرعون: أنا راجع، فمكر به جبرائيل عليه السلام، فأقبل على فرس أثني، فأدناها من حصان فرعون، فطلق فرسه لا يقرّ، وجعل جبرائيل يقول: تقدم، ويقول: ليس أحد أحق بالطريق منك، فتشامت الحصن الماذبانة، فما ملك فرعون فرسه أن ولج على أثره؛ فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر، أوحى الله إلى البحر: خذ عبي الظالم وعبادي الظلمة، سلطاني فيك، فإني قد سلطتك

عما ترك، وذلك جوابهم إبراهيم عن مسأله إياه: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ فكان جوابهم إياه: لا ما يسمعوننا إذا دعوناهم، ولا ينفعوننا ولا يضرّون، يدل على أنهم بذلك أجابوه. قولهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وذلك رجوع عن مجحود، كقول القائل: ما كان كذا بل كذا وكذا، ومعنى قولهم: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وجدنا من قبلنا ولا يضرّون، يدل على أنهم بذلك أجابوه، قولهم من آبائنا يعبدونها ويعكفون عليها لخدمتها وعبادتها، فنحن نفعل ذلك اقتداء بهم، واتباعا لمنهاجهم.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لقومه: أفأريتم أيها القوم ما كنتم تعبدون من هذه الأصنام أنتم وأباؤكم الأقدمون، يعني بالأقدمين: الذين من الذين كان إبراهيم يخاطبهم، وهم الأولون قبلهم ممن كان على مثل ما كان عليه الذين كلمهم إبراهيم من عبادة الأصنام ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾. يقول قائل: وكيف يوصف الخشب والحديد والنحاس بعبادة ابن آدم؟ فإن معنى ذلك: فإنهم عدو لي لو عبدتهم يوم القيامة، كما قال جل ثناؤه ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾. وقوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ نصباً على الاستثناء، والعدو بمعنى الجمع، ووحد لأنه أخرج مخرج المصدر، مثل القعود والجلوس. ومعنى الكلام: أفأريتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإني منه بريء لا أعبد، إلا رب العالمين.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ يقول: فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ للصواب من القول والعمل، ويسدني للرشاد. ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ يقول: والذي يغذوني بالطعام والشراب، ويرزقني الأرزاق ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ يقول: وإذا سقم جسمي واعتل، فهو يبرئه ويعافيه.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمَيِّنُ ثُمَّ يُجَبِّينِ﴾ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي. ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ فربي هذا الذي بيده نفعي وضري، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دعي، ولا ينفع ولا يضر. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجاً على قومه، في أنه لا تصلح الألوهة، ولا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعاً ولا ضرراً. وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه، عني بقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾: والذي أرجو أن يغفر لي قولي: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وقولي لسارة: إنها أختي. ويعني بقوله ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الحساب، يوم المجازاة. وقد بينا ذلك بشواهد فيما مضى.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن مسألة خليله إبراهيم إياه ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ يقول: رب هب لي نبوة. ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يقول: واجعلني رسولاً إلى خلقك، حتى تلحقني بذلك بعداد

من أرسلته من رسلك إلى خلقك، وأتممته على وحيك، واصطفيته لنفسك. وقوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ يقول: واجعل لي في الناس ذكراً جميلاً وثناء حسناً، باقياً فيمن يجيء من القرون بعدي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عكرمة، قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ قَوْلُهُ ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾. قال: إن الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلاً فسأل الله فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنت بموسى، وكفرت بعيسى، وإن النصارى آمنت بعيسى، وكفرت بمحمد ﷺ، وكلهم يتولى إبراهيم؛ قالت اليهود: هو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقروا له بالنبوة وآمنوا به، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثم ألحق ولايته بكم فقال: ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْثَابِتِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فهذا أجره الذي عجل له، وهي الحسنة، إذ يقول: ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ^(٨٥) وَاعْفُرْ لِأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ^(٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ^(٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ^(٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ^(٨٩) يعني إبراهيم صلوات الله عليه بقوله: ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أورثني يا رب من منازل من هلك من أعدائك المشركين بك من الجنة، وأسكني ذلك. ﴿وَاعْفُرْ لِأَيِّ﴾ يقول: واصفح لأبي عن شركه بك، ولا تعاقبه عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ﴾ يقول: إنه كان ممن ضل عن سبيل الهدى، فكفر بك. وقد بينا المعنى الذي من أجله استغفر إبراهيم لأبيه صلوات الله عليه، واختلاف أهل العلم في ذلك، والصواب عندنا من القول فيه فيما مضى، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ يقول: ولا تذلي بعقابك إياي يوم تبعث عبادك من قبورهم لموقف القيامة. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ يقول: لا تخزني يوم لا ينفع من كفر بك وعصاك في الدنيا مال كان له في الدنيا، ولا بنوه الذين كانوا له فيها، فيدفع ذلك عنه عقاب الله إذا عاقبه، ولا ينجيه منه. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ يقول: ولا تخزني يوم يبعثون، يوم لا ينفع إلا القلب السليم. والذي عني به من سلامة القلب في هذا الموضع: هو سلامة القلب من الشك في توحيد الله، والبعث بعد الممات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عون، قال: قلت لمحمد: ما القلب السليم؟ قال: أن يعلم أن الله حق، وأن الساعة قائمة، وأن الله يبعث من في القبور.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٩٠) وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ^(٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ^(٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ^(٩٣) فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ^(٩٤) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ^(٩٥) يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وأدنت الجنة وقربت للمتقين، الذين اتقوا عقاب الله في الآخرة بطاعتهم إياه في الدنيا ﴿وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ يقول: وأظهرت النار للذين غوا فضلوها عن سواء السبيل. ﴿وَقِيلَ لِلْغَاوِينَ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من الأنداد ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ اليوم من الله، فينقذونكم من عذابه ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ لأنفسهم، فينجونها مما يراد بها؟. وقوله: ﴿فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ يقول: فرمى ببعضهم في الجحيم على بعض، وطرح بعضهم على بعض منكبين على وجوههم. وأصل كبكبوا: كببوا، ولكن الكاف

كَرَّرَتْ كَمَا قِيلَ: ﴿بَرِيحٌ صَرَّصَ﴾ يعني به صرّ، ونهني يَنْهِنِي، يعني به: نهني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وذكر عن قتادة أنه كان يقول: الغاوون في هذا الموضع. الشياطين. فتأويل الكلام على هذا القول الذي ذكرنا عن قتادة. فكبك فيها الكفار الذين كانوا يعبدون من دون الله الأصنام والشياطين. وقوله: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ يقول: وكبك فيها مع الأنداد والغاوين جنود إبليس أجمعون. وجنوده: كل من كان من تبعه، من ذريته كان أو من ذرية آدم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء الغاوون والأنداد التي كانوا يعبدونها من دون الله وجنود إبليس، وهم في الجحيم يختصمون. ﴿تَاللَّهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: تالله لقد كنا في ذهاب عن الحق، إن كنا لفي ضلال مبين، بين ذهابنا ذلك عنه عن نفسه، لمن تأمله وتدبره، أنه ضلال وباطل. وقوله: ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول الغاوون للذين يعبدونهم من دون الله: تالله إن كنا لفي ذهاب عن الحق حين نعدلكم رب العالمين فنعدكم من دونه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الغاوون في الجحيم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني بالمجرمين إبليس، وابن آدم الذي سنّ القتل. كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن عكرمة، قوله: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ قال: إبليس وابن آدم القاتل. وقوله ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ يقول: فليس لنا شافع فيشفع لنا عند الله من الأبعد، فيعفو عنا، وينجينا من عقابه. ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ من الأقارب. واختلف أهل التأويل في الذين عتوا بالشافعين، وبالصديق الحميم، فقال بعضهم: عني بالشافعين: الملائكة، وبالصديق الحميم: النسيب. كما جاء عن ابن جريج وقال آخرون: كل هؤلاء من بني آدم. كما جاء عن قتادة وقوله ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: فلو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن بالله فنكون بإيماننا به من المؤمنين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٩﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما احتجّ به إبراهيم على قومه من الحجج التي ذكرنا له لدلالة بينة واضحة لمن اعتبر، على أن سنة الله في خلقه الذين يستنون بسنة قوم إبراهيم من عبادة الأصنام والآلهة، ويقتدون بهم في ذلك ما سنّ فيهم في الدار الآخرة، من كبكبتهم وما عبدوا من دونه مع جنود إبليس في الجحيم، وما كان أكثرهم في سابق علمه مؤمنين. وإن ربك يا محمد لهو الشديد الانتقام ممن عبد دونه، ثم لم يتب من كفره حتى هلك، الرحيم بمن تاب منهم أن يعاقبه على ما كان سلف منه قبل توبته من إثم وجرم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ رسل الله الذين أرسلهم إليهم لما ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ فتحذروا عقابه على كفركم به، وتكذيبكم رسله. ﴿إِنْ لَكُمْ

رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ ﴿أَمِينٌ﴾ عَلَى وَحْيِهِ إِلَيَّ، بِرِسَالَتِهِ إِيَّايَ إِلَيْكُمْ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (١٨) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٢٠﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على كفركم به، وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمرني إياكم باتقائه. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أطلب منكم على نصيحتي لكم وأمرني إياكم باتقاء عقاب الله بطاعته فيما أمركم ونهاكم، من ثواب ولا جزاء ﴿إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ دونكم ودون جميع خلق الله، فاتقوا عقاب الله على كفركم به، وخافوا حلول سخطه بكم على تكذيبكم رسله، وأطيعوني يقول: وأطيعوني في نصيحتي لكم، وأمرني إياكم بإخلاص العبادة لخالقكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ (٢٣) يقول تعالى ذكره: قال قوم نوح له مجيبه عن قيله لهم: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ قالوا: أنؤمن لك يا نوح، ونقر بتصديقك فيما تدعونا إليه، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات. ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون، إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، ولم أكلّف علم باطنهم، وإنما كلّفت الظاهر، فمن أظهر حسنا ظننت به حسنا، ومن أظهر سيئا ظننت به سيئا. يقول: إن حساب باطن أمرهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرعون، فإنه يعلم سرّ أمرهم وعلايته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٤) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿٢٦﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نوح لقومه: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني على التصديق بما جئت به من عند الله. ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يقول: ما أنا إلا نذير لكم من عند ربكم أنذركم بأسه، وسطوته على كفركم به مبين: يقول: نذير قد أبان لكم إنذاره، ولم يكتمكم نصيحته. ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ يقول: قال لنوح قومه: لئن لم تنته يا نوح عما تقول، وتدعو إليه، وتعيّب به ألهتنا، لتكوننّ من المشتومين، يقول: لنشتمك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ (٢٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿٣٠﴾ يقول تعالى ذكره: قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ فيما أتيتهم به من الحق من عندك، وردوا عليّ نصيحتي لهم. ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ يقول: فاحكم بيني وبينهم حكما من عندك تهلك به المبطل، وتنقم به ممن كفر بك وجحد توحيدك، وكذب رسولك. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ قال: يقول: اقض بيني وبينهم. ﴿ونجني﴾ يقول: ونجني من ذلك العذاب الذي تأتي به حكما بيني وبينهم. ﴿وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: والذين معي من أهل الإيمان بك والتصديق لي. وقوله ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ يقول: فأنجينا نوحا ومن معه من المؤمنين - حين فتحنا بينهم وبين قومهم، وأنزلنا بأسنا بالقوم الكافرين - في الفلك المشحون، يعني في السفينة الموقرة المملوءة. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ من قومه الذين كذبوه، وردوا عليه النصيحة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٢﴾ يقول تعالى ذكره: إن فيما فعلنا يا محمد بنوح ومن معه من المؤمنين في الفلك المشحون، حين أنزلنا بأسنا وسطوتنا، بقومه الذين كذبوه، آية لك ولقومك المصدقك منهم والمكذبيك، في أن سنتنا تنجية رسلنا وأتباعهم، إذا نزلت نقمتنا بالمكذبين بهم من قومهم، وإهلاك المكذبين بالله، وكذلك ستي فيك وفي قومك. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ولم يكن أكثر قومك بالذين يصدقونك مما سبق في قضاء الله أنهم لن يؤمنوا. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن كفر به، وخالف أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالتائب منهم، أن يعاقبه بعد توبته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ كُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٣٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٥﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ﴾ رسل الله إليهم. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقاب الله على كفركم به. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من ربي يأمركم بطاعته، ويحذركم على كفركم بأسه، ﴿أَمِينٌ﴾ على وحيه ورسالته. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بطاعته والانتهاه إلى ما يأمركم وينهاكم ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من اتقاء الله وتحذيركم سطوته. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أطلب منكم على أمري إياكم بانقاء الله جزاء ولا ثوابا. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: ما جزائي وثوابي على نصيحتي إياكم إلا على رب العالمين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٣٦﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٧﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه: ﴿أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ والرياح: كل مكان مشرف من الأرض مرتفع، أو طريق أو واد كما جاء عن ابن عباس وغيره وقد بينا في غير موضع من كتابنا هذا، أن الآية هي الدلالة والعلامة بالشواهد المغنية عن إعادتها في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في ألفاظهم في تأويله كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿تعبثون﴾ قال: تلعبون. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاک وغيره وقوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى المصانع، قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن المصانع جمع مصنعة، والعرب تسمي كل بناء مصنعة، وجائر أن يكون ذلك البناء كان قصورا وحصونا مشيدة، وجائر أن يكون كان مأخذ للماء، ولا خبر يقطع العذر بأي ذلك كان، ولا هو مما يدرك من جهة العقل. فالصواب أن يقال فيه، ما قال الله: إنهم كانوا يتخذون مصانع. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ يقول: كأنكم تخلدون، فتبقون في الأرض. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ يقول: وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف، وضربا بالسياط. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٩﴾ إِنْ أَحَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٠﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هود لقومه من عاد: اتقوا عقاب الله أيها القوم بطاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم، وانتهاوا عن اللهو واللعب، وظلم الناس، وقهرهم بالغلبة والفساد في الأرض، واحذروا سخط الذي أعطاكم من

عنده ما تعلمون، وأعانكم به من بين المواشي والبنين، والبساتين والأنهار. ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ﴾ من الله ﴿عَظِيمٍ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (١٣٦)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ يقول تعالى ذكره: قالت عاد لنبيهم هود عليه السلام: معتدل عندنا وعظك إيانا، وتركك الوعظ، فلن نؤمن لك ولن نصدقك على ما جئتنا به. وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ بمعنى: إن هذا إلا عادة الأولين ودينهم، كما قال ابن عباس، لأنهم إنما عوتبوا على البنيان الذي كانوا يتخذونه، وبطشهم بالناس بطش الجبابة، وقلة شكرهم ربهم فيما أنعم عليهم، فأجابوا نبيهم بأنهم يفعلون ما يفعلون من ذلك، احتذاء منهم سنة من قبلهم من الأمم، واقتفاء منهم آثارهم، فقالوا: ما هذا الذي نفعله إلا خلق الأولين، يعنون بالخلق: عادة الأولين. ويزيد ذلك بيانا وتصحيحا لما اخترنا من القراءة والتأويل، قولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ لأنهم لو كانوا لا يقرّون بأن لهم ربا يقدر على تعذيبهم، ما قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ بل كانوا يقولون: إن هذا الذي جئتنا به يا هود إلا خلق الأولين، وما لنا من معذب يعذبنا، ولكنهم كانوا مقرين بالصانع، ويعبدون الآلهة، على نحو ما كان مشركو العرب يعبدونها، ويقولون إنها تقرّبنا إلى الله زلفى، فلذلك قالوا لهود وهم منكرون بنبوته: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ ثم قالوا له: ما هذا الذي نفعله إلا عادة من قبلنا وأخلاقهم، وما الله معذبنا عليه. كما أخبرنا تعالى ذكره عن الأمم الخالية قبلنا، أنهم كانوا يقولون لرسولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٣٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ يقول تعالى ذكره: فكذبت عاد رسول ربهم هودا، والهاء في قوله ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ من ذكر هود. ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يقول: فأهلكنا عادا بتكذيبهم رسولنا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا عادا بتكذيبها رسولها، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، المكذبيك فيما أتيتهم به من عند ربك. يقول: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علم الله. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من أعدائه، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ يقول تعالى ذكره: كذبت ثمود رسل الله، إذ دعاهم صالح أخوهم إلى الله، فقال لهم: ألا تتقون عقاب الله يا قوم على معصيتكم إياه، وخلافكم أمره، بطاعتكم أمر المفسدين في أرض الله. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من الله أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته على خلافكم أمره ﴿أَمِينٌ﴾ على رسالته التي أرسلها معي إليكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أيها القوم، واحذروا عقابه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ في تحذيري إياكم، وأمر ربكم باتباع طاعته. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ يقول: وما أسألكم على نصحي إياكم، وإنذاركم من جزاء ولا ثواب. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: إن جزائي وثوابي إلا على رب جميع ما في السموات، وما في الأرض، وما بينهما من خلق.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ﴾ (١٢٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٢٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٢٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣٠﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود: أيتركم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمين، لا تخافون شيئاً؟ ﴿١٢٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يقول: في بساتين وعيون ماء. ﴿١٢٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ يعني بالطلع: الكُفْرَى. واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿هَضِيمٌ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: الهضيم: هو المتكسر من لينه ورطوبته، وذلك من قولهم: هضم فلان حقه: إذا انتقصه وتحيفه، فكذلك الهضم في الطلع، إنما هو التنقص منه من رطوبته ولينه إما بمس الأيدي، وإما بركوب بعضه بعضاً، وأصله مفعول صرف إلى فعل. وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وتتحذون من الجبال بيوتا. وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ يقول تعالى ذكره: فاتقوا عقاب الله أيها القوم على معصيتكم ربكم، وخلافكم أمره، وأطيعوا في نصيحتي لكم، وإنذاري إياكم عقاب الله ترشدوا.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (١٣١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٣٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٣٣﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل صالح لقومه من ثمود: لا تطيعوا أيها القوم أمر المسرفين على أنفسهم في تماديهم في معصية الله، واجترائهم على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون من ثمود الذين وصفهم الله جل ثناؤه بقوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ يقول: الذين يسعون في أرض الله بمعاصيه، ولا يصلحون، يقول: ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعة الله. وقوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله والصواب من القول في ذلك عندي: قول ابن عباس، أن معناه: إنما أنت من المخلوقين الذين يعللون بالطعام والشراب مثلنا، ولست ربا ولا ملكا فنطيعك، ونعلم أنك صادق فيما تقول. والمسحر: المفعول من السحرة، وهو الذي له سحرة.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَادِقِينَ﴾ (١٣٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٣٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٦﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل ثمود لنبينا صالح: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ من بني آدم، تأكل ما نأكل، وتشرب ما نشرب، ولست برَبِّ ولا ملك، فعلام نتبعك؟ فإن كنت صادقاً في قيلك، وأن الله أرسلك إلينا ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ يعني: بدلالة وحجة على أنك محق فيما تقول، إن كنت ممن صدقنا في دعواه أن الله أرسله إلينا. وقد جاء عن ابن عباس: أن صالحاً النبي ﷺ بعثه الله إلى قومه، فأمنوا به واتبعوه، فمات صالح، فرجعوا عن الإسلام، فأتاهم صالح، فقال لهم: أنا صالح، قالوا: إن كنت صادقاً فأتنا بآية، فأتاهم بالناقة، فكذبوه وعقروها، فعذبهم الله. وقوله: ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قال صالح لثمود لما سأله آية يعلمون بها صدقه، فأتاهم بناقة أخرجها من صخرة أو هضبة: هذه ناقة يا قوم، لها شرب ولكم مثله شرب يوم آخر معلوم، ما لكم من الشرب، ليس لكم في يوم وردها أن تشربوا من شرها شيئاً، ولا لها أن تشرب في يومكم مما لكم شيئاً. ويعني بالشرب: الحظ والنصيب من الماء، يقول: لها حظ من الماء، ولكم مثله، والشرب والشرب والشرب مصادر كلها بالضم والفتح والكسر. وقد حكي عن العرب سماعاً: آخرها أقلها شرباً وشرباً. وقوله: ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ يقول: لا تمسوها بما يؤذيها من عقر وقتل ونحو ذلك.

وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ ^(١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١٥٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ^(١٥٩) يقول تعالى ذكره، فخالفت ثمود أمر نبيها صالح عليه السلام، فعقروا الناقة التي قال لهم صالح: لا تمسوها بسوء، فاصبحوا نادمين على عقرها، فلم ينفعهم ندمهم، وأخذهم عذاب الله الذي كان صالح توعدهم به فأهلكهم. ^(١٦٠) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول: إِنَّ فِي إِهْلَاكِ ثَمُودَ بِمَا فَعَلْتَ مِنْ عَقْرِهَا نَاقَةَ اللَّهِ وَخِلَافِهَا أَمْرَ نَبِيِّ اللَّهِ صَالِحٍ لَعِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْمِكَ. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وَلَنْ يَزُومَنَّ أَكْثَرُهُمْ فِي سَابِقِ عِلْمِ اللَّهِ. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي انتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِمَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ^(١٦١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ^(١٦٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ^(١٦٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١٦٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ^(١٦٥) يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾ مِنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مِنَ الرُّسُلِ حِينَ ﴿قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَوْمُ. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿أَمِينٌ﴾ عَلَى وَحْيِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ، أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ عِقَابُهُ عَلَى تَكْذِيبِكُمْ رَسُولَهُ ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فِيْمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ أَهْدَكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ مِنْ أَجْرِ يَقُولُ: وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَى نَصِيحَتِي لَكُمْ وَدَعَايَتِكُمْ إِلَى رَبِّي جَزَاءً وَلَا ثَوَابًا. يقول: مَا جَزَائِي عَلَى دَعَايَتِكُمْ إِلَى اللَّهِ، وَعَلَى نَصِيحَتِي لَكُمْ وَتَبْلِيغِ رِسَالَاتِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١٦٦) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ^(١٦٧) يعني بقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: أَنْتُمْ تَحْوَنُ الذِّكْرَانَ مِنْ بَنِي آدَمَ فِي أَدْبَارِهِمْ. وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ يقول: وَتَدْعُونَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ مِنْ فُرُوجِهِمْ، فَأَحْلَهُ لَكُمْ. وَذَكَرَ أَنَّ ذَلِكَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "وَتَذَرُونَ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ". وينحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ يقول: بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَتَجَاوَزُونَ مَا أَبَاحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ، وَأَحْلَهُ لَكُمْ مِنَ الْفُرُوجِ إِلَى مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ مِنْهَا. كما جاء عن ابن جريج: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ قال: قَوْمٌ مَعْتَدُونَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ^(١٦٨) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ^(١٦٩) يقول تعالى ذكره: قال قوم لوط: ﴿لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُ يَا لُوطُ﴾ عَنْ نَهْيِنَا عَنْ إِيْتَانِ الذِّكْرَانَ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِنَا وَبَلَدِنَا. ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ يقول لهم لوط: إِنِّي لِعَمَلِكُمُ الَّذِي تَعْمَلُونَهُ مِنْ إِيْتَانِ الذِّكْرَانَ فِي أَدْبَارِهِمْ مِنَ الْقَالِينَ، يَعْنِي مِنَ الْمُبْغِضِينَ، الْمُنْكَرِينَ فَعَلَهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ^(١٧٠) فَتَجَبَّأَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ^(١٧١) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ^(١٧٢) يقول تعالى ذكره: فَاسْتَغَاثَ لُوطٌ حِينَ تَوَعَّدَهُ قَوْمُهُ بِالْإِخْرَاجِ مِنْ بَلَدِهِمْ إِنْ هُوَ لَمْ يَنْتَهُ عَنْ نَهْيِهِمْ عَنْ رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ، فَقَالَ ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي﴾ مِنْ عِقَابَتِكَ يَا هُمْ عَلَى مَا يَعْمَلُونَ مِنْ إِيْتَانِ الذِّكْرَانَ. ﴿فَتَجَبَّأَهُ وَأَهْلَهُ﴾ مِنْ عِقَابَتِنَا الَّتِي عَاقَبْنَا بِهَا قَوْمَ لُوطٍ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ. يعني في الباقي، لطول مرور السنين عليها، فصارت هرمة، فإنها أهلكت من بين أهل لوط، لأنها كانت تدل قومها على الأضياف. وقد قيل: إنما قيل من الغابرين لأنها لم تهلك مع قومها في قريتهم،

وأنها إنما أصابها الحجر بعد ما خرجت عن قريتهم مع لوط وابنتيه، فكانت من الغابرين بعد قومها، ثم أهلكها الله بما أمطر على بقايا قوم لوط من الحجارة، وقد بينا ذلك فيما مضى بشواهد المغنية عن إعادتها.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الآخرين من قوم لوط بالتدمير. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وذلك إرسال الله عليهم حجارة من سجيل من السماء. ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يقول: فبئس ذلك المطر مطر القوم الذين أنذرهم نبيهم فكذبوه. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إهلاكنا قوم لوط الهلاك الذي وصفنا بتكذيبهم رسولنا، لعبرة وموعظة لقومك يا محمد، يتعظون بها في تكذيبهم إياك، وردهم عليك ما جتتهم به من عند ربك من الحق ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في سابق علم الله ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ بمن آمن به

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٧٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ والأيكه: الشجر الملتف، وهي واحدة الأيك، وكل شجر ملتف فهو عند العرب أيكه؛ وأصحاب الأيكه: هم أهل مدين فيما ذكر. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: قال لهم شعيب: ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم ربكم؟ ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْ اللَّهِ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على وحيه. ﴿فَاتَّقُوا﴾ عقاب ﴿اللَّهِ﴾ على خلافكم أمره ﴿وَأَطِيعُوا﴾ ترشدوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ يقول: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ على نصحي لكم من جزاء وثواب، ما جزائي وثوابي على ذلك ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾. يقول: أوفوا الناس حقوقهم من الكيل. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ يقول: ولا تكونوا ممن نقصهم حقوقهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ يعني بقوله ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ وزنوا بالميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ الذي لا بخس فيه على من وزنتم له. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ يقول: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في الكيل والوزن. ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ يقول: ولا تكثروا في الأرض الفساد. قد بينا ذلك كله بشواهد، واختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأُولَى ﴿٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿واتقوا﴾ أيها القوم عقاب ربكم ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الْجِبِلَّةَ الْأُولَى﴾ يعني بالجبل: الخلق الأولين. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ يقول: قالوا: إنما أنت يا شعيب معلل تعلل بالطعام والشراب، كما نعلل بهما، ولست ملكا. ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ تأكل وتشرب ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾. يقول: وما نحسبك فيما تخبرنا وتدعونا إليه، إلا ممن يكذب فيما يقول، فإن كنت صادقا فيما تقول بأنك رسول الله كما

تزعّم ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعني قطعاً من السماء، وهي جمع كِسْفَةٍ، جمع كذلك كما تجمع تمرّة: تمرّاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٩﴾ يقول تعالى ذكره: قال شعيب لقومه: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقول: بأعمالهم هو بها محيط، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها جزاءكم. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يقول: فكذّبه قومه. ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ يعني بالظلة: سحابة ظللتهم، فلما تناموا تحتها التهب عليهم ناراً، وأحرقتهم، وبذلك جاءت الآثار. وكان قتادة يقول: بعث شعيب إلى أمتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة. وكانت الأيكة من شجر ملتف؛ فلما أراد الله أن يعذبهم، بعث الله عليهم حرّاً شديداً، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة؛ فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بردها، فلما كانوا تحتها مطرت عليهم ناراً. قال: فذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ وقال يزيد البايلي، قال: سألت عبد الله بن عباس، عن هذه الآية: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فقال عبد الله بن عباس: بعث الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلمت من الشمس، فوجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم ناراً. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظلة، إنه كان عذاب يوم عظيم. وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن عذاب يوم الظلة كان عذاب يوم لقوم شعيب عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨١﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تعذيبنا قوم شعيب عذاب يوم الظلة، بتكذيبهم نبهم شعيباً، لآية لقومك يا محمد، وعبرة لمن اعتبر، إن اعتبروا أن ستننا فيهم بتكذيبهم إياك، ستننا في أصحاب الأيكة. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في سابق علمنا فيهم ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في نعمته ممن انتقم منه من أعدائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من خلقه، وأناب إلى طاعته.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٨٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٨٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٨٥﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا القرآن لتنزيل ربِّ العالمين والهاء في قوله وإنه كناية الذكر الذي في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وبنحو الذي قلنا في أن المعني بالروح الأمين في هذا الموضع جبريل قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله عَلَى قَلْبِكَ يقول: نزل به الروح الأمين قتلاه عليك يا محمد، حتى وعيته بقلبك. وقوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ يقول: لتكون من رسل الله الذين كانوا ينذرون من أرسلوا إليه من قومهم، فتندر بهذا التنزيل قومك المكذبين بآيات الله. وقوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ يقول: لتندر قومك بلسان عربي مبين، يبين لمن سمعه أنه عربي، وبلسان العرب نزل، والباء من قوله بلسان من صلة قوله: نزل، وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلاما منه مشرقي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأننا لا نفهمه، وإنما هذا تقرير لهم، وذلك أنه تعالى ذكره

قال: وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ. ثم قال: لم يعرضوا عنه لأنهم لا يفهمون معانيه، بل يفهمونها، لأنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين بلسانهم العربي، ولكنهم أعرضوا عنه تكديبا به واستكبارا فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. كما أتى هذه الأمم التي قصصنا نبأها في هذه السورة حين كذبت رسلها أنباء ما كانوا به يكذبون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٦١ ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ١٦٢ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ ١٦٣ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٦٤ ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ١٦٥ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ١٦٦ ﴿يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ: يعني في كتب الأولين، وخرج مخرج العموم ومعناه الخصوص، وإنما هو: وإن هذا القرآن لفِي بعض زبر الأولين؛ يعني: أن ذكره وخبره في بعض ما نزل من الكتب على بعض رسله. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: أولم يكن لهؤلاء المعرضين عما يأتيك يا محمد من ذكر ربك، دلالة على أنك رسول رب العالمين، أن يعلم حقيقة ذلك وصحته علماء بني إسرائيل. وقيل: عني بعلماء بني إسرائيل في هذا الموضع: عبد الله بن سلام ومن أشبهه ممن كان قد آمن برسول الله ﷺ من بني إسرائيل في عصره. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: كان عبد الله بن سلام من علماء بني إسرائيل، وكان من خيارهم، فأمن بكتاب محمد ﷺ، فقال لهم الله: أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل وخيارهم. وجاء عن قتادة، في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: أولم يكن للنبي آية، علامة أن علماء بني إسرائيل كانوا يعلمون أنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم؟ وقوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق، وإنما قيل على بعض الأعجمين، ولم يقل على بعض الأعجميين، لأن العرب تقول إذا نعت الرجل بالعجمة وأنه لا يفصح بالعربية: هذا رجل أعجم، وللمرأة: هذه امرأة عجماء، وللجماعة: هؤلاء قوم عجم وأعجمون، وإذا أريد هذا المعنى وصف به العربي والأعجمي، لأنه إنما يعني أنه غير فصيح اللسان، وقد يكون كذلك، وهو من العرب فأما إذا أريد به نسبة الرجل إلى أصله من العجم، لا وصفه بأنه غير فصيح اللسان، فإنه يقال: هذا رجل عجمي، وهذان رجلان عجميان، وهؤلاء قوم عجم، كما يقال: عربي، وعربيان، وقوم عرب. وإذا قيل: هذا رجل أعجمي، فإنما نسب إلى نفسه كما يقال للأحمر: هذا أحمر ضخم، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن محمد بن أبي موسى، قال: كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة، فتلا هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ قال: لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ حتى يفقهه عربي وعجمي، لو فعلنا ذلك. وقوله ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: قرأ هذا القرآن على كفار قومك يا محمد الذين حتمت عليهم أن لا يؤمنوا ذلك الأعجم ما كانوا به مؤمنين. يقول: لم يكونوا ليؤمنوا به، لما قد جرى لهم في سابق علمي من الشقاء، وهذا تسلية من الله نبيه محمدا ﷺ عن قومه، لئلا يشتد وجده بإدبارهم عنه، وإعراضهم عن الاستماع لهذا القرآن، لأنه كان ﷺ شديدا حرصه على قبولهم منه، والدخول فيما دعاهم إليه، حتى عاتبه ربه على شدة حرصه على ذلك منهم، فقال له: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ثم

قال مؤيسه من إيمانهم وأنهم هالكون ببعض مثلاته، كما هلك بعض الأمم الذين قص عليهم قصصهم في هذه السورة. ولو نزلناه على بعض الأعجمين يا محمد لا عليك، فإنك رجل منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأ ذلك الأعجم عليهم هذا القرآن، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه تنزيل من عندي، ما كانوا به مصدقين، ففخض من حرصك على إيمانهم به، ثم وكد تعالى ذكره الخبر عما قد حتم على هؤلاء المشركين، الذين آيس نبيه محمدا ﷺ من إيمانهم من الشقاء والبلاء، فقال: كما حتمنا على هؤلاء أنهم لا يؤمنون بهذا القرآن ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ﴾ التكذيب والكفر ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾. ويعني بقوله: سلكنا: أدخلنا، والهاء في قوله ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ كناية من ذكر قوله ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾، كأنه قال: كذلك أدخلنا في قلوب المجرمين ترك الإيمان بهذا القرآن. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وغيره وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ يقول: فعلنا ذلك؛ بهم لثلا يصدّقوا بهذا القرآن، حتى يروا العذاب الأليم في عاجل الدنيا، كما رأيت ذلك الأمم الذين قص الله قصصهم في هذه السورة. ورفع قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن العرب من شأنها إذا وضعت في موضع مثل هذا الموضع "لا" ربما جزمت ما بعدها، وربما رفعت فتقول: ربطت الفرس لا تنفلت، وأحكمت العقد لا ينحل، جزما ورفعاً. وإنما تفعل ذلك لأن تأويل ذلك: إن لم أحكم العقد انحل، فجزمه على التأويل، ورفع به بأن الجازم غير ظاهر

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٥﴾ يقول تعالى ذكره: فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن، العذاب الأليم بغتة، يعني فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: لا يعلمون قبل ذلك بمجيئه حتى يفجأهم بغتة. ﴿فَيَقُولُوا﴾ حين يأتيهم بغتة ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: أي هل نحن مؤخر عنا العذاب، ومُنْسَأٌ في آجالنا لتوب، ونيب إلى الله من شركنا وكفرنا بالله، فراجع الإيمان به، ونيب إلى طاعته؟. وقوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفبعذابنا هؤلاء المشركون يستعجلون بقولهم: لن نؤمن لك حتى تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٧﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يقول تعالى ذكره: ثم جاءهم العذاب الذي كانوا يوعدون على كفرهم بآياتنا، وتكذيبهم رسولنا. ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ يقول: أي شيء أغنى عنهم التأخير الذي أخرنا في آجالهم، والمتاع الذي متعناهم به من الحياة، إذ لم يتوبوا من شركهم، هل زادهم تمتيعنا إياهم ذلك إلا خبالاً؟، وهل نفعهم شيئاً؟، بل ضرهم بازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الإجمام ما لو لم يمتنعوا لم يكتسبوه. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٣١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٣٣﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ من هذه القرى التي وصفت في هذه السور ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ يقول: إلا بعد إرسالنا إليهم رسلاً يندرونهم بأسنا على كفرهم وسخطنا عليهم. ﴿ذَكَرَىٰ﴾ يقول: إلا لها منذرون يندرونهم، تذكرة لهم وتنبيهها لهم على ما فيه النجاة لهم من عذابنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك

قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج قوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يقول: وما كنا ظالمينهم في تعذيبناهم وإهلاكهم، لأننا إنما أهلكناهم، إذ عتوا علينا، وكفروا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الإعذار عليهم والإنذار، ومتابعة الحجج عليهم بأن ذلك لا ينبغي أن يفعلوه، فأبوا إلا التماسي في الغي. وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: وما تنزلت بهذا القرآن الشياطين على محمد، ولكنه ينزل به الروح الأمين. ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ يقول: وما ينبغي للشياطين أن ينزلوا به عليه، ولا يصلح لهم ذلك. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يقول: وما يستطيعون أن ينزلوا به، لأنهم لا يصلون إلى استماعه في المكان الذي هو به من السماء. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعُزُولُونَ﴾ يقول: إن الشياطين عن سماع القرآن من المكان الذي هو به من السماء لمعزولون، فكيف يستطيعون أن ينزلوا به. وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ ١٣ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ١٤ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٥ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ يا محمد ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي لا تعبد معه معبودا غيره ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ فينزل بك من العذاب ما نزل بهؤلاء الذين خالفوا أمرنا وعبدوا غيرنا. وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ يقول جل ثناؤه لنبية محمد ﷺ: وأندِرْ عشيرتك من قومك الأقربين إليك قرابة، وحذرهم من عذابنا أن ينزل بهم بكفرهم. وذكر أن هذه الآية لما نزلت، بدأ بني جده عبد المطلب وولده، فحذرهم وأندرهم. كالذي جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: "يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرَوْا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلِينِي مَا شِئْتَ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا". وجاء عن علي بن أبي طالب: لما نزلت هذه الآية علي رسول الله ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعاني رسول الله ﷺ، فقال لي: "يا علي، إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ"، قال: "فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنني متى ما أنادهم بهذا الأمر أُرْمَى منهم ما أكره، فصمت حتى جاء جبرائيل، فقال: يا محمد، إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ مَا تَوْمَرُ بِهِ يَعَذِّبُكَ رَبُّكَ. فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عسا من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب، حتى أكلهم، وأبلغهم ما أمرت به"، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلما وضعته تناول رسول الله ﷺ حَذِيَّةَ مِنَ اللَّحْمِ فَشَقَّهَا بِأَسْنَانِهِ، ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي نَوَاحِي الصَّحْفَةِ، قَالَ: "خَذُوا بِاسْمِ اللَّهِ"، فَأَكَلَ الْقَوْمُ حَتَّى مَا لَهُمْ بَشْيَاءُ حَاجَةٌ، وَمَا أَرَى إِلَّا مَوَاضِعَ أَيْدِيهِمْ؛ وَإِيمَ اللَّهِ الَّذِي نَفْسُ عَلِيٍّ بِيَدِهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدَ لِيَأْكُلَ مَا قَدِمْتُ لَجَمِيعِهِمْ، ثُمَّ قَالَ: "اسْقِ النَّاسَ"، فَجِئْتُهُمْ بِذَلِكَ الْعَسِ، فَشَرَبُوا حَتَّى رَوَوْا مِنْهُ جَمِيعًا، وَإِيمَ اللَّهِ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ لِيَشْرَبَ مِثْلَهُ؛ فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكْلِمَهُمْ، بَدَرَ أَبُو لَهَبٍ إِلَى الْكَلَامِ، فَقَالَ: لَهْدٌ مَا سَحَرَكُم بِهِ صَاحِبُكُمْ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَكْلِمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: "الْعَدُّ يَا عَلِيُّ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَى مَا قَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْقَوْلِ، فَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ قَبْلَ أَنْ أَكْلِمَهُمْ فَأَعَدَّ لَنَا مِنَ الطَّعَامِ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتُ، ثُمَّ أَجْمَعُهُمْ لِي"، قَالَ: ففعلت ثم

جمعتهم، ثم دعاني بالطعام، فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة، قال: "اسقهم"، فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رروا منه جميعاً، ثم تكلم رسول الله ﷺ، فقال: "يا بني عبد المطلب، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئكم به، إني قد جئكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأبكم يؤازرني على هذا الأمر، على أن يكون أخي" وكذا وكذا؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت وإني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطناً، وأحشمهم ساقاً. أنا يا نبي الله أكون وزيرك، فأخذ برقبتي، ثم قال: "إن هذا أخي" وكذا وكذا، "فاسمعوا له وأطيعوا"، قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع! وقوله: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ﴾ يقول: وألن جانبك وكلامك ﴿لَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٣٣ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٣٤ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ٣٥ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ٣٦ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٧ يقول تعالى ذكره: فإن عصمتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان، والإشراك بالرحمن، فقل لهم: ﴿إِنَّي بِرِءٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة الأصنام ومعصية باري الأنام. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ﴾ في نعمته من أعدائه ﴿الرَّحِيمِ﴾ بمن أناب إليه وتاب من معاصيه. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ يقول: الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك. وكان مجاهد يقول في تأويل، قوله: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قال: أينما كنت. ﴿وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بتأويله قول من قال تأويله: ويرى تقلبك مع الساجدين في صلاتهم معك، حين تقوم معهم وتركع وتسجد، لأن ذلك هو الظاهر من معناه. فأما قول من وجهه إلى أن معناه: وتقلبك في الناس، فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجه، لأنه وإن كان لا شيء إلا وظله يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل: فلان مع الساجدين، أو في الساجدين، أنه مع الناس أو فيهم، بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود، السجود المعروف، وتوجيه معاني كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر. وكذلك أيضاً في قول من قال: معناه: تتقلب في أبصار الساجدين، وإن كان له وجه، فليس ذلك الظاهر من معانيه. فتأويل الكلام إذن: وتوكل على العزيز الرحيم، الذي يراك حين تقوم إلى صلاتك، ويرى تقلبك في المؤمنين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس. وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن ربك هو السميع تالوتك يا محمد، وذكرك في صلاتك ما تتلو وتذكر، العليم بما تعمل فيها ويعمل فيها من يتقلب فيها معك مؤتما بك، يقول: فرتل فيها القرآن، وأقم حدودها، فإنك بمرأى من ربك ومسمع.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ٣٨ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٣٩ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ٤٠ يقول تعالى ذكره: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ من الناس؟ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾ يعني كذاب بهات ﴿أثِيمٍ﴾ يعني: أثم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ يقول تعالى ذكره: يلقي الشياطين السمع، وهو ما يسمعون مما استرقوا سمعه من حين حدث من السماء، إلى ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ من أوليائهم من بني آدم. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾

يقول: وأكثر من تنزل عليه الشياطين كاذبون فيما يقولون ويخبرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عائشة قالت: الشياطين تسترق السمع، فتجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليه؛ قال: ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۚ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾ يقول تعالى ذكره: والشعراء يتبعهم أهل الغي في هذا الموضوع قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجن، وذلك أن الله عم بقوله: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فلم يخص بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم تريا محمد أنهم، - يعني الشعراء - في كل واد يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرا على الحق، وطريق، الرشاد، وقصد السبيل. وإنما هذا مثل ضربه الله لهم في افتنانهم في الوجوه التي يفتنون فيها بغير حق، فيمدحون بالباطل قوما ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهذا استثناء من قوله ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وذكر أن هذا الاستثناء نزل في شعراء رسول الله ﷺ، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ثم هو لكل من كان بالصفة التي وصفه الله بها. وبالذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار. كالذي جاء عن أبي الحسن سالم البراد مولى تميم الداري، قال: لما نزلت: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ، وهم يبيكون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۚ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. وقوله: ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ اختلف أهل التأويل في حال الذكر الذي وصف الله به هؤلاء المستثنين من الشعراء قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الذين استثناهم من شعراء المؤمنين بذكر الله كثيرا، ولم يخص ذكرهم الله على حال دون حال في كتابه، ولا على لسان رسوله، فصفتهم أنهم يذكرون الله كثيرا في كل أحوالهم. وقوله: ﴿وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ يقول: وانتصروا ممن هجاهم من شعراء المشركين ظلما بشعرهم وهجائهم إياهم، وإجابتهم عما هجوههم به. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقيل: عني بذلك كله الرهط الذين ذكرت. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم بالله من أهل مكة ﴿أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ يقول: أي مرجع يرجعون إليه، وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم، فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها، ولا يسكن لها بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

تفسير سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ١ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣﴾ قال أبو جعفر: وقد بينا القول فيما مضى من كتابنا هذا فيما كان من حروف المعجم في فواتح السور، فقله: ﴿طَسَّ﴾ من ذلك. وقد روي عن ابن عباس أن قوله: ﴿طَسَّ﴾ قسم أقسمه الله هو من أسماء الله. فالواجب على هذا القول أن يكون معناه: والسميع اللطيف، إن هذه الآيات التي أنزلها إليك يا محمد لآيات القرآن، وآيات كتاب مبين: يقول: يبين لمن تدبره، وفكر فيه بفهم أنه من عند الله، أنزله إليك، لم تتخرصه أنت ولم تتقوله، ولا أحد سواك من خلق الله، لأنه لا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثله، ولو تظاهر عليه الجن والإنس. وخفض قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ عطفًا به على القرآن. وقوله: ﴿هُدًى﴾ من صفة القرآن. يقول: هذه آيات القرآن بيان من الله بين به طريق الحق وسبيل السلام. ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: وبشارة لمن آمن به، وصدق بما أنزل فيه بالفوز العظيم في المعاد. وفي قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾ وجهان من العربية: الرفع على الابتداء بمعنى: هو هدى وبُشْرَى. والنصب على القطع من آيات القرآن، فيكون معناه: تلك آيات القرآن الهدى والبُشْرَى للمؤمنين، ثم أسقطت الألف واللام من الهدى والبُشْرَى، فصارا نكرة، وهما صفة للمعرفة فنصبا. وقوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يقول: هو هدى وبُشْرَى لمن آمن بها، وأقام الصلاة المفروضة بحدودها. وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ يقول: ويؤدّون الزكاة المفروضة. وقيل: معناه: ويظهرون أجسادهم من دنس المعاصي. وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يقول: وهم مع إقامتهم الصلاة، وإيتائهم الزكاة الواجبة، بالمعاد إلى الله بعد الممات يوقنون، فيذلون في طاعة الله، رجاء جزيل ثوابه، وخوف عظيم عقابه، وليسوا كالذين يكذبون بالبعث، ولا يبالون، أحسنوا أم أساءوا، وأطاعوا أم عصوا، لأنهم إن أحسنوا لم يرجوا ثوابا، وإن أساءوا لم يخافوا عقابا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ٥﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذين لا يصدقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب. زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ يقول: حينئذٍ إليهم قبيح أعمالهم، وسهّلنا ذلك عليهم. فَهُمْ يَعْمَهُونَ يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زينها لهم يترددون حيارى يحسبون أنهم يحسنون. وقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة لهم سوء العذاب في الدنيا، وهم الذين قتلوا بيد من مشركي قريش. يقول: وهم يوم القيامة هم الأوضعون تجارة والأوكسوها باشرائهم الضلالة بالهدى فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلتَّالِي لِقَالِ الْفَرَّانِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٧ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنَ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٨﴾ يقول تعالى ذكره: وإنك يا محمد لتحفظ القرآن وتعلمه ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه ومصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم، والحادث منها. ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى﴾ وإذ من صلة عليم. ومعنى الكلام: عليم حين قال موسى ﴿لأهله﴾ وهو في مسيره من مدين إلى مصر، وقد آذاهم برد ليلهم لما أصلد زنده. ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي أبصرت نارا أو أحسستها، فامكثوا مكانكم ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بَخْرٌ﴾ يعني من النار، والهاء والألف من ذكر النار ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ يقول: كي تصطلوا بها من البرد. وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ يقول: فلما جاء موسى النار التي آنسها ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾. كما جاء عن ابن عباس واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ فقال بعضهم: عنى جل جلاله بذلك نفسه، وهو الذي كان في النار، وكانت النار نوره تعالى ذكره في قول جماعة من أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون: بل معنى ذلك: بوركت النار. كما جاء عن مجاهد وغيره واختلف أهل التأويل في معنى النار في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: النور، كما ذكرت عن ذكر ذلك عنه. وقال آخرون: معناه النار لا النور. كما جاء عن سعيد بن جبير، أنه قال: حجاب العزة، وحجاب الملك، وحجاب السلطان، وحجاب النار، وهي تلك النار التي نودي منها. قال: وحجاب النور، وحجاب الغمام، وحجاب الماء، وإنما قيل: بورك من في النار، ولم يقل: بورك فيمن في النار على لغة الذين يقولون: باركك الله. والعرب تقول: باركك الله، وبارك فيك. وقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ يقول: ومن حول النار. وقيل: عنى بمن حولها: الملائكة. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقول: وتنزيها لله رب العالمين، مما يصفه به الظالمون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلِينَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ١١﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لموسى: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ في نعمته من أعدائه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره في خلقه، والهاء التي في قوله: ﴿إِنَّهُ﴾ هاء عماد، وهو اسم لا يظهر في قول بعض أهل العربية. وقال بعض نحويي الكوفة: يقول هي الهاء المجهولة، ومعناها: أن الأمر والشأن: أنا الله. وقوله: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ في الكلام محذوف ترك ذكره، استغناء بما ذكر عما حذف، وهو فألقاها فصارت حية تهتز ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ يقول: كأنها حية عظيمة، والجنان: جنس من الحيات معروف. وقال ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ قال: حين تحولت حية تسعى، وهذا الجنس من الحيات عنى الراجز بقوله: يَرَفَعْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا مَا أَسْدَفَا... أَعْنَاقَ جَنَانٍ وَهَامَا رُجْمًا وَعَنْقًا بَعْدَ الرَّسِيمِ خَيْطًا وَقوله: ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ يقول تعالى ذكره: ولَّى موسى هاربا خوفا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يقول: ولم يرجع. من قولهم: عقب فلان: إذا رجع على عقبه إلى حيث بدأ. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن ابن زيد، في قوله:

﴿وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ قال: لم يرجع ﴿يَا مُوسَى﴾ قال: لما ألقى العصا صارت حية، فرعب منها وجزع، فقال الله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال: فلم يرجعوا لذلك، قال: فقال الله له: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ قال: فلم يقف أيضا على شيء من هذا حتى قال: ﴿سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ قال: فالتفت فإذا هي عصا كما كانت، فرجع فأخذها، ثم قوي بعد ذلك حتى صار يرسلها على فرعون ويأخذها. وقوله: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يقول تعالى ذكره: فناداه ربه: يا موسى لا تخف من هذه الحية، إني لا يخاف لدي المرسلون. يقول: إني لا يخاف عندي رسلي وأنبيائي الذين أختصهم بالنبوة، إلا من ظلم منهم، فعمل بغير الذي أذن له في العمل به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فمن أتى ظلما من خلق الله، وركب مائثما، ثم بدل حسنا، يقول: ثم تاب من ظلمه ذلك وركوبه المائثم، ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ يقول: فإني ساتر على ذنبه وظلمه ذلك بعفوي عنه، وترك عقوبته عليه ﴿رَحِيمٌ﴾ به أن أعاقبه بعد تبديله الحسن بفسده. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله لنبية موسى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ ذكر أنه تعالى ذكره أمره أن يدخل كفه في جيبه؛ وإنما أمره بإدخاله في جيبه، لأن الذي كان عليه يومئذ مدرعة من صوف. قال بعضهم: لم يكن لها كم. وقال بعضهم: كان كمها إلى بعض يده. كما جاء عن ابن مسعود وغيره وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾ يقول: تخرج اليد بيضاء بغير لون موسى ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يقول: من غير برص ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾، يقول تعالى ذكره: أدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء، فهي آية في تسع آيات مرسلة أنت بهن إلى فرعون؛ وترك ذكر مرسلة لدلالة قوله ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ على أن ذلك معناه، ومعنى الكلام: رأيتي مقبلا بحبليها، فترك ذكر "مقبل" استغناء بمعرفة السامعين معناه في ذلك، إذ قال: رأيتي بحبليها؛ ونظائر ذلك في كلام العرب كثيرة. والآيات التسع: هن الآيات التي بيناهن فيما مضى. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ قال: هي التي ذكر الله في القرآن: العصا، واليد، والجراد، والقمل، والضفادع، والطوفان، والدم، والحجر، والطمس الذي أصاب آل فرعون في أموالهم. وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ يقول: إن فرعون وقومه من القبط كانوا قوما فاسقين، يعني كافرين بالله، وقد بينا معنى الفسق فيما مضى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما جاءت فرعون آياتنا، يعني: أدلتنا وحججنا، على حقيقة ما دعاهم إليه موسى وصحته، وهي الآيات التسع التي ذكرناها قبل. وقوله ﴿مُبْصِرَةً﴾ يقول: يبصر بها من نظر إليها ورآها حقيقة ما دلت عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ يقول: وكذبوا بالآيات التسع أن تكون من عند الله. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ يعني بالظلم: الاعتداء، والعلو: الكبر، كأنه قيل: اعتداء وتكبرا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾. ويقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة، وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم، وأعقبهم ما فعلوا، فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون، وزرع ومقام كريم، إلى هلاك في العاجل بالغرق، وفي الآجل إلى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون. يقول: وكذلك يا محمد ستي في الذين كذبوا بما جنتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قولك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ وذلك علم كلام الطير والدواب، وغير ذلك مما خصهم الله بعلمه. ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: وقال داود وسليمان: الحمد لله الذي فضلنا بما خصنا به من العلم الذي آتانا، دون سائر خلقه من بني آدم في زماننا هذا على كثير من عباده المؤمنين به في دهرنا هذا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (١٦) يقول تعالى ذكره: ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ﴾ أباه ﴿دَاوُدَ﴾ العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والمُلك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ يقول: وقال سليمان لقومه: يا أيها الناس علمنا منطق الطير، يعني فهمنا كلامها؛ وجعل ذلك من الطير كمنطق الرجل من بني آدم إذ فهمه عنها. وقد جاء عن محمد بن كعب: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ قال: بلغنا أن سليمان كان عسكره مائة فرسخ: خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب؛ فيها ثلاث مائة صريحة، وسبع مائة سرية، فأمر الريح العاصف فرفعته، وأمر الرخاء فسيرته، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: إني قد أردت أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح فأخبرته. وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأعطينا ووهب لنا من كل شيء من الخيرات ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ يقول: إن هذا الذي أوتينا من الخيرات لهو الفضل على جميع أهل دهرنا المبين، يقول: الذي يبين لمن تأمله وتدبره أنه فضل أعطيناه على من سوانا من الناس.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) يقول تعالى ذكره: وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير في مسير لهم، فهم يوزعون. واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: يرد أولهم على آخرهم؛ وذلك أن الوازع في كلام العرب هو الكاف، يقال منه: وزع فلان فلانا عن الظلم: إذا كفه عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٨) يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِي النَّمْلِ﴾ حتى إذا أتى سليمان وجنوده على وادي النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا

مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ يَقُولُ: لَا يَكْسِرُنَكُمْ وَيَقْتُلُنَكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وهم لا يعلمون أنهم يحطمونكم. كما جاء عن عوف

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فتبسسم سليمان ضاحكا من قول النملة التي قالت ما قالت، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يعني بقوله ﴿أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ يقول: وأوزعني أن أعمل بطاعتك وما ترضاه ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ يقول: وأدخلني برحمتك مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك وانتخبهم لوحيك، يقول: أدخلني من الجنة مدخلهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَتَقَفَّذَ﴾ سليمان الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ. وكان سبب تفقده الطير وسؤاله عن الهدهد خاصة من بين الطير، ما جاء عن أبي مجلز، قال: جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام، فسأله عن الهدهد: لم تفقده سليمان من بين الطير فقال عبد الله بن سلام: إن سليمان نزل منزلة في مسير له، فلم يدر ما بُعد الماء، فقال: من يعلم بُعد الماء؟ قالوا: الهدهد، فذاك حين تفقده. وكما جاء عن ابن عباس، قال: كان سليمان بن داود يوضع له ست مائة كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه، ثم تجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس قال: ثم يدعو الطير فتنظرهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، قال: فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، قال: فيبنا هو في مسيره إذ احتاج إلى الماء وهو في فلاة من الأرض، قال: فدعا الهدهد، فجاءه فنقر الأرض، فيصيب موضع الماء، قال: ثم تجيء الشياطين فيسلخونه كما يسلم الإهاب، قال: ثم يستخرجون الماء. فقال له نافع بن الأزرق: فق يا وقاق، رأيت قولك الهدهد يجيء فينقر الأرض، فيصيب الماء، كيف يبصر هذا، ولا يبصر الفخ يجيء حتى يقع في عنقه؟ قال: فقال له ابن عباس: ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر. وقال وهب بن منبه: كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنوبة التي كان ينوبها، والله أعلم بأي ذلك كان إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل، ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح. فالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير، إما للنوبة التي كانت عليها وأخلت بها، وإما لحاجة كانت إليها عن بُعد الماء. وقوله: ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ يعني بقوله ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ أخطأه بصري فلا أراه وقد حضر أم هو غائب فيما غاب من سائر أجناس الخلق فلم يحضر؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب بن منبه وقوله: ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يقول: فلما أخبر سليمان عن الهدهد أنه لم يحضر، وأنه غائب غير شاهد، أقسم ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وكان تعذيبه الطير فيما ذكر عنه إذا عذبها أن يتنف ريشها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ يقول: أو ليأتيني بحجة تبين لسامعها صحتها وحقيقتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل

التأويل. كما جاء عن ابن عباس قوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ. كَمَا جَاءَ عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ سُلْطَانٌ، فَهُوَ حُجَّةٌ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد. وقوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ يقول: فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: أحطت بعلم ما لم تحط به أنت يا سليمان. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ يقول: وجئتك من سبأ بخبر يقين. كما جاء عن ابن وهب

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول تعالى مخبرا عن قيل الهدهد لسليمان مخبرا بعذره في مغيبه عنه: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ يعني تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان، درأ به عنه ما كان أوعده به؛ لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدا له مملكة معه، وكان مع ذلك رجلا حبيب إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفره يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضم مملكة لغيره إلى ملكه، حقت للهدهد المعذرة، وصححت له الحجة في مغيبه عن سليمان. وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول: وأوتيت من كل شيء يؤتاه الملك في عاجل الدنيا مما يكون عندهم من العتاد والآلة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ يقول: ولها كرسي عظيم. وعني بالعظيم في هذا الموضع: العظيم في قدره، وعظم خطره، لا عظمه في الكبر والسعة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قال: سرير كريم، قال: حسن الصنعة، وعرشها: سرير من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ. وقوله: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبأ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله. وقوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله، وحجب ذلك إليهم ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ يقول: فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله الذي بعث به أنبياءه، ومعناه: فصدهم عن سبيل الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيب في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت عبارتهم عنه. كما جاء عن ابن زيد وغيره ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ يقول: ويعلم السر من أمور خلقه، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم والعلانية منها، وقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو، لا

معبود سواه تصلح له العبادة، فأخلصوا له العبادة، وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئا ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يعني بذلك: مالك العرش العظيم الذي كل عرش، وإن عظم، فدونه، لا يُشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (٨) يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنْظُرُ﴾ فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيتك عنا، وفيما جئتنا به من الخير ﴿أَصَدَقْتَ﴾ في ذلك كله ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه ﴿اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ فاختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معناه: اذهب بكتابي هذا، فألقه إليهم، فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصرفا إليّ، فقال: هو من المؤخر الذي معناه التقديم. كما قال ابن زيد: فأجابه سليمان، يعني أجاب الهدهد لما فرغ: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ﴾ وانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم منصرفا إلي. وقال: وكانت لها كوة مستقبلة الشمس، ساعة تطلع الشمس تطلع فيها فتسجد لها، فجاء الهدهد حتى وقع فيها فسدها، واستبطأت الشمس، فقامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها من تحت جناحه، وطار حتى قامت تنظر الشمس. قال أبو جعفر: فهذا القول من قول ابن زيد يدل على أن الهدهد تولى إلى سليمان راجعا بعد إلقائه الكتاب، وأن نظره إلى المرأة ما الذي ترجع وتفعل كان قبل إلقائه كتاب سليمان إليها. وقال آخرون: بل معنى ذلك: اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثم تول عنهم، فكن قريبا منهم، وانظر ماذا يرجعون؛ قالوا: وفعل الهدهد، وسمع مراجعة المرأة أهل مملكتها، وقولها لهم: ﴿إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وما بعد ذلك من مراجعة بعضهم بعضا. كما جاء عن وهب بن منبه، قوله: ﴿فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي كن قريبا ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ وهذا القول أشبه بتأويل الآية؛ لأن مراجعة المرأة قومها، كانت بعد أن ألقى إليها الكتاب، ولم يكن الهدهد لينصرف وقد أمر بأن ينظر إلى مراجعة القوم بينهم ما يتراجعون قبل أن يفعل ما أمره به سليمان.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٩) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١٠) أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: فذهب الهدهد بكتاب سليمان إليها، فألقاه إليها فلما قرأته قالت لقومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقوله: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ والملاؤ أشرف قومها، يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشرف قومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾. واختلف أهل العلم في سبب وصفها الكتاب بالكريم، فقال بعضهم: وصفته بذلك لأنه كان مختوما. وقال آخرون: وصفته بذلك لأنه كان من ملك فوصفته بالكرم لكرم صاحبه. وممن قال ذلك ابن زيد. وقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كُسِرَتْ إن الأولى والثانية على الردّ على "إني" من قوله: ﴿إِنِّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾. ومعنى الكلام: قالت: يا أيها الملاؤ إني ألقى إلي كتاب، وإنه من سليمان. وقوله: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ يقول: ألقى إلي كتاب كريم ألا تعلموا عليّ. وعنى بقوله: ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ﴾ ألا تتكبروا ولا تتعاضموا عما دعوتكم إليه. كما

جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٣١) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٢﴾ يقول تعالى ذكره: قالت ملكة سبأ لأشراف قومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ تقول: أشيروا علي في أمري الذي قد حضرني من أمر صاحب هذا الكتاب الذي ألقى إلي، فجعلت المشورة فتيا. وقوله: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ تقول: ما كنت قاضية أمرا في ذلك حتى تشهدون، فأشاوركم فيه. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الملأ من قوم ملكة سبأ، إذ شاورتهم في أمرها وأمر سليمان: نحن ذوو القوة على القتال، والبأس الشديد في الحرب، والأمر أيتها الملكة إليك في القتال وفي تركه، فانظري من الرأي ما ترين، فمُرنا نأتمر لأمرك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (٣٣) يقول تعالى ذكره: قالت صاحبة سبأ للملأ من قومها، إذ عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان، إن أمرتهم بذلك: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ عنوة وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ يقول: خربوها ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً﴾ وذلك باستعبادهم الأحرار، واسترقاقهم إياهم؛ وتناهى الخبر منها عن الملوك في هذا الموضع فقال الله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وكما قالت صاحبة سبأ تفعل الملوك، إذا دخلوا قرية عنوة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره قال ابن عباس: يقول الله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٤)

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٥) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٦﴾ ذكر أنها قالت: إني مرسله إلى سليمان، لتختبره بذلك وتعرفه به، أملك هو، أم نبي؟ وقالت: إن يكن نبيا لم يقبل الهدية، ولم يرضه منا، إلا أن نتبعه على دينه، وإن يكن ملكا قبل الهدية وانصرف. كالذي جاء عن ابن عباس قالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال: وبعثت إليه بوصائف ووصفاء، وألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أثنى، فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأثنى، ثم رد الهدية فإنه نبي، ونبغي لنا أن نترك ملكنا، ونتبع دينه، ونلحق به. وجاء عن وهب بن منبه، قال: كانت بلقيس امرأة لبيبة أديبة في بيت ملك، لم تملك إلا لبقايا من مضى من أهلها، إنه قد سيست وساست حتى أحكمها ذلك، وكان دينها ودين قومها فيما ذكر الزندقية؛ فلما قرأت الكتاب سمعت كتابا ليس من كتب الملوك التي كانت قبلها، فبعثت إلى المقالة من أهل اليمن، فقالت لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ إلى قوله ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ ثم قالت: إنه قد جاءني كتاب لم يأتني مثله من ملك من الملوك قبله، فإن يكن الرجل نبيا مرسلا فلا طاقة لنا به ولا قوة، وإن يكن الرجل ملكا يكاثر، فليس بأعز منا، ولا أعد. فهيات هدايا مما يهدى للملوك، مما يُقتنون به، فقالت: إن يكن ملكا فسيقبل الهدية ويرغب في المال، وإن يكن نبيا فليس له في الدنيا

حاجة، وليس إياها يريد، إنما يريد أن ندخل معه في دينه ونتبعه على أمره، أو كما قالت. وقوله: ﴿فَنَاطِرُهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ تقول: فأنظر بأي شيء من خبره وفعله في هديتي التي أرسلتها إليه ترجع رسلي، أقبول وانصراف عنا، أم برد الهدية والثبات على مطالبتنا باتباعه على دينه؟ وقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾ وإنما أرسلت إلى سليمان وحده على النحو الذي بينا في قوله: ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾. إن قال قائل: وكيف قيل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ﴾ فجعل الخبر في مجيء سليمان عن واحد، وقد قال قبل ذلك: ﴿فَنَاطِرُهُ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ فإن كان الرسول كان واحدا، فكيف قيل: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ وإن كانوا جماعة فكيف قيل: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ﴾ قيل: هذا نظير ما قد بينا قبل من إظهار العرب الخبر في أمر كان من واحد على وجه الخبر، عن جماعة إذا لم يقصد قصد الخبر عن شخص واحد بعينه، يُشار إليه بعينه، فسمي في الخبر. وقد قيل: إن الرسول الذي وجهته ملكة سبأ إلى سليمان كان امرأ واحدا، فلذلك قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ﴾ يُراد به: فلما جاء الرسول سليمان؛ واستدل قائلو ذلك على صحة ما قالوا من ذلك بقول سليمان للرسول: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله، فلما جاءوا سليمان على الجمع، وذلك للفظ قوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ فصلح الجمع للفظ والتوحيد للمعنى. وقوله: ﴿أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾ يقول: قال سليمان لما جاء الرسول من قبل المرأة هداياها: أتمدونن بمال. وقوله: ﴿فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم﴾ يقول: فما آتاني الله من المال والدنيا أكثر مما أعطاكم منها وأفضل ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ يقول: ما أفرح بهديتكم التي أهديتكم إلي، بل أنتم تفرحون بالهدية التي تهدي إليكم، لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا، ومكاثرة بها، وليست الدنيا وأموالها من حاجتي، لأن الله تعالى ذكره قد مكّني منها وملّكني فيها ما لم يملك أحدا. ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ وهذا قول سليمان لرسول المرأة ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخِزْيُونٍ لَا يَمَسُّكُمْ فِيهِ مِنْ أَنْغَارٍ﴾ لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعهم عما أرادوا منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب وغيره وقوله: ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ يقول: ولنخرجن من أرسلكم من أرضهم أذلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٣﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَ شْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرْيَمٌ ﴿٣٤﴾ اختلف أهل العلم في الحين الذي قال فيه سليمان ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ فقال بعضهم: قال ذلك حين أتاه الهدد نبأ صاحبة سبأ، وقال له: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾ وأخبره أن لها عرشا عظيما، فقال له سليمان ﷺ: ﴿سَتَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فكان اختباره صدقه من كذبه بأن قال لهؤلاء: أيكم يأتيني بعرش هذه المرأة قبل أن يأتوني مسلمين. وقالوا إنما كتب سليمان الكتاب مع الهدد إلى المرأة بعد ما صحّ عنده صدق الهدد بمجيء العالم بعرشها إليه على ما وصفه به الهدد، قالوا: ولولا ذلك كان محالا أن يكتب معه كتابا إلى من لا يدري، هل هو في الدنيا أم لا؟ قالوا:

وأخرى أنه لو كان كتب مع الهدهد كتاباً إلى المرأة قبل مجيء عرشها إليه، وقبل علمه صدق الهدهد بذلك، لم يكن لقوله له ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ معنى؛ لأنه لا يُلم بخبره الثاني من إبلاغه إياها الكتاب، أو ترك إبلاغه إياها ذلك، إلا نحو الذي علم بخبره الأول حين قال له: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَمِينًا﴾ قالوا: وإن لم يكن في الكتاب معهم امتحان صدقه من كذبه، وكان محالاً أن يقول نبي الله قولاً لا معنى له وقد قال: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ علم أن الذي امتحن به صدق الهدهد من كذبه هو مصير عرش المرأة إليه، على ما أخبره به الهدهد الشاهد على صدقه، ثم كان الكتاب معه بعد ذلك إليها. كما جاء عن ابن عباس قال: إن سليمان أوتي ملكاً، وكان لا يعلم أن أحداً أوتي ملكاً غيره؛ فلما فقد الهدهد سأل: من أين جئت؟ ووعدته وعيدا شديداً بالقتل والعذاب، قال: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَمِينًا﴾ قال له سليمان: ما هذا النبأ؟ قال الهدهد: إني وجدت امرأة بسبأ ﴿تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطاناً، أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره، فقال لمن عنده من الجن والإنس: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ قال سليمان: أريد أعجل من ذلك ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر، الذي إذا دعي به أجاب: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فدعا بالاسم وهو عنده قائم، فاحتل العرش احتمالاً حتى وضع بين يدي سليمان، والله صنع ذلك؛ فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون، يسجدون للشمس والقمر، أخبره الهدهد بذلك، فكتب معه كتاباً ثم بعثه إليهم، حتى إذا جاء الهدهد الملكة ألقى إليها الكتاب ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾... إلى ﴿وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ فقالت لقومها ما قالت ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال: وبعثت إليه بوصائف ووصفاء، وألبستهم لباساً واحداً، حتى لا يعرف ذكر من أنثى، فقالت: إن زيل بينهم حتى يعرف الذكر من الأنثى، ثم رد الهدية، فإنه نبي، وينبغي لنا أن نترك ملكنا ونتبع دينه ونلحق به، فرد سليمان الهدية وزيل بينهم، فقال: هؤلاء غلمان وهؤلاء جوار وقال: ﴿أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾... إلى آخر الآية. وقال آخرون: بل إنما اختبر صدق الهدهد سليمان بالكتاب، وإنما سأل من عنده إحضاره عرش المرأة بعد ما خرجت رسلها من عنده، وبعد أن أقبلت المرأة إليه. كما جاء عن وهب بن منبه، قال: لما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان: قالت: والله عرفت ما هذا بملك، وما لنا به طاقة، وما نصنع بمكائرتة شيئاً، وبعثت: إني قادمة عليك بملوك قومي، حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك؟ ثم أمرت بسرير ملكها، الذي كانت تجلس عليه، وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ، فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض، ثم أفلت عليه الأبواب. وكانت إنما يخدمها النساء، معها ستمائة امرأة يخدمنها؛ ثم قالت لمن خلفت على سلطانها، احتفظ بما قبلك، وبسرير ملكي، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله، ولا يرينه أحد حتى آتيك؛ ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قيل معها من ملوك اليمن، تحت يد كل قيل منهم ألوف كثيرة، فجعل سليمان يبعث الجن، فيأتونه بمسيرها ومتهاتها كل يوم وليلة، حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي

بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ». وتأويل الكلام: قال سليمان لأشرف من حضره من جنده من الجن والإنس: «يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرَشِهَا» يعني سريرها. واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله خصَّ سليمان مسألة المَلَأ من جنده إحضار عرش هذه المرأة من بين أملاكها قبل إسلامها، واختلف أهل التأويل في تأويل قوله «قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في السبب الذي من أجله خصَّ سليمان بسؤاله المَلَأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها عندنا، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته، ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه، أنها خلفته في بيت في جوف أبيات، بعضها في جوف بعض، مغلق مقفل عليها، فأخرجه الله من ذلك كله، بغير فتح أغلاق وأقفال، حتى أوصله إلى ولية من خلقه، وسلمه إليه، فكان لها في ذلك أعظم حجة، على حقيقة ما دعاها إليه سليمان، وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته. فأما الذي هو أولى التأويلين في قوله «قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» بتأويله، فقول ابن عباس من أن معناه طائعين أولى بالصواب، لأن المرأة لم تأت سليمان إذ أنه مسلمة، وإنما أسلمت بعد مقدمها عليه وبعد محاورة جرت بينهما ومساءلة. وقوله: «قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ» يقول تعالى ذكره: قال رئيس من الجنّ مارد قويّ. وللعرب فيه لغتان: عفريت، وعفريّة؛ فمن قال: عفريّة، جمعه: عفاري؛ ومن قال: عفريت، جمعه: عفاريت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» يقول: أنا آتيك بعرشها قبل أن تقوم من مقعدك هذا. وكان فيما ذكر قاعدا للقضاء بين الناس، فقال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مجلسك هذا الذي جلست فيه للحكم بين الناس. وذكر أنه كان يقعد إلى انتصاف النهار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله «وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» على ما فيه من الجواهر، ولا أخون فيه. وقد قيل: أمين على فرج المرأة. كما قال بن عباس قوله: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» يقول جل ثناؤه: قال الذي عنده علم من كتاب الله، وكان رجلا فيما ذكر من بني آدم، فقال بعضهم: اسمه بليخا. عن الزهري، قال: دعا الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا واحدا، لا إله إلا أنت، اتّنيني بعرشها، قال: فمثل بين يديه. وجاء عن قتادة: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» قال: رجل من بني آدم، أحسبه قال: من بني إسرائيل، كان يعلم اسم الله الذي إذا دعي به أجاب. وقال مجاهد: الذي عنده علم من الكتاب: علم اسم الله. وقال آخرون: الذي عنده علم من الكتاب، كان أصف. كما جاء عن ابن إسحاق: «قَالَ عِفْرِيتٌ» لسليمان «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» فزعموا أن سليمان بن داود قال: أبتغي أعجل من هذا، فقال أصف بن برخيا، وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى: «أَنَا» يا نبي الله «آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ». وقوله: «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» اختلف أهل التأويل في تأويل قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: قبل أن يرجع إليك طرفك من أقصى أثره، وذلك أن معنى قوله «يَرْتَدَّ إِلَيْكَ» يرجع إليك البصر، إذا فتحت العين غير راجع، بل إنما يمتدّ ماضيا إلى أن ينتهي ما امتدّ نوره. فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله إنما أخبرنا عن قائل ذلك «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ» لم يكن لنا أن نقول: أنا آتيك به قبل أن يرتدّ راجعا «إِلَيْكَ طَرْفُكَ» من عند متهاه. وقوله: «فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا

عِنْدَهُ يَقُولُ: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ مستقرا عنده. وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ظهر عما ترك، وهو: فدعا الله، فأتى به؛ فلما رآه سليمان مستقرا عنده. وذكر أن العالم دعا الله، فغار العرش في المكان الذي كان به، ثم نبع من تحت الأرض بين يدي سليمان. كالذي جاء عن وهب بن منبه، قال: ذكروا أن آصف بن برخيا توضأ، ثم ركع ركعتين، ثم قال: يا نبي الله، امدد عينك حتى ينتهي طرفك، فمدَّ سليمان عينه ينظر إليه نحو اليمن، ودعا آصف فانخرق بالعرش مكانه الذي هو فيه، ثم نبع بين يدي سليمان ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ سليمان ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي...﴾ الآية. وقوله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ يقول: هذا البصر والتمكن والملك والسلطان الذي أنا فيه حتى حمل إليَّ عرش هذه في قدر ارتداد الطرف من مأرب إلى الشام، من فضل ربي الذي أفضله عليَّ وعطائه الذي جاد به عليَّ، ليلبوني، يقول: ليختبرني ويمتحنني، أشكر ذلك من فعله عليَّ، أم أكفر نعمته عليَّ بترك الشكر له. وقد قيل: إن معناه: أشكر على عرش هذه المرأة إذ أتيت به، أم كفر إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني. كما جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ﴾ على السرير إذ أتيت به ﴿أَمْ أَكْفُرْ﴾ إذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني؟. وقوله: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ يقول: ومن شكر نعمة الله عليه، وفضله عليه، فإنما يشكر طلب نفع نفسه، لأنه ليس ينفع بذلك غير نفسه؛ لأنه لا حاجة لله إلى أحد من خلقه، وإنما دعاهم إلى شكره تعريضا منه لهم للنفع، لا لاجتلاب منه بشكرهم إياه نفعا إلى نفسه، ولا دفع ضرر عنها ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ يقول: ومن كفر نعمه وإحسانه إليه، وفضله عليه، لنفسه ظلم، وحظها بخس، والله غني عن شكره، لا حاجة به إليه، لا يضره كفر من كفر به من خلقه، كريم، ومن كرمه إفضاله على من يكفر نعمه، ويجعلها وصلة يتوصل بها إلى معاصيه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾^(٥١) يقول تعالى ذكره: قال سليمان -لما أتى عرش بلقيس صاحبة سبأ، وقدمت هي عليه، لجنده: غيروا لهذه المرأة سريرها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن الضحاك وغيره وقوله: ﴿نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ يقول: ننظر أتعدل فتثبت عرشها أنه هو الذي لها ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: من الذين لا يعقلون فلا تثبت عرشها. وقيل: إن سليمان إنما نكر لها عرشها، وأمر بالصرح يعمل لها، من أجل أن الشياطين كانوا أخبروه أنه لا عقل لها، وأن رجلها كحافر حمار، فأراد أن يعرف صحة ما قيل له من ذلك. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾^(٥٢) يقول تعالى ذكره: لما جاءت صاحبة سبأ سليمان، أخرج لها عرشها، فقال لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ قالت وشبهته به: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن وهب وغيره وقوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل سليمان، وقال سليمان: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أي: هذه المرأة، بالله وبقدرته على ما يشاء، ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ لله من قبلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾^(١٣) يقول تعالى ذكره: ومنع هذه المرأة صاحبة سبيل ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وذلك عبادتها الشمس أن تعبد الله. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ قال: كفرها بقضاء الله، صدها أن تهتدي للحق. ولو قيل: معنى ذلك: وصدها سليمان ما كانت تعبد من دون الله، بمعنى: منعها وحال بينها وبينه، كان وجها حسنا. ولو قيل أيضا: وصدها الله ذلك بتوفيقها للإسلام، كان أيضا وجها صحيحا. وقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ يقول: إن هذه المرأة كانت كافرة من قوم كافرين. وكسرت الألف من قوله "إنها" على الابتداء. ومن تأول قوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ التأويل الذي تأولنا، كانت "ما" من قوله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ في موضع رفع بالصد، لأن المعنى فيه لم يصدها عن عبادة الله جهلها، وأنها لا تعقل، إنما صدها عن عبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان ذلك من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم. ومن تأوله على الوجهين الآخرين كانت "ما" في موضع نصب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١٤) ذكر أن سليمان لما أقبلت صاحبة سبيل تريده، أمر الشياطين فبنوا له صرحا، وهو كهية السطح من قوارير، وأجرى من تحته الماء ليختبر عقلها بذلك، وفهمها على نحو الذي كانت تفعل هي من توجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكور منهم والإناث معاتبه بذلك كذلك. عن وهب بن منبه، قال: أمر سليمان بالصرح، وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا، ثم أرسل الماء تحته، ثم وضع له فيه سريره، فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، ثم قال: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ ليربها ملكا هو أعز من ملكها، وسلطانا هو أعظم من سلطانها ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ لا تشك أنه ماء تخوضه، قيل لها: ادخلي إنه صرح مُّمَرَّد من قوارير؛ فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله ونعى عليها في عبادتها الشمس دون الله، فقالت بقول الزنادقة، فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت، وسجد معه الناس؛ وسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع؛ فلما رفع سليمان رأسه قال: ويحك ماذا قلت؟ قال: وأنسيت ما قالت:، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأسلمت، فحسن إسلامها. وقيل: إن سليمان إنما أمر ببناء الصرح على ما وصفه الله، لأن الجن خافت من سليمان أن يتزوجها، فأرادوا أن يزهوه فيها، فقالوا: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجن، فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ما أخبرته الجن من ذلك. كما جاء عن محمد بن كعب القرظي، قال: قالت الجن لسليمان ترهده في بلقيس: إن رجلها رجل حمار، وإن أمها كانت من الجن. فأمر سليمان بالصرح، فعُمل، فسجن فيه دواب البحر: الحيتان، والضفادع؛ فلما بصرت بالصرح قالت: ما وجد ابن داود عذابا يقتلني به إلا الغرق؟ ﴿حَسِبْتُهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ قال: فإذا أحسن الناس ساقا وقدمًا. قال: فضنَّ سليمان بساقها عن موسى، قال: فاتخذت النورة بذلك السبب. وجائر عندي أن يكون سليمان أمر باتخاذ الصرح للأميرين الذي قاله وهب، والذي قاله محمد بن كعب القرظي، ليختبر عقلها، وينظر إلى ساقها وقدمها، ليعرف صحة ما قيل له فيها. وكان مجاهد يقول -فيما ذكر

عنه في معنى الصرح - قوله: ﴿الْصَّرْحُ﴾: بركة من ماء ضرب عليها سليمان قوارير البسها. قال: وكانت بلقيس هلباء شعراء، قدمها كحافر الحمار، وكانت أمها جنية. وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ يقول: فلما رأت المرأة الصرح حسبته لبياضه واضطراب دواب الماء تحته لجة بحر كشفت من ساقها؛ لتخوضه إلى سليمان. ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ يقول جل ثناؤه: قال سليمان لها: إن هذا ليس ببحر، إنه صرح ممرّد من قوارير، يقول: إنما هو بناء مبني مشيد من قوارير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ...﴾ الآية، يقول تعالى ذكره: قالت المرأة صاحبة سبأ: رب إني ظلمت نفسي في عبادتي الشمس، وسجودي لما دونك ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ﴾ تقول: وانقدت مع سليمان مدعنة لله بالتوحيد، مفردة له بالألوهة والربوبية دون كل من سواه. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ قال: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ فعرفت أنها قد غلبت ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٢١) قال يا قوم لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢١﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده لا شريك له، ولا تجعلوا معه إلها غيره ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول: فلما أتاهم صالح داعيا لهم إلى الله صار قومه من ثمود فيما دعاهم إليه فريقين يختصمون، وفريق مصدّق صالحا مؤمن به، وفريق مكذّب به كافر بما جاء به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: قال صالح لقومه: يا قوم لأي شيء تستعجلون بعذاب الله قبل الرحمة. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، يصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد آتيتكم من عظيم الخطيئة. وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يقول: ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَظِيرْنَا بَكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٢٢) يقول تعالى ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح ﴿أَظِيرْنَا بَكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ أي: تشاء منا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأنا سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم صالح فقال لهم ﴿طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أي ذلك كائن، أما تظنون من المصائب أو المكاره، أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحاب؟. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ يقول: بل أنتم قوم تختبرون، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم، أطيعونه، فتعملون بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه؟ أم تعصونه بخلافه، فيحل بكم عقابه؟.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٨﴾
 قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ١٩﴾ يقول تعالى ذكره: وكان في مدينة صالح، وهي حجر ثمود، تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض، كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خصَّ الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض، ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود. وقد ذكرنا قصصهم وأخبارهم فيما مضى من كتابنا هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حجر ثمود، ولا يصلحون: تقاسموا بالله: تحالفوا بالله أيها القوم، ليحلف بعضهم لبعض: لنبيتنَّ صالحاً وأهله، فلنقتله، ثم لنقولنَّ لوليه: ما شهدنا مهلك أهله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره عن ابن إسحاق، قال: قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلم فلنقتل صالحاً، فإن كان صادقاً - يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث - عجلناه قبله، وإن كان كاذباً نكون قد ألحقناه بناقته، فأتوه ليلاً لبيئته في أهله، فدمعتهم الملائكة بالحجارة؛ فلما أبطئوا على أصحابهم أتوا منزل صالح، فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة. وقوله: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ نقول لوليه: وإنا لصادقون، أنا ما شهدنا مهلك أهله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٢٠﴾ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ٢١﴾ يقول تعالى ذكره: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح بمصيرهم إليه ليلاً ليقتلوه وأهله، وصالح لا يشعر بذلك ﴿وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ يقول: فأخذناهم بعقوبتنا إياهم، وتعجيلنا العذاب لهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا. وقد بينا فيما مضى معنى: مكر الله، بمن مكر به، وما وجه ذلك، وأنه أخذه من أخذه منهم على غرة، أو استدراجه منهم من استدراج على كفره به، ومعصيته إياه، ثم إحلاله العقوبة به على غرة وغفلة، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا﴾ قال: احتالوا لأمرهم، واحتال الله لهم، مكروا بصالح مكراً، ومكرنا بهم مكراً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا وشعرنا بمكرهم، قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث ف نحن نفرغ منه وأهله قبل ذلك، وكان له مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه، فخرجوا إلى كهف وقالوا: إذا جاء يصلي قتلناه، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله، ففرغنا منهم، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم، فخشوا أن تشدخهم، فبادروا الغار، فطبقت الصخرة عليهم فم ذلك الغار، فلا يدري قومهم أين هم؟ ولا يدرون ما فعل بقومهم، فعذب الله تبارك وتعالى هؤلاء ههنا، وهؤلاء هنأ، وأنجى الله صالحاً ومن معه. وقوله: ﴿فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: فانظر يا محمد بعين قلبك إلى عاقبة غدر ثمود بنيهم صالح، كيف كانت؟ وما الذي أورتها اعتداؤهم وطغيانهم وتكذيبهم؟ فإن ذلك ستتنا فيمن كذب رسلنا، وطغى علينا من سائر الخلق، فحذر قومك

من قريش، أن ينالهم بتكذيبهم إياك، ما نال ثمود بتكذيبهم صالحا من المثلثات. وقوله: ﴿أَتَا دَمْرَانَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يقول: إنا دمرنا التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض من قوم صالح وقومهم من ثمود أجمعين، فلم يبق منهم أحدا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ﴾ فتلك مساكنهم خاوية خالية منهم، ليس فيها منهم أحد، قد أهلكهم الله فأبادهم ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ يقول تعالى ذكره: بظلمهم أنفسهم بشرهم بالله، وتكذيبهم رسولهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعلنا بتمود ما قصصنا عليك يا محمد من القصة، لعظة لمن يعلم فعلنا بهم ما فعلنا، من قومك الذين يكذبونك فيما جنتهم به من عند ربك وعبرة. ﴿وَأُنَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: وأنجينا من نعمتنا وعذابنا الذي أحللناه بتمود رسولنا صالحا والمؤمنين به. ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ يقول: وكانوا يتقون بإيمانهم، وبتصديقهم صالحا الذي حل بقومهم من ثمود ما حل بهم من عذاب الله، فذلك ننجيك يا محمد وأتباعك، عند إحلالنا عقوبتنا بمشركي قومك من بين أظهرهم. وذكر أن صالحا لما أحل الله بقومه ما أحل، خرج هو والمؤمنون به إلى الشام، فنزل رملة فلسطين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يقول تعالى ذكره: وأرسلنا لوطا إلى قومه، إذ قال لهم: يا قوم أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أنها فاحشة؛ لعلمكم بأنه لم يسبقكم إلى ما تفعلون من ذلك أحد. وقوله: ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بأباحها الله لكم بالنكاح. وقوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ يقول: ما ذلك منكم إلا أنكم قوم سفهاء جهلة بعظيم حق الله عليكم، فخالفتهم لذلك أمره، وعصيتهم رسوله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْتَظِرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ يقول تعالى ذكره: فلم يكن لقوم لوط جواب له، إذ نهاهم عما أمره الله بنهيهم عنه من إتيان الرجال، إلا قيل بعضهم لبعض: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْتَظِرُونَ﴾ عما نفعله نحن من إتيان الذكران في أدبارهم. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأُنَجِّينَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿٥٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٦٠﴾ يقول تعالى ذكره: فأنجينا لوطا وأهله سوى امرأته من عذابنا حين أحللناها بهم، ثم ﴿قَدَّرْنَاهَا﴾ يقول: فإن امرأته قدرناها: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ من الباقين ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ وهو إمطار الله عليهم من السماء حجارة من سجيل ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ يقول: فساء ذلك المطر القوم الذين أنذرهم الله عقابه على معصيتهم إياه، وخوفهم بأسه بإرسال الرسول إليهم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرُ أَمَّا مَا يُشْرَكُونَ﴾ ﴿٦١﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا لما وفقنا من الهداية، ﴿وَسَلَامٌ﴾ يقول: وأمنة منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط، وقوم صالح، على الذين اصطفاهم، يقول: الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي

بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه. وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قالا أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره؛ قل يا محمد لهؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم من قومك فهم يعمهون: الله الذي أنعم على أوليائه هذه النعم التي قصصها عليكم في هذه السورة، وأهلك أعداءه بالذي أهلكهم به من صنوف العذاب التي ذكرها لكم فيها خير، أما تشركون من أوثانكم التي لا تنفعكم ولا تضركم، ولا تدفع عن أنفسها، ولا عن أوليائها سوءا، ولا تجلب إليها ولا إليهم نفعاً؟ يقول: إن هذا الأمر لا يشكل على من له عقل، فكيف تستجيزون أن تشركوا عبادة من لا نفع عنده لكم، ولا دفع ضرر عنكم في عبادة من بيده النفع والضرر، وله كل شيء؟ ثم ابتداء تعالى ذكره تعديد نعمه عليهم، وأياديه عندهم، وتعريفهم بقله شكرهم إياه على ما أولاهم من ذلك، فقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتٍ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من فريش: أعباد ما تعبدون من أوثانكم التي لا تضر ولا تنفع خير، أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني مطرا، وقد يجوز أن يكون مریدا به العيون التي فجرها في الأرض؛ لأن كل ذلك من خلقه ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ﴾ يعني بالماء الذي أنزل من السماء ﴿حَبَائِقَ﴾ وهي جمع حديقة، والحديقة: البستان عليه حائط محوط، وإن لم يكن عليه حائط لم يكن حديقة. وقوله: ﴿ذَاتٍ بَهْجَةٍ﴾ يقول: ذات منظر حسن. وقيل ذات بالتوحيد. وقد قيل حدائق، كما قال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وقد بينت ذلك فيما مضى. وينحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ يقول تعالى ذكره: أنبتنا بالماء الذي أنزلناه من السماء لكم هذه الحدائق، إذ لم يكن لكم لولا أنه أنزل عليكم الماء من السماء، طاقة أن تنبتوا شجر هذه الحدائق، ولم تكونوا قادرين على ذهاب ذلك، لأنه لا يصلح ذلك إلا بالماء. وقوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك، وأنزل من السماء الماء، فأنبت به لكم الحدائق؟ فقوله: ﴿أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: بل هؤلاء المشركون قوم ضلال، يعدلون عن الحق، ويجورون عليه، على عمد منهم لذلك، مع علمهم بأنهم على خطأ وضلال ولم يعدلوا عن جهل منهم، بأن من لا يقدر على نفع ولا ضرر، خير ممن خلق السموات والأرض، وفعل هذه الأفعال، ولكنهم عدلوا على علم منهم ومعرفة، اقتفاء منهم سنة من مضى قبلهم من آبائهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أعباد ما تشركون أيها الناس بربكم خير وهو لا يضُر ولا ينفع، أم الذي جعل الأرض لكم قرارا تستقرون عليها لا تميد بكم ﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿خِلَالَهَا أَنْهَارًا﴾ يقول: بينها أنهارا ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ وهي ثوابت الجبال، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح، أن يفسد أحدهما صاحبه ﴿أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله، وما عليهم من الضر في إشراكهم في عبادة الله

في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ﴾. وقوله: ﴿بَلْ أَدَارِكُهُمُ فِي الْآخِرَةِ﴾ واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك كما اختلفوا في قراءته قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ "بَلْ أَدْرِكُ" القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وهو أن معناه: إذا قرئ كذلك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون، فلا ينفعهم علمهم به حينئذ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك، بل هم منها عمون. وإنما قلت: هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، على القراءة التي ذُكرت؛ لأن ذلك أظهر معانيه. وإذا كان ذلك معناه، كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه، وذلك أن معنى الكلام: وما يشعرون أيان يُبعثون، بل يشعرون ذلك في الآخرة، فالكلام إذا كان ذلك معناه، وما يشعرون أيان يبعثون، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة، بل هم في الدنيا في شك منها. وأما على قراءة من قرأه ﴿بَلْ أَدَارِكُ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال، فالقول الذي ذكرناه عن مجاهد، وهو أن يكون معنى بل: أم، والعرب تضع أم موضع بل، وموضع بل: أم، إذا كان في أول الكلام استفهام فيكون تأويل الكلام: وما يشعرون أيان يبعثون، بل تدارك علمهم في الآخرة: يعني تتابع علمهم في الآخرة: أي بعلم الآخرة: أي لم يتتابع بذلك ولم يعلموه، بل غاب علمهم عنه، وضل فلم يبلغوه ولم يدركوه. وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ يقول: بل هؤلاء المشركون الذين يسألونك عن الساعة في شك من قيامها، لا يوقنون بها ولا يصدقون بأنهم مبعوثون من بعد الموت ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ يقول: بل هم من العلم بقيامها عمون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيَّدَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ ٧٦ لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ٧٧ يقول تعالى ذكره: قال الذين كفروا بالله: أئنا لمخرجون من قبورنا أحياء، كهيئتنا من بعد مماتنا بعد أن كنا فيها ترابا قد بلىنا؟ ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول: لقد وعدنا هذا من قبل محمد واعدون، وعدوا ذلك آباءنا، فلم نر لذلك حقيقة، ولم تنبئ له صحة ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ يقول: قالوا: ما هذا الوعد إلا ما سطر الأولون من الأكاذيب في كتبهم، فأثبتوه فيها وتحذثوا به من غير أن يكون له صحة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٧٨ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ٧٩ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء المكذبين ما جئتهم به من الأنباء من عند ربك: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ إلى ديار من كان قبلكم من المكذبين رسل الله ومساكنهم كيف هي، ألم يخرّبها الله، ويهلك أهلها بتكذيبهم رسلهم، وردّهم عليهم نصائحهم فخلت منهم الديار وتعتقت منهم الرسوم والآثار، فإن ذلك كان عاقبة إجرامهم، وذلك سنة ربكم في كل من سلك سبيلهم في تكذيب رسل ربهم، والله فاعل ذلك بكم إن أتمم لم تبادروا الإنابة من كفركم وتكذيبكم رسول ربكم. وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ولا تحزن على إدمار هؤلاء المشركين عنك وتكذيبهم لك ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ يقول: ولا يضق صدرك من مكرهم بك، فإن الله ناصرك عليهم، ومهلكهم قتلا بالسيف.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٥١ قل عسى أن يكون رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٢﴾ يقول تعالى ذكره: ويقول مشركو قومك يا محمد، المكذوبك فيما أتيتهم به من عند ربك: ﴿مَتَى﴾ يكون ﴿هَذَا الْوَعْدُ﴾ الذي تعدنا من العذاب، الذي هو بنا فيما تقول حال، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تعدونا به ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ يقول جل جلاله: قل لهم يا محمد: عسى أن يكون اقتراب لكم ودنا ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من عذاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ٥٣ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٥٤﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بتركه معاجلتهم بالعقوبة على معصيتهم إياه، وكفرهم به، وذو إحسان إليهم في ذلك وفي غيره من نعمه عندهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ لا يشكرونه على ذلك من إحسانه وفضله عليهم، فيخلصوا له العبادة، ولكنهم يشركون معه في العبادة ما يضرهم ولا ينفعهم ومن لا فضل له عندهم ولا إحسان. وقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ يقول: وإن ربك ليعلم ضمائر صدور خلقه، ومكنون أنفسهم، وخفي أسرارهم، وعلانية أمورهم الظاهرة، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو محصيا عليها حتى يجازي جميعهم بالإحسان وإحسانا وبالإساءة جزاءها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٥٥ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٥٦﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا مِنْ﴾ مكتوم سر وخفي أمر يغيب عن أبصار الناظرين ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتداء خلق خلقه إلى يوم القيامة. ويعني بقوله: ﴿مُبِينٍ﴾ أنه يبين لمن نظر إليه، وقرأ ما فيه مما أثبت فيه ربنا جل ثناؤه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن الذي أنزلته إليك يا محمد يقصص على بني إسرائيل الحق، في أكثر الأشياء التي اختلفوا فيها، وذلك كالذي اختلفوا فيه من أمر عيسى، فقالت اليهود فيه ما قالت، وقالت النصارى فيه ما قالت، وتبرأ لاختلافهم فيه هؤلاء من هؤلاء، وهؤلاء من هؤلاء، وغير ذلك من الأمور التي اختلفوا فيها، فقال جل ثناؤه لهم: إن هذا القرآن يقصص عليكم الحق فيما اختلفتم فيه فاتبعوه، وأقروا لما فيه، فإنه يقصص عليكم بالحق، ويهديكم إلى سبيل الرشاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ رَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٧ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٨﴾ يقول تعالى ذكره: إن هذا القرآن لهدي، يقول: لبيان من الله، بين به الحق فيما اختلف فيه خلقه من أمور دينهم ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ورحمة لمن صدق به وعمل بما فيه، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ يقول: إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل بحكمه فيهم، فينتقم من المبطل منهم، ويجازي المحسن منهم المحق بجزائه، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ يقول: وربك العزيز في انتقامه من المبطل منهم ومن غيرهم، لا يقدر أحد على منعه من الانتقام منه إذا انتقم العليم بالمحق المحسن من هؤلاء المختلفين من بني إسرائيل فيما اختلفوا فيه، ومن غيرهم من المبطل

الضال عن الهدى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ ٧١ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٧٢﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ففوض إلى الله يا محمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك. ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ لمن تأمله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم، أنه الحق، دون ما عليه اليهود والنصارى، المختلفون من بني إسرائيل، ودون ما عليه أهل الأوثان، المكذبون فيما أتيتهم به من الحق، يقول: فلا يحزنك تكذيب من كذبك، وخلاف من خالفك، وامض لأمر ربك الذي بعثك به. وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ يقول: إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأمانته، لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ يقول: ولا تقدر أن تسمع ذلك من أصم الله عن سماعه سمعه ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ يقول: إذا هم أدبروا معرضين عنه، لا يسمعون له لغلبة دين الكفر على قلوبهم، ولا يصغون للحق، ولا يتدبرونه، ولا ينصتون لقائله، ولكنهم يعرضون عنه، وينكرون القول به، والاستماع له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٧٣ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٧٤﴾ تأويل الكلام ما وصفت ﴿وَمَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِهَادِي﴾ من أعماه الله عن الهدى والرشاد فجعل على بصره غشاوة أن يتبين سبيل الرشاد عن ضلالته التي هو فيها إلى طريق الرشاد وسبيل الرشاد. وقوله: ﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يقول: ما تقدر أن تفهم الحق وتوعيه أحدا إلا سمع من يصدق بآياتنا، يعني بأدلته وحججه وآي تنزيله ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فإن أولئك يسمعون منك ما تقول ويتدبرونه، ويفكرون فيه، ويعملون به، فهم الذين يسمعون. كما جاء عن قتادة وغيره وقال جماعة من أهل العلم: خروج هذه الدابة التي ذكرها حين لا يأمر الناس بمعروف ولا ينهون عن منكر. كما جاء عن ابن عمر وذكر أن الأرض التي تخرج منها الدابة مكة. كما جاء عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: إن الدابة حين تخرج يراها بعض الناس فيقولون: والله لقد رأينا الدابة، حتى يبلغ ذلك الإمام، فيطلب فلا يقدر على شيء. قال: ثم تخرج فيراها الناس، فيقولون: والله لقد رأيناها، فيبلغ ذلك الإمام فيطلب فلا يرى شيئا، فيقول: أما إني إذا حدث الذي يذكرها قال: حتى يعد فيها القتل، قال: فتخرج، فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون، فتجيء إليهم فتقول: الآن تصلون، فتخطم الكافر، وتمسح على جبين المسلم غرة، قال: فيعيش الناس زمانا يقول هذا: يا مؤمن، وهذا: يا كافر. وجاء عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ يقول: وذكر الدابة، فقال حذيفة: قلت يا رسول الله، من أين تخرج؟ قال: "مِنْ أَعْظَمِ الْمَسَاجِدِ حُرْمَةً عَلَى اللَّهِ، بَيْنَمَا عِيسَى يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَمَعَهُ الْمُسْلِمُونَ، إِذْ تَضَطَّرَبَتِ الْأَرْضُ تَحْتَهُمْ، تُحَرِّكُ الْقِنْدِيلَ، وَيَنْشَقُّ الصِّفَا مِمَّا يَلِي الْمَسْعَى، وَتَخْرُجُ الدَّابَّةُ مِنَ الصِّفَا، أَوَّلُ مَا يَبْدُو رَأْسُهَا، مُلَمَّعَةٌ ذَاتُ وَبَرٍّ وَرِيشٍ، لَمْ يُدْرِكْهَا طَالِبٌ، وَلَنْ يَقُوتَهَا هَارِبٌ، تَسِمُ النَّاسَ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَتَرَكُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ، وَتَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُؤْمِنٌ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَنْكُتُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ

كافِرٌ". وجاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿تَكْلِمُهُمْ﴾ قال: كلامها تنبهم ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم نجمع من كل قرن وملة فوجا، يعني جماعة منهم، وزمرة ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ يقول: ممن يكذب بأدلتنا وحججنا، فهو يحبس أولهم على آخرهم، ليجتمع جميعهم، ثم يساقون إلى النار. وبنحو ما قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقد بيّنت معنى قوله: ﴿يُوزَعُونَ﴾ فيما مضى قبل بشواهد، فأغني ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ يقول تعالى ذكره: حتى إذا جاء من كل أمة فوج ممن يكذب بآياتنا فاجتمعوا قال الله: ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ أي: بحججي وأدليتي ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ يقول: ولم تعرفوها حق معرفتها، ﴿أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيها من تكذيب أو تصديق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾^(٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ يقول تعالى ذكره: ووجب السخط والغضب من الله على المكذبين بآياته ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ يعني بتكذيبهم بآيات الله، يوم يحشرون ﴿فهم لا ينطقون﴾ يقول: فهم لا ينطقون بحجة يدفعون بها عن أنفسهم عظيم ما حل بهم ووقع عليهم من القول. وقوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: ألم ير هؤلاء المكذبون بآياتنا تصريفنا الليل والنهار، ومخالفتنا بينهما بتصويرنا هذا سكتا لهم يسكنون فيه ويهدئون، راحة أبدانهم من تعب التصرف والتقلب نهارا، وهذا مضينا يبصرون فيه الأشياء ويعاينونها فيقبلون فيه لمعايشهم، فيتفكروا في ذلك، ويتدبروا، ويعلموا أن مصرف ذلك كذلك هو الإله الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه إماتة الأحياء، وإحياء الأموات بعد الممات، كما لم يتعذر عليه الذهاب بالنهار والمجيء بالليل، والمجيء بالنهار والذهاب بالليل مع اختلاف أحوالهما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تصويرنا الليل سكتا، والنهار مبصرا للدلالة لقوم يؤمنون بالله على قدرته على ما آمنوا به من البعث بعد الموت، وحجة لهم على توحيد الله.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَقَرَعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوِّهٍ دَاخِرِينَ﴾^(٨٧) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ وقد ذكرنا اختلافهم فيما مضى، وبيننا الصواب من القول في ذلك عندنا بشواهد، غير أننا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم يذكر هناك من الأخبار، فقال بعضهم: هو قرن يُنفخ فيه. كما جاء عن مجاهد، قال: الصور: البوق قال: هو البوق صاحبه أخذ به يقبض قبضتين بكفيه على طرف القرن، بين طرفه وبين فيه قدر قبضة أو نحوها، قد برك على ركة إحدى رجليه، فأشار، فبرك على ركة يساره مقعيا على قدمها عقبها تحت فخذيه وأليته وأطراف أصابعها في التراب. وجاء عن أبي هريرة: أنه قال

لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ما الصور؟ قال: "قَرْنٌ"، قال: وكيف هو؟ قال: "قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلَاثُ نَفَخَاتٍ: الْأُولَى: نَفْحَةُ الْفَرْعِ، وَالثَّانِيَّةُ: نَفْحَةُ الصَّعَقِ، وَالثَّالِثَةُ: نَفْحَةُ الْقِيَامِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَأْمُرُ اللَّهُ إِسْرَافِيلَ بِالنَّفْحَةِ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَنْفُخْ نَفْحَةَ الْفَرْعِ، فَيَنْفُخُ نَفْحَةَ الْفَرْعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَأْمُرُهُ اللَّهُ فَيَمْدُ بِهَا وَيَطْوِلُهَا، فَلَا يَفْتَرُ، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ: وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ فَيَسِيرُ اللَّهُ الْجِبَالَ، فَتَكُونُ سَرَابًا، وَتَرْجُ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا رَجًا، وَهِيَ الَّتِي يَقُولُ اللَّهُ: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ فَتَكُونُ الْأَرْضُ كَالسَّفِينَةِ الْمُوثَقَةِ فِي الْبَحْرِ، تَضْرِبُهَا الْأَمْوَاجُ، تَكْفَأُ بِأَهْلِهَا، أَوْ كَالْقَنْدِيلِ الْمُعَلَّقِ بِالْوَتَرِ، تُرْجَحُهُ الْأَرْيَاحُ، فَيَمِيدُ النَّاسُ عَلَى ظَهَرِهَا، فَتَذْهَلُ الْمَرَاضِعُ، وَتَضَعُ الْحَوَامِلُ، وَتَشِيبُ الْوِلْدَانُ، وَتَطِيرُ الشَّيَاطِينُ هَارِبَةً، حَتَّى تَأْتِيَ الْأَفْطَارُ، فَتَلْقَاهَا الْمَلَائِكَةُ، فَتَضْرِبُ وَجُوهَهَا، فَتَرْجِعُ، وَيُولِي النَّاسُ مُدْبِرِينَ يُنَادِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ: يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ فَيَنْمَ هُمُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ مِنْ قَطَرٍ إِلَى قَطَرٍ، فَرَأَوْا أَمْرًا عَظِيمًا، فَأَخَذَهُمْ لَذَلِكَ مِنَ الْكَرْبِ مَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هِيَ كَالْمُهْلِ، ثُمَّ خُسِفَ شَمْسُهَا وَقَمَرُهَا، وَانْتَشَرَتْ نُجُومُهَا، ثُمَّ كُشِطَتْ عَنْهُمْ". قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَالْأَمْوَاتُ لَا يَعْلَمُونَ بَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ اسْتَشْنَى اللَّهَ حِينَ يَقُولُ: فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: "أُولَئِكَ الشَّهَدَاءُ، وَإِنَّمَا يَصِلُ الْفَرْعُ إِلَى الْأَحْيَاءِ، أُولَئِكَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَقَاهُمْ اللَّهُ فَرْعَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَأَمْنَهُمْ، وَهُوَ عَذَابُ اللَّهِ يَبْعَثُهُ عَلَى شَرَارِ خَلْقِهِ". وَجَاءَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا فَرَعَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، خَلَقَ الصُّورَ فَأَعْطَاهُ مَلَكًا، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ، شَاخِصٌ بَصَرُهُ إِلَى الْعَرْشِ، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ". قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الصُّورُ؟ قَالَ: "قَرْنٌ"، قُلْتُ: فَكَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: "عَظِيمٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ عَظَمَ دَائِرَةِ فِيهِ، لَكَعَرْضُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَأْمُرُهُ فَيَنْفُخُ نَفْحَةَ الْفَرْعِ، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ"، ثُمَّ ذَكَرَ بَاقِيَ الْحَدِيثِ نَحْوَ حَدِيثِ أَبِي كُرَيْبٍ عَنِ الْمُحَارِبِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِهِ "كَالسَّفِينَةِ الْمَرْفَأَةِ فِي الْبَحْرِ". وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: وَنَفَخَ فِي صُورِ الْخَلْقِ. كَمَا جَاءَ عَنْ قَتَادَةَ وَقَوْلُهُ: إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ قِيلَ: إِنَّ الَّذِينَ اسْتَشْنَاهُمُ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ أَنْ يَنَالَهُمُ الْفَرْعُ يَوْمَئِذٍ الشَّهَدَاءُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَإِنْ كَانُوا فِي عِدَادِ الْمَوْتَى عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَبِذَلِكَ جَاءَ الْأَثَرُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي الْخَبَرِ الْمَاضِي. وَقَوْلُهُ: وَكُلُّ أَتَوِّهِ دَاخِرِينَ يَقُولُ: وَكُلُّ أَتَوِّهِ صَاغِرِينَ. وَبِمِثْلِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ، قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ وَغَيْرِهِ

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وَتَرَى الْجِبَالَ يَا مُحَمَّدُ تَحْسَبُهَا قَائِمَةً وَهِيَ تَمُرُّ. كَالَّذِي جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً يَقُولُ: قَائِمَةً. وَإِنَّمَا قِيلَ: وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ لِأَنَّهَا تَجْمَعُ ثُمَّ تَسِيرُ، فَيَحْسَبُ رَائِيهَا لِكَثْرَتِهَا أَنَّهَا وَقَافَةٌ، وَهِيَ تَسِيرُ سِيرًا حَثِيثًا

قوله: صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَوْثَقَ خَلْقَهُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وجاء عن قتادة: إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يقول تعالى ذكره: إِنْ اللَّهُ ذُو عِلْمٍ وَخَبْرَةٍ بِمَا يَفْعَلُ عِبَادَهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَطَاعَةٍ لَهُ وَمَعْصِيَةٍ، وَهُوَ مُجَازِي جَمِيعِهِمْ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ عَلَى الْخَيْرِ الْخَيْرِ، وَعَلَى الشَّرِّ الشَّرِّ نَظِيرَهُ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿مَنْ جَاءَ اللَّهُ بِتَوْحِيدِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَقَوْلٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَوْقِنًا بِهِ قَلْبُهُ﴾ ﴿فَلَهُ﴾ مِنْ هَذِهِ الْحَسَنَةِ عِنْدَ اللَّهِ ﴿خَيْرٌ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ الْخَيْرُ أَنْ يُشَبِّهَ اللَّهُ ﴿مِنْهَا﴾ الْجَنَّةَ، وَيُؤَمِّنَهُ ﴿مِنْ فَزَعٍ﴾ الصَّيْحَةِ الْكُبْرَى وَهِيَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ. ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ يقول: وَمَنْ جَاءَ بِالشَّرِّ بِهِ يَوْمَ يُلْقَاهُ، وَجُحُودِ وَحِدَانِيَّتِهِ ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن النبي ﷺ قال: "﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ قال: وهي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ قال: وهي الشَّرُّ". وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ فَمِنْهَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْخَيْرُ، يَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ بِذَلِكَ: مِنَ الْحَسَنَةِ وَصَلَ إِلَى الَّذِي جَاءَ بِهَا الْخَيْرُ. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قَالَ: أَعْطَاهُ اللَّهُ بِالْوَحْدَةِ عَشْرًا، فَهَذَا خَيْرٌ مِنْهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ. يَقَالُ لَهُمْ: هَلْ تَجْزُونَ أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، إِذْ كَبِمَكُمُ اللَّهُ لَوْجُوْهُمْ فِي النَّارِ، وَإِلَّا جِزَاءَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا بِمَا يَسْخَطُ رَبُّكُمْ؛ وَتَرَكَ "يَقَالُ لَهُمْ" اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٩١) يقول تعالى ذكره لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ قُلْ ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ وَهِيَ مَكَّةُ ﴿الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَسْفِكُوا فِيهَا دِمَا حَرَامًا، أَوْ يَظْلِمُوا فِيهَا أَحَدًا، أَوْ يَصَادَ صَيْدُهَا، أَوْ يَخْتَلَى خِلَالَهَا دُونَ الْأَوْثَانِ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ يقول: وَلِرَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مِلْكًا. فَيَا هَؤُلَاءِ أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ، لَا مِنْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا. وَإِنَّمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا﴾ فَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ دُونَ سَائِرِ الْبِلَادِ، وَهُوَ رَبُّ الْبِلَادِ كُلِّهَا، لِأَنَّهُ أَرَادَ تَعْرِيفَ الْمَشْرِكِينَ مِنْ قَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، بِذَلِكَ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ هُوَ الَّذِي حَرَّمَ بِلَدَهُمْ، فَمَنْعَ النَّاسِ مِنْهُمْ، وَهُمْ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لَا مِنْ لَمْ تَجْرَ لَهُ عَلَيْهِمْ نِعْمَةٌ، وَلَا يَقْدِرُ لَهُمْ عَلَى نَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يقول: وَأَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَسْلِمَ وَجْهِي لَهُ حَنِيفًا، فَأَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ دَانُوا بِدِينِ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ وَجَدَكُمُ أَيُّهَا الْمَشْرُكُونَ، لَا مِنْ خَالَفَ دِينَ جَدِّهِ الْمُحَقِّ، وَدَانَ دِينَ إِبْلِيسَ عَدُوِّ اللَّهِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة﴾ و ﴿أَنْ أَكُونُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ﴾ يقول: فمن تبعني وآمن بي وبما جئت به، فسلك طريق الرشاد ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ يقول: فإنما يسلك سبيل الصواب باتباعه إياي، وإيمانه بي، وبما جئت به لنفسه، لأنه بإيمانه بي، وبما جئت به يأمن نعمته في الدنيا وعذابه في الآخرة. وقوله: ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ يقول: ومن جار عن قصد السبيل بتكذيبه بي وبما جئت به من عند الله ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لمن ضل عن قصد السبيل، وكذبك، ولم يصدق بما جئت به من عندي: إنما أنا ممن ينذر قومه عذاب الله وسخطه على معصيتهم إياه، وقد أذرتكم ذلك معشر كفار قريش، فإن قبلتم وانتهيتهم عما يكرهه الله منكم من الشرك به، فحفظوا أنفسهم تصيبون، وإن رددتم وكذبتهم فعلى أنفسهم جنيتهم، وقد بلغتكم ما أمرت بإبلاغه إياكم، ونصحت لكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء القائلين لك من مشركي قومك: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على نعمته علينا بتوقيفه إيانا للحق الذي أنتم عنه عمون، سيركم ربكم آيات عذابه وسخطه، فتعرفون بها حقيقة نصحي كان لكم، ويتبين صدق ما دعوتكم إليه من الرشاد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ربك يا محمد بغافل عما يعمل هؤلاء المشركون، ولكن لهم أجل هم بالغوه، فإذا بلغوه فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ: فلا يحزنك تكذيبهم إياك، فإني من وراء إهلاكهم، وإني لهم بالمرصاد، فأيقن لنفسك بالنصر، ولعدوك بالذل والخزي.

آخر تفسير سورة النمل

ولله الحمد والمنة، وبه الثقة والعصمة



تفسير سورة القصص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿طسم﴾ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ٣ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وقد بينا قبل فيما مضى تأويل قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿طسم﴾، وذكرنا اختلاف أهل التأويل في تأويله. وأما قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ فإنه يعني: هذه آيات الكتاب الذي أنزلته إليك يا محمد، المبين أنه من عند الله، وأنت لم تتقوله: ولم تتخَرَّصه.. وكان قتادة يقول قوله: ﴿طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني مبين والله بركته ورشده وهداه. وقوله: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾ يقول: نقرأ عليك، ونقص في هذا القرآن من خبر ﴿مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: في هذا القرآن نبؤهم. وقوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: لقوم يصدقون بهذا الكتاب، ليعلموا أن ما تلو عليك من نبؤهم فيه نبؤهم، وتطمئن نفوسهم، بأن سنتنا فيمن خالفك وعاداك من المشركين سنتنا فيمن عادى موسى، ومن آمن به من بني إسرائيل من فرعون وقومه، أن نهلكهم كما أهلكناهم، وننجيهم منهم كما أنجيناهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّعِي أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ٤ يقول تعالى ذكره: إن فرعون تجبر في أرض مصر وتكبر، وعلا أهلها وقهرهم، حتى أقروا له بالعُبودية. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ يعني بالشيعة: الفرق، يقول: وجعل أهلها فرقا متفرقين. كما جاء عن السدي، قال: كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه، أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة فسألهم عن رؤياه، فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه، يعنون بيت المقدس، رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تركت، وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجا، فأدخلوهم، واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم، وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ يعني بني إسرائيل، حين جعلهم في الأعمال القذرة. وقوله: ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ ذكر أن استضعافه إياها كان استعباده. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يقول: إنه كان ممن يفسد في الأرض بقتله من لا يستحق منه القتل، واستعباده من ليس له استعباده، وتجبره في الأرض على أهلها، وتكبره على عبادة ربه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ قوله: ﴿وَنُرِيدُ﴾ عطف على قوله: ﴿يُسْتَضْعَفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ ومعنى الكلام: أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها، من بني إسرائيل، فرقا يستضعف طائفة منهم ﴿وَنَحْنُ﴾ نريد أن نمُنَّ على الذين استضعفهم فرعون من بني إسرائيل ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة قوله: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: ولاية وملوكا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ يقول: ونجعلهم وراث آل فرعون يرثون الأرض من بعد مهلكهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: ونوطئ لهم في أرض الشام ومصر ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ كانوا قد أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل، فكانوا من ذلك على وجل منهم، ولذلك كان فرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، فأرى الله فرعون وهامان وجنودهما، من بني إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه، ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم. كما جاء عن قتادة وقال: وذكر لنا أن حازيا حزا العدو الله فرعون، فقال: يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك، فتتبع أبناءهم ذلك العام، يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم، حذرا مما قال له الحازي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ إِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه إذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادُّوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴿٧﴾ في معنى ذلك وأوحينا إلى أم موسى: قذنا في قلبها. واختلف أهل التأويل في الحال التي أمرت أم موسى أن تلقي موسى في اليم وأولى قول قيل في ذلك بالصواب، أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر أم موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليم. وجائز أن تكون خافتهم عليه بعد أشهر من ولادها إياه؛ وأي ذلك كان، فقد فعلت ما أوحى الله إليها فيه، ولا خبر قامت به حجة، ولا فطرة في العقل لبيان أي ذلك كان من أي، فأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال كما قال جل ثناؤه، واليم الذي أمرت أن تلقيه فيه هو النيل. كما جاء عن السدي وقوله: ولا تخافي ولا تحزني يقول: لا تخافي على ولدك من فرعون وجنده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ يقول: إنا رادُّو ولدك إليك للرضاع لتكوني أنت ترضعيه، وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله، وفعل الله ذلك بها وبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن اسحاق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فالتقطه آل فرعون فأصابوه وأخذوه؛ وأصله من اللقطة، وهو ما وجد ضالا فأخذ، والعرب تقول: لما وردت عليه فجأة، من غير طلب له ولا إرادة، أصبته التقاطا، ولقيت فلانا التقاطا؛ واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله: ﴿آلُ فِرْعَوْنَ﴾ في هذا

الموضع، فقال بعضهم: عنى بذلك: جوارى امرأة فرعون. كما جاء، عن السدي، قال: أقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغسلن، فوجدن التابوت، فأدخلنه إلى آسية، وظنن أن فيه مالا فلما نظرت إليه آسية، وقعت عليها رحمته فأحبته؛ فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه، فلم تزل آسية تكلمه حتى تركه لها، قال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا، فذلك قول الله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾. وقال آخرون: بل عنى به ابنة فرعون. كما جاء عن محمد بن قيس، قال: كانت بنت فرعون برصاء، فجاءت إلى النيل، فإذا التابوت في النيل تخفقه الأمواج، فأخذته بنت فرعون، فلما فتحت التابوت، فإذا هي بصبي، فلما اطلعت في وجهه برأت من البرص، فجاءت به إلى أمها، فقالت: إن هذا الصبي مبارك لما نظرت إليه برئت، فقال فرعون: هذا من صبيان بني إسرائيل، هلّم حتى أقتله، فقالت: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ﴾. وقال آخرون: عنى به أعوان فرعون. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: أصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة: فبينما هو جالس، إذ مر النيل بالتابوت يقذف به، وآسية بنت مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقالت: إن هذا شيء في البحر، فاتوني به، فخرج إليه أعوانه، حتى جاءوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهده، فألقى الله عليه محبته، وعطف عليه نفسه، قالت امرأته آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾. ولا قول في ذلك عندنا أولى بالصواب مما قال الله عز وجل: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد بينا معنى الآل فيما مضى بما فيه الكفاية من إعادته ههنا. وقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾ فيقول القائل: ليكون موسى لآل فرعون عدواً وحزناً فالتقطوه، فيقال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾ قيل: إنهم حين التقطوه لم يلتقطوه لذلك، بل لما تقدّم ذكره، ولكنه إن شاء الله كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق، في قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾ قال: ليكون في عاقبة أمره عدواً وحزناً لما أراد الله به، وليس لذلك أخذه، ولكن امرأة فرعون قالت: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ فكان قول الله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾ لما هو كائن في عاقبة أمره لهم، وهو كقول الآخر إذا قرّعه لفعل، كان فعله وهو يحسب محسناً في فعله، فأداه فعله ذلك إلى مساءة منداً له على فعله: فعلت هذا لضّر نفسك، ولتضّر به نفسك فعلت. وقد كان الفاعل في حال فعله ذلك عند نفسه يفعل راجياً نفعه، غير أن العاقبة جاءت بخلاف ما كان يرجو. فكذلك قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾ إنما هو: فالتقطه آل فرعون ظناً منهم أنهم محسنون إلى أنفسهم، ليكون قرّة عين لهم، فكانت عاقبة التقاطهم إياه منه هلاكهم على يديه. وقوله: ﴿عَدُوًّا وَحَرْنًا﴾ يقول: يكون لهم عدواً في دينهم، وحزناً على ما ينالهم منه من المكروه. وقوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا برهم أثمين، فلذلك كان لهم موسى عدواً وحزناً.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾ له هذا ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ يا فرعون؛ فقرة عين مرفوعة بمضمر هو هذا، أو هو. وقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ مسألة من امرأة فرعون أن لا يقتله. وذكر أن المرأة لما قالت هذا القول لفرعون، قال فرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا فكان

كذلك. كما جاء عن محمد بن قيس، قال: قالت امرأة فرعون: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ قال فرعون: قُرَّةُ عَيْنٍ لَكَ، أما لي فلا. قال محمد بن قيس: قال رسول الله ﷺ: "لَوْ قَالَ فِرْعَوْنُ: قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ، لَكَانَ لَهُمَا جَمِيعًا". عن ابن عباس قال: لما أتت بموسى امرأة فرعون فرعون قالت: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ قال فرعون: يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي فيه، فقال رسول الله ﷺ: "وَالَّذِي يُخْلَفُ بِهِ لَوْ أَقَرَّ فِرْعَوْنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ كَمَا أَقَرْتُ، لَهْدَاهُ اللَّهُ بِهِ كَمَا هَدَى بِهِ امْرَأَتَهُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ ذَلِكَ". وقوله: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ ذَكَرَ أَنَّ امرأة فرعون قالت هذا القول حين هَمَّ بقتله. قال بعضهم: حين أتى به يوم التقطه من اليم. وقال بعضهم: يوم نَفَّ من لحيته، أو ضربه بعصا كانت في يده. والذي ذكر أن ذلك يوم نَفَّ لحيته السدي وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله والصواب من القول في ذلك، قول من قال: معنى ذلك: وفرعون وآله لا يشعرون بما هو كائن من هلاكهم على يديه. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات به؛ لأنه عَقِيبُ قوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وإذا كان ذلك عقبه، فهو بأن يكون بيانا عن القول الذي هو عقبه أحق من أن يكون بيانا عن غيره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله أنه أصبح منه فؤاد أم موسى فارغا قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: معناه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ من كل شيء، إلا من هم موسى. وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب؛ لدلالة قوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ ولو كان عَنَى بذلك: فراغ قلبها من الوحي، لم يعقب بقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ لأنها إن كانت قاربت أن تبدي الوحي، فلم تكد أن تبديه إلا لكثرة ذكرها إياه، وولوعها به. ومحال أن تكون به ولعة إلا وهي ذاكرة. وإذا كان ذلك كذلك، بطل القول بأنها كانت فارغة القلب مما أوحى إليها. وأخرى أن الله تعالى ذكره أخبر عنها أنها أصبحت فارغة القلب، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء، فذلك على العموم إلا ما قامت حجته أن قلبها لم يفرغ منه. وقد ذكر عن فضالة بن عبيد أنه كان يقرؤه: "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا" من الفزع. وقوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عادت عليه الهاء في قوله: ﴿بِهِ﴾ والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين ذكرنا قولهم أنهم قالوا: إن كادت لتقول: يا بنيها؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك، وأنه عَقِيبُ قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا﴾ فلا أن يكون لو لم يكن ممن ذكرنا في ذلك إجماع على ذلك من ذكر موسى، لقربه منه، أشبه من أن يكون من ذكر الوحي. وقال بعضهم: بل معنى ذلك: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ﴾ بموسى فتقول: هو ابني. قال: وذلك أن صدرها ضاق إذ نُسِبَ إلى فرعون، وقيل: ابن فرعون. وعن بقوله: ﴿لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ لتظهره وتخبر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس والضحاك وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ يقول: لولا أن عصمناها من ذلك بتثبيتناها وتوقيفناها للسكوت عنه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: عصمناها من إظهار ذلك وقيله بلسانها، وثبتناها للعهد الذي عهدنا

إِلَيْهَا ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بوعد الله، الموقنين به.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١١) يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَتْ﴾ أم موسى لأخت موسى حين ألقته في اليم ﴿قُصِّيهِ﴾ يقول: قصي أثر موسى، اتبعي أثره، تقول: قصصت آثار القوم: إذا اتبعت آثارهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فقصت أخت موسى أثره، فبصرت به عن جُنْبٍ: يقول فبصرت بموسى عن بُعد لم تدن منه ولم تقرب، لئلا يعلم أنها منه بسبيل، يقال منه: بصرت به وأبصرته، لغتان مشهورتان، وأبصرت عن جنب، وعن جنابة وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وقوم فرعون لا يشعرون بأخت موسى أنها أخته. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وغيره

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (١٢) يقول تعالى ذكره: ومنعنا موسى المراضع أن يرتضع منهن من قبل أمه، ذكر أن أختا لموسى هي التي قالت لآل فرعون: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: جمعوا المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بامرأة فيقبل ثديها فيرضعهم ذلك، فيؤتي بمرضع بعد مرضع، فلا يقبل شيئا منهن ﴿فَقَالَتْ﴾ لهم أخته حين رأت من وجدهم به، وحرصهم عليه ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾، ويعني بقوله: ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾: يضمونه لكم. وقوله: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ذكر أنها أخذت، فقبل: قد عرفته، فقالت: إنما عنيت أنهم للملك ناصحون.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣) يقول تعالى ذكره: ﴿فَرَدَدْنَاهُ﴾ موسى ﴿إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ بعد أن التقطه آل فرعون، لتقر عينها ببنائها، إذ رجع إليها سليما من قتل فرعون ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ على فراقه إياها ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ الذي وعدها إذ قال لها ﴿فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾... الآية، ﴿حَقٌّ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن وعد الله حق، لا يصدقون بأن ذلك كذلك.

القول في تاويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٤) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ مُوسَىٰ أَشُدَّهُ﴾، يعني حان شدة بدنه وقواه، وانتهى ذلك منه، وقد بينا معنى الأشد فيما مضى بشواهد، فأعنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وقوله: ﴿وَاسْتَوَى﴾ يقول: تناهى شبابه، وتم خلقه واستحكم. وقد اختلف في مبلغ عدد سني الاستواء فقال بعضهم: يكون ذلك في أربعين سنة. كما جاء عن مجاهد وعنه، قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال: ثلاثا وثلاثين سنة. وعن ابن عباس ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال: بضعا وثلاثين سنة. وقال بعضهم: يكون ذلك في ثلاثين سنة. وقوله: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يعني بالحكم: الفهم بالدين والمعرفة. وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما جزينا موسى على طاعته إيانا وإحسانه بصبره على أمرنا،

كذلك نجزي كل من أحسن من رسلنا وعبادنا، فصبر على أمرنا وأطاعنا، وانتهى عما نهيناه عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاةً الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ١٥﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة منف من مصر ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وذلك عند القائلة، نصف النهار. واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله دخل موسى هذه المدينة في هذا فقال بعضهم: دخلها متبعا أثر فرعون، لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد؛ فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع أثره، وأدركه المقيط في هذه المدينة. كما جاء عن السدي، قال: كان موسى حين كبر يركب مراكب فرعون، ويلبس مثل ما يلبس، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون، ثم إن فرعون ركب مركبا وليس عنده موسى؛ فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب في أثره فأدركه المقيط بأرض يقال لها منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها، وليس في طرقها أحد، وهي التي يقول الله: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾. وقال آخرون: بل دخلها مستخفيا من فرعون وقومه، لأنه كان قد خالفهم في دينهم، وعاب ما كانوا عليه. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: لما بلغ موسى أشده واستوى، آتاه الله حكما وعلمًا، فكانت له من بني إسرائيل شيعة يسمعون منه ويطيعونه ويجمعون إليه، فلما استدرأه، وعرف ما هو عليه من الحق، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقا في دينه، فتكلم وعادى وأنكر، حتى ذكر منه، وحتى أخافوه وخافهم، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفا مستخفيا، فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها. وقال آخرون: بل كان فرعون قد أمر بإخراجه من مدينته حين علاه بالعصا، فلم يدخلها إلا بعد أن كبر وبلغ أشده. قالوا: ومعنى الكلام: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها لذكر موسى: أي من بعد نسيانهم خبره وأمره. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ قال: ليس غفلة من ساعة، ولكن غفلة من ذكر موسى وأمره. وقال فرعون لامرأته: أخرجيه عني، حين ضرب رأسه بالعصا، هذا الذي قُتِلَتْ فيه واختلفوا في الوقت الذي عُني بقوله: ﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ فقال بعضهم: ذلك نصف النهار. كما جاء عن قتادة وجاء عن ابن عباس، قال: يقولون في القائلة، قال: وبين المغرب والعشاء. وقوله: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ يقول: هذا من أهل دين موسى من بني إسرائيل ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ من القبط من قوم فرعون ﴿فَاسْتَغَاةً الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ يقول: فاستغاثه الذي هو من أهل دين موسى على الذي من عدوه من القبط ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ يقول: فلكره له في صدره بجمع كفه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن سعيد بن جبير، قال: أساء موسى من حيث أساء، وهو شديد الغضب شديد القوة، فمَرَّ برجل من القبط قد تسخر رجلا من المسلمين، قال: فلما رأى موسى استغاث به، قال: يا موسى، فقال موسى: خل سبيله، فقال: قد هممت أن أحمله عليك ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قال: حتى إذا كان الغد نصف النهار خرج ينظر الخبر، قال: فإذا ذاك الرجل قد أخذه آخر في مثل حده؛ قال: فقال: يا موسى، قال: فاشتد غضب موسى، قال: فأهوى، قال: فخاف أن يكون إياه يريد، قال: فقال: ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَنِي نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾؟ قال: فقال الرجل: ألا أراك يا موسى أنت الذي

قتلت! وقوله: ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ يقول: ففرغ من قتله. وقد بينت فيما مضى أن معنى القضاء: الفراغ بما أغنى عن إعادته ههنا. ذكر أنه قتله ثم دفنه في الرمل. وقوله: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى حين قتل القاتل: هذا القتل من تسبب الشيطان لي بأن هبج غضبي حتى ضربت هذا فهلك من ضربتي، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ يقول: إن الشيطان عدو لابن آدم ﴿مُضِلٌّ﴾ له عن سبيل الرشاد بتزيينه له القبيح من الأعمال، وتحسينه ذلك له ﴿مُبِينٌ﴾ يعني أنه يبين عداوته لهم قديما، وإضلاله إياهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن ندم موسى على ما كان من قتله النفس التي قتلها، وتوبته إليه منه ومسألته غفرانه من ذلك ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتل النفس التي لم تأمرني بقتلها، فاعف عن ذنبي ذلك، واستره علي، ولا تؤاخذني به فتعاقبني عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: عففا الله لموسى عن ذنبه ولم يعاقبه به، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يقول: إن الله هو الساتر على المنيين إليه من ذنوبهم على ذنوبهم، المتفضل عليهم بالعفو عنها، الرحيم للناس أن يعاقبهم على ذنوبهم بعد ما تابوا منها. وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى ربّ بإنعامك عليّ بعفوك عن قتل هذه النفس ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني المشركين، كأنه أقسم بذلك. وكان قتادة يقول في: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ يقول: فلن أعين بعدها ظالما على فجره، قال: وقلما قالها رجل إلا ابتلي، قال: فابتلي كما تسمعون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٨﴾ يقول تعالى ذكره: فأصبح موسى في مدينة فرعون خائفا من جانيته التي جناها، وقتله النفس التي قتلها أن يؤخذ فيقتل بها ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يقول: يترقب الأخبار: أي ينتظر ما الذي يتحدث به الناس، مما هم صانعون في أمره وأمر قتيله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فرأى موسى لما دخل المدينة على خوف مترقبا الأخبار عن أمره وأمر القاتل، فإذا الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس على الفرعوني يقاتله فرعوني آخر، فراه الإسرائيلي فاستصرخه على الفرعوني. يقول: فاستغاثه أيضا على الفرعوني، وأصله من الصّراخ، كما يقال: قال بنو فلان: يا صباحاه، قال له موسى: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ يقول جل ثناؤه: قال موسى للإسرائيلي الذي استصرخه، وقد صادف موسى نادما على ما سلف منه من قتله بالأمس القاتل، وهو يستصرخه اليوم على آخر: إنك أيها المستصرخ لغويّ: يقول: إنك لذو غواية، مبين. يقول: قد تبينت غوايتك بقتالك أمس رجلا واليوم آخر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قال: أتى فرعون، فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، قال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، لا يستقيم أن نقضي بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا ذلك، فبينما هم يطوفون لا يجدون شيئا، إذ مرّ موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه

بالأُمس، وكره الذي رأى، فغضب موسى، فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي لما فعل بالأُمس واليوم ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾، فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال هذا، فإذا هو غضبان كغضبه بالأُمس إذ قتل فيه الفرعوني، فخاف أن يكون بعد ما قال له: ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ إياه أراد، ولم يكن أراد، إنما أراد الفرعوني، فخاف الإسرائيلي فحاجّه، فقال ﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأُمسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾؟ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته، فتتاركا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَا يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأُمسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فلما أراد موسى أن يبطش بالفرعوني الذي هو عدو له وللإسرائيلي، قال الإسرائيلي لموسى وظن أنه إياه يريد ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأُمسِ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الإسرائيلي لموسى: إن تريد ما تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض، وكان من فعل الجبابة: قتل النفوس ظلما، بغير حق. وقيل: إنما قال ذلك لموسى الإسرائيلي؛ لأنه كان عندهم من قتل نفسين: من الجبابة. كما جاء عن الشعبي وقوله: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ يقول: ما تريد أن تكون ممن يعمل في الأرض بما فيه صلاح أهلها، من طاعة الله. وذكر عن ابن إسحاق أنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق: ﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أي ما هكذا يكون الإصلاح.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ ذكر أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه، وأعلم به أهل القتل، فحينئذ طلب فرعون موسى، وأمر بقتله؛ فلما أمر بقتله، جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر، بلد فرعون وقومه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قال: انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الإسرائيلي إلى قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأُمسِ﴾ فأرسل فرعون الذباحين لقتل موسى، فأخذوا الطريق الأعظم، وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة، فاختصر طريقا قريبا، حتى سبقهم إلى موسى، فأخبره الخبر. وقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ ذكر أنه مؤمن آل فرعون، وكان اسمه فيما قيل: سمعان. وقال بعضهم: بل كان اسمه شمعون. كما جاء عن ابن إسحاق وقوله: ﴿مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ يقول: من آخر مدينة فرعون ﴿يَسْعَى﴾ يقول: يعجل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يقول جل ثناؤه: قال الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى لموسى: يا موسى إن أشراف قوم فرعون ورؤساءهم يتآمرون بقتلك، ويتشاورون ويرتئون فيك وقوله: ﴿فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ يقول: فخرج من هذه المدينة، إني لك في إشارتي عليك بالخروج منها من الناصحين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(١٣)
يقول تعالى ذكره: فخرج موسى من مدينة فرعون خائفاً من قتله النفس أن يقتل به ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ يقول: ينتظر الطلب أن يدركه فيأخذه. كما جاء عن ابن زيد وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
يقول تعالى ذكره: قال موسى وهو شاخص عن مدينة فرعون خائفاً: رَبِّ نَجِّنِي مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِكُفْرِهِمْ بِكَ. وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولما جعل موسى وجهه نحو مدين، ماضياً إليها، شاخصاً عن مدينة فرعون، وخارجاً عن سلطانه، ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ وعنى بقوله: "تلقاء" نحو مدين؛ ويقال: فعل ذلك من تلقاء نفسه، يعني به: من قبل نفسه ويقال: داره تلقاء دار فلان: إذا كانت محاذيتها، ولم يصرف اسم مدين لأنها اسم بلدة معروفة، كذلك تفعل العرب بأسماء البلاد المعروفة وقوله: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يقول: عسى ربي أن يبين لي قصد السبيل إلى مدين، وإنما قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها. وذكر أن الله قبض له إذ قال: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ملكاً سدده الطريق، وعرفه إياه. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(١٤) يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مُوسَى مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ﴾ يعني جماعة ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ نعمهم ومواشيهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن السدي وقوله: ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ يقول: ووجد من دون أمة الناس الذين هم على الماء، امرأتين تذودان، يعني بقوله: ﴿تَذُودَانِ﴾ تحسان غنمهما؛ يقال منه: ذاد فلان غنمه وماشيته: إذا أراد شيء من ذلك يَشِدُّ ويذهب، فردّه ومنعه يذودها ذوداً. كما جاء عن ابن عباس واختلف أهل التأويل في الذي كانت عنه تذود هاتان المرأتان وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول من قال معناه: تحسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا من سقي مواشيهم. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لدلالة قوله: ﴿مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ على أن ذلك كذلك، وذلك أنهما إنما شكتا أنهما لا تسقيان حتى يصدر الرعاء، إذ سألهما موسى عن ذودهما، ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس، كان لا شك أنهما كانتا تخبران عن سبب ذودهما عنها الناس، لا عن سبب تأخر سقيهما إلى أن يُصْدِرَ الرعاء. وقوله: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ يقول تعالى ذكره: قال موسى للمرأتين ما شأنكما وأمركما تذودان ماشيتكما عن الناس، هلا تسقونها مع مواشي الناس والعرب، تقول للرجل: ما خطبك؟ بمعنى: ما أمرك وحالك كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ يقول جل ثناؤه: قالت المرأتان لموسى: لا نسقي ماشيتنا حتى يصدر الرعاء مواشيهم، لأننا لا نطبق أن نسقي، وإنما نسقي مواشينا ما أفضلت مواشي الرعاء في الحوض، والرعاء: جمع راع، والراعي جمعه رعاء ورعاة ورعيان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وقوله: ﴿وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ يقولان: لا يستطيع من الكبر والضعف أن يَسْقِيَ ماشيته. وقوله: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ ذكر أنه عليه السلام فتح لهما عن رأس بئر كان عليها حَجَرٌ لا يطبق رفعه إلا جماعة من

الناس، ثم استسقى فسقى لهما ماشيتهما منه. كالذي جاء عن السدي، قال: رحمهما موسى حين ﴿قَالَتَا لَا نَسْقَى حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فأتى إلى البئر فاقتلع صخرة على البئر كان النفر من أهل مَدْيَنَ يجتمعون عليها، حتى يرفعوها، فسقى لهما موسى دلوا فأروتا غنمهما، فرجعتا سريعا، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: فسقى موسى للمرأتين ماشيتهما، ثم تولى إلى ظل شجرة ذكر أنها سَمُرَةٌ. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ محتاج. وذكر أن نبي الله موسى عليه السلام قال هذا القول، وهو بجهد شديد، وعَرَضَ ذلك للمرأتين تعريضا لهما، لعلهما أن تطعما مما به من شدة الجوع. وقيل: إن الخير الذي قال نبي الله ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ محتاج، إنما عنى به: شُبَّةٌ من طعام. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قال: لما هرب موسى من فرعون أصابه جوع شديد، حتى كانت ترى أمعاؤه من ظاهر الصفاق؛ فلما سقى للمرأتين، وأوى إلى الظل، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فجاءت موسى إحدى المرأتين اللتين سقى لهما تمشي على استحياء من موسى، قد سترت وجهها بثوبها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كالذي جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ يقول تعالى ذكره: قالت المرأة التي جاءت موسى تمشي على استحياء: إن أبي يدعوك ليجزيك: تقول: يثيبك أجر ما سقيت لنا. وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ يقول: فمضى موسى معها إلى أبيها، فلما جاء أباهما وقص عليه قصصه مع فرعون وقومه من القبط، قال له أبوها: ﴿لَا تَخَفْ﴾ فقد ﴿نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: من فرعون وقومه، لأنه لا سلطان له بأرضنا التي أنت بها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كالذي جاء عن السدي، قال: لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعا سألهما، فأخبرتا خبر موسى، فأرسل إليه إحداهما، فأتته تمشي على استحياء، وهي تستحي منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها، وقال لها: امضي، فمشت بين يديه، فضربت بها الريح، فنظر إلى عجيزتها، فقال لها موسى: امشي خلفي، ودليني على الطريق إن أخطأت. فلما جاء الشيخ وقص عليه القصص ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ يقول تعالى ذكره: قالت إحدى المرأتين اللتين سقى لهما موسى لأبيها حين أتاه موسى، وكان اسم إحداهما صفورا، واسم الأخرى ليا، وقيل: شرفا كذلك. كما جاء عن ابن اسحاق وأما أبوهما ففي اسمه اختلاف، فقال بعضهم: كان اسمه يثرون. كما جاء عن أبي عبيدة وقال آخرون: بل اسمه: يثري. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: بل اسمه شعيب، وقالوا: هو شعيب النبي عليه السلام. كما جاء عن الحسن قال أبو جعفر: وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر، ولا خبر بذلك تجب حجته،

فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ... قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ تعني بقولها: استأجره ليرعى عليك ماشيتك. ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ تقول: إن خير من تستأجره للرعي القوي على حفظ ماشيتك والقيام عليها في إصلاحها وصلاحها، الأمين الذي لا تخاف خيائته، فيما تأمنه عليه. وقيل: إنها لما قالت ذلك لأبيها، استنكر أبوها ذلك من وصفها إياه فقال لها: وما علمك بذلك؟ فقالت: أما قوته فما رأيت من علاجه ما عالج عند السقي على البئر، وأما الأمانة فما رأيت من غصص البصر عني. وبنحو ذلك جاءت الأخبار عن أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس، قال: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ قال: فأحفظته الغيرة أن قال: وما يدريك ما قوته وأمانته؟ قالت: أما قوته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه؛ وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إلي حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَى سِتْرِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٧) يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ أبو المرأتين اللتين سقى لهما موسى لموسى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجَ﴾ يعني بقوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾: على أن تبيني من تزويجها رعي ماشيتي ثماني حجاج، من قول الناس: أجرك الله فهو يأجرك، بمعنى: أثابك الله؛ والعرب تقول: أجرت الأجير أجره، بمعنى: أعطيته ذلك، كما يقال: أخذته فأنا أخذه. وحكى بعض أهل العربية من أهل البصرة أن لغة العرب: أجرت غلامي فهو مأجور، وأجرته فهو مؤجر، يريد: أفعلته. قال: وقال بعضهم: أجره فهو مؤاجر، أراد فاعلته؛ وكأن أباهما عندي جعل صداق ابنته التي زوجها موسى رعي موسى عليه ماشيته ثماني حجاج، والحجاج: السنون. وقوله: ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ يقول: فإن أتممت الثماني الحجاج عشرا التي شرطتها عليك بإنكاحي إياك إحدى ابنتي، فجعلتها عشر حجاج، فأحسن من عندك، وليس مما اشترطتها عليك بسبب تزويجك ابنتي ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ﴾ باشرط الثماني الحجاج عشرا عليك ﴿سِتْرِي﴾ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ في الوفاء بما قلت لك. كما جاء عن ابن إسحاق

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(٨) يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ موسى لأبي المرأتين ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي هذا الذي قلت من أنك تزوجني إحدى ابنتيك على أن أجرك ثماني حجاج، وأجب بيني وبينك، على كل واحد منا الوفاء لصاحبه بما أوجب له على نفسه. وقوله: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ يقول: أي الأجلين من الثماني الحجاج والعشر الحجاج قضيت، يقول: فرغت منها فوفيتكها رعي غنمك وماشيتك ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ يقول: فليس لك أن تعتدي عليّ، فتطالبنني بأكثر منه، و"ما" في قوله: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ صلة يوصل بها أي على الدوام وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ كان ابن إسحاق يرى هذا القول من أبي المرأتين. كما جاء عن ابن إسحاق، قال: قال موسى ﴿ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا

الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ قَالَ نَعَمْ وَاللَّهِ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٠٠﴾ فَرَوَّجَهُ، وَأَقَامَ مَعَهُ يَكْفِيهِ، وَيَعْمَلُ لَهُ فِي رِعَايَةِ غَنَمِهِ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ يَقُولُ: وَاللَّهُ عَلَى مَا أَوْجِبَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا لِصَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا الْقَوْلَ، شَهِيدٌ وَحَفِيزٌ وَذَكَرَ أَنَّ مُوسَى وَصَاحِبَهُ لَمَّا تَعَاقَدَا بَيْنَهُمَا هَذَا الْعَقْدَ، أَمَرَ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ أَنْ تَعْطِيَ مُوسَى عَصًا مِنَ الْعَصِيِّ الَّتِي تَكُونُ مَعَ الرِّعَاةِ، فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ، فَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا الْعَصَا الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُ آيَةً. وَقَالَ بَعْضُهُمْ تِلْكَ عَصَا أُعْطَاهُ إِيَّاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. كَمَا عَنْ السَّيِّدِ، قَالَ: أَمْرٌ - يَعْنِي أَبَا الْمَرَاتِينِ - إِحْدَى ابْنَتَيْهِ أَنْ تَأْتِيَهُ، يَعْنِي أَنْ تَأْتِيَ مُوسَى بِعَصَا، فَأَتَتْهُ بِعَصَا، وَكَانَتْ تِلْكَ الْعَصَا عَصًا اسْتَوْدَعَهَا إِيَّاهُ مَلِكٌ فِي صُورَةِ رَجُلٍ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، فَدَخَلَتْ الْجَارِيَّةُ، فَأَخَذَتْ الْعَصَا، فَأَتَتْهُ بِهَا؛ فَلَمَّا رَأَاهَا الشَّيْخُ قَالَ: لَا أَتِيَهُ بِغَيْرِهَا، فَأَلْقَتْهَا تَرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ بِغَيْرِهَا، فَلَا يَقَعُ فِي يَدِهَا إِلَّا هِيَ، وَجَعَلَ يَرُدُّدَهَا، وَكُلَّ ذَلِكَ لَا يَخْرُجُ فِي يَدِهَا غَيْرِهَا؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَمِدَ إِلَيْهَا، فَأَخْرَجَهَا مَعَهُ، فَرَعَى بِهَا. ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ نَدِمَ وَقَالَ: كَانَتْ وَدِيعَةً، فَخَرَجَ يَتَلَقَّى مُوسَى، فَلَمَّا لَقِيَهُ قَالَ: اعْطِنِي الْعَصَا، فَقَالَ مُوسَى: هِيَ عَصَايَ، فَأَبَى أَنْ يُعْطِيَهُ، فَاخْتَصَمَا، فَفَرَضَا أَنْ يَجْعَلَا بَيْنَهُمَا أَوَّلَ رَجُلٍ يَلْقَاهُمَا، فَأَتَاهُمَا مَلِكٌ يَمْشِي، فَقَالَ: ضَعُوهَا فِي الْأَرْضِ، فَمِنْ حَمَلِهَا فَهِيَ لَهُ، فَعَالَجَهَا الشَّيْخُ فَلَمْ يَطْقُهَا، وَأَخَذَ مُوسَى بِيَدِهِ فَرَفَعَهَا، فَتَرَكَهَا لَهُ الشَّيْخُ، فَرَعَى لَهُ عَشْرَ سَنِينَ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ مُوسَى أَحَقَّ بِالْوَفَاءِ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَلَمَّا وَفَى مُوسَى صَاحِبَهُ الْأَجَلَ الَّذِي فَارَقَهُ عَلَيْهِ، عِنْدَ إِنْكَاحِهِ إِيَّاهُ ابْنَتَهُ، وَذَكَرَ أَنَّ الَّذِي وَفَّاهُ مِنَ الْأَجَلَيْنِ، أَتَمَّهُمَا وَأَكْمَلَهُمَا، وَذَلِكَ الْعَشْرُ الْحَجَجِ، عَلَى أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: زَادَ مَعَ الْعَشْرِ عَشْرًا أُخْرَى. كَمَا جَاءَ عَنْ سَعِيدٍ وَقَوْلُهُ: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾ شَاخَصَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنْ مِصْرَ ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ يَعْنِي بِقَوْلِهِ: آنَسَ: ابْصَرَ وَأَحَسَّ وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ فِيمَا مَضَى قَبْلَ وَقَدْ بَيَّنَّا مَعْنَى الطُّورِ فِيمَا مَضَى بِشَوَاهِدِهِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الرِّوَايَةِ عَنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ. وَقَوْلُهُ: ﴿لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ يَقُولُ: قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ: تَمَهَّلُوا وَانْتَظَرُوا: إِنِّي أَبْصَرْتُ نَارًا ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا﴾ يَعْنِي مِنَ النَّارِ ﴿بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ يَقُولُ: أَوْ آتِيكُمْ بِقِطْعَةٍ غُلِيطَةٍ مِنَ الْحَطَبِ فِيهَا النَّارُ، وَهِيَ مِثْلُ الْجَذْمَةِ مِنْ أَصْلِ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَوْلُهُ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ يَقُولُ: لَعَلَّكُمْ تَسْخَنُونَ بِهَا مِنَ الْبَرْدِ، وَكَانَ فِي شِتَاءٍ.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: فَلَمَّا أَتَى مُوسَى النَّارَ الَّتِي ﴿آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ﴾ يَعْنِي بِالشَّاطِئِ: الشَّطُّ، وَهُوَ جَانِبُ الْوَادِي وَعُدُوتُهُ، وَالشَّاطِئُ يَجْمَعُ شَوَاطِئَ وَشَطَاطِينَ. وَالشَّطُّ: الشُّطُوطُ، وَالْأَيْمَنِ: نَعْتٌ مِنَ الشَّاطِئِ عَنْ يَمِينِ مُوسَى. وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَوْلُهُ: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ مِنْ صَلَةِ الشَّاطِئِ. وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: فَلَمَّا أَتَاهَا نَادَى اللَّهُ مُوسَى مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْهُ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. وَقِيلَ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿مِنْ

الشَّجَرَةَ: عند الشجرة. وقيل: إن الشجرة التي نادى موسى منها ربه: شجرة عَوْسَج. وقال بعضهم: بل كانت شجرة العَلِيق. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (٣٦) اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٣٧) يقول تعالى ذكره: نوذي موسى: ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها موسى، فصارت حية تسعى. ﴿فَلَمَّا رَآهَا﴾ موسى ﴿تَهْتَزُّ﴾ يقول: تتحرك وتضطرب ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ والجَانُّ واحد الجنان، وهي نوع معروف من أنواع الحيات، وهي منها عظام. ومعنى الكلام: كأنها جان من الحيات ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ يقول: ولّى موسى هاربا منها. كما جاء عن قتادة وقد ذكرنا الرواية في ذلك، وما قاله أهل التأويل فيما مضى، فكرهنا إعادته، غير أننا نذكر في ذلك بعض ما لم نذكره هنالك. وقوله: ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ يقول تعالى ذكره: فنودي موسى: يا موسى أقبل إليّ ولا تخف من الذي تهرب منه ﴿إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ من أن يضرك، وإنما هو عصاك. وقوله: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ يقول: أدخل يدك، وفيه لغتان: سلكته، وأسلكته ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ يقول: في جيب قميصك. كما جاء عن قتادة وقد بينا فيما مضى السبب الذي من أجله أمر أن يدخل يده في الجيب دون الكم. وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ يقول: تخرج بيضاء من غير برص. كما جاء عن الحسن وقوله: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ يقول: واضمم إليك يدك. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ يقول: من الخوف والفرق الذي قد نالك من معائيتك ما عانيت من هول الحية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: فهذان اللذان أريتكما يا موسى من تحول العصا حية، ويدك وهي سمراء، بيضاء تلمع من غير برص، برهانان: يقول: آيتان وحجتان. وأصل البرهان: البيان، يقال للرجل: يقول القول إذا سئل الحجة عليه: هات برهانك على ما تقول: أي هات تبيان ذلك ومصادقه. كما جاء عن السدي وغيره يقول: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِكِهِ﴾ إلى فرعون وأشراف قومه، حجة عليهم، ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ يقول: إن فرعون وملأه كانوا قوما كافرين.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٨) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٩) يقول تعالى ذكره: ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ أَتِيَهُمْ فَلَمْ أَبْنِ عَنْ نَفْسِي بِحُجَّةٍ﴾ ﴿أَنْ يَقْتُلُونِ﴾، لأن في لساني عقدة، ولا أبين معها ما أريد من الكلام ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ يقول: أحسن بيانا عما يريد أن يبينه ﴿فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ يقول: عوناً ﴿يُصَدِّقُنِي﴾: أي يبين لهم عني ما أخاطبهم به. كما حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾: أي يبين لهم عني ما أكلهم به، فإنه يفهم ما لا يفهمون. وقيل: إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه، لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما، أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقال آخرون: معنى ذلك: كيما يصدقني. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ يقول: إني أخاف أن لا يصدقوني

على قولي لهم: إني أرسلت إليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (٣٥) يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى سَنَشُدُّ عَضُدَكَ ؛ أي تقويك ونعينك بأخيك. تقول العرب إذا أعز رجل رجلا وأعانه ومنعه ممن أراد به بظلم: قد شد فلان على عضد فلان، وهو من عاضده على أمره: إذا أعانه، وقوله: وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا يقول: ونجعل لكما حجة. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا يقول تعالى ذكره: فلا يصل إليكما فرعون وقومه بسوء. وقوله: بِآيَاتِنَا يقول تعالى ذكره: فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ فالباء في قوله: بآياتنا من صلة غالبون. ومعنى الكلام: أنتم ومن اتبعكما غالبون فرعون وملاه بآياتنا؛ أي بحجتنا وسلطاننا الذي نجعله لكما.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٦) يقول تعالى ذكره: فلما جاء موسى فرعون وملاه بأدلتنا وحججنا بينات أنها حجج شاهدة بحقيقة ما جاء به موسى من عند ربه، قالوا لموسى: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر افتريته من قبلك وتخرصته كذبا وباطلا ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي تدعوننا إليه من عبادة من تدعوننا إلى عبادته في أسلافنا وآبائنا الأولين الذين مضوا قبلنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٧) يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ مجيبا لفرعون: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ بالمشق منا يا فرعون من المبطل، ومن الذي جاء بالرشاد إلى سبيل الصواب والبيان عن واضح الحجة من عنده، ومن الذي له العقبى المحمودة في الدار الآخرة منا، وهذه معارضة من نبي الله موسى عليه السلام لفرعون، وجميل مخاطبة، إذ ترك أن يقول له: بل الذي غر قومه وأهلك جنوده، وأصل أتباعه أنت لا أنا، ولكنه قال: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ ثم بالغ في ذم عدو الله بأجمل من الخطاب فقال: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ يقول: إنه لا ينجح ولا يدرك طلبتهم الكافرون بالله تعالى، يعني بذلك فرعون إنه لا يفلح ولا ينجح لكفره به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣٨) يقول تعالى ذكره: وقال فرعون لأشراف قومه وسادتهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ فتعبده، وتصدقوا قول موسى فيما جاءكم به من أن لكم وله ربا غيري ومعبودا سواي ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾ يقول: فاعمل لي آجرا، وذكر أنه أول من طبخ الآجر وبنى به. وقوله: ﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ يقول: ابن لي بالآجر بناء، وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر. وقوله: ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ يقول: انظر إلى معبود موسى، الذي يعبد، ويدعو إلى عبادته ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ فيما يقول من أن له معبودا يعبد في السماء، وأنه هو الذي يؤيده وينصره، وهو الذي أرسله إلينا من الكاذبين؛ فذكر لنا أن هامان بنى له الصرح، فارتقى فوقه. فكان من قصته وقصة ارتقائه ما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: قال فرعون لقومه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي﴾ أذهب في السماء، فأنظر ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾

فلما بُني له الصرح، ارتقى فوقه، فأمر بشابة فرمى بها نحو السماء، فردّت إليه وهي متلخطة دما، فقال: قد قتلت إله موسى، تعالى الله عما يقولون.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِنَّا لَا نُرْجِعُونَ ٢٦﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ: ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ فرعون ﴿وَجُودُهُ﴾ في أرض مصر عن تصديق موسى واتباعه على ما دعاهم إليه من توحيد الله، والإقرار بالعبودية له بغير الحق، يعني تعدّياً وعتواً على ربهم ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمُ إِنَّا لَا نُرْجِعُونَ﴾ يقول: وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب، ولا عقاب، فركبوا أهواءهم، ولم يعلموا أن الله لهم بالمرصاد، وأنه لهم مجاز على أعمالهم الخبيثة. وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: فجمعنا فرعون وجنوده من القبط ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ يقول: فألقيناهم جميعهم في البحر فغرقناهم فيه، وذكر أن ذلك بحر من وراء مصر، كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ قال: كان اليم بحرا يقال له إساف من وراء مصر غرقهم الله فيه. وقوله: ﴿فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فانظريا محمد بعين قلبك: كيف كان أمر هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بربهم، وردّوا على رسوله نصيحته، ألم نهلكهم فتورث ديارهم وأموالهم أوليائنا، ونحو لهم ما كان لهم من جنات وعيون وكنوز، ومقام كريم، بعد أن كانوا مستضعفين، تقتل أبناؤهم، وتستحيا نساؤهم، فإنا كذلك بك وبمن آمن بك وصدقك فاعلون مخولوك وإياهم ديار من كذبك، وردّ عليك ما أتيتهم به من الحق وأموالهم، ومهلكوهم قتلا بالسيف، سنة الله في الذين خلوا من قبل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ٢٨﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٢٩﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا فرعون وقومه أئمة يأتهم بهم أهل العتوّ على الله والكفر به، يدعون الناس إلى أعمال أهل النار ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ويوم القيامة لا ينصرهم إذا عذبهم الله ناصر، وقد كانوا في الدنيا يتناصرون، فاضمحلت تلك النصرة يومئذ. وقوله: ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يقول تعالى ذكره: وألزمنا فرعون وقومه في هذه الدنيا خزيا وغضبا منا عليهم، فحتمنا لهم فيها بالهلاك والبنار والثناء السيئ، ونحن متبعوهم لعنة أخرى يوم القيامة، فمخزوهم بها الخزي الدائم، ومهينوهم الهوان اللازم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٣٠﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا الأمم التي كانت قبله، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين {بَصَائِرَ لِلنَّاسِ} يقول: ضياء لبني إسرائيل فيما بهم إليه الحاجة من أمر دينهم ﴿وَهُدًى﴾ يقول: وبيانا لهم ورحمة لمن عمل به منهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول: ليتذكروا نعم الله بذلك عليهم، فيشكروه عليها ولا يكفروا. كما جاء عن أبي سعيد الخدري، قال: ما أهلك الله قوما بعداذب من السماء ولا من الأرض بعد ما أنزلت التوراة على وجه الأرض غير القرية التي مسحوا قرده، ألم تر أن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبَىٰ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ١٤﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ غربي الجبل ﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾ يقول: إذ فرضنا إلى موسى الأمر فيما ألزمناه وقومه، وعهدنا إليه من عهد ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ يقول: وما كنت لذلك من الشاهدين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وكما جاء عن أبي زرعة بن عمرو، قال: إنكم أمة محمد ﷺ قد أجبتكم قبل أن تسألوا، وقرأ: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبَىٰ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ١٥﴾ يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ ولكننا خلقنا أمتاً فأحدثناها من بعد ذلك ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ يقول: وما كنت مقيماً في أهل مدين، يقال: ثويت بالمكان أثوي به ثواء كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ١٦﴾ يقول تعالى ذكره: وما كنت يا محمد بجانب الجبل إذ نادينا موسى بأن ﴿سَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ... الآية.﴾ كما جاء عن أبي زرعة وكما جاء عن أبي هريرة، في قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ قال: نودوا يا أمة محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، واستجبت لكم قبل أن تدعوني، قال: وهو قوله: حين قال موسى ﴿وَإَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ... الآية.﴾ وقوله: ﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ يقول تعالى ذكره: لم تشهد شيئاً من ذلك يا محمد فعلمه، ولكننا عرفناك، وأنزلنا إليك، فاقصصنا ذلك كله عليك في كتابنا، وابتعثناك بما أنزلنا إليك من ذلك رسولا إلى من ابتعثناك إليه من الخلق رحمة منا لك ولهم. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أرسلناك بهذا الكتاب وهذا الدين لتنذر قوماً لم يأتهم من قبلك نذير، وهم العرب الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، بعثه الله إليهم رحمة لينذرهم بأسه على عبادتهم الأصنام، وإشراكهم به الأوثان والأنداد. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يقول: ليتذكروا خطأ ما هم عليه مقيمون من كفرهم بربهم، فينبوا إلى الإقرار لله بالوحدانية، وإفراده بالعبادة دون كل ما سواه من الآلهة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٧﴾ يقول تعالى ذكره: ولولا أن يقول هؤلاء الذين أرسلتك يا محمد إليهم، لو حل بهم بأسنا، أو أتاهم عذابنا من قبل أن نرسلك إليهم على كفرهم بربهم، واكتسابهم الآثام، واجترامهم المعاصي: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا من قبل أن يحل بنا سخطك، وينزل بنا عذابك فتتبع أدلتك، وأي كتابك الذي تنزله على رسولك ونكون من المؤمنين بألوهيتك، المصدقين رسولك فيما أمرتنا ونهيتنا، لعاجلناهم العقوبة على شركهم من قبل ما أرسلناك إليهم، ولكننا بعثناك إليهم نذيراً بأسنا على كفرهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. والمصيبة في هذا الموضع: العذاب والنقمة. ويعني بقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بما اكتسبوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فلما جاء هؤلاء الذين لم يأتهم من قبلك يا محمد نذير فبعثناك إليهم نذيرا ﴿الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾، وهو محمد ﷺ بالرسالة من الله إليهم، قالوا تمرّدًا على الله، وتماديا في الغي: هلا أُوتِيَ هذا الذي أرسل إلينا، وهو محمد ﷺ مثل ما أُوتِيَ موسى بن عمران من الكتاب؟ يقول الله تبارك وتعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لقومك من قريش، القائلين لك ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ أو لم يكفر الذين علموا هذه الحجة من اليهود بما أُوتِيَ موسى من قبلك. كما جاء عن مجاهد "قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا". واختلفت القراء في قراءة ذلك واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك على قدر اختلاف القراء في قراءته. قال أبو جعفر: وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب، قراءة من قرأه ﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾ بمعنى: كتاب موسى وهو التوراة، وكتاب عيسى وهو الإنجيل. وإنما قلنا: ذلك أولى القراءتين بالصواب، لأن الكلام من قبله جرى بذكر الكتاب، وهو قوله: ﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ والذي يليه من بعده ذكر الكتاب، وهو قوله: ﴿فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ﴾ فالذي بينهما بأن يكون من ذكره أولى وأشبه بأن يكون من ذكر غيره. وإذا كان ذلك هو الأولى بالقراءة، فمعلوم أن معنى الكلام: قل يا محمد، أو لم يكفر هؤلاء اليهود بما أُوتِيَ موسى من قبل؟ وقالوا لما أُوتِيَ موسى من الكتاب وما أُوتيته أنت: سحران تعاونا؟ وقوله: ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وقالت اليهود: إنا بكل كتاب في الأرض من توراة وإنجيل، وزبور وفرقان كافرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال بعض أهل التأويل، وخالفه فيه مخالفون. كما جاء عن مجاهد وقال آخرون: بل معنى ذلك: وقالوا إنا بكل الكتابين الفرقان والإنجيل كافرون. كما جاء عن الضحاك وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٩﴾﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للقائلين للتوراة والإنجيل: هما سحران تظاهرا: اتّوا بكتاب من عند الله، هو أهدى منهما لطريق الحق، ولسبيل الرشاد ﴿أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم أن هذين الكتابين سحران، وأن الحق في غيرهما. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٦٠﴾﴾ يقول تعالى ذكره: فإن لم يجبك هؤلاء القائلون للتوراة والإنجيل: سحران تظاهرا، الزاعمون أن الحق في غيرهما من اليهود يا محمد، إلى أن يأتوك بكتاب من عند الله، هو أهدى منهما، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، وأن الذي ينطقون به ويقولون في الكتابين، قول كذب وباطل، لا حقيقة له، ولعل قائلًا أن يقول: أو لم يكن النبي ﷺ يعلم أن ما قال القائلون من اليهود وغيرهم في التوراة والإنجيل من الإفك والزور، المسموهما سحرين باطل من القول، إلا بأن لا يجيبوه إلى إتيانهم بكتاب هو أهدى منهما؟ قيل: هذا كلام خرج مخرج الخطاب لرسول الله ﷺ، والمراد به المقول لهم: أو لم يكفروا بما أُوتِيَ موسى من قبل من كفار قريش، وذلك أنه قيل للنبي ﷺ: قل يا محمد لمشركي قريش: أو لم يكفر

هؤلاء الذين أمروكم أن تقولوا: هلا أوتي محمد مثل ما أوتي موسى - بالذي أوتي موسى - من قبل هذا القرآن؟ ويقولوا للذي أنزل عليه وعلى عيسى سِحْرَانِ تَظَاهَرَا فقولوا لهم إن كنتم صادقين أن ما أوتي موسى وعيسى سحر، فأتوني بكتاب من عند الله، هو أهدى من كتابيهما، فإن هم لم يجيبوكم إلى ذلك فأعلموا أنهم كذبة، وأنهم إنما يتبعون في تكذيبهم محمداً، وما جاءهم به من عند الله أهواء أنفسهم، ويتركون الحق وهم يعلمون. يقول تعالى ذكره: "وَمَنْ أَضَلُّ عَنْ طَرِيقِ الرِّشَادِ، وَسَبِيلِ السَّدَادِ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوِيَّ نَفْسِهِ بَغَيْرِ بَيَانٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَعَهْدٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَتْرَكَ عَهْدَ اللَّهِ الَّذِي عَهْدُهُ إِلَى خَلْقِهِ فِي وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" يقول تعالى ذكره: إن الله لا يوفق لإصابة الحق وسبيل الرشاد القوم الذين خالفوا أمر الله وتركوا طاعته، وكذبوا رسوله، وبدلوا عهده، واتبعوا أهواء أنفسهم إثارة منهم لطاعة الشيطان على طاعة ربهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾ يقول تعالى ذكره: ولقد وصلنا يا محمد، لقومك من قريش ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين والنبا عما أحللنا بهم من بأسنا، إذ كذبوا رسلنا، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم، واحتذى في الكفر بالله، وتكذيب رسله مثالهم، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا. وأصله من: وصل الحبال بعضها ببعض وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله، فقال بعضهم: معناه: بينا. وقال بعضهم: معناه: فصلنا. كما جاء عن مجاهد وقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾ الخبر، خبر الدنيا بخبر الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة، وشهدها في الدنيا، بما نريهم من الآيات في الدنيا وأشباهاها. وقرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ وقال: إنا سوف ننجزهم ما وعدناهم في الآخرة كما أنجزنا للأنبياء ما وعدناهم نقضي بينهم وبين قومهم. واختلف أهل التأويل، فيمن عني بالهاء والميم من قوله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ﴾ فقال بعضهم: عني بهما قريشا. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال آخرون نزلت في يهود كما جاء عن عطية القرظي قال: نزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ في عشرة أنا أحدهم، فكأن ابن عباس أراد بقوله: يعني محمداً، لعلهم يتذكرون عهد الله في محمد إليهم، فيقرّون بنبوته ويصدقونه. وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره قوماً من أهل الكتاب آمنوا برسوله وصدقوه، فقال الذين آتيناهم الكتاب من قبل هذا القرآن، هم بهذا القرآن يؤمنون. فيقرّون أنه حق من عند الله، ويكذب جهلة الأميين، الذين لم يأتهم من الله كتاب. وجاء عن قتادة، قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ قال: كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق، يأخذون بها، ويتتهون إليها، حتى بعث الله محمداً ﷺ، فآمنوا به، وصدقوا به، فأعطاهم الله أجرهم مرتين، بصرهم على الكتاب الأوّل، واتباعهم محمداً ﷺ، وصرهم على ذلك، وذكر أن منهم سلمان، وعبد الله بن سلام. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ناس من أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل، ثم أدركوا محمداً ﷺ، فآمنوا به. فاتاهم الله أجرهم مرتين بما صبروا: بإيمانهم بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، واتباعهم إياه حين بعث، فذلك قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ﴾ هذا القرآن على الذين آتيناهم الكتاب من قبل نزول هذا القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ يقول: يقولون: صدقتا به ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا﴾ يعني من عند ربنا نزل، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أى نزول هذا القرآن ﴿مُسْلِمِينَ﴾، وذلك أنهم كانوا مؤمنين بما جاء به الأنبياء قبل مجيء نبينا محمد ﷺ وعليهم من الكتب، وفي كتبهم صفة محمد ونعته، فكانوا به وبمبعثه وبكتابه مصدقين قبل نزول القرآن، فلذلك قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم ﴿يُؤْتَوْنَ﴾ ثواب عملهم ﴿مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾. واختلف أهل التأويل في معنى الصبر الذي وعد الله ما وعد عليه فقال بعضهم: وعدهم ما وعد جل ثناؤه بصبرهم على الكتاب الأول، واتباعهم محمدا ﷺ، وصبرهم على ذلك. وذلك قول قتادة، وقد ذكرناه قبل. وقال آخرون: بل وعدهم بصبرهم بإيمانهم بمحمد ﷺ قبل أن يبعث، واتباعهم إياه حين بعث، وذلك قول الضحاك بن مزاحم، وقد ذكرناه أيضا قبل، وممن وافق قتادة على قوله: عبد الرحمن بن زيد. إذ قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ على دين عيسى، فلما جاء النبي ﷺ أسلموا، فكان لهم أجرهم مرتين بما صبروا أول مرة، ودخلوا مع النبي ﷺ في الإسلام. وقال قوم في ذلك بما جاء عن مجاهد، قال: إن قوما كانوا مشركين أسلموا، فكان قومهم يؤذونهم، فنزلت: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ وقوله: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ يقول: ويدفون بحسنات أفعالهم التي يفعلونها سيئاتهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الأموال ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله، إما في جهاد في سبيل الله، وإما في صدقة على محتاج، أو في صلة رحم. كما جاء عن قتادة لقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا سمع هؤلاء القوم الذين آتيناهم الكتاب اللغو، وهو الباطل من القول. كما جاء عن قتادة وقال آخرون: عني باللغو في هذا الموضع: ما كان أهل الكتاب ألحقوه في كتاب الله مما ليس هو منه. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا﴾... إلى آخر الآية، قال: هذه لأهل الكتاب، إذا سمعوا اللغو الذي كتب القوم بأيديهم مع كتاب الله، وقالوا: هو من عند الله، إذا سمعه الذين أسلموا، ومروا به يتلونه، أعرضوا عنه، وكانهم لم يسمعوا ذلك قبل أن يؤمنوا بالنبي ﷺ، لأنهم كانوا مسلمين على دين عيسى، ألا ترى أنهم يقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾. وقال آخرون في ذلك بما جاء عن مجاهد ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال: نزلت في قوم كانوا مشركين فأسلموا، فكان قومهم يؤذونهم. وقوله: ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ يقول: لم يصغوا إليه ولم يستمعوه ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وهذا يدل على أن اللغو الذي ذكره الله في هذا الموضع، إنما هو ما قاله مجاهد، من أنه سماع القوم ممن يؤذيهم بالقول ما يكرهون منه في أنفسهم، وأهم أجابوهم بالجميل من القول ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ قد رضينا بها لأنفسنا، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ قد رضيتم بها لأنفسكم. وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: أمانة لكم منا أن نُسَابِكُمْ، أو تسمعوا منا ما لا تحبون ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ يقول: لا نريد محاورة أهل الجهل ومسابقتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٦١) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرايته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبا ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يقول جل ثناؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهتدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسده ويوفقه. وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك. كالذي جاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لعمه عند الموت: "قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" قال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت عينك، فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾... الآية. وجاء عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: "يَا عَمَّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: "أَمَّا وَاللَّهِ لَا سَتَغْفِرَ لَكَ مَا لَمْ أَنَّهُ عَنكَ"، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي﴾... الآية. وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ يقول: وهو أعلم بمن قضى له الهدى. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٢) يقول تعالى ذكره: وقالت كفار قريش: إن نتبع الحق الذي جئنا به معك، ونتبرأ من الأنداد والآلهة، يتخطفنا الناس من أرضنا بإجماع جميعهم على خلافنا وحر بنا، يقول الله لنبيه: فقل: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا﴾ يقول: أو لم نوطئ لهم بلدا حرمنا على الناس سفك الدماء فيه، ومنعناهم من أن يتناولوا سكانه فيه بسوء، وأمنا على أهلهم من أن يصيبهم بها غارة، أو قتل، أو سباء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقوله: ﴿يُجَبَّىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يقول يجمع إليه، وهو من قولهم: جبيت الماء في الحوض: إذا جمعته فيه، وإنما أريد بذلك: يحمل إليه ثمرات كل بلد. كما جاء عن ابن عباس وقوله: ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ يقول: ورزقا رزقناهم من لدنا، يعني: من عندنا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر هؤلاء المشركين القائلين لرسول الله ﷺ: ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ لا يعلمون أنا نحن الذين مكنا لهم حرمنا آمنا، ورزقناهم فيه، وجعلنا الثمرات من كل أرض تجبي إليهم، فهم بجعلهم بمن فعل ذلك بهم يكفرون، لا يشكرون من أنعم عليهم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (٦٣) يقول تعالى ذكره: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أبطرتها ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ فبطرت، وأشترت، وطغت، فكفرت رباها. وقيل: بطرت معيشتها، فجعل الفعل للقرية،

وهو في الأصل للمعيشة، كما يقال: أسفهك رأيك فسفهته، وأبطرك مالك فبطرته، والمعيشة منصوبة على التفسير. وقد بينا نظائر ذلك في غير موضع من كتابنا هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ قال: البطر: أشْرُ أهل الغفلة وأهل الباطل والركوب لمعاصي الله، وقال: ذلك البطر في النعمة ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يقول: فتلك دور القوم الذين أهلكتناهم بكفرهم بربهم، ومنازلهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا يقول: خربت من بعدهم، فلم يعمر منها إلا أقلها، وأكثرها خراب. ولفظ الكلام وإن كان خارجا على أن مساكنهم قد سكنت قليلا فإن معناه: فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا منها، كما يقال: قضيت حقل إلا قليلا منه. وقوله: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ يقول: ولم يكن لما خرّينا من مساكنهم منهم وإرث، وعادت كما كانت قبل سكناهم فيها، لا مالك لها إلا الله، الذي له ميراث السموات والأرض.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ التي حوالي مكة في زمانك وعصرك ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا﴾ يقول: حتى يبعث في مكة رسولا وهي أم القرى، يتلو عليهم آيات كتابنا، والرسول: محمد ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أعطيتم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد، فإنما هو متاع تمتعون به في هذه الحياة الدنيا، وهو من زينتها التي يترين به فيها، لا يغني عنكم عند الله شيئا، ولا ينفعكم شيء منه في معادكم، وما عند الله لأهل طاعته وولايته خير مما أوتيتموه أنتم في هذه الدنيا من متاعها وزينتها ﴿وَأَبْقَى﴾، يقول: وأبقى لأهله؛ لأنه دائم لا نفاذ له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن اسحاق وغيره يقول تعالى ذكره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفلا عقول لكم أيها القوم تتدبرون بها فتعرفون بها الخير من الشر، وتختارون لأنفسكم خير المنزلتين على شرهما، وتؤثرون الدائم الذي لا نفاذ له من النعيم، على الفاني الذي لا بقاء له.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: أفمن وعدناه من خلقنا على طاعته إيانا الجنة، فأمّن بما وعدناه وصدق وأطاعنا، فاستحق بطاعته إيانا أن ننجز له ما وعدناه، فهو لاق ما وعد، وصائر إليه كمن متّعناه في الدنيا متاعها، فتمتع به، ونسي العمل بما وعدنا أهل الطاعة، وترك طلبه، وآثر لذة عاجلة على آجلة، ثم هو يوم القيامة إذا ورد على الله من المحضرين، يعني من المُشْهَدِينَ عذاب الله، وأليم عقابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية، فقال بعضهم نزلت في النبي ﷺ، وفي أبي جهل بن هشام. كما جاء عن ابن جريج وقال آخرون: نزلت في حمزة وعلي ﷺ، وأبي جهل لعنه الله. كما جاء عن مجاهد

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ١٣٠ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ١٣١ يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي رب العزة الذين أشركوا به الأنداد والأوثان في الدنيا، فيقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم لي في الدنيا شركاء ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ يقول: قال الذين وجب عليهم غضب الله ولعنته، وهم الشياطين الذين كانوا يغوون بني آدم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ يقول: تبرأنا من ولايتهم ونصرتهم إليك ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ يقول: لم يكونوا يعبدوننا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ ١٣٢ يقول تعالى ذكره: وقيل للمشركين بالله الآلهة والأنداد في الدنيا: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ الذين كنتم تدعون من دون الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ يقول: فلم يجيبوهم ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ يقول: وعابوا العذاب ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ يقول: فودوا حين رأوا العذاب لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٣٣ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ١٣٤ يقول تعالى ذكره: ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين، فيقول لهم: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ فيما أرسلناهم به إليكم، من دعائكم إلى توحيدنا، والبراءة من الأوثان والأصنام ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ﴾ يقول: فخفيت عليهم الأخبار، من قولهم: قد عمي عني خبر القوم: إذا خفي. وإنما عني بذلك أنهم عميت عليهم الحجة، فلم يدروا ما يحتجون؛ لأن الله تعالى قد كان أبلغ إليهم في المعذرة، وتابع عليهم الحجة، فلم تكن لهم حجة يحتجون بها، ولا خبر يخبرون به، مما تكون لهم به نجاة ومخلص. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن جريج وغيره وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ بالأنساب والقرابة. كما جاء عن مجاهد وقيل معنى ذلك: فعميت عليهم الحجج يومئذ، فسكتوا، فهم لا يتساءلون في حال سكوتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ ١٣٥ يقول تعالى ذكره: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من المشركين، فأتاب وراجع الحق، وأخلص الله الألوهة، وأفرد له العبادة، فلم يشرك في عبادته شيئاً ﴿وَآمَنَ﴾ يقول: وصدق بنبيه محمد ﷺ ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يقول: وعمل بما أمره الله بعمله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ ﴿فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ يقول: فهو من المنجحين المدركين طلبتهم عند الله، الخالدين في جنانه، وعسى من الله واجب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ١٣٦ يقول تعالى ذكره: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أن يخلقه ﴿وَيَخْتَارُ﴾ لولايته الخيرة من خلقه، ومن سبقت له منه السعادة. وإنما قال جل ثناؤه: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ والمعنى: ما وصفت، لأن المشركين كانوا فيما ذكر عنهم يختارون أموالهم، فيجعلونها لألهتهم، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: وربك يا محمد يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار للهداية والإيمان والعمل الصالح من خلقه، ما هو في سابق علمه أنه خيرتهم، نظير ما كان من هؤلاء المشركين

لآلهتهم خيار أموالمهم، فذلك اختياري لنفسي. واجتباي لولايتي، واصطفائي لخدمتي وطاعتي، خيار مملكتي وخلقِي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وقوله: سبحانه وتعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له، وعلموا عما أضاف إليه المشركون من الشرك، وما تخرصوه من الكذب والباطل عليه. وتأويل الكلام: سبحانه الله وتعالى عن شركهم. وقد كان بعض أهل العربية يوجهه إلى أنه بمعنى: وتعالى عن الذي يشركون به.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٦٦ ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٦٧ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد يعلم ما تخفي صدور خلقه؛ وهو من: أكننت الشيء في صدري: إذا أضمرته فيه، وكنت الشيء: إذا صنته، وَمَا يُعْلِنُونَ: يقول: وما يبدونه بالستهم وجوارهم، وإنما يعني بذلك أن اختيار من يختار منهم للإيمان به على علم منه بسرائر أمورهم وبوادبها، وأنه يختار للخير أهلها، فيوفقهم له، ويولي الشر أهلها، ويخليهم وياه، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وربك يا محمد، المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا معبود تجوز عبادته غيره لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ يعني: في الدنيا وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ يقول: وله القضاء بين خلقه وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالحق.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ٦٨ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: أيها القوم أرايتم إن جعل الله عليكم الليل دائما لا نهار إلى يوم القيامة يعقبه. والعرب تقول لكل ما كان متصلا لا ينقطع من رخاء أو بلاء أو نعمة: هو سرمد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ﴾ يقول: من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار، فتستضيئون به. ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ يقول: أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه فتتعظون، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل، فينعم باختلافهما كذلك عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٦٩ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لمشركي قومك ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أيها القوم ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ دائما لا ليل معه أبدا ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ﴾ من معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء ﴿يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ فتستقرون وتهدهون فيه ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يقول: أفلا ترون بأبصاركم اختلاف الليل والنهار عليكم؛ رحمة من الله لكم، وحجة منه عليكم، فتعلموا بذلك أن العبادة لا تصلح إلا لمن أنعم عليكم بذلك دون غيره، ولمن له القدرة التي خالف بها بين ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٧٠ يقول تعالى ذكره: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بكم أيها الناس ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ فخالف بينهما، فجعل هذا الليل ظلاما ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ وتهدهوا وتستقروا لراحة أبدانكم فيه من تعب التصرف الذي تصرفون نهارا لمعايشكم. وفي الهاء التي في قوله: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾

وجهان: أحدهما: أن تكون من ذكر الليل خاصة، ويضمّر للنهار مع الابتغاء هاء أخرى. والثاني: أن تكون من ذكر الليل والنهار، فيكون وجه توحيدها وهي لهما وجه توحيد العرب في قولهم: إقبالك وإدبارك يؤذيني؛ لأن الإقبال والإدبار فعل، والفعل يوحد كثيره وقليله. وجعل هذا النهار ضياء تبصرون فيه، فتصرفون بأبصاركم فيه لمعايشكم، وابتغاء رزقه الذي قسمه بينكم بفضل الذي تفضل عليكم. وقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولتشكروه على إنعامه عليكم بذلك، فعل ذلك بكم لتفردوه بالشكر، وتخلصوا له الحمد، لأنه لم يشركه في إنعامه عليكم بذلك شريك، فلذلك ينبغي أن لا يكون له شريك في الحمد عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ يعني تعالى ذكره: ويوم ينادي ربك يا محمد هؤلاء المشركين فيقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أيها القوم في الدنيا أنهم شركائي. وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وأحضرنا من كل جماعة شهيداً وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجبته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة. وقيل: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ من قوله: نزع فلان بحجة كذا، بمعنى: أحضرها وأخرجها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وغيره وقوله: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يقول: فقلنا لأمة كل نبي منهم التي ردت نصيحته، وكذبت بما جاءها به من عند ربهم، إذ شهد نبيها عليها بإبلاغه إياها رسالة الله: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يقول: فقال لهم: هاتوا حجتكم على إشراككم بالله ما كنتم تشركون مع إعدار الله إليكم بالرسول وإقامته عليكم بالحجج. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن مجاهد وغيره وقوله: ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ يقول: فعلموا حيث أن الحجة البالغة لله عليهم، وأن الحق لله، والصدق خبره، فأيقنوا بعذاب من الله لهم دائم ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ يقول: واضمحل فذهب الذي كانوا يُشركون بالله في الدنيا، وما كانوا يتخَرَّصون، ويكذبون عليهم، فلم ينفعهم هنالك بل ضرهم وأصلاهم نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ قَارُونَ﴾ وهو قارون بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب ﴿كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ يقول: كان من عشيرة موسى بن عمران النبي ﷺ، وهو ابن عمه لأبيه وأمه، وذلك أن قارون هو قارون بن يصر بن قاهث، وموسى: هو موسى بن عمران بن قاهث، كذا نسبه ابن جريج. وأما ابن إسحاق فإن ابن حميد حدثنا قال: ثنا سلمة عنه، أن يصر بن قاهث تزوج سميت بنت بتاويت بن برکنا بن بقشان بن إبراهيم، فولدت له عمران بن يصر، وقارون بن يصر، ففكح عمران بخنت بنت شمويل بن برکنا بن بقشان بن برکنا، فولدت له هارون بن عمران، وموسى بن عمران صفي الله ونبيه؛ فموسى على ما ذكر ابن إسحاق ابن أخي قارون، وقارون هو عمه أخو أبيه لأبيه ولأمه. وأكثر أهل العلم في ذلك على ما قاله ابن جريج. وقوله: ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ يقول: فتجاوز حده في الكبر والتجبر عليهم. وكان بعضهم يقول: كان بغيه عليهم زيادة شبر أخذها في طول ثيابه. كما جاء عن شهر بن حوشب وقال آخرون: كان بغيه عليهم بكثرة ماله. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ

مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ يقول تعالى ذكره: وآتينا قارون من كنوز الأموال ما إن مفاتحه، وهي جمع مفتاح، وهو الذي يفتح به الأبواب. وقال بعضهم: عني بالمفاتيح في هذا الموضع: الخزائن لِثِقَلِ العصبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن خيشمة، قال: كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا كل مفتاح منها باب كنز معلوم مثل الأصبع من جلود. وقال قوم: عني المفاتيح في هذا الموضع: خزائنه. كما جاء عن أبي صالح، في قوله: ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ قال: كانت خزائنه تحمل على أربعين بغلا. واختلف أهل التأويل في مبلغ عددها الذي أريد في هذا الموضع؛ فأما مبلغ عدد العصبة في كلام العرب فقد ذكرناه فيما مضى باختلاف المختلفين فيه، والرواية في ذلك، والشواهد على الصحيح من قولهم في ذلك بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، فقال بعضهم: كانت مفاتيحه تنوء بعصبة؛ مبلغ عددها أربعون رجلا. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: ستون، وقال: كانت مفاتيحه تحمل على ستين بغلا. كما جاء عن خيشمة وقال آخرون: كات تحمل على ما بين ثلاثة إلى عشرة. كما جاء عن ابن عباس وقال آخرون: كانت تحمل ما بين عشرة إلى خمسة عشر. كما جاء عن مجاهد وقوله: ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ يعني: أولي الشدة. وقال مجاهد في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ قال: خمسة عشر. فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ وكيف تنوء المفاتيح بالعصبة، وإنما العصبة هي التي تنوء بها؟ قيل: اختلف في ذلك أهل العلم بكلام العرب، فقال بعض أهل البصرة: مجاز ذلك: ما إن العصبة ذوي القوة لتنوء بمفاتيح نعمه. قال: ويقال في الكلام: إنها لتنوء بها عجيزتها، وإنما هو: تنوء بعجيزتها كما ينوء البعير بحمله، قال: والعرب قد تفعل مثل هذا، والمعنى: فديت بنفسي وبمالي نفسه. وقال آخر منهم في قوله: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾: نوءُها بالعصبة: أن تُثْقَلُهم؛ وقال: المعنى: إن مفاتيحه لَتُنْثَى العصبة: تميلهن من ثقلها، فإذا أدخلت الباء قلت: تنوء بهم وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ يقول: إذ قال قومه: لا تبغ ولا تبطر فرحا، إن الله لا يحب من خلقه الأشرين البطرين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا وقوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ يقول: ولا تترك نصيبك وحظك من الدنيا، أن تأخذ فيها بنصيبك من الآخرة، فتعمل فيه بما ينجيك غدا من عقاب الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن عباس وغيره وقال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال: لا تنس أن تقدم من دنياك لآخرتك، فإنما تجد في آخرتك ما قدمت في الدنيا، فيما رزقك الله. وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تترك أن تطلب فيها حظك من الرزق. كما جاء عن قتادة وقوله: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ يقول: وأحسن في الدنيا إنفاق مالك الذي آتاك الله، في وجوهه وسبله، كما أحسن الله إليك، فوسع عليك منه، وبسط لك فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ

اللَّهُ إِلَيْكَ قَالَ: أحسن فيما رزقك الله. ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ يقول: ولا تلتمس ما حرم الله عليك من البغي على قومك. ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ يقول: إن الله لا يحب بغاة البغي والمعاصي.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ يقول تعالى ذكره: قال قارون لقومه الذين وعظوه: إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن ابن زيد وغيره وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿عِنْدِي﴾ بمعنى: أرى، كأنه قال: إنما أوتيته لفضل علمي، فيما أرى. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ يقول جل ثناؤه: أو لم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه، فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشا، وأكثر جمعا للأموال؛ ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا لأن من كان الله عنه راضيا، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راض، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا. وقوله: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قيل: إن معنى ذلك أنهم يدخلون النار بغير حساب. كما جاء عن قتادة وقيل: معنى ذلك: أن الملائكة لا تسأل عنهم، لأنهم يعرفونهم بسيماهم. كما جاء عن مجاهد وقيل معنى ذلك: ولا يسأل عن ذنوب هؤلاء الذين أهلكهم الله من الأمم الماضية المجرمون فيم أهلكوا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ يقول تعالى ذكره: فخرج قارون على قومه في زينته، وهي فيما ذكر ثياب الأرجوان. كما جاء عن مجاهد وقال ابن جريج: على بغلة شهباء عليها الأرجوان، وثلاث مائة جارية على البغال الشهب، عليهن ثياب حمراء. ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ يقول تعالى ذكره: قال الذين يريدون زينة الحياة الدنيا من قوم قارون: يا ليتنا أعطينا مثل ما أعطى قارون من زينتها ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ يقول: إن قارون لذو نصيب من الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ يقول تعالى ذكره: وقال الذين أوتوا العلم بالله، حين رأوا قارون خارجا عليهم في زينته، للذين قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون: ويلكم اتقوا الله وأطيعوه، فثواب الله وجزاؤه لمن آمن به وبرسله، وعمل بما جاءت به رسله من صالحات الأعمال في الآخرة، خير مما أوتي قارون من زينته وماله لقارون. وقوله: ﴿وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ يقول: ولا يلقيها: أي ولا يوفق لقبل هذه الكلمة، وهي قوله: ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ والهاء والألف كناية عن الكلمة. وقال: ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ يعني بذلك: الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا، وآثروا ما

عند الله من جزيل ثوابه على صالحات الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها، فجدوا في طاعة الله، ورفضوا الحياة الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: فخسفنا بقارون وأهل داره. وقيل: وبداره، لأنه ذكر أن موسى إذ أمر الأرض أن تأخذه أمرها بأخذه، وأخذ من كان معه من جلسائه في داره، وكانوا جماعة جلوسا معه، وهم على مثل الذي هو عليه من النفاق والمؤازرة على أذى موسى. كالذي جاء عن ابن عباس، قال: لما نزلت الزكاة أتى قارون موسى، فصالحه على كل ألف دينار دينارا، وكل ألف شيء شيئا، أو قال: وكل ألف شاة شاة "الطبري يشك" قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيرا، فجمع بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل، إن موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ من أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وأنت سيدنا، فمرنا بما شئت، فقال: أمركم أن تجيئوا بفلانة البغي، فنجعلوها لها فجعلوا فتقذفه بنفسها، فدعوها فجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، ثم أتى موسى، فقال لموسى: إن بني إسرائيل قد اجتمعوا لتأمرهم ولتنهاهم، فخرج إليهم وهم في براح من الأرض، فقال: يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت، أو رجمناه حتى يموت "الطبري يشك" فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال: فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة. قال: ادعوها، فإن قالت، فهو كما قالت؛ فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، قالت: يا لبيك، قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا وكذبوا، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أذفك بنفسي؛ فوثب، فسجد وهو بينهم، فأوحى الله إليه: مَرِ الْأَرْضَ بِمَا شِئْتَ، قال: يا أرض خذيههم! فأخذتهم إلى أقدامهم. ثم قال: يا أرض خذيههم، فأخذتهم إلى ركبهم. ثم قال: يا أرض خذيههم، فأخذتهم إلى حقيهم ثم قال: يا أرض خذيههم، فأخذتهم إلى أعناقهم؛ قال: فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، ويتضرعون إليه. قال: يا أرض خذيههم، فانطبقت عليهم، فأوحى الله إليه: يا موسى، يقول لك عبادي: يا موسى، يا موسى فلا ترحمهم؟ أما لو إياي دعوا، لوجدوني قريباً مجيباً؛ قال: فذلك قول الله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ وكانت زينته أنه خرج على دواب شقر عليها سروج حمر، عليهم ثياب مصبغة بالبهرمان. ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يا محمد ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. كما جاء عن ابن عباس وغيره وجاء عن قتادة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ ذكر لما أنه يخسف به كل يوم قامة، وأنه يتجلجل فيها، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقول: فلم يكن له جند يرجع إليهم، ولا فئة ينصرونه لما نزل به من سخطه، بل تبرءوا منه. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ يقول: ولا كان هو ممن ينتصر من الله إذا أحل به نعمته، فيمتنع لقوته منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة وقد بينا معنى الفئة فيما مضى وأنها الجماعة من الناس،

وأصلها الجماعة التي يفيء إليها الرجل عند الحاجة إليهم، للعون على العدو، ثم تستعمل ذلك العرب في كل جماعة كانت عوناً للرجل، وظهر له

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآءُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَآءُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون: ويكآءُ الله، وما بسط له منها بالأمس، يعني قبل أن ينزل به ما نزل من سخط الله وعقابه، يقولون: ويكآءُ الله، اختلف في معنى ﴿وَيَكَآءُ اللَّهُ﴾ وأولى الأقوال في ذلك بالصحة: القول الذي ذكرنا عن قتادة، من أن معناه: ألم تر، ألم تعلم، كما جاء عن قتادة فتأويل الكلام: وأصبح الذين تمنوا مكان قارون وموضعه من الدنيا بالأمس، يقولون لما عاينوا ما أحل الله به من نعمته: ألم تريا هذا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، لا لفضل منزلته عنده، ولا لكرامته عليه، كما كان بسط من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يقول: ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك، ويقتصر عليه، لا لهوانه، ولا لسخطه عمله. وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ يقول: لولا أن تفضل علينا، فصرف عنا ما كنا نتمناه بالأمس ﴿لَخَسَفَ بَنَّا﴾. وقوله: ﴿وَيَكَآءُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ يقول: ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون، فتنجح طلباتهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: تلك الدار الآخرة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا عن الحق في الأرض وتجبرا عنه ولا فسادا. يقول: ولا ظلم الناس بغير حق، وعملا بمعاصي الله فيها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. كما جاء عن عكرمة وغيره وكما جاء عن علي رضي الله عنه قال: إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه، فيدخل في قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. وقوله: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: والجنة للمتقين، وهم الذين اتقوا معاصي الله، وأدوا فرائضه. وبنحو الذي قلنا في معنى العاقبة قال أهل التأويل. كما جاء عن قتادة

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: من جاء الله يوم القيامة بإخلاص التوحيد، فله خير، وذلك الخير هو الجنة والنعيم الدائم، ومن جاء بالسيئة، وهى الشرك بالله. كما جاء عن قتادة وقد بينا ذلك باختلاف المختلفين، ودلنا على الصواب من القول فيه. وقوله: ﴿فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يقول: فلا يثاب الذين عملوا السيئات على أعمالهم السيئة ﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يقول: إلا جزاء ما كانوا يعملون

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الذي أنزل عليك يا محمد القرآن. كما جاء عن مجاهد واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ والصواب من القول في ذلك

عندي: قول من قال: لرادك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث ولدت، وذلك أن المعاد في هذا الموضع: المفعول من العادة، ليس من العود، إلا أن يوجه موجه تأويل قوله: ﴿لَرَادُّكَ﴾ لمصيرك، فيتوجه حينئذ قوله: ﴿إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى معنى العود، ويكون تأويله: إن الذي فرض عليك القرآن لمصيرك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك. وقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ربي أعلم من جاء بالهدى الذي من سلكه نجا، ومن هو في جور عن قصد السبيل منا ومنكم. وقوله: ﴿مُيِّنٌ﴾؛ يعني أنه يبين للمفكر الفهم إذا تأمله وتدبره، أنه ضلال وجور عن الهدى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وما كنت ترجو يا محمد أن ينزل عليك هذا القرآن، فتعلم الأنباء والأخبار عن الماضين قبلك، والحادثة بعدك، مما لم يكن بعد، مما لم تشهده ولا تشهده، ثم تتلو ذلك على قومك من قريش، إلا أن ربك رحمك، فأنزله عليك، فقوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ استثناء منقطع. وقوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ يقول: فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك، بإنزاله عليك هذا الكتاب، ولا تكونن عوناً لمن كفر بربك على كفره به. وقيل: إن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، وإن معنى اللام: إن الذي فرض عليك القرآن، فأنزله عليك، وما كنت ترجو أن ينزل عليك، فتكون نبيا قبل ذلك، لرادك إلى معاد.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يصرفك عن تبليغ آيات الله وحججه بعد أن أنزلها إليك ربك يا محمد هؤلاء المشركون بقولهم: ﴿لَوْلَا أَوْتَىٰ مِثْلَ مَا أَوْتَىٰ مُوسَىٰ﴾ وادع إلى ربك وبلغ رسالته إلى من أرسلك إليه بها ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ولا تترك الدعاء إلى ربك، وتبليغ المشركين رسالته، فتكون ممن فعل فعل المشركين بمعصيته ربه، وخلافه أمره.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تعبد يا محمد مع معبودك الذي له عبادة كل شيء معبودا آخر سواه. وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يقول: لا معبود تصلح له العبادة إلا الله الذي كل شيء هالك إلا وجهه. واختلف في معنى قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقال بعضهم: معناه: كل شيء هالك إلا هو. وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه، وقوله: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ يقول: له الحكم بين خلقه دون غيره، ليس لأحد غيره معه فيهم حكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالعدل، فيجازي مؤمنكم جزاءهم، وكفاركم ما وعدهم.

آخر تفسير سورة القصص

والحمد لله رب العالمين

فهرس الكتاب

مقدمة الشيخ العالم المؤدب أبي بكر بن محمد بن الحنبلي حفظه الله على طاعته ..	٥
حكم الإيمان والعمل بالقرآن الكريم:	٦
دلالة آيات القرآن:	٧
حكم من استهان بالقرآن أو سبه:	٧
ترجمة ابن جرير الطبري	١١
اسمه ونسبه وكنيته:	١١
ثناء العلماء عليه:	١١
أما شيوخه:	١٢
أما مصنفاته:	١٢
وفاته:	١٢
تفسير سورة هود	١٣
تفسير سورة يوسف	٥١
تفسير سورة الرعد	٩١
تفسير سورة إبراهيم	١٠٩
تفسير سورة الحجر	١٢٧
تفسير سورة النحل	١٤٣
تفسير سورة الإسراء	١٨٣



٢٣٤	تفسير سورة الكهف
٢٨١	تفسير سورة مريم
٣٠٨	تفسير سورة طه
٣٤١	تفسير سورة الأنبياء
٣٨٠	تفسير سورة الحج
٤٠٧	تفسير سورة المؤمنون
٤٢٨	تفسير سورة النور
٤٥٦	تفسير سورة الفرقان
٤٧٥	تفسير سورة الشعراء
٥٠٠	تفسير سورة النمل
٥٢٥	تفسير سورة القصص
٥٥٤	فهرس الكتاب

